

كتاب الأغاني


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء السابع عشر

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

Beyrouth - Liban - Imm. Kilopatra - Rue Dakkache - B.P. 11/7957
Tél. Dépôt 276696, 273032, 270766 - Domicile 830711-830717
Télégr. ALTOURAS - Télex 23644 LE

بيروت - لبنان - بناية كليوباترا - شارع دكاش - ص.ب: ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع ٢٧٦٦٩٦-٢٧٣٠٣٢-٢٧٠٧٦٦ المنزل ٨٣٠٧١١-٨٣٠٧١٧
برقياً: التراث - تلكس: ٢٣٦٤٤ LE تراث

[١/١٧] / بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الكُمَيت ونسبه وخبره

نسبه

هو الكميت[١] بن زيد بن خُنَيس[٢] بن مُجَالد بن وُهَيْب بن عَمْرو بن سُبَيْع. وقيل: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سُبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار. شاعر مقدَّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مُضر وألسنتها، والمتعصِّبين على القحطانية، المقارنين المقارِعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها. وكان في أيام بني أميّة، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة، ومات قبلها.

تشيعه لبني هاشم

وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره.

مناقضة دعبل وابن أبي عيينة لقصيدته المذهبة

ولم تزل عصبيّته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متّصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دِعبلٌ وابنُ أبي عُيَيْنةَ قصيدتَه المُذْهَبة[٣] بعد وفاته، وأجابهما أبو البَلْقاء[٤] البَصْريّ مولى بني هاشم عنها، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله[٥].

[٢/١٧] / ### كان معلم صبيان

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن خلَف الأحمر: أنه رأى الكُميت يعلّم الصبيان في مسجد بالكوفة.

---

(١) من يقال له الكميت ثلاثة من بني أسد بن خزيمة؛ هم: الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس. والكميت بن معروف بن الكميت الأكبر. والكميت بن زيد هذا. (المؤتلف والمختلف للآمدي ٢٥٧).

(٢) وكذا في تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٢٧، وفي المؤتلف والمختلف، واللآلىء، والخزانة: الأخنس، وفي تجريد الأغاني: حبيش، بالحاء المهملة، تصحيف.

(٣) المذهبات التي في جمهرة أشعار العرب ليس من بينها قصيدة الكميت.

(٤) في هب: «أبو الدلفاء»، وفي ب، س، و«المختار»: «أبو الزلفاء».

(٥) هذا الموضع هو ترجمة دعبل في الجزء الثامن عشر ص ٢٩ (بولاق).

مودته للطرماح مع اختلاف المذهب والعصبية

قال ابنُ قتيبة في خبره خاصة: وكانت بينه وبين الطِّرِمّاح خُلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين[1]، قال[2]: فحدّثني بعضُ أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت، قال: أنشدت الكُميتَ قولَ الطِّرمّاح:

إذا قُبِضت نفس الطِّرِمّاح أخلقتْ عُرا المجد واسترخَى عِنان القصائدِ

قال: إي والله وعِنان الخطابة والرواية. قال: وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبيّة والدّيانة؛ كان الكميت شِيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مضر، متعصّباً لأهل الكوفة، والطرمّاح خارجيٌّ صُفْريّ قحطانيّ عصبيٌّ لقحطان، من شعراء اليمن، متعصب لأهل الشام، فقيل لهما: ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء[3]؟ قالا: اتفقنا على بُغْض العامة.

علمه بأيام العرب وأشعارها

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكُرانِيّ، قال: حدّثنا أبو عمر العمريّ، عن لَقيط، قال:

اجتمع الكميت بن زيد وحمّاد الراوية في مسجد الكوفة، فتذاكرا أشعار العرب وأيّامَها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكُميت: أتظنّ أنّك أعلمُ منّي بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظنّ! هذا والله هو اليقين. فغضب الكُميت ثم قال له: لَكُمْ شاعر بصير، يقال له عمرو ابن فلان، تَرْوِي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى[4] اسمه فلان ابن عمرو، تَرْوِي؟ فقال حماد قولاً لما يحفظه: فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف، / ويسأل حمّاداً: هل يعرفه؟ فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجِرنا. [٣/١٧]

مساءلته حماداً عن شيء من الشعر وتفسيره

ثم قال له الكُميت: فإني سائلك عن شيءٍ من الشّعر، فسأله عن قول الشاعر[5]:

طَرَحُوا أصحابَهُمْ في ورطة قَذْفَكَ المَقْلَةَ شَطْرَ المُعْتَرَكْ[6]

فلم يعلم حمّاد تفسيرَه، فسأله عن قول الآخر:

تَدَرَّيْنَنا بالقَوْلِ حتى كأنما تَدَرَّيْنَ وِلْدَانا تَصِيدُ الرَّهادِنا

فأُفحِمَ حمّاد، فقال له: قد أَجَّلْتُك إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد ولم يَأْتِ بتفسيرهما، وسأل الكُمَيْتَ أنْ يفسِّرَهما له، فقال: المَقْلَة: حصاةٌ أو نَواة من نَوَى المُقْل يحملها القوم معهم إذا سافَرُوا، وتُوضع في الإناء ويُصبُّ عليها الماء حتى يَغْمُرَها، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماءَ. والشَّطر: النّصيب. والمعترَك: الموضِعُ الذي يختصمون فيه في الماء، فيلقونَها هناك عند الشّرّ. وقوله: «تَدَرَّيْنَنا»، يعني النساءِ، أي خَتَلْننا فرمَيْننا. والرهادن: طَيْرٌ بمكة كالعَصَافير.

---

(١) الخبر في الشعر والشعراء ٥٦٢.

(٢) الخبر في الشعر والشعراء ٥٦٧.

(٣) في أ: «مع سائر اختلاف».

(٤) في المختار: «الكم شاعر أعمى يقال له فلان ابن عمر».

(٥) هو يزيد بن طعمة الخطمي. اللسان «مقل»، مجالس العلماء ٢١٦.

(٦) في أ: «وسط المعترك».

سبب حفيظة خالد القسري عليه

وكان خالدُ بنُ عَبْدِ الله القَسْرِيّ ـ فيما حدّثني به عيسى بن الحسين الورّاق، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاريّ عن ابن الأعرابيّ، وذكره محمد بن أنس السّلاَمِيّ عن المستَهِلّ بن الكُمَيت، وذكره ابن كُناسة عن جَمَاعةٍ مِنْ بَنِي أسد ـ [قد بلغه] أنَّ الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليَمن، وهي:

* ألا حُيِّيتِ عَنَّا يا مَدِينا[1] *

/ احتيال خالد لإثارة هشام عليه [٤/١٧]

فأحفظته عليه، فروّى جاريةً حسناء قصائدَه الهاشميات، وأعدَّها ليُهْدِيَها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أُميَّة، وأنفذ إليه قصيدتَه التي يقول فيها:

فيــا رَبُّ هــل إلاَّ بــكَ النَّصْــرُ يُبْتَغَــى ويــا ربّ هــل إلاَّ عَلَيْــكَ المُعَــوَّلُ![2]

حبسه وكتاب أبان بن الوليد إليه بطريقة هروبه

وهي طويلة يَرْثي فيها[3] زَيْد بن عليّ، وابْنَه الحسين بن زيد، ويمدح بني هاشم. فلما قرأها أكبرَها وعظُمَتْ عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أنْ يقطعَ لسانَ الكميت ويَده. فلم يشعر الكميتُ إلاّ والخيلُ محدِقَةٌ بداره، فأُخذ وحُبس في المُخَيّس[4]، وكان أبان بن الوليد عامِلاً على واسِط، وكان الكُميتُ صديقَه، فبعث إليه بغلام على بَغل، وقال له: أنتَ حرٌّ إن لحقتَه، والبَغلُ لكَ. وكتب إليه: قد بلغني ما صِرْتَ إليه، وهو القَتْل، إلا أنْ يَدْفعَ الله عزّ وجَلّ، وأرى لكَ أنْ تبعثَ إلى حُبَّي ـ يعني زوجة الكميت وهي بنت نُكَيف بن عبد الواحد، وهي مِمَّنْ يَتَشَيَّع أيضاً ـ فإذا دخلَتْ إليك تنقّبتَ نقابَها، ولبستَ ثيابَها وخرجتَ، فإني أرجو ألاّ يُؤْبه لَكَ.

فأرسل الكميتُ إلى أبي وضّاح حبيب بن بُدَيْل، وإلى فِتيان من بني عمّه مِنْ مالك بن سَعِيد، فدخل عليه حَبيب فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدّدَ رَأْيَه، ثم بعث إلى حُبَّي امرأته، فقصَّ عليها القصةَ، وقال لها: أي ابنة عَمّ، إن الواليَ لا يُقْدِم عليكِ، ولا يُسْلِمك قومك، ولو خِفْتُه عليكِ لما عرَّضتُكِ له. / فألبَسَتْه ثيابَها وإزارَها [٥/١٧] وخَمَّرَتْه[5]، وقالت له: أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ؛ ففعل، فقالت: ما أُنكِرُ منك شيئاً إلاّ يبساً في كتفك، فاخْرُج على اسمِ اللهِ.

امرأته حبّى مكانه في السجن

/ وأخرجَتْ معه جارِيَةً لها، فخرج وعلى باب السجنِ أبو وضّاح، ومعه فِتْيَانٌ من أسد، فلم يُؤْبَه له، ومشى ١١٥/١٥

---

(١) عجزه:

* وَهَلْ بأسٌ بِقَوْلِ مُسَلِّمينا *

الخزانة ١ : ٨٦، وقوله: «يا مدينا» أراد: «يا مدينة» فرخم.

(٢) الهاشميات ٧٠.

(٣) في هامش أ: «هذا غلط من وجهين: أحدهما إيفاد خالد إلى هشام بمرثية زيد، وزيد إنما قتل في إمارة يوسف بن عمر بعد خالد. والثاني في جعله الحسين بن زيد مرثياً أيضاً والحسين لم يقتل، وكان ممن يرى الخروج».

(٤) المخيس، كمعظم ومحدّث: السجن.

(٥) خمرته: ألبسته خمارها.

والفِتيان بين يَدَيْهِ إلى سكّة شبيب بناحية الكُناسة[(١)]، فمرّ بمجلس مِنْ مجالسِ بني تميم، فقال بعضهم: رجل وربِّ الكعبة. وأمَرَ غلامه فاتَّبَعه، فصاح به أبو الوضّاح: يا كذا وكذا، لا أراك تتبعُ هذه المرأة منذ اليوم. وأوْمأ إليه بنَعْلِه، فولّى العَبْدُ مُدْبِراً، وأدخله أبو الوضّاح مَنْزِله.

كشف أمره

ولمّا طالَ على السجّان الأمرُ نادَى الكُميت فلم يُجِبْه، فدخل ليعرِفَ خَبَره، فصاحت به المرأةُ: وراءكَ، لا أُمَّ لكَ! فشقَّ ثوبَه، ومضى صارِخاً إلى باب خالد، فأخبره الخبر، فأحضر حُبَّي فقالَ لها: يا عدوَّةَ الله، احتَلْتِ على أميرِ المؤمنين، وأخرجْتِ عدوَّه، لأُمَثِّلَنَّ بك ولأَصْنَعَنَّ ولأفْعَلَنَّ. فاجتمعَتْ بَنُو أَسَد إليه، وقالوا: ما سبِيلُكَ على امرأةٍ منّا خُدِعَتْ. فخافهم فخلّى سبيلها.

خبرته بزجر الطير

قال: وسقط غُرابٌ على الحائطِ فنَعَب، فقال الكُمَيتُ لأبي وضّاح: إني لمأخوذٌ، وإنّ حائطَك لساقط. فقال: سبحانَ الله! هذا ما لا يكونُ إن شاء الله. فقال له: لا بُدَّ مِنْ أنْ تحوِّلَني. فخرج به إلى بني عَلْقَمة ـ وكانوا يتشيَّعُون ـ فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائطُ الذي سقط عليه الغُرَاب.

/ خروجه إلى الشأم [٦/١٧]

قال ابنُ الأعرابيّ: قال المستهِلّ: وأقام الكميتُ مدةً متوارياً، حتى إذا أيقن أنّ الطلبَ قد خَفَّ عنه خرج ليلاً في جماعةٍ من بني أَسَد، على خَوْفٍ ووَجل، وفيمن معه صاعدٌ غلامُه، قال: وأخذ الطريقَ على القُطْقطانَة[(٢)] ـ وكان عالماً بالنجوم مُهْتَدِياً بها ـ فلما صار سُحَيْراً[(٣)] صاح بنا: هوِّموا[(٤)] يا فِتْيان، فهوَّمنا، وقام يصلّي.

أطعم ذئباً فهداه الطريق

قال المستهلّ: فرأيتُ شخصاً فتضعضعْتُ له، فقال: مالكَ؟ قلت: أرى شيئاً مُقْبِلاً، فنظر إليه فقال: هذا ذئبٌ قد جاء يستطْعِمُكم، فجاء الذئب فربَض ناحيةً، فأطعمناه يَدَ جَزُور، فتعرّقها، ثم أهْوَيْنَا له بإناءٍ فيه ماءٌ فشرب منه، وارتحَلْنا، فجعل الذئبُ يَعْوِي، فقال الكميت: ما لَه وَيْلَه! ألم نُطعمه ونسقه! وما أعْرَفَني بما يريد! هو يُعْلِمنا أنّا لسنا على الطريق؛ تَيَامَنُوا يا فِتيان، فتيامنّا فسكن عُواؤه.

تواريه وسعي رجالات قريش في خلاصه

فلم نَزَلْ نسيرُ حتى جئنا الشامَ، فتوارَى في بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشراف قُرَيش ـ وكان سيِّدَهم يومئذ عَنْبَسةُ بن سَعِيد بن العاص ـ فمشت رِجالاتُ قريش بعضها إلى بعض، وأتوا عَنْبَسةَ، فقالوا: يا أبا خالد، هذه مكرمة قد أتاك الله بها، هذا الكُمَيْتُ بن زَيْد لسانُ مُضَر، وكان أمير المؤمنين كتب في قَتْلِه، فنجا حتى تخلّص إليك

---

(١) في ب والمختار: «الكناس»، والكناسة: محلة بالكوفة، وكناس: موضع في بلاد غنيّ. (ياقوت).

(٢) القطقطانة: موضع بالكوفة، كان به سجن للنعمان بن المنذر.

(٣) صار هنا تامة.

(٤) هوّموا: ناموا نوماً خفيفاً؛ يريد: استريحوا، وأغفوا إغفاءة.

والينا. قال: فمرُوه أَنْ يَعُوذَ بِقَبْرِ معاوية بن هشام بدَيْر[١] حَنِيناء. فمضى الكُمَيْتُ، فضرب فُسْطاطَه عند قَبْرِه، ومضى عَنْبَسةُ فأتَى مَسْلَمةَ بن هشام، فقال له: يا أبا شاكر، مكرمة أتيتُكَ بها تبلغُ الثريّا إن اعتقدْتَها، فإنْ علمتَ أنّكَ تفِي بها وإلاّ كتَمْتَها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر، / وقال: إنه قَدْ مدَحَكُم عامّة، وإياكَ خاصة بما لم يُسمَع [٧/١٧] بمثله. فقال: عليَّ خلاصةُ.

مسلمة بن هشام يطلب الأمان له

فدخل على أبيه هشام وهو عند أُمّهِ في غير وقت دخولٍ، فقال هشام: أجئتَ لحاجةٍ؟ قال: نعم، قال: هي مَقْضِيةٌ إلاّ أن يكونَ الكميت. فقال: ما أحبُّ أنْ تستثْنِيَ عليَّ في حاجتي، وما أنا والكميت! فقالت أُمُّه: والله لتقضِينَّ حاجتُه كائنةً ما كانت. قال: قد قضيتُها ولو أحاطت بما بَيْنَ قُطْرَيْها. قال: هي الكميت يا أمير المؤمنين، وهو آمِنٌ بأمانِ الله عزّ وجل وأماني، وهو شاعر مضر، / وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله، قال: قد أمّنته، وأجزتُ ١١٦/١٥ أمانَك له، فاجلس له مجلساً يُنْشِدُكَ فيه ما قال فينا.

هشام يعقد له مجلساً يسمع فيه مدائحه في بني أمية

فعقد له، وعنده الأبرش الكلبيّ، فتكلّم بخطبة ارتجلها ما سُمِع بمثلها قطّ، وامتدحه بقصيدته الرّائية، ويقال: إنه قالها ارتجالاً، وهي قوله:

* قِفْ بالديار وقوفَ زائر[٢] *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

مـــاذا عليـــك مِـــنَ الـــوُقُـــو ... فِ بهـــا وأنـــكَ غَيْـــرُ صـــاغِـــرْ
دَرَجَـــتْ عليهـــا الغـــاديـــا ... تُ الـــرّائحـــاتُ مِـــنَ الأعـــاصـــر

وفيها يقول:

فـــالآن صِـــرْتُ إلـــى أُمَيّـــةَ ... والأُمـــورُ إلـــى المَصـــايِـــرْ

وجعل هشام يغمز مَسْلَمة بقَضِيب في يَدِه، فيقول: اسمَعْ، اسمَعْ.

[٨/١٧] / ثم استأذنه في مَرْثِيَة ابنه معاوية، فأذِن له، فأنشده قوله[٣]:

سـأُبكِيـكَ للـدُّنيـا وللـدِّيـن إنّنـي ... رأَيْـتُ يـدَ المعـروفِ بعـدك شَلّـتِ
فـدامَـتْ عليـكَ بـالسـلام تحيـةٌ ... مـلائكـةُ اللهِ الكـرامُ وصلّـتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً، فوثب الحاجِبُ فسكّته.

ثم جاء الكميتُ إلى منزله آمناً، فحشدت له المُضريّة بالهدايا، وأمر له مَسْلَمة بعشرين ألف درهم، وأمر له

---

(١) دير حنيناء: من أعمال دمشق. (ياقوت).

(٢) صدر بيت، وعجزه:

* وتأيَّ إنّكَ غَيْر صَاغِرْ *

وتأي: تلبث وأمكث.

(٣) الهاشميات ٩٣.

هشام بأربعين ألف درهم. وكتب إلى خالد بأمانِهِ وأمانِ أَهْلِ بيته، وأنه لا سلطانَ له عليهم.

قال: وجمعت له بنو أميّة بينها مالاً كثيراً. قال: ولم يُجمع من قصيدته تلك يومئذ إلاّ ما حفظه الناسُ منها فأُلِف. وسُئل عنها، فقال: ما أَحفَظُ منها شيئاً؛ إنما هو كلامٌ ارتجلْتُه.

فقال: وودّع هشاماً، وأنشده قوله فيه:

* ذكر القلبُ إلْفَه المذكورَا *

سبقه الشعراء إلى معنى في صفة الفرس

قال محمد بن كُنَاسة: وكان الكميتُ يقول: سبقتُ الناسَ في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنىً ما سُبقتُ إليه في صفةِ الفرس حين أقول:

يَبْحَثُ التُّرْبَ عن كواسر في المَشْـ ... ـرَبِ لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصَّفِيرَا

هذه رواية ابنِ عمار. وقد روى فيه غَيْر هذا.

رواية أخرى في سبب المنافرة بينه وبين خالد

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكُميت غير هذا، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخرّاز، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب، قال: حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أُميّة البلخيّ، قال:

[٩/١٧] / كان حَكيم بن عيّاش[1] الأعور الكلبيُّ وَلِعاً بهجاء مُضَر، فكانت شعراء مُضَر تهْجُوه ويجيبهم، وكان الكميت يقول: هو واللهِ أشْعَرُ منكم. قالوا: فأجِبِ الرجلَ. قال: إنّ خالد بن عبد الله القَسْرِيّ محسن إليّ فلا أقدِر أنْ أردَّ عليه، قالوا: فاسمعْ بأذنك ما يقول في بنات عَمّك وبنات خالك من الهجاء، وأنشدوه ذلك؛ فحميَ الكُميت لعشيرته، فقال المُذْهَبة[2]:

* ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينَا *

فأحسن فيها، وبلغ خالداً خبَرها. فقال: لا أُبالِي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكر، فأنشدوه قوله:

ومِنْ عَجَبٍ عليَّ لَعَمْرُ أمٍّ ... غَذَتْك وغير هاتيا يمينا[3]

تجاوزت المياهَ بلا دَليلٍ ... ولا عَلَمٍ تَعَسَّفَ مخطئينا

فإنكَ والتحوّل مِنْ مَعَدّ ... كهيلةَ قَبْلَنَا والحالبينا[4]

تخطّت خيرهم حَلَباً ونَسْئاً[5] ... إلى المَوْلَى المغادِرِ هاربينا[6]

/ كعَنْزِ السّوءِ تنطحُ عَالِفيها ... وترميها عِصِيُّ الذابحينا[7]

[١١٧/١٥]

---

(١) في أ: «حكيم بن عباس».

(٢) المذهبة: لقب هذه القصيدة، وانظر حاشية ٣ ص ٣.

(٣) في ما: «تيّامنينا»، وفي أ: «تتأيمينا».

(٤) في أ، ب: «والجالبينا».

(٥) النسء: اللبن الرقيق الكثير الماء، وفي ب: «ومسئًا».

(٦) في ما: «إلى الوالي»، والمثبت في أ، ب.

(٧) في أ: «وترضيا» تحريف.

فبلَغَ ذلك خالداً، فقال: فعلَها! واللهِ لأقتُلَنَّه. ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن، وتخيّرهنَّ نهايةً في حُسْنِ الوجوهِ والكمال والأدَب، فروَّاهُنَّ / الهاشميَّات، ودسَّهنَّ مع نخَّاسٍ إلى هشام بن عبد الملك، فاشتراهُنَّ جميعاً، [١٧/١٠] فلما أنس بهنَّ استنطقهنَّ، فرأى فصاحةً وأدباً، فاستقراهُنَّ القرآنَ، فقرَأْنَ، واستنشدهنّ الشعر، فأنشدْنَه قصائد الكميت الهاشميّات. فقال: ويلكنّ! مَنْ قائلُ هذا الشعر؟ قلن: الكُمَيْت بن زَيْد الأسَدِيّ. قال: وفي أيّ بلدٍ هو؟ قُلْنَ: في العراق، ثم بالكوفة. فكتب إلى خالد وهو عامِلُه على العراق: ابْعَثْ إليّ برأْسِ الكُميت بن زيد، فبعث خالد إلى الكُميت في الليل، فأخذه وأوْدَعَه السِّجْن. ولما كان من الغدِ أقرأ مَنْ حضره مِن مُضَر كتابَ هِشام، واعتذر إليهم مِنْ قتله، وآذَنَهم فِي إنْفاذِ الأمْرِ فيه في غدٍ، فقال لأبان بن الوليد البَجليّ ـ وكان صَدِيقاً للكُمَيْت ـ: انظر ما ورد في صَدِيقك. فقال: عزّ عَليّ واللهِ [ما] به، ثم قام أَبان، فبعث إلى الكميت فأنذره، فوجَّه إلى امرأتِه.

مسلمة بن هشام يجيره ويحتال في خلاصه

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانَه، كما ذكر مَنْ تقدّمه. وقال فيه: فأتى مَسلمة بن عبد الملك فاستجارَ به، فقال: إني أخشى ألاّ ينفعك جِوارِي عنده، ولكن استجر بابنهِ مسلمة بن هشام. فقال: كُنْ أنتَ السفير بيني وبينه في ذلك، ففعل مسلمة، وقال لابْنِ أخيه: قد أتيتك بشَرَف الدَّهْرِ، واعتقادِ الصَّنيعةِ في مُضَر، وأخبره الخبر؛ فأجاره مسلمة بن هشام. وبلغ ذلك هشاماً فدَعَا به، ثم قال: أتُجيرُ على أمير المؤمنين بغير أمْرِه؟! فقال: كلاّ، ولكني انتظرتُ سكونَ غَضَبِه. قال: أحْضِرْنيهِ الساعة، فإنه لا جوار لك. فقال مسلمة للكُمَيت: يا أبا المستهلّ، إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بإحضارك. قال: أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلاّ، ولكني أحتالُ لكَ، ثم قال له: إنّ معاوية بن هشام مات قريباً، وقد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان / من الليل فاضرِبْ رواقَك على قبره، وأنا أبعثُ إليك بَنِيه [١٧/١١] يكونون معك في الرِّواق، فإذا دعا بك تقدَّمْتَ إليهم أنْ يربطوا ثيابَهم بثيابك، ويقولوا: هذا استجار بقبرِ أبينا، ونحن أحقُّ مَنْ أجاره.

فأصبح هشام على عادتِه مُتطَلِّعاً مِنْ قَصْرِه إلى القبر، فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: لعلّه مُستَجِير بالقَبْر! فقال: يُجَارُ مَنْ كان إلاّ الكُمَيْت؛ فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الكُمَيْت، قال: يُحْضر أعْنَف إحضار. فلما دُعِي به رَبط الصبيانُ ثيابَهم بثيابه. فلما نظر هشام إليهم اغرورَقَت عيناه واستعبَر، وهُم يقولون: يا أمير المؤمنين، استجار بِقَبْرِ أبينا، وقد مات، ومات حظُّه من الدنيا، فاجْعَلْهُ هبةً له ولنا، ولا تفضحنا فيمن استجار به. فبكى هِشام حتى انتحَب، ثم أقبل على الكُميت فقال له: يا كُميت، أنت القائل:

وإلاّ تَقُـولُـوا غيـرهـا تتعـرّفُـوا   نَـوَاصِيَهـا تَـرْدِي بِنَـا وهـي شُـزَّبُ[١]

خطبته بين يدي هشام وإنشاده بعض مدائحه في بني أمية

فقال: لا، واللهِ، ولا أتانٌ مِنْ أُتنِ الحجاز وَحْشِيّة، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه، ثم قال: أمّا بعد فإنّي كنتُ أتَدَهْدَى[٢] في غمرة، وأعُوم في بَحْرِ غواية، أخْنَى عليّ خطلها، واستفزّني وَهلها[٣]؛ فتحيّرتُ في

---

(١) ردى يردى، إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشي الشديد. والشازب: الذي فيه ضمور، وجمعه شزّب.
(٢) أتدهدى: أتقلّب وأتلوى.
(٣) الوهل: الفزع.

١١٨/١٥ الضَّلَالة، وتسكّعت في الجهالة، مُهْرِعاً[١] عن الحقّ، جائراً عن القَصْدِ، / أقولُ الباطلَ ضلالاً، وأفُوه بالبهتان وَبالاً، وهذا مقامُ العائِذ مُبْصِرِ الهدى، ورافض العمى[٢] فاغسِلْ عنّي يا أمير المؤمنين الحَوْبة[٣] بالتَّوْبَة، واصْفَح [١٧/١٢] / عن الزّلة، واعْفُ عن الجَرِمَة[٤]، ثم قال[٥]:

كَـمْ قـالَ قـائلُكـم: لَعـاً ... لـك، عنـد عَثْـرتـهِ لعـاثِـرْ[٦]

وغفَـرْتُـمُ لِـذَوِي الـذنُـو ... ب مـن الأكـابـرِ والأصـاغِـرْ

أبنـي أُميـةَ إنكُـمْ ... أهـلُ الـوسـائـلِ والأوَامِـرْ

ثِقَتـي لكُـلِّ مُلِمَّـةٍ ... وعشيـرتـي دُونَ العَشـائـرْ

أنتُـمْ مَعـادِنُ للخـلا ... فَـةِ كـابِـراً مِـنْ بَعْـدِ كـابِـرْ

بـالتِّسْعَـةِ المتتـابعيـ ... ـن خـلائفـاً وبخيْـرِ عـاشِـرْ[٧]

وإلـى القيـامَـةِ لا تـزا ... لُ لِشـافـعٍ منكـمْ وَوَاتِـرْ

ثم قطع[٨] الإنشادَ وعاد إلى خطبته، فقال: إغضاء أمير المؤمنين وسماحتُه وصبَاحتُه، ومَناط المنتَجِعين بحبْلِه، مَنْ لا تُحَلُّ حَبْوَتُه لإساءةِ المذنبين، فضلاً عن استشاطةِ غضَبِه بجَهْلِ الجاهلين.

محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أمية

فقال له: وَيْلَكَ يا كُمَيْت! مَنْ زيّنَ لك الغَوايةَ، ودَلّاك في العَمايةِ؟ قال: الذي أخرج أبانا من الجنّة، وأنساه العَهْد، فلم يَجِدْ له عَزْماً. فقال: إيهِ! أنت القائل:

فيـا مُـوقـداً نـاراً لغيـرك ضَـوْءُهـا ... ويـا حـاطِبـاً فـي غيـر حَبْلـك تحطـبُ

فقال: بل أنا القائل[٩]:

[١٧/١٣] / إلـى آلِ بَيْـتِ أبِـي مـالِـكٍ ... منـاخٌ هـو الأرْحَـبُ الأسْهَـلُ

نَمُـتُّ بـأرْحـامنـا الـدّاخِـلا ... ت مِـنْ حيـثُ لا يُنْكَـرُ المـدخَـلُ

بِبَـرَّةَ والنَّضْـرِ والمـالِكيـ[١٠] ... ـنَ رَهْـط هـم الأنبـلُ الأنبـلُ

---

(١) مهرعاً: منصرفاً.

(٢) في أ: «العماية».

(٣) الحوبة: الخطيئة والإثم.

(٤) الجرمة، مثل كلمة: الذنب.

(٥) الهاشميات ٩٢.

(٦) يقال للعاثر: لعاً لك، دعا له بالإقالة والابتعاد.

(٧) لم يرد في الهاشميات.

(٨) في أ: «وقطع».

(٩) الهاشميات ٩٣.

(١٠) في أ و المختار: «بمرة»، والمثبت من ج، قال في هامشه: برة بنت مرّ، أخت تميم، كانت عند خزيمة، فولدت له أسداً ثم مات، فخلف عليهاابنه كنانة، فولدت له النضر، وهو قريش، أبو مالك. فبنو أسد ينتمون إلى قريش لهذا السبب. والبيت ليس في الهاشميات.

ويـا بَنـيْ خُـزَيمـة بَـذر السمـا[١] ء والشمـس مفتـاح مـا نـأمُـلُ
وجَـدْنَـا قـريشـاً قـريـشَ البِطـاح علـى مـا بَنـى الأوّلُ الأوّلُ
بهـم صَلُـحَ النـاسُ بعـد الفسـاد وحِيـصَ مـن الفَتْـق مـا رَعْبَلُـوا[٢]

قال له: وأنت القائل[٣]:

لا كعَبْـد المَلِيـك أو كـوَلِيـدِ أو سُليمـان بَعْـدُ أو كهشـام
مَـنْ يَمُـتْ لا يَمُـتْ فقيـداً ومـن[٤] يَحْـ ـيَ فـلا ذُو إلٍّ[٥] ولا ذُو ذِمـام

ويلك يا كميت! جعلْتَنا ممَّن لا يَرْقب في مُؤمنٍ إلّاً ولا ذِمَّة، فقال: بل أنا القائلُ يا أمير المؤمنين[٦]:

فـالآنَ صِـرْتُ إلـى أُمَيّـ ـةَ والأمـورُ إلـى المَصـايِـرْ
والآنَ صِـرتُ بهـا المُصِيـ ـب كمُهْتَـدٍ بـالأمْـسِ حَـائِـرْ
/ يـا بْـنَ العقـائـل للعقـا ئِـلِ والجحـاجحـةِ الأخَـايِـرْ[٧]
مِـنْ عَبْـد شمـسٍ والأكـا بـرِ مِـنْ أُمَيَّـةَ فـالأكـابِـرْ
إنَّ الخـلافـة والإلا فَ بِـرَغْـمِ ذِي حَسَـدٍ ووَاغِـرْ[٨]
دَلَفـا مِـنَ الشَّـرَفِ التَّلِيـ ـدِ إليـكَ بـالـرِّفـدِ المُـوافِـرْ
فحللـتَ مُعْتلـجَ البِطـا حِ وحَـلَّ غيـرك بـالظـواهِـرْ[٩]

[١٤/١٧]

/ قال له: إيه، فأنت القائل[١٠]:

١١٩
١٥

فقُـلْ لبنـي أُمَيَّـةَ حيـثُ حَلُّـوا وإنْ خِفْـتَ المُهَنَّـد والقَطِيعـا[١١]
أجـاعَ اللهُ مَـنْ أشبعتمـوه وأشبَـعَ مَـنْ بجَـوْركُـمُ أُجيعَـا
بمَـرْضِـيِّ السيـاسـةِ هـاشمـيٌّ يكـونُ حَيـاً لأُمَّتِـهِ رَبِيعَـا

فقال: لا تثريب[١٢] يا أمير المؤمنين، إن رأيت أنْ تمحُوَ عنّي قولي الكاذب. قال: بماذا؟ قال: بقولي الصادق[١٣]:

---

(١) في س: «وباري»، وفي المختار: «ويا بني خزيمة ويل السماء». والبيت ساقط من أ، ب، ولم يرد في الهاشميات أيضاً.
(٢) حيص: رتق وأصلح. ورعبل الثوب: قطعه ومزقه، أي حفظ من الفتق ما مزقوا.
(٣) الهاشميات ٢٦، ٢٧.
(٤) الهاشميات: «وإن».
(٥) الإلّ: العهد والحلف. والذمام، بكسر الذال: الحق والحرمة. وفي ب: «آل».
(٦) الهاشميات ٩١.
(٧) الجحاجحة: جمع جحجاح؛ وهو السيد العظيم.
(٨) الواغر: الحاقد.
(٩) البطاح: جمع بطحاء وأبطح، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى.
(١٠) الهاشميات ٨٢.
(١١) حاشية أ: «القطيع»: السوط.
(١٢) التثريب: اللوم.
(١٣) الهاشميات ٩٣.

أورثَتْــهُ الحَصــانُ أمُّ هشــامٍ حسَبــاً ثــاقِبــاً ووَجْهــاً نَضِيــرا
وتعــاطَــى بــه ابــنُ عــائشــةَ البــدْ رَ فــأمســى لــه رَقيبــاً نَظِيــرَا
وكســاه أبــو الخــلائــف مَــرْوَا نُ سَنِــيَّ المكــارِمِ المــأثــورَا
لــم تجهَــمْ لَــهُ البِطــاحُ ولكِــنْ وَجَــدَتْهــا لَــهُ مَغــاراً[1] ودُورا

[١٧/١٥] / **إعجاب هشام بشعره ورضاؤه عنه**

وكان هشامٌ مُتّكِئاً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر ـ يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه ـ ثم قال: قد رضيتُ عنك يا كُمَيْت؛ فقبَّل يده، وقال: يا أمير المؤمنين، إنْ رأيْتَ أنْ تزيدَ في تشريفي، ولا تجعلَ لخالد عليّ إمارة! قال: قد فعلت. وكتب له بذلك، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هِشاميّة. وكتب إلى خالد أن يخلّيَ سبيلَ امرأته ويُعطيَها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك.

خالد يضربه مائة سوط

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قدومه الكُوفة بالعَهْد الذي كُتب له، منها أنه مرَّ به خالدٌ يوماً، وقد تحدّث الناس بعَزْلِه عن العراق، فلما جاز تمثّل الكميت:

أراهــا ـ وإنْ كــانــت تُحَــبُّ ـ كــأنهــا سحــابــةُ صَيْــفٍ عــن قليــل تَقَشَّــعُ

فسمعه خالد، فرجع وقال: أما والله لا تنقشعُ حتى يغشاك[2] منها شُؤبوب بَرَد. ثم أمر به فجرِّدَ، فضربه مائةَ سَوْط، ثم خلّى عنه ومَضَى. هذه رواية ابنِ حبيب.

ينذر هشاماً بخالد

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال: حدثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال:

كان هشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله ـ وكان يُقال ـ إنه يريد خَلْعَك ـ فوُجد بباب هشام يوماً رقعةٌ فيها شعر، فدُخل بها على هشام فقُرِئت عليه، وهي[3]:

تــألَّــقَ بَــرْقٌ عنــدنــا وتقــابَلَــتْ أثــافٍ لِقِــدْرِ الحَــرْبِ أخْشَــى اقْتِبــالَهــا
فــدونَــك قِــدْرَ الحــرْبِ وهــي مُقِــرَّةٌ لكفَّيْــك واجعــل دُونَ قِــدْرٍ جِعــالهــا[4]
[١٧/١٦] / ولــن تنتهــي أو يبلــغ الأمْــرُ حَــدَّه فنَلْهــا بــرِسْــلٍ قبــل ألاَّ تنــالَهــا[5]
فتجشَّــم منهــا مــا جَشِمْــتَ مِــنَ التــي بسُــوراءَ هــرَّت نحــو حــالــكَ حــالهــا[6]
تــلافَ أمــورَ النــاسِ قبــل تفــاقُــمٍ بعَقْــدةِ حَــزْمٍ لا تَخــافُ انحــلالَهَــا

(١) في س والهاشميات: «معاناً».
(٢) في أ: «يتغشاك».
(٣) الهاشميات ٨٩.
(٤) الجعالة: خرقة تنزل بها القدر.
(٥) الرسل، بكسر الراء: الرفق والتؤدة.
(٦) في س: «بسوراء أهدت»، والمثبت من أ، ب، وهرت: صوتت. وسوراء: موضع؛ يقال: هو إلى جنب بغداد. والبيت لم يرد في الهاشميات.

فمـا أبـرم(١) الأقـوامُ يـومـاً لحيلَـةٍ ... مِـنَ الأمـر إلّا قلّـدوكَ احتيـالهـا(٢)
وقـد تُخبِـرُ الحَـرْبُ العَـوانُ بسـرِّهـا ... - وإن لـم تُبِـحْ - مَـنْ لا يُـريـدُ سـؤالَهـا

فأمر هشام أن يجمعَ له مَنْ بحضرته من الرُّواة، فجمعوا. فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شِعرُ مَنْ تُشبِه هذه الأبيات؟ فأجمَعُوا جميعاً مِنْ ساعتهم أنه كلام الكُميت بن زيد / الأسديّ، فقال هشام: نعم، هذا الكميت ١٢٠/١٥ يُنْذِرُني بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد بخَبَرِه، وكتب إليه بالأبيات، وخالدٌ يومئذ بواسط.

هاشميته اللامية

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأخذِ الكميت وحَبْسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أنَّ هذا يمدحُ بني هاشم ويهجُو بني أمية، فأتوني من شعره هذا بشيء. فأُتِيَ بقصيدته اللامية التي أوّلُها(٣):

أَلَا هَـلْ عَـمٍ فـي رَأيِـهِ مُتـأمِّـلُ ... وهـل مُـدْبِـرٌ بعـد الإسـاءةِ مُقبِـلُ!

فكتبها وأدرَجها في كتابٍ إلى هشام، يقول: هذا شعرُ الكميت؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك.

/ فلما قرِئت على هشام اغتاظ، فلما قال(٤): [١٧/١٧]

فيـا سـاسـةً هـاتـوا لنـا مِـنْ جـوابكـم(٥) ... ففيكـم لعَمْـري ذُو أفـانيـنَ مِقْـوَلُ

اشتَدَّ غَيْظُه. فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطعَ يَدَي الكميت ورِجْليه، ويضربَ عنقه ويهدمَ داره، ويصلبه على تُرابها.

ابن عنبسة ينذره ليتخلص من الحبس

فلما قرأ خالد الكتابَ كره أن يَستفسد عشيرتَه، وأعلن الأمرَ رجاء أن يتخلّصَ الكميت، فقال: لقد كتب إليَّ أميرُ المؤمنين، وإني لأكرَهُ أن أستَفْسِدَ عشيرته، وسمّاه، فعرف عبد الرحمن بن عَنبسة بن سَعيد ما أرادَ، فأخرج غلاماً له مولّداً ظريفاً، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة، وقال: إنْ أنت ورَدْتَ الكوفةَ، فأنذرْتَ الكميتَ لعله أن يتخلَّصَ مِنَ الحَبْس، فأنتَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله، والبغلةُ لك، ولك عليّ بعد ذلك إكرامُك والإحسانُ إليك.

فركب البَغْلة وسار بقيّةَ يوْمِه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها، فدخل الحبسَ مُتَنَكِّراً، فخبَّر الكميتَ بالقصة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنةُ عمِّه يأمرها أنْ تجيئه ومعها ثيابٌ مِنْ لباسها وخُفّان، ففعلت، فقال: أَلبِسيني لِبْسةَ النساءِ، ففعلَتْ، ثم قالت له: أقبل، فأقبل، وأدبِرْ، فأدبر. فقالت: ما أرى إلّا يُبْساً في منكبيك، اذهب في حِفْظ الله.

(١) في أ، ب: «فما برم»، والمثبت يوافق ما في الهاشميات.
(٢) في ب: «احتبالها».
(٣) الهاشميات ٦٦.
(٤) الهاشميات ٦٨.
(٥) في الهاشميات: «من حديثكم».

فخرج فمرّ بالسجّان، فظنَّ أنه المرأة، فلَم يعرض له فنجا، وأنشأ يقول[١]:

[١٨/١٧] / خرجتُ خروجَ القِدْحِ قِدْحِ ابنِ مُقْبِلٍ ... على الرَّغْم من تلك النوابحِ والمُشْلِي[٢]

علَيَّ ثيابُ الغانيات وتحتَها ... عزيمةُ أمرٍ أشبهَتْ سَلّةَ النَّصْلِ

وورد كتابُ خالد على والِي الكوفة يأمرُه فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليُؤْتَى بِهِ مِنَ الحَبْس فيُنفِذَ فيه أمْرَ خالد، فدنا من باب البيت فكلّمتْهم المرأةُ، وخبَّرتهم أنها في البيت[٣]، وأنّ الكميتَ قد خرج؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حرَّة كريمة آسَتْ ابْنَ عمها بنفسها، وأمر بتَخْلِيتها، فبلغ الخبرُ الأعورَ الكلبيَّ بالشام، فقال قصيدته التي يَرْمِي فيها امرأة الكميت بأهْل الحبس، ويقول: أَسْوَدِينَ وأحمَرِينا[٤].

هجاؤه أحياء اليمن

فهاج الكميتَ ذلك حتى قال:

* ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينا[٥] *

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيًّا مِنْ أحياء اليَمَنِ إلاّ هجاهم. وتوارَى، وطُلب، فمضى إلى الشام، فقال شعره الذي يقول فيه:

* قِفْ بالدِّيارِ وقوفَ زائرْ *

[١٩/١٧] / في مسلمة بن عبد الملك، ويقول:

يا مَسْلَمُ ابنَ أبي[٦] الوليدِ لِمَيِّتٍ إنْ شئتَ ناشِرْ

[١٢١/١٥] / اليومَ صِرتُ إلى أُمَيّةَ والأمورُ إلى المصايِرْ

قال أبو الحسن: قال أبي: إنما أراد اليوم صرتُ إلى أُميّة والأُمورُ إلى مصايرها؛ أي بني هاشم. وبذلك احتجّ ابنُه المستهلّ على أبي العباس حين عَيَّره بقول أبيه هذا الشعر.

فأذن له ليلاً، فسأله أنْ يُجيره على هشام، فقال: إني قد أَجَرْت على أمير المؤمنين فأخفر جِواري، وقبيحٌ برجل مِثْلِي أن يُخْفَرَ في كلّ يوم، ولكنّي أدُلّك، فاستجرْ بمسلمة بن هشام وبأُمّه أمّ الحكم[٧] بنت يحيى بن الحكم؛ فإن أميرَ المؤمنين قد رشّحه لولايةِ العهد.

---

(١) الهاشميات ١٧.

(٢) يضرب المثل بقدح ابن مقبل؛ لأنه وصفه بقوله:

خَرُوج من الغُمّى إذا صكّ صكّةً ... بدا والعيونُ المستكفّةُ تَلْمَحُ

(٣) كذا في الأصول، والمراد بالبيت هنا حجرة السجن وهو مراد الكميت هنا، ومراد عبد الملك فيما كتب به إلى الحجاج.

(٤) البيت كما في الخزانة ١/٨٦:

فما وَجَدَتْ بَناتُ بَنِي نِزارٍ ... حَلائِلَ أسْوَدِينَ وأحْمَرِينا

(٥) هامش أ: «مدينا»، أراد به «مدينة»، والعرب تقول لابن الأمة: «ابن مدينة»، قال الأخطل:

ربَتْ وربا في كَرمِها ابنُ مدينةٍ ... يظلّ على مسحاتِه يَتَركّلُ

(«اللسان» ـ مدن).

(٦) في س: «ويابن أبي الوليد»، والبيت ليس في الهاشميات.

(٧) حاشية أ: «حكيم» وعليها علامة الصحة.

فقال الكميت: بئس الرَّأْيُ! أُضيعُ دَمِي بين صَبِيّ وامرأة! فهل غَيْرُ هذا؟ قال: نعم، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبّه، وقد جعل أميرُ المؤمنين على نَفْسه أن يزورَ قَبْرَه في كل أُسبوع يوماً ـ وسمَّى يوماً بعَيْنِه ـ وهو يزورُه في ذلك اليوم، فامْضِ فاضرِبْ بناءك عند قبره، واستجِرْ به، فإني سأحضر معه وأكلّمه بأكثر مِنَ الجوار.

استجارته بقبر معاوية بن هشام

ففعل ذلك الكميتُ في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه، فجاء هشام ومعه مسلمة، فنظر إلى البناء، فقال لبعض أعوانه: انظر ما هذا، فرجع فقال: الكميت بن زيد مُستجير بقَبْر معاوية ابن أمير المؤمنين. فأمر بقتله، فكلَّمه مسلمة وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ إخفارَ الأمواتِ عارٌ على الأحياء، فلم يزل يعظِّم عليه الأمرَ حتى أجاره.

/ خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب وتحريقهم [١٧/٢٠]

فحدثنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ، قال: حدثنا حَجر بن عبد الجبّار، قال:

خرجت الجعفرية على خالد بن عَبد الله القَسْريّ وهو يخطبُ على المنبر وهو لا يعلمُ بهم، فخرجوا في التبابين[١]، ينادون: لبّيك جعفر، لبّيك جعفر! وعرف خالدٌ خبرهم، وهو يخطب على المنبر، فدهش فلم يعلم ما يقول فَزَعاً، فقال: أطعموني ماءً، ثم خرج الناسُ إليهم فأخذوا، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طُنّ[٢] قصَب فيُطْلى بالنِّفْط، ويُقال للرجل احتضِنه، ويُضرَب حتى يفعل، ثم يحرَق، فحرّقهم جميعاً.

تعريضه بخالد

فلما قدم يوسف بن عُمر دخل عليه الكميتُ وقد مدحه بعد قتله زَيْد بن عليّ، فأنشده قوله فيه:

خرجْتَ لهم تَمْشِي البَراحَ ولم تكُنْ ... كَمَنْ حِصْنُه فيه الرِّتَاجُ المضبَّبُ[٣]

وما خالدٌ يستطْعِمُ الماءَ فاغِراً ... بِعِدْلِكَ والدّاعِي إلى الموت ينعَب

الجند يقتلونه تعصباً لخالد

قال: والجندُ قِيامٌ على رَأْس يوسف بن عمر، وهم يمانية، فتعصَّبُوا لخالد، فوضعوا ذُبَابَ سيُوفِهم في بَطْنِ الكميت، فوجئوه[٤] بها، وقالوا: أتنشدُ الأميرَ ولم تَسْتَأْمِرْه! فلم يزل ينزفه الدَّمُ حتى مات.

اعتذاره لهشام من ذنبه

وأخبرني عمّي، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، قال:

/ لما دخل الكميتُ بن زَيْد على هشام، سلَّم ثم قال: يا أميرَ المُؤمنين، غائب آبَ، ومذنب تاب، مَحَا [١٧/٢١]

---

(١) التبابين: جمع تبان، وهو سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين، وتشبه أن تكون البيانيين وهم أتباع بيان، فقد ورد في «الطبري» حوادث سنة ١١٩ خروجهم على خالد وتحريقه لهم.

(٢) طن القصب، بضم الطاء: الحزمة منه.

(٣) الرتاج: الباب العظيم؛ والمضبب: المغلق.

(٤) وجئوه: ضربوه.

بالإنَابة ذَنْبَه، وبالصِّدْقِ كذبه، والتوبةُ تُذهب الحَوْبَة، ومِثْلُك حَلُم عن ذي الجريمة، وصفح عن ذي الرِّيبَة.

فقال له هشام: ما الّذِي نجّاك من القَسْريّ؟ قال: صدْقُ النّية في التوبة. قال ومَنْ سَنَّ لك الغَيَّ وأوْرَطَك فيه؟ قال: الذي أغْوَى آدم فنَسِيَ ولم يَجدْ له عَزْماً، فإن رأيْتَ يا أمير المؤمنين ـ فَدَتْكَ نفسي ـ أنْ تأذن لي بِمَحْو الباطل بالحقّ، بالاستماع لما قلتُه! فأنشده[1]:

١٢٢/١٥ / ذَكَـر القلـبُ إلْفَـهُ المـذكـورا[2] وتـلافـى مـنَ الشبـاب أخِيـرا

حدثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِيّ، قال: حدثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ، قال: [حدثني محمد بن أنس، قال[3]]: حدثني محمد بن سهل الأسديّ، قال:

ابنه المستهل وعبد الصمد بن علي

دخل المستهلّ بن الكميت على عبد الصمد بن عليّ، فقال له: مَنْ أنت؟ فأخبره؛ فقال: لا حَيَّاكَ اللهُ ولا حيّا أباك، هو الذي يقول:

فـالآن صـرتُ إلـى أمـيّـة والأمـورُ إلـى المصـايِـرْ

قال: فأطرقْتُ استحياء مما قال، وعرفْتُ البيتَ. قال: ثم قال لي: ارْفَع رَأْسَك يا بنيَّ، فلئن كان قال هذا، فلقد قال:

بخـاتمكـم كـرهـاً تجـوزُ أمـورُهـم فلـم أر غَضبـاً مِثْلـه حيـن يُغْصَـبُ[4]

قال: فسلّى بعضَ ما كان بي، وحادثني ساعةً، ثم قال: ما يعجبُك من النساء يا مستهلّ؟ قلت:

[٢٢/١٧] / غَـرّاء تَسْحَـبُ مِـنْ قيـام فَـرْعَهـا جَثْـلاً يُـزيِّنُـه سَـوَادٌ أسْحَـمُ[5]
فكـأنهـا فيـه نَهـارٌ مُشْـرِقٌ وكـأنّـه ليـلٌ عَلَيْهـا مُظْلِـمُ

قال: يا بنيّ؛ هذه لا تصابُ إلاّ في الفردوس، وأمَر له بجائزة.

شعره يصلح بين هشام وجاريته صدوف

أخبرني عَمّي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله الخصّاف الطلحيُّ، عن محمد بن أنس السّلاميّ، قال:

كان هشامُ بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها صَدُوف مَدَنيّة[6] اشتُرِيت له بمال جزيل، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها، وحلف ألاّ يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميْتُ وهو مغموم بذلك، فقال: ما لي أراكَ

---

(١) الهاشميات ١٨.
(٢) في الهاشميات: «إلفه المهجورا».
(٣) زيادة تقتضيها صحة السند، وانظر ص ٢٩.
(٤) الهاشميات ٤٠، وفي س: «الخاتمكم».
(٥) الشعر لبكر بن النطاح. الحماسة ٢: ٧٠ (طبعة الرافعي).
(٦) كذا في س، وهو الوجه في النسبة إلى مدينة الرسول تفرقة بينها وبين مدينة المنصور، فالنسبة إليها مدينيّ، وفي أ: «مدينية».

مغموماً يا أميرَ المؤمنين، لا غمَّكَ اللهُ! فأخبره هشام بالقصة، فأطرق الكميت ساعةً ثم أنشأ يقول[١]:

أعتبْتَ أمْ عَتَبَتْ علَيْكَ صَدُوفُ ... وعِتابُ مِثْلِكَ مِثلَها تَشْرِيفُ
لا تقعُدَنَّ تَلُومُ نفسَكَ دائباً ... فيها وأنتَ بِحُبِّها مشغوفُ
إنَّ الصريمةَ لا يقومُ بِثِقْلِها[٢] ... إلاَّ القويُّ بها، وأنتَ ضَعيفُ

فقال هشام: صدقتَ واللهِ، ونهض مِنْ مجلسه، فدخل إليها، ونهضَتْ إليه فاعتنقته. وانصرف الكميت، فبعث إليه هشام بألفِ دينار، وبعثَتْ إليه بمثلها.

/ وفوده على يزيد بن عبد الملك [٢٣/١٧]

قال الطلحيّ: أخبرني حُبيش بن الكميت أخو المستهلّ بن الكميت بن زيد، قال:

وفد الكميتُ بن زَيْد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوماً وقد اشتُرِيت له سلاّمة القسّ، فأدخلها إليه والكميتُ حاضِرٌ فقال له: يا أبا المستهلّ؛ هذه جاريةٌ تُباع، أفترَى أن نَبْتَاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين؛ وما أرى أنَّ لها مِثْلاً في الدنيا فلا تفوتَنَّك، قال: فصِفْها لي في شِعْرٍ حتى أقبلَ رَأيك؛ فقال الكميت[٣]:

شعره في سلامة القس

هي شمسُ النهار في الحُسْنِ إلاَّ ... أنها فُضِّلت بِقَتْلِ الظِّرافِ
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيم لَعُوبٌ ... وَعْثَةُ المتنِ شَخْتَةُ الأطرافِ[٤]
زانها دَلُّها وثَغْرٌ نَقِيٌّ ... وحَدِيثٌ مُرَتَّل غَيْر جافِي
/ خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيةِ المتمنّي ... فاقْبَلِ النُّصحَ يا بْنَ عَبْدِ مَنافِ ١٢٣/١٥

فضحك يزيد، وقال: قد قبِلْنا نُصْحك يا أبا المستهلّ، وأمر له بجائزةٍ سنّية.

لقاؤه بالفرزدق وهو صبي

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ، قال: أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قُتيبة، قال:

مَرَّ الفرزدق بالكُميت وهو ينشِدُ - والكميتُ يومئذ صَبيٌّ - فقال له الفرزدق: يا غلام، أيسرُّك أني أبوك؟ فقال: لا، ولكن يسرُّني أن تكون أُمّي! فَحَصِرَ[٥] الفرزدق، فأقبل على جلسائه وقال: ما مرَّ بي مثلُ هذا قط.

إنشاده أبا عبد الله جعفر بن محمد

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ بن عُقْدة، قال: أخبرنا عليّ بن مُحمد / الحسينيّ، قال: حدثنا [٢٤/١٧] جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال، قال: حدثنا مصبِّح بن الهِلقام، قال: حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت، قال:

---

(١) الهاشميات ٩٤.
(٢) في ب: «بمثلها» والمثبت ما في الهاشميات.
(٣) الهاشميات ٩٤.
(٤) المتن: الظهر. ووعثة: سمينة. شختة الأطراف: ضامرتها لا هزالاً.
(٥) الحصر، بالتحريك: العي في المنطق.

دخلتُ مع الكميت على أبي عبد الله جَعْفر بن محمد عليهما السَّلام، فقال له: جُعلتُ فدَاكَ! ألا أُنشدك؟ قال: إنها أيامٌ عِظام، قال: إنها فِيكم، قال: هاتِ ـ وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقَرُب ـ فأنشده، فكثر البكاءُ حتى أتى على هذا البيت[١]:

يُصيبُ بـه الـرَّامـون عـن قَـوْسِ غيرِهـم ... فيـا آخـراً سَـدَّى لـه الغَـيَّ أوّلُ[٢]

فرفع أبو عبد الله ـ عليه السَّلام ـ يَدَيْه فقال: اللهم اغْفِرْ للكُميْت ما قدَّم وما أخَّر، وما أسرَّ وما أعلن، وأعطِه حتى يَرْضى.

إنشاده أبا جعفر محمد بن علي

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبِيّ، قال: حدثنا عُمَر بن شبّة قال: قال محمد بن كُناسة: حدثني صاعِد مولى الكميت، قال:

دخلْنا على أبي جعفر محمد بن عليّ ـ عليهما السَّلام ـ فأنشده الكميتُ قصيدتَه التي أولها:

* مَنْ لقَلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ؟ *

فقال: اللهم اغفر للكُمَيت، اللهم اغْفِرْ للكميت.

قبوله كسوة أبي جعفر ورده المال

قال: ودَخلْنَا يوماً على أبي جَعْفر محمد بن عليّ، فأعطانا ألفَ دينار وكُسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا، ولو أردتُ الدنيا لأتَيْتُ مَنْ هِيَ في يَدَيْه، ولكني أحببتكم للآخِرة؛ فأما الثيابُ التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبَركاتها، وأمّا المالُ فلا أقبله، فردّه وقَبِل الثياب.

[١٧/٢٥] / فاطمة بنت الحسين تحتفي به

قال: ودخلنا على فاطمةَ بنت الحسين ـ عليهما السَّلام ـ فقالت: هذا شاعِرُنا أهلَ البيت، وجاءت بقَدَحٍ فيه سَوِيق، فحركته بيدها وسقت الكُمَيت، فشربه، ثم أمرَت له بثلاثين ديناراً ومَركب، فهَمَلت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها؛ إني لم أُحبّكم للدنيا.

احتجاج بني أسد على المستهل بن الكميت ببيت لأبيه

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: أخبرني عمّي، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابْنِ كُناسة، قال:

لما جاءت المُسوّدَة سخروا[٣] بالمستهلّ بن الكميت، وحَملُوا عليه حَمْلاً ثقيلاً، وضربُوه، فمرَّ ببني أسد، فقال: أترضوْن أن يُفعل بي هذا الفعل؟ قالوا له: هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم[٤]:

---

(١) الهاشميات ٧١.

(٢) في الهاشميات: أسدى.

(٣) أ: «سجروا» تحريف.

(٤) الهاشميات ٢٢.

والمُصيبون بابَ ما أخطأ النّا س ومُرسُو قواعِد الإسلام[١]

قد أصابوا فيك، فلا تكذب أباك.

المستهل وأبو مسلم

قال: ودخل المستهلّ على أبي مُسلم، فقال له: أبوك الذي كفر بعد إسلامه، فقال: كيف وهو الذي يقول:

بخاتمكم كَرهاً تجوزُ أمُورهم[٢] فلم أرَ غَصْباً مِثْلَهُ حين يُغْصَبُ

فأطرق أبو مسلم مستحيياً منه.

المستهل يشكو إلى أبي جعفر

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكرانيّ، قال: حدثنا الحسن بن بشر السّعديّ، قال:

/ أخذ العَسَس المستهلّ بن الكميت في أيام جعفر، وكان / الأمر صَعْباً، فحبِس، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حالَه، وكتب في آخر الرُّقعة: [٢٦/١٧] ١٢٤/١٥

لئِنْ نحن خِفْنا في زمانِ عدوّكم وخِفْناكُمُ إنَّ البلاءَ لَراكِدُ

فلما قرأها أبو جعفر قال: صدق المستهلّ، وأمر بتخليته.

خبر لدعبل في رؤياه النبي

حدثني عليُّ بن محمد بن عليٍّ إمام مسجد الكوفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن عليّ الخُزاعيّ ـ ابن أخي دعبل ـ قال: حدثني عمّي دِعْبل بن عليّ قال:

رأيتُ النبيّ، ﷺ، في النوم، فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله، ما بيني وبينه إلاّ كما بين الشعراء، فقال: لا تفعل، أليس هو القائل:

فلا زلْتُ فيهم حيثُ يتهمونَنِي ولا زِلْتُ في أشياعِهم أتقلّبُ

فإنّ الله قد غفر له بهذا البيت. قال: فانتهيتُ عن الكميت بعدها.

خبر لسعد الأسدي في رؤياه النبي

حدثني عليُّ بن محمد، قال: حدثني إسماعيل بن عليّ، قال: حدثني إبراهيم بن سعد الأسديّ، قال:

سمعتُ أبي يقول: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال: مِنْ أيّ الناسِ أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمِنْ أيّ العرب؟ قلت: من بني أسد، قال: من أسَد بن خزيمة؟ قلت: نعم، قال لي: أهِلاليٌّ أنتَ؟ قلتُ: نعم، قال: أتعرِفُ الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله، عمّي ومِنْ قبيلتي، قال: أتحفظُ مِن شعره شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أنشدْني[٣]:

* طرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ *

---

(١) في الهاشميات: «والمصيبين... ومرسي».

(٢) في ط: «الخاتمكم»، والمثبت من أ، ب والهاشميات.

(٣) الهاشميات ٣٦، وبقية البيت:

* وَلاَ لَعِباً مني وذُو الشّوْق يَلْعَبُ *

[٢٧/١٧] / قال: فأنشدته حتى بلغت إلى قوله[١]:

فمــا لِــيَ إلاّ آلَ أحمــدَ شِيعــةٌ ... ومــا لــيَ إلاّ مَشعَــبَ الحــقِّ مَشْعَــبُ

فقال لي: إذا أصبحتَ فاقرأْ عليه السلام، وقل له: قد غفر اللهُ لكَ بهذه القصيدة.

نصر بن مزاحم يراه في نومه ينشد بين يدي النبي

وجَدْتُ في كتاب بخط المُرْهبيّ الكوفيّ: حدّثني سليمان بن الربيع بن هشام النهديّ[٢] الخراز، قال: حدثني نَصْر بن مُزاحم المِنقَريّ، أنّه رأى النبيَّ ﷺ في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده:

* من لِقلْب مُتيَّم مُسْتَهام؟[٣] *

قال: فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا الكمَيْتُ بن زَيْد الأسديّ، قال: فجعل النبيّ ﷺ يقول له: جَزَاكَ اللهُ خيراً! وأثنى عليه.

نقد الفرزدق شعره

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف، قال: حدثنا الحَسن بن عُلَيل العَنَزيّ، قال: حدثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ، قال: حدثني محمد بن أنس السَّلاميّ، قال: حدثني محمد بن سَهْل راوية الكميت، قال:

جاء الكُميتُ إلى الفرزدق لما قدم الكوفة، فقال له: إني قد قلْتُ شيئاً فاسْمَعْهُ مني يا أبا فِراس. قال: هاتِه، فأنشده قوله[٤]:

[٢٨/١٧] / طَرِبْـتُ ومـا شـوقـاً إلـى البيـض أطربُ ... ولا لَعِبـاً منـي وذو الشيـب يَلْعَـبُ[٥]

ولكِــنْ إلــى أهــل الفضــائــلِ والنُّهَــى ... وخَيْــرِ بنــي حَــوَّاءَ والخَيْــرُ يُطْلَــبُ

فقال له: قد طربْتَ إلى شيءٍ ما طرِبَ إليه أحدٌ قبلك، فأما نحن فما نطربُ، ولا طرب مَنْ كان قبلنا إلاّ إلى ما تركتَ أنتَ الطّرَبَ إليه.

يعرض شعره على الفرزدق قبل إذاعته

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهَريّ، قال: حدثنا محمد بن عليّ النَّوْفَليّ، قال: سمعتُ أبي يقول:

لما قال الكميت بن زيد الشعرَ كان أول ما قال الهاشميّات، فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب، فقال له: يا أبا فِراس، إنكَ شيخُ مُضَر وشاعِرُها، وأنا ابنُ أخيك الكميت بن زيد الأسديّ. قال له: صدَقْتَ، أنتَ ابنُ أخي، فما / حاجَتُك؟ قال: نُفِثَ على لساني[٦] فقلت شعراً، فأَحببْتُ أن أعرضَه عليك؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن [١٢٥/١٥]

(١) الهاشميات ٣٩.

(٢) في ب: «السمري».

(٣) في أ: مشتاق»، وبقيته:

* غيرَ ما صَبْوةٍ وَلا أحْلامِ *

(٤) الهاشميات ٣٦.

(٥) حاشية أ: «وذو الشوق»، وعليها علامة الصحة، وهي رواية الهاشميات.

(٦) نفث على لساني: أوحى إليّ بالشعر.

كان قبيحاً أمَرْتَني بسَتْرِه، وكنتَ أولى مَنْ سَتَره عَليّ. فقال له الفرزدق: أمّا عقلك فحَسَن، وإني لأرجو أن يكونَ شِعْرُكَ على قَدْرِ عقلك، فأنْشِدني ما قلت، فأنشده:

* طربْتُ وما شوقاً إلى البيض أطْرَبُ[1] *

قال: فقال لي: فيمَ تطربُ يابْنَ أخي؟ فقال:

* ولا لعِباً مني وذو الشيب يَلْعب *

فقال: بلى يابْنَ أخي، فالْعَبْ، فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يُلْهِني دَارٌ ولا رسْم منزِلٍ ... ولم يَتَطَرَّبْني بَنانٌ مخضَّب

[١٧/٢٩] / فقال: ما يُطربك يابْنَ أخي؟ فقال:

ولا السانحاتُ البارِحاتُ عشيةً ... أمَرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أمْ مَرَّ أعْضَبُ؟

فقال: أجل، لا تتطيَّر، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى ... وخَيْرِ بني حوَّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال: ومَنْ هؤلاء؟ وَيْحَك! فقال:

إلى النَّفَرِ البِيضِ الّذِينَ بِحُبِّهِم ... إلى اللهِ فيما نَابَنِي أتَقَرَّب

قال: أرِحني وَيْحَك! مَنْ هؤلاء؟ قال:

بَنِي هاشمٍ رَهْطِ النبيِّ فإنني ... بهم ولَهُمْ أرضَى مِراراً وأغْضَبُ
خفضْتُ لهم منّي جَنَاحَيْ مَوَدّةٍ ... إلى كنَفٍ عِطْفَاهُ؛ أهلٌ ومَرْحَبُ
وكنتُ لهم مِنْ هؤلاء وهَؤُلا ... مُحِبّاً[2]، على أنّي أُذَمُّ وأُقْصَبُ[3]
وأُرْمَى وأَرْمِي بالعَداوَةِ أهلَها ... وإني لأُوذَى فِيهِمُ وأُؤَنَّبُ

فقال له الفردزق: يابْنَ أخي، أَذِعْ ثم أَذِعْ؛ فأنتَ واللهِ أشعرُ مَنْ مضى، وأشعر من بقي.

معارضته قصيدة لذي الرمة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ، قال: حدثني أحمد بن بُكير، قال: حدثني محمد بن أنس، قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت، قال:

لما قدم ذو الرُّمة أتيتُه فقلت له: إني قد قلْتُ قصيدةً عارضْتُ بها قصيدتك:

[١٧/٣٠] * / ما بال عَيْنِك منها الماءُ ينسكب[4] *

فقال لي: وأيّ شيء قلت؟ قال: قلتُ:

---

(١) الهاشميات ٣٦.

(٢) الهاشميات: «مجنّاً».

(٣) في س: «وأعضب». وقصبه، أي عابه وشتمه، والمثبت ما في الهاشميات.

(٤) ديوانه ١، وتمامه:

* كأنه من كُلَى مَفْرِيّةٍ سَرِبُ *

هـل أنـتَ عـن طَلَـب الأيفَـاع[١] مُنْقَلِـبُ ... أم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ؟!

حتى أنشدتُه إياها، فقال لي: وَيْحك! إنك لتقولُ قولاً ما يقدِرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبتَ ولا أخطأت، وذلك أنك تصِفُ الشيءَ فلا تجيء به، ولا تقَعُ بعيداً منه، بل تقع قريباً. قلت له: أوَ تدري لِـمَ ذلك؟ قال: لا، قلتُ: لأنك تصفُ شيئاً رأيتَه بعَينك، وأنا أصِفُ شيئاً وُصِف لي، وليست المعاينةُ كالوصف. قال: فسكت[٢].

علمه بالبادية عن وصف جدتيه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إسماعيل بن عبد الله الطلحيّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، عن حمّاد الراوية، قال:

كانت للكُميت جدّتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصِفَان له البادية وأُمورَها وتُخبِرانه بأخبارِ الناس في الجاهلية، فإذا شكّ في شِعْر أو خَبَر عرضه عليهما فيخبرانه عنه، فمِنْ هناك كان عِلْمه.

١٢٦/١٥ أخبرني الحسن بن القاسم البَجَليّ / الكوفيّ، قال: حدثنا عليّ بن إبراهيم بن المُعَلَّى، قال: حدثنا محمد بن فُضَيل - يعني الصَّيْرَفيّ - عن أبي بكر الحضرميّ، قال:

[٣١/١٧] / استأذنتُ للكميت على أبي جعفر محمد بن عليّ - عليهما السلام - في أيام التَّشريق بمِنًى، فأذن له، فقال له الكميت: جُعِلت فِداك! إنّي قلتُ فيكم شِعْراً أُحِبُّ أن أنشدكَهُ. فقال: يا كميت، اذكر الله في هذه الأيام المعلومات، وفي هذه الأيام المعدودات، فأعاد عليه الكميت القولَ، فرقَّ له أبو جعفر - عليه السَّلام - فقال: هات، فأنشده قصيدته حتى بلغ[٣]:

يُصِيب بـه الـرَّامُون عـن قَـوسِ غيرهِـمْ ... فيـا آخِـراً سَـدَّى لـه الغَـيَّ أوّلُ[٤]

فرفع أبو جعفر يدَيه إلى السماء وقال: اللهم اغفِرْ للكميت.

استئذانه أبا جعفر في مدح بني أمية

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغَزَّال الكوفيّ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أرطاة بن حبيب، عن فُضَيل الرَّسَّان، عن ورد بن زَيْد أخي الكميت، قال:

أرسلني الكميت إلى أبي جعفر، فقلت له: إن الكميت أرسلني إليك، وقد صُنِع بنفسه ما صُنع، فتأذَن له أن يمدحَ بني أمية؟ قال: نعم، هو في حِلّ فليَقُلْ ما شاءَ.

أخبرني محمد بن العباس، قال: أخبرني عمّي عن عُبيد الله بن محمد بن حَبيب، عن ابن كُناسَة، قال:

مات وَرْدٌ أخو الكميت، فقيل للكميت: ألاَ ترثي أخاك؟ فقال: مَرْثيته ومَرْزيته عندي سواء، وإني لا أُطيق أن أرثيَه جَزَعاً عليه.

---

(١) الأيقاع: يريد بالأيفاع الكواعب التي شارفت البلوغ.
(٢) الموشح ٣٠٧، والأغاني ١ : ٣٤٨.
(٣) الهاشميات ٧١.
(٤) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٤.

روايته للحديث

وقد رَوى الكميت بن زَيْد الحديث، ورُوِي عنه.

أخبرني جعفر بن محمد بن محمد بن عُبيد بن عُتبة في كتابِهِ إليّ، قال: حدثني / الحُسين بن محمد بن عليٍّ الأزديّ، [١٧/٣٢] قال: حدثني الوليد بن صالح، قال: حدثني محمد بن سعيد بن عُمير الصَّيْداويّ، عن أبيه، عن الكميت بن زَيْد، قال:

حدثني عكرمة أنَّ عَبْدَ الله بن عبّاس بعثه مع الحسين بن عليّ ـ عليهما السَّلام ـ فجعل يُهِلّ[١] حتى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبة، أو حين رمى جَمْرة العقبة، فسألْتُه عن ذلك، فأخبرني أنَّ أباه فَعَلَه، فحدّثْتُ به ابْنَ عباس، فقال لي: لا أمَّ لك! أتسألني عن شيء أخبرك به الحُسين بن علي عن أبيه! والله إنها لَسُنَّة.

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ، قال: حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح، عن الحسن بن محمد بن أعين، عن حَفص بن محمد الأسدي، قال: حدثنا الكُمَيت بن زيد عن مذكور مولى زينب، عن زينب، قالت:

دخل عليّ النبيُّ ﷺ وأنا فضُلٌ[٢]، قالت: فقلت بيدي هكذا ـ واستترتُ ـ قالت: فقال لي: إنّ الله عزّ وجلّ زَوَّجَنِيكِ.

روايته للتفسير

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سَعيد بن عقدة، قال: حدثني أحمد بن سراج، قال: حدثني الحسن بن أيوب الخَثْعَمِيّ، قال: حدثنا فُرَات بن حبيب الأسديّ قال: حدثني أبي حبيبُ بن أبي سليمان، قال:

حدثني الكُمَيت بن زيد، قال: سألْتُ أبا جعفر عن قَول الله عزّ وجلّ: / ﴿إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرادُّكَ [١٧/٣٣] إلى مَعادٍ﴾[٣]. قال: دخلتُ أنا وأبي إلى أبي سعيد الخُدْرِيّ، فسأله أبي عنها، فقال: مَعَادُ آخِرَتِه: الموت.

يعتذر إلى أبي جعفر محمد بن علي

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مِهْران، قال: حدثني رِبْعيُّ بن عبد الله بن الجارود بن أبي سَبْرَة، عن أبيه، قال:

دخل الكميت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ، عليهما السلام، فقال له: يا كميت! أنت القائل:

/ فـالآن صِـرْتُ إلـى أُمَـيَّـة والأمـورُ إلـى المصـايِـرْ ١٢٧/١٥

قال: نعم، قد قُلْتُ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدنيا، ولقد عرفتُ فضلكُم، قال: أما أنْ قلت ذلك فإنّ التقيّة لتحِلّ.

(١) يهل: يرفع صوته.
(٢) فضل، أي في ثوب واحد؛ وفي أ: «أصلي».
(٣) سورة القصص ٨٥.

رأي معاذ الهراء في شعره

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحَسَنُ بن عبد الرحمن الرَّبَعِيّ، قال: حدثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ قال: حدثنا محمد بن أنس السّلامي الأسديّ قال:

سُئل مُعاذ الهرّاء: مَنْ أشعَرُ الناس؟ قال: أمِن الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: امرؤ القيس، وزُهير، وعَبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والرّاعي. قال: فقيل له: يا أبا محمد، ما رأيناك ذكرتَ الكميت فيمَنْ ذكرت. قال: ذاك أشعر الأوّلين والآخرين.

لم يخرج مع زيد بن علي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغِلاّبيّ، قال: حدثنا العباس بن بكّار، قال: حدثنا أبو بكر الهذليّ، قال:

[٣٤/١٧] / لمّا خرج زيدُ بن عليّ كتب إلى الكُمَيْتِ: اخرُج معنا يا أُعَيْمِش، ألستَ القائل[1]:

مـا أُبـالـي ـ إذا حُـفِـظْـتَ أبـا الـقـا ... سـم ـ فـيـكـم مـلامـةَ الـلـوّامِ

فكتب إليه الكُميت:

تجـودُ لكـم نفسـي بمـا دُون وَثْبَـةٍ ... تظَـلُّ لهـا الغِـرْبـان حَـوْلـي تَحْجِـلُ

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عَمّي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن محمد بن كُناسة، قال:

لما أُنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت[2]:

فَبِهِـمْ صـرتُ للبعيـد ابـنَ عَـمٍّ ... واتّهمـت القـريـبَ أيَّ اتّهـامِ
مُبْـدِيـاً صفحتـي علـى الموقـف الـمُـعـلَـم، بـالله قـوّتـي واعتصـامـي[3]

قال: استَقْتَل المُرائي.

مدحه خالد القسري

قال: ودخل الكُمَيْت على خالد القَسْريّ، فأنشده قوله فيه[4]:

لـو قِيـل للجُـود: مَـنْ حَلِيفُـكَ؟ مـا ... إنْ كـان إلاّ إليـك يَنْتَسِـبُ
أنـتَ أخـوه وأنـتَ صُـورتُـه ... والـرأسُ منـه، وغيـرُك الـذَّنَـبُ
أحـرَزْتَ فَضْـلَ النِّضـالِ فـي مَهَـلٍ ... فَكُـلَّ يَـوْمٍ بِكفِّـكَ القَصَـبُ
لـو أنّ كَعْبـاً وحـاتمـاً نُشِـرَا ... كـانَـا جميعـاً مِـنْ بَعْـضِ مـا تَهَـبُ

---

(١) الهاشميات ٣٣.
(٢) الهاشميات ٣٣.
(٣) الهاشميات: «عزتي».
(٤) الهاشميات ٩٠.

/ لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وَعدتَ ولا أنتَ عن المعتَفِين تحتجِبُ [١٧/٣٥]
ما دُونَك اليوم من نَوالٍ، ولا خَلفكَ للراغبين مُنْقَلَبُ[١]

فأمر له بمائة ألف درهم.

المستهل وعيسى بن موسى

قال: وحضر المستهلّ بن الكُمَيْت بابَ عيسى بن موسى ـ وكان يكرِمُه ـ فبلغه أنه قد غلب عليه الشرابُ، فاستخفّ به، وكان آخرَ مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يُقال لهم الرّاشدون يُؤْذَن لهم في القعود، فأدخِل المستهلّ معهم، فقال:

ألم تر أنّيَ لما حضرت دُعِيتُ فكنتُ مع الرّاشِدينا
ففُزْتُ بأحسنِ أسمائهم وأقْبحِ منزلة الدّاخلينا

إنشاده مخلد بن يزيد بن المهلب

أخبرني حبيب بن نَصْر المهلَّبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبَّة، قال:

دخل الكميت على مَخْلَد بن / يزيد بن المهلب، فأنشده[٢]: ١٢٨/١٥

قاد الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ولِداتُه عن ذاكَ في أشغَالِ[٣]
قعدَتْ بهم هِمَّاتُهم وسمَتْ به هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأبطالِ

قال: وقُدّام مخلد دراهم يقال لها الرُّويجة، فقال: خُذْ وِقْرَكَ[٤] منها. فقال له: البغلة بالباب، وهي أجلد منّي، فقال: خُذْ وِقْرَها، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم، فقيل لأبيه في ذلك، فقال: لا أردُّ مكرُمةً فعلها ابني.

إذا قال أحب أن يحسن

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أبو بكر الأمويّ، قال: حدثنا ابن فضيل، قال:

/ سمعتُ ابن شُبْرُمَة، قال: قلت للكُمَيْت: إنك قلتَ في بني هاشم فأحسنْتَ، وقلْتَ في بني أمية أفضل، [١٧/٣٦] قال: إني إذا قلت أحْببتُ أنْ أحسن.

طويل أصم لا يجيد الإنشاد

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ، قالا: حدثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ، قال: حدثنا محمد بن معاوية، عن ابن كُناسة، قال:

كان الكميت بن زيد طويلاً أصمّ، ولم يكن حَسَنَ الصوت ولا جَيِّدَ الإنشاد، فكان إذا استُنْشد أمر ابنه المستهلّ فأنشد، وكان فصيحاً حسن الإنشاد[٥].

---

(١) في أ: «مطّلب».
(٢) الهاشميات ٨٨.
(٣) لداته: أنداده.
(٤) الوقر، بالكسر: الحمل الثّقيل.
(٥) انظر الأغاني ١٠: ٣٢١، والمختار ٦: ٢٨٧.

سبب هجائه أهل اليمن

أخبرني عمي وابن عمار، قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل:

أنّ سببَ هجاء الكميت أهْلَ اليمن، أنَّ شاعِراً من أهل الشام يقال له حَكِيم بن عيّاش الكلبيّ كان يهجو عليَّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وبني هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أُمية، فانتدبَ له الكميت فهجاه وسبّه، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما، وكان الكميتُ يخافُ أن يفتضحَ في شعره عن عليّ ـ عليه السّلام ـ لِما وقع بينه وبين هشام، وكان يُظهر أنَّ هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصبّاح بن الأشعث ابن قيس ووَلَد علقمة بن وائل الحَضرَميّ يَرْوُون[1] شِعْرَ الكلبيّ، فهجا أهلَ اليمن جميعاً إلاّ هذين، فإنه قال في آل علقمة:

ولـولا آلُ عَلْقَمَـةَ اجتـدَعْنَـا ... بقـايـا مـن أُنـوفِ مُصَلَّمينا[2]

[٣٧/١٧] / وقال في إسماعيل:

فـإنّ لإسمـاعيـل حقّـاً، وإننـا ... لـه شـاعِبُو الصَّدْع المُقَارِب للشَّعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يَدٌ؛ لأنَّ علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشّام، وأمُّ إسماعيل من بني أسد، فكفَّ عنهما لذلك.

قال الطلحيّ: قال أبو سلمة: حدثني محمد بن سهل، قال: قال الكلبيّ:

مـا سَرَّنـي أنّ أمِّـي مـنْ بنـي أسـدٍ ... وأنّ رَبِّـيَ نَجّـانـي مِـنَ النـارِ

وأنهـم زوّجـونـي مـن بنـاتهـمُ ... وأنّ لـي كـل يـوم ألـفَ دِينـار

فأجابه الكميت:

يـا كلـب مـالـك أمٌّ مـن بنـي أسـد ... معـروفـة فـاحتـرق يـا كلـبُ بـالنـار

لكـنَّ أمَّـك مِـنْ قـوم شُنِئْـت بهـم ... قـد قنّعـوك قنـاعَ الخِـزْيِ والعـارِ

قال: فقال له الكلبي:

١٢٩/١٥ / لـن يَبْرَحَ اللُّؤْمُ هـذا الحيَّ مـن أسـد ... حتـى يُفَـرِّقَ بيـن السَّبْـتِ والأحَـدِ[3]

قال محمد بن أنس: حدثني المستهلّ بن الكميت، قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك هجوت الكلبيّ، فقلت:

ألا يـا سَلْـم يـا تِـرْبـي[4] ... أفـي أسمـاءَ مـن تِـرْبِ؟

وغمزتَ عليه فيها، ففخرتَ ببني أمية، وأنتَ تشهد عليها بالكفر، فألا فخرتَ بعليّ وبني هاشم الذين

---

(١) في أ: «يردّون».

(٢) الشعر والشعراء ٥٠٩، ٥١٠.

(٣) في أ: «حتى أفرق».

(٤) انظر «م».

تَتَوَلّاهُم! فقال: يا بنيّ، أنتَ تعلم انقطاعَ الكَلْبيّ إلى بني أمية، وهم أعداء عليّ عليه السَّلام، فلو ذكرتُ علياً لترك / ذِكري، وأقبلَ على هجائه، فأكون قد عرَّضْتُ عليًّا له، ولا أجد له ناصراً مِنْ بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية، [٣٨/١٧] وقلت: إنْ نقضها عليَّ قَتَلُوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غمًّا وغلبتُه؛ فكان كما قال، أمسك الكلبيّ عن جوابه، فغلب عليه، وأفحم الكلبيّ.

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته.

صوت

ألاَ يـا سَلْـم يـا تِـرْبِـي (١)	أفـي أسمـاء مـن تِـرْب؟
ألاَ يـا سَلْـم حُيِّيـتِ	سَلِـي عنّـي وعـن صحبـي
ألاَ يـا سلـم غَنِّينـا	وإنْ هَيَّجْتُمـا حُبِّـي
علـى حـادِثـة الأيـا	م لـي نَصَبـاً مـن النَّصَـبِ (٢)

الغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عَمْرو.

يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجلي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: أخبرني أبو سعيد السُّكّريّ، عن محمد بن حبيب، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ، قال: قال محمد بن سلمة:

كان الكميت مدّاحاً لأبان بن الوَليد البَجَليّ، وكان أبان له مُحِبّاً وإليه مُحْسناً، فمدح الكميتُ الحكَم بن الصَّلْت، وهو يومئذ يخلف يُوسف بن عُمر، بقصيدته التي أولها:

* طربتَ وهاجكَ الشوقُ الحَثِيثُ *

فلما أنشده إياها وفرغ، دعا الحكم بخازنه ليُعطيه الجائزة، ثم دعا بأبان بن الوليد، فأُدْخِلَ إليه وهو مكبَّلٌ بالحَدِيد، فطالبه بالمال، فالتفت الكميتُ / فرآه، فدمعَتْ عيناه، وأقبل على الحكم، فقال: أصلح اللهُ الأميرَ! [٣٩/١٧] اجعل جائزتي لأبان، واحتسب بها له من هذا النَّجم. فقال له الحكم: قد فعلتُ، ردُّوه إلى السجن. فقال له أبان: يا أبا المستهلّ، ما حلّ له عليّ شيء بعدُ. فقال الكميت للحكم: أبي تسخَرُ أصلح اللهُ الأمير! فقال الحكم: كذب، قد حلَّ عليه المال، ولو لم يحلّ لاحتسَبْنا له مما يحلّ.

تعريضه بحوشب بن يزيد الشيباني

فقال له حَوْشب بن يزيد الشيباني ـ وكان خليفة الحكم ـ: أصلح اللهُ الأمير، أتشفَّع حمارَ بني أسد في عَبْد بَجِيلة؟ فقال له الكميت: لئن قلتَ ذاك فوالله ما فَرَرْنا عن آبائنا حتى قُتِلوا، ولا نكحنا حلائلَ آبائنا بعد أنْ ماتُوا ـ وكان يقال إنَّ حوشباً فرَّ عن أبيه في بعض الحروب، فقتل أبوه ونجا هو، ويقال: إنه وطِىءَ جاريةً لأبيه بعد وفاته ـ فسكت حوشب مُفْحَماً خجلاً، فقال له الحكم: ما كان تعرُّضك للسان الكميت!.

---

(١) انظر «م».

(٢) غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق منه.

قال: وفي حَوْشَبٍ يقول الشاعر:

نَجَّى حُشاشَتَه وأسلم شيْخَه ... لمَّا رأى وَقْعَ الأسِنَّة حَوْشَبُ

ابنته ريا وفاطمة بنت أبان بن الوليد

١٣٠/١٥ / قال الطَّلْحيّ في هذا الخبر: وحدثني إبراهيم بن علي الأسديّ قال:

التقتْ ريّا بنت الكميت بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجّتان، فتساءلَتا حتى تعارَفتا، فدفعت بنتُ أبانَ إلى بنْتِ الكميت خَلْخَالَيْ ذَهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميت: جزاكم اللهُ خيراً يا آل أبان، فما تتركون بِرَّكُم بنا قديماً ولا حديثاً! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجَزاكم اللهُ خيراً؛ فإنّا أعطيناكم ما يَبِيدُ ويَفْنَى، وأعطيتُمونا من المجد والشرَف ما يَبْقَى أبداً ولا يَبيد، يتناشده الناسُ في المحافل فيُحيي مَيْتَ الذكْرِ، ويرفع بقية العَقِب.

[١٧/٤٠] / **مولده وموته ومبلغ شعره**

أخبرني عمي وابن عمّار، قالا: حدثنا يعقوب بن نعيم، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصّاف الطلحيّ، قال: قال محمد بن سلمة بن أرتبيل:

وُلد الكميت أيام مَقْتَل الحسين بن عليٍّ سنة ستين، ومات في سنة ستّ وعشرين ومائة، في خلافة مروان بن محمد، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً.

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمّي خاصة عنه: حُدِّثْتُ عن المستهلّ بن الكُميت أنه قال: حضرتُ أبي عند الموت وهو يجودُ بنفسه، ثم أفاقَ ففتح عينيه، ثم قال: اللهمّ آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد ـ ثلاثاً ـ ثم قال لي: يا بنيّ؛ وددت أني لم أكُنْ هجوتُ نساءَ بني كلب بهذا البيت:

مع العُضْروطِ والعُسَفَاء ألْقَوْا ... بَرَادِعَهُنَّ غير مُحَصَّنِينا[1]

وصيته لابنه في دفنه

فعممتهنّ قَذْفاً بالفجُور، والله ما خرجتُ بليل قطُّ إلاّ خشيتُ أنْ أُرْمَى بنجوم السماء لذلك. ثم قال: يا بنيّ؛ إنه بلغني في الروايات أنه يُحْفَر بظَهْر الكوفة خندق يُخْرَج فيه الموتى مِنْ قبورهم وينْبشون منها، فيحوَّلون إلى قُبورِ غير قبورهم، فلا تدفنّي في الظهر، ولكن إذا متّ فامْض بي إلى موضعٍ يقال له مكْرَان، فادفنّي فيه. فدُفن في ذلك الموضع وكان أول مَنْ دُفِنَ فيه، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة.

قال المستهلّ: ومات أبي في خلافة مَرْوان بن محمد سنة ستٌّ وعشرين ومائة.

[١٧/٤١] **/ صوت**

شعر لعمر بن أبي ربيعة:

أستعين الذي بكفَّيْه نَفْعِي ... ورَجائي على الّتي قَتَلَتْني

ولقد كنتُ قد عرفتُ وأبصرت أُموراً لَوْ أنَّها نفعَتْني

(١) العضروط: الخادم على طعام بطنه، والعسيف: الأجير أو العبدُ المستعان به، وجمعه عسفاء، وفي أ: «براذعهن». وهما بمعنى.

قلت: إنـي أهـوَى شِفَـا مـا أُلاقـي مِـن خطـوب تتـابعـت فَـدَحْتنـي

عروضه من السريع[١]، يقال: إن الشعر لعُمر، والغناء لابن سُرَيج ثقيل أول بالوسطى، عن حمّاد عن أبيه، وفيه لحنٌ للهُذليّ. وقيل: بل لحن ابن سُريج للهُذليّ، ذكر ذلك حَبَش. وقيل: بل هو مما نُسِب من غناء ابْنِ سُريج إلى الهذَليّ.



(١) كذا في أصول الأغاني، والبيت عروضه من البحر الخفيف.

[١٧/٤٢]

/ خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السّلام

أخبرني الحُسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزّبيريّ، قال: حدثني شيخ من المكيّين، ووجدتُ هذا الخبَر أيضاً في بعض الكُتُبِ مَرْويًا عن محمد بن سَعْد كاتب الواقدي، عن مصعب، عن شيخ مِنَ المكيّين، والروايةُ عنهما متَّفِقَةٌ، قال:

امتناعه من الغناء وقدومه المدينة للاستشفاء

١٣١/١٥ كان ابنُ سُرَيج قد أصابته / الريحُ الخبيثة، وآلى يميناً ألّا يغنّي، ونَسَك ولزم المسجدَ الحرام حتى عُوفي. ثم خرج وفيه بقيّة من العِلّة، فأتى قبْرَ النبيّ ﷺ وموضعَ مُصَلّاه.

فلما قدم المدينةَ نزل على بَعضِ إخوانِه مِن أهل النُّسك والقِراءة، فكان أهلُ الغناء يأتونَه مسلِّمين عليه، فلا يأذَنُ لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حَوْلاً حتى لم يُحِسَّ مِنْ عِلّته بشيء، وأراد الشخوصَ إلى مكة.

سكينة ترغب في الاستماع منه

وبلغ ذلك سُكَيْنة بنت الحسين، فاغتمَّت اغتماماً شديداً، وضاق به ذَرْعُها، وكان أشعبُ يخدمها، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشْعَب: وَيْلَكَ! إنَّ ابنَ سُرَيْج شاخِصٌ، وقد دخل المدينة منذُ حَوْل، ولم أسمع مِنْ غِنائه قليلاً ولا كثيراً، ويعزُّ ذلك عليّ، فكيف الحيلةُ في الاستماع منه، ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جُعِلْتُ فِدَاكِ! وأنّى لك بذلك والرجلُ اليوم زاهدٌ ولا حيلةَ فيه؟ فارفعي طَمَعَك، والْحَسِي تَوْرَك[1] تنفعك حلاوة فَمك.

[١٧/٤٣] / فأمرت بعضَ جواريها فوَطِئْنَ بَطْنَه حتى كادت أنْ تَخرج أمعاؤه، وخنَقْنَه حتى كادت نَفْسُه أن تَتْلَف، ثم أمرَتْ به فسُحِب على وَجْهِه حتى أُخرِج من الدار إخراجاً عنيفاً. فخرج على أسوإ الحالات، واغتمّ أشعَب غمّاً شديداً، ونَدِم على مُمَازحتها في وقتٍ لم يَنْبَغِ له ذلك؛ فأتى منزلَ ابنَ سُرَيج ليلاً فطرقه، فقيل: مَنْ هذا؟ فقال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وَجْهِهِ ولِحْيَتِه التراب، والدّمَ سائلاً من أنفه وجَبْهته على لحيته، وثيابه ممزّقة، وبطنه وصَدْره وحَلْقه قد عصرها الدَّوْس والخَنْقُ، ومات الدم فيها، فنظر ابنُ سُرَيج إلى منظرٍ فظيع هالَه وَراعَه، فقال له: ما هذا وَيْحَك؟ فقصَّ عليه القصة.

امتناعه من الذهاب إليها

فقال ابنُ سُرَيج: إنا لله وإنا إليه راجعون! ماذا نزل بك؟ والحمد لله الذي سلّم نفسك، لا تعُودَنّ إلى هذه

(١) في بعض النسخ: وامسحي بوزك. والمثبت في (ج) والتَّوْر بالفتح: إناء يشرب فيه.

أبداً. قال أشعب: فديتك هِي مَوْلاتي ولا بدّ لي منها، ولكن هل لك حيلةٌ في أنْ تَصِيرَ إليها وتُغَنِّيها؛ فيكون ذلك سبباً لِرَضَاها عني؟ قال ابنُ سُريج: كلاّ واللهِ لا يكونُ ذلك أبداً بعد أن تركته.

قال أشعب: قد قطعْتَ أملي ورفعتَ رِزْقي، وتركتَني حَيْرَانَ بالمدينة، لا يقبلني أحد وهي ساخطةٌ عليّ، فاللهَ اللهَ فيّ، وأنا أنشدك الله إلاّ تحمَّلْت هذا الإثم فيّ، فأبى عليه.

حيلة أشعب لإرغامه

فلما رأى أشعب أنَّ عَزْمَ ابْنِ سُرَيج قد تمَّ على الامتناع قال في نفسه: لا حيلةَ لي، وهذا خارجٌ، وإنْ خرج هلكتُ، فصرخ صرخةً آذَن أهلَ المدينة لها، ونبَّه الجيران مِنْ رُقادهم، وأقام الناسَ مِنْ فُرشهم، ثم سكتَ، فلم يَدْرِ الناسُ ما القصّةُ عند خفُوتِ الصَّوْتِ بعد أنْ قَدْ رَاعَهُمْ.

فقال له ابنُ سُريج: ويلك! ما هذا؟ قال: لئن لم تَصِرْ معي إليها / لأَصْرُخَنَّ صَرْخةً أخرى لا يبقى بالمدينة [٤٤/١٧] أحد إلاّ صار بالباب، ثم لأفتحنّه ولأُرِينَّهم ما بي، ولأُعلمنّهم أنك أردتَ تفعَلُ كذا وكذا بفلان ـ يعني غلاماً كان ابنُ سريج مشهوراً به ـ فمنَعْتُك، وخلَّصت الغلام مِنْ يدك حتى فتح الباب ومضى؛ ففعلت بي هذا غيْظاً وتأسّفاً، وأنك إنما أظهرت النُّسكَ والقراءةَ لتظفرَ بحاجتك منه، وكان أهلُ مكة والمدينة يعلمون حاله معه. فقال ابنُ سريج: اغرُبْ، أخزَاكَ الله. قال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو، وإلا فما أملك صدقة[١]، وامرأته طالق[٢] ثلاثاً، وهو نَحِير[٣] في مقام إبراهيم، والكعبة، وبيت النار، والقبر قبر أبي رِغَال[٤] إنْ أنْتَ / لم تنهض معي في ليلتي هذه [١٣٢/١٥] لأفعلنّ.

قبوله الذهاب إلى منزل سكينة

فلما رأى ابنُ سريج الجدَّ منه قال لصاحبه: وَيْحَك! أما تَرَى ما وقَعْنا فيه؟! وكان صاحِبه الذي نزل عنده ناسكاً؛ فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث. وتذَمَّمَ ابنُ سُرَيج من الرجل صاحبِ المنزل فقال لأشعَب: اخرج مِنْ منزل الرجل. فقال: رِجْلِي مع رِجْلِك، فخرجا.

/ فلما صارا في بعض الطريق قال ابنُ سُرَيج لأشعب: امْض عَنّي. قال: واللهِ لئن لم تفعل ما قلْتُ لأُصِيحَنَّ [٤٥/١٧] ساعة حتى يجتمعَ الناس، ولأقولنَّ: إنك أخذْتَ مني سِواراً من ذهب لسكينة على أنْ تجيئها فتغنّيها سرًّا، وإنك كابَرْتَني عليه وجحدْتَني، وفعلتَ بي هذا الفعل.

فوقع ابن سريج فيما لا حيلةَ له فيه. فقال: أمْضِي، لا بارك اللهُ فيك. فمضى معه.

---

(١) في أ: «أصدقه».

(٢) في أ: «وامرأته الطلاق ثلاثاً».

(٣) نحير، أي مذبوح؛ والكلمة محرفة في الأصول.

(٤) في القاموس: رغال، ككتاب. وفي سنن أبي داود، ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر، سمعت رسول الله ﷺ حين خرجنا إلى الطائف، فمررنا بقبر، فقال: هذا قبر أبي رغال، وهو من ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان، فدفن فيه. وقول الجوهري: «كان دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق» غير جيد. وكذا قول ابن سيده: «كان عبداً لشعيب، وكان عشاراً جائراً». (رغل).

استعفاؤه وإباء سكينة

فلمّا صار إلى بابِ سُكينة قرع البابَ، فقيل: مَنْ هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سُريج، ففُتح الباب لهما، ودخلا إلى حجرةٍ خارجةٍ عن دارِ سكينة، فجلسا ساعةً، ثم أُذن لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عُبيد، ما هذا الجفاء؟ قال: قد علمتِ بأبي أنت ما كان مني. قالت: أجَلْ، فتحدّثا ساعة، وقَصَّ عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمَرتْ لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة. ثم قال لها ابنُ سريج: أتأذنين بأبي أنتِ؟ قالت: وأين؟ قال: المنزل، قالت: برئت مِنْ جدّي إن برحت دارِي ثلاثاً، وبرئت من جدّي إن أنتَ لم تُغَنِّ إن خرجت منْ دَارِي شهراً، وبرئتُ من جدّي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشراً، وبرئتُ من جَدّي إن حنِثت في يميني أو شفَعتُ فيك أحداً.

فقال عبيد: واسخنةَ عيناه! واذهابَ دُنْياه! وافضيحتاه! ثم اندفع يُغنّي:

أستعيـــنُ الـــذي بكفّيْــه نَفْعِـــي ورَجـــائـــي علـــى التـــي قَتَلَتْنِـــي

دملج سكينة في يده

الصوت المذكور آنفاً. فقالت له سُكينة: فهل عندك يا عُبَيد مِنْ صَبْر؟ ثم أخرجت دُمْلُجاً[1] من ذَهب كان فِي عَضُدها وَزْنُه أربعون مثقالاً، فرمَتْ / به إليه، ثم قالت: أقسمتُ عليك لمَا أدخلتَه في يدك، ففعل ذلك. [٤٦/١٧]

استدعاء عزة الميلاء

ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عَزّة[2] فاقرِئها مني السلام، وأعلمها أنَّ عُبَيْداً عندنا، فلتأتنا مُتَفَضّلةً بالزيارة. فأتاها أشعب فأعلمها، فأسرعت المجيءَ، فتحدّثوا باقِيَ لَيْلَتهم. ثم أمرت عُبَيْداً وأشعَبَ فخرجا فناما في حُجْرَةِ مَوَاليها.

مجلس غناء

فلما أصبحَتْ هُيِّيءَ لهم غداؤهم، وأذنت لابْنِ سُريج فدخل فتغدَّى قريباً منها مع أشعب ومَوَاليها، وقعدت هي مع عزّة وخاصّةِ جوارِيها، فلما فرغوا من الغَدَاء قالت: يا عَزّ، إنْ رأيتِ أنْ تُغَنِّينا فافعلي. قالت: إي وعَيْشِك. فتغنَّت لَحْنها في شعرِ عَنْتَرَةَ العَبسيّ[3]:

حُيِّيـــتَ مِـــنْ طَلَـلٍ تقـــادَمَ عَهْـــدُه أقْـــوَى وأقفَـــر بعـــد أُمِّ الهَيْثَـــمِ
إن كنْـــتِ أزمَعْـــتِ الفِـــراقَ فـــإنمـــا زُمّـــتْ[4] رِكـــابُكُـــم بلَيْـــلٍ مُظْلِـــمِ

فقال ابنُ سريج: أحسنتِ والله يا عزّة! وأخرجت سكينة الدُّمْلج الآخر من يَدِها فرمَتْه إلى عزّة، وقالت: صَيِّرِي هذا في يدك، ففعلت. ثم قالت لعُبيد: هات غنّنا. فقال: حَسبُكِ ما سمعتِ البارحة. فقالت: لا بُدَّ أنْ تغنينا في كلّ يوم لحناً. فلما رأى ابنُ سريج أنه لا يقدر على / الامتناع مما تسألهُ غَنّى: [١٣٣/١٥]

(١) الدملج: السوار يلبس في العضد.
(٢) هي عزّة الميلاء.
(٣) ديوانه: ١٢٩.
(٤) زمت، زممت البعير: خطمته وعلقت عليه الزمام.

قالت: مَنْ أنتَ؟ ـ على ذُكْرٍ ـ فقلت لها: أنـا الـذي سـاقَـهُ للحَيْـن مقْـدَارُ[1]
قـد حـانَ منـكِ ـ فـلا تَبْعُـدْ بـك الـدار ـ بَيْـنٌ وفـي البَيْـنِ للمَتْبُـولِ إضْـرَارُ

/ ثم قالت لعَزَّةَ في اليوم الثاني: غَنّي، فغنَّتْ لَحْنَها في شعر الحارث بن خالد ـ ولابن محرز فيه لَحْن ـ، ولَحْن عزّة [٤٧/١٧] أحسنهما:

وقـرَّتْ بهـا عَيْنـي، وقـد كنـتُ قَبْلَهـا كثيـرَ البكـاء مُشْفِقـاً مـن صُـدُودِهـا
وَبِشْـرَة خَـوْدٌ مِثْـل تمثـالِ بيعَـةٍ تظـلُّ النصـارى حـولـه يَـوْمَ عِيـدهـا

قال ابن سُرَيْج: واللهِ ما سمعت مثل هذا قطّ حُسْناً ولا طيباً.

ثم قالت لابن سريج: هاتِ، فاندفع يغنّي:

أرقـتُ فلـم أنَـمْ طَـرَبـاً وبِـتُّ مُسَهَّـداً نَصِبـا
لطَيْـفِ أحـبِّ خَلْـقِ الله إنسـانـاً وإنْ غَضِبـا
فلـم أرددْ مقـالتَهـا ولـم أكُ عـاتِبـاً عَتَبـا[2]
ولكـنْ صـرَّمَـتْ حَبْلـي فـأمسـى الحَبْـلُ مُنْقَضِبـا[3]

فقالت سكينة: قد علمتُ ما أردتَ بهذا، وقد شفّعناك، ولم نردّك. وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام، فاذهَبْ في حفظِ الله وكَلاءته.

ثم قالت لعزّة: إذا شئت. ودَعَتْ لها بحُلّة، ولابْنِ سريج بمثلها. فانصرفَتْ عزّةُ، وأقام ابنُ سريج حتى انقضت ليلته، وانصرف، فمضى من وَجْهه إلى مكةَ راجعاً.

أشعـار وأصواتهـا.

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منهـا:

صوت

حُيِّيـتَ مِـنْ طَلَـلٍ تقـادم عَهْـدُه أقـوَى وأقفـر بعـد أُمِّ الهَيْثَـمِ

/ الشّعر لعَنْتَرة بن شدّاد العبسيّ. [illegible] عزَّةَ المَيْلاء، وقد كتبَ ذلك في أول هذه القصيدة وسائر ما يغنّي [٤٨/١٧] فيها.

ومنهـا:

---

(١) المقدار هنا: القدر، بفتحتين.
(٢) العتب، بالتحريك: الكريهة والأمر الشديد.
(٣) بعد هذا البيت في أ: «وذكر باقي الأبيات الأربعة» ولم يكتب هذه الأبيات.

صوت

أرِقْتُ فلم أَنَمْ طرَبا ... وبِتُّ مسهَّداً نَصِبا
لِطَيْفِ أحبِّ خلقِ الله إنساناً وإن غضِبَا
إلى نَفْسي، وأوْجَهِهم ... وإن أمسى قدِ احتجبا
وصرَّمَ حَبْلَنا ظُلْماً ... لبلغَةِ كاشحٍ كَذَبا[1]

عروضه من الوافر. الشعر لعُمر بن أبي ربيعة، والغِناء لابن سُرَيج، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر.

ومنها قوله:

صوت

قد حان منك - فلا تَبْعُدْ بك الدارُ - ... بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمتبُول إضْرار
قالت: مَن أنت؟ - على ذُكْرٍ - فقلتُ لها: ... أنا الذي ساقَني للحَيْن مقدارُ

١٣٤/١٥ / الشعر لعُمر بن أبي ربيعة، والغِناء لابن سُريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ومنها الصوت الذي أوّله:

* وقرّتْ بها عَيْني وقد كنتُ قبلها *

أوله قوله:

[٤٩/١٧] / صوت

لبِشْرَةَ أسْرَى الطَّيْفُ والخَبْتُ دونَها[2] ... وما بَيْنَنا من حَزْنِ أرْضٍ وبِيدِها
وقرَّتْ بها عَيْنِي وقد كنتُ قبلَها ... كثيراً بُكائي مُشفِقاً من صُدودِها
وبِشْرَةُ خَوْدٌ مِثْلُ تمثالِ بِيعَةٍ ... تظلُّ النصارى حَوْلَها يومَ عِيدِها

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى.

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصّوت ولم يَنْسُبْها إلى أحد، ولابنِ محرز في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيها لعزّة الميلاء خفيف رمل.

الحارث بن خالد المخزومي وبشرة

وبِشرة هذه - التي ذكرها الحارث بن خالد - أمَةٌ كانت لعائشة بنت طلحة، وكان الحارث يكنى عن ذِكْرِ عائشة بها، وله فيها أشعار كثيرة.

منها مما يغنّي فيه قوله:

(١) في «بيروت»: لقوله، والمثبت يتفق مع «الديوان.» والمبلغة يراد بها التبليغ.
(٢) الخبت: المتسع من بطون الأرض.

صوت

يا رَبْعَ بِشْرَةَ بالجَنابِ تَكَلَّمِ وأَبِنْ لنا خَبَراً ولا تَسْتَعْجِمِ
ما لي رأيتُك بعد أهلِكَ مُوحِشاً خَلَقاً كحوض الباقرِ[1] المتهدِّمِ
/ تسقِي الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرَتْ طَوعُ الضجيعِ وغايةُ المتوسِّمِ [٥٠/١٧]
قُبُّ البطونِ أوانِسٌ شِبْهُ الدُّمَى يَخْلِطْنَ ذاكَ بعِفَّةٍ وتكرُّمِ

عروضه من الكامل، والشعر للحارث بن خالد، والغناء لمعبد، ولحنُه من خفيف الرمل بالسبابة في مَجْرَى البنصر، عن إسحاق.

وفيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو، ومنها:

صوت

يا رَبْعَ بِشْرة إنْ أضَرَّ بكَ البِلى فلقد عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا
عَقَبَ الرّذاذُ خِلافَه فكأنما بَسَطَ الشَّواطِبُ بينهنّ حَصِيرَا[2]

غَنّاه ابنُ سُريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وفيه لَحْنٌ لمالك، وقيل: بل هو لابن محرز. وعروضه من الكامل.

وقوله: «عَقَبَ الرّذاذُ خلافه» يقول: جاء الرذاذ بعده، ومنه يقال: عقبَ لفلان غِنًى بعد فَقْر. وعقَب الرجل أباه، إذا قام بعده مقامه. وعَوَاقب الأمور مأخوذة منه، واحدتها عاقبة. والرذاذ: صِغار المطر. وقوله خلافَه: أي بعده. قال متمم بن نويرة:

وفَقْدِي بَنِي أُمٍّ تداعَوْا فلم أكُنْ خِلافَهمُ أنْ أسْتكِينَ[3] وأضْرَعَا

أي بَعْدهم. والشّوَاطب: النساء اللواتي يشطبْنَ لِحاءَ السّعَف يعملْنَ منه الحُصْر، ومنه السيف المشطَّب. والشُّطبية: الشّعبةُ من الشيء، ويقال: بعثنا إلى فلان شَطِيبةً من خيلنا، أي قطعة.

/ مغنية وبيت شعر للحارث المخزومي [٥١/١٧]

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: كانت مغنّية تختلف إلى صديقٍ لها، فأتته يوماً، فوجدَته مريضاً لا حرَاكَ به، فدَعَتْ بالعود وغنّتْ:

/ يا رَبْعَ بشرَةَ إنْ أضرَ بكَ البِلَى فلَقد عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا ١٣٥/١٥

ومما يغنّي به فيه من هذه الأبيات الرائية:

(١) الباقر: اسم جمع للبقر.
(٢) «اللسان» «خلف» بنسبته إلى الحارث بن خالد المخزومي.
(٣) في النسخ: «لأستكين فأضرعا». والمثبت من «اللسان».

صوت

أعرفتَ أطلالَ الرُّسومِ تنكّرَتْ ... بَعْدِي وغُيِّر آيُهُنَّ دُثُورا
وتبدَّلَتْ بَعْدَ الأنيس بأهلها ... عُفْرَ البَواقر[1] يَرْتَعِينَ وُعورا
مِنْ كل مُضْبِيَةِ الحديثِ تَرَى لها ... كَفَلاً كرابِيَةِ الكثيبِ وَثِيرا

الأطلال: ما شخص من آثار الدّيار. الرسومُ: البقايا من الديار، وهي دون الأطلال وأخفَى منها. وتنكّرت: تغيَّرت. والدّاثر: الدارس. والعُفْر: الظباء، واحدها أعفر. والوعور: المواضع التي لا أنيسَ فيها. والرّابية: الأرض المشرفة، وهي دُونَ الجبل. والكثيب: القطعةُ العالية المرتفعة من الرَّمْل، جمعها كثُب. والوَثِير: التامّ المرتفع، يقال: فِراش وَثِير إذا كان مرتفعاً عن الأرض.

لإسحاق الموصليّ في البيتين الأوّلين ثاني ثقيل بالبنصر، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى، ولطُوَيس فيهما خفيف ثقيل. وقيل: إنه ليس له. ولابن سُرَيج في الثالث ثم الأول خفيف رَمل، وقيل: [٥٢/١٧] / بل هو لخُلَيْدَة المكيّة. وفي البيت الأول والثاني لمالك رَمل بالوسطى، وقيل: الرمل لطُوَيس، وخفيف الثقيل لمالك. ولمعبد في هذا الصوت لَحْنان: أحدهما ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، والآخر خفيف ثقيل أول.

ومنها:

صوت

يا دَارُ حَسَّرها البِلَى تَحْسِيراً ... وسفَتْ عليها الريحُ بعدك مُورَا
دُقَّ الترابُ بِخَيْلِها[2] فمخيِّمٌ ... بعِراصِها ومُسَيَّرٌ تَسْيِيرا

غنّى في هذين البيتين ابن مِسْجَح خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجْرى الوسطى. وللغريض في: «أعَرَفْتَ أطلال الرسوم» وما بعده ثقيل أول بالبنصر، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

حسَّرها: أذْهَب معالمَها، ومنه حَسَر الرجل عن ذِراعِه وعَن رَأْسِه إذا كشفهما. وحسر الصلعُ شَعَر الرأس، إذا حَصَّه[3]. والمُور: التراب، والمخيِّم: المقيم.

ومنها صوت، أوله:

مِنْ كُلِّ مُضْبِيَةِ الحديثِ ترى لها[4] ... كفَلاً كرابِيَةِ الكَثِيبِ وَثِيرا
يفتِنَّ - لا يألون - كُلَّ مغفَّلٍ ... يملأنه بحديثهنّ سُرُورَا

[٥٣/١٧] / ومنها:

(١) في أ: «عفر اليعافر» واليعافر: جمع يعفور، وهو الغزال.
(٢) المثبت من «ج».
(٣) الحصّ: حلق الشعر.
(٤) المضبية: التي يشوق حديثها ويستهوي السامع.

صوت

دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظعائناً قَرَّبْنَ أجمالاً لهُنَّ قُحُورا؟!
قرَّبْنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتحمِّلٍ بُزْلاً تشبَّه هامُهُنَّ قبورا

القُحور: واحدها قَحْر، وهو المسنّ. والمخيَّس: المحبوس للرحلة. والمتحمِّل: معتاد الحمل.

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللّحن الذي ذكرناه. ولابن جامع في:

* دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا *

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى.

/ ومنهـا: ١٣٦/١٥

صوت

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ خَلَقاً ويصبح بَيْتُكُم مَهْجورا
فلقد أراني ـ والجديدُ إلى بِلًى ـ زمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مَسْرُورا
جَذِلاً بمالِي عندكم لا أبتغي للنفس بعدكِ خُلَّةً وعَشِيرا
كنتِ الهوَى وأعزَّ من وَطِءَ الحَصَا عندي، وكنتُ بذاكَ منكِ جديرا

لإبراهيم الموصليّ، ويحيى المكّيّ في هذه الأبيات لحنان، كلاهما من الثقيل الثاني؛ فلحْن إبراهيم بالوسطى، ولَحْن يحيى بالبنصر، ولإسحاق فيهما رمل. وقيل: إنّ لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر.

/ مغنية تعبر عن حالها ببيتين من شعر الحارث [١٧/٥٤]

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:

حدثني رجل من أهل البصرة، قال: اشتريتُ جارية مغنيّة، فأقامَتْ عِندي زمَناً وهوِيَتْنِي، وكرِهْتُ أنْ يراها أهلي، فعرضتُها للبيع، فجزعتْ، وقالت: لقد اشتريتَني وأنا لكَ كارهةٌ، وإنك لتبيعني وأنا لذلك كارهةٌ. فقال أخٌ لي: أرِنيها، فقلت: هي عند فُلانة، فانظر إليها، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر، فلما اعترضها وفرغ مِنْ ذلك غنَّت:

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُولِ تواصُلٍ خَلَقاً ويُصْبِح بَيْتُكُم مهجُورا
فلقد أرَاني ـ والجديدُ إلى بِلًى ـ زمَناً بوَصْلِكِ راضياً مسرورا

ثم بكت، وضربت بالعُودِ الأرض فكسرتْه، فخيَّرتُها بين أنْ أعتقها أو أبيعها ممن شاءتْ، فاختارت البيعَ، وطلبت موضعاً تَرْضاه حتى أصابته، فصَيَّرْتُها إليه.

أخبرني يحيى بن عليّ، قال: حدثني أبو أيوب المدائني، قال: حدثني إبراهيم بن علي بن هشام، قال:

حدثتني جارية يقال لها طِباع ـ جارية محمد بن سهل بن فَرْخُنْد ـ قالتْ: غنيتُ إسحاق في لَحْنِه:

أعرفت أطلالَ الرسوم تنكرت بعدي ....

إسحاق ينكر على مخارق في أداء لحن له

فأنكر عليّ في مقاطعة شيئاً، وقال: ممن أخذْتَه؟ فقلت: مِنْ مخارق، فقال لي: تعثّر الجوادُ[1] بل هو كما أقول لك، وردّه عليّ، فهو يُقال كما يقول مخارق، وكما غيَّرَه إسحاق.

[١٧/٥٥] / صوت

أَخشَى على أربدَ الحتُوفَ ولا ... أرهبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ[2]

فجَّعني الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْـ ... ـفارِسِ يَوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ

يا عَيْنُ هلاَّ بكَيْتِ أرْبَدَ إذْ ... قُمنا وقام الخصُومُ في كَبَدِ

إن يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ ... أو يَقْصِدُوا في الخِصام يَقْتَصِدِ[3]

عروضُه من المنسرح.

النَّجدُ: البَطَلُ ذو النَّجْدَة. وقال الأصمعيّ في النَّجُد مثل ذلك. وقال: النَّجِد ـ بكسر الجيم ـ: الذي قد عرق جداً. والكبَد: الثبات والقيام.

الشعر لِلَبيد بن ربيعة، والغناءُ للأبجر، رمَل بالبنصر عن عَمْرو بن بانَة. ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق، أوّله الثالث والرابع ثم الأول والثاني، وذكرتْ بَذْلُ أنَّ في الثالث والرابع لَحْناً لِحُنين بن محرز.

(١) في س: «فقال لي: ليس كما تحدث الخراز»، والمثبت من أ.

(٢) ديوان لبيد ١٥٨، ١٥٩، وأربد، أخو لبيد لأمه.

(٣) في الديوان: «في الحكوم»، والحكوم: القضاء عند التحكيم. يقتصد: يأخذ القصد.

[٥٦/١٧
١٣٧
١٥]

/ خبر لبيد في مرثية أخيه

نسب أربد

وقد تقدم[١] مِنْ خَبر لبيد ونَسبه ما فيه كِفاية. يرثي أخاه لأمه أربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب، وكانت أصابته صاعِقةٌ فأحرقته.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبريّ، قال: حدثنا[٢] محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن عاصم، عن عمرو بن قَتادة، قال:

وفد بني عامر بن صعصعة

قدم على رسول الله ﷺ وَفْدُ بني عامر بن صَعْصَعة، فيهم عامِرُ بنُ الطُّفيل وأربد بن قيس وجَبّار[٣] بن سُلْمَى بن مالك بن جَعْفر بن كلاب، وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤوسَ القومِ وشياطينهم، فهمّ عامرُ بن الطُّفَيل بالغَدْر برَسُولِ الله ﷺ، وقد قال له قومُه: يا عامِرُ؛ إنَّ الناسَ قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهِيَ حتى تَتَبع العربُ عَقِبي، فأتْبَع أنا عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش!.

تآمر عمر وأربد على قتل رسول الله

ثم قال لأربد: إذا أَقْبَلْنَا على الرَّجُل فإني شاغِلٌ عنك وَجْهَه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُهُ أنْتَ بالسيف.

محادة عامر لرسول الله

فلما قدِمُوا على رسولِ الله ﷺ قال له عامر: يا محمد، خَالِّني[٤] قال: لا والله، حتى تؤمِنَ باللهِ وَحْدَه. قال: يا محمد، خالّني، وجعل / يكلّمه وينتظِرُ مِنْ أرْبَد ما كان أمَره، فجعل أرْبدُ لا يُحِيرُ شَيْئاً. فلما رأى عامر ما يصنَعُ [٥٧/١٧] أربد قال: يا محمّد، خَالّني. قال: لا، والله، حتى تؤمِنَ بالله وَحْدَه لا تشرك به. فلما أبَى عليه رسول الله قال: أمَا[٥] واللهِ لأملأنّها عليك خَيْلاً حُمْراً، ورجالاً سُمْراً.

دعاء الرسول عليه

فلما ولّى قال رسولُ الله ﷺ: اللهم اكْفِني عامر بن الطُّفيل. فلما خرجوا مِنْ عِنْدِ رسولِ الله ﷺ قال عامر لأرْبَد: ويلك يا أربد! أين ما كنتُ أوصَيْتُك به! واللهِ ما كان على ظَهْر الأرض رَجلٌ هو أخوفُ عندي على نفسي

---

(١) الأغاني، الجزء الرابع عشر.

(٢) الجزء الثالث ص ١٤٤ من «تاريخ الطبري».

(٣) في ديوان لبيد: «جابراً»، والمثبت ما في أ، وتاريخ الطبري.

(٤) خالّ الرجُلَ مخالّة وخلالاً: وادّه وصادقه وآخاه.

(٥) في أ: «أم والله».

مِنك، وأيْمُ الله لا أخافُكَ بعد اليوم أبداً. قال: لا تعجَلْ عليَّ لا أبا لكَ! والله ما هَممتُ بالذي أمرتني به مِنْ مَرّةٍ إلا دخلْتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك! أفأضرِبُك بالسيف! فقال عامر:

بُعِثَ الرسولُ بما تَرَى فكأنما عَمْداً أشُدُّ على المَقانِبِ غارًا[١]

ولقد وَرَدْنَ بنا المدينةَ شُزَّباً ولقد قتَلْنَ بجوِّها الأنصارًا[٢]

إصابة عامر بالطاعون وموته قبل عودته

وخرجوا راجِعينَ إلى بلادهم، حتى إذا كانوا بِبَعْضِ الطريق بعث اللهُ على عامر الطاعونَ في عنقُه، فقتله الله، وإنه لفي بيت امرأةٍ من بني سَلُول، فجعل يقول: يا بَني عامر، أغدّة كغُدّةِ البَكْرِ[٣]، وموت في بيت امرأةٍ من بني سَلُولٍ! فمات.

[١٧/٥٨] / صاعقة تحرق أربد

ثم خرج أصحابُه حين وَارَوْه حتى قدموا أرْضَ بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءَكَ يا أرْبَدُ؟ فقال: لقد دعانا إلى عبادةِ شيء لوددتُ أنّه عندي الآن فأرْمِيَه بِنَبْلِي هذه حتى أقتُلَه. فخرج بَعْد مقالته هذه بيوم أو يومَيْنِ معه جمَلٌ له يَبِيعه، فأرسل اللهُ عليه وعلى جَمَلِه صاعقةً فأحرقتهما.

وكان أرْبَد بن قيس أخَا لبيدِ بنِ ربيعة لأُمّه.

وفود لبيد إلى الرسول

نسخت من كتاب يحيى بن حازم، قال: حدثنا عليُّ بن صالح صاحبُ المصلّى، قال: حدَّثنا ابنُ دَاب، قال:

كان أبو بَراء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلَةٌ[٤]، فبعث لَبِيدَ بن رَبيعة إلى رسولِ الله ﷺ، وأهدى له رَواحِلَ، فقدم بها لَبيد، وأمره أنْ يستشفِيَه مِنْ وَجَعِه، فقال له رسول الله ﷺ: / لو قبلتُ مِنْ مُشْرِكٍ لقبلتُ منه، وتناوَلَ من الأرض مَدَرَةً[٥] فتفل عليها، ثم أعطاها لَبِيداً، وقال: دُفْها[٦] له بماءٍ ثم اسْقِه إياه. [١٣٨/١٥]

يقرأ القرآن ويكتب سورة الرحمن

وأقام عندهم لَبيد يقرأ القرآن وكتب منهم: ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ﴾[٧] فخرج بها، ولَقِيَهُ أخوه أربد على ليلةٍ من الحيِّ، فقال له: انزِلْ فنزَل، فقال: يا أخي، أخبرني عن هذا الرجل؛ فإنه لم يَأْتِه رجل أوْثَقُ عندي فيه قَوْلاً منك. فقال: يا أخي، ما رأيت مثْلَه ـ وجعل يذكر صِدْقه وبِرّه وحُسْنَ حَدِيثِه. فقال له: هل معك مِنْ قوله شيء؟

[١٧/٥٩] قال: نعم، فأخرجها له فقرأها / عليه، فلما فرغ منها قال له أرْبَد: لوددتُ أني ألْقَى الرحمن بتلك البُرْقَة[٨]، فإن لم أضربه بسيْفي فعليَّ وعَلَيَّ...

---

(١) المقانب: جمع مقنب، كمنبر، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين. وفي أ: «المعايب» تصحيف.

(٢) شزّبا: ضمراً.

(٣) في المختار: كغدة البعير».

(٤) الدبيلة، كجهينة: داء في الجوف.

(٥) المدر: قطع الطين اليابس، واحدتها بهاء.

(٦) دفها: أخلطها.

(٧) سورة الرحمن: ١، ٢.

(٨) البرقة: أرض غليظة بحجارة ورمل. وفي أ: «البرقة»، بفتح الباء.

قال: ونشأت سحابةٌ وقد خَلَّيا عن بعيريهما، فخرج أرْبَد يريدُ البعيرين، حتى إذا كان عند تلك البُرْقَة غَشِيَتْه صاعقة فمات.

وقدم لَبِيد على أبي بَرَاء فأخبره خَبَرَ رَسُولِ الله ﷺ، وأمْرَه، قال: فما فعلَ فيما استشْفَيْتَه؟ قال: تاللهِ ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك، وأخبره بالخبر. قال: فأيْنَ هي؟ قال: ها هي ذه معي. قال: هاتها، فأخرجها له فَدَافَها، ثم شربها فَبَرأ.

رواية أخرى في وفوده على الرسول

قال ابنُ دَأب: فحدَّثني حنظلة بن قُطرب بن إياد، أحد بني أبي بكر بن كلاب، قال:

لما أصاب عامرَ بن الطفيل ما أصابه، بعث بنو عامر لبيداً، وقالوا له: اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا عِلْمَه. فقدم عليه، فأسلم، وأصابه وَجَعٌ هناك شديد مِنْ حُمّى، فرجع إلى قومه بفضْلِ تلك الحمّى، وجاءهم بذِكْرِ البعث والجنة والنار، فقال سُراقة بن عَوْف بن الأحوص:

لعَمْـرُ لبيـدٍ إنـه لابْـنُ أمِّـه ... ولكـنْ أبـوه مَسَّـهُ قِـدَمُ العَهْـدِ

دَفَعْنَـاك فـي أرضِ الحجـازِ كـأنمـا ... دفعنـاك فَحْـلاً فـوقـه قَـزَعُ اللِّبـدِ[1]

فعـالجْـتَ حُمَّـاه وداءَ ضُلـوعِـه ... وتَـرْنِيـقَ عَيْـشٍ مَسَّـهُ طَـرفُ الجَهْـدِ

وجئـتَ بـديـن الصـابئيـن تَشُـوبُـه ... بـألـواحِ نَجْـدٍ بُعْـدَ عَهْـدِك مِـنْ عَهْـدِ!

وإنَّ لنـا داراً ـ زعمْـتَ ـ ومَـرجعـاً ... وثَـمَّ إيـابُ القـارِظَيْـن وذِي البُـرْدِ

/ قال: فكان عُمر يقول: وأيم الله، إياب القارِظَيْن[2] وذي البُرْدِ. [٦٠/١٧]

وفود عامر بن الطفيل على رسول الله

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي، وحبيب بن نَصْر المهلّبي، وغيرهما، قالوا: حدثنا الزُّبَيْر بن بكّار، قال: حدّثتني ظَمْياءِ بنت عبد العزيز بن مَوْلَة، قالت[3]:

حدثني أبي، عن جدّي مَوْلَة بن كُثَيْف، أنَّ عامرَ بن الطفيل أتى رسولَ الله ﷺ فوَسَّده وِسادةً، ثم قال: أسلم يا عامر. قال: عَلَى أنّ لي الوَبَر ولك المدَر، فأبى رسولُ الله ﷺ، فقام عامرٌ مُغْضَباً فولّى، وقال: لأمْلأنَّها عليك خَيْلاً جُرْداً، ورجالاً مُرْداً، ولأربطنَّ بكل نخلة فَرَساً. فسألته عائشة: مَنْ هذا؟ فقال: هذا عامر بن الطفيل، والذي نفسي بيده لو أسلَمَ فأسلمَتْ بَنُو عامر معه لزاحموا قريشاً على منابِرهم. قال: ثم دعا رسولُ الله ﷺ، وقال: يا قوم، إذا دعوتُ فأمِّنوا، فقال: اللهم اهْدِ بني عامر، واشْغَل عنّي عامرَ بن الطفيل بما شئتَ، وكيف شئتَ، وأنّى شئت.

موت عامر بن الطفيل

فخرج فأخذته غُدّة مثل غدّةِ البَكْرِ، فجعل يثب وينزو في السماء ويقول: يا موت ابرزْ لي، ويقول: غدّة مثل غدّة البكر، وموت في بيت سلُوليّة؟! ومات.

(١) اللبد: ما يجعل على ظهر الفرس. والقزع: بقايا الشعر.

(٢) القارظان: رجلان خرجا في طلب القرظ، يجنيانه، فلم يرجعا، فضرب بهما المثل في انقطاع الغيبة.

(٣) في أ: قال «وحدثني».

١٣٩/١٥ / أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد إجازَةً، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: أخبرني أسعد بن عمرو الجُعفيّ، قال: أخبرني خالد بن قَطنٍ الحارثيّ، قال:

لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأةٌ من بني سلول كأنها نخلة حاسراً، وهي تقول:

أنْعَى عامرَ بنَ الطفيلِ وأبقى[1] وهلْ يموتُ عامرٌ من حقا؟

وما أرى عامراً مَاتَ حَقّاً!

[٦١/١٧] / قال: فما رُئِيَ يومٌ أكثر باكياً وباكِيةً، وخمشَ وجوهٍ، وشقَّ جُيُوبٍ مِنْ ذلك اليوم.

بنو عامر تحمي قبر عامر بالأنصاب

وقال أبو عبيدة عن الجِرْمازيّ، قال:

لما مات عامر بن الطفيل بعد مُنْصَرفه عن النبي ﷺ، نصبَتْ عليه بنو عامر أنصاباً مِيلاً في ميل، حِمًى على قَبْرِه لا تُنْشَر فيه ماشية، ولا يُرْعَى، ولا يسلكه راكبٌ ولا ماش. وكان جَبّار[2] بن سلْمَى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حِمًى لقَبر عامر بن الطُّفَيل، فقال: ضيَّقْتُم على أبي عليّ، إنَّ أبا عليّ بانَ من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجَمَل، وكان لا يضلّ حتى يضلّ النَّجم، وكان لا يَجْبُن حتى يَجْبُنَ السيل.

ثلاث خلال فضل عامر بهن الناس

قال أبو عبيدة: وقدم عامر على النبيّ ﷺ وهو ابنُ بضْعٍ وثمانين سنة.

مراثي لبيد لأخيه

ومما رثى به لبيد أخاه أربد قوله[3]:

ألاَ ذهبَ المُحافِظُ والمُحامِي ودَافِعُ[4] ضَيْمِنا يَوْمَ الخِصامِ

وأيقَنْتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالوا: تَقَسَّمَ[5] مالُ أربدَ بالسِّهامِ

وَأرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذَا ما تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ[6]

[٦٢/١٧] / وهي طويلة يقول فيها:

فودِّعْ بالسلامِ أبا حُزَيْزٍ[7] وقَلَّ وَداعُ أرْبَدَ بالسَّلامِ

(١) كذا في الأصول.

(٢) في س: «حيان».

(٣) ديوانه: ٢٠١.

(٤) الديوان: «ورافع ضيمنا».

(٥) مختار الأغاني: «تقسم»، والمثبت يوافق ما في الديوان أيضاً.

(٦) تقعرت: تقوضت من أصلها. وقال ابن قتيبة: المشاجر: مراكب للنساء أكبر من الهودج الواحد مشجر. والفئام: وطاء يكون للهودج، أو هو الهودج الذي وسع في أسفله بشيء زيد فيه.

(٧) في أ: «أبا حدار»، تصحيف «أبا حزاز» وفي حاشية أ: «أربد أبو حزاز» بالتشديد والتخفيف. والمثبت كما في الديوان مصغّر (حزاز).

قال: وكانت كُنية أرْبد أبا حِزَاز، فصغّره ضَرُورةً.

وقال فيه أيضاً(١):

مـا إن تعـدّى(٢) المنونُ مِـنْ أحـدِ ... لا والـــدٍ مُشفِــــقٍ ولا وَلَـــدِ

أخشَـى علـى أرْبَـدَ الحتـوفَ ولا ... أرهَـبُ نَـوْءَ السِّمـاكِ والأسَـدِ

فجّعنـي الـرَّعْـدُ والصَّـوَاعِـقُ بـالْـفـارسِ يَـوْمَ الكـريهـةِ النَّجُـدِ

الحـارب الجـابـرِ الحَـريـب إذا ... جـاءَ نكيبـاً وإن يَعُـدْ يَعُـدِ(٣)

يَعْفُـو علـى الجَهْـدِ والسُّـؤال كمـا ... أُنـزِل صَـوْبُ الـربيـع ذي الـرَّصَـدِ(٤)

لـم تبلـغ(٥) العَيْـنُ كـلَّ نَهْمَتِهـا ... ليلـةَ تُمْسِـي الجِيـادُ كـالقِـدَدِ(٦)

كـلُّ بنـي حُـرَّةٍ مَصيـرهـمُ ... قُـلٌّ، وإن أكثـرَتْ مـن العَـدَدِ

إن يُغْبَطـوا يُهْبَطُـوا(٧) وإن أمِـرُوا ... يـومـاً يَصيـرُوا للهُلْـكِ والنَّقَـدِ(٨)

يـا عَيْـنُ هـلاّ بكيـتِ أرْبَـدَ إذ ... قُمْنـا وقـام الخصومُ فـي كَبَـدِ(٩)

/ يـا عَيْـنُ هَـلاّ بكيـتِ أرْبَـدَ إذ ... ألْـوَتْ رِيـاحُ الشتـاء بـالعَضَـدِ(١٠) [٦٣/١٧]

وأصبحَـتْ لاقحـاً مُصَـرَّمَـةً ... حيـن تقضَّـتْ غَـوابـرُ المُـدَدِ

إنْ يشغَبُـوا لا يُبـالِ شَغْبَهـمُ ... أو يَقْصِـدُوا فـي الخصـام يَقْتَصِـدِ(١١)

/ حُلْـوٌ كـريـمٌ، وفـي حـلاوَتِـه ... مُـرٌّ، لطيـفُ الأحشـاءِ والكبِـدِ ١٤٠/١٥

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينشد شعراً له في رثاء أخيه أربد

نسختُ من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن عليّ بن مجاهد، قال:
أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لَبيد في أخيه أربد(١٢):

لَعَمْـرِي لَئِـنْ كـان المخبِـرُ صـادِقـاً ... لقـد رُزِئَـتْ فـي حـادث الـدَّهْـر جَعْفَـرُ

---

(١) ديوانه: ١٥٨.

(٢) في الديوان: «ما إن تعرى» قال في «شرحه»: تعرّى: تترك.

(٣) الحارب: من يحرب الأموال. الجابر: الذي يجبر من قد حرم ماله. نكيباً: مصاباً. وإن يعد لسؤاله، يعد لعطيته. وفي «بيروت»: وجاء «بكيئاً».

(٤) يعفو: يكثر. والصّوب: المطر يكون في أول الزمان. وصوب الربيع: مطره. والرصد: نبات يكمن تحت الثرى، وذلك في أول المطر.

(٥) في أ: «لا تبلغ».

(٦) القدد: السيور.

(٧) يهبطوا: يموتوا.

(٨) الديوان: «النكد».

(٩) كذا في ب، س ومختار الأغاني والديوان، وفي أ: «وقال الخصوم». والكبد: الأمر الشديد.

(١٠) هامش أ: العضد: الشجر المقطوع. وفي شرح الديوان: العضد: الشجر اليابس. وألوت: ذهبت به وطارت.

(١١) الشغب: الجور عن الطريق والقصد. يقتصدوا: يأخذوا القصد.

(١٢) ديوانه ١٦٧.

أخٌ لي، أمّا[(١)] كلّ شيءٍ سألتُه فيُعطِي، وأما كلُّ ذَنْبٍ فيغفِرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه: ذلك رسولُ الله، لا أربد بن قيس.

وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخَبرُ بذكرها.

ومما رثاه به، وفيه غناء، قوله[(٢)]:

صوت

بَلِينا وما تَبْلَى النجومُ الطَّوالِعُ وتَبْقَى الجِبالُ بعدنا والمَصانِعُ

وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ففارقني جارٌ بأرْبَدَ نافِعُ

فلا جَزِعٌ إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا فكلُّ فتًى يوماً به الدَّهرُ فاجِعُ

وما المرءُ إلّا كالشِّهابِ وَضوْئِه يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هو ساطِعُ

[١٧/٦٤] / أليسَ وَرائي إنْ تراخَتْ منيّتي لزُومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابعُ

أُخَبِّرُ أخبارَ القُرونِ التي مَضَتْ أدِبُّ كأنّي كُلّما قمتُ راكِعُ

فأصبحتُ مِثلَ السيفِ أخْلَقَ جَفْنَه تقادمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ

فلا تَبْعَدَنْ إنّ المنيةَ موعِدٌ علينا فَدانٍ للطّلوعِ وطالِعُ

أعاذِلَ ما يُدريك، إلّا تَظَنِّياً إذا رحلَ السُّفّار[(٣)] مَنْ هو راجِعُ؟

أتَجزَعُ مما أحدثَ الدهرُ للفتى وأيُّ كريمٍ لم تُصِبْه القَوارِعُ!

غنّى في الأول والخامس والسادس والسابع حُنَيْنٌ الحيريّ خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ وابن المكيّ وحماد، وفيها ثقيل أول بالوسطى، يقال إنه لحنين أيضاً، ويقال إنّه لأحمد النَّصْبيّ[(٤)]، ويقال: إنه مَنْحول.

ومما رثاه به قولُه، وهي من مختار مراثيه[(٥)]:

طَرِبَ الفؤادُ ولَيْتَه لم يَطْرَبِ وعَنَاه ذِكْرَى خُلّةٍ لم تَصْقَبِ[(٦)]

سَفهاً، ولو أنّي أطَعْتُ عَواذِلي فيما يُشِرْنَ به بسَفْحِ المِذْنَبِ

لزَجَرْتُ قَلْباً لا يَريعُ لِزاجِرٍ إنّ الغَوِيَّ إذا نُهِي لم يُعْتِبِ[(٧)]

فتعزَّ عن هذا، وقُلْ في غَيْرِه واذْكُرْ شَمائِلَ من أخيكَ المُنْجِبِ

يا أرْبَدَ الخَيْرِ الكريم جدودُه أفردتني أمشِي بقَرْنٍ أعضبِ[(٨)]

---

(١) في الديوان: «فتى كان أمّا».

(٢) ديوانه ١٦٨.

(٣) في الديوان: «إذا ارتحل الفتيان».

(٤) في ب، س، ج: النصيبي.

(٥) ديوانه ١٥٦.

(٦) تصقب: تجاور وتقترب.

(٧) لا يريع: لا يرجع ولا يتعظ، لم يعتب: لم يرجع إلى ما يرضي عاتبه.

(٨) أعضب: مكسور أو مقطوع.

إنَّ الــرزيَّــة لا رَزِيَّــة مثلهــا — فِقْـدانُ كـلِّ أخٍ كضَـوْءِ الكـوكـبِ

/ ذهـب الـذيـن يُعـاشُ فـي أكنـافهـم — وبقيـتُ فـي خَلْـفٍ كجِلْـدِ الأجـربِ [٦٥/١٧]

يتـأكَّلُـون مَغـالـةً[1] وخِيـانـةً — ويُعـابُ قـائلُهـم وإنْ لـم يَشْغَـبِ

ولقـد أرانـي تـارةً مِـنْ جَعْفَـرٍ — فـي مثـل غَيْـثِ الـوابـلِ المتحلِّـبِ[2]

مِـنْ كـل كَهْـلٍ كـالسِّنـان وسَيِّـدٍ — صَعْـبِ المقـادَةِ كـالفَنيـق المُصْعَـبِ[3]

/ مِـنْ مَعْشَـرٍ سنَّـتْ لهـم آبـاؤهـم — والعـزُّ قـد يـأتـي بغيـر تَطَلُّـبِ [١٤١/١٥]

فبـرَى عِظـامـي بعـد لحمـي فَقْـدُهـم — والـدَّهـرُ إنْ عـاتبـتَ ليـس بمُعْتِـبِ

حدثنا محمد بن جرير الطبريّ، قال: حدثنا أبو السائب سالم بن جُنادة، قال: حدثنا وكيع، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، أنها كانت تنشد بيت لبيد:

ذهـب الـذيـن يُعـاشُ فـي أكنـافهـم — وبقيـتُ فـي خَلْـفٍ كجِلْـدِ الأجـربِ

ثم تقول: رحم الله لبيداً، فكيف لو أدركَ مَنْ نحن بَيْنَ ظهْرَانَيْهِم!.

قال عروة: رحم الله عائشة، فكيف بها لو أدركَتْ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم!.

قال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو أدركَ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم! وقال وكيع: رحم الله هشاماً، فكيف لو أدرك مَنْ نحن بين ظهرانيهم! قال أبو السائب: رحم الله وكيعاً، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم! قال أبو جعفر: رحم الله أبا السائب، فكيف لوأدرك مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم!.

قال أبو الفرج الأصبهاني: ونحن نقول: الله المستعان، فالقصَّةُ أعظمُ مِنْ أن تُوصَفَ!.

/ صوت [٦٦/١٧]

فـإن كـان حَقًّـا مـا زعمـتِ أتيتُـه — إليـكِ فقـامَ النـائحـاتُ علـى قَبْـري

وإن كـان مـا بُلِّغتِـه كـان بـاطـلاً — فـلا مـتُّ حتـى تَسْهَـرِي الليـلَ مِـنْ ذكـري

عروضه من الطويل. والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فَوْز، وخبرهما يأتي ها هنا، والغناء لبَذْل، خفيف رمل بالبنصر، وفيه لبَنان بن عَمْرو ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لَحْنٌ لابن جامع من كتاب إبراهيم. وزعم أبو العباس أنَّ لمعبد اليقطينيّ فيه خفيف رمَل، وذكر حَبَش أنَّ لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى. وذكر عليّ بن يحيى المنجم أنه لعُلَيّة. وقيل: إن خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنقُطة. والصحيح أنه لبَذْل.

---

(١) مغالة، أي اغتيالاً.

(٢) جعفر، يعني قومه بني جعفر. في مثل غيث الوابل، أي كثرة عدد.

(٣) الفنيق: الفحل المقرم لا يركب لكرامته على أهله. المصعب: غير الذلول.

[١٧/٦٧]

/ ذكر خبر العباس وفوز

كانت جارية لمحمد بن منصور

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الخُرَاسانيّ، قال: حدثنا محمد بن النضر، قال:

كانت فَوْز جاريةً لمحمد بن منصور، وكان يلقَّب فتى العسكر، ثم اشتراها بَعْضُ شباب البرامكة فدبَّرها[١] وحجَّ بها. فلما قدمت قال العباس[٢]:

أَلاَ قَـــدْ قَـــدِمَـــتْ فَـــوْزٌ ... فقـــرَّت عَيْـــنُ عَبَّـــاسِ
لِمَـــنْ بَشَّـــرنِـــي البشـــرى ... علـــى العينيـــن والـــرّأس
أيـــا ديبـــاجـــة الحُسْـــنِ ... وَيَـــارَامُشْنَـــةَ الآس[٣]
يلـــومـــونـــي علـــى الحـبّ ... ومـــا بـــالحـــبّ مِـــنْ بـــاس!

تشبهه في شعره بأبي العتاهية

أخبرني محمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباريّ ـ وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب ـ قال: حدثني علي بن محمد النَّوفَليّ قال:

كانت فَوْز لرجلٍ جليل من أسباب السلطان، وكان العبَّاس يتشبَّه في أشعاره وذكر فَوْز بما قاله أبو العتاهية في عُتْبة، فحَجَّ بها مولاها، فقال العباس[٤]:

[١٤٢/١٥]

/ يـــا رَبِّ رُدَّ عَلَيْنَـــا ... مَـــنْ كـــان أُنْســـاً وَزَيْنـــا
مَـــنْ لا نُسَـــرُّ بعَيْـــشٍ ... حتـــى يكـــون لـــدَيْنـــا

[١٧/٦٨]

/ يـــا مَـــنْ أتـــاح لِقَلْبِـــي ... هَـــوَاهُ شُـــؤمـــاً وحَيْنـــا
مـــا زِلْـــتُ مُـــذْ غِبْـــتِ عَنّـــي ... مِـــنْ أشخـــنِ النـــاسِ عَيْنـــا
مـــا كـــان حَجُّـــكِ عِنـــدي[٥] ... إلاَّ بـــلاءً عَلَيْنـــا

فلما قدمت قال:

أَلاَ قـــد قـــدمَـــتْ فـــوزُ ... فقـــرَّت عَيْـــنُ عَبَّـــاسِ

---

(١) دبرها: أعتقها عن دبر، أي بعد موته.
(٢) ديوانه ١٦٥.
(٣) قال الشهاب في «شفاء الغليل»: «رامشنة»، قال الصولي: هي ورقة الآس، لها رأسان وفي ديوانه: ويا رائحة الآس.
(٤) ديوانه ٢٦٥.
(٥) في ديوانه: «ما كان حجك هذا».

وذكر الأبياتَ المتقدمة.

معابه بينه وبين الأصمعي

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال:

حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً، والعباس بن الأحنف بين يَدَيْه، فقال العباس للفَضْل: دَعْني أعابِث الأصمعيّ. قال: لا تفعل، فليس المزاح مِنْ شأنه. قال: إنْ رأى الأمير أن يَفْعَل. قال: ذاك إليك. قال: فلما دخلتُ قال لي العبّاس: يا أبا سعيد مَنْ الذي يقول[1]:

إذا أَحْبَبْتَ[2] أن تصنع شيئاً يعجِب النَّاسا
فصَوِّر ههنا فَوْزاً وصوِّر ثَمَّ عبَّاسا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتى ترى رَأسيهما رَاسَا
فكذِّبها بما قاسَتْ وكذِّبه بما قاسى

فقال لي ابنُ أبي السِّعلاء الشاعر: إنه أرادَ العبَثَ بك، وهو نَبطيّ، / فأَجِبْه على هذا. قال: فقلت له: [٦٩/١٧] لا أعرف هذا، ولكني أعرف الذي يقول:

إذا أحببت أنْ تبصر شيئاً يعجبُ الخَلْقَا
فصوِّرْ ههنا زوراً وصوِّر ههنا فَلْقا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتى ترى خَلْقَيهما خلقَا
فكذِّبها بما لاقَتْ وكذِّبه بما يَلْقى

فعرَّض بالعباس أنه نَبطيّ، فضحك الفَضْل، فوجَم العباس، فقال له [الفضل]: قد كنتُ نهيتُك عنه، فلم تَقْبَلْ.

فوز تجد صداعاً

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن الفضل الهاشميّ، قال: حدثني أبو تَوْبة الحنفيّ، قال:

وَجَّه العباس بن الأحنف رسولاً إلى فَوْز، فعاد فأخبره أنها تجدُ صُداعاً، وأنه رآها معصوبةَ الرَّأسِ؛ فقال العباس:

عصبَتْ رأسَها فليتَ صُدَاعاً قد شكَتْه إليّ كان براسي[3]
ثم لا تشتكِي، وكان لها الأَجْرُ، وكنتُ السَّقَامَ عنها أُقاسِي
ذاكَ حتى يقولَ لي مَنْ رآني: هكذا يفعلُ المحِبُّ المُواسِي

قال: فبرئَتْ ثم نُكِسَتْ، فقال[4]:

(١) الأبيات في الأغاني ٨: ٣٥٥، وهي في ديوانه ١٦٤.
(٢) في الديوان: «إذا ما شئت».
(٣) ديوانه ١٦٢.
(٤) ديوانه ١٦٠.

إنَّ التـي هـامـت بهـا النَّفْـسُ عـاودَهـا مِـنْ عـارضٍ نُكْـسُ[١]
كـانـت إذا مـا جـاءهـا المُبْتَلَـى أبـراَهُ مِـنْ كفِّهـا اللَّمْـسُ[٢]
[٧٠/١٧] / وَابِـأَبِـي الـوجْـهُ المليـحُ الّـذي قـد عشِقَتْـهُ الجـنُّ والإنْـسُ
$\frac{١٤٣}{١٥}$ إنْ تكـنِ الحمَّـى أضـرَّتْ بـه فـربمـا تَنْكَسِـفُ الشمـسُ

فوز ساهرة ذاكرة له

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني أبو العباس الخلنجيّ، قال: حدثني أبو عبد كان الكاتب[٣]، قال: حدثني أبو توبة الحنفيّ، قال:

لمّا قال العباس بن الأحنف[٤]:

أَمَـا والـذي أَبْلَـى المحبَّ وزادَنـي بلاءً، لقد أسرفْتِ في الظلم والهَجْرِ
فـإنْ كـان حقّـاً مـا زعمـتِ أتيتُـه إليـك، فقـام النـائحـاتُ علـى قبـري
وإن كـان عُـذْوانـاً علـيَّ وبـاطـلاً فـلامـتْ حتـى تسهَـري الليـلَ مِـنْ ذكـري

بعثَت إليه فوْز: أظُنُّنا ظلَمْنَاك يا أبا الفضل، فاستجيب لك فينا! ما زلتُ البارحةَ ساهرةً ذاكرةً لك.

في خلقه شدة

أخبرني جحظةُ البرمكيّ، قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن إبراهيم، قال: حدثني محمد بن سَلّام، قال:

كان في خلق العباس بن الأحنف شدَّة، فضرب غلاماً له، وحلف أنه يَبِيعُه، فمضى الغلامُ إلى فَوْز فاستشفع بها عليه، فكتبت إليه فيه؛ فقال[٥]:

يـا مَـنْ أتـانـا بـالشفـاعـاتِ مِـنْ عِنْـدَ مَـنْ فيـه لَجاجـاتي[٦]
إنْ كنـتُ مـولاك فـإنَّ التـي قـد شفعَـتْ فيـكَ لَمَـوْلاتـي[٧]
إرسـالهـا فيـكَ إلينـا لنـا كـرامـةٌ فـوق الكـرامـات

[٧١/١٧] / ورَضِيَ عنه ووصله، وأعتقه.

اكتئابه من قولة فوز له: يا شيخ!

أخبرني جحظة، قال: حدثنا أبو عبد الله بن حمدون، عن أبيه حمدون بن إسماعيل، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل، قال:

---

(١) في الديوان: «من سقمها». (٢) في الديوان: «من واحتها».
(٣) في س: «أبو عبدان»، والمثبت من أ.
(٤) ديوانه ١٥٣.
(٥) ديوانه ٦٩.
(٦) في الديوان: «يا من أتاني... من عند من أبغيه حاجاتي».
(٧) في الديوان: «قد كتبت فيك».

جاءنا العباسُ بن الأحنف يوماً وهو كثيب، فنشَّطْنَاه فأبى أنْ ينشط، فقلنا: ما دَهَاك؟ فقال: لقيتني فَوْز اليوم، فقالت لي: يا شيخ! وما قالَتْ ذلك إلاَّ من حادثِ مَلالٍ. فقلنا له: هوِّنْ عليك؛ فإنها امرأةٌ لا تثبُتُ على حال، وما أرادَتْ إلا العَبثَ بك والمُزَاح معك. فقال: إني والله قد قلتُ أقبحَ مما قالت، ثم أنشدنا[1]:

هــزِئَــتْ إذ رأت كئيبــاً مُعَنًّــى[2] أقصَــدتْــهُ الخطــوبُ فهــو حــزِيــنُ
هــزِئَــتْ بــي ونِلْــتُ مــا شئــتُ منهــا يــا لَقَــوْمــي فــأيُّنــا المغبــونُ!

فقلت له: قد انتصفتَ وزِدْتَ.

يمن جارية فوز تزعم أنه راودها

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا علي بن الصبّاح، قال: حدثنا أبو ذَكوان، قال:

كانت لِفَوْز جاريةٌ يقال لها يُمْن، وكانت تجيءُ إلى العباس برسالتها، فمضَتْ إلى فَوْز، وقد طلبت من العباس شيئاً فمنعها إيّاه، وزعمَتْ أنه أرادها ودعاها إلى نَفْسه، فغضبَتْ فَوْز من ذلك، فكتب إليها[3]:

لقــد زعمَــتْ يُمْــنٌ بــأنــي أرَدْتُهــا علــى نفسهــا، تَبًّــا لــذلــكَ مِــنْ فِعْــلِ
سَلُــوا عــن قميصــي مثــلَ شــاهِــد يُــوسُــفٍ فــإنَّ قميصــي لــم يكــن قُــدَّ مِــنْ قُبُــلٍ[4]

/ معاتبة فوز له في جفائه ورده عليها [١٧/ ٢]

أخبرني محمد، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: حدثني سعيد بن حميد، قال:

كانتْ فَوْز قد مالَتْ إلى بعض أولادِ الجُنْد، وبلغ ذلك العباس، فتركها ولم تَرْضَ هي البديل بعد ذلك، فعادت إلى العباس، وكتبت إليه تُعاتبه في جفائه؛ فكتب إليها:

كَتَبَــتْ تلــومُ وتَستــريــبُ زِيــارتــي وتقــولُ لســتَ لنــا كعَهْــدِ العــاهِــدِ[5]
/ فــأجبتُهــا ودمــوعُ عينــي جمَّــةٌ تَجْــرِي علــى الخــدَّيْــنِ غَيْــرَ جَــوَامِــدِ!
يــا فَــوْزُ لــم أهجــرْكُــمُ لمــلالَــةٍ منِّــي ولا لمَقَــالِ واشٍ حــاسِــدِ
لكنَّنــي جــرَّبتكُــمْ فــوجــدتُكــمْ لا تصبــرونَ علــى طعــامٍ واحــدِ

١٤٤
١٥

سرقته شعر أبي نواس

وقد أنشدني عليُّ بن سليمان الأخفش هذه الأبيات، وقال: سرقها من أبي نواس حيث يقول:

صـوت

ومُظْهِــرة لخَلْــقِ الله وُدًّا وتلْقــى بــالتحيّــة والسّــلامِ
أتيــتُ فــؤادَهــا أشكــو إليــه فلــم أخْلُــصْ إليــه مــن الــزِّحــامِ

---

(١) الديوان ٢٦٠.
(٢) في أ: «كبيراً»، وفي الديوان: «أن رأت غلاماً».
(٣) ديوانه ٢١٣.
(٤) إشارة إلى ما جاء في سورة يوسف ٢٦: ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾.
(٥) ديوانه ١٠٦، وفيه: «وتستريث زيارتي».

فيا مَنْ ليس يَكْفِيه مُحِبٌّ ولا ألفاً مُحِبٌّ كلَّ عامِ
أظنُّكِ مِنْ بقيةِ قومِ موسى فهُمْ لا يصبرون على طَعَامِ

غنّت فيه عَرِيب لحناً ذكره ابن المعتزّ، ولم يذكر طريقته.

ومما يغنَّى فيه من شعر العباس في فوز قوله:

[٧٣/١١] / صوت

يا فَوْزُ ما ضَرَّ مَنْ يُمْسِي وأنتِ له ألاّ يفوزَ بدُنْيَا آلِ عَبّاسِ[1]
أبصرتُ شيباً بمولاها فواعَجباً منه يراها ويَبْدُو الشَّيْبُ في الرَّاسِ!

غنّاه سُليم، رمَل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن الفَضْلِ بن الأسود، قال:

قرَأْتُ على أحمد بن أبي فَنَن شِعْرَ العباس بن الأحنف، وكان مشغوفاً به، فسمعتُه يقول: وددت أن أبياتَه التي يقول فيها:

* يا فَوْز ما ضَرَّ من يُمْسي وأنت له *

لِي بكلِّ شعري.

[٧٤/١٧] / وفي بَذْل يقول عبد الله بن العباس الربيعيّ يخاطِبُ عَمْراً في بَذْل بقوله:

صوت

تَسمَّعْ بحقِّ الله يا عَمْرُو مِنْ بَذْلِ فقد أحسنَتْ واللهِ واعتمدت قَتْلي
كأنّي أرَى حُبِّيك يرجحُ كلّما تغنَّت لإعجابي وأفْقِد مِنْ عَقْلي

غنّاه عبد الله بن العباس الربيعيّ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وغنّى فيه عمرو بن بانة خفيف رمَل بالبنصر عن حَبَش.

(١) ديوانه ١٥٩.

/ ذكر بذل وأخبارها

[١٧/ ٥/

من مولدات المدينة ولها كتاب أغان

كانت بَذْل صفراء مولَّدة من مولّدات المدينة، ورُبِّيت بالبصرة، وهي إحدى المُحْسناتِ المتقدّمات، الموصوفات بكَثْرَة الرِّواية، يقال: إنها كانت تغنّي ثلاثين ألف صوت. ولها كتابٌ في الأغاني منسوبُ الأصوات غير مجنّس، يشتمل على اثني عشر ألف صوت، يقال: إنها عملته لعليّ بن هشام. وكانت حُلْوَة الوَجْهِ ظَريفةً، ضاربةً متقدّمةً، وابتاعها جَعْفَرُ بن موسى الهادي، فأخذها منه محمد الأمين، وأعطاه مالاً جَزيلاً، فوَلَدُهما جميعاً يدَّعون ولاءَها. فأخذت بَذْل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفُلَيح وابن جامع وإبراهيم، وطبقتهم.

أروى خلق الله للغناء

وقرأتُ على جحظة، عن أبي حَشِيشة في كتابه الذي جمعه مِنْ أخباره وما شاهده، / قال: ١٤٥/ ١٥

كانت بَذْل من أحسنِ الناسِ غناءً في دَهْرِها، وكانت أستاذَة كلِّ محسن ومحسنة، وكانت صفراءَ مَدنية، وكانت أرْوَى خَلْقِ الله تعالى للغناء، ولم يكن لها معرفة.

احتيال الأمين في أخذها

وكانت لجعفر بن موسى الهادي، فوُصِفَتْ لمحمد بن زبيدة، فبعث إلى جعفر يسأله أنْ يُريه إيّاها، فأبى، فزارَه محمد إلى منزله، فسمع شيئاً لم يسمَعْ مثلَه، فقال لجعفر: يا أخي، بِعْنِي هذه الجارية. فقال: يا سيِّدي، مِثْلِي لا يبيعُ جارية، قال: فَهَبْها لي، قال: هي مُدَبَّرة[1]. فاحْتال عليه محمد حتى أسكره، وأمر بِبَذْل فحُمِلت معه إلى الحرّاقة، وانصرف بها.

[١٧/ ٧٦] / فلما انتبه سأل عنها فأُخبر بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبَذْل جالِسةٌ فلم يَقُلْ شيئاً. فلما أراد جعفر أن ينصرفَ قال: أوقِرُوا حَرّاقَة ابْنِ عمّي دراهم، فأوقرت.

قال: فحدثني عبد الله بن الحُنَيْنِي ـ وكان أبوه على بَيْتِ مالِ جعفر بن موسى ـ أنّ مبلغَ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم.

قال: وبقيت بَذْل في دَارِ محمدٍ إلى أنْ قُتِل، ثم خرجت، فكان وَلَدُ جعفر وولد محمد يدّعون ولاءَها. فلما ماتت ورثها وَلَدُ عبد الله بن محمّد بن زبيدة.

(١) المدبرة: المعتقة بعد الموت. وفي هامش أ: «المدبر من الرقيق: الذي يقول له سيده بعد الموت: أنت حر بعد دبر مني»، أي بعد وفاتي.

وهب لها الأمين من الجوهر ما لم يملك مثله أحد

وقد رَوَى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر، عن ابن المكّيّ، عن أبيه، وقال فيه: إن محمداً وَهب لها من الجوهر شيئاً لم يملك أحدٌ مثله، فسلّم لها، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعُه بالمال العظيم، فكان ذلك مُعْتَمدها مع ما يَصِلُ إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقيّةٌ عظيمة.

إباؤها الزواج حتى موتها

قال: ورغب إليها وجوهُ القُوّاد والكتّاب والهاشميّين في التزويج، فأبَتْ وأقامَتْ على حالِها حتى ماتت.

علي بن هشام في موكبه إليها

قال أبو حشيشة في خبره: وكنتُ عند بَذْل يوماً وأنا غلام، وذلك في أيام المأمون ببغداد، وهي في طَارِمة[1] لها تَمْتَشِطُ، ثم خرجتُ إلى الباب، فرأيتُ الموكب، فظننتُ أنّ الخليفةَ يَمُرُّ في ذلك الموضع، فرجعتُ إليها فقلتُ: يا سِتّي[2]، الخليفة يمرُّ عَلَى بابك؟ فقالت: انظُروا أيّ شيء هذا؟ إذ دخل بَوّابُها فقال: علي بن هشام بالباب. فقالت: وما أصنَعُ به! فقامت إليها وَشِيكة[3] جارِيتها ـ وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها ـ [٧٧/١٧] / فأكبّتْ على رِجلها، وقالت: الله، الله! أتحجُبين عليّ بن هشام! فدعَتْ بمنديل فطرَحَتْه على رأسها ولم تَقُمْ إليه، فقال: إني جئتك بأمرِ سيدي أمير المؤمنين، وذلك أنه سألني عنك، فقلتُ: لم أرها منذ أيام. فقال: هي عليك غَضْبَى، فبِحَياتي لا تدخُلْ منزلَك حتى تذهبَ إليها فتسترضيها.

تكتب اثني عشر ألف صوت

فقالت: إنْ كنتَ جِئتَ بأمر الخليفة فأنا أقومُ. فقامت فقبّلَتْ رأسَه ويَدَيْه[4] وقعد ساعةً وانصرف، فساعةَ خرج قالت: يا وَشيكة، هاتي دواةً وقرطاساً، فجعلت تكتبُ فيه[5] يومَها وليلتها حتى كتبت اثني عشرَ ألف صوت ـ وفي بعض النسخ: «رؤوسَ سبعة آلاف صوت» ـ ثم كتبت إليه: يا عليّ بن هشام، تقول: قد استغنَيْت عن بَذْل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبتُ هذا وأنا ضَجِرَة، فكيف لو فرّغتُ لك قلبي كُلَّه! وختَمَتِ الكتاب، وقالت لها: امضي به إليه.

فما كان أسرع مِنْ أنْ جاء رسولُه ـ خادمٌ أسود يقال له مخارق ـ بالجواب يقول فيه: يا ستّي، لا واللهِ ما قلتُ الذي بلغَكِ، ولقد كُذِبَ عليّ عندكِ؛ إنما قلتُ: لا ينبغي أنْ يكونَ في الدنيا غناءٌ أكثرَ من أربعة آلاف صوت، وقد بعثتِ إليّ بديوانٍ لا أُؤدّي شكْرَكِ عليه أبداً. / وبعث إليها عَشرةَ آلاف درهم، وتخوتاً[6] فيها خَزٌّ وَوشْي ومُلَحٌ، وتختاً مطبقاً فيه ألْوَان الطِّيب. [١٤٦/١٥]

علي بن هشام يعاتبها في جفوة نالته منها

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لعليّ بن هشام يعاتِبُ بَذْلاً في جَفْوَة نالَتْه منها:

---

(١) الطارمة: بيت من الخشب، كالقبة.

(٢) سِتّي: كلمة مولَّدَة، وفي نهاية الأرب: يا «سيدتي».

(٣) في مختار الأغاني: «وشيك»، بغير تاء.

(٤) في ب، س: «فقبلت رأسه ورجليه».

(٥) في أ: «به».

(٦) التخوت: جمع تخت؛ وهو وعاء تصان فيه الثياب.

[١٧/٧٨]

/ تَغَيَّرْتِ بَعْدِي والزمانُ مُغَيِّرٌ ... وخِسْتِ بعَهْدِي والملوكُ تَخِيسُ
وأظهرتِ لي هَجْراً وأخفَيْتِ بِغضَةً ... وقرَّبْتِ وَغْداً واللسانُ عَبُوسُ
وممَّا شجاني أنني يومَ زُرْتكم ... حُجِبْتُ وأعدائي لدَيْكِ جُلوسُ
وفي دُون ذا ما يَسْتَدِلُّ به الفَتى ... على الغَدْرِ مِنْ أحْبابه ويَقِيسُ
كفرتُ بدِينِ الحُبِّ إنْ طُرتُ بابكم[١] ... وتلك يَمينٌ - ما علمت - غَمُوسُ
فإنْ ذَهَبَتْ نفسي عليكم تشَوُّقاً ... فقد ذهبتُ للعاشقين نُفوسُ
ولو كان نَجْمِي في السُّعودِ وَصَلْتُمُ ... ولكنْ نجومُ العاشقينَ نُحُوسُ

وأخبرني أبو العباس الهشامي المِسْك، عن أهله: أنَّ عليّ بن هشام كان يَهْوَى بَذْلاً ويكتمُ ذلك، وأنها هجَرتْه مدَّةً، فكتب إليها بهذه الأبيات.

تروي ثلاثين ألف صوت

وذكر محمد بن الحسن أنّ أبا حارثة حَدَّثَه عن أخيه أنَّ معاوية قال: قالت لي بَذْل: كنتُ أرْوِي ثلاثين ألف صوت، فلما تركْتُ الدَّرْسَ أُنْسِيتُ نِصْفَها، فذكرت قولها لزُرزُر الكبير، فقال: كَذَبت الزَّانية!.

تغني مائة صوت لم يعرفها إبراهيم بن المهدي

قال: وحدثني أحمد بن محمد الفَيْزُران[٢]، عن بَعْضِ أصحابه - أنّ إبراهيم بن المهدي كان يعظِّمها ويتوافَى لها، ثم تغيَّر بعد ذلك استغناءً عند نفسه عنها[٣]، فصارت إليه، فدَعَا بعُودٍ فغنَّت - في طريقةٍ واحدةٍ وإيقاعٍ واحدٍ وأصبعٍ واحدة - مائةَ صوت، لم يعرف إبراهيمُ منها صوتاً / واحداً، ووضعت العُودَ وانصرفت، فلم تدخُلْ دارَه حتى طال طلبُه لها وتَضَرُّعُه إليها في الرجوع إليه.

[١٧/٧٩]

تخجل إسحاق بن إبراهيم الموصلي لجهله أصوات أبيه

وقال محمد بن الحسن، وذكر أحمد بن سعيد المالكيّ أنَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالفَ بَذْلاً في نِسْبَةِ صوتٍ غنَّتْه بحضرة المأمون، فأمسكَتْ عنه ساعةً، ثم غنَّت ثلاثةَ أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد، وسألَتْ إسحاق عن صانِعِها فلم يعرفه، فقالت للمأمون: يا أميرَ المؤمنين، هي واللهِ لأبيه، أخذْتُها مِنْ فِيه، فإذا كان هذا لا يعرفُ غناءَ أبيه فكيف يعرفُ غِناءَ غيره! فاشتدَّ ذلك على إسحاق حتى رُئِيَ ذلك فيه.

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ، قال: حدثني حمَّاد بن إسحاق قال: غنَّتْ بَذْل يوماً بين يدي أبي:

إنْ تَرَيْني ناحِلَ البَدَنِ ... فلِطُول الهَمِّ والحَزَنِ
كان ما أخشى بواجِدَتي[٤] ... ليتَه واللهِ لَمْ يَكُنِ

---

(١) طرت بابكم: حمت حوله شغفاً.
(٢) في ب، س: «العيزران».
(٣) في المختار: «بنفسه عنها».
(٤) في هامش أ: «شيبني الحب وأنحلني».

إسحاق يطرب ويشرب على غنائها

فطرب أبي والله طرَباً شديداً، وشرب رِطْلاً، وقال لها: أحسنْتِ يا بنتي، والله لا تغنِّين صوتاً إلّا شربتُ عليه رِطْلاً.

قال أبو الفرج: والغناء في هذا الشعر لبَذْل خفيف رمَل بالوسطى.

في مجلس شراب المأمون

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنَّ محمّد بن علي بن طاهر بن الحسين حدَّثه أنَّ المأمونَ كان يوماً قاعِداً يشربُ وبيده قَدَح إذ غنَّت بَذْل:

* ألاَ لا أرى شيئاً ألَذَّ من الوَعْدِ *

فجعلَتْه:

* ألاَ لا أرى شيئاً ألذ من السَّحْقِ *

[٨٠/١٧] / فوضع المأمونُ القَدَح مِنْ يده والتفت إليها، وقال: بلى يا بَذْل، النَّيك ألذُّ من السَّحْق[١]، فتشوَّرت[٢] وخافَتْ غضَبَه، فأخذ قَدَحه، ثم قال: أتمّي صَوْتَك وزيدي فيه:

١٤٧/١٥
/ ومِـنْ غَفْلـة الْـوَاشِـي إذا مـا أَتَيْتُهـا ... ومِـنْ زَوْرَتـي أبيـاتَهـا خـالِيـاً وَحْـدِي
ومِـنْ صيحـةٍ[٣] فـي المُلْتَقـى ثـم سَكْتـةٍ ... وكلتـاهُمـا عِنْـدِي أَلَـذُّ مِـنَ الخُلْـدِ

نسبة هذا الصوت

ألاَ لا أرَى شيئـاً ألَـذَّ مِـن الـوَعْـد ... ومِـن أمَلِـي فيـه وإنْ كـان لا يُجْـدِي

الغناء لإبراهيم خفيف رمَل بالبنصر في رواية عَمْرو بن بانة.

[٨١/١٧]
/ صوت

بـانَـتْ سُعـادُ فقلبـي اليـوم مَتْبُـولُ ... متيَّـمٌ عنـدهـا لـم يُجْـزَ مَكْبُـولُ[٤]
ومـا سعـادُ غـداةَ البَيْـنِ إذ رحلـوا ... إلاّ أغـنُّ غضيـضُ الطَّـرْفِ مكحـولُ

الشعر لكَعب[٥] بن زهير بن أبي سُلْمَى المُزَنيّ، والغِناء لابن محرز، ثاني ثقيل بالبنصر، عن عَمْرو بن بانة والهِشاميّ.

(١) في هامش أ: «يبعد أن يكون هذا صدر عن المأمون».
(٢) تشورت: خجلت.
(٣) في المختار: «ضجة».
(٤) الديوان: «متيم إثرها».
(٥) ديوانه ٦.

/ أخبار كعب بن زهير

[٨٢/١٧]

نسب أم كعب

كعب بن زُهير بن أبي سُلْمَى المُزَنيّ، وقد تقدم خبرُ أبيه[١] ونَسَبُهُ. وأُمُّ كَعْب امرأةٌ من بني عبد الله بن غَطفان يقال لها كَبْشة بنت عَمَّار بن عديّ بن سُحَيم، وهي أمُّ سائر أولاد زُهير.

وهو من المخضرمين، ومن فحول الشّعراء.

وسألَه الحطيئة أنْ يقولَ شعراً يقدّم فيه نفسه، ثم يثنّي به بَعْدَه، ففعل.

الحطيئة راوية زهير يسأله أن يذكره في شعره

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قالا:

أتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ـ وكان الحطيئةُ راويةَ زُهَيْر وآل زهير ـ فقال له: يا كعب، قد علمتَ رِوايتي لكم أهلَ البيتِ وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك، فلو قلتَ شعراً تذكرُ فيه نفسَك وتَضعُني مَوْضِعاً بَعْدَكَ! وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثنّي بي؛ فإنَّ الناس لأشعاركم أرْوَى، وإليها أسرع، فقال كعب[٢]:

فمَنْ للقوافي شانَها مَنْ يَحُوكها ... إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[٣]

يقول فلا تعْيَا بشيء يَقولُه ... ومِنْ قائليها مَنْ يُسِيءُ ويَعْمَلُ[٤]

/ كفيتُكَ لا تَلْقَى مِن الناسِ واحداً ... تنخَّلَ منها مِثْلَ ما يُتنخَّلُ[٥]

يُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيَقْصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ[٦]

[٨٣/١٧]

يجيز نصف بيت عجز عنه النابغة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبيّ، قالا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجصّاص، قال:

قال زُهير بيتاً ونصفاً ثم أكْدَى[٧]، فمرَّ به النّابغةُ، فقال له: أبا أُمامة، أجِزْ، فقال: وما قلت؟ قال: قلت[٨]:

---

(١) في الجزء التاسع صفحة ١٣٩ وما بعدها.

(٢) سبقت هذه الأبيات في الأغاني ٢: ١٦٥، وهي في ديوان كعب ٥٢٩.

(٣) فوّز الرجل: إذا قضى نحبه. شانها: جاء بها شائنة معيبة. وجرول، هو الحطيئة.

(٤) في س: «ويعجل»، والمثبت ما في أ والديوان. ويعمل، أي يتصنع ويتكلف.

(٥) في الديوان: «مثل ما أتنخل». وتنخل: اصطفى واختار.

(٦) تمثل هذا البيت، وتمثل به: ضربه مثلاً.

(٧) أكدى، يريد: امتنع عليه القول فلم يستطع إتمام البيتين.

(٨) «الموشح» ٥٧.

تَـزِيـدُ الأرضُ إمَّـا مـتَّ خفًّـا[١] وتَحْيَـا إنْ حَيِيـتَ بهـا ثَقِيـلا

نزلْتَ بمستقَرِّ العِرْضِ[٢] منها.

أجِز، قال: فأكدى والله النابغة، وأقبل كَعب بْنُ زهير، وإنه لغلام، فقال أبوه: أجِزْ يا بُنَيّ، فقال: وما أُجيز؟ فأنشده، فأجاز النصف بيت، فقال:

* وتمنع جَانِبَيها أنْ يَزُولاَ[٣] *

فضمَّه زُهَيْرٌ إليه، وقال: أشهد أنك ابني.

زهير ينهاه عن الشعر قبل أن يستحكم

وقال ابنُ الأعرابيّ: قال حماد الراوية:

١٤٨ / ١٥ تحرَّك كعب بن زهير وهو يتكلّم / بالشعر، فكان زُهير يَنْهاه مخافةَ أنْ يكون لم يستحكِمْ شِعْرُه، فَيُرْوَى له [١٧/ ٨٤] ما لا خَيْرَ فيه، فكان يَضْرِبهُ في ذلك، / فكلما ضربه يزيدُ فيه فغلبه، فطال عليه ذَلك، فأخذه فحبَسه، فقال: والذي أحلفُ به لا تتكلم ببيتِ شعر إلاّ ضربتُك ضَرْباً يُنَكِّلُك[٤] عن ذلك. فمكث محبوساً عدَّة أيام، ثم أخبر أنه يتكلّم به، فدعاه فضربه ضَرْباً شديداً، ثم أطلقه وسرَّحه في بَهْمه[٥] وهو غُلَيّم صغير، فانطلق فرَعى ثم راح عشيَّة، وهو يرتجز:

كـأنمـا أحْـدُو ببَهمـي عِيـرَا مـن القُـرَى مُـوقَـرةً شَعِيـرا

زهير يثيره ليعلم تمكنه من الشعر

فخرج إليه زُهير وهو غَضْبان، فدعا بناقته فكفَلَها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كَعْب، فأخذ بيده فأرْدَفه خَلْفَه، ثم خرج فضرب ناقتَه وهو يريد أنْ يبعثَ ابنَه كَعْباً ويعلمَ ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى الحيّ:

إنـي لَتُعْـدِينـي علـى الحـيّ[٦] جَسْـرَةٌ تَخُـبُّ بِـوَصَّـالٍ صَـرُومٍ وتُعْنِـقُ

ثم ضرب كَعْباً، وقال له: أجِز يا لُكَع، فقال كعب:

كبُنْيـانـةِ القَـرْئـيّ مـوضـعُ رحلهـا وآثـارُ نِسْعَيْهـا مـن الـدَّفِّ أبْلَـقُ[٧]

فقال زهير:

---

(١) خفا، أي خفة.

(٢) في الموشح: «بمستقر العز».

(٣) في بيروت: أن يميلا.

(٤) ينكلك: يصرفك.

(٥) البهم: الصغار من ولد الضأن.

(٦) بيروت: «على الهم».

(٧) في ب، س: «القرّى»، وفي حاشية أ: «كقنطرة الرومي». والدف: المشي، النسع: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره، والنسعان هنا البطان والحَقَب والنسع: المفصل بين الكف والساعد.

علـى لاحِـبٍ مثـل المجَـرَّةِ خِلْتَـهُ إذا مـا عَـلا نَشْـزاً مـن الأرضِ مُهْـرَقُ[١]

أجز يا لُكع، فقال كعب:

مُنِيــرٌ هَــداهُ لَيْلُــه كنَهــاره جميـعٌ، إذا يَعْلُــو الحُـزُونَـةَ أفْـرَقُ

[٨٥/١٧] / **زهير يتعسفه ليعلم ما عنده**

قال: فتبدّى[٢] زُهَيْر في نَعْت النعام، وترك الإبل، يتعَسّفُه[٣] عَمْداً ليعلمَ ما عنده، قال:

وظَـلَّ بـوَعْسـاءِ الكَثِيـبِ كـأنَّـه خِبـاءٌ علـى صَقْبَـيْ بِـوَانٍ مُـرَوَّقِ

صَقْبَى عَمُودَيْ، بوان: عَمُود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تـراخـى بـه حُـبُّ الضَّحـاءِ وقـد رأى سَمـاوَةَ قَشْـراءِ الـوَظِيفيـن عـوْهَـقِ[٤]

فقال زهير:

تَحِـنُّ إلـى مِثْـل الحَبـابِيـرِ جُثَّـمٍ لَـدَى منتِـجٍ مِـنْ قَيْضِهـا[٥] المتَفَلِّـقِ

الحبابير: جمع حُبارى[٦]، وتجمع أيضاً حُبارَيات، فقال كعب:

تحطَّـمَ عَنْهـا قَيْضُهـا عـن خَـراطِـمٍ وعَـنْ حَـدَقٍ كـالنَّبْـخِ لـم يَتَفَتَّـقِ

الخَراطم ها هنا: المناقير، والنَّبخ: الجُذري، شبّه أعْيُن ولدِ النعامة به.

إذنه له في قول الشعر

قال: فأخذ زهير بيد ابْنِه كعب، ثم قال له: قد أذِنْتُ لك في الشِّعْرِ يا بُنَيّ.

فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله ـ وهو صغير يومئذ ـ قال[٧]:

أبِيتُ فـلا أهجـو الصديـقَ ومَـنْ يبِـعْ بعِـرْضِ أبيـه فـي المعـاشـر يُنْفِـقِ

[٨٦/١٧] / قال: وهي أوّلُ قصيدة قالَها.

خروجه وبجير إلى رسول الله

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ، قال: حدثني الحجاج بن ذي الرُّقَيْبة بن عبد الرحمن بن مُضَرّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، عن أبيه، عن جدّه / قال:

١٤٩/١٥

---

(١) اللاحب: الطريق الواضح. مهرق: أملس. (٢) الديوان: «ثم بدأ زهير».

(٣) الديوان: يعتسف به عمداً».

(٤) تراخى: تطاول. والضحاء للإبل، مثل الغداء للناس. سماوة: شخص. قشراء الوظيفين، يعني الساقين. وعوهق: طويلة العنق.

(٥) القيض: القشرة العليا للبيضة.

(٦) الحبارى: طائر معروف. وفي الديوان: «الذي سكن».

(٧) من قصيدة في ديوان زهير ٢٤٥، مطلعها:

ويَـوْمَ تَـلافَيْـتُ الصِّبَـا أنْ يَفُـوتَنِـي بـرحـبِ الفُـروجِ ذي مَحْـلٍ مُـوَثَّـقِ

يقول أبو عمرو: «إن زهيراً وكعباً اشتركا فيها».

خرج كَعْب وبُجَير ابْنَا زهير بن أبي سُلْمَى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزّاف[1]، فقال كعب لبُجَير: الْحَقِ الرجل، وأنا مقيم ها هنا، فانظرْ ما يقولُ لك.

إسلام بجير

فقدم بُجَير على رسول الله ﷺ، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً، فقال[2]:

ألا أبْلِغَا عني بُجَيْراً رِسالةً ... على أيّ شيء ويْبَ غيْرِكَ دَلّكا[3]
على خُلُق لم تُلْفِ أُمّاً ولا أباً ... عَلَيه ولم تُدْرِك عليه أخاً لَكا
سقاكَ أبو بكر بكأسٍ رَوِيَّة ... فأنهلَكَ المأمونُ مِنها وعلّكا[4]

إهدار الرسول دمه

ويروى «المأمور». قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دَمه، وقال: مَنْ لقي منكم كَعْبَ بن زهير فليَقْتُله.

بجير ينذره ويحثه على الإسلام [٨٧/١٧]

فكتب إليه أخوه بُجَير بخبره، وقال له: انجه[5] وما أراك بِمُفْلِتٍ. وكتب إليه بعد ذلك يأمُره أنْ يُسْلِم ويُقْبِل إلى رسول الله ﷺ ويقول له: إنّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسوله قَبِل ﷺ منه، وأسقطَ ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ[6]:

بانَتْ سُعادُ فقَلْبِي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيّمٌ عِنْدَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ[7]

إسلامه

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحِلَتَه بباب مسجد رسول الله ﷺ، وكان مجلسه من أصحابِه مكانَ المائدة من القوم حَلْقة ثم حَلْقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطّى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومَنْ أنْتَ؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنْتَ الذي يقول... كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

---

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد.

(٢) ديوانه ٣.

(٣) في الديوان:

* فَهَلْ لَكَ فِيمَا قلتُ بالْخَيْفِ هَلْ لَكَا؟ *

وجعل الشطر الثاني من هذا البيت عجز بيت آخر، هو:

* وخَالَفْتَ أسبابَ الْهَوَى وتَبِعْتَهُ *

وويب مثل ويح وويس.

(٤) صدر هذا البيت في الديوان:

* شَرِبْتَ مع المأمون كأساً رَوِيَّةً *

(٥) انجه، أي انج، زيدت هاء السكت في آخره.

(٦) ديوانه ٦.

(٧) انظر ص ٨١، هامش (١).

سقـــاكَ أبـــو بَكْـــرٍ بكَـــأسٍ رَوِيَّـــةٍ ... وأنهلَـــكَ المـــأمـــونَ منهـــا وعَلَّكـــا

فقال رسول الله ﷺ: مأمون والله. ثم أنشده ـ يعني كعباً ـ:

* بانت سعاد فقلبي اليوم مَتْبُول *

قال عمر بن شبّة: فحدثني الحِزاميّ، قال: حدثني محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجَعْدِ، قال: حدثنا محمد بن / إسحاق المسَيِّبيّ، قال: حدثنا محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، [٨٨/١٧] قال: أنشدها رسولَ الله ﷺ في مسجده، فلما بلغ إلى قوله[١]:

إنّ الـرّســولَ لَسَيْـفٌ يُستضـاءُ بــه ... مهنَّـدٌ مِـنْ سُيُـوفِ الله مَسْلُـــولُ

فـي فِتْيَـةٍ مِـنْ قـريـش قـال قـائلُهـم ... بِبَطْـنِ مكـة لَمّـا أسلمـوا: زُولـــوا

زَالُـــوا فمـــا زال أنْكـــاسٌ ولا كُشُـــفٌ ... عنـد اللقـاء ولا خُـورٌ مَعازِيـــلُ[٢]

أشار رسول الله ﷺ إلى الحِلَق أن يسمعوا شِعْر كعب بن زهير.

قال الحزاميّ: قال عليّ بن المديني: لم أسمع قطّ في خَبَر كعب بن زهير حديثاً قطّ أتمّ ولا أحسنَ مِنْ هذا، ولا أبالي ألاّ أسمع من خبره غير هذا.

رواية أخرى في إسلام بجير وكعب

قال أبو زيد عُمر بن شبّة: ومما يُرْوَى مِنْ خبره أنّ زهيراً كان نظّاراً متوقّياً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه، فحمله إلى المساء حتى / كاد يمسّها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتُضِر قصَّ رُؤْياه على وَلده، وقال: ١٥٠/١٥ إني لا أشكُّ أنه كائن مِنْ خبر السّماء بَعْدِي شيء، فإن كان فتمسّكوا به وسارِعُوا إليه.

فلما بُعث النبيُّ عليه السّلام خرج إليه بُجَير بن زُهَيْر فأسلم، ثم رجع إلى بلادِ قومه، فلما هاجر رسول الله ﷺ أتاه بُجَيْر بالمدينة ـ وكان مِن خِيَارِ المسلمين ـ وشهد يَوْمَ الفَتْح مع رسول الله ﷺ، ويوم خَيْبَر ويوم حُنَيْن وقال في ذلك[٣]:

/ صَبَحْنــاهُــمْ بــألْــفٍ مــن سُلَيْـمٍ ... وألْــفٍ مــن بنــي عثمـــانَ وافِ [٨٩/١٧]

فـــرُحْنـــا والجيـــادُ تجـــول فيهـــم ... بـــأرْمَـــاحٍ مُثَقَّفَـــةٍ خِفـــافِ

وفِـــي أكتـــافهـــم طعْـــنٌ وضَـــرْبٌ ... ورَشْـــقٌ بـــالمُـــرَيّشَـــةِ[٤] اللُّطـــافِ

ثم ذكر خَبره وخَبَرَ أخيه كعب مثل ما ذكر الحزاميّ، وزاد في الأبيات التي كتب بها كَعْبٌ إليه:

فخـــالفـــتَ أسبـــابَ الهُـــدَى وتبعتَـــهُ ... فهـل لـك فيمـا قُلْـت بـالخَيْـفِ هَـلْ لكـا؟

ثم قال في خبره أيضاً: إن كعباً نزل برجل من جُهَينة، فلما أصبح أتى النبيّ عليه السّلام، فقال: يا رسول الله،

(١) ديوانه ٢٣.
(٢) في الديوان: «ولا ميل»، والكشف: الذين ينهزمون ولا يثبتون. والميل: جمع أميل، وهو الذي لا يثبت على السرج. والنكس: الضعيف.
(٣) ديوانه ٢٤٥.
(٤) المريشة: السهام ذات الريش.

أرأيت إن أتيتُك بكعب بن زهير مُسلماً أتؤمِّنُه؟ قال: نعم، قال: فأنا كَعْب بن زهير، فتواثبت الأنصارُ تقول: يا رسولَ الله، ائذَنْ لنا فيه. فقال: وكيف، وقد أتاني مُسلماً! وكفَّ عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً، فأنشد رسولَ الله ﷺ قصيدتَه:

* بانت سُعاد فقَلْبي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله[1]:

لا يَقَـعُ الطَّعْـنُ إلاَّ فـي نُحـورهُـم ... وما بِهم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ[2]

هكذا في رواية عُمَر بن شبة، ورواية غيره: «تَعْليل».

فعند ذلك أومأ رسولُ الله ﷺ إلى الحِلَقِ[3] حوله أن تسمعَ منه. قال: وعَرَّضَ بالأنصار في قصيدته في عدّة مواضع، منها قوله:

كانـت مـواعيـد عُـرقُـوبٍ لهـا مَثَـلاً ... ومـا مَـوَاعِيـدُهـا إلاَّ الأَبـاطِيـلُ

/ وعُرْقوب: رجل من الأوس[4]. [٩٠/١٧]

مدحه الأنصار

فلما سمع المهاجِرُون بذلك قالوا: ما مدحنا مَنْ هجا الأنصار، فأنكروا قوله، وعُوتب على ذلك فقال[5]:

مَـنْ سـرَّه كَـرَمُ الحيـاةِ فـلا يَـزَلْ ... فـي مِقْنَـبٍ مِـن صَـالِحِـي الأنصـارِ[6]

البـاذِلِيـنَ نفـوسَهـمْ لِنَبِيِّهـم ... عنـد الهِيـاج وسَطْـوَةِ الجَبَّـارِ[7]

والنـاظـريـن بـأعْيُـنٍ محمَّـرة ... كـالجَمْـرِ غَيْـرِ كَلِيلـةِ الإبْصـارِ

والضَّـارِبيـن النـاسَ عـن أديـانِهـم[8] ... بـالمَشْـرَفـيّ وبـالقَنـا الخَطَّـارِ

يتطهَّـرُونَ يَـرَوْنَـهُ نسكـاً لهـم ... بـدمـاءِ مَـنْ عَلِقُـوا مِـنَ الكفَّـارِ[9]

صَـدَمُـوا الكتيبـةَ يـوم بَـدْرٍ صَـدْمَـةً ... ذَلَّـتْ لِـوَقْعَتِهـا رِقَـابُ نِـزارِ[10]

---

(١) ديوانه ٢٥.

(٢) في الديوان: «ما إن بهم»، وتهليل: نكوص وفرار.

(٣) في س: «الخلق»، والمثبت من أ.

(٤) في هامش أ: «ليس عرقوب من الأوس، وإنما هو من العماليق، ولم يقل إنه من الأوس قائل، وإنما قيل: إنه من بني سعد». وفي شرح ديوان كعب ٨: «عرقوب بن نصر من العمالقة، نزل بالمدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى».

(٥) ديوانه ٢٥.

(٦) المقنب: الجماعة من الفوارس، نحو الثلاثين أكثر أو أقل. وقيل: ألف، وقيل: أقل.

(٧) في الديوان: «يوم الهياج وقبة».

(٨) في الديوان: والذائدين الناس».

(٩) في الديوان: «يتطهرون كأنه نسك لهم». والنسك: كل شيء ذبح في الحرم.

(١٠) في الديوان:

صَـدَمُـوا عليـاً يَـوْمَ بَـدْرٍ صَـدْمَـةً ... دَانَـتْ علـيٌّ بعـدهـا لِنِـزَارِ

وقال في شرحه: هو علي بن بكر بن وائل، أبو قبيلة. ويقال: على أخو عبد مناة بن كنانة.

عرقوب المضروب به المثل

قال أبو زيد: الذي[١] عناه كعب رجلٌ من الأوس كان وعدَ رجلاً ثمرَ نَخْلَةٍ، فلما أطلعَتْ أتاه فقال: دَعْهَا حتى تلقح[٢]، فلما لَقِحَتْ قال: دَعْها حتى تُزْهِي[٣]، فلما أزْهَتْ أتاه فقال: دَعْها حتى تُرْطِب، / ثم أتاه / فقال: دَعْها حتى تُتْمِر، فلما أتمرت عَدَا عليها ليلاً فجدَّها، فضُرِب به في الخُلْفِ المَثَلُ، وذلك قول الشماخ[٤]: [٩١/١٧] ١٥١/١٥

وَوَاعَدَنِي مَا لاَ أُحَاوِلُ نَفْعَهُ مَواعِيدَ عُرْقُوبٍ أخاهُ بِيَثْرِبِ

وقال المتلمّس لعمرو بن هند:

مَنْ كانَ خُلْفُ الوعدِ شيمَتَهُ والغَدْرُ عرقوبٌ لَهُ مثلُ

وما قالته الشعراء في ذِكر عُرقوب يكثُر.

قال إبراهيم بن المنذر: حدّثني مَعْن بن عيسى، قال: حدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ، قال:

حدثني عليّ بن زيد أنَّ كعب بن زهير أنشد رسولَ الله ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحرام، لا في مسجد المدينة.

قال إبراهيم: حدثني محمد بن الضّحّاك بن عثمان عن أبيه، قال:

عنى كعْبُ بن زهير بقوله:

* في فِتْيَةٍ من قريش قال قائلهم *

عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه.

[٩٢/١٧]

/ صوت

أَبِيني أَفي يُمْنَى يَدَيْكِ جعَلتِني فأفرحَ[٥] أمْ صيَّرتِني في شِمالِكِ
أبِيتُ كأنّي بين شِقَّيْنِ مِنْ عصَاً حِذَارَ الرَّدَى أو خِيفَةً من زِيالِكِ[٦]
تَعَالَلْتِ كي أشجَى وما بِكِ عِلَّةٌ تُرِيدينَ قَتْلِي، قد ظفِرْتِ بذلكِ

عروضه من الطويل، الشعر لابن الدُّمَيْنَة بعضُه، وبعضُه ألحقه المغنّون به، وهو لغيره. والغِناء لابْنِ جامع ثاني ثقيل بالوُسطى، وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر.

---

(١) يريد الذي عناه بقوله: «مواعيد عرقوب».
(٢) في هامش أ: «تبلج... أبلج».
(٣) تزهي: تظهر الحمرة والصفرة في الثمر.
(٤) في «اللسان»: «ت ر ب» منسوب إلى الأشجعي، وكذلك في «البلدان». وفي هامش أ: «يترب من أرض اليمامة. ورواه القاسم بن سلام بالثاء، يريد المدينة».
(٥) أ: «فأطمع».
(٦) زيالك: فراقك.

[٩٣/١٧] / أخبار ابن الدُّمَينة ونسبه

نسبه

الدُّمَيْنة أمُّه، وهي الدُّمينة بنتُ حذَيْفة السَّلُولية، واسم ابن الدُّمَيْنَة عبد الله بن عُبيد الله، أحد بني عامر بن تيم الله بن مُبَشِّر بن أكْلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس بن حَلْف[١] بن أَفْتَل وهو خَثْعَم بن أنمار بن إراش[٢] بن عَمْرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك.

وقيل: إنَّ أكْلُب هو ابن ربيعة بن نِزار ليس ابنَ ربيعة بن عِفْرس، وإنهم حالفوا خَثْعم ونزلُوا فيها فنُسبوا إليهم.

ويُكنى ابنُ الدُّمَينة أبا السَّرِيّ.

وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سَلُول يأتي امرأته ليلاً فرَصَده حتى أتاها فقتله، ثم قتلها بعده، ثم اغتالَتْه سَلُول بعد ذلك فقتلَتْه.

أخبرني بخبره عليُّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السُّكَّريّ، عن محمد بن حَبِيب، عن أبي عبيدة وابن الأعرابيّ، وأضفتُ إلى ذلك ما رَواه الزُّبير بن بكّار عن أصحابه، وما اتَّفقت الروايتان فيه، فإذا اختلفتا نسَبْت كل خَبرٍ إلى راويه.

سلولي يرمي بامرأته

قال الزُّبير: حدثني موهوب بن رُشَيد الكَلابيّ، وإبراهيم بن سعد السُّلميّ، وعُمَر بن إبراهيم السَّعدي، عن ميناس بن عبد الصمد، عن مصعب بن عَمْرو السَّلُوليّ، أخي مُزاحم بن عمرو، قالوا جميعاً:

[٩٤/١٧] / إنَّ رجلاً من سلول يقال له مُزاحم بن عَمْرو كان يُرمَى بامرأة ابن الدُّمينة، وكان اسمها حَمَّاء، قال السكريّ: كان اسمها حَمَادة، فكان يأتيها ويتحدَّث إليها حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابن الدُّمَيْنَة من إتيانها، واشتدَّ عليها.

مزاحم يشهر به

فقال مزاحم يَذكرُ ذلك ـ وهذا من رواية ابن حبيب، وهي أتمُّ وأصحُّ[٣] ـ:

يـابْـنَ الـدُّمينـةِ والأَخبـارُ يـرفَعُهـا ... وَخْـدُ النّجـائـبِ والمحقُـورُ يُخْفِيهـا

---

(١) كذا ضبط في أ، وفي الحاشية من نسخة: «خلف» وفي جمهرة أنساب العرب ٣٩٠ «حلف»، وقيده بالحاء المهملة غير المنقوطة مضمومة ولام ساكنة، ثم قال: وفي الناس من يقول: «حلف»، بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة.

(٢) في س والمختار: «إياس».

(٣) معاهد التنصيص ١/ ١٦٠ وفي ديوان ابن الدمينة تروي بعض هذه الأبيات لمزاحم.

١٥٢/١٥

/ يابْنَ الدُّمَيْنَةِ إنْ تغضَبْ لِما فَعَلَتْ ... فطال خِزْيُكَ(١) أو تغضَبْ مَوالِيها
أو تُبغضوني فكم مِن طعنةٍ نَفَذٍ ... يَغْذُو خِلالَ اختلاجِ الجَوْفِ غَاذِيها(٢)
جاهَدْتُ فيها لكُمْ إني لكُمْ أبداً ... أبْغِي معايبكم عَمْداً فآتِيها
فذاكَ عندي لكم حتى تُغَيِّبَنِي ... غَبْراءُ مُظْلِمةٌ هارٍ نَواحِيها
أغْشَى نساءَ بني تَيْم إذا هجعَتْ ... عنّي العُيُونُ ولا أبغِي مَقارِيها(٣)
كم كاعبٍ مِنْ بني تَيْم قعدْتُ لها ... وعانِسٍ حين ذاقَ النومَ حامِيها
كقِعْدةِ الأعْسَرِ العُلْفُوفِ(٤) مُنْتَحِياً ... مَتِينةً مِن متون النَّبْلِ يُنْحِيها(٥)
وشَهْقَةٍ عند حسِّ(٦) الماء تشهقُها ... وقولُ رُكْبَتِها: قِضْ(٧)، حين تَثْنِيها

[٩٥/١٧

/ علامةً كيَّةً ما بَيْنَ عانَتِها ... وبين سَبَّتِها(٨) لا شَلَّ كاوِيها
وتَعدِلُ الأيسَرَ إن زاغَتْ فتبعثه ... حتى يقيمَ برفق صَدْرَه فيها
بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ في مستهدِف ومِدٍ(٩) ... ذي حَرَّةٍ ذاق طعْمَ الموتِ صالِيها
ماذا تَرى ابن عُبَيْد الله في امرأةٍ ... ليست بمُحصنةٍ عَذْراء حاوِيها
أيَّام أنْتَ طَرِيدٌ لا تقاربُها ... وصادفَ القَوْسَ في الغِرَّاتِ بارِيها
تَرَى عجُوزَ بني تيم ملقَعةً(١٠) ... شُمْطاً عوارِضُها رُبْداً دَوَاهِيها(١١)
إذ تجعلُ الدُّفْنِسُ الوَرْهاء عُذْرَتها ... قُشارةً من أديم ثم تفريها(١٢)
حتى يظلَّ هِدَانُ القوم يَحْسبُها(١٣) ... بِكْراً وقَبْلُ هوَى في الدار هاوِيها

يستدرج مزاحماً ويقتله

قال الزُّبير عن رِجاله، وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ:

لما بلغ ابنَ الدُّمينة شِعْرُ مزاحم أتى امرأتَه فقال لها: قد قال فيكِ هذا الرجل ما قال، وقد بلغك! قالت: واللهِ ما رأى ذلك منّي قط. قال: فمن أيْنَ له العلامات؟ قالت: وصفهنَّ له النساء. قال: هيهات والله أن يكونَ ذلك

---

(١) في أ: «حزنك».
(٢) في هامش أ: غذا، إذا سال، وفي المختار: «يعدو... عاديها».
(٣) مقاريها: محالّ قراها للضيوف.
(٤) في هامش أ: «العلفوف: الرجل الضخم»، وفي «اللسان»: رجل علفوف: جاف كثير اللحم والشعر.
(٥) في س و«المعاهد»: «من متين النبل يرميها». والمثبت من أ.
(٦) في المختار: «حبس الماء».
(٧) في «اللسان» قض: حكاية صوت الركبة إذا صاتت، يقال: قالت ركبته: قض، وأنشد الشطر الثاني.
(٨) السبة: الإست.
(٩) ومد: شديد الحر.
(١٠) في أ: «معلقة».
(١١) عوارضها: جمع عارضة؛ وهي صفحة الحد. والربد: الغبر، جمع ربداء.
(١٢) في هامش أ: «الدفنس: الهمة المسنة». وفي «اللسان»: الدفنس: الحمقاء. والورهاء الكثيرة الشحم، وعذرتها: بكارتها.
(١٣) هدان القوم، الهدان: الأحمق الثقيل.

كذلك. ثم أمسك مُدَّةً وصبر حتى ظنَّ أن مُزَاحماً قد نَسِيَ القصّة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أنَّ ذلك مما وصفه له النساء. فقال لها: والله لئن لم تمكّنين منه لأَقْتُلَنَّكِ. فعلمَتْ أنه سيفعلُ ذلك، فبعثت إليه وواعَدَتْه ليلاً، وقعد / له ابنُ الدُّمَينة وصاحبٌ له، فجاءها للمَوْعد، فجعل يكلِّمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: [٩٦/١٧] يا حمَّاء، ما هذا الجَفاءُ الليلة؟ قال: فتقول له هي بصوتٍ ضعيف: ادخل، فدخل فأهْوَى بيده ليضعَها عليها، فوضعها على ابن الدُّمينة، فوثب عليه هو وصاحبه، وقد جعل له حصى في ثَوْب، فضرب بها كَبِده حتى قتله، وأخرجه فطرحه مَيِّتاً، فجاء أهلُه فاحتملوه، ولم يَجدوا به أثَرَ السلاح، فعلموا أنَّ ابنَ الدُّمَيْنة قتله.

يهجو سلولاً

قال الزُّبير في حديثه: وقد قال ابنُ الدُّمَيْنة في تحقيق ذلك[1]:

قالوا: هجَتْكَ سَلولُ اللُّؤمِ مُخْفِيةً ... فاليومَ أهْجُو سَلُولاً لا أُخافِيها
قالوا: هجاكَ سَلُوليٌّ، فقلتُ لهم: ... قد أنصفَ الصَّخْرةَ الصَّماءَ رَامِيها
رِجالُهم شَرُّ مَنْ يَمْشي ونسْوَتُهم ... شرُّ البريَّةِ واسْتٌ ذَلَّ حامِيها
يَحْكُكْنَ بالصَّخْرِ أستاهاً بها نُقَبٌ ... كما يُحكُّ نِقابَ الجُرْبِ طالِيها

/ قال: وقال أيضاً يذكر دخولَ مُزَاحم ووضْعَه يدَه عليه: [١٥٣/١٥]

لكَ الخَيْرُ إن واعدْتَ حَمَّاءَ فالْقَها ... نهاراً، ولا تُدْلج إذا الليلُ أظلما
فإنكَ لا تَدرِي أبيضاءَ طَفْلَةً ... تُعانِقُ أمْ لَيْثاً من القومِ قَشْعَما[2]
فلما سَرَى عن ساعِدَيَّ ولحيتي ... وأيقن أني لستُ حَمَّاءَ جَمْجَما

يقتل امرأته وصغيرة له منها

قالوا جميعاً: ثم أتى ابنُ الدُّمينة امرأتَه، فطرح على وجهها قطيفةً، ثم جلس عليها حتى قتلها، فلما ماتت قال[3]:

إذا قَعَدْتُ على عِرْنِين جاريةٍ ... فوق القطيفةِ فادْعُوا لي بحَفَّار

[٩٧/١٧] / فبكت بُنَيَّةٌ له منها، فضرب بها الأرضَ فقتلها، وقال متمثلاً: «لا تَتخذنّ[4] مِنْ كَلْبِ سَوْءٍ جَرْواً[5]».

أخو المقتول يستعدي الوالي

قال الزُّبير في خَبرِه، عن عمّه مصعب، عن حُميد بن أُنيف، قال:

فخرج جَناحٌ أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْدَاه على ابن الدُّمينة، فبعث إليه فحبسه.

---

(١) ديوانه ٨، معاهد التنصيص ١٦٧.
(٢) في المختار: «ضيغما».
(٣) ديوانه ١٨٢، معاهد التنصيص ١٦٧.
(٤) في أ، والمعاهد: «لا تغذوا» وفي المستقصى: «لا تقتن».
(٥) المستقصى ٢/٢٥٨ رقم ٨٩٢.

أم المقتول تحضض أخويه على الثأر

وقالوا جميعاً: قالت أمُّ أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، وهي من خَثْعم، ترثي ابْنَها، وتحضّض مُصْعَباً وجَناحاً أخويه[1]:

بأهْلِي ومالِي، بل بِجُلِّ عَشيرتي ... قَتيلُ بني تَيْمٍ بغيرِ سِلاحُ
فهَلَّا قَتَلْتُم بالسَّلاحِ ابْنَ أُختِكم ... فتظهرَ فيه للشهودِ جِراحُ
فلا تطمعوا في الصلح ما دمتُ حيَّةً ... وما دامَ حيَّاً مُصْعَبٌ وجَناحُ
ألَمْ تعلموا أنَّ الدَّوائرَ بيننا ... تَدُورُ، وأنَّ الطالبين شِحاحُ

اشتداد الشر بين خثعم وبني سلول

قالوا: فلما طال حَبْسُه، ولم يَجِدْ عليه أحمدُ بن إسماعيل سبيلاً ولا حجّة خَلاَّه، وقتلت بنو سلُول رَجُلاً من خثعم مكانَ المقتولِ، وقتلت خَثْعم بعد ذلك نَفَراً من سَلُول. ولهم في ذلك قِصَصٌ وأشعارٌ كثيرة.

مقتله

قالوا: وأقبل ابنُ الدُّمَيْنَة حاجًا بعد مدَّةٍ طويلة، فنزل بتَبالة[2]، فعَدَا عليه مُصْعب أخو المقتول لَمَّا رآه، وقد كانت أمُّه حرَّضَتْه عليه، وقالت: اقتُل ابْنَ الدُّمَينة، فإنه قتل أخاك، وهجا قومَك، وذَمَّ أُختك، / وقد كنتُ أعذركِ [١٧/٩٨] قبلَ هذا، لأنك كنْتَ صغيراً، وقد كبرت الآن. فلما أكثَرَتْ عليه خرج مِنْ عندها، وبَصُر بابْنِ الدُّمَينة واقفاً يُنشد الناسَ، فغَدَا إلى جزّار فأخذ شَفْرَتَه، وعَدَا على ابْنِ الدُّمَينة، فجرحه جِراحَتَيْن، فقيل: إنه مات لوَقْتِه. وقيل: بل سَلِمَ تلكَ الدَّفْعَةَ، ومرَّ به مصعب بعد ذلك وهو في سُوق العَبْلاءِ يُنْشِدُ، فعلاهُ بسيفه حتى قتله، وعَدَا وتَبِعَه الناس حتَّى اقتحم داراً وأغلقها على نَفْسه، فجاءه رجلٌ من قومه فصاح به: يا مُصْعَب، إن لم تضَعْ يدَكَ في يدِ السلطان قتلَتْكَ العامَّةُ فاخرج، فلما عرفه قال له: أنا في ذِمَّتِك حتى تُسلِّمني إلى السلطان؟ قال: نعم، فخرج إليه ووضع يدَه في يدِه، فسلّمه إلى السلطان، فقذَفه في سجن تَبالة.

يحرض قومه ويوبخهم

قال السكَّريّ في خبره: ومكث ابْنُ الدُّمَينة جَريحاً لَيْلَته، ومات في غَد، فقال في تلك الليلة يحرِّضُ قومه[3] ويوبخهم:

هتَفْتَ بأكْلُبٍ ودَعَوْتَ قَيْساً ... فلا خَذْلاً دعَوْتَ ولا قَليلا
ثأرتَ مُزاحماً وسَرَرت قيْساً ... وكنتَ لِما هممت بِهِ فَعُولا
/ فلا تَشْلَلْ يَداكَ ولا تزالاَ ... تُفِيدان الغنائمَ والجَزِيلا
فلو كان[4] ابْنُ عَبْدِ الله حيَّا ... لصبَّحَ في منازِلها سَلُولاَ

[١٥٤/١٥]

---

(١) «ديوان»: ٨، و«المعاهد»: ١/١٦٨.
(٢) بلد باليمن.
(٣) ديوانه ١٠ ـ «معاهد التنصيص»: ١/١٦٩.
(٤) ابن عبد الله، هو رزق بن عبد الله الخثعمي ابن الدمينة.

مصعب السلولي يحرض قومه لإنقاذه

قال: وبلغ مصعباً أنَّ قومَ ابْنِ الدُّمينة يُريدون أنْ يقتحموا عليه سِجْنَ تَبَالة فيقتلوه به غِيلة؛ فقال يحرِّضُ قومه:

لقيتُ أبا السَّرِيِّ وقد تكالا ... لهُ حقُّ العداوَةِ في فؤادِي[1]
فكاد الغيظُ يُفْرِطُني إليه ... بطَعْنٍ دونه طَعْنُ السَّدَادِ
/ إذا نبحَتْ كِلابُ السجْنِ حَوْلي ... طَمِعْتُ هَشَاشَةً وهَفَا فُؤادِي
طمَاعةَ أنْ يَدُقَّ السجْنَ قَومي ... وخَوْفاً أنْ يُبَيِّتَني الأعَادِي
فما ظنّي بقومي شَرُّ ظَنّ ... ولا أنْ يُسْلِمُوني في البلادِ
وقد جدَّلتُ[2] قاتِلَهُم فأمْسَى ... يَمُجُّ دَمَ الوَتِين على الوِسَادِ

[٩٩/١٧]

هروب مصعب السلولي إلى صنعاء

فجاءت بنو عُقَيل إليه ليلاً، فكسروا السجْنَ، وأخرجوه منه.

قال مصعب: فلما أفْلتَ من السجن هرب إلى صَنْعاء، فقدم علينا وأبي[3] بها يومئذ والٍ، فنزل على كاتب لأبي كان مولًى لهم، فرأيتُه حينئذ ولم يكن جَلْداً من الرجال.

مما يغني به من شعره

ومما يغنَّى به من شعر ابن الدُّمَيْنَة قولُه من قصيدة أولها[4]:

أقمتُ على زِمَّانَ[5] يوماً وليلةً ... لأنْظُرَ ما وَاشِي أُمَيْمَةَ صانِعُ
فقَصْرُكِ[6] مني كلَّ عامٍ قَصِيدة ... تخُبُّ بها خُوصُ المَطِيِّ النَّزائِعُ

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أنَّ عبد الله بن شبيب أنشده إياها، عن محمد بن عبد الله الكُرانيّ لابْنِ الدُّمينة. والذي يُغَنَّى به منها قوله[7]:

[١٠٠/١]

/ صوت

أُقَضِّي نَهارِي بالحديثِ وبالمُنَى ... ويجمَعُني والهمَّ بالليل جَامِعُ

---

(١) ديوانه ١٢، معاهد التنصيص: ١/١٦٩. تكالا: أصله تكالأ بمعنى كمن واستتر.

(٢) جدلت: صرعته على الجدالة؛ الجدالة: الأرض. وفي المختار: وقد «جندلت».

(٣) في ب، س: «وإني» والمثبت في أ.

(٤) ديوانه ٨٧.

(٥) زمّان، بكسر أوله وتشديد ثانيه وآخره نون: محلة بني مازن بالبصرة. وفي أ: «زمان» بفتح أوله. وفي ديوانه «رمان» بالراء المهملة، ورمان بفتح الراء: جبل في بلاد طيىء.

(٦) س: «فقصدك»، ويقال: قصرك أن تفعل كذا؛ أي حسبك وكفايتك وغايتك، وكذلك قصارك وقصاراك.

(٧) هذه الأبيات الثلاثة، نسبها صاحب الأمالي ٢: ٣١٤، لقيس بن ذريح، وهي من قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيراً بقصيدة لمجنون ليلى، توافقها في الوزن والقافية. وانظر ديوانه ١: ١٧٠.

نهـارِي نَهـارُ النـاس حتـى إذا بَـدَا لـيَ الليـلُ شـاقتني[(١)] إليـكِ المضـاجعُ
لقـد ثَبتَـتْ فـي القَلْـبِ مِنْـكِ محبَّـةٌ كمـا ثبتَـتْ فـي الـراحَتَيْـن الأصـابِـعُ

غنّاه إبراهيم رَمَلاً بالوسطى، عن عَمْرو بن بانة.

يحب أميمة ويتزوجها

نسخت من كتاب أبي سعد، قال: حدثنا ابنُ أبي السَّريِّ، عن هشام، قال:

هَوِيَ ابنُ الدُّمينة امرأةً من قومه يقال لها أُميمة، فهام بها مُدَّةً، فلما وصلَتْه تجنَّى عليها، وجعل ينقطعُ عنها، ثم زارها ذات يوم فتعاتَبا طَويلاً، ثم أقبلت عليه فقالت[(٢)]:

صوت

وأنْـتَ الـذِي أخلفْتَنِـي مـا وعـدتَنـي وأشْمَـتَّ بـي مَـنْ كـان فيـكَ يَلُـومُ
وأبـرَزْتَنِـي للنـاس ثـم تـركْتَنِـي لهـم غَـرَضـاً أُرْمَـى وأنـتَ سَلِيـمُ
فَلَـو أنَّ قـولاً يَكْلُـمُ الجِسْـمَ قـد بَـدَا بجسمِـيَ مِـن قَـوْلِ الـوُشـاةِ كُلُـومُ

الشعرُ لأُميمة: امرأة ابن الدُّمينة، والغِناءُ لإبراهيم الموصليّ خفيف رمَل بالوسطى، عن عمْرو والهشامي. وذكر حبَش أنَّ لإبراهيم أيضاً فيه / لَحْناً من الثقيل الأول بالوسطى، وذكر / حكم الوادي أنَّ هذا اللحنَ ليعقوب الوادي، وفيه لعريب خفيف ثقيل. [١٧/١٠١ ١٥٥/١٥]

قال: فأجابها ابنُ الدُّمينة، فقال[(٣)]:

وأنـتِ التـي قطَّعْـتِ قلبـي حـزازةً ومـزَّقْـت قَـرْحَ[(٤)] القَلْـبِ فَهْـو كَلِيـمُ
وأنـتِ التـي كلفْتِنِـي دَلَـجَ السُّـرَى وجُـونُ القَطـا بـالجَلْهَتَيْـن[(٥)] جُثـومُ
وأنـتِ التـي أحفظـتِ قـومـي فكلُّهـم بَعِيـدُ الـرِّضـا دَانِـي الصـدودِ كظيـمُ[(٦)]

قال: ثم تزوَّجها بعد ذلك، وقُتِل وهي عِنده.

قصة عاشقين

فأخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حمَّاد بن إسحاق: حدثني أبي، قال: حدثنا سعيد بن سَلْم، عن أبي الحسن الينبعيّ، قال:

بينا أنا وصديق لي مِنْ قُريش نَمْشِي بالبَلاط[(٧)] ليلاً إذا بِظِلِّ نسوة في القَمَر، فالتفتنا فإذا بجماعةِ نِسوَةٍ،

---

(١) في هامش أ من نسخة: «هزتني» وهي أيضاً رواية الديوان: ٨٨.
(٢) وكذا في ديوان ابن الدمينة: ٤٢ البيتان الأول والثاني، أما الثالث فمنسوب فيه إلى ابن الدمينة، وانظر «معاهد التنصيص»: ١/ ١٦٢ وديوان الحماسة: ٣/ ٣١٨، وفيه نسبت الأبيات إلى أمامة لا أميمة.
(٣) ديوان الحماسة ٣: ٣١٨، ديوانه ٤٢.
(٤) في هامش أ من نسخة: «جرح».
(٥) الجلهتان: موضع.
(٦) نسب هذا البيت في رواية ديوانه ٤٢ إلى صاحبته.
(٧) البلاط: موضع بين مسجد رسول الله ﷺ وسوق المدينة.

فسمعتُ واحدةً منهنَّ وهي تقول: أهُوَ هُو؟ فقالت الأُخرى: نعم، والله إنه لهو هو. فدنَتْ مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك:

ليسَتْ لَياليك في خَاخٍ[1] بعائدةٍ ... كما عَهِدْتَ ولا أيّام ذِي سَلَمِ

فقلت له: أَجبْ، فقد سمعتَ. فقال: قد والله قُطِعَ بي، وأرتج عليّ، فأجِبْ عنّي، فالتفتّ إليها ثم قلت:

فقلتُ لها: يا عَزَّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّت

[١١/١٠٢] / فقالت المرأة: أوه! ثم مضَتْ ومضَيْنا، حتى إذا كنّا بمَفرِق طريقين مضَى الفتَى إلى منزله، ومضَيْتُ أنا إلى منزلي؛ فإذا أنا بجُوَيْرية تجذبُ رِدائي، فالتفتُّ إليها، فقالت: المرأةُ التي كَلّمتْكَ تَدْعُوكَ. فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً، ثم صِرْتُ إلى بيتٍ فيه حَصِير، وثُنِيتْ لي وِسادةٌ فجلستُ عليها، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنِيَّةٍ فطرَحتْها، وجاءت المرأةُ فجلسَتْ عليها، وقالت: أنْتَ المُجيب؟ قلت: نعم. قالت: ما كان أفَظَّ جوابَك وأغلظه! قلت: واللهِ ما حضرني غيرُه. فبكتْ، ثم قالت لي: واللهِ ما خلق اللهُ خَلْقاً أحبَّ إليَّ مِنْ إنسان كان معك. قلت: أنا الضامِنُ لكِ عنه ما تُحبّين. قالت: أوَ تفعل؟ قلت: نعم. فوعَدْتُها أنْ آتِيَها به في الليلةِ القابلةِ. وانصرفت، فإذا الفَتَى ببابي، فقلْتُ: ما جاءَ بِك؟ قال: علمْتُ أنها سترسلُ إليك، وسألْتُ عنك فلم أجِدْك فعلمتُ أنكَ عندها، فجلسْتُ أنتظرك. فقلت: فقد كان كلُّ ما ظننْتَ، ووعدْتُها أنْ آتِيَها بك في الليلة القابلة. فمضى ثم أصبحنا فتهيَّأنا، ورُحْنا فإذا الجاريةُ تنتظرنا، فمضَتْ أمامَنا، حتى دخلنا الدار، فإذا برائحةِ الطِّيبِ، وجاءت فجلست مليّاً، ثم أقبلَتْ عليه فعاتبَتْه طويلاً، ثم قالت:

صوت

وأنْتَ الذي أخلفْتَنِي ما وعَدْتَنِي ... وأشمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يَلومُ[2]

وأبرزْتَنِي للناس ثم تركْتَنِي ... لهم غَرَضاً أُرْمي وأنتَ سَلِيمُ

فلو أنّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدَا ... بِجِسْمِيَ مِنْ قولِ الوُشَاةِ كُلُومُ

[١١/١٠٣] / ثم سكتَتْ، فسكت الفتى هُنيهة، ثم قال:

غَدَرْتِ ولم أغْدِر[3] وخُنْتِ ولم أخُنْ ... وفي دُونِ هَذَا للمُحِبِّ عَزَاءُ

[١٥٦/١٥] / جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ ثم صَرَمْتِنِي ... فحبُّكِ في قلبي إليكِ أداءُ

فالتفتت إليّ وقالت: ألا تسمعُ ما يقول؟ قد أخبرتك! قال: فغمزتُهُ فكفّ، ثم قالت[4]:

صوت

تجاهَلْتَ وَصْلِي حِينَ لَجَّتْ عَمايتِي ... وهلّا صرَمْتَ الحَبْلَ إذ أنا مُبْصِرُ!

ولِي مِنْ قُوَى الحَبْلِ الذي قطعْتَه ... نصيبٌ وإذ رأيِي جميعٌ مُوَفَّرُ

(١) خاخ: موضع بين مكة والمدينة.
(٢) راجع هامش ٢ من صفحة ١٠٠.
(٣) كذا ضبط في أ، والفعل كضرب ونصر وسمع، والبيتان في «المعاهد»: ١/ ١٦٤.
(٤) والمعاهد: ١/ ١٦٤.

ولكنَّمـا آذَنْـتَ بـالصَّـرْمِ[1] بَغْتَـةً ... ولسـتُ علـى مِثْـلِ الـذي جئـتَ أقْـدِرُ

غَنَّى في هذه الأبيات إبراهيم الموصليّ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر حَبَش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر.

قال: فقال الفتى مُجيباً لها[2]:

لقـد جعَلَـتْ نَفْسـي ـ وأنـت اجْتَـرَمْتِـه ... وكنـتِ أحـبَّ النـاسِ ـ عنـكِ تَطِيـبُ

فبكتْ، ثم قالت: أو قد طابَتْ نَفْسُك! لا[3] واللهِ ما فيكَ خَيْرٌ بعدها، فعليكَ السلام. ثم قامت والتفتتْ إليّ، وقالت: قد علمت أنكَ لا تفِي بضمانك عنه، وانصرفنا.

/ العباس بن الأحنف ينشد شعراً له [١٧/١٠٤]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال:

حدثني أَبِي، قال: كان العباسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به، وأفعلُ مثل ذلك، فجاءَني يوماً، فوقف بَيْنَ البابَيْن، وأنشد لابْنِ الدُّمَينة[4]:

صوت

ألا يـا صَبَـا نَجْـدٍ متى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فقـد زادَنِـي مَسْراك وَجْـداً علـى وَجْـدِ

أإنْ هتفَـتْ ورْقـاءُ فـي رَوْنَـقِ الضحـى ... علـى فَنَـنٍ غَـضِّ النبـاتِ مـن الـرَّنْـدِ[5]

بَكَيْـتَ كمـا يَبْكِـي الحـزِيـنُ صبابـةً ... وذُبْـتَ مـن الشّـوْق المُبـرِّح والصَّـدِّ

بكيـت كمـا يَبْكِـي الـوَلِيـدُ، ولـم تكـنْ ... جَزُوعـاً، وأبديْـتَ الـذي لـم تكـن تُبْـدِي[6]

وقـد زَعَمُـوا أنَّ المُحِـبَّ إذا دَنَـا ... يَمَـلُّ وأنَّ النـأْيَ يَشفـى مـن الـوَجْـدِ

بكُـلٍّ تَـداوَيْنـا فلـم يُشْـفَ مـا بِنـا ... علـى أنَّ قُـرْبَ الـدارِ خَيْـرٌ مِـنَ البُعْـدِ

وزِيد على ذلك بيت، وهو:

ولكـنَّ قُـرْبَ الـدَّارِ لَيـس بنـافـعٍ ... إذا كـانَ مَـنْ تَهْـوَاه لَيـس بِـذِي وُدِّ[7]

ثم ترنَّح ساعة، وتَرَجَّح[8] أُخرى، ثم قال: أنطَحُ العمودَ برأْسِي من حُسْن هذا! فقلت: لا، ارْفُق بنفسك.

/ الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لَحْنَان: أحدهما ماخُوريٌّ بالبِنصر أوله البيت الثاني، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوله البيت الأول. [١٧/١٠٥]

(١) في المعاهد: «بالصهر».
(٢) معاهد التنصيص: ١٦٤/.
(٣) كذا في أ وهو الوجه.
(٤) ديوانه ٨٥ باختلاف في الترتيب. الحماسة بشرح التبريزي ٣/ ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١/ ١٦٠.
(٥) في شرح الديوان: الهتاف: رفع الصوت، والورقاء: الحمامة التي لونها إلى السواد، ومنه قيل للرماد: أورق. والرّونق: البياض. والرند: الأسل.
(٦) في الديوان: «جليداً»، وهو الوجه.
(٧) في المختار والمعاهد: «على أن قرب الدار».
(٨) في س. ف: «ودبخ». ودبخ الرجل: قبب ظهره وطأطأ رأسه. وفي المعاهد: «ثم ترنح ساعة ترنح النشوان».

ابن هرمة وصديق له

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحِيّ، قال: حدثني أحمد بن سعيد عن ابن زَبَنَّج راويةِ ابْنِ هَرْمة، قال:

لقي ابنُ هَرْمة بعضَ أصدقائه بالبَلاط، فقال له: مِنْ أين أقبلت؟ قال: مِنَ المسجد، قال: فأيّ شيء صنعْتَ هناك؟ قال: كنتُ جالِساً مع إبراهيم بن الوليد المَخزُوميّ، قال: فأيّ شيء قال لك؟ قال: أمرني أنْ أُطلِّق امرأتي. قال: فأيّ شيء قلتَ له؟ قال: ما قلتُ له شيئاً. قال: فوالله ما قال لك ذلك إلاّ لأمْرٍ أظهَرْتَه عليه وكتمتنيه، أفرأيت إن أمَرْتَه بطلاقِ امرأتِه، أيُطلِّقُهَا؟ قال: لا، والله، قال: فابْنُ الدُّمينة كان أنصفَ منك، كان يَهْوَى امرأةً من قومه، فأرسلت إليه: إنّ أهلي قد نَهَوْني عن لقائك / ومُرَاسلتك، فأرسلَ إليها[1]: ١٥٧/١٥

صوت

أطعْتِ[2] الآمريكِ بقَطْعِ[3] حَبْلِي	مُريهم في أحبّهم بِذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعوكِ فطاوِعيهم	وإنْ عاصَوْكِ فاعصي مَنْ عصاكِ
أمَا والرّاقِصاتِ بكلِّ فَجٍّ[4]	ومَنْ صَلّى بنَعْمانِ الأراكِ
لقد أضمَرْتُ حُبّكِ في فُؤادي	وما أضمَرْتُ حُبّاً مِنْ سِواكِ

[١٠٦/١٧] / في هذه الأبيات لإسحاق رَمَلٌ، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى، ولعريب خفيف ثقيل، ابتداؤه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول، وفيه لمتيّم خفيف رمل آخر.

رد عاشق على صاحبته ببيتين له

وحدّثني بعضُ أصدقائنا، عن أبي بكر بن دُريد ـ ولم أسمعه منه ـ قال: حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ، عن عمّه، ووجدتُه أيضاً في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعي، فجمعت الحكايتين، قال:

مررْتُ بالكوفة، وإذا أنا بجارية تطّلعُ من جدارٍ إلى الطريق، وفتًى وَاقفٌ وظهْرُه إليّ، وهو يقول لها: أسْهَرُ فيك وتنامين عني، وتضحَكِين مِنّي وأبكي، وتستريحين وأتعب، وأمحضك المودّة وتَمْذُقِينَها[5] لي، وأصدقُك وتُنافقيني، ويأمرُك عدوّي بهَجْري فتطيعينه، ويأمرُني نَصيحي بذلك فأعصيه! ثم تنفّس وأجْهَش باكياً. فقالت له: إنّ أهْلي يمنعونني منك، وينهونني عنكَ؛ فكيف أصنع؟ فقال لها:

أطَعْتِ الآمِريكِ بصَرْمِ حَبْلِي	مُريهم في أحِبّهم بِذاكِ[6]

---

(١) معاهد التنصيص ١/ ١٦٠. وفي شرح الحماسة للتبريزي ٣/ ١٧٥ نسبت لخليد مولى العباس بن محمد المعروف بابن العميثل، وكذا في معجم البلدان (نعمان).

(٢) في أ: «أريت الأيك»، وفي الهامش من نسخة: «أطعت».

(٣) في المختار: «ببتّ حبلي».

(٤) في المختار: «بذات عرق».

(٥) أمحضك المودة: أخلصها. وتمذقينها، من مذق اللبن، إذا خلطه بالماء، أي لا تخلصين المودة.

(٦) في أ: «أريت» وفي هامشها من نسخة: «أطعت».

فإنْ هُمْ طَاوَعُوك فطاوِعيهم ... وإنْ عاصَوْك فاعصي مَنْ عصَاكِ

ثم التفتَ فرآني، فقالَ يا فتى؛ ما تقول أنْتَ فيما قلت؟ فقلتُ له: والله لو عاش ابنُ أبي ليلى ما حكم إلاّ بمثل حُكْمك.

تمّتْ أخبارُ ابْنِ الدُّمَيْنة

[١٠٧/١٧]

صوت

وإنَّ الذي بَيْني وبَيْنَ بَنِي أبي ... وبَيْنَ بني عَمِّي لمُخْتَلِفٌ جِدّا[1]

فما أحْمِلُ الحقدَ القديمَ عليهمُ ... وليس رئيسُ القوم من يحملُ الحِقدا

وليسوا إلى نَصْرِي سِرَاعاً وإنْ هُم ... دعَوْني إلى نَصْرٍ أتيتهمُ شَدّا

إذا أكلوا لَحْمي وَفَرْتُ لحومَهم ... وإنْ هدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدَا

يعاتِبُني في الدَّيْنِ قومي وإنما ... تدَيَّنْتُ في أشياءَ تُكسِبهم حَمْدا

عروضُه من الطويل. الشعرُ للمقنَّع الكنديّ، والغناء لابن سُريج رمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه مِنْ روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى أنَّ لَحْنَ ابن سريج خفيف ثقيل. وذكر إبراهيم أنَّ فيه لِقَفَا النّجار لم يذكُرْ طريقته، وأظنُّه من خفيف الثقيل.

(١) الأبيات في معجم الشعراء ٣٣٣، واللآلي ٦١٥ مع اختلاف في الرواية. وفي اللآلي: «وأنشد يعقوب بن السكيت هذا الشعر لحاتم».

[١٠٨/١٧

/ نسب المقنّع الكندي وأخباره

سبب تلقيبه بالمقنع

١٥٨/١٥ المقنَّع لقبٌ غلب عليه؛ لأنه كان أجملَ الناس وَجْهاً، وكان إذا سفَر اللِّثام عن وجهه / أصابَتْه العَيْن.

قال الهيثم: كان المقنَّع أحْسَنَ الناس وَجْهاً، وأمدَّهم قامةً، وأكملهم خَلْقاً، فكان إذا سفر لُقع ـ أي أصابته أعينُ الناس ـ فيمرض، ويلحقه عنَتٌ[١]؛ فكان لا يمشي إلاّ مُقَنَّعاً.

نسبه

واسمه محمد بن ظَفَر بن عُمَير[٢] بن أبي شمر بن فُرْعان بن قيس بن الأسود بن عَبْد الله بن الحارث الولاَّدة ـ سمِّي بذلك لكثرة ولده ـ بن عَمْرو بن مُعاوية[٣] بن كِنْدَة بن عُفَير بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان.

شاعر أموي مقل

شاعر مُقِلٌّ مِنْ شعراء الدولة الأموية، وكان له مَحلٌ كبير، وشَرَف ومروءة وسؤدد في عَشِيرته.

قال الهَيْثَمُ بن عَديٍّ: كان عُمَير جدُّه سيِّدَ كِنْدَة، وكان عمُّه عمرو بن أبي شِمِر يُنازِعُ أباه الرِّياسة ويساجِله فيها، فيقصِّر عنه.

أتلف ماله في عطاياه

ونشأ محمد بن عُمَير المقنَّع، فكان متخرِّقاً في عَطاياه، سَمْح اليَد بمالِه، لا يَرُدُّ سائلاً عن شيء حتى أتْلَفَ كلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ، فاستعلاهُ[٤] / بَنُو عَمِّه عَمْرو بن أبي شمَرٍ بأموالهم وجاههم. [١٠٩/١١

بنو عمه لم يزوجوه أختهم لفقره ودينه

وهَوِيَ بِنتَ عَمِّه عَمْرو فخطبها إلى إخوتها، فردُّوه وعيَّرُوه بتخرُّقه وفَقْرِه وما عليه مِنَ الدَّيْن؛ فقال هذه الأبيات المذكورة.

(١) عنت، أي مشقة، وفي أ: «ويلحقه عيب».

(٢) في أ: «عميرة»، والمثبت يوافق ما في الشعر والشعراء أيضاً ٧١٥، وفي اللآلي: «هو محمد بن عميرة» ويقال: «ابن عمير».

(٣) في المختار: «ابن معاوية بن ثور بن مريع بن معاوية بن كندة».

(٤) في أ: «فاستعداه».

شاعر يفضل شعراً له تعريضاً ببخل خليفة

وأخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدثني محمد بن زكريا الغِلابيّ، عن العُتْبيّ، قال: حدثني أبو خالد مِنْ وَلَدِ أُميّة بن خَلَف، قال:

قال عبد الملك بن مَرْوان ـ وكان أول خليفة ظهر منه بُخْل ـ: أيُّ الشعراء أفضل؟ فقال له: كثير بن هَراسَة، يعرِّض ببُخْل عبد الملك: أفضلهم المقنّع الكنديّ حيث يقول:

إنــي أحــرِّضُ أهــلَ البُخْــل كُلَّهــم ... لــو كــان ينفَــعُ أهــلَ البخــل تَحْـرِيضـي
مــا قَــلَّ مَــالِــيَ إلاَّ زادَنــي كــرَمــاً ... حتــى يكــونَ بــرزقِ اللهِ تعــويضـــي
والمـــالُ يــرفــعُ مَــنْ لَــوْلاَ دَراهِمُــه ... أمســى يُقَلِّــبُ فينــا طَــرْفَ مخفــوضِ
لــن تُخْــرِجَ البيــضُ عَفْــواً مــن أكفهُــم ... إلاَّ عَلَــى وَجَــعٍ[1] منهــم وتَمْــرِيــض
كــأنَّهــا مِــنْ جلُــودِ البــاخليــن بهــا ... عنــد النــوائــب تُحْــذَى بــالمقــاريــض[2]

فقال عبد الملك ـ وعرف ما أرَاد ـ: اللهُ أصدق من المقنّع حيث يقول: ﴿والذين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُروا﴾[3].

[١١٠/١٧]

صوت

يــابْــنَ هشــام يــا علِــيّ النَّــدَى ... فَــدَتْــك نَفْسِــي وَوَقَتْــكَ الــرَّدَى
نسيــتَ عَهْـــدِي أوْ تنـــاسيْتَنِـــي ... لَمّــا عَــدَانِــي عَنْــكَ صَــرْفُ النَّــوَى

الشعرُ والغناء لإسحاق الموصليّ رمل بالبنصر.

(١) في أ: «على وجل».
(٢) تحذى: تقطع.
(٣) سورة الفرقان ٦٧.

[١١١/١٧]

/ خبر لإسحاق وابن هشام

وهذا الشعر يقولُه في عليّ بن هشام أيام كان إسحاق بالبَصْرَة، وله إليه رسالةٌ حسَنة، هذا موضع ذكرها، أخبرنا بها عَليُّ بن يحيى المنجّم، عن أبيه، ووقعَتْ إلينا من عِدَّةِ وُجوه:

رسالته إلى علي بن هشام

أن إسحاق كتب إلى عليِّ بن هشام: «جُعلتُ فداك! بعثَ إليَّ أبو نصر مولاك بكتابٍ مِنْكَ إليَّ يرتفعُ عن قَدْري، ويقصُر عنه شُكْري، فلولا ما أعرِف من معانِيه لظننت أنَّ الرسولَ غلط بي فيه، فما لنا ولك يا عبدَ الله، تَدَعُنا حتى إذا أُنسينا الدنيا وأبغضناها، ورجَوْنا السلامةَ مِنْ شَرِّها، أفسدْتَ قلوبَنا وعلّقت أنفسنا، فلا أنت تُرِيدنا، ولا أنت تتركنا؛ فبأيِّ شيء تستحِلُّ هذا! فأما ما ذكرْتَه مِنْ شوقك / إليَّ فلولا أنك حَلَفْتَ عليه لقلت:

١٥٩/١٥

يـا مَـنْ شكـا عَبَثـاً إلينـا شَـوْقَـهُ ... شَكْـوَى المُحِـبِّ وليـس بـالمُشْتـاقِ
لـو كنْـتَ مشتـاقـاً إلَـيَّ تُـرِيـدُنـي ... مـا طِبْـتَ نفسـاً سـاعـةً بِفِـراقِـي
وحفِظْتَنِـي حِفْـظ الخليـلِ خليلَـه ... ووفَيْـتَ لـي بـالعَهْـدِ والميثـاقِ
هيهـاتَ قـد حـدثَـتْ أُمـورٌ بَعْـدَنـا ... وشُغِلْـتَ بـاللّـذَّاتِ عـن إسحـاقِ

وقد تركتُ ـ جُعلت فِداك ـ ما كرهتَ من العِتاب في الشعر وغيره، وقلت أبياتاً لا أزال أخرجُ بها إلى ظَهْر المِرْبَد، وأستقبِلُ الشّمال، وأتنسَّم أرواحكم فيها، ثم يكونُ ما اللهُ أعلمُ به، وإن كنتَ تكرهها تركتها إن شاء الله:

ألاَ قـد أرى أنَّ الثَّـوَاءَ قَليـلُ ... وأنْ لَيْـس يَبْقَـى للخليـلِ خَليـلُ
وإنـي وإنْ مُكِّنْـتُ[1] فـي العَيْـشِ حِقْبَـةً ... كـذِي سَفَـرٍ قـد حـان منـه رَحِيـلُ
/ فهـلْ لـي إلـيّ أنْ تنظـرَ العَيْـنُ مَـرَّةً ... إلـى ابْـنِ هشـامٍ فـي الحيـاةِ سَبِيـلُ؟!
فقـد خِفْـتُ أنْ أَلْقَـى المنـايـا بحَسْـرَةٍ ... وفـي النفْـسِ مِنْـه حـاجـةٌ وغَليـلُ

[١١٢/١٧]

وأمّا بعد، فإني أعلمُ أنك ـ وإن لم تَسَلْ عن حَالِي ـ تحِبُّ أنْ تعلمَها وأنْ تأتِيَك عَنّي سلامةٌ؛ فأنا يوم كتبتُ إليك سالم البدنِ، مريض القَلْبِ.

يطلب رأي ابن هشام في كتاب سيصنعه

وبعد: فأنا ـ جُعِلتُ فداك ـ في صَنْعةِ كتابٍ مَليح ظريف، فيه تسميةُ القومِ ونسبُهم وبلادُهم، وأسبابُهم وأزمنتهم، وما اختلفُوا فيه من غِنائهم، وبعضُ أحاديثهم، وأحاديثُ قِيان الحجاز والكوفة والبَصْرة المعروفات والمذكورات، وما قيل فيهنَّ من الأشعار، ولِمَنْ كُنَّ، وإلى مَنْ صِرْن، ومَنْ كان يَغْشاهُنَّ، ومَنْ كان يُرَخّص في

---

(١) في هامش أ من نسخة: «وإن مليت».

السماع من الفقهاء والأشراف، فأَعْلِمْنِي رَأْيَكَ فيما تشتهي لأَعملَ على قَدْرِ ذلك، إن شاء الله.

وقد بعثتُ إليك بأُنموذج، فإنْ كان كما قال القائل: «قبح اللهُ كلَّ دَنّ أوّلُه دُرْدِيّ»[1]، لم نتجشّم إتمامَه، وربحنا العناءَ[2] فيه، وإنْ كان كما قال العربيّ: «إن الجوادَ عَيْنُه فِرارُه»[3] أعلمتنا؛ فأتمَمْناه مسرورينَ بحُسْنِ رَأْيِك فيه، «إنْ شاء الله».

وهذا مما يدلُّ على أنَّ «كتابَ الأغاني» المنسوب إلى إسحاق ليس له؛ وإنما أُلِّف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء، غير مختلط بعضها ببعض.

وحشة بعد ألفة

وكان إسحاق يألفُ علياً وأحمد ابنيْ هِشام وسائرَ أهلهما إلْفاً شديداً، / ثم وقعَت بينهم نَبْوَةٌ ووَحْشة في أمرٍ [١١٣/١٧] لم يقَعْ إلينا إلاّ لُمَعاً غَيْرَ مشروحة، فهجاهم هجاءً كثيراً، وانفرجت الحالُ بينه وبينهم.

شعره في مصعب وصباح

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن عليّ بن يحيى وغيرهما، عن أبي أيوب سليمان المدينيّ، عن مُصْعب، قال:

قال لي أحمد بن هشام: أما تَسْتَحي أنتَ وصباح بن خاقان، وأنتما شيخان مِنْ مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شبّب بذكركما إسحاق في الشعر، وهو معنٌ مذكور، فيقول:

قد نهانا مُصْعَبٌ وصباحٌ ... فعَصَيْنا مُصْعَباً وصَباحا
عَذَلاً ما عَذَلاً أمْ مَلاماً ... فاسترَحْنا منهما فاستراحا

ويروى:

* علما في العَذْل أمْ قد ألاما *

ويروى:

* عذلا عَذْلَهما ثم أناما *

/ فقلتُ: إن كان فعل فما قال إلاّ خيراً، إنما ذكرَ أنّا نهيناه عن خَمْرٍ شربها، وامرأةٍ عشقها، وقد أشاد باسْمِك ١٦١/١٥ في الشعر بأشدَّ من هذا، قال: وما هو؟ قلت: قوله:

شعره في عيّ أحمد بن هشام

وصافيةٍ تَغْشَى[4] العيونَ رقيقةٍ ... رهينةِ عامٍ في الدِّنان وعَامِ

(١) دردي الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله، وأصل معناه ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان.

(٢) في أ: «الغناء».

(٣) في «اللسان»: من أمثالهم: إن الجواد عينه فراره، أي يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه. وفي «اللسان ـ فرر»: رواه الجوهري بالفتح، وعن أبي سعيد السيرافي أنه كان يكسر الفاء ويقول: قد لج في ضم الفاء من لا يعتد به. وانظر المستقصى ٣١٥/١.

(٤) في أ: «تمشى العيون».

أَدَرْنَا بِهَا الكَأْسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنَاً ... مِنَ اللَّيلِ حَتَّى انْجَابَ كُلُّ ظَلامِ
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا ... مِنَ العِيِّ نَحْكِي أحمدَ بْنَ هِشَامِ

[١١٤/١٧] / قال: أو قد فعل العاضّ بَظْر أُمّه! قلت[1]: إي والله لقد فعل.

إلى ها هنا رواية مصعب.

أحمد بن هشام يتوعده

ووجدتُ هذا الخبرَ في غير روايته، وفيه زيادة قد ذكرتُها، قال: فآلى أحمد بن هشام أنْ يبلُغَ فيه كلَّ مبلغ يقدرُ عليه، وأن يجتهد في اغتياله.

علي بن هشام يصلح بينه وبين أخيه أحمد

قال إسحاق: حضرتُ بدار الخليفة، وحضر عليّ بن هشام، فقال لي: أتهجُو أخي وتذكره بما بلغَني من القبيح؟ فقلت: أوَ يتعرَّضُ أخوك لي ويتوعَّدني! فوالله ما أُبالي بما يكون منه؛ لأني أعلَمُ أنه لا يقدرُ لي على ضرّ، والنفع فلا أُريده منه، وأنا شاعر مغنٍّ، والله لأهجونَّه بما أفرى به جِلْدَه، وأهتك مروءتَه، ثم لأغنينَّ في أقبح ما أقولُه فيه غناءً تسري به الرُّكبان. فقال لي: أوَ تهبُ لي عِرْضَه، وأُصلح بينكما؟ فقلت: ذاك إليك. وإن فعلتَه فلكَ لا لَه. ففعل ذلك، وفعلته به.

ابن عائشة يهجو مصعباً وصباحاً

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحويّ، قال:

كان صباح بن خاقان المنقريّ نديماً لمصعب الزُّبيري، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة ـ وكان خليعاً من أهل البصرة ـ:

مَنْ يكن إبْطُه كآباطِ ذَا الخَلْقِ فإبْطاي في عِداد الفِقاحِ[2]
لِيَ أبْطانِ يَرْمِيانِ جَلِيسي ... بشبيه السُّلاح بَلْ بالسُّلاحِ
فكأنِّي مِنْ نَتْنِ هذا وهذا ... جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصباحِ

ينشد الفضل بن الربيع

[١١٥/١٧] أخبرني عليّ بن يحيى المنجم، قال: حدثني أبي، قال: حدثني إسحاق، / قال: دخلتُ على الفضل بن الربيع يوماً، فقال: ما عندك؟ قلت: بيتان أرجو أنْ يكونا فيما يُستطرف، وأنشدته:

سَتُغْضِي عن المكروهِ من كلِّ ظالمٍ ... ونصبرُ حتى يصنَعَ اللهُ بالفَضْلِ
فتنتصرُ الأحرارُ ممَّنْ يَضِيمُها ... وتُدرِكُ أقصى ما تطالِبُ من ذَحْلِ[3]

قال: فدمعت عينُه، وقال: مَن آذاك لعنه الله؟ فقلت: بنو هاشم، وأخبرتُه الخبر.

---

(١) في الأصل: قال.
(٢) الفقحة: الدبر، والجمع فقاح.
(٣) الذحل: الثأر.

قال يحيى بن علي: ولم يذكر بأي شيء أخبره.

[١١٦/١٧]

/ صوت

قد حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي[١] فما ... أطعَمُ نوماً غَيْرَ تَهْجاعِ

أَسْعَى على جُلِّ بَنِي مالكٍ ... كلُّ امرىء في شأنِه ساعِ

مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا ... مُرّاً، وتتركه بجَعْجاعِ[٢]

لا نألم القَتْلَ ونَجْزِي به الأعداء كَيْلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ[٣]

الشعر لأبي قيس بن الأسلت، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل أول. وقيل: بل هو لمعبد.



(١) حصت: أذهبت الشعر من رأسه. والبيضة هنا: الخوذة.

(٢) الجعجاع: الأرض التي لا أحد بها، واستشهد الجوهري بهذا البيت على الأرض الغليظة.

(٣) الأبيات في الجمهرة ٦٥٣، ٦٥٤، وابن الأثير ١: ٤١٤.

[١١٧/١٧]

/ نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

نسبه

١٦١/١٥ / أبو قيس لم يقع إليَّ اسْمُه غير ابن الأسلت[١]، والأسلت لقب أبيه[٢]، واسمه عامر بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأَوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر.

من شعراء الجاهلية

وهو شاعِرٌ من شُعراء الجاهلية، وكانت الأوسُ قد أسندت إليه حَرْبَها، وجعلَتْه رئيساً عليها، فكفى وسادَ. وأسلم ابنُه عقبة بن أبي قيس، واستشهد يَوْمَ القادسيّة.

وكان يزيد بن مِرْداس السُّلَمِيّ أخو عباس بن مرداس الشاعر قتَل قَيْس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت، حتى تمكَّن مِنْ يزيد بن مرداس، فقتله بقَيْس بن أبي قيس، وهو ابنُ عمه.

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت:

أقيسُ إن هلكتُ وأنتَ حيٌّ ... فلا تعدَمْ مُواصَلَةَ الفَقِيرِ

وهذا الشِّعْرُ الذي فيه الغِناءُ يقوله أبو قيس في حَرْبِ بُعاث[٣].

رأي الأوس في حربها

[١١٨/١٧] قال هشام بن الكلبي: كانت الأوسُ قد أسندوا أمْرَهم في يوم بُعاث / إلى أبي قيس بن الأسلت الوائليّ، فقام في حَرْبهم وآثرها على كلِّ أمْرٍ حتى شَحُبَ وتغيَّر، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة. ثم إنه جاء ليلةً فدقَّ على امرأتِه، وهي كَبْشة بنت ضَمْرَة بن مالك بن عَدِيِّ بن عَمْرو بن عوف، ففتحت له؛ فأهوى إليها بيده فدفعَتْه، وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس! فقالت: والله ما عرفتُك حتى تكلَّمْتَ. فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة، وأولها[٤]:

قالت ولم تَقْصِدْ لقِيلِ الخَنا[٥]: ... مَهْلاً فقد أبلغْتَ أسْماعِي

استنكرتْ لَوْناً لَهُ شاحِباً[٦] ... والحربُ غُولٌ ذاتُ أوْجاعِ

---

(١) في هامش أ: «اسمه صيفي، وهو أشهر من ألا يقع لأحد». وقال ابن حجر في الإصابة: وقيل عبد الله، وقيل غير ذلك.

(٢) في ج: «لقب عليه»، وفي م: «والأسلت واسمه صيفي، وهذا أشهر من ألا يقع لأحد».

(٣) بعاث، بالضمّ: موضع من المدينة على ليلتين. وفي ياقوت: «وحكاه صاحب العين بالغين المعجمة، ولم يسمع من غيره».

(٤) من قصيدة مفضلية برقم ٧٥ (ص ٢٨٣).

(٥) لم تقصد: لم تأت القصد، وهو الوسط في الأمور، وهو العدل. والخنا: الكلام الرديء.

(٦) رواية المفضليات: «أنكرته حين توسمته».

مَــنْ يَــذُقِ الحَــرْبَ يَجِــدْ طعْمَهــا مُــــرّاً وتَتــــرُكْــــه بِجَعْجَــاعِ[١]

[يـوم بُعـاث]

يوم بعاث وسببه

فأما السبَبُ في هذا اليوم ـ وهو يوم بعاث ـ فيما أخبرني به محمد بن جرير الطبريّ، قال: حدثنا[٢] محمد بن حميد الرازيّ، قال: حدثنا سلمة بن الفَضْل، عن محمد بن إسحاق، وأضفت إليه ما ذكره ابنُ الكلبيّ عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي عبيدة، عن محمد بن عمّار بن ياسر، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغَسِيل ابن أبي عامر الراهب:

الأوس تطلب عون بني قريظة والنضير

أنّ الأَوس كانت استعانت ببَني قُرَيظة والنَّضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج، وبلغ ذلك الخزرج، فبعثت إليهم: إنَّ الأَوْس فيما بلغنا / قد استعانَتْ بكُمْ علينا، ولن يُعجزنا أنْ نستعينَ بأعدادكم وأكثرَ منكم [١١٩/١٧] مِن العرب، فإنْ ظفرْنا بكم فذاكَ ما تكرهون، وإن ظفرتُمْ لم نَنَمْ عن الطَّلب أبداً، فتصيروا إلى ما تكرهون، ويشغلكم مِنْ شأننا ما أنتمُ الآن منه خالون، وأسلَمُ لكم من ذلك أنْ تَدَعونا وتخلّوا بيننا وبين إخواننا.

الخزرج تحتفظ برهائن من قريظة والنضير

فلما سمعوا ذلك عَلِموا أنه الحقّ؛ فأرسلوا إلى الخزرج: إنه قد كان الذي بلغكم، والتمست الأَوْس نَصْرنا، وما كنا لِنَنْصُرهم عليكم أبداً. فقالت لهم الخزرج: فإن كان ذلك كذلك فابعثُوا إلينا برَهائن تكونُ في أيدينا. فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم، ففرَّقهم الخزرجُ في دُورهم فمكثوا بذلك مدةً.

عمرو بن النعمان يرغب قومه في منازل بني قريظة والنضير

ثم إنَّ عَمْرو بن النعمان البَيَاضِيّ قال لقومه بَياضة: إنَّ عامراً أنزلكم مَنْزِل سُوء بين سَبخَة ومفازة، وإنه والله لا يمسّ رأسي غُسْل حتى أُنْزِلكم منازلَ بني قرَيْظَة والنَّضِير على عَذْبِ الماء وكريم النَّخْلِ. ثم راسلهم: إمَّا أن تُخلوا / بيننا وبين دِياركم نسكنُها، وإمَّا أنْ نقتل رُهُنكم، فهَمُّوا أن يَخرُجوا من دِيارهم، فقال لهم كَعْب بن أسَدِ القُرَظيّ: [١٦٢/١٥] يا قَوْمُ، امنعوا ديارَكم، وخلُّوه يقتلُ الرُّهُن، والله ما هِيَ إلاّ ليلة يُصِيبُ فيها أحدُكم امرأتَه حتَّى يولد له غُلام مثل أحد الرُّهن.

غدر عمرو بن النعمان بالرهن

فاجتمع رأيُهم على ذلك، فأرسلوا إلى عمرو بألاّ نُسلّم لكم دُورَنا، وانظروا الذي عاهدتمُونا عليه في رُهننا، فقوموا لنا به، فعدا عَمْرو بن النّعمان على رُهنهم هو ومَنْ أطاعه من الخزرج، فقتلوهم وأبَى عَبْدُ الله بن أُبَيّ ـ وكان سيِّداً حَلِيماً ـ وقال: هذا عقوقٌ ومَأثم وبَغْي؛ فلستُ مُعِيناً عليه، ولا أحَدٌ من قومي أطاعَنِي. وكان عنده في الرُّهُن

(١) المفضليات: «وتحبسه بجعجاع» وانظر رقم ٢ من هامش ص ١١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٥٧.

[١٢٠/١٧] سُلَيم[١] بن أسَد القرظيّ ـ / وهو جَدُّ محمد بن كعب القرظيّ ـ فخلَّى عنه، وأطلق ناسٌ مِن الخزرج نَفراً فلحقوا بأهليهم، فناوشَتِ الأوْسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئاً مِنْ قتال غير كبير.

اجتماع قريظة والنضير على معاونة الأوس على الخزرج

واجتمعت قريظة والنَّضِير إلى كعب بن أسد، أخي بني عمرو بن قريظة، ثم توامروا أن يُعينُوا الأوسَ على الخزرج؛ فبعث إلى الأوْس بذلك.

بنو قريظة والنضير يؤوون النبيت في دورهم

ثمّ أجمعوا عليه، على أن ينزل كلُّ أهلِ بَيْتٍ من النَّبِيت[٢] على بيت من قريظة والنضير، فنزلوا معهم في دُورهم، وأرسلوا إلى النَّبِيت يأمُرونهم بإتيانهم، وتعاهَدُوا ألّا يُسلموهم أبداً، وأنْ يقاتِلُوا معهم حتى لا يَبْقَى منهم أحد. فجاءتهم النَّبِيت فنزلوا مع[٣] قُريظة والنَّضير في بيوتهم، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقِيام معهم على الخَزْرَج، فأجابوهم إلى ذلك. فاجتمع المَلأُ منهم، واستحكم أمْرُهم، وجدّوا في حَرْبهم، ودخلت معهم قبائلُ مِن أهْلِ المدينة، منهم بنُو ثعلبة ـ وهم من غسان ـ وبنو زَعْوراء، وهم من غَسّان.

مشاورة الخزرج عبد الله بن أُبَيّ في حرب الأوس

فلما سمعَتْ بذلك الخزرجُ اجتمعوا، ثم خرجوا، وفيهم عَمْرو بن النعمان البَياضيّ، وعمرو بن الجَمُوح السُّلميّ، حتى جاءُوا عَبْدَ الله بن أُبَيّ، وقالوا له: قد كان الذي بلغكَ من أمر الأوْسِ وأمْر قُرَيْظَة والنَّضير واجتماعهم على حَرْبنا، وإنّا نرى أنْ نُقاتِلَهم، فإنْ هزَمْناهُمْ لم يحْرِزْ أحدٌ منهم مَعْقِلَه ولا ملجأه حتى لا يَبْقَى منهم أحد.

[١٢١/١٧] فلما فرغوا من مَقالتهم قال عبدُ الله بن أُبَيٌّ خطيباً وقال: إنّ هذا بَغْيٌ / منكم على قومكم وعقُوق، ووالله ما أُحِبُّ أنّ رِجْلاً[٤] مِنْ جَراد لقيناهم.

تحذير عبد الله بن أُبَيّ عاقبة الغدر

وقد بلغني أنهم يقولون: هؤلاء قوْمُنا منعونا الحياةَ أفيمنعوننا الموت! والله إني أرى قوماً لا ينتهون أو يُهْلِكُوا عامّتكم، وإني لأخاف إنْ قاتلوكم أن يُنْصَرُوا عليكم لبَغْيِكم عليهم، فقاتلوا قوْمَكم كما كنْتُم تقاتلونَهم، فإذا وَلُّوا فخلُّوا عنهم، فإذا هزمُوكم فدخلتم أدْنَى البيوتِ خَلَّوْا عنكم. فقال له عَمْروَ بن النعمان: انتفخ والله سَحْرُك[٥] يا أبا الحارث حينَ بلغك حِلْفُ الأوس قريظة والنضير! فقال عبدُ الله: واللهِ لا حَضَرْتكم أبداً، ولا أحد أطاعَني أبداً، ولكأني أنظر إليك قتيلاً تحملُك أربعةٌ في عَباءة[٦].

---

(١) كذا في المختار، وهو يوافق ما في الإصابة، وفي الأصول: «سليمان».

(٢) النبيت: أبو حي باليمن، واسمه عمرو بن مالك. القاموس: «نبت»، وفي جمهرة أنساب العرب ٣١٩: النبيت بنو عمرو بن مالك بن الأوس.

(٣) كذا في (ج) والمختار. وفي ب. م: فنزلوا معهم.

(٤) الرجل من الجراد: القطعة العظيمة منه.

(٥) أصل السحر، بفتح فسكون: «الرئة». وانتفخ سحرك: جاوزت قدرك.

(٦) العباءة: كساء معروف. «القاموس».

تولية الخزرج عمرو بن النعمان أمر حربهم

وتابع عبدَ الله بن أُبيٍّ رجالٌ من الخزرج، منهم عمرو بن الجَموح الحَراميّ. واجتمع كلامُ الخزرج على أنْ رأسوا عليهم عَمْرو بن النعمان البيَاضيّ، وولَّوْه أمْرَ حَرْبهم، ولبثت الأوْسُ والخَزْرَج أربعين ليلة يتصنَّعُون للحَرْب، ويجمع بعضُهم لبعض، ويُرسلون إلى حُلفائهم من قبائل العرب.

حُضَيْر الكتائب يحرض الأوس على القتال

فأرسلت الخزرجُ إلى جُهينة وأشْجَع، فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شَمَّاس، فأجابوه، / وأقبلوا إليهم، وأقبلت جُهينة إليهم أيضاً. وأرسلت الأوْسُ إلى مُزَيْنَة، وذهب حُضَيْر الكتائب الأشهليُّ إلى [١٦٣/١٥] أبي قَيْس بن الأسلت، فأمره أنْ يجمَعَ له أوْس الله، فجمعهم له أبو قيس، فقام حُضَيْر، فاعتمد على قَوْسه، وعليه نَمِرَة[1] تَشِفُّ عن عَوْرَته، فحرَّضهم / وأمرهم بالجِدِّ في حَرْبهم، وذكر ما صنعَتْ بهم الخَزْرَجُ مِنْ إخراج النَّبِيت [١٧/٢٢] وإذلال مَنْ تخلَّف من سائر الأوْس، في كلامٍ كثير.

استجابة الأوس لما أراده حضير

فجعل كُلَّما ذكر ما صنعَتْ بهم الخزرجُ وما رَكِبُوه منهم يستشِيطُ ويَحْمى، وتَقْلِصُ[2] خُصْيتاه، حتى تَغِيبا، فإذا كلَّموه بما يُحِبُّ تدلَّتا حتى ترجعا إلى حالهما. فأجابته أوْسُ الله بالذي يُحِبُّ من النَّصْرة والموازَرة والجِدِّ في الحرب.

قال هشام: فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى، عن خير[3]، عن أشياخ منْ قومه: أن الأوس اجتمعت يومئذ إلى حُضير بموضع يقال له الجباة[4]، فأجالُوا الرَّأي، فقالت الأوس: إن ظفِرْنا بالخزرج لم نُبْقِ منهم أحداً ولم نقاتِلهم كما كنا نقاتِلهم. فقال حُضير: يا معشر الأوْس؛ ما سُمِّيتم الأوس إلاّ لأنكم تَؤُوسون[5] الأمورَ الواسعة. ثم قال:

يـا قـوم قـد أصْبَحْتُـمُ دَوَاراً[6] لمعشَـرٍ قـد قَتَلُـوا الخِيـارا
* يُوشِكُ أنْ يستأْصِلُوا الدِّيارا *

قال: ولما اجتمعت بالجباة طَرحُوا بين أيديهم تَمْراً، وجعلوا يأكلون / وحُضَيرُ الكتائب جالِسٌ، وعليه بُرْدَةٌ له قد [١٧/٢٣] اشتمل بها الصمَّاء[7]، وما يأكل معهم، ولا يَدْنُو إلى التمر غَضَباً وحنَقاً.

---

(١) النمرة: بردة من صوف يلبسها الأعراب.

(٢) تقلص: تنقبض.

(٣) في أ: «عن حبر».

(٤) كذا في المختار. والجباة: ما حول البئر، أو أنه مخفف الجِباة، بمعنى الأكمة.

(٥) في «اللسان» «أوس»: وأوس قبيلة من اليمن، واشتقاقه من آس يؤوس أوساً، والاسم الإياس، وهو من العوض.

(٦) أصل الدوار صنم كانت العرب تنصبه ويجعلون موضعاً حوله يدورون به، واسم ذلك الصنم والموضع الدوار، وهو بالضم، وقد يفتح. قال في «اللسان»: والأشهر في اسم الصنم دوار بالفتح. ومنه قول امرىء القيس في معلقته:

* عَذارَى دَوَارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ *

(٧) في «اللسان»: «اشتمال الصماء: أن تجلل جسدك بثوبك، نحو شملة الأعراب بأكسيتهم؛ وهو أن يردّ الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً».

ش ۹ ٤٥٦٨ع

عقد الرياسة له

فقال: يا قوم، اعقدوا لأبي قَيْس بن الأسلت. فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك؛ فإني لم أُرأس على قَوْمٍ في حَرْب قطّ إلاّ هُزِموا وتشاءموا برياستي. وجعلوا ينظرون إلى حُضير واعتزالِه أكلهم واشتغالِه بما هم فيه من أمْر الحرب، وقد بدت خصْيَتاه من تحت البُرْد، فإذا رأى منهم ما يكره من الفُتور والتخاذل تقلّصتا غَيْظاً وغضباً، وإذا رأى منهم ما يُحِبُّ من الجدّ والتشمير في الحرب عادَتا لحالهما.

وأجابت إلى ذلك أوسُ مَناة، وجدُّوا في المُوَازرة والمظاهرة. وقدمَتْ مُزَينة على الأوس، فانطلق حُضَير وأبو عامر الراهب بن صَيْفِيّ إلى أبي قَيْس بن الأسلت، فقالا: قد جاءتنا مُزَينة، واجتمع إلينا من أهل يثْرب ما لاَ قِبَل للخزرج به، فما الرَّأيُ إنْ نحن ظَهَرْنا عليهم: الإنْجاز أم البَقيَّة؟ فقال أبو قَيْس: بل البقيَّة، فقال أبو عامر: والله لوددتُ أنَّ مكانهم ثَعلباً ضَبَّاحاً[1]. فقال أبو قيس: اقتلُوهم حتى يقولوا: بزا بزا[2] ـ كلمة كانوا يقولونها إذا غُلِبوا ـ فتَشَاجَرُوا في ذلك، وأقسم حُضير ألاّ يشرب الخمر أو يظهرَ ويَهْدِم مُزاحِماً أُطُمَ عَبْد الله بن أبيّ.

حُضير الكتائب يقسم على هدم مزاحم أطم عبد الله بن أبيّ

فلبثوا شَهْرَيْن يُعِدُّون ويستعِدُّون، ثم التقوا بِبُعاث، وتخلَّف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث، فبعثوا إلى الخزرج: إنَّا والله ما نريد قتالكم. / فبعثُوا إليهم أن ابْعَثُوا إلينا برهُنٍ منكم يكونون في أيدينا، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً، منهم خَدِيج، أبو رافع بن خديج. [١٢٤/١]

وبعاث: من أموال بني قريظة، فيها مزرعة يقال لها قَوْرَى؛ فلذلك تُدْعَى بُعاث الحرب[3].

حشد القوات

وحشد الحيَّانِ فلم يتخلف عنهم إلاَّ مَنْ لا ذِكْرَ له. ولم يكونوا حَشَدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه، فلما رأت الأوْسُ الخزرجَ أعظموهم، وقالوا لحُضَير: يا أبا أُسَيْد، لو حاجزْتَ / القوم، وبعثتَ إلى مَنْ تخلَّف من حُلفائك مِنْ مُزَيْنة! فطرح قوساً كانت في يدِه، ثم قال: أنتظر مُزَيْنَةَ، وقد نظر إليَّ القوم ونظرتُ إليهم! الموت قبل ذلك. [٤٤٤ / ١٥]

فرار الأوس من المعركة

ثم حمل وحملوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت الأوْسُ حين وجَدُوا مَسَّ السلاح، فولّوا مُصْعِدين في حَرَّة قَوْرَى نحو العُرَيْض[4]، وذلك وَجْه طريق نَجْد.

الخزرج يعيرون الأوس

فنزل حُضَيْر، وصاحت بهم الخزرج: أين الفرار؟ ألا إنَّ نجداً سنةٌ ـ أي مُجْدب ـ يُعَيِّرُونهم.

---

(١) ضباحاً، أي يخرج من فمه صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة. وفي المختار: «صياحاً».

(٢) في المختار: «نزا نزاً».

(٣) في المختار: «بعاث الخزرج».

(٤) قوري: موضع بظاهر المدينة، وقد ضبطت في أ بضم القاف. والعريض: واد بالمدينة.

حضير يعقر نفسه ليثبت قومه

فلما سَمِع حُضَير طعن بسِنانِ رُمْحِه فَخذه، ونزل وصاح: واعَقراه! والله لا أَرِيمُ[1] حتى أقتل، فإن شئتُم يا معشر الأوس أنْ تسلموني فافعلُوا.

فتعطَّفت عليه الأَوْس، وقام على رأسه غلامان مِنْ بني عبد الأشهل، / يقال لهما: محمود ولبيد ـ ابنا خليفة بن ثعلبة ـ وهما يومئذ مِعْرَسان[2] ذَوَا بَطْشٍ، فجعلا يَرْتَجِزانِ ويقولان: [٥/١٧]

أيّ غُـلامَـيْ ملِـكٍ تَـرانـا ... فـي الحَـرْبِ إذ دارَتْ بنـا رَحـانـا

* وعدَّدَ الناسُ لَنا مَكانا *

مقتل عمرو بن النعمان

فقاتَلا حتى قُتِلا، وأقبل سهمٌ حتى أصاب عَمْرو بن النعمان رأسَ الخزرج فقتلَه، لا يُدْرَى مَنْ رَمَى به، إلاَّ أنَّ بني قُرَيْظة تَزعمُ أنه سَهْمُ رجُلٍ يقال له أبو لُبابَة، فقتله.

فبينا عبدُ الله بن أبيّ يتردَّدُ على بَغْلةٍ له قريباً من بُعاث، يتحسَّسُ أخبار القَوْم، إذ طُلِعَ عليه بعَمْرو بن النُّعْمان ميّتاً في عَباءةٍ، يحمله أربعةٌ إلى داره. فلما رآه عبدُ الله بن أبيّ قال: مَنْ هذا؟ قالوا: عَمْرو بن النعمان. قال: ذُقْ وَبالَ العقوق.

انهزام الخزرج

وانهزمت الخزرجُ، ووضَعَت الأوْسُ فيهم السِّلاحَ، وصاح صائح: يا معشر الأوس، أسْجِحوا[3] ولا تُهلِكوا إخوتكمُ فجِوارُهم خيرٌ مِنْ جوار الثَّعالب.

قريظة والنضير تسلبان الخزرج

فتناهت الأوسُ، وكفَّت عن سَلبهم بعد إثخانٍ فيهم، وسلبتهم قريظةُ والنَّضير، وحملت الأوس حُضيراً من الجِراح التي به، وهُمْ يرتجزونَ حَوْلَه ويقولون:

كَتِيبَـةٌ زَيَّنَهـا مَـوْلاهـا ... لا كَهْلُهـا هِـدٌّ ولا فَتـاهـا[4]

/ **تحريق الأوس نخل الخزرج ودورهم** [١/١٧]

وجعلت الأوْسُ تحرِّقُ على الخزرج نَخْلَها ودُورَها؛ فخرج سَعْد بن مُعاذ الأشهليّ حتى وقف على باب بَني سَلِمة، وأجارهم وأموالهم جزاءً لهم بيَوْمِ الرَّعل[5]، وكان للخزرج على الأوْسِ يومٌ يقال له يوم مُعْلِّس[6]

---

(١) لا أريم: لا أزول ولا أفارق موضعي.

(٢) المعرس، بكسر الميم: السائق الحاذق بالسياق؛ أي هما مع حذقهما ذوا بطش.

(٣) أسجحوا: أحسنوا العفو.

(٤) الهد بالكسر: الضعيف كأنه مهدود، وبالفتح الجواد كأنه يهد ماله، أي يهضمه. وفي هذه المسألة خلاف بين الأصمعي وابن الأعرابي. هامش أ.

(٥) الرعل: موضع قبل واقم، وفيه قتلت بنو حارثة سماكاً أبا حضير الكتائب، وأجلوا حضيراً وقومه عن ديارهم. البكري ٦٦١.

(٦) ديوان قيس بن الخطيم ١١٩: «وكان من أيام العرب يوم مغرس ومقبس، وهما حائطان كانا لدجبية إلى آكام بني عدي بن النجار». والحائط: البستان.

ومُضرِّس. وكان[١] سعد بن معاذ حُمِل يومئذٍ جريحاً إلى عَمْرو بن الجَمُوح الحراميّ، فمنَّ عليه وأجاره وأخاه يَوْم رَعل، وهو على الأوس، من القَطْع والحَرْق، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بُعاث.

وأقسم كَعْب بن أسد القرظيّ ليُذِلَّنَّ عبد الله بن أُبيّ، وليحلقَنَّ رَأسه تحت مزاحم؛ فناداه كعب: انزل يا عدوّ الله. فقال له عبد الله: أنشدك الله وما خذَلْتُ عنكم. فسأل عما قال، فوجده حقًّا، فرجع عنه.

العدول عن هدم أطم عبد الله بن أُبيّ

وأجمعت الأوس على أن تهدم مُزَاحماً أطم عبد الله بن أبيّ، وحلف حُضير ليهدمنَّه، فكُلِّم فيه، فأمرهم أن يَرِيثوا[٢] فيه، فحَفرُوا فيه كوّة. وأفلت يومئذ الزبير بن إياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شمَّاس أخا بني الحارث بن الخزرج، وهي النعمة التي كافأه بها ثابتٌ في الإسلام يوم بني قُريظة.

أبو قيس بن الأسلت لا يوافق على هدم دور الخزرج

وخرج حُضَير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتَيا قَيْس بن الأسلت بعد الهزيمة، فقال له حُضَير: يا أبا قيس؛ إنْ رأيْتَ أن تأتيَ الخزرجَ قصراً قصراً ودَاراً داراً، نقتل ونَهْدم، حتى لا يَبْقَى منهم أحدا / فقال / أبو قيس: واللهِ لا نَفْعَلُ ذلك؛ فغضب حُضَير، وقال: ما سمّيتم الأوس[٣] إلا لأنكم تؤوسون الأمْرَ أوْساً. ولو ظفرت منّا الخزرجُ بمثلها ما أقَالوناها. ثم انصرف إلى الأوْسِ، فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم.

١٢٧/١١ — ١٦٥/١٥

موت حضير من جروحه

وكان حُضير جُرح يومئذ جراحةً شديدةً، فذهب به كُلَيب[٤] بن صَيْفِيّ بن عبد الأشهل إلى مَنْزِله في بني أميّة بن زيد، فلبث عنده أيّاماً ثم مات من الجراحة التي كانت به، فقبره اليوم في بني أمية بن زيد.

يهودي أعمى يتتبع سير القتال

وكان يهوديٌّ أعْمَى من بني قريظة يومئذٍ في أُطُم من آطامهم، فقال لابنةٍ له: أشْرِفي على الأطُم، فانظري ما فعل القوم، فأشرفت، فقالت: أسمَعُ الصوْتَ قد ارتفع في أعْلى قَوْرَى، وأسمع قائلاً يقول: اضربوا يا آلَ الخزرج. فقال: الدولة إذاً على الأوس، لا خيرَ في البقاء. ثم قال: ماذا تسمعين؟ قالت: أسمعُ رجالاً يقولون: يا آل الأوس، ورجالاً يقولون: يا آل الخزرج. قال: الآن حَمِيَ القتال. ثم لبث ساعة، ثم قال: أشْرِفي فاسمعِي، فأشرفت، فقالت: أسمعُ قوماً يقولون:

* نحن بنو صَخْرَة أصحابُ الرَّعَلْ *

قال: تلك بنو عبد الأشهل، فظفرت والله الأوس ـ وصخرة أمُّهم بنتُ مُرَّة بن ظَفَر أمّ بني عَبْد الأشهل ـ ثم وثب فرحاً نحو باب الأطم فضرب رأسه بحِلَقِ بابِه[٥]، وكان مِنْ حجارةٍ فسقط فماتَ.

---

(١) في أ: «وهو أن سعد بن معاذ».

(٢) الريث: الإبطاء، وفي المختار: «يؤثروا».

(٣) في أ: «ما سميتم الأوس أوساً».

(٤) في المختار: «طلبة بن صيفي».

(٥) في هامش أ: «حلق بابه: عضادة الباب»، وفي المختار: «بحاف بابه».

وكان أبو عامر قد حلف ليَركزَن رُمْحَه في أصل مُزاحم أُطُم عبد الله بن أُبيّ، فخرجت جماعةٌ من الأوس حتى أحاطُوا به، وكانت تحت أبي عامر / جَميلة بنت عبد الله بن أُبيّ، وهي أمّ حنظلة الغَسيل بن أبي عامر، فأشرف عليهم عَبْدُ الله، فقال: إني والله ما رَضِيتُ هذا الأمر، ولا كان عن رَأْيي، وقد عرفتُم كراهتي له، فانصرفوا عَني، فقال أبو عامر: لا والله، لا أنصرف حتّى أركز لِوائي في أصْلِ أُطمك. [١٢٨/١٧]

فلمّا رأى حنظلة أنه لا ينصرف، قال لهم: إنَّ أبي شديدُ الوَجْدِ بي، فأشرفوا بي عليه، ثم قولُوا: والله لئن لم تنصرف عنّا لنرمينَّ برأسه إليك. فقالوا ذلك له، فركزَ رُمْحه في أصْل الأطُم لِيَمينه[١] ثم انصرف، فذلك قول قيس بن الخطيم[٢]:

صبَحْنَا بِه الآطامَ حَوْلَ مُزاحِمٍ ... قَوَانِسُ أولَى بَيْضِنا كالكواكِب[٣]

أبو قيس بن الأسلت يأسر مخلد بن الصامت ثم يخلي سبيله

وأسر أبو قَيْس بن الأسلت يومئذ مخلد بن الصامت الساعديّ أبا مَسلمة بن مخلَّد، اجتمع إليه ناسٌ من قومه من مُزَينة ومنْ يهود، فقالوا: اقتله، فأبى، وخلّى سبيلَه، وأنشأ يقولُ:

أسَرتُ مخلّداً فعفَوْتُ عنه[٤] ... وعِنْدَ الله صالحُ ما أتَيتُ
مُزَيْنَةُ عنده ويهودُ قَوْرَى ... وقَومي كلُّ ذلكمُ كفَيتُ[٥]

خفاف بن ندبة يرثي حضير الكتائب

وقال خُفاف بن نُدبة، يرثي حُضيْر الكتائب - وكان نديمَه وصديقَه -:

لو أنّ المنايا حِدْنَ عن ذِي مهَابةٍ ... لَهِبْنَ حُضيراً يومَ أغلق وَاقِما[٦]
أطافَ به حتى إذا الليلُ جَنّهُ ... تَبَوّأ منه منزلاً مُتَناعِما

/ وقال أيضاً يرثيه: [١٢٩/١٧]

أتانِي حديثٌ فكذَّبْتُه ... وقيل: خَليلُك في المَرْمَسِ
فيا عينِ بَكّي حُضَيرَ النَّدَى ... حُضَيرَ الكَتائبِ والمجلسِ
/ ويومٍ شديدٍ أُوَارِ الحديدِ ... تقطَّعُ منه عُرَى الأنْفُسِ [١٦٦/١٥]
صَلِيتَ بهِ وعليكَ الحديـ ... ـدُ ما بين سَلْعِ إلى الأعرُسِ
فأوْدَى بنفسكَ يومُ الوَغَى ... ونقّى ثيابك لم تدنَسِ

(١) أي ليَنفذ يمينه.
(٢) ديوانه ٤٠.
(٣) القوانس: جمع القونس: أعلى بيضة الحديد أو معدنها.
(٤) في أ: «أسرنا».
(٥) في أ: «لقيت».
(٦) واقم: أطم بالمدينة، وفي معجم البلدان:

فلو كان حي ناجياً من حمامه ... لكان حضير يوم أغلق واقما

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار، قال: حدثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابيّ، قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنّا جلوساً عند صالح بن حسان، فقال لنا:

وأخبرني عمّي عن الكُرّانيّ، عن النوشجاني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال: قال لنا صالح بن حسّان، وأخبرني به الأخفش عن المبرّد، قال: قال لي صالح بن حَسّان:

بيت خفر في امرأة خفرة شريفة

أنشِدُوني بَيْتاً خَفِراً في امرأة خَفِرة شريفة، فقلنا: قول حاتم:

يُضيءُ لنا البيتُ الظليلُ خَصاصُه ... إذا هِيَ يَوْماً حاوَلَتْ أن تبسَّما[1]

فقال: هذه من الأصنام، أريد أحسنَ من هذا. قلنا: قول الأعشى[2]:

كأنَّ مِشيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها ... مَرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال: هذه خرّاجَة ولاَّجة كثيرة الاختلاف. قلنا: بيت ذي الرُّمَّة[3]:

تَنُوءُ بأُخراها فَلأْياً قِيامُها[4] ... وتَمْشي الهُوَيْنا مِنْ قَريبٍ فتُبْهَرُ

[١٧/ ١٣٠] / فقال: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن، وثقل البدن. فقلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسلت[5]:

ويكرِمُها جاراتها فيزرْنَها ... وتَعْتَلُّ عن إتيانِهنّ فتُعْذَرُ
وليس لها أنْ تستهين بجارةٍ[6] ... ولكنها مِنْهُنَّ تحيَا وتخفَرُ

أحسن بيت وصفت به الثريا

ثم قال: أنشدوني أحسنَ بيتٍ وُصفت به الثريّا. قلنا: بيت ابن الزُّبير الأسديّ:

وقد لاح في القُور الثُّرَيَّا كأنما[7] ... به رايةٌ بيضاءُ تخفقُ للطَّعْنِ

قال: أُريد أحسنَ من هذا، قلنا: بيت امرىء القيس:

إذا ما الثريّا في السماء تعرَّضَتْ ... تعرضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ[8]

قال: أُريد أحسن من هذا. قلنا: بيت ابن الطَّثْرِيّة:

إذا ما الثريّا في السماء كأنها ... جُمانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِه فتَسرَّعا[9]

---

(١) «ديوانه» ٢١، وفيه: «خصاصة».
(٢) ديوانه ٥٥.
(٣) ديوانه ٢٢٧.
(٤) في أ: «تبوء»، والمثبت يوافق ما في الديوان.
(٥) معاهد التنصيص ٢: ٢٧.
(٦) في أ: «تستعين».
(٧) في أ والمعاهد: الغور».
(٨) ديوانه ١٤.
(٩) معاهد التنصيص ٢: ٢٦.

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء. قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصُّبْحِ الثريّا لمن رأى ... كعنقود مُلاَّحِيَّةٍ حين نوَّرا[1]

أبو قيس يحكم له بالتقدم في المعنيين السابقين

قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.

استشهاد عبد الملك بشعره في خطبته بعد مقتل مصعب بن الزبير

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الحسين بن أحمد بن طالب / الدينارِيّ، قال: حدثني أبو عدنان، [١٧/ ٣١] قال: حدثني الهيثم بن عديّ، قال: حدثني الضحاك بن زُمَيْل السَّكسكيّ، قال:

لما قَتَل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بنَ الزُّبير خطب الناس بالنُّخَيْلة، فقال في خطبته: أيُّها الناس، دَعُوا الأهواء المُضِلَّة، والآراء المشتَّتة، ولا تكلِّفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها؛ فقد جاريتمونا إلى السيف، فرأيتُم كيف صنَعَ اللهُ بكم، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادونَ جراءة؛ فإني لا أزداد بعدها / إلاّ عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبُو قيس بن الأسلت: ١٦٧/١٥

مَن يَصْلَ ناري بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ ... يصلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدَّارِ

أنا النذيرُ لكم مِنّي مُجاهرةً ... كي لا أُلامَ على نهيي وإعذارِ

فإنْ عصيتُم مقالي اليومَ فاعترفوا ... أنْ سوف تلقون خِزياً ظاهرَ العارِ[2]

لتُتْرَكُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنَةً[3] ... عند المقيم وعند المُدْلجِ السَّاري

وصاحب الوِتْر ليس الدهرَ مُدْرِكَه ... عندي وإني لطلاَّبٌ لأوْتارِ

أُقيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوَجٍ ... كما يقوِّمُ قِدحَ النَّبْعَةِ البارِي

[١٧/ ١٣٢] / صوت

ترفَّعْ أيها القمرُ المنيرُ ... لعلَّكَ أن ترى حُجْراً يَسيرُ

يَسيرُ إلى مُعاويةَ بنِ حَرْبٍ ... ليقتلَه كما زعم الأميرُ

ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بني عَدِيٍّ ... تلقَّتْكَ السلامةُ والسرورُ

تنعَّمتِ الجَبابرُ بعد حُجْرٍ[4] ... وطابَ لها الخورنَقُ والسَّديرُ

الشعر لامرأةٍ[5] من كندة ترثي حُجْرَ بنَ عديٍّ صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه. والغناء لحكَم الوادي رمَل بالوُسطى، وفيه لِحُنَيْن هزَج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشاميّ.

---

(١) الملاحية: من شجر الزهر.

(٢) اللسان ٣: ٦٩.

(٣) كذا في جـ، وفي م، أ، س، ب: «وملعبة» تصحيف.

(٤) في أ والطبري: «تجبرت».

(٥) هي هند بنت زيد بن مخرمة الأنصاري، كما في الطبري ٥: ٢٨.

[١٣٣/١٧]

/ خبر مقتل حُجر بن عديّ

حدثني[١] أحمد بن عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: حدثنا خالد بن قطن، عن المجالد بن سعيد الهمدانيّ، والصقعب بن زُهير، وفُضيل بن خَدِيج[٢]، والحسن[٣] بن عُقبة المرادي، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يَسيرةً؛ تحرُّزاً من الإطالة:

استنكاره ذم علي بن أبي طالب ولعنه

أنّ المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقومُ على المنبر فيذمّ عليَّ بنَ أبي طالب وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلةَ عثمان، ويستغفر لعثمانَ ويزكّيه، فيقوم حُجْر بن عديّ فيقول: ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شُهَداءَ لله ولو على أنْفُسِكُمْ﴾[٤]، وإنّي أشهد أنَّ مَن تذمّون أحقُّ بالفَضْل ممن تطْرُون، ومنّ تزكّون أحقُّ بالذمّ ممن تعيبون.

المغيرة بن شعبة يحذره

فيقول له المغيرة: يا حُجْر، ويحك! اكْفُفْ من هذا، واتّقِ غَضْبَة السلطان وسَطْوتَه؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلَك. ثم يكفُّ عنه.

صرخة ثائرة منه

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرةُ يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر، فنال مِنْ عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، ولعنه، ولعن شِيعَتَه، فوثب حُجْر فنعَر[٥] نعرة أسمَعتْ كلَّ مَنْ كان في المسجد وخارجه. فقال له: [١٣٤/١٧] / إنك لا تَدري أيها الإنسان بمن تولَع، أوَ هَرِمْتَ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا؛ فإنك قد حبَسْتَها عنّا، ولم يكن ذلك لكَ ولا لمَنْ كان قبلك، وقد أصبحت مولَعاً بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين.

استجابة لصرخة الثائر

فقام معه أكثَرُ من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق والله حُجْر! مُرْ لنا بأعطياتنا؛ فإنا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يُجْدِي علينا، وأكثَرُوا في ذلك.

---

(١) خبر مقتل حجر في الطبري ٥: ٢٥١ وما بعدها.
(٢) في م: حديج، بالحاء المهملة.
(٣) في الطبري: «والحسين».
(٤) سورة النساء ١٣٤.
(٥) نعر: صاح صيحة شديدة.

قوم المغيرة يلومونه في احتماله إياه

فنزل المغيرةُ ودخل القَصْر، فاستأذن عليه قومُه، ودخلوا ولامُوه / في احتماله حُجْراً، فقال لهم: إني قد قتلْتُه. قالوا: وكيف ذلك!؟ قال: إنه سيأتي أميرٌ بَعْدِي فيحسبه مثْلي فيصنَع به شبيهاً بما تَرَوْنه، فيأخذه عند أوَّل وَهْلَة فيقتله شرَّ قِتْلَة. إنه قد اقترب أجَلِي، وضَعُف عملي، وما أُحِبُّ أنْ أبتدىء أهْلَ هذا المِصْر بقتل خِيارهم وسَفْك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشْقَى، ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد جرَّبُوا العمّال.

[٣/١٦]

قال الحسن بن عقبة: فسمعتُ شيخاً من الحيّ يقول: قد والله جرَّبْناهم فوجدناه خَيْرَهم.

زياد يذكره بصداقته ويحذره ما كان يفعل مع المغيرة

قال: ثم هلك المغيرة سنة خمسين، فجُمعت الكوفة والبصرة لزِياد، فدخلها، ووجّه إلى حُجْر فجاءه، وكان له قَبْل ذلك صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنتَ تفعلُه بالمغيرة فيحتمله منك؛ وإني واللهِ لا أحْتَمِلُكَ[1] على مِثْلِ ذلك أبداً، أرأيت ما كنت تعرفني به مِنْ حُبِّ عليٍّ وودُّه، فإنَّ اللهَ قد سلخه مِنْ صَدْرِي فصيّره بغْضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بُغْضِ معاوية وعداوته فإنّ اللهَ قد سلخه من صدري وحوَّلَه حُبّاً ومَوَدّة / وإني أخوك الذي تَعْهَد، إذا أتيتني وأنا جالسٌ للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيتَ ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرجَ إليك، ولكَ عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غُدوة، وحاجة عشيَّة، إنك إن تستقِمْ تسلَمْ لك دُنياك ودِينك، وإن تأخُذ يميناً وشمالاً تهْلكْ نفسَك وتُشط[2] عِندي دمك، إني لا أحبُّ التنكيلَ قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حُجَّةٍ، اللهم اشْهَدْ. فقال حُجر: لن يرى الأمير مِنّي إلاّ ما يحبُّ، وقد نصح، وأنا قابلٌ نصيحته.

[١٣٥/١٧]

ثم خرج من عنده، فكان يتَّقِيه ويَهابُه، وكان زياد يُدْنيه ويُكرمه ويفضِّله، والشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر وتسمعُ منه.

زياد ينذره قبل خروجه إلى البصرة

وكان زياد يَشْتُو بالبصرة، ويَصِيف بالكوفة، ويستخلِف على البصرة سُمرة بن جُندب، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث، فقال له عُمارة بن عقبة: إنَّ الشيعةَ تختلفُ إلى حُجْر، وتسمَعُ منه، ولا أراه عند خروجك إلاّ ثائراً، فدعاه زياد فحذَّره ووعظه. وخرج إلى البصرة، واستعمل عَمْرو بن حُرَيث، فجعلت الشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر، ويَجيء حتى يجلسَ في المسجد فتجتمع إليه الشيعةُ، حتى يأخذوا ثلثَ المسجد أو نِصْفَه، وتطيف بهم النظّارة، ثم يمتلىء المسجدَ، ثم كثروا، وكَثُر لغَطُهم، وارتفعت أصواتُهم بِذَمِّ معاوية وشَتْمِه ونَقْص[3] زياد. وبلغ ذلك عَمْرو بن حُريث، فصعد المنبر، واجتمع إليه أشرافُ أهلِ المِصْرِ فحثّهم على الطاعة والجماعة. وحذَّرَهم الخلافَ؛ فوثب إليه عُنُقٌ[4] من أصحاب حجْر يكبّرون ويشتمون، حتى دنَوْا / منه، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر، وأغلق عليه بابَه، وكتب إلى زياد بالخبر، فلما أتاه أنشد يتمثّل بقول كعب بن مالك:

[١٣٦/١٧]

---

(١) في م: «احتمله».

(٢) أشاط دمه: عرضه للقتل.

(٣) في م: «وقصف زياد»، والقصف معناه الكسر، يريد الانتقاص.

(٤) العنق: الجماعة من الناس.

فلما غدَوْا بالعِرْض[١] قال سَراتنا: علامَ إذا لم نمنع العِرْض نزرعُ[٢]

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفةَ من حُجر، وأدَعه نكالاً لِمَنْ بعده، وَيْل أمك حجرا! لقد سقط بك العشاء على سِرْحان[٣].

عودة زياد إلى الكوفة

ثم أقبل حتى أتى الكوفةَ، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قَباءُ سُندس، ومُطْرفُ خَزّ أخضر، وحُجْر جالسٌ في المسجد، وحَوْله أصحابه ما كانوا. فصعد المنبر فخطب وحَذَّر الناس، ثم قال لشدّاد بن الهَيْثَم الهلاليّ أمير الشُّرَط: اذهَبْ فائتِني بحُجْر، فذهب إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامةَ. فسبُّوا الشُّرَط، فرجعوا / إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشرافَ أهل الكوفة! أتشجُّون بيدٍ وتأسُون بأخرى[٤]؟ أبدانُكم عندي، وأهواؤكم مع هذه الهجاجة[٥] المَذْبُوب[٦]. أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حُجْر.

٤- ١٦

استعداء زياد أشراف الكوفة عليه

فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذ الله أن يكونَ لنا فيما ها هنا رأيٌ إلاّ طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكلُّ ما ظننتَ أنْ يكونَ فيه رِضاك فمُرْنا به. قال: ليَقمْ كلُّ امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حَوْل حُجْر، فليَدْعُ / الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومَنْ يُطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كلَّ من استطعتُم. ففعلوا، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابَه حتى تفرّقَ أكثرهم وبَقِيَ أقلُّهم.

[١٣٧/١٧]

أمر زياد بإحضاره

فلما رأى زيادٌ خِفَّةَ أصحابِه قال لصاحب شرطته: اذهب فائتِني بحُجْر، فإنْ تَبِعك وإلا فمُرْ مَنْ معك أنْ ينتزِعُوا غمد السيوف[٧]، ثم يشدُّوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا مَنْ حالَ دُونَه.

أصحابه يمنعونه من الذهاب إلى زياد

فلما أتاه شدّاد قال له: أجِب الأمير، فقال أصحاب حجر: لا والله ولا نعْمَةَ عَيْنٍ، لا يُجيبه. فقال لأصحابه: عليّ بعَمَد السيوف[٨]، فاشتدُّوا إليها، فأقبلوا بها، فقال عُمير بن زيد[٩] الكلبيّ أبو العَمَرَّطَة[١٠]: إنه ليس معك رجلٌ

---

(١) ضبطت العين في أ بالفتحة والكسرة. والعرض، بالكسرة: الوادي، وكل واد فيه شجر فهو عروض.

(٢) في أ: «يزرع» وفي معجم البلدان:

ولمّا هَبَطْنا العِرْضَ قال سَراتُنا عَلاَمَ إذا لم نحفظ العرض نزرع

(٣) حاشية أ: «ذكر القاسم بن سلام والفضل أن السرحان هنا الذئب، وليس كذلك، وهو سرحان القريعي، وكان أحد شياطين العرب، فضرب به المثل». وفي «اللسان»: السرحان: الذئب أو الأسد. وهو مثل يضرب في طلب الحاجة تؤدي إلى تلف صاحبها.

(٤) تشجون: تجرحون، وتأسون: تعالجون.

(٥) الهجاجة: الأحمق، وفي المختار «الجهجاه»، وجهجه بالسبع: صاح ليكفّ.

(٦) المذبوب: المبعد المطرود.

(٧) في م: الستور، وفي المختار: «أن يشرعوا عمد السيوف». وفي الطبري: «فلينتزعوا عمد السيوف».

(٨) في أ: «عليّ بالعمد».

(٩) في الطبري والمختار: «ابن يزيد».

(١٠) في أ: «ابن العمرطة».

معه سيف غيري، فما يُغْنِي سيفي! قال: فما ترى؟ قال: قُم من هذا المكان، فالْحَقْ بأهلك يمنعك قومك.

موت عمرو بن الحمق من ضربة عمود

فقام وزياد ينظر على المنبر إليهم فغَشُوا حُجْراً بالعمَد، فضرب[1] رَجُلٌ من الحمراء يقال له: بَكْر بن عُبيد رَأْسَ عَمْرو بن الحَمِق بعَمُود فوقع.

تواري حجر في منازل الأزد

وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعَجْلان بن رَبيعة ـ وهما رجلان من الأزد ـ فحملاه، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعد[2]، فلم يزل بها مُتوارِياً حتى خرج منها.

/ **الثأر من ضارب عمرو بن الحمق** [١٣٨/١٧]

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن زياد، عن عُبيد الله بن عَوْف[3]، قال:

لما انصرفنا عن عروة بأجُمَيْرَى[4] قَبْل قتل عبد الملك مُصعباً بعام، فإذا أنا بالأحمريّ الذي ضرب عَمْرو بن الحمِقِ يسايِرني؛ ولا والله ما رأيتُه منذ ذلك اليوم، وما كنتُ أرى لو رأيته أنْ أعرفَه، فلما رأيته ظننتُه هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهتُ أن أسألَه: أنت ضارِب عَمْرو بن الحَمِق، فيُكابرني، فقلتُ له: ما رأيتُك منذ اليوم الذي ضربْتَ فيه رأْسَ عَمْرو بن الحَمِق بالعَمود في المسجد فصرعْته حتى يَوْمِي، ولقد عرفْتُكَ الآن حين رأيتُك.

فقال لي: لا تَعْدم بَصرَك، ما أثبت نظرك! كانَ ذلك أمْر السلطان[5] أمَا واللهِ لقد بلغني أنه قد كان امرأً صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضَّرْبَة، فأستغفر الله.

فقلت له: الآنَ ترى، لا والله لا أفترقُ أنا وأنت حتى أضربَك في رَأْسك مِثلَ الضَّرْبَةَ التي ضربتَهَا عَمْرو بن الحمِق وأموت أو تموت.

قال: فناشدني وسألني بالله. فأبيتُ عليه، ودعوْتُ غلاماً يُدْعَى رُشَيْداً[6] من سَبْي أصبهان معه قناة له صلْبة، فأخذتُها منه ثم أحمل عليه[7]، فنزل عن دابّتِه، فألحقِه حين استَوَتْ قَدَمَاهُ على الأرض، فأصفُق[8] / بها هَامته، [١٣٩/١٧] فخرّ لوَجْهِه، وتركتُهُ ومضيت، فبرأ بعد ذلك، فلقيته مرّتين من دَهْرِي، كلُّ ذلك يقول لي: الله بيني وبينك. فأقول له: الله بينك وبين عَمْرو بن الحَمِق.

---

(١) في أ: «فيضرب».
(٢) في أ: «مرعل». وفي المختار: «مزعل»، وفي الطبري: «بن مالك».
(٣) في ب، س والمختار: عون، والمثبت ما في أ و م والطبري.
(٤) باجميري: موضع بأرض الموصل.
(٥) في ب، س والطبري: «الشيطان»، والمثبت ما في أ والمختار.
(٦) في س: «بشيراً» والمثبت والضبط ما في أ.
(٧) في المختار: «ثم حملت»، وفي الطبري: «ثم أحمل عليه بها».
(٨) في الطبري: «فأصفع بها هامته». وأصفق هامته: أضربها ضربة يسمع لها صوت.

رجع الحديث إلى سياقه الأول

أمر زياد بعض القبائل أن يأتوه به

قال: فقال زياد ـ وهو على المنبر ـ لتقُمْ هَمْدان وتميم وهوازن وأبناء بَغِيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتُوا جبَّانة كِنْدة، وليمضوا مِنْ ثَمَّ إلى حُجر، فليأتوني به. ثم كرِه أن تسير مُضَر مع / اليمن، فيقع شَغْبٌ واختلافٌ، أو تنشب الحميّة فيما بينهم. فقال: لتقمْ تميم وهوازن وأبناءُ بغِيض وأسد وغطفان، ولْتَمْضِ مذحج وهَمْدان إلى جبَّانة كندة، ثم ليمضُوا إلى حُجْر فليأتوني به، ولْيَسِرْ أهلُ اليمن حتى ينزلوا جبَّانة الصيداويين[1]، وليَمْضُوا إلى صاحبهم فليأتوني به.

فخرجتِ الأزد وبَجِيلة وخثعم والأنصاروقضاعة وخُزَاعة، فنزلوا جبَّانة الصيداويين، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمَكانهم من كِندة.

عبد الرحمن بن مخنف يشير على أهل اليمن برأي

قال أبو مخنف: فحدثني سعيد[2] بن يحيى بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: فإني لمَع أهْلِ اليمن وهم يتشاوَرُون في أمرِ حُجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنف: أنا مُشِيرٌ عليكم برأْيٍ، فإنْ قَبِلْتُموه رَجَوْتُ أن تَسلموا من اللائمة والإثم: أنْ تُلَبِّثُوا قليلاً حتى تكفيكم عَجَلَةٌ في شباب مَذْحج وهَمْدَان ما تكرهون أن يكونَ[3] من مساءةِ قومكم في صاحبكم.

[١٧/١٤٠] / فأجمع رأيُهم على ذلك، فلا والله ما كان إلاَّ كَلاَ ولا[4] حتى أتينا فقيل لنا: إنَّ شباب مذحج وهَمْدان قد دخلوا، فأخذوا كلَّ ما وَجَدُوا في بني بَجِيلة.

حجر يشير على أصحابه أن ينصرفوا عنه

قال: فمرّ أهلُ اليمنِ على نواحي دور كندة مُعَذِّرين، فبلغ ذلك زياداً، فأثنى على مَذْحج وهَمْدان، وذمَّ أهلَ اليمن. فلما انتهى حُجرٌ إلى دارِه ورأى قِلَّةَ مَن معه قال لأصحابه: انصرفوا، فوالله ما لكم طاقةٌ بمن اجتمع عليكم مِنْ قومِكم، وما أُحِبُّ أن أعرِّضكم للهلاك. فذهبوا لينصرفوا، فلحقتهم أوائل خَيْلِ مذحج وهَمْدان، فعطف عليهم عُمير بن يزِيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعةً فجُرِحوا، وأُسِر قيس بن يزيد، وأفْلَتَ سائرُ القوم، فقال لهم حُجْر: لا أبا لكم! تفرّقوا لا تُقتلوا؛ فإنِّي آخِذٌ في بَعْضِ هذه الطرق.

يدخل دار سليمان بن يزيد ثم يخرج منها إلى دور بني العنبر

ثم أخذ نحو طريق بني حَرب[5] من كندة، حتى أتى دارَ رَجُلٍ منهم يقال له سليمان[6] بن يزيد، فدخل داره،

---

(١) بنو الصيداء: حي من أسد. وفي أ: «الصائدين»، وكذلك في الطبري.

(٢) الطبري: «يحيى بن سعيد».

(٣) في المختار: «تلوه»، وفي الطبري: «أرى لكم أن تلبثوا قليلاً، فإن سرعان شباب همدان ومذحج يكفونكم ما تكرهون أن تلوا من مساءة...».

(٤) كلا ولا، أي مدة قليلة كزمن النطق بهذين الحرفين.

(٥) أ: «حوت»، وفي المختار: «طريق بني كعب»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً.

(٦) الطبري: «سليم بن زيد»، والمثبت يوافق ما في المختار أيضاً.

وجاء القومُ في طلبه، ثم انتهَوْا إلى تلك الدار، فأخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه، ثم ذهب ليخرُجَ إليهم، فبكت بناتُه، فقال له حُجْر: ما تريد؟ لا أبا لك! فقال [له]: أريدُ والله أنْ ينصرفوا عنك؛ فإن فعلوا وإلاّ ضاربْتُهم بسيفي هذا ما ثبت قائمُه في يَدِي دونَك. فقال له حُجْر: بئس والله إذَنْ ما دخلتَ به على بناتِك! أما في دارك هذه حائط أقتحمه [١٤١/١٧] أو خَوْخَة[1] أخرُجُ منها، عسى الله أنْ يسلِّمني / منهم ويسلِّمك؛ فإنَّ القومَ إنْ لم يقدِرُوا عليَّ في دارك لم يضرّك[2] أمرهم. قال: بلى، هذه خَوْخَة تخرِجك إلى دورِ بني العَنْبر من كِندة، فخرج معه فتية من الحيّ يقصُّون له الطريقَ، ويسلكون به الأزِقّة، حتى أفضى إلى النخع، فقال عند ذلك: انصرفوا، رحمكم الله.

يدخل دار عبدالله بن الحارث ثم يخرج منها إلى دار ربيعة بن ناجذ

فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دارِ عَبْد اللهِ بن الحارث أخي الأشتر، فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له عبدُ الله الفرشَ، وبسط له البسط، وتلقّاه ببَسْطِ الوجه وحُسْنِ البِشْر إذ أُتي فقيل له: إن الشُّرَطَ تسأل عنك في النخع وذلك أنَّ أمةً سوداء يقال لها أدْماء لَقِيَتْهم فقالت لهم: مَنْ تطلبون؟ قالوا: نطلب حُجْراً، فقالت: هو ذا قد رأيتُه في النخع، فانصرفوا نحو النخع؛ فخرج متنكّراً، وركب معه عبدُ الله ليلاً حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجذ[3] الأزديّ، فنزل بها، فمكث يوماً وليلة.

زياد يأمر محمد بن الأشعث أن يأتيه بحجر

فلما أعجزهم أنْ يقدِرُوا عليه دعا زيادٌ محمدَ بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحُجْر أو لا أدَع لك نخلةً إلاّ قطعتُها، ولا داراً إلاّ هدمتُها، / ثم لا تسلم منّي بذلك حتى أقطّعك إرْباً إرْباً. فقال له: أمهِلْني أطلبه. قال: قد [ط ١٦] أمهلتُك ثلاثاً، فإن جئتَ به وإلاّ فاعددْ نَفْسَك مِنَ الهلكى. وأُخرِج محمد نحو السجن وهو منتقعُ اللونِ يُتَلُّ تَلاًّ عنيفاً[4]. فقال حجر بن يزيد الكنديّ من بني مرّة لزياد: ضَمِّنْيه وخَلِّ سبيله ليطلب صاحبَه، فإنه مخلى سِرْبُه[5] / أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً. قال: أتضمنُه لي؟ قال: نعم. قال: أما واللهِ لئِنْ حَاصَ[6] عنك [١٤٢/١٧] لأوردنَّك[7] شَعوب، وإن كنْتَ الآن عليّ كريماً. قال: إنه لا يفعل. فخَلَّى سبيلَه.

ثم إنّ حجر بن يزيد كلّمه في قيس بنَ يزيد، وقد أُتي به أسيراً، فقال: ما عليه مِنْ بأس، قد عرفنا رَأْيَه في عثمان رضي الله عنه، وبلاءَه مع أمير المؤمنين بصِفّين، ثم أرسل إليه فأُتي به، فقال: قد علمتُ أنك لم تقاتِلْ مع حُجر أنّك ترى رأيه، ولكن قاتلتَ معه حَمِيّة، وقد غفرنا لك لِمَا نَعْلَمُه مِنْ حُسْنِ رأيك، ولكن لا أدَعك حتى تأتيَني بأخيك عُمَير. قال: آتِيك به إنْ شاء الله. قال: هات مَنْ يضْمَنُه معك. قال: هذا حُجر بن يزيد. قال حُجْر: نعم، علَى أنْ تؤمِّنه على مالِه ودَمه. قال: ذلك لك.

فانطلقا فأتَيا به، فأمر به فأُوقر حَدِيداً، ثم أخذَتْه الرجال ترفَعهُ، حتى إذا بلغ سُرَرها ألقوه، فوقع على

---

(١) الخوخة: باب صغير في باب كبير، أو مخرج خلف الدار.

(٢) أ: «لم يضروك».

(٣) الطبري: «ناجد».

(٤) تله: صرعه، أو ألقاه على عنقه وخده.

(٥) المختار: «سبيله»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً.

(٦) حاص: عدل.

(٧) في المختار: «لأزيرن بك شعوباً»، وفي الطبري: «لأزيرنك شعوب». وشعوب: اسم للمنية.

الأرض، ثم رفعوه فألقَوْه، فَفُعِل به ذلك مراراً، فقام إليه حُجر بن يزيد، فقال: أو لم تؤمّنه؟ قال: بلى، لستُ أهريق له دماً، ولا آخذُ له مالاً. فقال: هذا يُشْفِي به على الموت.

وقام كلُّ مَنْ كان عنده مِنْ أهْلِ اليمن، فكلَّموه فيه، فقال: أتضمنونه لي بنفسه متى[1] أحْدَث حدَثاً أتيتموني به؟ قالوا: نعم. فخلّى سبيلَه.

يطلب من ابن الأشعث أن يسأل زياداً الأمان له حتى يأتي معاوية

[١١/١٤٣] ومكث حُجْرٌ في منزل رَبيعة بن ناجذٍ[2] يوماً وليلة، ثم بعث إلى / ابْنِ الأشعَث غلاماً يُدْعَى رُشَيْداً مِنْ سَبْيِ أصبهان، فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلكَ به هذا الجبّار العنيد، فلا يهولنّك شيءٌ من أمره؛ فإني خارج إليك، فاجْمَعْ نفراً مِنْ قومك، وادخُلْ عليه، واسأله أنْ يؤمِّنّي حتى يبعَثني إلى معاوية، فيرى فيّ رأيَه.

زياد يأمر بحبسه

فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد، وجرير بن عبد الله، وعبد الله أخي الأشتر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر، فأجاب، فبعثوا إليه رسولاً يُعْلِمُونَه بذلك. فأقبل حتى دخل على زياد، فقال له: مَرْحباً يا أبا عبد الرحمن، حَرْبٌ في أيام الحرب، وحَرْب وقد سالم الناس! «على نَفْسِها تَجْنِي بَرَاقِش»[3]، فقال له: ما خلعتُ يداً عن طاعةٍ، ولا فارقتُ جماعةً، وإني لعلى بَيْعَتي. فقال: هيهات يا حُجْر، أتشجّ بيدٍ وتأسُو بأخرى، وتريد إذا أمكننا اللهُ منكَ أنْ ترضى! هيهات والله! فقال[4]: ألم تؤمنني حتى آتيَ معاوية، فيرى فيّ رأيَه. قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن.

زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر

فلما مُضِي به قال: أما والله لولا أمانُه ما برح حتى يُلْقَط عَصَبُه[5]. فأخرج وعليه بُرْنس في غَداةٍ باردةٍ، فحُبِس عَشْرَ ليال، وزيادٌ ماله عملٌ غير الطلب لرؤوس أصحاب حُجْر.

عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد يكمنان في جبل بالموصل

فخرج عَمْرو بن الحَمِق، ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائنَ، ثم ارتحلا حتى أتَيَا الموصل، فأتَيا جَبَلاً فكَمنا فيه، ويبلغ عاملَ ذلك الرُّستاق[6] ـ وهو رجلٌ من هَمْدَان يقال له عُبيد الله[7] بن أبي بَلْتَعة ـ خَبَرُهما، / فسار إليهما [١١/١٤٤] في الخيل، ومعه أهْلُ البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأمّا عَمْرو فكان بطنه قد استسقى[8]، فلم يكُنْ عنده امتناعٌ.

---

(١) الطبري: «فمتى أحدث».
(٢) انظر ص ١٤١ حاشية ٢.
(٣) هامش أ: براقش: اسم كلب دل بنباحه قوماً على أربابه فهلكوا. وفي «اللسان» (برقش) أقوال أخرى في مضرب المثل.
(٤) أ: «قال».
(٥) أي حتى يقتل.
(٦) الرستاق: الناحية في طرف الإقليم والقرى.
(٧) حـ، والطبري: عبدالله.
(٨) استسقى: أصابه السقي، بفتح السين وكسرها، وهو ماء يقع في البطن.

عمرو بن الحمق يقع أسيراً ورفاعة ينجو بنفسه

وأما رِفاعة فكان شاباً قوياً فوثَب على فرسٍ له جَواد، وقال لعَمْرو: أقاتِلُ عنك. قال: وما ينفعني أنْ تقتل؟ انجُ بنفسك، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتى / أخرجه فرسه، وخرجت الخيلُ في طلبه، وكان رَامياً فلم يلحقه فارسٌ إلاّ رَماه، فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه؛ فأُخذ[1] عَمْرو بن الحمِق، فسألوه: مَنْ أنت؟ فقال: مَنْ إنْ تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتُموه كان أضرَّ عليكم، فسألوه فأبى أنْ يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن أمّ الحكم، الثقفيّ، فلما رأى عَمْراً عرفه. ٧/١٦

معاوية يأمر بقتل عمرو بن الحمق

فكتب إلى معاوية بِخَبَرِه. فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طَعن عثمان تسع طعنات، وإنه لا يُتعدى[2] عليه، فاطْعَنْهُ تسعَ طعنات كما طعنَ عثمان.

رأس ابن الحمق يحمل إلى معاوية

فأُخرج فطُعن تسع طعنات، فمات في الأُولى منهن أو في الثانية، وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أوّل رأس حُمل في الإسلام.

زياد يطلب من صيفي بن فسيل أن يعلن علياً فيأبى

وجَدَّ زيادٌ في طلب أصحابِ حُجْر وهم يهربون منه، ويأخذ مَنْ قدر عليه منهم، فجاء قيس بن عَبّاد الشيباني إلى زيادٍ، فقال له: إن امرأ منّا يقال له صَيْفِيّ بن فَسِيل[3]، من رؤوس أصحاب حُجْر، وهو أشدُّ الناس عليك؛ فبعث إليه فأُتيَ به، فقال له زياد: يا عدوَّ الله، ما تقولُ في أبي تُراب؟ / فقال: ما أعرف أبا تُراب، قال: ما أعْرَفك به! أما تعرفُ عليَّ بن أبي طالب! قال: بلى، قال: فذاك أبو تُراب، قال: كلاّ، فذاك أبو الحسن والحُسين. فقال له صاحب الشرطة: أيقولُ لك الأميرُ هو أبو تُراب وتقول أنت: لا! قال: أفإنْ كذب الأميرُ أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهدا! قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذَنْبك، عليّ بالعِصيّ فأُتِيَ بها، فقال: ما قولُك في عليّ! قال: أحسنُ قَوْلٍ أنا قائلُه في عَبْدٍ من عَبيد الله أقوله في أمير المؤمنين. قال: اضربوا عاتِقَه بالعِصيّ حتى يلصَق بالأرض، فضُربَ حتى لصقَ بالأرض. ثم قال: أقلعوا عنه، ما قولك فيه؟ قال: والله لو شرَّحتني بالمُدْي والمَواسِي ما زُلْتُ[4] عمّا سمعتَ. قال: لتلعنَنّه أو لأضربنّ عنقك. قال: إذاً والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتَشْقَى إن شاء الله، قال: أوقِروه حديداً واطْرَحُوه في السجن. [١٤٥/١٧]

زياد يأمر رؤوس الأرباع أنْ يشهدوا على حجر وأصحابه

وجمع زِياد من أصحاب حُجر بن عدِيّ اثني عشر رجلاً في السجن، وبعث إلى رؤُوس الأرباع فأشخصهم، فحضروا، وقال: اشْهَدُوا على حُجْر بما رأيتموه، وهم عَمْرو بن حُريث، وخالد بن عُرْفُطَة، وقَيْس بن الوليد بن

(١) المختار: «فأخذوا».
(٢) الطبري: وإنا لا نريد أن نعتدي عليه». وفي المختار: «وإنا لا نتعدى عليه».
(٣) المختار: «قسيل»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً. وفي المختار: ٣: ٣١٧، «قشيل» قال محققه: وفي تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/ ٢٩٣: «قشيل - بالقاف - أو فشيل الربعي، كوفي من شيعة علي، قتل صبراً مع حجر».
(٤) الطبري: ما قلت إلا ما سمعت.

عبد شمس بن المُغيرة، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى، فشهدوا أنَّ حجراً جمع إليه الجموعَ، وأظهر شَتْم الخليفة، وعَيْبَ زياد، وأظهر عُذْرَ أبي تُراب والترحُّم عليه، والبراءةَ مِنْ عدوّه، وأهلِ حَرْبه، وأن هؤلاء الذين معه رؤوسُ أصحابه، وعلى مِثْل رأيه.

فنظر زياد في الشهادة فقال: ما أظنُّ هذه شهادة قاطعة، وأُحِبُّ أن يكونَ الشهود أكثر من أربعة.

فكتب أبو بُرْدَة بن أبي موسى:

[١٤٦/١٧] «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبي موسى / للهِ ربّ العالمين، شهد أنَّ حُجْر بن عَدِيٍّ خلع الطاعةَ، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحَرْبِ والفِتْنة، وجمع إليه الجموعَ يَدْعُوهم إلى نَكْثِ البيعة، وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كَفْرة صلعاء».

فقال زياد: على مِثْلِ هذه الشهادة فاشهدوا، والله لأجهدنّ في قَطْع عُنُقِ الخائن الأحمق، فشهد رؤوسُ الأرباع الثلاثة الآخرون على مِثْل ذلك، ثم دعا الناسَ، فقال: اشهدوا على مِثْل ما شهد عليه رؤوسُ الأرباع.

٨/١٦ فقام عثمان بن شرحبيل التيميّ أوّل الناس، فقال: / اكتبُوا اسْمِي. فقال زياد: ابدءُوا بقريش، ثم اكتبوا اسمَ مَنْ نعرفه ويعرفه أميرُ المؤمنين بالصحة والاستقامة. فشهِد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عُبيد الله، والمنذر بن الزبير، وعمارة بن عقبة، وعبد الرحمن بن هبّار، وعُمَر بن سَعْد بن أبي وقاص، وشهد عنان[١]، ووائل بن حُجْر الحضرميّ، وضِرار بن هُبيرة، وشدّاد بن المنذر أخو الحُضين بن المنذر، وكان يُدْعَى ابن بُزَيعة.

فكتب شداد بن بُزَيْعَة، فقال: أما لهذا أبٌ يُنْسَب إليه، أَلْغوا هذا من الشهود. فقيل له: إنه أخو الحُضين بن المنذر، فقال: انسبوه إلى أبيه، فنُسب، فبلغ ذلك شدّاداً، فقال: والهفاه على ابن الزّانية؟ أو ليست أُمّه أعرفَ من أبيه؛ فوالله ما يُنْسَب إلاّ إلى أمّه سُمَيَّة.

وشهد حجّار بن أبجر العجلي، وعَمْرو بن الحجاج، ولبيد بن عُطارد، ومحمد بن عمير بن عطارد، وأسماء بن خارجة، وشمِر بن ذي الجَوْشن، وزَحْر بن قَيْس الجعفيّ، وشبَث بن رِبْعيّ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسديّ [١٤٧/١٧] صاحب مسجد سماك، ودعا المختار بن أبي عُبيد[٢]، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة / إلى الشهادة فراغاً، وشهد سبعون رجلاً.

وائل بن حجر وكثير بن شهاب يذهبان إلى معاوية بكتاب زياد ومعهما جماعة من أصحاب حجر

ودَفع ذلك إلى وائل بن حُجر، وكثير بن شهاب، وبعثهما عليهما وأمرهما[٣] أنْ يخرجوهم.

وكتب في الشهود شريح بن الحارث، وشريح بن هانىء. فأما شريح بن الحارث فقال: سألني عنه فقلت: أما إنه كان صوّاماً قوّاماً. وأما شريح بن هانىء فقال: بلغني أنّ شهادتي كُتبت فأكذبتُه، ولُمْتُه.

وجاء وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأخرجا القومَ عشيّةً، وسار معهم أصحابُ الشّرط حتى أخرجوهم، فلما

---

(١) أ: «عفان»، وفي الطبري: «عنان بن شرحبيل».

(٢) المختار: «ابن عبيدة»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً.

(٣) أ: «وأمرهم».

انتهوا إلى جبّانة عَرْزَم[١] نظر قبيصة بن ضبيعة العَبْسيّ إلى داره في جبّانة عَرْزَم، فإذا بَناتُه مشرفات، فقال لوائل وكثير: أدْنياني أُوصِ أهْلي، فأدْنَيَاه. فلما دنا منهن بكَيْنَ، فسكت عنهن ساعةً، ثم قال: اسكتْنَ، فسكتْنَ، فقال: اتَّقِينَ اللهَ واصبِرْنَ، فإني أرجو من ربي في وَجْهي هذا خَيْراً: إحدى الحسنيين؛ إما الشهادة فنعم سعادة، وإما الانصراف إليكنّ في عافية؛ فإنَّ الذي كان يرزقكنّ ويكفيني مؤنتكن هو اللهُ تبارك وتعالى وهو حيٌّ لا يموتُ، وأرجو ألّا يضيعكنّ، وأنْ يحفظني فيكنَّ. ثم انصرف، فجعل قومه يَدْعُونَ له بالعافية.

وجاء شريح بن هانىء بكتاب، فقال: بلّغوا هذا عني أميرَ المؤمنين، فتحمّله وائل بن حجر.

ومضَوْا بهم حتى انتهوا[٢] إلى مَرْج عَذراء[٣]، فحبسوا به وهم على أميالٍ من دمشق، وهم: حُجْر بن عديّ الكنديّ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ، / وشريك بن شدّاد الحضرميّ، وصَيفيّ بن فَسِيلٍ[٤] الشيبانيّ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّ، وكَرِيم بن عَفيف الخثعميّ، وعاصم بن عوف البَجَليّ، ووَرْقاء بن سُمَيّ البَجَليّ[٥]، وكِدام بن حَيّان، وعبد الرحمن بن حسّان العَنزيّان، ومحرز بن شهاب المِنقريّ، وعبد الله بن جُوَيّة التميميّ، وأتْبَعهم زياد برجلين، وهما عتبة بن الأخنس السعديّ، وسَعيد بن نِمْران الهَمْدانيّ الناعطيّ، فكانوا أربعة عشر. [١٤٨/١٧]

كتاب زياد إلى معاوية

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير، فأدخلهما، وفضّ كتابهما، وقرأه على أهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان.

أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاءَ فأدَالَهُ[٦] من عدوِّه، وكفاه مؤونة مَنْ بَغَى عليه، إنّ / طواغيت[٧] الترابيّة السابّة رأسهم حُجْر بن عديّ، خلعُوا أميرَ المؤمنين، وفارقوا جماعةَ المسلمين، ونصَبُوا لنا حَرْباً فأطفأها اللهُ عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المصر وأشرافهم وذوي النُّهى والدِّين، فشهدوا عليهم بما رأوْا وعلموا، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين، وكتبتُ شهادةَ صُلحاءِ أهلِ المِصْرِ وخيارهم في أسفل كتابي هذا». [٩/١٦]

/ فلما قرأ الكتابَ قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال[٨] يزيد بن أسَد البَجَليّ: أرى أنْ تفرّقهم في قُرى الشام، فتكفيكهم طَوَاغيتها[٩]. [١٤٩/١٧]

كتاب شريح بن هانىء إلى معاوية

ودفع وائل كتابَ شريح إليه، فقرأه وهو:

(١) هي بالكو[فة].

(٢) أ: «مفـ[ـسـ]ـرا حتى انتهى بهم».

(٣) مرج عذراء بغوطة دمشق (/).

(٤) انظر حاشية ٤ ص ١٤٤.

(٥) الطبري: «ثم الناعطي».

(٦) أ: «فأدركه»، وفي المختار: «أذل له الأعداء».

(٧) الطواغيت: جمع طاغوت، وهو الكثير الطغيان.

(٨) في أ: «قال».

(٩) جـ، م، المختار: طواعينها.

«بسم الله الرحمن الرحيم.

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هانىء.

أما بعد؛ فقد بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر، وإن شهادتي على حُجْر أنه ممَّنْ يُقيم الصلاةَ، ويُؤْتي الزكاة، ويأمر بالمعروف، ويَنْهَى عن المنكر، حرامُ المال والدم، فإن شئتَ فاقتُلْه، وإن شئت فدَعْه».

معاوية يكتب إلى زياد بحيرته في أمر حجر وأصحابه، وزياد يرد عليه بطلب عقابهم

فقرأ كتابَه على وائل، وقال: ما أرى هذا إلاّ قد أخرج نَفْسَه من شهادتكم. فحبس القومَ بعد هذا، وكتب إلى زياد:

«فهمتُ ما اقتصصت من أمر حُجْر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أنَّ قتلهم أفضل، وأحياناً أرى أن العَفْوَ أفضل مِنْ قتلهم».

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التيميّ: «قد عجبْتُ لاشتباهِ الأمْرِ عليك فيهم مع شهادة أهلِ مِصْرِهم عليهم، وهم أعلَمُ بهم؛ فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المِصْر فلا تردَنّ حُجْراً وأصحابَه إليه.

حجر يطلب إبلاغ معاوية تمسكه ببيعته

فمرَّ يزيد بحُجْر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد، فقال له حُجْر: أبلغ أمير المؤمنين أنّا على بَيْعَتِه لا نقيلها ولا نستقيلها، وإنما شهد علينا الأعداءُ والأظنّاء[1].

[١٧/١٥٠] / فقدم يزيد بن حُجيّة على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حُجْر. فقال معاوية: زياد أصدقُ عندنا من حُجر.

وكتب جرير بن عبد الله في أمْرِ الرجلين اللَّذَيْنِ مِنْ بَجيلة، فوهبهما له وليزيد بن أسد، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكنديّ، فتركه، وطلب أبو الأعور في عُتْبَة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة بن مالك الهَمْدَانيّ في سَعِيد بن نِمْران فوهَبه له، وطلب[2] حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جُوَيَّة التميميّ فخَلّى سبيله.

فقام مالك بن هُبيرة، فسأله في حُجر فلم يشفِّعه؛ فغضب وجلس في بيْتِه. وبعث معاوية هُدْبَة[3] بن فَيّاض القضاعيّ والحُصين بن عبد الله الكِلابيّ، وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدريّ، فأتَوْهُم عند المساء، فقال الخَثْعَميّ حين رأى الأعور: يُقتَل نصفنا ويَنْجُو نصفنا. فقال سعيد بن نِمْران: اللهم اجعلني ممن ينجو، وأنتَ عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزيّ: اللهم اجعلني ممن يُكْرَمُ بهوانهم وأنْتَ عنّي راض، فطالما عرَّضت نفسي للقَتْل، فأبى الله إلاّ ما أراد.

رسول معاوية يطلب من أصحاب حجر لعن علي فيأبون

فجاء رسولُ معاوية إليهم فإنه لَمَعَهُم إذ جاء رسولٌ بتَخْلِيَةِ ستَّةٍ منهم وبقي ثمانية. فقال لهم رسُول[4] معاوية:

(١) الأظناء: المتهمون.
(٢) المختار: «وتكلم».
(٣) بيروت: «هدية»، بالياء المشددة، والهاء المفتوحة.
(٤) كذا في حـ، والطبري، وفي أ، م، ب، س: «رسل».

إنّا قد أُمرنا أنْ نعرِض عليكم البراءة مِنْ عليّ واللَّعْنَ له، فإن فعلتُم هذا تركناكم، وإن أبيتُم قتلناكم، وأميرُ المؤمنين يزعمُ أنَّ دماءكم قد حلَّتْ بشهادةِ أهْلِ مِصْرِكم عليكم، غَيْرَ أنه قد عفَا عن ذلك فابْرَءُوا مِنْ هذا الرجل يُخلِ سبيلَكم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمر[1] / بقيودهم[2] فحُلَّتْ، وأُتِيَ بأكفانهم فقاموا الليلَ كلَّه يصلُّون. فلما أصبحوا [١٧/١٥١] قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحةَ أطَلْتُم الصلاة، / وأحسنتُم الدعاءَ، فأخبرونا ما قولكُم في [ط ١٦] عثمان، قالوا: هو أوّل مَنْ جار في الحكم، وعمل بغير الحق. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرفَ بكم. ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءُون مِنْ هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاّه.

فأخذ كلُّ رجل منهم رجلاً يقتله، فوقع قبيصة في يَدي أبي صَرِيف البدريّ، فقال له قبيصة: إنَّ الشرّ بين قومي وقومك أَمِين[3]، أي آمن فليقتلني غَيْرُك، فقال: برَّتك رَحِم. فأخذ الحضرميّ فقتله.

وقتل القُضاعيّ صاحبه، ثم قال لهم حُجر: دَعُوني أُصلِّي ركعتين، فإني والله ما توضّأت قطّ إلاّ صلّيت، فقالوا له: صَلِّ، فصَلَّى ثم انصرف، فقال: والله ما صليتُ صلاةً قطّ أقصر منها، ولولا أن يروا أنَّ ما بِي جزَعٌ من الموت لأحْبَبْتُ أنْ أستكثِرَ منها، ثم قال: اللهم إنّا نستعديك على أُمّتنا، فإنَّ أهلَ الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشأم يقتلوننا، أمَا والله لئن قتلتموني فإني أوّل فارس من المسلمين سلك[4] في وادِيها، وأوّل رجل من المسلمين نَبَحَتْه كِلابُها، فمشى إليه هُدْبة بن الفَيّاض الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله[5]، فقال: كلاّ، زعمْتَ أنك لا تجزعُ من الموت، فإنا ندَعُك، فابْرَأْ من صاحبك. فقال: ما لِي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيْفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعتُ لا أقول ما يُسخِطُ الربَّ، فقتله.

/ أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية [١٧/١٥٢]

وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستَّةَ نَفَر، فقال عبد الرحمن بن حسان وكَريم بن عفيف[6]: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مِثْلَ مقالَتِه. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: ائتوني بهما. فالتفتا إلى حُجْر، فقال له العَنَزِيّ: لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مَثْواك؛ فنعم أخو الإسلام كُنْتَ، وقال الخثعميّ نحو ذلك. ثم مضى بهما، فالتفت العَنَزِيّ، فقال متمثّلاً:

كَفَى بشَفَاةِ القبر[7] بُعْداً لِهالِكٍ ... وبالموت قَطّاعاً لِحَبْلِ القرائنِ

فلما دخل عليه الخثعميّ قال له: الله الله يا معاوية! إنك منقول مِنْ هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عما أردتَ بقَتْلنا، وفيما سفكْتَ دماءنا. فقال: ما تقولُ في عليّ؟ قال: أقولُ فيه قولَك، أتَبَرأُ من دين عليّ الذي كان يَدين اللهَ به! وقام شَمِر بن عبد الله الخثعميّ فاستَوْهَبه، فقال: هو لك، غير أني حابِسُه شهراً، فحبسه، ثم

---

(١) في أ، م، ب، س: «فأمروا» والمثبت من المختار والطبري.

(٢) الطبري: «فأمر بقبورهم فحفرت».

(٣) س: «أمن»، وكذلك في الطبري.

(٤) أ والطبري: «هلك».

(٥) الخصيلة: القطعة من اللحم، أو لحم الفخذين والعضدين والذراعين، أو كل عصبة فيها لحم غليظ، والجمع خصائل. وفي «بيروت»: «فصائله».

(٦) أ: «عقيف».

(٧) شفاة القبر: حرفه ومدخله.

أطلقه على ألّا يدخلَ الكوفة ما دام له سلطانٌ. فنزل الموصل، فكان ينتظرُ مَوْتَ معاوِيةَ ليَعُودَ إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشَهْرٍ.

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقولُ في عليّ؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافِينَ عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أولُ مَنْ فتح أبواب الظلم، وأرْتَج أبوابَ الحقّ. قال: قتلْتَ نفْسَك. قال: / بل إيّاكَ قتلْت، لا ربيعَة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثَمّ أحد من قومه فيتكلم فيه. [١٥٣/١٧]

فبعث به معاويةُ إلى زياد، وكتب إليه: إنّ هذا شرُّ مَنْ بعثتَ به، فعاقِبْه بالعقوبة التي هو أهلها واقتُلْه شرَّ قتلة.

فلما قُدِم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطِفِ[١]، فدفنَهَ حَيًّا.

قال أبو مِخنف، عن رجاله: فكان مَنْ قُتل منهم سبعة نَفَر: حجر بن عديّ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ، وصيفيّ بن فسيل[٢] الشيبانيّ، وقبيصة بن ضُبيعة العبسيّ، / ومُحرز بن شهاب المِنقريّ[٣]، وكِدام بن حَيّان العنزيّ وعبد الرحمن بن حسان العنزيّ. ونجا منهم سبعة: كريم بن عفيف الخثعميّ، وعبد الله بن جؤيّة[٤] التميميّ، وعاصم بن عَوْف البجليّ، ووَرْقاء بن سميّ البَجَليّ، وأرقم بن عبد الله الكنديّ، وعتبة بن الأخنس السّعديّ مِنْ هوازن، وسَعِيد بن نِمْران الهَمْدَانيّ. [١١/١٦]

وبعث معاوية إلى مالك بن هُبيرة لما غضب بسبب حُجْر مائة ألف درهم، فرضي.

قال أبو مخنف: فحدثني ابنُ أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركتُ الناسَ يقولون: أول ذُلٍّ دخل الكوفةَ قَتْلُ حُجْر، ودِعْوَة زياد، وقَتْلُ الحسين.

/ قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أيّ يوم لي من ابنِ الأدبر[٥] طويل!. [١٥٤/١٧]

عائشة تبعث عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية في أمر حجر وأصحابه

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤيّ أنّ عائشةَ بعثت عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجْر وأصحابه، فقدمِ عليه وقد قَتَلهم، فقال له: أين غاب عنكَ حِلْمُ أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلُك مِنْ حُلماء قومي، وحمّلني ابن سُمَيّة فاحتمَلْت.

قال: وكانت عائشةُ رضي الله عنها تقول: لولا أنّا لم نُغَيّر شيئاً قطّ إلاّ آلت بِنَا الأمورُ إلى أشد مما كنّا فيه لغَيّرنا قتل حجر، أمَا[٦] واللهِ إن كان لَمُسْلِماً ما علمتُه حاجّاً معتمراً.

---

(١) أ والمختار: «قيس الناطف». وقس الناطف: موضع قرب الكوفة (ياقوت).

(٢) انظر ما سبق ص ١٤٤ حاشية ٤.

(٣) الطبري: «السعدي».

(٤) الطبري: «حوبة».

(٥) ابن الأدبر: لقب حجر بن عدي. «القاموس».

(٦) كذا في الطبري والمختار، وفي باقي الأصول: «أم».

رثاء حجر

وقالت امرأة من كندة ترثي حُجْراً[١]:

تــرفّــعْ أيُّهــا القَمَــرُ المُنِيــرُ ... لعلّــكَ أن تَــرى حُجْــراً يَسِيــرُ[٢]

يسيــر إلــى معــاوِيــة بــن حــربٍ ... لِيَقْتُلَــهُ كمــا زعــم الأميــرُ

ألا يــا ليــتَ حُجْــراً مــات مَــوْتــاً ... ولــم يُنْحَــر كمــا نُحِــر البَعيــرُ

تــرفّعَــت الجبــابِــرُ بعــد حُجْــرٍ ... وطــاب لهــا الخَــوَرْنَــقُ والسَّــدِيــرُ[٣]

وأصبحــتِ البــلادُ لــه مُحُــولاً ... كــأنْ لــم يُحيِهــا مُــزْنٌ[٤] مَطِيــرُ

[١٧/١٥٥] / ألا يــا حُجْــرُ حُجْــرَ بنــي عَــدِيٍّ ... تلقَّتْــكَ الســلامــةُ والســرورُ

أخــافُ عليــكَ سطــوةَ آلِ حــربٍ[٥] ... وشيخــاً فــي دمشــقَ لــه زَئيــرُ

يــرى قَتْــلَ الخِيــار عليــه حقّــاً ... لــه مِــنْ شَــرِّ أُمَّتِــه وَزِيــرُ

فــإنْ تهلِــكْ فكــلُّ زعيــم قــومٍ ... إلــى هُلْــكٍ[٦] مــن الــدنيــا يَصِيــرُ

[١٧/١٥٦] / صوت

أحِــنُّ إذا رأيْــتُ جمــالَ سُعْــدَى ... وأبكــي إن رأيــتُ لهــا قَــرِينــا[٧]

وقــد أَفِــدَ الــرَّحيــلُ[٨] فقُــلْ لسُعْــدَى: ... لعمــرِكِ خَبِّــرِي مــا تَــأمــرينــا

الشعر لعُمر بن أبي ربيعة، يقوله في سُعْدَى بنت عبد الرحمن بن عوف. والغِناء لابن سريج، رمَل بالوسطى، عن حبَش. وقد قيل: إن عمر قال هذا البيت مع بَيْتٍ آخر في ليلى بنت الحارث بن عَوْف المرّيّ. وفيه أيضاً غناء، وهو:

صوت

ألا يــا لَيْــلَ إنَّ شِفــاءَ نفســي ... نــوالُــكِ إنْ بخلــتِ فــزوِّدِينــا[٩]

وقــد أَفِــدَ الــرحيــل وحــان منّــا ... فِــراقُــك فــانظــري مــا تَــأمــرينــا

/ غنّى به الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر، عن عمرو وحبَش، وفيه خفيف ثقيل يقال إنه أيضاً للغريض. ومن [١٢/١٦] الناس من يَنْسبه إلى ابن سريج.

---

(١) هي هند بنت زيد الأنصارية؛ وانظر ما سبق ص ١٣٢.

(٢) وكذا في المختار. وفي الطبري: «تبصر هل ترى حجراً يسير».

(٣) س: «تربعت»، وفي الطبري: «تجبرت». والخورنق: قصر كان بظهر الحيرة. والسدير: قصر كان قريباً منه.

(٤) أ: «زمن».

(٥) الطبري: «أخاف عليك ما أردى عدياً»، والمثبت في المختار أيضاً.

(٦) الطبري: «من الدنيا إلى ملك يصير».

(٧) ديوانه ٥٠٢.

(٨) أفد الرحيل: دنا وأزف.

(٩) ديوانه ٥٠٢.

[١٧/١٥٧]

/ [أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

سعدى بنت عبد الرحمن تبعث إلى عمر بن أبي ربيعة تعظه

أخبرني حرميّ، عن الزُّبَيْر، عن طارق بن عبد الواحد، قال: قال عبد الرحمن المخزوميّ:

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد، فرأت عُمَر بن أبي ربيعة في الطواف، فأرسلت إليه: إذا قضيتَ طوافَك فَأْتِنا، فلما قضى طوافَه أتاها فحادثها، وأنشدها، فقالت: وَيْحك يابْنَ أبي ربيعة. ما تزالُ سادِراً في حرَمِ اللهِ مُنتهكاً، تتناوَلُ بلسانك ربّاتِ الحجال مِنْ قريش؟! فقال: دَعِي هذا عنك، أما سمعْتِ ما قلتُ فيك؟ قالت: وما قلت فيّ؟ فأنشدها:

أحِـــنُّ إذا رأيـــتُ جمـــالَ سُعْـــدَى ... وأبكـــي إنْ رأيـــت لهـــا قـــرينـــا[(١)]

أسُعْـــدى إنّ أهلـــك قـــد أجَـــدُّوا ... رحيـــلاً فـــانْظُـــرِي مـــا تـــأمـــرينـــا

فقالت: آمُرُكَ بتَقْوى الله، وتركِ ما أنت عليه.

ابن أبي عتيق ينشد سعدى قول عمر

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن مسلم، قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة بْنَ أبي عتيق قوله:

* أحِنُّ إذا رأيتُ جمالَ سُعدى *

قال: فركب ابنُ أبي عَتيق فأتى سعدى بالجناب مِنْ أرْضِ بني فزارة. فأنشدها قَوْلَ عمر، وقال لها: ما تأْمُرِين؟ فقالت: آمُره بتقْوى الله يابْنَ الصِّدِّيق.

[١٧/١٥٨] / يستوقف ليلى بنت الحارث بن عوف وينشدها

قال الزّبير: وحدّثني طارق بن عبد الواحد، عن أبي عبيدة، عن عبد الرحمن المخزوميّ، قال:

لقي عُمَر بن أبي ربيعة لَيْلَى بنت الحارث بن عوف المرّيّ، وهو يسير على بَغْلة، فقال لها: قِفي أسمعكِ بَعْضَ ما قلتُ فيكِ؟ فوقفت، فقال:

ألاَ يـــا ليـــلَ إنّ شفـــاءَ نفسِـــي ... نـــوالُـــكِ إنْ بخلـــتِ فنـــوِّلينـــا

قال: فما بلغنا أنها ردَّتْ عليه شيئاً، ومضَتْ.

وقد روى هذا الخبر إبراهيمُ بن المنذر، عن محمد بن مَعْن، فذكر أنّ ابن أبي عَتيق إنما مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف، فأنشدها هذا البيت، وهو الصحيحُ؛ لأنَّ حلولَها بالجناب مِنْ أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عَوف. ورواية الزُّبير فيما أروى وَهَمٌ لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى.

(١) ديوانه ٥٠٢.

خبر آخر لسعدى بنت عبد الرحمن معه

أخبرني حرميّ، عن الزبير، عن محمّد بن سلام، قال:

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عَوْف جالسةً في المسجد الحرام، فرأت عُمر بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت، فأرسلَتْ إليه: إذا فرغت من طَوافك، فائْتِنا، فأتاها، فقالت: ألا أراك يابْنَ أبي ربيعة إلاَّ سادِراً في حَرم الله! أمَا تخاف الله! ويحك إلى متى هذا السَّفه! قال: أيْ هذه، دَعِي عنك هذا من القَوْل. أَما سمعْتِ ما قلْتُ فيك؟ قالت: لا، فما قُلتَ؟ فأنشدها قوله[1]:

[١٧/٥٩

/ صوت

قالت سُعَيْدَةُ[2] والدموعُ ذَوارِفٌ … منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبابِ

ليتَ المغيريَّ الذي لم أَجْزِهِ … فيما أطال تصيُّدِي[3] وطِلابي

كانت تردّ لنا المُنَى أيامُنا … إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابي

أَسُعيدَ[4] ما ماءُ الفراتِ وطِيبُه … منّي على ظمأٍ وحُبُّ شراب

/ بألذَّ منك وإن نأَيْتِ وقلَّما … يَرْعَى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

١٣/١٦

عروضه من الكامل، غَنّاهُ الهذليّ رمَلاً بالوسطى، عن الهشاميّ، وغنّاهُ الغريض خفيف ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

فقالت: أخزاك الله يا فاسق، ما عَلِم الله أنّي قلت مما قلتَ حَرْفاً، ولكنك إنسانٌ بَهُوت[5].

وهذا الشعرُ تُغُنّيَ فيه:

* قالت سكينة والدموعُ ذوارفٌ *

وفي موضع:

* أسعيد ما ماءُ الفرات وبَرْده *

أسكَيْنَ. وإنما غيَّره المغنّون: ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر.

إسحاق يغني الرشيد شعر عمر في سكينة

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شبّة، عن إسحاق، قال: غنّيْتُ الرشيدَ يوماً بقوله:

[١٧/١٠

/ قالت سُكَيْنَةُ والدموعُ ذَوارِفٌ … منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ

فوضع القدح من يَدِه وغضب غضباً شديداً، وقال: لعنه الله الفاسق، ولعنك معه. فسُقِط في يدي، وعَرَفَ

---

(١) ديوانه ١١٩.

(٢) الديوان: «سكينة».

(٣) س: «تصعدي».

(٤) الديوان: «أسكين».

(٥) بهته، كمنعه: قال عليه ما لم يقل. والبهوت: المباهت.

ما بي، فسكَن، ثم قال: ويحك! أتغنّيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بِنْتِ عَمّي، وبِنْتِ رسول الله ﷺ! ألا تتحفّظ في غِنائك وتدري ما يخرجُ مِنْ رَأسك! عُدْ إلى غِنائك الآن، وانظُرْ بين يديك. فتركت هذا الصوت حتى أُنسِيته، فما سمعه منّي أحدٌ بعده. والله أعلم.

[١٧/١٦١] / صـوت

فـلا زال قَبْـرٌ بُبُنَـى وجَـاسـم عليـه مـن الـوسْمـيّ جَـوْدٌ ووَابِـلُ[١]

فينبـت حَـوْذانـاً وعـوفـاً مُنَـوَّراً سـأتبعـه مِـنْ خيـر مـا قـال قـائـلُ[٢]

عروضه من الطويل، والشعر لحسّان[٣] بن ثابت الأنصاري. وهذا القَبْرُ الذي ذكره حسّان فيما يقال قبر الأيهم بن جَبَلة بن الأيهم الغسّانيّ. وقيل: إنه قبر الحارث بن مارية الجفْني، وهو[٤] منهم أيضاً. والغناء لعزّة الميلاء، خفيف ثقيل، أول بالوسطى، مما لا يشكّ فيه من غنائها. وقد نسبه قومٌ إلى ابن عائشة، وذلك خطأ.



(١) تبنى: بلدة بحوران من أعمال دمشق. الوسمي: أول المطر. الجرد: الغزير.

(٢) «البلدان»: «سأهدى له». الحوذان والعوف: نبتان طيبا الرائحة.

(٣) البيتان نسبهما ياقوت ٢: ٣٦٤ إلى النابغة، وقد وردا في ديوانه ٨٤ مع اختلاف في الرواية.

(٤) «بيروت»: «وهم».

[١٦٢/١٧]

/ أخبار عزة الميلاء

كانت عَزَّةُ مولاةً للأنصار، ومسكنها المدينة، وهي أقدمُ مَنْ غَنَّى الغناءِ الموقَّع من النساءِ بالحجاز، وماتت قبل جَميلة، وكانت من أجمل النساءِ وَجْهاً، وأحسنهنّ جِسْماً، وسُمِّيَتْ الميلاء؛ لتمايُلِها في مشيها.

سبب تسميتها الميلاء

وقيل: بل كانت تلبسُ المُلاَءِ، وتَشَبَّهُ بالرجال، فسمِّيت بذلك. وقيل: بل كانت مغرمة بالشراب، وكانت تقول: خذ مِلْئاً[١] واردُدْ فارغاً ـ ذكر ذلك حمّاد بن إسحاق، عن أبيه.

والصحيح أنها سُمِّيت الميلاء لمَيْلِها في مِشْيَتِها.

مكانتها في الموسيقى والغناء

قال إسحاق: ذكر لي ابنُ جامع، عن يونس الكاتب، عن مَعْبد، قال: كانت عزّة الميلاءِ ممَّن أحسنَّ ضرباً بعُود، وكانت مطبوعةً على الغناء، لا يُعيبها أداؤه ولا صَنْعته ولا تأليفُه، وكانت تغنّي أغانيَ القِيان مِن القدائم، مثل سيرين[٢]، وزرنب، وخولة، والرباب، وسلمى، ورائقة، وكانت رائقة أستاذتها. فلما قدم نَشيط وسائب خاثر المدينةَ غنّيا أغانيَ بالفارسية، فَلَقِنَتْ عزَّة عنهما نغَماً، وألَّفت عليها ألحاناً عجيبة، فهي أوَّل مَنْ فَتَن أهل المدينة بالغناء، وحرَّض نساءهم ورجالَهم عليه.

رأي مشايخ أهل المدينة فيها

قال إسحاق: وقال الزُّبَير: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عَزَّة قالوا: لله دَرُّها! ما كان أحسن / غناءها، ومدَّ[٣] صوتِها، وأندى حَلْقها، وأحسن ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي، وأجملَ وجهها، / وأظرف لسانها، وأقْرب مجْلسها، وأكرم خُلُقها، وأسخى نفسها، وأحسن مساعدتها.

جـ ١٦ [١٦٣/١٧]

قال إسحاق: وحدَّثني أبي، عن سياط، عن مَعبد، عن جميلة، بمثل ذلك من القَوْل فيها.

أخذ عنها ابن سريج وابن محرز

قال إسحاق: وحدثني أبي، عن يونس، قال:

كان ابْنُ سُريج في حَداثَةِ سِنّه يأتي المدينة، فيسمَعُ مِنْ عزَّةَ ويتعلَّم غناءَها، ويأخذُ عنها، وكان بها مُعْجَباً،

(١) الملء، بالكسر: اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ. وفي «المختار»: «ملاء».

(٢) «بيروت»: «شيرين».

(٣) المختار: «وأحل صوتها».

وكان إذا سُئل: مَنْ أحسنُ الناسِ غناءً؟ قال: مولاة الأنصار المفَضَّلة على كلِّ مَنْ غَنّى وضرب بالمعازف والعِيدان مِنَ الرجالِ والنِّساءِ.

قال: وحدثني هشام بن المُرِّيَّة أنَّ ابن مُحرز كان يُقيم بمكة ثلاثةَ أشهر، ويأتي المدينة فيُقيم بها ثلاثةَ أشهر من أجْلِ عزَّة، وكان يأخذ عنها.

رأي طويس فيها

قال إسحاق: وحدثني الجمحيّ، عن جُرَيْر[1] المغنّي المدني، أنَّ طُوَيساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزّة المَيْلاء، وكان في جوارها، وكان إذا ذكرها يقول: هِيَ سيِّدةُ مَنْ غنّى من النساء، مع جمالٍ بارع، وخُلق فاضلٍ وإسلام لا يَشُوبُه دَنَس؛ تأمُرُ بالخير وهي مِنْ أهْله، وتَنْهَى عن السوءِ وهي مُجانِبة[2] له، فناهيك ما كان أنبلها، وأنبل مجلسها!.

ثم قال: كانت إذا جلست جُلوساً عامّاً فكأنّ الطيرَ على رؤوس أهْلِ مجلسها، مَنْ تكلَّم أو تحرك نقر رأسه.

قال ابن سلاّم: فما ظنُّك بمَنْ يقولُ: فيه طُوَيس هذا القول! ومَنْ ذلك الذي سَلِم من طُوَيس!.

١٧/١٦٤ / سمعها معبد وقد أسنت فأعجب بها

قال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلميّ، عن معبد:

أنه أتى عزَّة يوماً وهي عند جَميلة وقد أسنَّت، وهي تغنّي على معزفة في شِعْر ابْنِ الإطنابة، قال:

عَلِّلانـــي وعَلِّـــلا صـــاحِبَيّـــا واسقِيـــانـــي مِـــنَ المـــروّق ريَّـــا

قال: فما سمع السامِعُونَ قطّ بشيء أحسنَ مِنْ ذلك. قال معبد: هذا غناؤها، وقد أسنَّت، فكيف بها وهي شابّة!.

عمر بن أبي ربيعة يغشى عليه حين سمعها تغني شعره

قال إسحاق: وذكر لي عن صالح بن حسّان الأنصاريّ، قال: كانت عزَّةُ مولاةً لنا، وكانت عفيفةً جميلةً، وكان عبدُ الله بن جعفر، وابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة يَغْشَوْنها في منزلها فتغنِّيهم. وغنَّت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحْناً لها في شيء مِنْ شِعرِه، فشقَّ ثيابَه، وصاح صيحةً عظيمة صعق معها، فلما أفاق قال له القومُ: لغيرك الجَهْلُ يا أبَا الخطاب! قال: إني سمعتُ والله ما لم أمْلِكْ معه نفسي ولا عَقْلِي.

وقال إسحاق: وحدثني أبو عَبْد الله الأسلميّ المدنيّ، قال:

كان حسّان بن ثابت مُعْجَباً بعزَّةَ الميلاء، وكان يقدِّمُها على سائر قِيانِ المدينة.

غنت شعراً لحسان بن ثابت فبكى

أخبرني حرميّ، عن الزبير، عن محمد بن الحسن المخزوميّ، عن محرز بن جعفر، قال:

---

(١) كذا ضبط بالتصغير في أ والإكمال: ١٣١ أ.

(٢) في المختار: «وهي مجانبته».

ختَن زَيْدُ بن ثابت الأنصاري بنتَه، فأوْلَم؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامَّةُ أهل المدينة، وحضر حسّان بن ثابت وقد كُفَّ بَصَرهُ يومئذ، وثَقُل سمعُه، وكان يقول إذا دُعي: أعُرْسٌ أم عِذار[1]؟ فحضر ووُضِع بين يَدَيْه خِوان ليس عليه إلاّ عبد الرحمن ابنه، فكان / يسألُه: أطعَامُ يَدٍ أمْ يدين؟ فلم يزل يأكلُ حتى جاءُوا بالشّواء، [١٧/١٦٥] فقال: طعامُ يَدَيْن؛ فأمسك يَده حتى إذا فرغ من الطعام ثُنيت وسادة، وأقبلت المَيْلاء، وهي يومئذ شابّة، فوُضع في حجرها مِزْهر، فضربت به، ثم تغنّت، فكان أوّلَ ما ابتدأت به شِعْرُ حسّان، قال:

/ فـلا زالَ قَبْـرٌ بَيْـن بُصـرى وجِلَّـق   عليـه مـن الـوَسْمِـيّ جَـوْدٌ ووَابِـلُ ١٥/١٦

فطرب حسّان، وجعلت عيناه تنضحان، وهو مُصْغٍ لها.

أخبرني ابن عبد العزيز الجوهريّ، عن ابن شبّة، عن الأصمعيّ، عن أبي الزناد، قال:

قلتُ لخارجة بن زَيْد: أكان يكون هذا الغناء عندكم؟ قال: كان يكون في العُرُسات[2] ولم يكن يُشْهَد بما يشهدُ به اليوم من السَّعة.

وكان في إخواننا بني نبيط مَأدبة، فدُعينا، وثمَّ قينة أو قينتان تُنْشِدَان شِعْرَ حسّان بن ثابت، قال[3]:

انظُـرْ خَليلِـي ببـابِ جِلَّـقَ هـلْ   تُبْصِـرُ دون البَلْقـاءِ مِـنْ أحَـدِ[4]؟

قال: وحسّان يبكي، وابنُه يُومىء إليهما أنْ زِيدَا؛ فإذا زادتا بكى حسّان، فأعجبني ما يُعجبه مِنْ أن تُبكيا أباه، وقد كُفَّ بَصَرُ حسّان بن ثابت يومئذ.

أخبرنا وكيع، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الواقديّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال:

سمعتُ خارجةَ بن زيد يقول: دُعينا إلى مأدبة في آل نَبِيط، قال خارجة: فحضَرْتَها، وحسّان بن ثابت قد حضرها، فجلَسْنَا / جميعاً على مائدةٍ واحدة، وهو يومئذ قد ذهب بصَرُه، ومعه ابنُه عبد الرحمن، فكان إذا أتى [١٧/١٦٦] طعام سأل ابْنَه: أطعام يَدٍ أمْ يدين؟ يعني باليَدِ الثَّرِيد وباليدَيْنِ الشِّواء؛ لأنه يُنْهش نَهْشاً، فإذا قال: طعام يدَيْن أمسك يده. فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين: إحداهما رائقة والأخرى عزّة، فجلستا وأخذتا مِزْهَرَيهما، وضَرَبَتا ضَرْباً عجيباً، وغنّتا بقول حسّان:

انظـر خَلِيلـي ببـاب جلّـق هَـلْ   تُبْصِـرَ دُونَ البَلْقـاءِ مـن أحَـدِ

فأسمع حسّاناً يقول:

* قد أراني بها[5] سَمِيعاً بصيراً *

وعَيْنَاهُ تدمعان، فإذا سكتتا سكت عنه البُكاء، وإذا غنّتا بكى، فكنتُ أرى ابْنَه عبد الرحمن إذا سكتتا يُشير إليهما أن تغنّيا، فيبكي أبوه، فأقول: ما حاجتُه إلى إبكاء أبيه!.

---

(١) العرس: طعام الوليمة، والعذار: طعام البناء والختان.

(٢) س، ب: «العرسان». والعرسات: جمع عرس: طعام الوليمة، ويجمع على أعراس أيضاً.

(٣) ديوانه ١١٠.

(٤) جلق: اسم لكورة الغوطة، أو هي دمشق نفسها أو قرية من قراها. والبلقاء من أعمال دمشق.

(٥) المختار: «هناك».

قال الواقديّ: فحدّثتُ بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفريّ، فقال: سمعتُ سَعِيد بن عبد الرحمن بن حسّان يقول: لما انقلب حسّان مِنْ مَأدبة بني نَبِيط إلى منزله استلقى على فِراشه، ووضع إحْدَى رجليه على الأُخرى، وقال: لقد أذكرتني رائقة وصاحبتها أمْراً ما سَمِعَتْه أُذُناي بُعَيْد ليالي جاهليتنا مع جَبَلة بن الأيهم! فقلت: يا أبا الوليد! أكان القيان يكنَّ عند جبلة؟، فتبسّم ثم جلس، فقال: لقد رأيتُ عشر قِيَان: خمس رُوميّات يغنّين بالروميّة بالبرابط، وخمس يُغَنِّين غناءَ أهْلِ الحِيرة، وأهداهنّ إليه إياس بن قَبِيصة، وكان يَفِد إليه مَنْ يُغَنِّيه من العرب مِن مكّة وغيرها، وكان إذا جلس للشرب فُرِش تحته الآسُ والياسمين وأصنافُ الرياحين، وضُرِب له العنبَرُ والمسك في صِحَافِ الفضة والذهب، وأُتي بالمسك الصحيح في صِحافِ الفضة، وأوقد له العُودُ المنَدَّى[1] إن كان / شاتياً، [١٧/١٦٧] وإن كان صائفاً بُطِّن بالثَّلج، وأُتي هو وأصحابُه بكُساً صيفيّة يتفضّلُ هو وأصحابه بها في الصيف، وفي الشتاء الفِراء الفَنَك[2]، وما أشبهه، ولا والله ما جلستُ معه يوماً قطّ إلاّ خلع عليّ ثيابَه التي عليه في ذلك اليوم، وعلى غَيْري من جلسائه، هذا مع حِلْمٍ عمَّنْ جهل، وضَحِكَ وبَذْلٍ من غير مَسألة، مع حُسْن وَجْهٍ وحسن حديث، ما رأيتُ منه خَنىً قطّ ولا عَرْبَدة، ونحن يومئذ على الشِّرْك، فجاء اللهُ بالإسلام فمحا به كلَّ كفر، وتركنا الخَمْرَ وما كرِه، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ / من التَّمْر، والفضيخ[3] من الزَّهو والرُّطب، فلا يشرب أحَدُكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب صاحبتَه ويفارقها، وتُضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون!. [ط ١٦/١٦]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن أبي أيوب المدينيّ، عن مصعب الزبيريّ، عن الضحّاك، عن عثمان بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد مثله، وزاد فيه:

فلما فرغنا من الطعام ثَقُل علينا جلوسُ حسّان، فأومأ ابنُه إلى عزّة الميلاء فغنّت:

انْظُـــر خَلِيلـــي ببـــابِ جِلّـــق هَـــلْ تُبْصِـــرُ دونَ البَلْقـــاءِ مِـــنْ أحَـــدِ

فبكى حسّان حتى سَدِرَ[4]، ثم قال: هذا عَمَلُ الفاسق، أما لقد كرهتم مجالستي، فقبّح اللهُ مجلسكم سائرَ اليوم، وقام فانصرف.

أخبرني حرميّ، عن الزبير، عن عمه مصعب، قال:

ذكر هشام بن عروة، عن أبيه: أنه دُعِيَ إلى مأدبة في زَمنِ عثمان، ودُعي / حسّان ومعه ابنُه عبد الرحمن، ثم ذكر نحْوَ ما ذكره عمر بن شبّة عن الأصمعيّ في الحديث الأول، قال[5]: [١٧/١٦٨]

(١) في «بيروت»: «الهنديّ».
(٢) المختار: «بفراء الفنك»، والفنك: جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء.
(٣) الفضيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ وإن غلبه الماء. «القاموس».
(٤) سدر: أصابه شبه دوار وتحير.
(٥) ديوانه ١١٠.

نسبة هذا الصوت

انظُرْ خليلي بباب جِلّقَ هل تُؤنِسُ دُونَ البلقاءِ من أَحَدِ
أجمالَ شَعْثاءَ إنْ هَبَطْنَ من الْـ ـمَحْبِسِ بينَ الكُثْبانِ فالسَّنَدِ[١]
يُمِلْنَ حُوراً[٢] حُورَ المدامعِ في الرَّيْطِ وبِيضَ الوُجُوهِ كالبَرَدِ
مِنْ دون بُصْرَى ودونَها جبلُ الثَّلْجِ عليه السَّحابُ كالقَرَدِ[٣]
إنّي وأيدي المخيَّساتِ وما يقْطَعْنَ من كلِّ سَرْبَخٍ جَدَدِ[٤]
أهوَى حديثَ النُّدْمانِ في فَلَقِ الصُّبْحِ وصَوْتَ المُسامرِ الغَرِدِ
تَقُولُ شَعْثاءُ بعدَ ما هبطتْ بِصَوْرِ حُسْنى من احتدى بَلَدِي[٥]
لا أخدِشُ الخَدْشَ بالحبيبِ ولا يَخْشَى نديمي[٦] إذا انتشيتُ يَدِي

الشعر لحسّان بن ثابت، والغِناء لعزّة الميلاء، رمل بالبنصر، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز، وإلى عزّة الميلاء. وإلى الهذليّ في:

* تقول شَعْثاء بعد ما هبطت *

/ وما بعده من الأبيات، ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل [١٦٩/١٧] بالوسطى عن عَمْرو.

نسب شعثاء التي شبب بها حسان بن ثابت

وشَعْثاءُ هذه التي شبَّب بها حسّان ـ فيما ذكر الواقديّ ومصعب الزبيريّ ـ امرأةٌ من أسلم، تزوّجها حسّان، وولدت منه بنتاً يقال لها أمّ فِراس تزوّجها عبدُ الرحمن بن أم الحكم. وذكر أبو عَمرو الشيبانيّ مثل ما ذكره في نَسبِها، ووصف أنه خطبها إلى قومِها من أسلم فردُّوه، فقال يهجوهم[٧]:

لقد أتى عن بني الجَرْباءِ قولُهُمُ ودونهم قُفُّ جُمْدانٍ فمَوْضُوعُ[٨]
قد علمتْ أسلمُ الأرذالُ أنّ لها جاراً سيقتلُه في دارِه الجُوعُ

---

(١) الديوان: «أجمال شعثاء قد هبطن». الكثبان، في «بيروت»: الطبثان.

(٢) الديوان: «يحملن حوًّا»، وحُوًّا، يريد نساء حُوًّا، والحوة: سمرة الشفة، وشفة حواء: تضرب إلى السواد. وحور المدامع، يعني حور العيون.

(٣) القرد، بالتحريك: نفاية الصوف خاصة، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان. «اللسان» (قرد). وفي الديوان و«بيروت»: «كالقدد».

(٤) الديوان: «إني ورب». والمخيات: الإبل المذللة. والسربخ: الأرض البعيدة. وقيل: هي المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق.

(٥) في «بيروت»:

* قعور حسنى من آخذ بيدي *

ورواية الديوان:

تقول شعثاء لو نفيق من الـ ـكأس لألفيت مثرى العدد

(٦) الديوان: «... بالنديم... ولا يخشى جليسي».

(٧) ديوانه ٢٦٧.

(٨) الديوان: «ودونهم دف جمدان»، وجمدان موضوع: مكانان، وفي س وبيروت: «حمدان».

وأنْ سيمنَعُهم مما نَوَوْا حَسَبٌ ـ لن يبلغ المجدَ والعلياءَ ـ مقطوعُ
وقد عَلَوْا ـ زَعموا ـ عنّي بأختهمُ وفي الذُرا حَسَبي[١] والمَجْدُ مرفوعُ
ويلُ امِّ شعثاء شيئاً تستغيثُ به إذا تجلّلها النَّعْظُ الأفاقيع[٢]
كأنه في صَلاها[٣] وهي باركةٌ ذِرَاعُ بَكْرٍ من النِّياط مَنْزُوع[٤]

١٧/١٦ / أخبرني حرميّ، عن الزبير، عن إبراهيم بن المنذر، عن أبي القاسم بن أبي الزناد، عن أخيه عبد الرحمن، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، قال: / شعثاءُ هذه بنت عمرو، من بني ماسكة مِنْ يَهُود، وكانت مساكن بني ماسكة [١٧/١٧٠] بناحية القُفّ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهودَ التي تلي بيت الدِّراسَةِ للتوراة، وكان ذا قَدْرٍ فيهم، فقال حسّان يذكر ذلك:

من شعر حسان في شعثاء

هل في تَصابِي الكريم مِنْ فَنَدِ أم هل لمدَى الأيام مِنْ نَفَدِ[٥]
تقول شَعْثاء: لو أفقتَ[٦] عن الكا س لأُلفيتَ مُثْرِيَ العَدَدِ
يأبَى لي السيفُ واللسانُ وقو مٌ لم يُضامُوا كَبِدَةَ الأسَدِ

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء.

ومما قاله حسّان بن ثابت في شعثاء، وغُنّي به قوله[٧]:

ما هاج حسّانَ رسومُ المُقامْ ومظعَنُ الحيّ ومبنى الخِيامْ
والنُّؤْيُ قد هَدّم أعضادَهُ تقادُمُ العَهْد بوادي تِهامْ
قد أدرك الواشون ما حاوَلُوا والحَبْلُ من شَعْثاءَ رَثٌّ رِمامْ[٨]
جِنّيّةٌ أرّقني طَيْفُها يذهبُ صُبْحاً ويُرى[٩] في المنام
هل هي إلاّ ظبيةٌ مُطْفِلٌ مألَفُها السِّدْر بنعفَيْ بَرَام[١٠]
ترعى[١١] غزالاً فاتراً طَرْفُه مُقارِبَ الخَطْوِ ضعيفَ البُغام

---

(١) الديوان: «قد رغبوا زعموا... وفي الذرى نسبي»....
(٢) النعظ: قيام الذكر وانتشاره، والمراد به الذكر نفسه. والأفاقيع: الذي يتفقع وتسمع له صوتاً.
(٣) الصلا: وسط الظهر.
(٤) في الديوان:

* ذراع آدم من نطاه منزوع *

من نطاه، أي من عقبة نطاه. والعقبة: الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه. ونطاه: بعيدة.
(٥) نفد، كسمع، نفاداً ونفداً: فني. وهذا البيت لم يرد في ديوانه.
(٦) الديوان: «لو تفيق...».
(٧) ديوانه ٣٨٠.
(٨) في الديوان: «رث الزمام».
(٩) في الديوان: ... تذهب... وترى.
(١٠) برام: جبل من حرة سليم قرب المدينة. ونعفاه: جانباه. وفي أ و س: «بنعف رام».
(١١) في «الديوان»: «تزجى».

[١٧/١٧١] / كـــأنَّ فــاهَـــا ثَغـــبٌ بـــارِدٌ فـــي رَصَـــف تحـــتَ ظـــلالِ الغَمـــامْ[1]
شُـــجَّ بِصَهْبَـــاء لهـــا سَـــوْرَةٌ[2] مـــن بنـــت كَـــرْم[3] عُتِّقَـــتْ فـــي الخِيـــام
تـــدبّ فـــي الكـــأس دَبيبـــاً كمـــا[4] دبَّ دَبَـــى وسْـــطَ رِقـــاقٍ هُيـــام[5]
مِـــنْ خَمـــرِ بَيْســـان تخيَّـــرتُهـــا دِريـــاقـــةً تُـــوشِـــكُ فَتْـــرَ العظـــام[6]
يَسْعَـــى بهـــا أحمَـــرُ ذُو بُـــرْنُـــسٍ مُخْتَلَـــقُ الـــذِّفْـــرَى شَـــدِيـــدُ الحِـــزام[7]

يقول فيها[8]:

قَـــوْمِـــي بنـــو النَّجّـــار إذْ أقبلَـــت شَهْبـــاءُ تَـــرْمِـــي أهلَهـــا بـــالقَتـــامْ
لا تخـــذل الجـــارَ ولا تُسلـــم الـــمَـــوْلَـــى ولا تُخْصَـــمُ يَـــوْمَ الخِصـــامْ

الشعر لحسّان، والغِناء لمعبد، خفيف رمَل بإطلاق الوتر في مَجْرَى الوسطى في البيت الأول من الأبيات، والرابع والتاسع والحادي عشر. وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لحناً لابن سُرَيج من الرمل بالوسطى.

وهذه الأبيات يقولها حسّان في حَرْبٍ كانت بينهم[9] وبين الأوس، تُعْرَف بحرب مُزاحم، وهو حِصْن من حُصونهم.

شعر لحسان في حرب بين الأوس والخزرج

أخبرني بخبره حرميّ عن الزُّبير، عن عمه مصعب، قال:

[١٧/١٧٢] / جمعت الأَوسُ وحشدت بأحلافها، ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ، فسار بهم حتى كان قريباً من مُزاحم. وبلغ ذلك الخزرج، فخرجوا يومئذ وعليهم سَعْدُ بن عبادة؛ وذلك أنَّ عبد الله بن أُبيّ كان مَرِيضاً أو متمارضاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتلت بينهم قتلى كثيرة، وكان الطَّوْل[10] يومئذ للأوس؛ فقال حسّان في ذلك:

مـــا هـــاجَ حسّـــانَ رســـومُ المقـــامْ ومَظْعَـــنُ الحـــيّ ومَبْنَـــى الخِيـــامْ

وذكر الأبياتَ كلها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد/ بن سعد، عن الواقديّ، عن [١٨/١٦] عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال:

---

(١) الثغب: الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه. والرصف: الحجارة المتراصفة الدانية.
(٢) الديوان: «شجت»، وشجت: مزجت.
(٣) الديوان: «من بيت رأس». وبيت رأس: قرية بالأردن.
(٤) في الديوان: «تدب في الجسم».
(٥) الدبى: أصغر النمل.
(٦) الديوان: «ترياقة تسرع».
(٧) الديوان: «مختلق الذفرى»، أي فيهما الخلوق. الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.
(٨) ديوانه ٣٨٢.
(٩) أي بين الخزرج الذين هم قوم حسان وبين الأوس.
(١٠) الطول هنا: الفوز والغلبة.

قال رجلٌ من أهل المدينة: ما ذكر بيت حسّان بن ثابت[١]:

أهْـوَى حَـديـثَ النُّـدْمـانِ فـي فَلَـقِ الصُّبْـحِ وصَـوْتَ المُسَـامِـرِ الغَـرِدِ

إلاّ عُدْتُ في الفتوّة كما كنت. قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:

انظـر خليلـي ببـاب جلّـق هـل تُـؤْنِـسُ دونَ البَلْقـاءِ مِـنْ أحَـدِ

وقد رُوِي أيضاً في هذا الخبر غَيْرُ الروايتين اللتين ذكرتهما.

عبد الرحمن بن حسان يحتال لإبعاد أبيه عن مجلس أصحابه

أخبرني بذلك حرميّ، عن الزبير، عن وَهْب بن جرير، عن جُوَيْرِية بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى، عن عباد بن عَبْد الله بن الزبير، عن شيخ من قريش، قال:

إني وفتية من قريش عند قَيْنَةٍ من قِيَان المدينة، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسّان، فكرِهْنا دخولَه، وشقّ ذلك علينا؛ / فقال لنا عبد الرحمن: أيسُرّكُمْ ألاّ يجلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّي: [١٧٣/١٧]

أولادُ جَفْنَـةَ عنـد قَبْـرِ أبيهِـمُ قَبْـرِ ابْـنِ ماريـة الكريـم المُفْضِـلِ

يُغْشَـوْن حَتـى مـا تَهِـرُّ كـلابُهـم لا يَسْـألُـون عـن السَّـوَادِ المقبـلِ

قال: فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نَفْسُه، ثم قال: أفيكم الفاسق! لعَمْرِي لقد كرهتم مجلسي سائرَ اليوم، وقام فانصرف، والله تعالى أعلم.

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنَّى فيه من القصيدة[٢] التي هو منها.

صوت

أولادُ جَفْنَـةَ عنـد قَبْـرِ أبيهِـمُ قبـر ابْـنِ ماريـة الجـوادِ المُفْضِـلِ

يَسقُـون مَـنْ وَرَدَ البَـرِيـصَ عليهـمُ كـأسـاً تصفَّـق بـالـرحيـق السَّلْسَـلِ[٣]

البريص: موضع بدمشق.

بِيـضُ الـوجـوهِ كـريمـةٌ أحسـابُهـم شُـمّ الأُنـوفِ مِـنَ الطِّـرازِ الأوّلِ

يُغْشَـوْن حتـى مـا تَهِـرُّ كِـلابُهـم لا يَسْـألُـونَ عـن السَّـوَادِ المُقْبِـلِ

ذكر حَبَش أن فيه لسيرين[٤] قينةِ حسّان بن ثابت لحْناً ثقيلاً أول ابتداؤه نشيد[٥]، وفيه لعَرِيب ثقيل أول لا يشكّ فيه.

---

(١) ديوانه ١١٢.

(٢) ديوانه ٣٠٩.

(٣) البريص: نهر في دمشق. والبيت في «اللسان» (برص).

(٤) أ: «لشيرين».

(٥) أ: «ينشد».

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله[١]:

[١٧/ ٧٤]

[صوت

كِلْتاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فعَاطِني ... بِزُجاجَةٍ أرْخاهُما للمِفْصَلِ[٢]

بِزُجَاجَةٍ رقَصتْ بما في قَعْرِها ... رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجِلِ

غَنَّاه إبراهيم الموصليّ رَمَلاً مطلقاً في مَجْرى الوسطى، عن إسحاق وعمرو وغيرهما، ويروى: «كلتاهما حَلَبَ العصيرُ»، بجعل الفعل للعصير. ويروى للمِفصَل، بكسر الميم وفتح الصاد، وللمَفْصِل، بفتح الميم وكسر الصاد، وهو اللسان.

أخبرنا بذلك عليّ بن سليمان الأخفش، عن المبرد، حكايةً عن أصحابه، عن الأصمعيّ.

رجع الحديث إلى أخبار عزّة الميلاء

عبد الله بن جعفر وناسك بالمدينة

قال إسحاق: حدثني مصعب الزبيريّ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة، عن أبيه، / عن جدّه، قال: ط ١٦

كان بالمدينة رجُلٌ ناسك من أهل العلم والفِقه، وكان يَغْشى عَبْدَ الله بن جعفر، فسمع جاريةً مغنّيةً لبعض النخّاسين تغني:

* بانَتْ سُعادُ وأمسَى حَبْلُها انقطَعا[٣] *

فاستهتر[٤] بها وهامَ، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء[٥] وطاووس فلامَاهُ؛ فكان جوابُه لهما أنْ تمثَّل بقول الشاعر:

[١٧/ ٧٥]

/ يلُومُني فيكِ أقوامٌ أُجالِسُهم ... فما أُبالِي أطارَ اللَّوْمُ أمْ[٦] وَقَعا

وبلغ عبدَ الله بن جعفر خبرُه، فبعث إلى النخّاس، فاعترض[٧] الجارية، وسمع غناءَها بهذا الصوت، وقال لها: ممَّنْ أخذْتِه؟ قالت: مِنْ عَزّة الميلاء. فابتاعَها بأربعين ألف درهم، ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خَبَره، فأعلمه إياه وصدقه عنه، فقال له: أتُحبُّ أنْ تسمعَ هذا الصوتَ ممن أخذْته عنه تلك الجارية؟ قال: نعم، فدعا بعزّة وقال

---

(١) ديوانه ٣١٢.

(٢) حاشية أ: «وقبله»:

إن التي ناولتني فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وكلتاهما، أي التي قتلت ـ أي مزجت ـ والتي لم تقتل، أي لم تمزج.

(٣) ديوان الأعشى ١٠١ والبلدان (فرع). وتمامه:

* واحتلت الغور فالجدين فالفرعا *

(٤) استهتر بها: شغف وأولع بها.

(٥) عطاء وطاووس: كلاهما من أعلام التابعين. وانظر ترجمتهما في ابن خلكان.

(٦) أ: «أو».

(٧) اعترض الجارية: طلب أن تمرّ أمامه ليراها عن قرب.

لها: غنّيه إياه، فغنّته؛ فصُعِقَ الرجل، وخرّ مغشيًا عليه. فقال ابنُ جعفر: أَثِمْنَا فيه، الماءَ، الماءَ! فنضح على وجْهه، فلما أفاق قال له: أكلّ هذا بلغ بك عِشقُها؟ قال: وما خَفِي عنك أكثر. قال: أفتحبُّ أنْ تسمعَه مِنها؟ قال: قد رأيتَ ما نالني حين سمعتُه من غيرِها، وأنا لا أحبُّها، فكيف يكونُ حالي إن سمعتُه منها، وأنا لا أَقدِر على مِلْكِها! قال: أفتعرفُها إن رأيتَها؟ قال: أوَ أعرف غَيْرَها! فأمر بها فأُخرجت، وقال: خذها فهي لك، والله ما نظرتُ إليها إلا عن عُرُض. فقبّل الرجل يَدَيْهِ ورجليه، وقال: أنْمتَ عيني، وأحْيَيْتَ نَفْسي، وتركتني أعِيشُ بين قومي، ورددت إليّ عقلي، ودعا له دعاءً كثيراً. فقال: ما أرضى أنْ أُعطيكها هكذا، يا غلام احملْ معها مِثْلَ ثمنها لكيلا تهتمّ به ويهتمّ بها.

[١٧٦/١٧] / نسبة هذا الصوت

صوت

باتت سعادُ وأمسى حَبْلُها انقطعَا ... واحتلَّت الغَوْر فالجدَّين فالفَرَعا[1]

وأنكرتني وما كان الذي نكِرَتْ ... من الحوادِث إلاّ الشَّيبَ والصَّلَعا

عروضه من البسيط، والشعر للأعشى، أعشى بني قيس بن ثعلبة.

الأصمعي ينحل الأعشى بيتاً من الشعر

وزعم الأصمعيّ أن البيت الثاني هو صَنَعه ونحله الأعشى.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال:

ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يَقُلْه إلاّ بيتاً واحداً نحلتُه الأعشى، وهو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرَتْ ... من الحوادث إلا الشَّيبَ والصَّلَعا

الغناء لعزّة الميلاء، خفيف ثقيل أول بالوسطى؛ وذكر عَمْرو بن بانة أنه لمعبد، وأنكر إسحاق ذلك ودفَعه، وفيه للغَرِيض ثقيل أول بالبنصر، وقيل: إنه لجميلة.

عبد الله بن جعفر يطلب من أمير المدينة ألا يمنع عزة من الغناء

قال إسحاق: وحدثني ابنُ سلاّم، عن ابن جعْدُبَة، قال:

كان ابنُ أبي عتيق مُعْجَباً بعزّة الميلاء، فأتى يوماً عند عَبْد الله بن جعفر، فقال له: بأبي أنت وأمي! هل لك في عزّة، فقد اشتقْتُ إليها! قال: لا، أنا اليوم مشغول. فقال: بأبي أنتَ وأمي! إنها لا تنشط إلاّ بحضورك، فأقسمتُ عليكَ إلاّ ساعدتّني وتركْتَ شغلك، ففعل، فأتياها ورسولُ الأمير على / بابها يقول لها: دَعِي الغناءَ، فقد ضجَّ أهلُ [١٧٧/١٧] / المدينة منك، وذكروا أنك قد فَتَنْتِ رِجالَهم ونساءَهم. فقال له ابنُ جعفر: ارجع إلى صاحبك فقل له عنّي: أُقسم عليك إلاّ ناديتَ في المدينة: أيّما رجل فسد أو امرأة فُتِنت بسببِ عزّة إلاّ كشف نفسه بذلك لنَعْرِفَه، ويظهَر لنا ولكَ أمْرُه. فنادى الرسولُ بذلك، فما أظهر أحدٌ نفسه. ودخل ابنُ جعفر إليها وابن أبي عتيقٍ معه، فقال لها: لا يهولنّك ما سمعتِ، وهاتي فغنّينا، فغنّته بشعر القُطاميّ[2]:

(١) ديوان الأعشى ١٠١.
(٢) الجمهرة ٨٠٢.

إنّـا محيُّـوك فـاسْلَـمْ أيُّهـا الطَّلَـلُ وإنْ بَلِيـتَ، وإن طـالـتْ بـك الطِّيَـلُ

فاهتزّ ابنُ أبي عَتيق طرَباً، فقال عَبْدُ الله بن جعفر: ما أراني أُدرك ركابك بعد أنْ سمعتَ هذا الصوت من عزّة. وقد مَضتْ نِسبةُ ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضعَ أخر.

[١٧٨/١٧]

/ صـوت

مَـنْ كـان مسـروراً بمَقْتَـلِ مـالـكٍ فليَـأْتِ نسـوتَنـا بـوَجْـهِ نَهـارِ
يَجِـدِ النسـاءَ حـواسـراً يَنْـدُبْنَـهُ قـد قُمْـنَ قبـل تبلُّـج الأسحـارِ

عروضه من الكامل. قوله:

* قد قمن قبل تَبَلُّج الأسحار *

يعني أنّهن يَنْدُبْنَه في ذلك الوقت؛ وإنما خصّه بالندبة لأنه وَقْتُ الغَارة. يقول: فهنّ يذكُرْنَه حينئذ؛ لأنه كان من الأوقات التي ينهضُ فيها للحرب والغاراتِ. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فالمُغِيراتِ صُبْحاً﴾[١]. وأما قول الخنساء[٢]:

يـذكِّـرُنـي طلـوعُ الشمـسِ صَخْـراً وأذكـرُه لكـلّ غُـروبِ شَمْـسِ

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة، وعند غروبها للضيف.

الشعر للربيع بن زياد العَبْسيّ، والغناء لابْنِ سُرَيْج، رمَل بالخنصر في مَجْرَى البنصر، عن إسحاق، والله أعلم.

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.
(٢) ديوانها ٥٠.

[١٧٩/١]

/ ذكر نسب الربيع بن زياد

وبعض أخباره، وقصة هذا الشعر، والسبب الذي قُتِل من أجله

نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفْيَان بن ناشب بن هِدْم بن عُوذ بن غالب بن قُطيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار.

وأُمُّه فاطمة بنت الخُرشُب، واسم الخرشب عَمْرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان، وهي إحدى المنجبات، كان يُقال لبَنيها الكَمَلة، وهم: الرَّبيع، وعُمارة، وأنس.

أمه إحدى المنجبات

ولما سأل معاويةُ علماء العرب عن البيوتات والمنجبات، وحظر عليهم أنْ يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة، وفي المنجِبات ثلاثاً، عَدُّوا فاطمةَ بنت الخرشب فيمن عدُّوا، وقبلها حُبَيّة[١] بنت رياح الغنوِيّة أم الأحوص وخالِد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب، وماويّة بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن عَمْرو بن تميم، وهي أمُّ لَقِيط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم.

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ صِهْر المبرد، قال: حدثني محمد بن موسى اليزيديّ، قال: حدثني محمد بن صالح بن النطّاح، واللفظُ له، وخَبَره أتمّ، وأخبرني به أبو الحسن الأسدِيّ، قال: حدّثنا محمد بن صالح بن النطاح، قال:

ولدت فاطمةُ بنت الخُرْشب مِنْ زياد بن عَبد الله العَبْسيّ سبعة؛ فعدّت العرب / المنجبين منهم ثلاثة، وهم خِيارهم. [٢١/١٦]

[١٨٠/١٧] / قال محمد بن موسى: قال محمد بن صالح: وحدثني موسى بن طلحة، والوليد بن هشام القَحْذَمِيّ بمِثْلِ ذلك، قال:

فمنهم: الربيع ويقال له الكامِل، وعُمارة وهو الوهّاب، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة، وقيس وهو البرد، والحارث وهو الحَرُون، ومالك وهو لاحق، وعمرو وهو الدرّاك.

سئلت أمه عن بنيها فلم تدر أيهم أفضل

قال محمد بن موسى: قال ابن النطاح: وحدثني أبو عثمان العمريّ[٢]:

---

(١) في المختار: «جنة».
(٢) أ: «اليقطري».

أنَّ عبد الله بن جُدعان لَقِيَ فاطمة بنت الخُرْشب وهي تطوفُ بالكَعْبة فقال لها: نشدتك برَبّ هذه البَنِيَّة، أيُّ بَنيك أفضل؟ قالت: الربيع، لا بل عُمارة، لا بل أنس، ثكلتُهم إنْ كنتُ أدْري أيّهم أفضل.

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان سُحَيم بن حَفص العُجَيْفيُّ، قال: حدثني أبو الخنساء، قال:

سُئلتْ فاطمةُ عن بَنيها أيُّهم أفضل؟ فقالت: الربيع، لا بل عُمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعَيْشي ما أدري، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعاً، ولا وَلدته يَتْناً، ولا أرْضَعْتُه غَيْلاً، ولا منعته قَيْلاً، ولا أبتُّه على ماقَةٍ[1].

قال أبو اليقظان:

أما قولها ما حملتُ واحداً منهم تُضْعاً، فتقول: لم أحمله في دُبُر الطّهر وقبْل الحيض. وقولها: ولا وَلَدْتُه يَتْناً، وهو أن تخرج رِجْلاه قبل رأسه. ولا أرضعته / غَيْلاً، أي ما أرضعتُه قبل أنْ أحلُب ثَدْيي. ولا منعتُه قَيْلاً، أي لم أمنعه اللبنَ عند القائلة. ولا أبتُّه على ماقة، أي وهو يَبْكي. [١٨١/١٧]

أمه تصفه وتصف إخوته

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان، قال: حدثني أبو صالح الأسَديّ قال:

سُئلَتْ فاطمة بنت الخرشب عن بنيها، فوصفَتْهم، وقالت في عُمارة: لا ينامُ ليلةَ يُخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف. وقالت في الربيع: لا تُعَدُّ مآثِرُه ولا تُخشَى في الجهل بوادِرُه. وقالت في أنس: إذا عزم أمْضَى، وإذا سُئل أرضَى، وإذا قَدَر أغضَى. وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان.

حكمته وبعد نظره

وقال ابن النطاح: وحدثني القحذميّ، قال: حدثني أبي، قال: حدثني ابن عيّاش[2]، عن رجل من بني عَبس، قال:

ضاف فاطمةَ ضيفٌ، فطرَحتْ عليه شَمْلةً من خَزّ وهي مِسْكٌ كما هي، (فلما وجد رائحتَها وأعتَم دنا منها، فصاحَتْ به، فكفَّ عنها، ثم إنه تحرك أيضاً فأرادها عن نفسها)[3]، فصاحت، فكفّ، ثم إنه لم يصبر فوأثبها فبطَشَتْ به، فإذا هي من أشدِّ الناس، فقبضت عليه ثم صاحتْ: يا قَيْس، فأتاها، فقالت: إنّ هذا أرادني عن نفسي، فما ترى فيه؟ فقال: أخِي أكبرُ مني، فعليكِ به، فنادت: يا أنس، فأتاها، فقالت: إنّ هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه؟ فقال لها: أخي أكبر مني فسَلِيه، فنادت: يا عُمارة، فأتاها فذكرَتْ ذلك له، فقال لها: السيف، وأراد قتله، فقالت له: يا بنيّ، لو دعَوْنا أخاك فهو أكبَرُ منك، فدَعت الربيعَ، فذكرت ذلك له، فقال: أفتطيعونني يا بَني زياد؟ قالوا: نعم، قال: فلا تُزَنّوا أُمّكم، ولا تقتلوا ضَيْفَكم، وخَلّوه يذهب، فذهب.

/ شعر قيل في مدحه ومدح إخوته [١٨٢/١٧]

قال ابن النطّاح: وقال بعضُ الشعراء يمدحُ بني زياد مِن فاطمة، يقال: إنه قيس بن زهير، ويقال: حاتم طيِّىء[4]:

---

(١) هامش أ: «هذا الخبر روى عن أم تأبط شراً، ذكره ابن السكيت». وانظر اللسان (وضع) و (يتن).

(٢) أ: «ابن عباس».

(٣) ما بين القوسين ليس في أ، وبدله: «فلما أعتم دنا منها».

(٤) الأبيات في ديوان حاتم ص ١٧ مع اختلاف يسير.

بنو جنّيّةٍ ولدَتْ سيوفاً قواطعَ كلُّهم ذكرٌ صَنِيعُ
وجارتُهم حَصانٌ لم تُزَنَّى وطاغمةُ الشتاء فما تجوعُ
شرى وُدّي[1] ومكرمتي جميعاً طَوالَ زمانه مني الربيع

٢٢/١٦ / وقال سلَمة بن الخُرشُب خالهم فيهم يخاطبُ قوماً منهم أرادوا حَرْبه:

أتيتُم إلينا تَرْجُفُون[2] جماعةً فأين أبو قيس وأين ربيعُ!
وذاك ابنُ أختٍ زانه ثوبُ خالِه وأعمامه الأعمام وهو نَزِيع[3]
رَفيقٌ بداءِ الحرب طَبٌّ بصَعْبها[4] إذا شتَّ رأيُ القوم فهو جَمِيعُ
عطوفٌ على المولى ثقيلٌ على العِدا أصمُّ عن العَوْراء وهو سميعُ

وقال رجل من طيىء، ويقال له الربيع بن عمارة:

فإن تكن الحوادثُ أَقْطَعْتني[5] فلم أرَ هالِكاً كابْنَيْ زِيادِ
هما رُمحان خَطِّيّانِ كانا من السُّمْر المثقَّفةِ الجِيادِ
تهاب الأرض أنْ يَطأ عليها بمثلهما تُسالمُ أو تُعادِي

أمه تقتل نفسها خوفاً من العار

وقال الأثرم: حدثني أبو عمرو الشيباني، قال:

[١٧/١٨٣] أغار حَمَلُ بن بَدْر أخو حذيفة بن بَدْر الفَزَاريّ على بني عَبْس، فظفر / بفاطمة بنت الخُرشب أُمّ الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جَمَل لها، فقادها بجَملها، فقالت له: أيّ رجل[6]، ضلّ حِلْمُك! والله لئن أخذتني فصارت هذه الأكمة بي وبك التي أمامَنا وراءَنا[7] لا يكون بينكَ وبين بني زياد صُلْح أبداً؛ لأن الناسَ يقولون في هذه الحال ما شاءوه، وحَسْبُكَ من شَرٍّ سَماعُه. قال: فإني أذهبُ بك حتى ترعيْ عليَّ إبلي. فلما أيقنَتْ أنه ذاهبٌ بها رَمتْ بنفسها على رَأْسها من البعير، فماتَتْ خوفاً من أنْ يلحقَ بَنِيها عارٌ فيها.

لبيد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان

وحدثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عَمّي عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، قال:

وفد أبو بَراء مُلاعِب الأسنّة ـ وهو عامرٌ بن مالك بن جعفر بن كلاب ـ وإخوته طُفيل ومعاوية وعبيدة، ومعهم لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر، وهو غلام، على النعمان بن المنذر، فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسيّ،

(١) أ: «سرى ودى». والمثبت من جـ.
(٢) ترجفون: متهيئين للحرب. وفي أ: «ترحفون».
(٣) في ب، س، أ: «بزيغ» وهو: الظريف. وما أثبتناه عن جـ ويقتضيه المقام.
(٤) أ: «بصقعها».
(٥) المختار: قطعتني.
(٦) أ، م: «أي حمل».
(٧) أ: «وصارت وراءنا».

وكان[1] الربيع يُنادِم النعمانَ مع رجلٍ مِن أهل الشام تاجر، يقال له: سرجون[2] بن نوفل، وكان حَرِيفاً للنعمان ـ يعني سرجون ـ يبايعه، وكان أديباً حسنَ الحديث والمنادمة، فاستخفَّه النعمان، وكان إذا أراد أنْ يَخلُو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسيّ ـ متطبِّب كان له ـ وإلى الربيع بن زياد، وكان يُدْعى الكامِل.

فلما قدم الجعفريّون كانوا يحضرون النعمانَ لحاجتهم، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم، وذكر مَعايِبَهم، ففعل ذلك بهم مِراراً، وكانت بنو جَعْفر له أعداء، فصدَّه عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأَوْا منه تغيُّراً وجفاءً، وقد كان / يكرمهم قبل ذلك ويُقرِّب مجلسهم، فخرجوا من عنده غِضاباً، ولَبِيد في رحالهم يحفظ أمتِعتَهم، ويغدو بإبلهم [١٧/ ١٨٤] كلَّ صباح، فيَرْعاها، فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمْرَ الربيع، وما يلقَوْن منه؛ فسألهم فكتموه، فقال لهم: واللهِ لا أحفظُ لكم متاعاً، ولا أُسرِّح لكم بَعيراً أو تخبروني.

وكانت أمُّ لبيد امرأةً من بني عَبْس، وكانت يتيمة في حِجْرِ الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك، وصدَّ عَنَّا وَجْهَه، فقال لهم لبيد: هل تقدَرون على أنْ تجمَعُوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقولٍ مُمِضّ، ثم لا يلتفت / النعمان ٢٣/١٦ إليه بعده أبداً. فقالوا: وهل عندك من ذلك شيء؟ قال: نعم، قالوا: فإنا نبلوك بشَتْم هذه البَقْلة ـ لبَقْلَةٍ قُدّامهم دقيقةِ القُضْبانَ قليلةِ الورق لاصقةٍ فروعها بالأرض، تدعى التَّرِبة[3] ـ فقال: هذه التَّرِبَة التي لا تُذكى ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسرُّ جاراً، عودُها ضَئيل، وفَرْعُها كَلِيل، وخَيْرُها قليل، بلدُها شاسِعٌ، ونَبْتُها خاشع، وآكلها جائع، والمُقيمُ عليها ضائع، أقصر البقولِ فَرْعاً، وأخبثها مرعى، وأشدّها قلعاً، فتَعْساً لها وجَدْعاً، القَوْا بي أخَا بني عَبْس، أرجعه عنكم بتَعْس ونَكْس، وأتركه من أمره في لَبْس.

فقالوا: نصبح فنرى فيك رَأْيَنا. فقال لهم عامر: انظروا غُلامَكم؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، وإنما يتكلّم بما جاء على لسانه، ويَهْذي بما يهجس في خاطره، وإذا رأيتُموه ساهراً فهو صاحِبُكم. فرمقوه بأبصارهم، فوجدوه قد ركب رَحْلاً، فهو يكدُم بأوسطه حتى أصبح.

فلما أصبحوا قالوا: أنت واللهِ صاحبُنا، فحلَقوا رأسَه، وتركوا / ذُؤَابتين، وألبسوه حُلَّة، ثم غَدَوْا به معهم [١٧/ ١٨٥] على النعمان، فوجدوه يتغدّى ومعه الرَّبيع وهما يأكُلان، ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءةٌ من الوُفود.

فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه، وقد كان تقارب أمرهم، فذكروا للنعمان الذي قدموا له مِن حاجتهم، فاعترض الربيع في كلامهم، فقام لبيد يرتجز، ويقول[4]:

يـا رُبَّ هَيْجَـاً هـي خَيـرٌ مـن دَعَـة أَكُـلَّ يـوم هـامَتِـي مقَـزَّعَـة[5]

---

(١) في أ، م بدلاً من الأخبار التي تبدأ بقوله: وكان الربيع إلى قوله في صفحة ١٨٧: «وأما الشعر الذي فيه الغناء» قوله: قال أبو الفرج: قد ذكرت هذا القول مستقصى في «أخبار لبيد» فلا فائدة في ذكره ها هنا.

(٢) ب، س: سرحون: بالحاء المهملة. وما أثبتناه من حـ. وفي أخبار لبيد ج ١٥/ ٣٦٣ من «الأغاني» طبع دار الكتب: «زرجون بن توفيق».

(٣) التربة: نبت سهلي مفرّض الورق، وقيل: هي شجرة شاكة، وثمرتها كأنها بسرة معلقة، منبتها السبل والحزن وتهامة. «اللسان» (ترب).

(٤) ديوان لبيد ٣٤٠، والخزانة ٤: ٨.

(٥) القزع: تساقط الشعر والصوف وبقاء بعضه.

نحـــن بَنُـــو أُمِّ البنيـــنَ الأربعـــهْ[1] ... ومِـــنْ خيـــارِ عـــامـرِ بْـــنِ صَعْصَعَـــه[2]

المطعمـــون الجَفْنَـــةَ المُـــدَعْـدَعَـــهْ ... والضـــاربـــون الهـــامَ تحـــت الخَيْضَعـــه[3]

يـــا وَاهِـــبَ الخيـــر الكثيـــر مِـــنْ سَعَـــهْ ... إليـــكَ جـــاوَزْنَـــا بـــلاداً مُسْبِعَـــهْ

يخبـــر[4] عـــن هـــذا خبيـــرٌ فـــاسْمَعَـــه ... مَهْـــلاً - أَبيـــت اللَّعْـــنَ - لا تَـــأْكُـــلْ معـــهْ

إنَّ استَـــهُ مِـــنْ بَـــرَصٍ مُلَمَّعَـــهْ ... وإنـــه يُـــدْخِـــلُ فيهـــا إصبعـــه[5]

يُـــدْخِلُهـــا حتـــى يُـــواري أشْجَعَـــهْ ... كـــأنمـــا يطلـــب شيئـــاً أطمعـــه[6]

[١٨٦/١٧] فلما فرغ من إنشاده التفت النعمانُ إلى الربيع شزراً يرمقهُ، فقال: / أكَذا أنت؟ قال: لا، والله، لقد كذب عليَّ ابن الحَمِق اللئيم. فقال النعمان: أفٍّ لهذا الغلام، لقد خبَّث عليّ طعَامِي. فقال: أَبَيْتَ اللعن، أما إني لقد فعلت بأمّه. فقال لبيد: أنت لهذا الكلام أهل، وهي من نساء غير فُعُل[7]، وأنتَ المَرْءُ فَعَلَ هذا بيتيمة في حجره.

فأمر النعمان ببني جعفر فأُخرجوا. وقام الرَّبيع فانصرف إلى منزله، فبعث إليه النعمانُ بضِعْف ما كان يَحْبُوه به، وأمره بالانصراف إلى أهله.

وكتب إليه الربيع: إني قد تَخوَّفتُ أن يكونَ قد وَقَر في صَدْرِك ما قاله لَبِيد، ولستُ برائم حتى تبعث مَنْ يُجرِّدُني فيعلم مَنْ حضرك من الناس أنّي لستُ كما قال. فأرسل إليه: إنك لستَ صانعاً بانتفائك ممَّا قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على ما زلّت به الألسن، فالحق بأهلك. فقال الربيع[8]:

لئـــن رحلـــت جِمـــالـــي إنَّ لـــي[9] سعـــةً ... مـــا مِثْلُهـــا سَعَـــة عَـــرْضـــاً ولا طُـــولا

/ بحيـــثُ لـــو وُزنـــت لَخْـــمٌ بـــأجمعهـــا ... لـــم يَعْـــدِلُـــوا ريشـــة مـــن رِيـــش سمويـــلا[10]

[٢٤/١٦] تَـــرْعَـــى الـــرَّوَائـــمُ أحـــرارَ البقُـــولِ بهـــا ... لا مِثْـــلَ رَعْيِكـــم مِلْحـــاً وغَسْـــويـــلا[11]

فـــابـــرُقْ بـــأرضـــك يـــا نُعمـــان متكِئـــاً ... مـــع النطـــاســـيّ يـــومـــاً وابـــن تـــوفيـــلا

فكتب إليه النعمان[12]:

شَـــرِّدْ بـــرَحْلِـــك عنـــي حيـــثُ شئـــتَ ولا ... تكثِـــرْ علـــيّ ودَعْ عنـــك الأبـــاطيـــلا

(١) أم البنين؛ هي ليلى بنت عامر. قال المرتضى: هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة، وكانت تحت مالك بن جعفر، فولدت له عامر بن مالك، وطفيل بن مالك، وربيعة بن مالك، ومعاوية بن مالك.

(٢) في الديوان: ونحن خير عامر بن صعصعة.

(٣) المدعدعة: المملوءة. الخيضعة: البيضة التي تلبس على الرأس. والخيضعة أيضاً: اختلاط الأصوات في الحرب.

(٤) في الديوان: يخبرك.

(٥) الملمع: الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه.

(٦) في الديوان: «شيئاً ضيعه». والأشجع: واحد الأشاجع وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٧) أي غير فاعلات المنكر.

(٨) الأبيات الثلاثة الأول في «اللسان» (سمل)، وهي أيضاً في الخزانة ٢: ٧٩.

(٩) «اللسان»: «لا إلى سعة».

(١٠) س والخزانة: «سمويلا» بالسين. وسمويل: طائر، وقيل: بلدة كثيرة الطير. وفي «بيروت»: شمويلا، بالشين المعجمة.

(١١) الغسويل: نبت ينبت في السباخ.

(١٢) الأبيات في الخزانة ٤: ٧، والكتاب ١: ١٣١.

[١٨٧/١٧]

/ فقد ذُكرتَ به والركبُ حامِلُه ... وِرْداً يُعلِّل أهلَ الشام والنِّيلا[١]
فما انتِقاؤُك مِنْهُ بعد ما جزَعت ... هُوجُ المطيِّ به إبْرَاقَ شِمْليلا[٢]
قد قِيل ذلك إنْ حقّاً وإنْ كذباً ... فما اعتذارُك من شيء إذا قِيلا
فالحقْ بحيث رأيتَ الأرضَ واسعةً ... وانشر بها الطَّرْفَ إنْ عرضاً وإن طولا

داحس والغبراء

وأما الشعر الذي فيه الغناء فإنّ الربيع بن زياد يقوله[٣] في مقتل مالك بن زهير. وكان قتْلُه في بعض تلك الوقائع التي يُعرفُ مبدؤها بدَاحِس والغَبْرَاء.

[حرب داحس والغبراء]

وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش، ومحمد بن العباس اليزيديّ، قالا: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حَبِيب وأبي غسان دماذ، عن أبي عبيدة، وإبراهيم بن سعدان، عن أبيه، قال:

كان من حديث داحِس أنَّ أُمَّهُ فرس كانت لِقِرْواش بن عوف بن عاصم بن عُبيد بن ثَعْلَبة بن يَرْبُوع يقال لها: جَلْوَى، وكان أبوه يسمى ذا العُقَّال، وكان لحَوْط بن أبي جابر بن أوس بن حِميريّ بن رياح؛ وإنما سُمّي داحِساً لأنّ بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجعة، وكان ذو العُقَّال مع ابنتَيْ حَوْط بن أبي جابر بن أوس تجنُبانه، فمرَّتا به على جَلْوَى فرس قرواش وديقا[٤]؛ فلما رآها الفرس وَدَى وصَهَل، فضحك شُبّان من الحي رأوْه، / فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فنَزَا على جَلْوَى، فوافق قبولها فأقَصَّت[٥]، ثم أخذه لهما بعض الحيّ، فلحق بهما حَوْط، وكان رَجُلاً شريراً سَيِّىء الخلُق، فلما نظر إلى عَيْنِ الفرس قال: والله لقد نَزَا فرسي؛ فأخبِرَاني ما شأنُه، فأخبرتاهُ الخبر، فقال: يا آل رياح، لا والله لا أرضى أبداً حتى أُخرجَ ماءَ فرسي، فقال له بنو ثعلبة: والله ما استكرهْنا فَرَسك؛ إنما كان مُنْفلِتاً، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عَظُم.

[١٨٨/١٧]

فلما رأى ذلك بنو ثَعْلَبَة قالوا: دونكم ماء فرسكم؛ فسطا عليها وأدخل يدَه في ماءٍ وتُراب، ثم أدخلها في رَحِمها حتى ظنَّ أنه قد أخرجَ الماء، واشتملت الرحِمُ على ما كان فيها، فنَتجها قِرْواش مُهْراً، فسماه داحِساً لذلك، وخرج كأنه أبوه ذو العُقَّال. وفيه يقول جرير[٦]:

إنَّ الجيادَ يَبِتْنَ حَوْلَ خِبائنا ... مِنْ آلِ أعوجَ أو لِذي العُقَّالِ

---

(١) في الخزانة:

فقد رميت بداء لست غاسله ... ما جاور السيل أهل الشام والنيلا

ثم روى الشطر الأول كما رواه الأغاني.

(٢) البيت في البكري ٨٠٩، وقال: شمليل: بلد، وأنشد البيت، وفي أ: «خرعت»، وفيه: «عوج المطي»، وفي الخزانة: «بعدما قطعت... أكنافها شمليلا».

(٣) ب، س، جـ: «وهذا الشعر يقوله الربيع بن زياد في مقتل مالك» والمثبت من أ، م.

(٤) الوديق: التي تطلب الفحل. وجلوى: اسم فرس. انظر «اللسان».

(٥) أقصت: حملت واستبان حملها. وفي المختار: «فأقصت له»، أي أمكنته من المباشرة.

(٦) ديوانه ٤٨٦، والنقائض ٣٠٣، وفيهما: «حول قبابنا».

وأعوجُ: فرس لبني هِلال.

فلما تحرك المُهْر سام[1] مع أُمّه وهو فِلْوٌ يَتْبَعُها، وبنو ثعلبة سائرون، فرآه حَوْط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا بني رياح، ألم تفعلوا فيه أوّل مرة ما فعلتم ثم هذا الآن! فقالوا: هو فَرَسُنا، ولن نتركَكم أوْ نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذاً لا نقاتلكم عنه، أنتم أعزُّ علينا، هو فداؤكم، ودَفعوه إليهم.

[١٨٩/١٧] / فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمنا إخوتَنا مَرّتين، ولقد حَلَمُوا وكَرُمُوا، فأرسلوا به إليهم مع لَقُوحَيْن.

٢٥/١٦ / فمكث عند قِرْواش ما شاء الله، وخرج أجودَ خيولِ العرب.

ثم إن قَيْس بن زهير بن جَذِيمة العَبْسيّ أغار على بني يَرْبُوع، فلم يُصِبْ أحداً غير ابنتي قِرْواش بن عَوْف ومائةٍ من الإبل لقرواش، وأصاب الحيَّ وهم خُلُوف، ولم يشهد مِنْ رجالهم غَيْرَ غُلامين مِنْ بني أَزْنَم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع، فجالاَ في مَتْنِ الفرس مُرْتَدِفَيْه[2] وهو مقيَّد بقَيْدٍ مِنْ حديد فأَعْجَلَهُما القوم عن حلّ قَيْدِه، واتّبعهما القومُ، فضَبَر[3] بالغُلامين ضَبْراً حتى نَجَوا به، ونادتْهُما إحْدَى الجارِيَتَيْن: إنّ مفتاحَ القَيْدِ مدفون في مِذْوَد الفرس بمكان كذا وكذا، أي بجَنْبِ مذود، وهو مكان، أي لا تَنْزِلا عنه إلاّ في ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطْلَقاه ثم كرّا راجِعَيْن.

فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس، فقال لهما: لكما حُكْمُكما، وادْفَعا إليّ الفرس، فقالا: أوَ فاعلٌ أنت؟ قال: نعم، فاسْتَوْثَقا منه، على أنْ يردَّ ما أصاب مِنْ قليلٍ وكثير، ثم يرجع عَوْده على بدئه[4]، ويُطلِق الفتاتَين، ويخلّي عن الإبل، وينصرف عنهم راجعاً. ففعل ذلك قيس، فدفعا إليه الفَرَس.

فلما رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا: لا نصالحك[5] أبداً، أصبنا مائةً من الإبل وامرأتين[6]، فعمدتَ إلى غَنِيمتنا فجعلتَها في فرسٍ / لك تذهَبُ به دونَنا؛ فَعظُم في ذلك الشرُّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائةٍ من الإبل. [١٩٠/١٧]

فلما جاء قِرْواش قال للغُلامَين الأزنميّين: أيْن فرسي؟ فأخبراه، فأبى أن يَرْضَى إلاّ أنْ يُدفعَ إليه فَرَسُه، فعظُمَ في ذلك الشرُّ حتى تنافروا فيه، فقُضي بينهم أنْ تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى قَيْس بن زُهير، ويُرَدَّ عليه الفرس. فلما رأى ذلك قِرْواش رضِيَ بعد شرّ، وانصرف قَيْس بن زهير، ومعه داحس، فمكث ما شاء الله.

وزعم بعضُهم أنَّ الرهانَ إنما هاجَهُ بين قيس بن زهير وحُذَيْفَة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن عديّ بن فَزارة بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضر بن نزار ـ أن قيساً دخل على بَعْض الملوك وعنده قَيْنَةٌ لحُذَيفة بن بَدْر تغنّيه بقول امرىء القيس:

---

(١) سام، أي رعى.

(٢) مرتدفيه: راكب أحدهما خلف صاحبه.

(٣) ضبر الفرس: جمع قوائمه ووثب.

(٤) أي مسرعاً.

(٥) في المختار: «لا نصاحبك»، والمثبت في «النقائض» أيضاً ص ٨٥.

(٦) في أ: «أصابنا. . . وامرأتان»، والمثبت في النقائض والمختار.

دارٌ لهنـدٍ والـرَّبـابِ وَفَـرْتَنَـى ولِمَيْـسَ قَبْـلَ حَـوادِثِ الأيـامِ[١]

وهنَّ ـ فيما يُذْكَر ـ نِسوة من بني عَبْس، فغضب قيسُ بن زهير، وشقَّ رداءها، وشتمها؛ فغضب حُذَيْفَةُ، فبلغ ذلك قَيْساً، فأتاه يَسْتَرْضيه، فوقف عليه، فجعل يكلِّمُه وهو لا يعرفُه مِنَ الغَضب، وعنده أفراسٌ له، فعابها، وقال: ما يرتبط مثلُك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر! فقال حذيفة: أتَعِيبها؟ قال: نعم، فتجاريا حتى تراهنا.

وقال بعضُ الرواة: إنَّ الذي هاج الرِّهان أنَّ رجلاً من بني عَبْد الله بن غطفان ثم أحد بني جَوْشن ـ وهم أهل بيت شُؤْم، أتى حذيفة زائراً ـ (ويقال إن الذي أتاه الورد العبسي أبو عُرْوَة بن الورد)[٢] ـ قال: فعرض عليه حذيفة / خَيْلَه، فقال: ما أرى فيها جَواداً مُبِرّاً، والمبرّ: الغالب، قال ذو الرمة[٣]: [١٧/١٩١]

أبـرّ عَلَـى الخُصـومُ فليـس خَصْـمٌ ولا خصْمـانِ يَغْلِبُـه جِـدَالا

فقال له حذيفة: فعِنْدَ مَنْ الجوادُ المُبِرّ؟ فقال: عند قَيْس بن زهير فقال له: هل لك أنْ تراهنني عنه؟ قال: نعم، قد فعلت، فراهنَه على ذَكَر مِنْ خَيْله وأنثى.

ثم إن العبديّ[٤] أتى قَيْسَ بن زُهير، / وقال: إني قد راهنْتُ عنك[٥] على فرسين مِنْ خَيْلك ذكر وأنثى وأوجبت الرِّهان. ٢٦/١٦

فقال قيس: ما أُبالي مَنْ راهنْتَ غير حذيفة، فقال: ما راهنتُ غيره، فقال له قيس: إنك ما علمتُ لأنكَدُ.

ثم ركب قَيْس حتى أتى حذيفة، فوقف عليه، فقال له: ما غَدَا بِكَ! قال: غدوتُ لأُواضِعَك الرهان، قال: بل غدوتَ لتُغلقه، قال: ما أردت ذلك. فأبى حذيفةُ إلا الرِّهانَ، فقال قيس: أُخيِّرُكَ ثلاث خِلال، فإن بدأْتَ فاخترت قبلي فلي خُلَّتان، ولك الأولى، وإن بدأْتُ فاخترتُ قبلَك فلك خلَّتان ولِي الأُولى.

قال حُذيفة: فابْدَأْ، قال قيس: الغاية من مائة غَلْوة ـ والغلوة: الرميةُ بالنُّشّابة ـ قال حذيفة: فالمِضْمار أربعون ليلةً، والمجرى: مِنْ ذاتِ الإصاد[٦].

ففعلا ووضعا السَّبَقَ[٧] على يَدَيْ غَلّاق أو ابن غَلّاق، أحَد بني ثعلبة بن سَعْد بن ثعلبة.

/ فأما بنو عبس فزعموا أنه أَجْرَى الخطّار والحَنْفاء. وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قُرْزلاً والحَنْفاء، وأجرى قيس داحِساً والغبراء. [١٧/١٩٢]

ويزعم بعضُهم أن الذي هاج الرهانَ أنَّ رجلاً من بني المعتمِر[٨] بن قُطَيْعَة بن عَبْس يقال له سُراقة راهَنَ شابًّا من بني بَدْر ـ وقيسٌ غائبٌ ـ على أربع جزائر[٩] من خمسين غَلْوة، فلما جاء قيس كرِهَ ذلك، وقال له: لم ينته رهان

(١) ديوانه ١١٤، وفي النقائض: «دار لهر».
(٢) من المختار. وعبارة النسخ: «وهم أهل بيت شؤم أتاه الورد أبو عروة أتى حذيفة زائراً» وهي غير مستقيمة.
(٣) ديوانه ٤٤٥.
(٤) ب، س: «العبسي» والمثبت في «المختار».
(٥) كذا في أ، وهي ساقطة من النقائض.
(٦) أ: «ذات الإصال»، وهي ردهة بين الجبال أو موضع.
(٧) السبق: ما يوضع بين أهل السباق من رهان فمن سبق أخذه.
(٨) في النقائض: المعتم.
(٩) جزائر: جمع جزور وهي الناقة.

قطّ إلاّ إلى شرّ. ثم أتى بني بَدْر، فسألهم المُواضَعة، فقالوا: لا، حتى نعرف سَبَقَنا؛ فإن أخَذْنا فحقّنا، وإنْ تركنا فحقّنا.

فغضب قَيْس ومَحَك[1]، وقال: أما إذ فعلتم فأَعْظِمُوا الخطر، وأبعدوا الغاية، قالوا: فذلك لك. فجعلوا الغايةَ مِنْ واردات إلى ذاتِ الإصاد، وذلك مائة غلوة، والثَّنِيّة فيما بينهما، وجعلوا القَصَبَة في يَدَيْ رجل من بني ثعلبة بن سَعْد، يقال له حُصين، ويقال: رجل من بني العُشَراء من بني فَزارة، وهو ابْنُ أختٍ لبني عبس، وملئوا البركة ماءً، وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرعُ فيها.

ثم إن حذيفة بن بَدْر وقيس بن زهير أتيا المدَى الذي أُرسِلْنَ منه ينظران إلى الخَيْل كيف خروجُها منه. فلما أُرسلت عارَضاها[2]، فقال حذيفة: خدعتُك يا قَيْس، قال: تَرَكَ الخداعَ من أَجْرَى مِن مائة؛ فأرسلها مثلاً.

[١٧/١٩٣] ثم ركضا ساعة فجعلَتْ خيلُ حُذَيفةَ تُبَرّ وخَيْل قيس[3] تُقَصِّر، فقال / حذيفة: سبقتُكَ يا قيس، فقال: جَرْيُ المُذَكّيات غِلاب[4]، فأرسلها مثلاً. ثم ركضا ساعة، فقال حُذيفة: إنك لا تركض مَرْكضاً، فأرسلها مثلاً. وقال: سُبِقَتْ خيلك يا قيس، فقال قيس: رُوَيداً يَعْلُونَ الجَدَد، فأرسلها مثلاً.

قال: وقد جعل بنو فَزارة كميناً بالثنيّة، فاستقبلوا دَاحِساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابِق، ولم يعرفوا الغَبْراء وهي خَلْفه مُصَلّية، حتى مضت الخَيْلُ واستهلّت من الثنيّة، ثم أرسلوه فتمطّر[5] في آثارها؛ أي أسرع، فجعل يَبْدُرُها فرساً فَرَساً حتى سبقها إلى الغاية مصلّياً، وقد طرح الخيل غَيْرَ الغَبْرَاء، ولو تباعدت الغايةُ لسبقها؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها، ثم حلّئوها[6] عن البِركة، ثم لطموا دَاحساً وقد جاءا مُتَوالِيَيْن. وكان الذي لطمه عُمَيْر بن نضلة، فجسأَتْ[7] يدُه؛ فسُمّي جاسئاً.

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس، وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سَبَقِهم، ولطمُوا أفراسَهم، ولم تطقهم[8] بنو عبس يقاتلونهم، وإنما كان مَنْ شهد ذلك مِنْ بني عبس أبياتاً غير كثيرة، فقال قيس بن زهير: يا قوم، إنه لا يَأْتِي قومٌ إلى قومهم شرّاً من الظلم، فأعطونا حقّنا، فأبت بنو فزارة / أنْ يُعطوهم شيئاً ـ وكان الخَطَر[9] عشرين من [٢٧/١٦] الإبل ـ فقالت بنو عبس: أعطونا / بَعْضَ سَبَقِنا، فأبوا، فقالوا: أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطْعِمُها أَهْلَ الماء؛ فإنا نكره [١٧/١٩٤] القَالَة في العرب. فقال رجلٌ من بني فزارة: مائةُ جَزُور وجَزُور واحدٌ سواء، والله ما كُنّا لِنُقِرّ لكم بالسبق علينا، ولم تُسْبَق.

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال: يا قوم، إنّ قيساً كان كارهاً لأوّل هذا الرهان، وقد أحسن في آخره،

---

(١) محك: لجّ.

(٢) أ: «عارضها».

(٣) كذا في المختار والنقائض، وفي أ: «خيل زهير».

(٤) هامش أ: «ويروى: غلاء، من المغالاة»، وفي «القاموس»: كل مرماة غلوة وجمعها غلوات وغلاء، وفي المثل: جرى المذكيات غلاء.

(٥) في «القاموس»: تمطرت الخيل: جاء يسبق بعضها بعضاً. وتمطرت الطير: أسرعت.

(٦) حلئوها: منعوها.

(٧) جسأت يده: صلبت، وفي المختار والنقائض: «فجفت».

(٨) في المختار والنقائض: «ولو يطيقهم بنو عبس لقاتلوهم».

(٩) الخطر: السبق.

وإنّ الظلم لا ينتهي إلاّ إلى الشر؛ فأعطوه جَزُوراً مِنْ نعَمكم، فأبوا، فقام إلى جَزُور من إبله فعقلها ليُعْطيها قَيْساً ويُرضيه، فقام ابنُه فقال: إنك لكثير الخطأ؛ أتريد أن تخالفَ قومَك وتُلْحِق بهم خَزايَةً بما ليس عليهم؟ فأطلق الغلامُ عِقالَها، فلحقت بالنَّعم. فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومَنْ معه من بني عبس، فأتى على ذلك ما شاءَ الله.

قيس بن زهير قتل عوف بن بدر والربيع يحمل ديته

ثم إنَّ قيساً أغار عليهم، فلقي عَوْفَ بن بَدْر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بني فزارة، فهمُّوا بالقتال، وغضبوا، فحمل الربيعُ بن زياد أحدُ بني عَوْذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس دِية عوف بن بَدْر مائة عُشَراءِ مُتْلية.

(العُشراء: التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر مِنْ مَلْقَحِها. والمتالي: التي نَتَج بعضها والباقي يتلوها في النتاج).

وأمُّ عوف وأم حُذيفة ابنة نضلة بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عديّ بن فَزارة.

واصطلح الناس، فمكثوا ما شاءَ الله.

/ **حذيفة بن بدر يدس فرساناً يقتلون مالك بن زهير** [١٧/١٩٥]

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأةً يقال لها: مُلَيْكَةُ بنت حارثة من بني عَوْذ[١] بن فزارة، فابتنى بها باللُّقاطة[٢] قريباً من الحَاجر، فبلغ ذلك حذيفة بن بَدْر، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسَانِّ خَيْله، وقال: لا تُنْظِرُوا[٣] مالكاً إنْ وجدتموه أنْ تقتلوه، والربيع[٤] بن زياد بن عبد الله بن سُفْيان بن ناشب[٥] العَبْسيّ مجاورٌ حذيفةَ بن بَدر، وكانت تحت الربيع بن زِياد معاذة ابنة بدر، فانطلق القومُ، فلقوا مالِكاً فقتلوه، ثم انصرفوا عنه، فجاءُوا عشيةً وقد جَهَدُوا أفراسَهم، فوقفوا على حُذَيفة ومعه الرّبيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم! قالوا: نعم، وعقرناه.

فقال الربيع: ما رأيتُ كاليَوْم قطّ، أهلكتَ أفراسكَ مِنْ أجل حمارٍ! فقال حذيفة لمّا أكثر عليه من الملامَة، وهو يحسبُ أنّ الذي أصابوا[٦] حماراً: إنا لم نقتلْ حِماراً، ولكنا قَتَلْنا مالكَ بن زهير بعَوْف بن بَدْر. فقال الربيع: بئس لعَمْرُ الله القتيل قتلت[٧]، أما والله إني لأظنّه سيبلغ ما نكره[٨].

الربيع يغضب لقتل مالك

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا، فقام الربيع يَطَأُ الأرضَ وطْأً شديداً، وأخذ يومئذ حَمَلُ بن بَدْر ذا النّون، سيْفَ مالك بن زهير.

---

(١) في النقائض: «من بني غراب بن فزارة»، وفي المختار: «من بني عوذة».
(٢) س: «اللقاطة»، والمثبت من النقائض والمختار.
(٣) ب، س: «لا تنتظروا»، والمثبت في المختار والنقائض.
(٤) في المختار: «وكان الربيع . . . مجاورا حذيفة».
(٥) في النقائض: «قارب».
(٦) في المختار: «أصابوه».
(٧) في بيروت: «ما فعلت»، وما هنا موافق للمختار والنقائض.
(٨) في المختار: «ما يكره» بالمبني للمجهول.

[١٩٦/١٧] / قال أبو عبيدة: فزعموا أنَّ حذيفة لما قام الرَّبيع بن زِياد أرسل إليه بمولّدة له[١] فقال لها: اذهبي إلى معاذة بنت بَدْر امرأة الربيع فانظري ما ترينَ الربيعَ يصنع. فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت، فاندسّت بين الكِفاء والنَّضَد - والكِفاء: شُقَّة في آخر البيت، والنَّضَد: مَتاعٌ يُجعَلُ على حمار من خَشَب - فجاء الربيعُ فنفذ البيتَ حتى أتى فرسه فقبض بِمَعْرَفته، ثم مسح مَتْنَه حتى قبض بعُكْوَة ذَنَبه - العُكوة: أصل الذنب - ثم رجع إلى البيت ورُمْحُه مركوزٌ بفنائه، فهزَّه هزًّا شديداً، ثم ركزه كما كان، ثم قال لامرأته: اطرحي لي شيئاً، فطرحَتْ له شيئاً، فاضطجع عليه، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة، فدَنَتْ منه، فقال: إليك! قد حدث أمْرٌ، / ثم تغنّى، وقال[٢] ٢٨/١٦

الربيع يرثي مالكاً

نـــام الخَلِـــيُّ ومـــا أُغَمِّـــضُ حَـــارِ[٣] ... مـــنْ سيِّـــىءِ النَّبَـــأ الجليـــلِ السَّـــاري

مِـــنْ مِثْلِـــه تُمسِـــي النســـاءُ حـــواسِـــراً ... وتقـــوم مُعْـــوِلـــةً مـــع الأسحـــار[٤]

مَـــنْ كـــان مســـروراً بمَقْتَـــلِ مـــالـــكٍ ... فَلْيَـــأتِ نِســـوتَنـــا بـــوَجْـــهِ نهـــار[٥]

يَجِـــد النســـاءَ حـــواســـراً ينـــدُبْنَـــه ... يبكيـــن قبـــل تبلُّـــج الأسحـــارِ

قـــد كُـــنَّ يَخْبَـــأنَ الـــوُجـــوهَ تستُّـــراً ... فـــاليـــوم حِيـــن بـــدَوْنَ للنُّظَّـــار[٦]

يَخْمِشْـنَ حُـرَّات الـوُجـوهِ علـى امـرىءٍ[٧] ... سَهْـــلِ الخليقـــة طيِّـــب الأخبـــار

أفَبَعْـــدَ مَقْتَـــل مـــالـــك بـــن زُهَيْـــرٍ[٨] ... تَـــرْجُـــو النســـاءُ عـــواقـــبَ الأطهـــارِ

[١٩٧/١٧] / مـــا إنْ أرَى فـــي قتلـــه لِـــذَوي الحِجـــا ... إلاّ المطـــيّ تُشَـــدُّ بـــالأكـــوارِ

ومجنَّبـــاتٍ مـــا يَـــذُقْـــنَ عَـــذُوفـــةً ... يَقْـــذِفْـــنَ بـــالمُهَـــرات والأمهـــارِ

العذوف والعدوف واحد، وهو ما أكلته.

ومســـاعِـــراً صـــدأُ الحـــديـــدِ عليهـــم ... فكـــأنمـــا طُلِـــيَ الـــوجـــوهُ بقـــار[٩]

يـــا رُبَّ مَسْـــرُورٍ بمَقْتَـــلِ مـــالـــك ... ولســـوف نصـــرِفُـــه بشـــرِّ مَحَـــارِ[١٠]

فرجعت المرأةُ[١١] فأخبرت حُذَيفة الخبر، فقال: هذا حين اجتمع أمْرُ إخوتكم، ووقعت الحرب.

حذيفة بن بدر يدس فرساناً وراء الربيع

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذ جاره: سَيِّرني، فإني جارُكم، فسَيَّره ثلاث ليال، ومع الربيع فَضْلَةٌ مِنْ خمر،

---

(١) أ، والنقائض: «أرسل إليه أمة مولدة».

(٢) الأبيات في النقائض ٨٩ وحماسة أبي تمام ١: ٢٩٨.

(٣) حار، مرخم: «حارث».

(٤) في المختار: «يوقمن معولة».

(٥) النقائض: «بنصف نهار».

(٦) والمختار: «برزن للنظار».

(٧) هامش أ من نسخة: «حر وجوههن»، وفي المختار: «حر وجوههن على فتى».

(٨) في هذا الشطر عيب يسمى القطع.

(٩) المساعر: جمع مسعر، وهو موقد نار الحرب.

(١٠) المحار: المرجع، وفي أ: «نضربه»، وفي المختار: «بشر مصار».

(١١) في المختار والنقائض: «الأمة».

فلما سار الربيع دسَّ حُذيفة في أثره فوارس، فقال: اتبعوه، فإذا مَضَت[١] ثلاث ليال فإنَّ معه فَضْلةً من خَمْر، فإنْ وجدتموه قد أهراقها[٢] فهو جادّ وقد مضى، فانصرفوا، وإنْ لم تجِدُوه قد أراقها فاتبعوه؛ فإنكم تجدونه قد مال لأدْنَى منزل، فرتع وشرب فاقتلوه، فتبعوه فوجدوه قد شقَّ الزِّقّ ومضى، فانصرفوا.

فلما أتى الربيعُ قومَه، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شَحْناء؛ وذلك أنَّ الربيعَ ساوَمَ قيس بن زهير في دِرْع كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يَدَيْه، ثم ركض بها فلم يردّها على قَيْس، فعرض / قيس لفاطمة [١٧/١٩٨] ابنة الخُرْشب الأنمارية ـ من أنمار بن بغيض، وهي إحدى مُنْجِبات قَيْس، وهي أمُّ الربيع ـ وهي تَسِيرُ في ظعائنَ من عَبْس، فاقتاد جَمَلها، يريد أنْ يَرْتَهِنها بالدِّرع حتى يُردَّ عليه، فقالت: ما رأيْتُ كاليوم فِعْلَ رجل! أيْ قيس، ضلَّ حِلْمُك! أترجو أنْ تصطلحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أمَّهم! فذَهبتَ بها يميناً وشمالاً! فقال الناسُ في ذلك ما شاءُوا! وحَسْبُكَ من شرٍّ سماعه، فأرسلتها مثلاً. فعرف قيسُ بن زهير ما قالت له، فخلّى سبيلها، وأطرد إبلاً لبني زياد، فقدم بها مكّةَ، فباعها من عَبْد الله بن جُدْعان بن عَمْرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة القرشيّ، وقال في ذلك قَيْس بن زهير[٣]:

ألـم يبلغـك والأنبـاءُ تَنْمـي ... بمـا لاقَـتْ لَبُـونُ بنـي زِيـادِ
ومَحْبِسُهـا علـى القـرشيّ تُشْرَى ... بـأدراعٍ وأسيـافٍ حِـدادِ
كمـا لاقيـتَ مِـنْ حَمَـلِ بـن بَـدْرٍ ... وإخـوتـه علـى ذات الإصـاد
/ هُـم فَخَـرُوا علـيّ بغيـر فخـرٍ ... وذَادُوا دُونَ غـايتـهِ جـوادي
وكنـتُ إذا مُنِيـتُ بخَصْـمِ سـوءٍ ... دلفْـتُ لـه بِـداهيـةٍ نـآد[٤]
بـداهِيـةٍ تـدقّ الصُّلْـبَ منـه ... فتقصِـمُ أو تجـوبُ عـن الفؤاد[٥]
وكنـتُ إذا أتـانـي الـدَّهـرَ رِبْـقٌ ... بـداهيـةٍ شـددتُ لهـا نِجـادي

٢٩
١٦

الربق: ما يتقلّده.

/ ألـم تعلـم بنـو الْمِيقـاب أنّـي ... كـريـمٌ غيـر مُنْغَلِـثِ الـزِّنَـاد[٦] [١٧/١٩٩]

الوَقْبُ: الأحمق، والميقاب: التي تلد الحمقى، والمنغلث: الذي ليس بمنتقى.

أُطَـوِّفُ مـا أُطـوِّفُ ثـم آوِي ... إلـى جـارٍ كجـارِ أبـي دُوَاد

جارُه: يعني ربيعة الخَيْر بن قُرْط بن سَلَمة بن قشير، وجارُ أبي دُوَاد يقال له: الحارث بن همَّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان، وكان أبو دُوَاد في جِواره، فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غَدِير، فغمس الصِّبْيان ابْنَ أبي دُواد فيه

(١) في س: «فإذا مضوا» والمثبت من أ والنقائض.
(٢) أهراقها: أسالها.
(٣) النقائض ٩٠.
(٤) نآد: شديدة.
(٥) س: «تجوب على الفؤاد»، وجاب الشيء جوباً: خرقه، والمثبت ما في أ والنقائض والمختار.
(٦) أ: «كريه يوم ملحمة جلادي». وفي هامشه من نسخة: «غير منفلت»، وفي المختار والنقائض: «غير مغتلث»، ويروى: «معتلث»، وفي «اللسان»: اعتلثت الزند: انتخبته من شجرة لا يدري: أيورى أم لا! واعتلث السهم، بالعين المهملة: أخذه من عرض الشجر.

فقتلوه، فخرج الحارث فقال: لا يبقى صبيّ في الحيّ إلاّ غُرّق في الغَدير أو يرضى أبو دُواد، فوُدِيَ ابنُ أبي دُواد عشر ديات فرضِي، وهو قول أبي دُواد:

إبلـي الإبْـلُ لا يحـوزهـا الـرا ... عـون ومَـجّ النّـدَى عليهـا المُـدَامُ

قال أبو سعيد: حفظي: لا يحوزها الراعي ومَجّ الندى.

إليـكَ ربيعـةَ الخيـر بـن قُـرْط ... وَهُوبـاً للطّـريـف وللتّـلادِ

كفـانـي مـا أخـافُ أبـو هـلال ... ربيعـةُ فـانتهَـتْ عَنّـي الأعَـادِي

تَظَـلُّ جِيَـادُه يحـديـن[1] حَـوْلـي ... بـذات الـرِّمْـث كـالحِـدَإِ الغَـوَادِي

كـأنّـي إذ أنخـتُ إلـى ابْـنِ قـرط ... عقلْـتُ إلـى يَلَمْلَـمَ أو نَضـادِ[2]

وقال أيضاً قَيْس بن زهير:

[١٧/٢٠٠] / إن تـك حَـرْبٌ فلـم أجْنِهـا ... جَنَتْهـا خيـارُهُـمُ أوْ هُـمُ[3]

حِـذارَ الـرَّدَى إذ رأوا خَيْلَنـا ... مُقَـدّمُهـا سـابـحٌ أدْهَـمُ

عليـه كَمِـيٌّ وسِـرْبـالُـه ... مُضـاعفـة نسجُهـا مُحْكَـمُ

فـإنْ شَمَّـرَتْ لـكَ عـن سـاقِهـا ... فَـوَيْهـاً ربيـعُ ولـم يسـأمُـوا

نَهيـتُ رَبيعـاً فلـم يَـزْدَجِـرْ ... كمـا انـزجـر الحـارثُ الأضْجَـمُ[4]

قال أبو عبد الله: الحارث الأضجم: رجل من بني ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار، وهو صاحب المِرْباع.

قال: فكانت تلك الشَّحْناء بين بَني زياد وبين بني زُهير، فكان قيس يخاف خذْلانهم إياه، فزعموا أنّ قيساً دَسّ غلاماً له مولَّداً، فقال: انطلق كأنك تطلب إبلاً؛ فإنهم سيسألونك، فاذكر مَقْتَل مالك، ثم احفظ ما يقولون. فأتاهم العبد، فسمع الربيع يتغنّى بقوله:

أفبَعْـدَ مَقْتَـلِ مـالـكِ بْـنِ زُهيـر ... تـرجُـو النسـاءُ عـواقـبَ الأطهـارِ[5]

فلما رجع العَبدُ إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد، عرف قيس أنْ قد غضب، فاجتمعت بنو عَبْس على قِتالِ بني فزَارة، فأرسلوا إليهم أنْ رُدّوا علينا إبلنا التي وَدَيْنا بها[6] / عَوْفاً أخا حُذَيفة بن بَدْر لأمّه، فقال: لا أعطيكم دِيَةَ ابْنِ أمي، وإنما قتل صاحبَكم حَملُ بن بَدْر، وهو ابنُ الأسدية، وأنتم وهو أعلم. ٣٠/١٦

[١٧/٢٠١] / فزعم بعضُ الناس أنهم كانوا وَدَوْا عوفَ بن بَدْر بمائة من الإبل مُتْلِية؛ أي قد دنا نتاجها، وأنه أتى على تلك الإبل أربعُ سنين، وأنّ حذيفة بن بَدْر أراد أنْ يَرُدّها بأعيانها، فقال له سنان بن خارجة المُرّيّ: أتريد أنْ تلحقَ بنا

---

(١) في النقائض: «يجمزن»، وفي أ: «يجرين».
(٢) يلملم ونضاد: جبلان.
(٣) في النقائض: «صبارتهم أوهم».
(٤) في المختار: «الأضخم»، وهو يوافق ما في النقائض. قال: وروى ابن الأعرابي: «الحارث الأجذم».
(٥) النقائض: ٩٣.
(٦) النقائض والمختار: «ردیناها».

خَزاية فنعطيهم أكثَرَ مما أعطونا، فتسبّنا العَربُ بذلك؟ فأمسكها حذيفة، وأبَى بنو عَبْس أن يقبلوا إلاّ إبلهم بعينها فمكث القومُ ما شاءَ الله أنْ يمكثوا.

جندب يقتل مالك بن بدر

ثم إن مالك بن بَدْر خرج يطلبُ إبلاً له، فمرّ على بني رَواحة، فرماه جُندب[١] ـ أحد بني رواحة ـ بسَهْم فقتله، فقالت ابنةُ مالك بن بَدْر في ذلك[٢]:

لله عَيْنــاً مَــنْ رأى مِثْــلَ مــالــك ... عَقِيــرةَ قَــوْمٍ أنْ جَــرى فَــرســانِ
فليتهمــا لــم يَشْــرَبــا قــطُّ قطــرةً[٣] ... وليتهمــا لــم يُــرْســلاَ لِــرهــان
أُحِــلَّ بــه مِــنْ جنــدب أمــس نَــذْره[٤] ... فــأيُّ قتيــلٍ كــان فــي غطفــان
إذا سجَعــتْ بــالــرَّقمتَيْــن حَمــامــةٌ ... أو الــرَّسُّ تَبْكــي فــارسَ الكَتِفــان

فَرس له كانت تسمّى الكَتِفان.

الأسلع بن عبد الله بن ناشب يمشي في الصلح بين عبس وذبيان

ثم إنَّ الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زَيْد بن هِدْم بن أُدّ بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس مشى في الصُّلح، ورَهنَ بني ذبيان ثلاثةً / مِنْ بَنِيه وأربعةً من بني أخيه حتى يصطلحوا، جعلهم على يدي سُبَيع بن عمرو من [١٧/٢] بني ثعلبة بن سَعْد بن ذُبْيان. فمات سُبَيع وهم عنده.

سبيع بن عمرو يوصي مالكاً ابنه

فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سُبيع: إنَّ عندك مكرمة لا تَبيد إن أنْتَ احتفظتَ بهؤلاء الأُغَيْلِمَة، وكأني بك لو قَدْ مُتُّ قد أتاكَ حُذيفة خالك ـ وكانت أُمُّ مالك هذا ابنة بدر ـ فعصر عينيه، وقال: هلكَ سيّدُنا، ثم خدَعكَ عنهم حتى تدفعَهم إليه فيقتلهم، فلا شرفَ بعدها فإن خِفْتَ ذلك فاذهبْ بهم إلى قومهم.

فلما ثقل جعل حذيفة يَبْكي ويقول: هلك سيّدُنا، فوقع ذلك له في قَلْبِ مالك.

مالك دفع الرهن إلى حذيفة

فلما هلك سُبَيع أطاف بابنه مالك فأعظمه، ثم قال له: يا مالِك، إنِّي خالُك، وإنِّي أَسَنُّ منك، فادفَعْ إليّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أنْ ننظر في أمْرِنا. ولم يزل به حتى دفعهم إلى حُذَيفة باليَعْمُرِيّة، واليعمُريّة: ماءٌ بوادٍ من بَطْنِ نَخْل من الشَّرَبَّة لبني ثعلبة.

فلما دفع مالكٌ إلى حُذَيفة الرُّهُن جعل كل يوم يُبْرِزُ غلاماً فينصبه غَرَضاً ويَرْمِي بالنَّبل، ثم يقول: نادِ أبَاك، فينادي أباه حتى يُمزِّقَه النبلُ، ويقول لواقد بن جنيدب: نادِ أباك فجعل ينادِي: يا عمّاه، خلافاً عليهم، ويكره أنْ

---

(١) النقائض: «جنيدب».
(٢) النقائض ٩٢.
(٣) النقائض: «شربة».
(٤) كذا في أ والمختار، وفي «بيروت»: «أحل به أمس الجنيدب نذره».

يَأْبِس أباه بذلك ـ والأبس: القَهْرَ والحمْل على المكروه ـ وقال لابن جُنَيْدب بن عَمْرو بن عبد الأسلع: ناد جنيبة ـ وكان جُنَيبة لقب / أبيه ـ فجعل ينادي: يا عمْرَاه[1]، باسم أبيه حتى قُتل. وقُتل عتبة بن قيس بن زهير. [١٠/٢٠٣]

ثم إنَّ بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مُرّة، فالتقوا هم وبنو عَبْس، فقتلوا منهم مالكَ بن سبيع بن عَمْرو الثعلبيّ[2] ـ قتله مَرْوَان[3] بن زِنْبَاع العَبْسيّ ـ وعبدَ العزّى بن حُذار الثعلبيّ، والحارث بن بَدْر الفزاريّ، وهَرِم بن ضمضم المُرّيّ ـ قتله وَرْد بن حابس العبسيّ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بَدْر، فقالت ناجية أخت هَرِم بن ضمضم المريّ[4]:

يـا لَهْـفَ نفسـي لهفـةَ المفجـوع ... ألاّ أرى هَـرِمـاً علـى مَـوْدُوعِ

/ مِـنْ أجْـل سيّـدنـا ومَصْـرَع جَنْبِـه ... عَلِـقَ الفـؤاد بحنظـلٍ مجـدوعِ[5] [٣١/١٦]

مَوْدُوع: فرسه.

بين ذبيان وعبس

ثم إنّ حذيفة بن بَدْر جمع وتأهّب[6]، واجتمع معه بنو ذُبْيان بن بَغِيض فبلغ بني عَبْس أنهم قد ساروُا إليهم، فقال قيس: أطيعوني، فوالله لئن لم تفعلوا لأتّكِئَنّ على سَيْفي حتى يخرج من ظَهْري، قالوا: فإنّا نطيعك، فأمرهم فسرَّحوا السَّوَام والضِّعاف بلَيلٍ وهم يريدون أن يظعنوا مِنْ منزلهم ذلك، ثم ارتحلوا في الصُّبْح، وأصبحوا على ظَهْر العقَبة، وقد مضَى سوَامُهم وضُعفاؤهم. فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيلُ من الثنايا، فقال قيس: خذُوا غيْر طريقِ المالِ؛ فإنه لا حاجةَ للقوم أنْ يقعوا في شوكتكم، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرًّا مِن ذهابِ أموالكم، فأخذوا غَيْر طريق المال.

[١١/٢٠٤] / فلما أدرك حُذَيفةُ الأثر وراَه[7] قال: أبعدهم الله! وما خَيْرُهم بعد ذَهابِ أموالهم! فاتّبع المال.

وسارت ظعُن بني عَبْس والمُقاتِلَةُ من ورائهم، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المالَ. فلما أدركوه ردُّوه[8] أوّله على آخره، ولم يُفْلت منهم شيء، وجعل الرجلُ يطردُ ما قدر عليه من الإبل، فيذهب بها. وتفرّقوا، واشتدّ الحر، فقال قيس بن زهير: يا قوم، إن القوم قد فرّق بينهم المَغْنَم، فاعطفوا الخيلَ في آثارهم، فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس[9]، فلم يقاتلهم كبيرُ أحد، وجعل بنو ذبيان إنما هِمَّةُ الرجل في غنيمته أن يحوزها، ويمضي بها.

فوضعت بنو عَبْس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذُبيان البقيّة، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حُذيفة، فأرسلوا خَيْلهم مجتهدين في أثره، وأرسلوا خيلاً تقصّ[10] الناسَ ويسألونهم، حتى سقطَ خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على

(١) أ: «يا عماه».
(٢) أ: «التغلبي»، تحريف.
(٣) في النقائض: الحكم بن مروان.
(٤) النقائض ٩٤.
(٥) أ، النقائض، المختار، بيروت: «مصدوع».
(٦) أ، والمختار والنقائض: «وتهيأ».
(٧) وكذا في النقائض. وفي المختار: «وراءهم».
(٨) أ والمختار والنقائض: «ردوا».
(٩) ب، س: دواس، والمثبت في المختار والنقائض وبيروت. ودوائس: يتبع بعضها بعضاً.
(١٠) وكذا في المختار، وفي النقائض: «تنفض» والمراد تتعرفهم.

شدّاد بن معاوية العبسيّ، وعمرو بن ذُهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب[1] بن قُطَيْعَة العبسيّ، وعَمْرو بن الأسلع، والحارث بن زهير، وقِرواش بن هُنَيّ بن أُسَيِّد بن جَذِيمة، وجُنَيدب.

وكان حُذَيفة قد استرخى حِزامُ فرسه، فنزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافةَ أن يُقْتَصَّ أثره، ثم شد الحزام فوقعَ صَدْرُ قدمِه على الأرض فعرفوه، وعرفوا حنَف فرسه ـ والحنَف: أن تُقبل إحدى اليدين على الأُخرى، وفي الناس أن تُقْبل إحدى الرجلين على الأخرى، وأن يطأ / الرجل وحشيّهما[2]، وجمْع الأحنف حُنْف ـ فاتبعوه، [١٧/ ٠٠]
ومضى حتى استغاث بجَفْر الهباءة وقد اشتد الحرّ، فرمى بنفسه، ومعه حَمَل بن بَدْر، وحَنَش بن عَمْرو، وورقاء بن بلال وأخوه ـ وهما[3] من بني عديّ بن فزارة ـ وقد نزعوا سرُوجَهم، وطرحوا سلاحَهم، ووقعوا في الماء، وتمعّكَتْ[4] دوابُّهم، وقد بعثوا رَبيئةً فجعل يطَّلع فينظر، فإذا لم يَرَ شيئاً رجع، فنظر نظرة فقال: إني قد رأيتُ شخصاً كالنّعامة أو كالطائر فوق القَتادَةِ من قبل مجيئنا. فقال حذيفة: هَنًّا وهَنًّا، هذا شدّاد على جِرْوة، وجِروة: فَرَسُ شدّاد، والمعنى دَعْ ذِكر شداد عن يمينك وعن شمالك، واذكر غيره لما كان يخافُ مِنْ شدّاد.

فبينا هم يتكلّمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم، فحال بينهم وبين الخَيْل، ثم جاء عَمْرو بن الأسلع، ثم جاء قِرْواش حتى تتامّوا خمسة، فحمل جُنَيْدب على خَيْلهم فاطّردها، وحملَ عَمْرو بن الأسلع، فاقتحم هو وشدّاد عليهم في الجَفْر، فقال حُذيفة: يا بني عبس! فأين العُقولِ والأحلام! فضربه أخوه[5] / حَمَل بن بدر بين كَتِفَيْه، وقال: اتّقِ مأثور القَوْلِ[6] بعد اليَوْمِ، فأرسلها مثلاً. [٣٢/١٦]

وقَتَل قِرواشُ بن هُنَيّ حُذَيفةَ، وقتل الحارثُ بن زهير حمَلَ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير، وكان حملٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله، فقال الحارث بن زهير في ذلك[7]:

[١٧/ ٠٦]
/ تــركــتُ علــى الهَبــاةِ غَيْـرَ فخـر ... حُـذيفــةَ حــولَــه قِصَــدُ العَــوَالِــي[8]
سيخبــرُ عنهــمُ حَنَــشُ بــن عَمْــرٍو ... إذا لاقــاهُــمُ وابْنَــا بِــلال
ويُخبــرهــم مكــانَ النُّــون منــي ... ومــا أعطيتُــه عَــرَقَ الخِــلاَل

العرق: المكافأة، والخلال: المودة، يقول: لم يعطوني السَّيْفَ عن مكافأة ومودّة، ولكني قتلت وأخذت.

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سَعْد بن ذُبْيان[9]:

سيُخْبــرك الحــديــثَ بــه خبيــرٌ ... يُجاهــرك العــداوةَ غَيْــرَى آلِــي
بُــداءتهــا لِقِــرْوَاشٍ وعَمْــرٍو ... وأنْــتَ تَجُــولُ جَــوْبُــكَ فــي الشمــال

---

(١) في النقائض: «شداد بن معاوية بن ذهل بن مخزوم بن غالب».
(٢) الوحشي: الجانب الأيمن من كل شيء. والوحشي في الرجل: ظهرها، ضد الإنسي.
(٣) في المختار: «وهمام بن عدي»، والمثبت في النقائض أيضاً.
(٤) تمعكت دوابهم: تمرغت في التراب.
(٥) أ: «فضربه حمل بن بدر».
(٦) وكذا في النقائض. وفي المختار: «الكلام».
(٧) النقائض ٩٦.
(٨) قصد: جمع قصدة. وهي القطعة مما يكسر. والعوالي: الرماح.
(٩) النقائض ٩٦.

الجوب: التُّرس، يقول: بداءة الأمر لِقِرْواش وعَمْرو بن الأسلع، وهما اقتحما الجَفْر وقتلا مَنْ قَتلا، وأنت تُرسك في يَدك يجولُ لم تغن شيئاً. ويقال: لك البداءة ولفلانٍ العَوْدة.

وقال قيس بن زهير[1]:

تعلـــم أنّ خيْـــر النـــاس مَيْـــتٌ ... علـــى جَفْـــر الهَبـــاءةِ مـــا يَـــرِيـــمُ
ولـــولا ظُلْمُـــه مـــا زلـــتُ أبكـــي ... عليـــه الـــدهـــرَ مـــا طلـــع النجـــوم
ولكـــنَّ الفتـــى حَمَـــلَ بـــن بـــدر ... بَغَـــى، والبَغْـــيُ مَـــرْتَعُـــه وَخِيـــم
أظـــنُّ الحلـــم دلّ علـــيّ قـــومـــي ... وقـــد يُستجهَـــلُ الـــرجـــلُ الحليـــمُ
فـــلا تَغْـــشَ المظـــالـــم لـــن تـــراه ... يُمتَّـــعُ بـــالغنَـــى الـــرجـــلُ الظَّلُـــوم
[١/٢٠٧] / ولا تَعْجَـــلْ بـــأمـــرِك واسـتَـــدِمْـــه ... فمـــا صلَّـــى عصـــاك كمستـــديـــم[2]
ألاقـــي مِـــنْ رجـــالٍ مُنْكَـــراتٍ ... فـــأنكـــرهـــا ومـــا أنـــا بـــالغَشُـــوم
ولا يُعْيِيـــك عُـــرْقُـــوب بَـــلأْيٍ ... إذا لـــم يعطـــك النِّصْـــفَ الخصيـــم[3]
ومـــارَسْـــتُ الـــرجـــال ومـــارسُـــونـــي ... فمعـــوجٌ علـــيّ وَمُسْتَقِيـــمُ

قوله: فما صلَّى عصاك كمستديم، يقول: عليك بالتأنّي والرفق، وإياك والعجلة؛ فإنّ العَجُول لا يُبْرِم أمراً أبداً، كما أنّ الذي يثقف العُودَ إذا لم يُجِد تصليته على النار لم يستقم له.

وقال في ذلك شدّاد بن معاوية العبسيّ[4]:

مَـــنْ يَـــكُ ســـائـــلاً عنّـــي فـــإنّـــي ... وجِـــروةَ لا تَـــرودُ ولا تُعـــارُ[5]
مُقَـــرَّبَـــةُ النّســـاءِ[6] ولا تـــراهـــا ... أمـــام الحـــيّ يتبعُهـــا المِهـــار
لهـــا فـــي الصيـــف آصِـــرةٌ وَجُـــلٌّ ... وسِـــتٌّ مـــن كـــرائمهـــا غِـــزارُ[7]

آصرة: حشيش، وسِت: أي ست أينق تُسقى لبنها.

ألاَ أبلـــغ بنـــي العُشَـــراء عنّـــي ... عـــلانيـــةً ومـــا يُغْنـــي السِّـــرار
قتلـــتُ ســـراتكـــمْ وحَسلْـــتُ منكـــم ... حسِيـــلاً مثـــلَ مـــا حُسِـــلَ الـــوبـــارُ[8]

---

(١) النقائض ٩٦.

(٢) البيت في «اللسان» (صلا)، وروايته: «فما صلى عصاه كمستديم» وفي هذا البيت والذي بعده إقواء.

(٣) النصف، بالكسر: النصفة. وفي النقائض بعد هذا البيت شرح له هذا نصه: قوله: عرقوب، يقول: إذا لم ينصفك خصمك، فأدخل عليه عرقوباً يفسخ حجته.

(٤) النقائض ٩٧، ونسبت هذه الأبيات إلى عنترة في ديوانه ٦٥.

(٥) البيت في «اللسان» (جرا). وفيه وفي النقائض والمختار: «لا ترود ولا تعار».

(٦) في النقائض: «مقربة الشتاء» وفي أ: «مقربة السناء».

(٧) في النقائض والمختار: «بالصيف»، وفي «اللسان»: «كلأ آصر: حابس لمن فيه، أو ينتهي إليه من كثرته». والبيت في «اللسان» (أصر)، وروايته: «لها بالصيف... غزار».

(٨) البيت في «اللسان» (حسل)، وفيه: «قال ابن الأعرابي: «حسلت: أبقيت منكم بقية». والوبار: جمع وبر، دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء.

/ حُسالةُ الناس وحُفالتهم ورعاعهم وخَمَّانهم وشَرَطُهم وحُثالتهم وخُشارتهم وغُثاؤهم واحد؛ وهم السَّفلة. [٢٠٨/١٧] ٣٣/١٦
يقول: قتلت سَرَاتكم وجعلتكم بعدهم حسالة، كما خُلقت الوِبار حُسالةً.

وكان ذلك اليوم يوم ذي حُساً، ويزعم بعضُ بني فزارة أنَّ حذيفة كان أصاب يومئذ فيمن أُصاب من بني عَبْس تُماضر ابنة الشريد السُّلمِيَّة أم قيس فقتلها، وكانت في المال، وقال:

ولم أقتلكُمُ سِرًّا ولكن ... علانيةً وقد سطع الغُبار

/ صوت

[٢٠٩/١٧]

جاء البريدُ بِقِرطاسٍ يخبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه فَزَعا

قلنا: لك الويلُ، ماذا في صحيفتكم؟ ... قال: الخليفةُ أُمسى مُثْبَتاً وَجِعا[1]

عروضه من الكامل[2]. الشعر ليزيد بن معاوية، والغناء لابن محرز، هزج بالوسطى عن عمرو.

وهذا الشعرُ يقوله يزيد في علةِ أبيه التي مات فيها، وكان يزيد يومئذ غازياً غزاة الصائفة.



(١) المثبت، كمكرم: من لا حراك به من المرض.

(٢) كذا في الأصول، والصواب أن البيت من البحر البسيط.

[١٧/٢١٠]

/ [خبر ليزيد بن معاوية]

جيش معاوية يغزو الصائفة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثني السكريّ والمبرّد، عن دِماذ أبي غسان ـ واسمه رَفيع بن سلمة ـ عن أبي عبيدة:

أن معاويةَ وجّه جيشاً إلى بلد الروم ليَغزو الصائفة، فأصابهم جُدَريٌّ فمات أكثرُ المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بِدَير مُرّان مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال[1]:

إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبِحاً ... بدَيْر مُرّانَ عندي أمُّ كُلْثومِ

فما أُبالِي بما لاقَتْ جنودُهمُ ... بالغَذْقَذُونَةِ مِنْ حُمَّى ومن مُومِ

فبلغ شعرُه أباه، فقال: أجل، والله ليلحقنّ بهم فليصيبنّه ما أصابهم.

يزيد يضرب باب القسطنطينية

فخرج حتى لحق بهم، وغَزا حتى بلغ القسطنطينية، فنظر إلى قبَّين مبنيَّين عليهما ثيابُ الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفعَ من إحداهما أصواتُ الدُّفوف والطبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى، فسأَل يزيد عنهما فقيل له: هذه بنتُ ملك الروم، وتلك بنت جَبَلة بن الأيهم، وكلٌّ واحدة منهما تُظهِرُ السرور بما تفعله عشيرتها، فقال: أما والله لأسُرَّنّها، ثمّ صفّ العسكر، وحمل حتى هُزِم الرُّوم، فأحجرهم في المدينة، وضرب بابَ القسطنطينية بعَمود حديد كان في يده، فهشمه حتى انخرق، فضُرِب عليه لوحٌ من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

[١٧/٢١١] / نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيديّ: حدثني العباس بن ميمون طابع[2]، قال: حدثني ابن عائشة، عن أبيه، وحدثني القَحْذَميّ:

أنّ ميسون بنت بَحْدَل الكلبيّة كانت تزيِّن يزيدَ بن معاوية، وتُرَجِّل جُمَّتَه، قال: فإذا نظر إليه معاوية قال:

فإنْ ماتَ لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه ... فَنُوطِي عليه يا مزينَ التَّمائما[3]

---

(١) البيتان في البلدان (غذقذونة) وفي (دير مران). وفي ب، س: «بالفرقدونة»، تحريف. وأم كلثوم هي بنت عبد الله بن عامر بن كريز.

(٢) في «بيروت»: «طائع».

(٣) نوطي: علقي.

يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر

فلما احتُضر معاوية حضره يزيد بن معاوية، وعَنْبَسة بن أبي سفيان، فبكى يزيد إلى عنبسة، وقال:

لــو فــات شــيء يُــرى لفــات أبــو حيْســان[١] لا عــاجــزٌ ولا وَكَــلُ
الحُــوّلُ القلّــب الأريــب ولــن يَــدْفَــع زَوْءَ المنيــةِ الحِيَــلُ[٢]

/ فسمعهما معاويةُ بعد أن ردّدهما مِراراً، فقال: يا بنيّ، إنَّ أخوفَ ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك، إني كنتُ أُوَضّيء رسولَ الله ﷺ، فكساني قميصاً، وأخذتُ شَعراً من شَعره، فإذا أنا متُّ فكفِّنِّي في قميصه، واجعل الشَّعْرَ في منخري وأذني وفمي، وخَلّ بيني وبين رَبّي، لعل ذلك ينفعُني شيئاً. ٣٤/١٦

قال العباس بن ميمون: فقلت للقَحْذَميّ: هذا غَلَط، والدليلُ على ذلك أنَّ أبا عدنان حدثني ـ وها هو حيّ فاسأله ـ عن الهَيْثَم بن عديّ، عن ابن عياش، عن الشعبيّ:

/ أنّ معاوية مات ويزيد بالصائفة، فأتاه البريدُ بنَعْيه، فأنشأ يقول: [٢١٢/١٧]

جــاء البــريــدُ بقــرطــاسٍ يخــبُّ بــه فــأوجــس القلــبُ مــن قــرطــاســه فَــزَعــا
قلنــا: لــك الــويــلُ، مــاذا فــي صحيفتكــم؟ قــال: الخليفــةُ أمســى مُثْبَتــاً وجِعــا
مــادَتْ بنــا الأرضُ أو كــادت تَميــدُ بنــا كــأنّ مــا عــزَّ مــن أركــانهــا انقلعــا
مَــنْ لــم تــزَلْ نَفْسُــه تُــوفــي علــى وَجَــلٍ[٣] تُــوشِــكُ مقــاديــرُ تلــك النفــس أنْ تقعــا
لمــا وَردتُ وبــابُ القَصْــرِ منطبِــقٌ لصــوت رَمْلــة هُــدَّ القلــب فــانصــدعــا

الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه

وكان الذي تولّى غَسْله ودَفْنَه الضحاك بن قيس، فخطب الناس، فقال: إنَّ ابْنَ هند قد تُوفّيَ، وهذه أكفانُه على المنبر، ونحن مُدرِجُوه فيها، ومخلُّون بينه وبين رَبّه، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة. ولو كان يزيد حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أنْ يفعلَ من هذا شيئاً.

قال العباس: فسكت القحذميّ، وما ردّ عليّ شيئاً.

عبد الله بن الزبير يرثي معاوية

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثني الزُّبير بن بَكّار، قال: حدثني عمّي، عن جدّي، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، قال:

صَلّى بنا عبدُ الله بن الزُّبير يوماً، ثم انفتل من الصلاة، فَنَشج[٤]، وكان قد نُعي له معاويةُ، ثم قال: رحم اللهُ

(١) أ: «حبان»، والمثبت من جـ، م، ب، س.

(٢) في «اللسان» (زوأ): زوه المنية: ما يحدث من المنية. وفي هامش أ: «زوه المنية: قدرها».

(٣) أ: فوقها «شرف»، وعليها علامة الصحة.

(٤) نشج الباكي: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

معاوية إنْ كنا لنخدعه فيتخادع لنا، وما ابن أُنثى بأكرم منه، وإن كنا لنعرفه يتفارق لنا، وما الليثُ المِحْرَبُ بأجرأ منه؛ كان والله كما قال بطحاء[1] العُذْرِيّ:

[٢١٣/١٧] / رَكُوبُ المنابر وثّابها مِعَنٌّ بخُطبته يَجْهَرُ[2]
تَريع إليه عيونُ الكلام إذا حَصِر الهذِر المِهْمَرُ[3]

كان والله كما قالت رقيقة، أو قال: بنت رقيقة:

أَلَا ابكيه ألا ابكيه أَلَا كلّ الفتى فيه

والله لوُدّي أنه بقي بقاء أبي قُبيس، لا يتخوّن له عقل، ولا تنقص له قوة.

قال: فعرفنا أنَّ الرجلَ قد استوجس[4].

ابن عباس يرثي معاوية أيضاً

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا ابنُ أبي سعد، قال: قال محمد بن إسحاق المُسَيبيّ: حدثني جماعة من أصحابنا: أنَّ ابنَ عباس[5] أتاه نَعْيُ معاوية وولاية يزيد، وهو يعشّى أصحابَه ويأكل معهم، وقد رفع إلى فيه لقمةً، فألقاها وأطرق هُنيهة ثم قال: جبَلٌ تَدَكْدَكَ، ثم مال بجميعه في البحر، واشتملت عليه الأبحر، للهِ درُّ ابنِ هند! ما كان أجمل وجهه، وأكرم خلقه، وأعظم حِلْمه.

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه، وقال: أتقول هذا فيه؟ فقال: ويحك! إنك لا تدري مَنْ مضى عنك، ومَنْ بقي عليك، وستعلم. ثم قطع الكلام.

[٢١٤/١٧] / صوت

٣٥/١٦

/ إذا زينبٌ زارها أهلُها حَشَدْتُ وأكرمتُ زوّارَها
وإن هي زارتهم زُرْتُهم وإن لم أجد لي هوًى دارها
فسِلْمي لمن سالَمتْ زينب وحَرْبي لمن أشعلت نارَها
وما زلتُ أرعى لما عَهْدَها ولم أتّبع ساعة عارَها

عروضه من المتقارب. الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حُدَير التميمية، والغناء لعَمْرو بن بانة، ثاني ثقيل بالبنصر، عنه على مذهب إسحاق. وذكر إسحاق في كتاب «الأغاني» المنسوب إليه أنه لابن محرز.

---

(١) كذا في أ، م، جـ، وفي ب، س: «بطحان» بالنون.
(٢) معن: متكلّم يعرض في كل شيء.
(٣) تريع: ترجع، والفعل من بابي نصر وضرب. المهمر: الكثير الكلام المهذار.
(٤) جـ، ما: «استوحش».
(٥) أ، م: «ابن عياش»، تصحيف.

/ ذكر شريح ونسبه وخبره

[٢١٥/١٧]

هو فيما أخبرني به الحسن بن علي الخفّاف، قال: حدثنا الحارث[1] بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن السائب. وأخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني عليّ بن عبد الله بن معاوية بن مَيْسرة بن شُريح، كلاهما اتفق في الرواية لنسبه:

نسبه

أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكنديّ. قال هشام في خبره خاصة: وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم، وسائرهم من هَجر وحضرموت.

وقد اختلف الرواةُ بعد هذا في نسبه؛ فقال بعضهم: شريح بن هانىء ـ وهذا غلط ـ ذاك شريح بن هانىء الحارثيّ، واعتلّ مَنْ قال هذا بخبرٍ رُوي عن مجالد، عن الشّعبيّ، أنه قرأ كتاباً من عُمَر إلى شريح:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانىء. وقد يجوز أن يكونَ كتب عُمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانىء الحارثيّ، وقرأه الشعبيّ، وكلا هذين الرجلين معروف، والفَرْقُ بينهما النسب والقضاء؛ فإن شُرَيح بن هانىء لم يَقض، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقيل: شريح بن عبد الله، وشريح بن شراحيل، والصحيح ابن الحارث. وابنه أعلَمُ به.

وقد أخبرنا وكيع، قال: حدثنا أحمد بن عمر بن بكير، قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عديّ، عن أبي ليلى: أن خاتم شريح كان نَقْشه شريح بن الحارث. وقيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سَيْف بن ذِي يَزَن، وعِداده في كندة، وقد روى عنه شبيه بذلك.

/ أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الحنفيّ، قال: حدثنا عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، [٢١٦/١٧] قال: حدثنا سفيان الثوريّ، عن ابن أبي السَّفَر، عن الشعبيّ، قال:

جاء أعرابيّ إلى شريح، فقال: ممَّنْ أنتَ؟ قال: أنا مِنَ الذين أنعم الله عليهم، وعدادِي في كندة.

قال وكيع: وقال أبو حسان، عن أيوب بن جابر، عن أبي حصين، قال:

كان شريح إذا قيل له ممن أنت؟ قال: مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام، عَدِيد كندة.

قال وكيع: وقيل: إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق؛ لأنَّ أُمَّه تزوّجت بعد أبيه فاستحيا.

سِنـه

وقد اختلف أيضاً في سنّه؛ فقيل: مائة وعشرون سنة، وقيل: مائة وعشر، وقيل: أقل من ذلك وأكثر.

---

(١) جـ: «الحسن».

فممن ذكر أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوّار، روى ذلك يحيى بن معين، عن المحاربيّ، عن أشعث، وأبو سعيد الجعفيّ، روى ذلك عنه أبو / إبراهيم الزهريّ. وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم.

٣٦
١٦

أخبرنا الحسن بن عليّ، عن الحارث، عن ابن[١] سعد، عن أبي نعيم، قال: بلغ شريح مائة وثمانين سنة.

سنةُ وفاته

قال الحارث: وأخبرني ابن[١] سَعْد، عن الواقديّ، عن أبي سبرة، عن عيسى، عن الشعبيّ، قال: توفي شريح في سنة ثمانين، أو تسع وسبعين.

[٢١٧/١٧] / قال أبو سعيد[٢]: وقال إبراهيم: في سنة ست وسبعين. وقال أبو إبراهيم الزّهريّ، عن أبي سعيد الجعفيّ: إنّ شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان.

أخبرني وكيع، قال: حدثنا الكُرَانيّ، عن سهل، عن الأصمعيّ، قال: وُلد لشريح وهو ابنُ مائة سنة.

ورَوى إسماعيل بن أبان الورّاق، عن عليّ بن صالح، قال: قيل لشريح: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ ابْنَ ستٌ ومائة، قضيتُ[٣] منها ستين سنة.

عمر يستقضيه

وأخبرني وكيع بخَبر عمر حين استقضاه، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا رَوْح بن عبادة، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعتُ سيّاراً قال: سمعتُ الشعبيّ يقول:

إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ مِنْ رجل فرساً على سَوْم، فحمل عليه رجلاً، فعطب الفَرس، فقال عمر: اجعَلْ بيني وبينك رجلاً، فقال له الرجل: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقيّ. فقال: يا أمير المؤمنين! أخذتَه صحيحاً سليماً على سَوْم، فعليكَ أن تردَّه كما أخذتَه. قال: فأعجبه ما قال، وبعث به قاضياً، ثم قال: «ما وجدتَه في كتابِ الله فلا تسألْ عنه أحداً، وما لم تستَبِنْ في كتاب الله فالزم السنّة، فإن لم يكن في السنّة، فاجتهد رأيك».

أخبرني وكيع، قال: أخبرني عبد الله بن الحسن، عن النُّميريّ، عن حاتم بن قبيصة المهلبيّ، عن شيخ من كنانة، قال:

قال عمر لشريح، حين استقضاه: «لا تُشارَّ ولا تُضارَّ، ولا تشتَرِ ولا تبع». فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين:

[٢١٨/١٧] / إن القُضـــاة إن أرادوا عَــــدْلاً وفَصلــوا بيــن الخصــوم فَصْــلا[٤]
وزَحْـزَحـوا بـالحكـم منهـم جهـلاً كـانـوا كمثـل الغيـث صَـابَ مَحْـلا[٥]

(١) كذا في «بيروت»، وفي جـ: «أبو سعد»، وفي أ، م: «أبو سعيد».
(٢) في «بيروت»: ابن سعد.
(٣) قضيت منها ستين سنة، أي عملت بالقضاء ستين سنة منها.
(٤) أ: «ورفعوا فوق الخصوم فضلاً».
(٥) جـ، م، وهامش أ من نسخة: «كانوا كغيث قد أصاب محلاً». وصاب وأصاب بمعنى.

وله أخبار في قضايا كثيرة يطولُ ذكرها، وفيها ما لا يستغنى عن ذِكْره، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه في الدّرع.

يقضي بين علي وبين يهودي أخذ درعه

حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهِر بن نوح بالأهواز، قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجليّ، قال: حدثني حكيمُ بن حزام، عن الأعمش، عن إبراهيم التيميّ، قال:

عَرَف عليٌّ صلوات الله عليه درْعاً مع يَهُودِيّ، فقال: يا يهوديّ، دِرْعِي سقطَتْ منّي يوم كذا وكذا، فقال اليهوديّ: ما أدري ما تقولُ! دِرْعي وفي يَدِي، بيني وبينك قاضي المسلمين.

فانطلقا إلى شريح، فلما رآه شريح قام له عن مَجْلِسه، فقال له عليّ: اجلس. فجلس شريح، ثم قال: إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلستُ معه بين يديك، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لا تساوُوهم في المجلس، ولا تعودُوا مَرْضاهم، ولا تشيّعوا جنائزهم، واضطرُّوهم إلى أضيق الطرق، وإن سبُّوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم. ثم قال: دِرْعي عَرَفْتُها مع هذا اليهوديّ.

فقال شريح لليهوديّ: ما تقولُ؟ قال: دِرْعي وفي يدي.

قال شريح: صدقْتَ واللهِ يا أمير المؤمنين، إنها لدِرْعُك كما قلْتَ، ولكن لا بدَّ من شاهد؛ فدعا قَنْبَراً فشهِدَ له، ودَعا الحسن بن عليّ، فشهد / له، / فقال: أمّا شهادة مولاك فقد قبلتُها، وأما شهادةُ ابنك لك فلا. فقال [٢١٩/١٧ ٣٧/١٦] عليّ: سمعْتُ عمرَ بن الخطاب يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول إنّ الحسن والحسين سيّدا شبابِ أهل الجنة. قال: اللهم نعم، قال: أفَلا تُجيز شهادةَ أحَدِ سيّدَيْ شباب أهل الجنة! واللهِ لتخرجنّ إلى بانقِيا فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً. ثم سلَّم الدِّرْعَ إلى اليهودي.

فقال اليهوديُّ: أمير المؤمنين مشى مَعِي إلى قاضِيه، فقضى عليه، فرضي به، صدقْتَ إنها لَدِرْعُك، سقطَت منكَ يوم كذا وكذا عن جمَل أوْرَق فالتَقَطْتُها، وأنا أشهد أن لا إلَه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله. فقال عليٌّ عليه السلام: هذه الدِّرْعُ لك، وهذه الفرسُ لك، وفرض له في تسعمائة، فلم يزَلْ معه حتى قُتِل يوم صفِّين.

[٢٢٠/١٧]

/ خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها

شريح ينصح الشعبي بأن يتزوج من نساء بني تميم

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب[1]، قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، وأبو محمد رجل ثقة، قال: حدثنا مُجَالد، عن الشعبيّ، قال:

قال لي شُريح: يا شعبيّ، عليكم بنساء بني تميم فإنهنّ النساء، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: انصرفتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً[2]، فمررتُ بدُور بني تميم، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سقيفةٍ على وِسادة وتجاهها جاريةٌ رُؤد - يعني التي قد بلغت - ولها ذُؤَابة على ظَهْرها جالسة على وِسادة، فاستسقيت، فقالت لي: أيّ الشراب أعجبُ إليك: النبيذ، أم اللبن، أم الماءِ؟ قلت: أي ذلك يَتيسَّر عليكم، قالت: اسقُوا الرجلَ لبناً؛ فإني إخاله غريباً.

يرى زينب بنت حدير، فيخطبها ويتزوجها

فلما شربتُ نظرْتُ إلى الجارية فأعجبتني، فقلت: مَنْ هذه؟ قالت: ابنتي، قالت: وممَّن؟ قالت: زينب بنت حُدَير، إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طُهيَة، قلت: أفارِغَةٌ أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوّجينيها؟ قالت: نعم إن كنتَ كَفِيّاً، ولها عمٌّ فاقصده.

فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلتُ إلى إخواني القرّاء الأشراف: مسروق بن الأجدع، والمسيّب بن نَجَبَة، وسليمان بن صُرد الخزاعيّ، وخالد / بن عُرْفُطة العُذْريّ، وعُرْوَة بن المغيرة بن شعبة، وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيتُ معهم صلاةَ العصر، فإذا عمُّها جالس، فقال: أبا أمية، حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذُكرت لي بنتُ أخيك زينب بنت حُدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مَقْصر، وإنك لنُهْزَة. [٢٢١/١٧]

فتكلمت فحمدت الله جلّ ذكره، وصلّيْتُ على النبي ﷺ، وذكرتُ حاجتي، فردّ الرجل عليّ وزوّجني، وبارك القومُ لي، ثم نهضنا.

فما بلغت منزلي حتى ندمتُ، فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها، ثم قلت: أجمعها إليّ، فإن رأيْتُ ما أُحِبُّ وإلا طلّقتُها.

فأقمْتُ أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت، وأخلى لي البيت، فقلت: يا هذه، إنّ من السنة إذا دخلت المرأةُ على الرجل أنْ يصلّيَ ركعتين وتصلّي ركعتين، ويسألا الله خير

---

(١) ب، س: «حرم»، تحريف.
(٢) مظهراً: سائراً أو داخلاً في الظهيرة.

ليلتهما، ويتعوَّذَا باللهِ منْ شرها. فقمْتُ أصلِّي ثم التفتّ، فإذا هي خَلْفِي فصليت، ثم التفتّ فإذا هي على فراشها، فمدَدَتُ يدي، فقالت لي: على رِسْلِك، فقلت: إحدى / الدواهي مُنيتُ بها، فقالت: إن الحمدَ للهِ أحمده وأستعينه ٣٨/١٦ إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشد عليّ منه، وأنتَ رجل غريب لا أعرِف أخلاقَك، فحدّثني بما تحبُّ فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه. فقلت: الحمد لله وصلّى الله على محمد، قدمتِ خَيْرَ مقدم، قدمتِ على أهل دارِ زَوْجك سيّد رجالهم، وأنتِ سيدةُ نسائهم، أُحبُّ كذا وأكرهُ كذا.

/ قالت: أخبرني عن أختانك[1] أتحبُّ أن يَزُوروك؟ فقلت: إني رجل قاضٍ، وما أُحبُّ أن تملّوني. [٢٢٢/١٧]

أم زينب تسأله عن ابنتها فيثني عليها

قال: فبتّ بأنعم ليلة، وأقمتُ عندها ثلاثاً، ثم خرجْتُ إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل مِنَ الذي قبله، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلْتُ منزلي، فإذا عجوز تأمر وتَنْهى، قلت: يا زينب، مَنْ هذه؟ فقالت: أمّي فلانة. قلت: حيّاك الله بالسلام، قالت: أبا أمية كيف أنتَ وحالك؟ قلت: بخير أحمد الله، قالت: أبا أمية؛ كيف زوجك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إنَّ المرأةَ لا ترى في حال أسوأ خُلقاً منها في حالين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً؛ فإنْ رَابَكَ منها رَيْب فالسَّوْط؛ فإنَّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرًّا من الوَرْهَاء[2] المتدلّلة.

قلت: أشهد أنها ابنتُك، قد كفيتنا الرياضة، وأحسنتِ الأدب.

قال: فكانت في كل حوْل تأتينا فتذكر هذا، ثم تنصرف.

يعالج زينب من لسعة عقرب

قال شريح: فما غضبتُ عليها قطّ إلا مرّةً كنتُ لها ظالماً فيها؛ وذاك أني كنتُ أمام قومي فسمعتُ الإقامة، وقد ركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً، فعجلتُ عن قتلها، فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحرِّكي الإناء حتى أجيء، فعجلَتْ فحرّكت الإناء فضربتها العقرب، فجئت فإذا هي تَلَوّى. فقلت: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب. فلو رأيتني يا شعبيّ وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح، وأقرأ عليها المعوّذتين وفاتحة الكتاب.

/ كان له جار يضرب امرأته فقال في ذلك شعراً [٢٢٣/١٧]

وكان لي يا شعبيّ جارٌ يقال له مَيْسرة بن عُرَيْر من الحيّ، فكان لا يزال يضرب امرأته، فقلت:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهم ... فشَلّت يميني يوم أضرِبُ زينبا

يا شعبيّ، فوددتُ أني قاسمتها عَيْشي.

ومما يغنّى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب:

---

(١) أختان: جمع ختن: الصهر من قبل الزوجة.

(٢) الورهاء: الحمقاء.

صوت

رأيتُ رِجالاً يضربُون نساءَهم ... فشَلَّت يَميني يَومَ أضرِبُ زَيْنَبا
أأضربها في غير جُرمٍ أتَتْ به ... إليّ، فما عذري إذا كنتُ مذنبا!
فتاة تزينُ الحَلْيَ إن هي حُلِّيتْ ... كأنَّ بفيها المسكَ خالط مَحلبا[1]

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَنَّس.

[٢٢٤/١٧]

/ صوت

أمِنْ رسم دارٍ مربعٌ ومصيفُ ... لعينك من ماء الشؤون وَكِيفُ
تذكَّرْتُ فيها الجَهْلَ حتى تبادرَتْ ... دُموعي وأصحابي عليّ وقوف

٣٩/١٦ عروضه من مصرّع الطويل. الشعر للحطيئة من قصيدة يمدحُ بها سعيد بن العاص لما / ولى الكوفةَ لعثمان. والغناء لابن سريج رمَل بالوسطى عن عَمْرو.



(١) المحلب، كمقعد: العسل.

/ أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص [١٧/٢٢٥]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لَقِيني إياس بن الحطيئة، فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي كِسْر بيته عشرون ألفاً أعطاه إياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا وبَقِيَ ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله.

شعره في مدح سعيد بن العاص

قال أبو زيد: فممّا قال فيه قوله:

أمِنْ رَسْمِ دارٍ مربَعٌ ومَصِيفُ ... لعينك من ماءِ الشؤون وَكِيفُ[(١)]

إليك سعيدَ الخير جُبْتُ مهامِهاً ... يقابلني آلٌ بها وتُنُوف[(٢)]

ولولا أصيلُ اللُّبّ غضّ شبابه ... كريم لأيام المنون عَرُوف[(٣)]

إذا همّ بالأعداءِ لم يَثْنِ همَّه ... كَعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوف[(٤)]

حَصَانٌ لها في البيت زِيّ وبهجة ... ومَشْيٌ كما تمشي القَطَاة قَطُوفُ[(٥)]

ولو شاءَ وارى الشمس مِنْ دُونِ وَجْهه ... حِجابٌ ومطويّ السرَاةِ منيف[(٦)]

ينشد شعراً لأبي دواد الإيادي وعبيد

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ، عن خالد / بن سعيد بن العاص، عن أبيه، قال: كان سعيد بن العاص في [١٧/٢٢٦] المدينة زمنَ معاوية، وكان يعشّي الناس، فإذا فرغ من العشاء قال الآذِنُ: أجِيزوا إلاّ مَنْ كان من أهل سَمَره. قال: فدخل الحطيئة فتعشّى مع الناس، ثم أقبل فقال الآذِنُ: أجيزوا، حتى انتهى إلى الحطيئة، فقال: أجز، فأبَى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءَه قال: دَعْه، وأخذ في الشِّعْر والحطيئةُ مُطْرِقٌ لا ينطق، فقال الحطيئة: والله ما أصَبْتُم جيّدَ الشعر، ولا شاعر الشعراء. قال سعيد: مَنْ أشعر العرب يا هذا؟ فقال: الذي يقول:

---

(١) ديوانه ٣٩. والوكيف: سيلان الدموع.

(٢) جبت: قطعت. وتنوف: جمع تنوفة، وهي المفازة.

(٣) العروف: الصبور على نوائب الأيام. واللب: العقل. الأصمعي: رأيه رأي مسن. وسنه سن غلام.

(٤) الكعاب: المرأة حين يبدو ثديها للنهود. الشنوف: جمع شنف، بالفتح، وهو القرط.

(٥) الحصان: العفيفة. والقطوف من الدواب: المتقارب الخطو، البطيء.

(٦) مطوي سراته، أي محكم أعلاه.

لا أعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدَامُ
مِنْ رجالٍ من الأقارب بانُوا ... من جُذَامٍ هم الرؤوس الكرام
سُلِّط الموتُ والمنون عليهم ... فلهم في صُوَى[1] المقابر هَامُ
وكذَاكُم سبيل كلِّ أناس ... سوف حقًّا تُبْلِيهمُ الأيام

قال: ويحك! مَنْ يقول هذا الشعر؟ قال: أبو دُوَاد الإيادي، قال: أوَ تَرْوِيه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده الشعرَ كلَّه، قال: ومَنِ الثاني؟ قال: الذي يقول[2]:

أفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغ بالضـ ... ـعف وقد يُخدع الأريبُ

قال: ومَنْ يقولُ هذا؟ قال: عَبِيد، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده، ثم قال له: ثُمّ مَنْ؟ قال: والله لحَسْبُك بي عند رَهْبةٍ أو رَغْبَة، إذا وضعْتُ إحدى رجليّ على الأخرى، ثم رفعتُ عَقِيرتي بالشِّعر، ثم عوَيْت على أثر القوافي عُواءَ الفصيل الصادر عن الماء.

[٢٢٧/١٧] / قال: ومَنْ أنتَ؟ قال: الحطيئة، قال: ويحك! قد علمتَ تشوُّقنا إلى مجلسك، وأنت تكتُمنا نفسك منذ الليلة! قال: نعم لمكان هذين الكلبيين عندك، وكان عنده كعب بن جعيل، وأخوه. وكان عنده / سويد بن مشنوء [٤٤/١٦] النَّهْدِيّ، حليف بني عديّ بن جناب الكلبيّين، فأنشده الحطيئة قوله[3]:

ألستَ بجاعِلي كابنَيْ جُعَيْلٍ ... هداكَ الله أو كابْنَيْ جَنَابِ[4]
أدبُّ فلا أُقَدِّرُ أنْ تراني[5] ... ودونك بالمدينة ألفُ باب
وأُحْبَسُ بالعراء المحل بيتي ... ودونك عازِبٌ ضخم الذباب[6]

العازب: الكَلأُ الذي لم يُرْعَ، وقد التفّ نَبْتُه.

فقال له سعيد: لعمر الله لأنتَ أشْعَرُ عندي منهم، فأنْشدني، فأنشده[7]:

سعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فإنه ... نجيبٌ فَلاهُ في الرِّباط نَجيبُ[8]
سَعِيدٌ فلا يغررك قِلَّة لحمه ... تخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صَلِيبُ

ويروى: خفّة لحمه.

إذا غاب عنّا غاب عنا رَبِيعُنا ... ونُسقَى الغمامَ الغُرَّ حين يَؤوبُ
فنعم الفتى تَعْشُو إلى ضَوْء ناره ... إذا الريحُ هبّت والمكانُ جَدِيبُ

---

(١) الصوى: القبور أو علاماتها. وفي النسخ: «صدى»، تحريف.
(٢) ديوان عبيد ١٤.
(٣) ديوانه ٤٢.
(٤) بنو جعيل من تغلب، وبنو جناب من كلب.
(٥) الديوان: «أدب وراء نقدة أن تراني». قال: ونقدة: اسم مكان.
(٦) كذا في أ، م والديوان، وفي ب، س، جـ: وبيتك عازب صخب. يقول: أقيم بالمحل ولا أدنو إليك هيبة لك.
(٧) ديوانه ٤٢.
(٨) فلاه: ولده أو رباه. والرباط: الحرب. والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو. والبيت في «اللسان» (فلا).

[٢٢٨/١٧]

/ فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم عاد فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

* أمِنْ رسم دارٍ مربع ومَصِيف *

يقول فيها:

إذا هـمّ بـالأعـداءِ لـم يثـن عَـزمَـه ... كعـابٌ عليهـا لـؤلـؤٌ وشُنُـوفُ

فأعطاه عشر آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد، وزاد فيه:

فانتهى الشُّرَط إلى الحطيئة فرأوه أعرابياً قبيح الوَجه، كَبِيرَ السن، سيِّىء الحال، رثّ الهيئة، فأرادوا أنْ يقيموه، فأبى أنْ يقومَ، وحانت من سعيد التفاتة، فقال: دَعُوا الرجل، وباقي الخبر مثله.

خالد بن سعيد بن العاص يأمر له بكسوة وحملان

قال أبو عبيدة في هذا الخبر: وأخبرني رجلٌ من بنِي كنانة، قال: أقبل الحطيئةُ في رَكْب من بني عَبْس، حتى قدم المدينةَ، فأقام مدَّة، ثم قال له مَنْ في رفقته: إنا قد أرذينا[1] وأخلينا، فلو تقدَّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فَقَرانا وحملَنا. فأتى خالد بن سعيد بن العاص، فسأله فاعتذر إليه، وقال: ما عندي شيء فلم يُعِدْ عليه الكلام، وخرج من عنده، فارتاب به خالد، فبعث يسألُ عنه، فأُخبر أنه الحطيئة، فردّه. فأقبل الحطيئة، فقعد لا يتكلّم، فأراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ، فقال: مَنْ أشعَرُ الناس؟ فقال: الذي يقول:

ومَـنْ يجعـل المعـروفَ مِـنْ دونِ عِـرْضـه ... يَفِـرْه ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشَّتْـمَ يُشْتَـمِ[2]

فقال خالد لبعض جلسائه: هذه بعضُ عقَارِبه، وأمر بكسوة وحملان، فخرج بذلك من عنده.

[٢٢٩/١٧]

/ صوت

حبَّـذَا لَيْلَتِـي بِتَـلِّ بَـوَنَّـى[3] ... حيـن نُسقَّـى شـرابَنَـا ونُغَنَّـى

إذ رأيْنَـا جَـوَارِيـاً عَطِـراتٍ ... وغنـاءٍ وقَـرْقفـاً فنـزلنـا[4]

مـا لهـم لا يُبَـارِكُ اللهُ فيهـم ... إذ يسـألـون: ويحنـا مـا فَعَلْنـا!

عروضه الضرب الأوّل من الخفيف. الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة، والغناء لحنين، رمَل / مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. ٤١/١٦

---

(١) أرذينا، أي صارت دوابنا هزلى من طول السفر. فالرذي من الدواب: المهزول الهالك من السير، لا يستطيع براحاً.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ص ٣٠.

(٣) تل بوني: من قرى الكوفة.

(٤) رواية البيت في البلدان وابن قتيبة ٧٥٧:

ومـررنـا بنسـوة عطـرات ... وسمـاع وقـرقـف فنـزلنـا

والقرقف: الخمر.

[٢٣٠/١٧]

/ أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

نسبه

هو مالك بن أسماء بن خارجَة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر الفَزَاريّ، وقد مضى هذا النسب في أخبار عُوَيف القَوَافي، وقد مضت أخبارُه، وذِكْر هذا البيت مِنْ فزارة وشرفُه فيها وسائر قصصه هناك.

الحجاج يتزوج أخته هنداً، ويوليه على أصبهان، ثم يأمر بحبسه لخيانة ظهرت عليه

وكان الحجاج بن يوسف وَلّى مالك بن أسماء بعد أنْ تزوّج أُخْتَه هنداً بأصبهان، بعد حَبْس طويل في خيانةٍ ظهرت عليه، ثم خلّاه بعد ذلك، وطالت أيامُه بأصبهان، فظهرت عليه خيانةٌ أخرى، فحبسه وناله بكل مَكْرُوه.

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى، قال: حدثني هشام بن محمد الهلاليّ، قال:

اختلف الحجّاج وهند بنتُ أسماء زوجته في وقعة بنات قَيْن، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة، فأخرجه من السجن، وكان محبوساً بمالٍ عليه للحجاج، فسأله عن الحديث فحدَّثه به، ثم أقبل على هند فقال: قُومِي إلى أخيك، فقالت: لا أقومُ إليه، وأنتَ ساخطٌ عليه. فأقبل الحجاج عليه، فقال: إنكَ واللهِ ما علمتُ لَلْخائنُ أمانتَه، اللئيم حسَبُه، الزاني فَرْجُهُ، فقال: إنْ أَذِنَ الأمير تكلّمتُ، قال: قل، قال: أما قول الأمير الزاني فَرْجُه، فوالله لأنا أحقَر عند الله عزّ وجلّ وأصغر في عَيْن الأمير مِنْ أن يجبَ لله عليَّ حدّ فلا يُقيمه، وأما قوله: اللئيمُ حَسبُه، فوالله لو علم الأمير مكانَ رجلٍ أشرف منّي لم يُصاهِرْني، وأما قوله: إني خؤون، فلقد ائتمنني فوفَّرت، فأخذني بما أخذَني به، فبعْتُ ما كان ورَاء ظَهْري، ولو ملكتُ الدنيا بأسرها لافتديتُ بها من مِثْل هذا الكلام.

[٢٣١/١٧] / قال: فنهض الحجّاج، وقال: شأنكِ يا هندُ بأخيك.

قال مالك بن أسماء: فوثبَتْ هند إليّ فأكبَّتْ عليّ، ودَعتْ بالجواري، ونزَعْنَ عنّي حَدِيدي، وأمَرَتْ بي إلى الحمّام، وكسَتْنِي، وانصرفت.

فلبثتُ أياماً، ثم دخلت على الحجاج وبين يَدَيْه عهودٌ، وفيها عَهْدي على أصبهان. قال: خُذْ هذا العَهْد، وامْضِ إلى عملك، فأخذتُه ونهضت. قال: وهي ولايته التي عزله عنها، وبلغ به ما بلغ من الشر.

قال أبو زَيْد: ويقال إنه كان في الحَبْسِ في الدفعة الثانية مضيّقاً عليه في كلّ أحْوَاله، حتى كان يُشابُ له الماءُ الذي كان يشربُه بالرماد والمِلْح، فاشتاق الحَجّاج إلى حديثه يوماً، فأرسل إليه، فأُحضر، فبينا هو يحدّثُه إذ استسقى ماءً فأُتِيَ به، فلما نظر إليه الحجاج قال: لا، هاتِ ماءَ السجن، فأُتي به وقد خُلط بالملح والرماد، فَسُقيَه.

قال: ويقال: إنه هرب مِنَ الحبس[١]، فلم يزل مُتَوارِياً حتى مات الحجاج.

(١) في المختار: «السجن».

يكتب إليه أبيه أن يشفع له عند الحجاج

قال: وكتب إليه بعضُ أهله أن يمضيَ إلى الشام فيستجيرَ ببَعْضِ بني أمية حتى يأمنَ، ثم يعود إلى مصره.

وقد كان خالد بن عَتّاب الرّياحيّ فعل ذلك، واستجار بزُفر بن الحارث الكلابيّ، فأجاره، فراجعه عبد الملك في أمره، ثم أجاره، فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يدخلَ إلى الحجاج ويسأله في أمره، فقال أسماء في ذلك:

أبَنِي فزارةَ لا تُعَنّوا شَيْخَكم ... مَالِي وما لِزيارةِ الحجَّاج

شَبَّهْتُه شِبهلاً غداةَ لقيتُه ... يُلقي الرؤوسَ شَوَاخبَ الأوْدَاج[1]

/ تجري الدماءُ على النِّطاع كأنها ... رَاحٌ شَمُولٌ غَيْرُ ذاتِ مِزاج [٣٢/١٧] ٤٢ ١٦

لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه ... بئس المؤمَّل في طِلابِ الحاج

يا ليت هنداً أصبحَتْ مرموسةً ... أوْلَيْتَها جلستْ عن الأزْوَاج[2]

خالد بن عتاب والحجاج بن يوسف يتسابان

قال أبو زيد: فأما خَبَرُ خالد بن عتّاب الرياحيّ، فإنّ الحجاجَ كان استعمله على الريّ، وكانت أُمّه أمّ ولَدٍ، فكتب إليه الحجاج يلخن أمّه، ويقول يابْنَ اللخناء[3]؛ أنت الذي هربْتَ عن أبيك حتى قُتِلَ، وقد كان حلف ألاّ يسبّ أحدٌ أُمّه إلا أجابه كائناً مَنْ كان.

فكتب إليه خالد: كتبت إليّ تلخّنني، وتزعم أني فررتُ عن أبي حتى قُتِل، ولعمري لقد فررتُ عنه، ولكن بعد أن قتِل، وحين لم أجد لي مقاتلاً، ولكن أخبرني عنك يابْنَ اللَّخناء المستفرِمة[4] بعَجَم زبيبِ الطائف، حين فررتَ أنْتَ وأبوك يوم الحَرّة على جمل ثَفَال[5]، أيكما كان أمام صاحبه، فقرأ الحجاج الكتاب، وقال: صدق:

أنا الّذي فَرَرْتُ يوم الحَرَّهْ ... ثُم ثنَيْتُ كَرَّةً بفَرّه

* والشيخُ لا يَفِرُّ إلاّ مَرَّه *

ثم طلبه، وهرب إلى الشام، وسلّم بيتَ المالِ ولم يأخُذ منه شيئاً.

خالد بن عتاب يستجير بروح بن زنباع فلا يجيره، ويجيره زفر بن الحارث

وكتب الحجاجُ إلى عبد الملك بما كان منه، وقدم خالدٌ الشامَ، فسأل عن خاصّة عبد الملك، فقيل له: رَوْحُ بن زِنْبَاع، فأتاه حين طلعت الشمس، فقال: إني جئتُك مُستجِيراً، فقال: إنني قد أجرتك إلاّ أن تكونَ خالداً، / قال: فإني خالد، فتغيّر وقال: أنشدك الله إلاّ خرجْتَ عني؛ فإني لا آمَنُ عبد الملك، فقال: أنظرني حتى تغربَ الشمس. فجعل رَوْح يُرَاعِيها حتى خرج خالد. [٣٣/١٧]

---

(١) الأوداج: جمع ودج، محركة: عرق في العنق.

(٢) في هامش أ من نسخة: «... أوليتها حبست»، وهي رواية المختار أيضاً.

(٣) اللخن: تغير الريح، ورجل ألخن وامرأة لخناء.

(٤) الفرم والفرمة، وككتاب: دواء تتضيق به المرأة، فهي فرماء ومستفرمة.

(٥) جمل ثفال: بطيء.

فأتى زُفَرَ بْنَ الحارث الكلابيّ فقال: إني جئتُك مستجيراً، قال: قد أجَرْتك، قال: أنا خالد بن عتّاب، قال: وإن كنتَ خالداً.

فلما أصبح دعا ابنين له فتهادَى بينهما وقد أسنَّ، فدخل على عبد الملك وقد أَذِنَ للناس، فلما رآهُ دَعَا لَهُ بكرسيّ، فجُعِل[1] عند فراشه، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إني قد أجَرْتُ عليك رجلاً، فأجِرْه، قال: قد أجِرْتُه إلاَّ أنْ يكون خالداً، قال: فهو خالد، قال: لا، ولا كرامة، فقال زُفَر لابنيه: أنهضاني.

فلما ولَّى قال: يا عَبْدَ الملك، أمَا[2] واللهِ لو كنْتَ تعلم أنَّ يَدِي تُطيق حَمْلَ القناة ورأس الجواد لأجَرْتَ من أجرتُ، فضحك، وقال: يا أبا الهذيل، قد أجرناه، فلا أرَيَنَّه. وأرسل إلى خالد بألفي درهم، فأخذها، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم.

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء]

مالك وأخوه عيينة يعشقان جارية لأختهما هند

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن يزيد النحويّ، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قالا:

عشق مالك بن أسماء جارية لأُخته هند، وعشقها أخوه عُيَيْنَة بن أسماءِ بن خارجة، فاستعان بأخيها مالك، وهو لا يعلم ما يجد بها، يشكو إليه حبَّها، فقال مالك[3]:

[٢٣٤/١٧] / أُعيَيْنُ هلاَّ إذْ كَلِفتَ بها كنتَ استغثتَ بفارغ العَقْلِ

أرسلتَ[4] تَبْغِي الغَوْثَ مِنْ قِبَلي والمستغاثُ إليه في شغْلِ

مالك يعشق جارية من بني أسد

٤٣/١٦ قال ابن قُتَيبة[5] خاصة: وهَوِي مالك بن أسماء جاريةً من بني أسد، وكانت تنزل داراً من قصب، / وكانت دار مالك في بني أسد داراً سريّة مبنيّة بالجصّ والآجرّ فقال:

يا ليت لي خُصًّا يُجَاوِرُها بَدلاً بداري في بني أسدِ

الخُصُّ فِيه تقرّ أعينُنا خيرٌ مِنَ الآجُرّ والكمَدِ

ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدثني عمّي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم، قال: حدثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصلي، عن الزّبير:

---

(١) في المختار: «فوضع».
(٢) في الأصول: «أم والله».
(٣) الشعر والشعراء ٧٥٨، وفي جـ: «فكتب إليه مالك».
(٤) في المختار والشعر والشعراء: «أقبلت».
(٥) الشعر والشعراء ٧٥٨.

أنّ عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء. قال أبو هفان في خَبَرِهِ: وهو يطوفُ بالبيت، وقد بهر الناس جمالُه وكماله، فأعجب عمر ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلّم عليه وقال له: أَنْتَ أخي حقّاً، فقال له مالك: ومَنْ أنا ومَنْ أنت؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إنّ لـي عنـد كـلّ نفحـةِ بستـا ... نٍ مـنَ الـورْدِ أو مِـنَ اليـاسمينـا
نظـراً والتفـاتـةً أتـرَجّـى ... أنْ تكـونـي حَلَلْـتِ فيمـا يَلِينـا

غنّت فيه عُلَيّة بنت المهدي خفيف رمَل بالوسطى.

وقال أبو هِفّان في حديثه: قال له عُمر: ما زلْتُ أُحبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك، فقال له مالك: أنت عُمر بن أبي ربيعة، قال: نعم. / قال الزُّبير في خبره خاصة: وحدثني[1] ابنُ أبي كُناسة: [٣٥/١٧]

أنَّ عمر لما لقي مالكاً استنشده، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره، فقال له عمر: ما أحسنَ شِعركَ لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

إنَّ فـي الـرفقَـةِ التـي شيَّعتنـا ... بجـويـرٍ سمـا لـزَيْـنَ الـرُّفـاقِ

ومثل قولك:

أشهـدْتِنـا[2] أم كنـتِ غـائبـةً ... عـن ليلتـي بحـديثـةِ القَسْـبِ

ومثل قولك:

حبّـذا ليلتـي بتَـلِّ بَـوَنَّـى ... حيـن نُسْقَـى شـرابنـا ونُغَنّـي

فقال له مالك: هي قُرَى البلد الذي أنا فيه، وهو مثل ما تذكره في شِعرك من أرْضِ بلادك، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك[3]:

حَـيِّ المنـازِلَ قـد دَثـرْنَ خـرابـاً ... بيـن الجـويـن وبيـن رُكْـن كُسـابـا[4]

ومثل قولك:

مـا علـى الـرَّسْـم بـالبُلَيَّيْـن لـو بيَّـ ... ـنَ رَجْـعَ السـلام أوْ لـو أجـابـا

فأمسك عنه عُمر بن أبي ربيعة.

/ ومالك بن أسماء الذي يقول[5]: [٣٦/١٧]

---

(١) الخبر في البلدان (تل بوني) وفيه: «ابن كناسة».

(٢) في البلدان: «أشهدتني».

(٣) ديوانه ٤٢٢ ومعجم البلدان (كساب).

(٤) رواية الديوان:

حـيِّ المنـازل قـد تـركـن خـرابـاً ... بيـن الجـريـر وبيـن ركـن كسـابـا

وفي البلدان:

.... قـد عمـرن خـرابـاً ... بين الحـريـر وبين ركـن كسـابـا

(٥) الشعراء ٧٥٦.

وحـديـثٍ ألـذُّه هُـوَ مِمَّـا ينعَـتُ النـاعتـون يُـوزَنُ وَزْنَـا
مَنْطِـقٌ صـائـبٌ وتلحَـنُ أحيـا نـاً وأحْلَـى الحـديـثِ مـا كـان لَحْنَـا

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم، قال:

حدّثني أبي، قلت للجاحظ: إني قرأتُ في فَصْلٍ مِنْ كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين[1]: إنما يستحسن من النساء اللَّحْنُ في الكلام، واستشهدتَ ببيتي مالك بن أسماء - يعني هذين البيتين - قال: هو كذاك، فقال: أمَا سمعْتَ بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحنَتْ في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجَّتْ ببيتي / أخيها، فقال لها: إنّ أخاك أراد أنّ المرأة فَطِنة، فهي تلحَنُ بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى[2] لتستُرَ معناه، وتُوَرِّي عنه، وتفهمه مَنْ أرادت بالتعريض، كما قال الله عزَّ وجلّ[3]: ﴿ولتعرِفَنَّهم في لحنِ القول﴾ ولم يرد الخطأ من الكلام، والخَطأُ لا يستحسن مِنْ أحد. فوجم الجاحظ ساعة، ثم قال: لو سقط إليَّ هذا الخبر أوّلاً لما قلْتُ ما تقدم، فقلت له: فأصْلِحْه، فقال: الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق، وهذا لا يُصلح، أو كلاماً نحو ما ذكرنا، فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيلِ المذاكرة فحفظْتُه عنه.

٤٤ / ١٦

المتوكل يطلب من ابن داود أن يبتاع له تل بوني

أخبرني الحسين بن يحيى، وجعفر بن قدامة، قالا: قال حماد: حدثني أحمد بن داود السدّي، قال:

[٢٣٧/١٧] / ورد عليّ كتابُ أمير المؤمنين المتوكل، وأنا على سَواد الكوفة: أن ابتع لي تلَّ بَوَنَّى بما بَلَغَتْ، فابتعتُها له، فإذا قريةٌ صغيرة على تَلٍّ، قد خرب ما حَوَاليها من الضِّياع، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم، قال: فظننتُه حرّكه عَلَى طلبها أنه غُنِّي:

* حبذا ليلتي بتَلِّ بَوَنَّى *

فسألتُ عن ذلك، فعرفتُ أنّ جاريته مكتومة غنَّتْه هذا الصوت.

قال حماد: ومكتومة هذه جاريةٌ أهداها أبي إليه لما ولي الخلافة، فإنه سأل عنه، فعرف أنه قد كفّ بصره، فكتب له بمائة ألف درهم، وأمر بإشْخَاصِه إليه مكرّماً، فأشخِص إليه، وأهدى إليه عِدَّة جوارٍ هذه فيهنّ.

الحجاج يعاتب مالكاً ويستتيبه

وروى الهيثم بن عديّ عن ابن عياش أنّ الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء، فعاتبه عِتاباً طويلاً، ثم قال له: أنتَ والله كما قال أخو بني جعدة[4]:

إذا مـا سَـوْأةٌ غـرّاءُ مـاتَـتْ أتيـتَ بسـوْءَةٍ أُخـرى بَهِيـم[5]

(١) البيان والتبيين ١: ٨٢.
(٢) المختار: «إلى غير المعنى في الظاهر».
(٣) سورة محمد ٣٠.
(٤) ملحق ديوانه ٢٣٧، والمفضليات ٧٠.
(٥) بهيم: سوداء.

وما تنفكُّ تُرَحِّضُ[١] كلَّ يوم ... مِنَ السَّوآت كالطفْلِ النهيم[٢]
أُكُلَّ الدَّهر سعيُك في تبابٍ ... تناغِي كلَّ مُومِسَةٍ أَثِيم

فقال له: لستُ كما قال الجَعْدِيُّ، ولكني كما قلت:

لكلِّ جوادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُها ... وعثرةُ مِثْلي لا تُقَالُ مَدَى الدَّهْرِ
فهبْنَي يا حجَّاج أخطأتُ مرَّةً ... وَجُزتُ عن المُثْلى وغنَّيتُ بالشعر
فهل لي إذا ما تبتُ عندك توبةً ... تَدارك ما قد فات في سالف العمر[٣]

/ فقال له الحجاج: بلى واللهِ، لئن تبْتَ لأقبلنَّ توبتك ولأعَفُوَنّ[٤] على ما كان منْ ذنبك ومَنْ لي بذلك [١٧/٢٣٨] يا مالك؟ قال له: لك الله به، قال: حَسْبِيَ الله ونعم الوكيل، فانْظُر ما تقول، قال: الحقّ أصلحك اللهُ لا يَخْفَى على أحد.

مالك يعود إلى الشراب

قال: فَتَرك مالِكٌ الشرابَ، ووفّى بعهده وأظهر النسكَ، ثم طما به الشعر، وطال عليه تَرْكُ اللّذّات والشراب، فقال:

وَنَدمان صِدْقٍ قال لي بعد هَدأةٍ ... من الليل: قم نَشْرَبْ، فقلتُ له: مَهْلا
فقال: أبُخْلاً يابْنَ أسماءِ هاكها ... كُميْتاً كريح المِسْكِ تَزْدَهِفُ العَقْلا[٥]
فتابعْتُه فيما أراد ولم أكُنْ ... بَخيلاً على النّدمان أو شَكِساً وَغْلا
ولكنني جَلْدُ القُوَى أبذلُ النّدى ... وأشربُ ما أُعْطَى ولا أقبلُ العَذْلا
ضحوكٌ إذا ما دبّت الكأسُ في الفتى ... وغيّره سُكْرٌ وإنْ أكثَرَ الجَهْلا

قال: فبلغ الحجاج أنّ مالكاً قد راجع الشّرابَ، فقال: لا يأتي مالك بخير سَجِيسَ الأوجس[٦]، / قاتلَ اللهُ [٤٥/١٦] أيمن بن خُرَيم حيث يقول:

إذا المَرءُ وفَّى الأربعين ولم يَكُنْ ... له دُونَ ما يَأتِي حِجَابٌ ولا سِتْرُ
فدَعْه وما يأتي ولا تعذلنّه ... وإنْ مدّ أسبابَ الحياة له العُمْرُ

وأنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش أبياتَ أيمن هذه الرائية، وقال: أخذ معناها من قول ابن عباس: إذا بلغ المَرْءُ أربعين سنة ولم يتُبْ أخذ إبليس بناصيته، وقال: حبّذا مَنْ لا يُفلح أبداً. وأولُ الأبيات هذه:

/ وصَهْباءَ جُرجانيّةٍ لم يَطُف بها ... حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدرُ[٧] [١٧/٢٣٩]

(١) ترحض: تغسل، وفي أ: «تدحض» والنهيم المنهوم: الذي يمتلىء بطنه ولا تنتهي نفسه.
(٢) كذا في جـ، وفي أ، م: «العظيم».
(٣) أ: «في منتهى العمر».
(٤) المختار: «ولأعفون».
(٥) تزدهف العقل: تذهب به.
(٦) سجيس الأوجس: طوال الدهر.
(٧) لم تنغر: لم تغل.

ولـــم يشهـــد القَـــنُ المُهَيْنِـــمُ نـــارَهـــا ... طَـــرُوفـــاً ولا صلَّـــى علـــى طبْخهـــا حَبْـــرُ
أتـــانـــي بهـــا يَحْيـــى وقـــد نمْـــتُ نـــومـــةً ... وقـــد غـــابـــت الجَـــوْزَاءِ وانحـــدر النَّسْـــر
فقلـــت: اصطبحْهـــا أو لغيـــريَ سَقْهـــا ... فمـــا أنـــا بَعْـــدَ الشَّيْـــبِ وَيْحَـــك والخمـــر!
إذا المَـــرْءُ وفَّـــى الأربعيـــن ولـــم يكـــن ... لـــه دُونَ مـــا يـــأتـــي حِجـــابٌ ولا سِتْـــر
فـــدَعْـــه ولا تنفـــس عليـــه الـــذي أتـــى ... ولـــو مَـــدَّ أسبـــابَ الحيـــاة لـــه العمـــر

[٢٤٠/١٧]

/ صـوت

تلـــك عِـــرْسِـــي تَـــرُومُ هَجْـــرِي سِفـــاهـــاً ... وجفَتْنـــي فمـــا تُـــوافـــي عِنَـــاقِـــي
زعمـــتْ أنهـــا تُـــواتِـــي مـــع المـــا ... ل وأنـــي محـــالـــف[1] إمـــلاقـــي
وتنـــاســـت رَزِيَّـــةً بـــدمشـــقٍ ... أشخصَـــتْ مُهْجَتـــي فُـــوَيْـــقَ التَّـــراقـــي
يـــوم نلقـــى نعـــشَ ابْـــنَ عُـــروة محـ ... ـمـــولاً بـــأيـــدي الـــرجـــال والأعنـــاق
مستحَثّـــاً بـــه سِبـــاقـــاً إلـــى القَبْـ ... ـــر ومـــا إن لحَثُّهـــم مـــن سِبـــاق
ثـــم وَلَّيـــتُ مُـــوجَعـــاً قـــد شَجَـــانـــي ... قـــربُ عَهْـــدٍ بهـــم وبعـــد تـــلاقِ

عروضه من الخفيف[2]. الشعر لإسماعيل بن بشار النَّسائي[3] يرثي محمد بن عُروة بن الزّبير. والغناء لدحمان، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابْنِ محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبّش.

---

(١) أ: «محالفي إملاقي».
(٢) أ: «من السريع» وهو خطأ.
(٣) كذا في المختار؛ قال: وإنما سمي النسائي؛ لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ويشتري منه من أراد التعريس من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك. وقيل: سمي بذلك لأنه كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس، فسمي يسارا النسائي.

/ [من أخبار عروة بن الزبير] [٢٤١/١٧]

غضبه لوقوع قوم في أخيه عبد الله بمجلس عبد الملك بن مروان

أخبرنا الطوسيّ والحرميّ بن أبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير، قال: حدثنا مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عُرْوَة، قال:

قدم عُروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان، فدخل فأجلسه معه على السرير، فجاء قومٌ فوقعوا في عبد الله بن الزبير، فخرج عُرْوَة فقال للآذِن: إنّ عبد الله بن الزُّبير ابْنُ أُمِّيَ وأبي، فإذا أردتم أنْ تقَعُوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم.

فذُكر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد أخبرني الآذِنُ بما قلْتَ، وإنَّ أخاك لم يكن قتلْنا إياه لعداوةٍ، ولكنه طلب أَمْراً وطلبناه فقُتل دونه، وإنّ الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحداً إلاّ شتموه، فإذا أَذِنَّا لأحدٍ قبلك فقد جاء مَنْ يشتمه فلا تدخل، وإذا أذنا لأحد وأنت جالس فانصرف.

قدومه على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شَلَّت رجلُه، فقيل له: اقطعها، قال: إني لأكره أنْ أقطع منّي طابقاً، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إنْ وقعت في الركبة قتلتْك، فقُطعت، ولم يقبض وَجهه. وقيل له / قبل أن يقطعها: نسقيك دواءً لا تجد معه ألماً، فقال: ما يسعني أنّ هذا الحائط وقَاني أذاها. [٤٦ط ١٦]

مقتل ابنه محمد

قال الزُّبير: وحدّثني مصعب بن عثمان بن عامر، عن صالح، عن هشام بن عروة، قال:

سقط محمد بن عُروة بن الزُّبير ـ وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية ـ مِن سطح في اصطبل دوابّ الوليد ابن عبدالملك، فضربته بقوائمها حتى قتَلتْه، فأتى عروة رجل يعزِّيه، فقال عروة: إن كنتَ تعزّيني برِجْلِي / فقد احتسبتُها، فقال: بل أُعزّيك بمحمد، قال: وما له؟ فخبّره بشأنه؛ فقال[1]: [٢٤٢/١٧]

وكنـتُ إذا الأيّـامُ أحـدَثْـنَ نكبـةً[2] أقـول شَـوًى مـا لـم يُصِبْـنَ صَميمِـي[3]

اللهم أخذْتَ عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إنْ كنت أخذْتَ لقد أبقيْتَ، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت.

---

(١) «اللسان» (شوى)، ونسبه للبريق الهذلي.

(٢) كذا في جـ و«بيروت»، وفي ب، س: «مالكاً».

(٣) الشوى: الشيء الهين، وفي ب، س، «بيروت»: «حميمي».

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه ابنُ المنكدرِ، وقال: كيف كنت؟ فقال: ﴿لقد لَقِينا مِنْ سفَرِنا هذا نَصَباً﴾[1].

عيسى بن طلحة يعزيه أكرم عزاء

قال الزبير: وحدّثني عبدُ الملك بن عبد العزيز، عن ابن الماجشون: أنّ عيسى بن طلحة جاء إلى عُرْوَةَ بن الزُّبير حين قدم مِنْ عند الوليد بن عبد الملك، وقد قُطِعت رِجْلُه، فقال عُرْوَة لبعض بنيه: اكشف لعمّك عن رِجْلي ينظر إليها، ففعل، فقال له عيسى: إنـا لله وإنا إليه راجعون، يا أبا عبد الله، ما أعْدَدْنَاك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك: رَأْيَك وعِلْمك. فقال عُرْوَة: ما عزّاني أحَدٌ عن رجلي مثلك.

الوليد بن عبد الملك يبعث إليه بمن هو أعظم بلاء منه

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة:

أنه قدم على الوليد رَجُلٌ مِنْ عَبْس ضَرِيرٌ محطومُ الوَجْهِ، فسأله عن سبب ذلك، فقال: بتُّ ليلةً في بطْنِ وادٍ، ولا أعلمُ في الأرض عَبْسِيًّا يزيد مالُه على مالي، فطرقَنَا سيْلٌ، فذهب بما كان لي مِنْ أهْلٍ ومالٍ وولد إلاّ صبيّاً مولوداً وبَعيراً ضعيفاً، فندّ البعيرُ والصبيُّ معي، فوضعته، / واتبعت البعيرَ، فما جاوزْتُ ابْنِي قليلاً إلاّ ورَأْسُ الذئب في بَطْنِه، فتركتُه، واتّبَعْت البعيرَ، فرَمَحنِي رَمْحةً حطم بها وَجْهِي، وأذهب عَيْنِي، فأصبحْتُ لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بَصر. [١٧/٢٤٣]

عمر بن أبي ربيعة يسأل عن محمد بن عروة

فقال الوليد بن عبد ا لملك: اذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أنَّ في الناس مَنْ هو أعظمُ بلاءً منه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد[2]، ومحمد بن العباس اليزيديّ، وجماعة أخبروني قالوا: حدثنا الزُّبَير بن بكار، قال: حدثني عمّي، عن جدي، عن هشام بن عروة قال:

خرجْتُ مع أبي عروة بن الزبير حاجًّا، ومعنا أخِي محمد بن عروة، وكان مِنْ أحسنِ الناس وجهاً، فلما كنّا في بعض الطريق إذا نحن بعُمر بن أبي ربيعة يكلّمُ بعضَنا، فقلنا: هذا أبو الخطاب لو سايَرْنَاه، فرآنا عُروة، فقال: فِيْمَ أنتُم؟ قلْنا: هذا عمَر بن أبي ربيعة، فضرب عُرْوةَ إليه راحلتَه، فلما رآها عُمَر عدل إليه فسلّم عليه، ثم قال: وأيْنَ زَيْنُ المواكب؟ ـ يعني محمد بن عُرْوة ـ فقال: قد تقدّم، فعدل عن عُرْوة واتبع محمداً، فقال له عُرْوة: نحن أكفَى لك وأوْلَى أنْ تُسايِرَنا، فقال: إني رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان، وضرب راحلته ومضى.

[١٧/٢٤٤] / **صـوت**

يـا بنـي الصَّيْـداءِ رُدُّوا فَـرَسِـي	إنمـا يُفْعَـلُ هـذا بـالـذَّلِيـلْ
/ عـوِّدوا مُهْـرِي الـذي عـوَّدْتُـه	دَلَـجَ الليـلِ وإيطـاءَ القتيـلْ
واسْتِبـاء الـزِّقِّ مِـنْ حـانـاتِـه	شـائـلَ الـرِّجليـن معصـوبـاً يَمِيـلْ

٤٧/١٦

(١) سورة الكهف ٦٢.

(٢) «بيروت»: «وأحمد بن عبد العزيز الجوهري».

عروضه من ثاني الرمل.

بنو الصَّيْداءِ: بَطْن من بني أسد. والدَّلَج: السيرُ في آخر الليل، يقال: دَلَجَ يَدْلجُ - مخففة - إذا سار من آخر الليل، وادّلج يدّلج، إذا سار الليل كله. وَاسْتِباء الزّقّ، أراد استباء الخَمر فيه؛ أي ابْتَاعَها من حاناتها. والحانات: جمع حانة، وهي الموضع الذي تُباع فيه الخَمْرُ. وشائل الرجلين: رافعهما.

وروى الأصمعيّ وأبو عمرو:

أحمـــلُ الــزِّقّ علــى منسِجِــهِ فيظَــلَّ الضيــفُ نَشْــوَانــاً يَمِيــلْ

الشعر لزيد الخيل الطائيّ. والغناء لابن محرز، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن يحيى المكيّ. وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد، وفيه لعاذل لحْنَ من كتاب إبراهيم غير مجنَّس، وذكر حبَش أنَّ فيه لِنُبَيْهٍ[1] لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.



(١) كذا في ما.

[١٧/٢٤٥]

/ أخبار زيد الخيل ونسبه

نسبه

هو زَيْد بن مُهلْهِل بن يزيد[١] بن مُنْهِب بن عَبْدِ رُضا ـ ورُضا: صنم كان لِطَيِّىء ـ ابن محلس بن ثور بن عديّ بن كنانة بن مالك بن نائل[٢] بن نبهان، ـ وهو أسود بن عَمْرو بن الغَوْث بن جَلْهمة ـ وهو طيِّىء؛ سمِّي بذلك لأنه كان يَطوي المناهل في غزواته ـ ابن أُدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هُود النبي ﷺ. كذا نسبه النَّسّابون، والله أعلم.

وأم طيِّىء مُدِلّة بنت ذي منحسان بن عَريب بن الغَوْث بن زُهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومُدِلّة هذه هي مَذْحِج، وهو لقبُها، وهي أم مالك بن أدد، وكانت مُدِلّة عند أدد أيضاً، فولدت له الأشعر واسْمَه نَبْت، ومرّة، ابني أُدد. ومن الناس مَنْ يقولُ مَذْحِج ظَرِب[٣] صغير اجتمعوا عليه، وليس بأمّ ولا أب، والله أعلم.

سماه النبي ﷺ زيد الخير

وكان زَيْدُ الخيلِ فارساً مِغْواراً مظفَّراً شجاعاً بَعِيدَ الصِّيت[٤] في الجاهلية، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبيّ ﷺ، ولقِيه وسُرَّ به وقرّظه، وسمّاه زَيْدَ الخير.

شاعر فارس

[١٧/٢٤٦] وهو شاعر مُقِلٌّ مُخَضْرَمٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان، وإنما كان يقول / الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازِيه وأياديه عند مَنْ مَرَّ عليه[٥] وأحسنَ في قِراه إليه[٦].

سبب تسميته زيد الخيل

وإنما سمي زيد الخَيْلِ لكثرة خَيْلِه، وأنه لم يكن لأحدٍ مِنْ قومه ولا لكثير من العرب إلاّ الفرس والفَرَسان، وكانت له خَيْلٌ كثيرة، منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شِعْرِه وهي ستّة، وهي: الهَطّال، والكُمَيت، والوَرْد، وكامِل، ودؤول[٧]، ولاحق.

---

(١) «بيروت»: «زيد».
(٢) ما: «نابل».
(٣) الظرب: الجبل المنبسط أو الصغير، وجمعه ظراب.
(٤) في المختار وبيروت: «بعيد الصوت»، وهما بمعنى.
(٥) المختار: «من من عليه».
(٦) المختار: «وأحسن في ندائه إليه».
(٧) المختار: «وزمول».

قال شعراً في خيله

وفي الهطال يقول:

أُقَـرِّبُ مَـرْبِـطَ الهطَّـالِ إنِّـي ... أرى حَـرْبـاً ستَلْقَـحُ عـن حِيَـالِ

وفي الوَرْد يقول:

أبَـتْ عـادةٌ للـوَرْدِ أنْ يَكـرِهَ القَنَـا ... وحـاجـةُ نَفْسِـي فـي نُمَيْـرٍ وعـامِـرِ

/ وفي دؤول يقول: ٤٨/١٦

فـأقسـم لا يُفَـارِقنـي دؤول ... أجـولُ بـه إذا كثـر الضِّـرَابُ

هذا ما حضرني مِنْ تسمية خَيْلِه في شعره، وقد ذكرها.

له ثلاثة بنين شعراء

وكان لِزيْد الخيل ثلاثة بنين كلّهم يقول الشعر، وهم عُروة، وحُرَيث، ومهلهل. ومن الناس مَنْ يُنكر أن يكونَ له من الولد إلّا عروة وحُريث.

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس مِنْ خَيْله ظَلَعَ في بَعْضِ غزواته بني أسد، فلم يتبع الخيل ووقف، فأخذَتْه بَنُو الصيداء، فصلح عندهم واستقلّ.

وقيل: بل أغْزَى عليه بَعْضَ بني نبهان، فنكّس عنه وأُخذ. وقيل: / إنه خلّفه في بعض أحياء العرب ظالعاً [٢٤٧/١٧] ليستقلّ، فأغارت عليهم بنو أسد، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم، فقال في ذلك زيد الخيل:

يـا بَنـي الصَّيْـدَاء ردُّوا فـرسـي ... إنمـا يُفْعَـلُ هـذا بـالـذَّليـلْ

لا تُـذِيلـوه فـإنـي لـم أكُـنْ ... يـا بَنِي الصَّيْدا لمُهْرِي بالمُذِيل[١]

عـوِّدُوه كـالـذي عـوَّدْتُـه ... دَلَـجَ اللّيْـلِ وإيطـاءَ القَتِيـلْ

أحمِـلُ الـزقَّ علـى مِنْسَجِـه[٢] ... فيظَـلّ الضيـفُ نشـوانـاً يَميـلْ

قال أبو عَمْرو الشيبانيّ: وكان زيْد الخيل مُلِحّا على بني أسد بغاراته، ثم على بني الصيداء منهم، ففيهم يقول[٣]:

ضجَّـتْ بَنُـو الصَّيْـدَاء مـن حـربنـا ... والحـربُ مـن يحلـلْ بهـا يضجـر

بتْنـا نُـزجِّـي نحـوهـم ضُمَّـراً ... معـروفـةَ الأنسـاب مـن منسـر

حتـى صبحنـاهـم بهـا غُـدْوَةً ... نقتلهـم قَسْـراً علـى ضُمَّـر

يـدعـون بـالـوَيْـل وقـد مَسَّهـم ... منـا غـداةَ الشِّعـب ذي الهَيْشـر

ضـربٌ يُـزِيـلُ الهـامَ ذو مَصْـدقٍ ... يَعْلُـو علـى البيضـة والمِغْفَـر

---

(١) أذان فرسه: لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل.

(٢) المنسج من الفرس: أسفل حاركه.

(٣) الإصابة ٣: ٥٩٨، نقله عن الأغاني.

الهَيْشَر: شجر كثير الشَّوْك تأكلهُ الإبل.

نسخت من كتاب لأبي المحلم، قال: حدثني أضبط بن الملوّح، قال لي أبي: أنشِد حبيب بن خالد بن نضْلة الفَقْعَسيّ قول زَيْد الخيل:

* عَوِّدُوا مُهْري الذي عوَّدْتُه *

[٢٤٨/١٧] / فضحك ثم قال: قولوا له: إنْ عوَّدْنَاه ما عوّدْتَه دفعناه إلى أول مَنْ يَلْقانا، وهربنا.

وفد على النبي ﷺ في جماعة من طيىء

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة، قال: حدثني عليّ بن حرب، قال: أنبأني هشام بن الكلبيّ أبو المنذر، قال: حدثني عباد بن عبد الله النَّبهانيّ عن أبيه عن جده، وأضفْتُ إلى ذلك ما رواه أبو عَمْرو الشيبانيّ، قالا:

وفد زَيْدُ الخيل بن مهلهل على رسول الله ﷺ، ومعه وِزْر[١] بن سَدُوس النَّبْهانيّ، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرميّ[٢]، ومالك بن جبير المغني، وقُعين بن خليل[٣] الطَّريفيّ، في عدة من طيىء، فأناخوا رِكابَهم بباب المسجد، ودخلوا ورسولُ الله ﷺ يخطب الناس، فلما رآهم قال: إني خَيْرٌ لكم مِنَ العُزَّى، ومما حازت مَنَاع[٤] من كل ضارّ غير نَفاع، ومن الجَبلِ الأسود[٥] الذي تعبدونه مِنْ دون الله عزّ وجلّ.

قال أبو المنذر: يعني بمَناع[٦]: جَبل طيىء.

إسلامه

[٤٩/١٦] فقام زَيْد، وكان من أجمل الرِّجال وأتمّهم، وكان يركب الفرسَ المشرف ورِجْلاه / تخطّان الأرض كأنه على حمار، فقال: أشهد أن لاإلّه إلا الله وأنك محمد رسول الله. قال: ومَنْ أنتَ؟ قال: أنا زيد الخيل بن مهلهل. فقال [٢٤٩/١٧] رسول الله: بل أنْتَ زَيْد الخير، وقال: الحمد لله الذي جاء بك من سَهْلك / وجَبَلك، ورقَّق قلبك على الإسلام، يا زيد، ما وُصف لي رجل قطّ فرأيتُه إلاَّ كان دون ما وُصِف به إلاّ أنتَ؛ فإنك فَوْقَ ما قيل فيك.

أصابته الحمى ومات بها

فلما ولَّى قام النبي ﷺ: أيّ رجل إن سلم من آطام المدينة! فأخذَتْه الحُمّى، فأنشأ يقول:

أنَخْتُ بآطام المدينة أرْبَعاً ... وخمساً يغنّي فوقها الليلَ طائرُ
شددتُ عليها رَحْلَها وشَليلَها ... من الدَّرْس والشَّعْراء والبَطْنُ ضامر[٧]

---

(١) كذا في جـ، وهو يوافق ما في الإصابة.
(٢) كذا في جـ، ما، وفي ب، س: «حوير الجرمي». وفي الإصابة: «جودر الحرمي».
(٣) جـ، والمختار: «بن خالد».
(٤) كذا في ما: من غير تشديد وفي ب، س: بالتشديد.
(٥) كذا في جـ، و«بيروت»، وفي ب، س: «الجمل الأسود».
(٦) في ب، س: بيفاع وهو تحريف.
(٧) الشليل: مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل. والدرس، بفتح الدال وكسرها: الثوب الخلق. والشعراء: ما فيه شعر.

فمكث سبعاً، ثم اشتدت الحُمَّى به فخرج، فقال لأصحابه: جَنِّبُوني بلادَ قيس؛ فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية، ولا والله لا أُقاتِلُ مسلماً حتى ألقى اللهَ. فنزل بماءٍ لحيٍّ من طيِّىء يقال له فَرْدَة، واشتدّت به الحُمّى، فأنشأ يقول:

أمُـرْتَحِـلٌ صَحْبِـي المَشـارقَ غـدوةً ... وأُتـرك فـي بَيْـتٍ بفَـرْدَةَ مُنجـدِ[1]

سقـى الله مـا بيـن القَفِيـل فطـابَـةٍ ... فمـا دونَ أرمـام فمـا فـوق مُنْشِـدِ

هنـالـك لـو أنـي مـرضـتُ لعـادنـي[2] ... عـوائـدُ مـن لـم يَشْـفِ منهـنّ يَجْهـدِ

فليـتَ اللـواتـي عُـدْنَنـي لـم يَعُـدْنَنـي ... وليـت اللـواتـي غِبْـنَ عَنّـيَ عُـوَّدِي

قال: وكتب معه رسولُ اللهِ ﷺ لبني نبهان بفَيْدَك[3] كتاباً مفرداً، وقال له: أنتَ زَيْدُ الخير، فمكث بالفَرْدَة سبعةَ أيام ثم مات. فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سَبْعاً، ثم بعث راحِلَتَه ورَحْلَه، وفيه / كتابُ [٢٥٠/١٧] رسولِ الله ﷺ، فلما نظرت امرأته ـ وكانت على الشِّرْك ـ إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت:

ألاَ إنمـا زيـدٌ[4] لكُـلِّ عظيمـةٍ ... إذا أقبلـتْ أوْبَ الجـرادِ رِعـالهـا

لَقَـاهُـمْ[5] فمـا طـاشَـتْ يَـدَاه بضـربهـم ... ولا طَعْنهـم حتـى تـولّـى سِجـالهـا

قال: فبلغني أنَّ رسول الله ﷺ لما بلغه ضَرْبُ امرأةِ زَيْد الراحلة بالنار، واحتراق الكتاب، قال: بُؤْساً لبني نَبْهان.

وقال أبو عمرو الشيباني:

لما وفد زَيْد الخيل على رسول الله ﷺ، فدخل إليه، طرح له مُتَّكَأ فأعْظَمَ أنْ يتكىءَ بين يدَي رسولِ الله ﷺ، فردّ المُتَّكأ، فأعاده عليه ثلاثاً، وعلّمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة، ويستسقي فيُسقَى، وقال: يا رسولَ الله، أعطني ثلاثمائة فارس أُغير بهم على قصور الروم، فقال له: أيّ رجل أنت يا زيد! ولكن أُمّ الكلبة تقتلك ـ يعني الحمّى ـ فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلاّ قليلاً حتى حُمّ ومات.

قال أبو عمرو: وأسلموا جميعاً إلاّ وزر؛ فإنّه قال لما رأى النبي ﷺ: إني لأرى رجلاً ليملكنَّ رقابَ العرب، ووالله لا يملك رقبتي أبداً؛ فلحق بالشام، فتنصّر وحلق رأسه، فمات على ذلك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدثني السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبيّ قال:

أقبل زَيْدُ الخيل الطائيّ حتى أتى النبي ﷺ، وكان زَيْد رجلاً جَسيماً طويلاً جميلاً، فقال له / النبيّ ﷺ: مَنْ $\frac{٥٠}{١٦}$ أنتَ؟ قال: / أنا زيد الخيل. قال: بل أنت زيد الخير، أما إني لم أُخبَر عن رجل خبراً إلا وجدتُه دُونَ ما أُخبِرْتُ به [٢٥١/١٧] عنه غيرك؛ إن فيك لخصلتين يحبُّهما الله عزّ وجلّ ورسوله، قال: وما هُما يا رسول الله؟ قال: الأناة والحلم، فقال زيد: الحمد لله الذي جَبلني على ما يحبُّ اللهُ ورسولُه.

---

(١) المختار: «مفرد».

(٢) المختار: «هنالك إني لو مرضت لعادني».

(٣) كذا في «ما» وهو ما يرجحه نص الإصابة والطبقات. وفي المختار: «بفردة»، وفي ب، س: «يفدك» تحريف.

(٤) جـ والمختار: «ألا نبها زيداً»، رعال: جمع رعلة وهي القطعة من الخيل.

(٥) لقاهم: لقيهم، وهي لغة طيىء فيما أشبهها.

عمر يسأله عن طيىء ومسلوكها ونجدتها وأصحاب مرابعها

قال: ودخل زَيْد على رسول الله ﷺ وعنده عُمر رضي الله عنه، فقال عمر لزَيْد: أخبرنا يا أبا مُكْنِف عن طيىء وملوكها نَجَدَتها[1] وأصحاب مَرابعها، فقال زيد: في كلٍّ يا عُمَر نَجْدَةٌ وبأس وسيادة، ولكلِّ رَجل مِنْ حَيِّه مِرْباع، أما بنو حَيَّة فملوكنا وملوكُ غيرنا، وهم القَداميس[2] القادة، والحماة الذَّادة، والأنجاد السادة، أعظمُنا خَميساً[3]، وأكرمنا رئيساً، وأجملنا مجالس، وأنجدنا فوارس.

فقال له عُمر رضي الله عنه: ما تركْتَ لِمنْ بقي مِن طيىء شيئاً، فقال: بَلى والله؛ أمّا بنو ثُعَل وبنو نَبْهان وجَرْم ففوارسُ العَدْوة[4] وطلَّاعُو كلَّ نجوة، ولا تُحَلّ حَبْوَة، ولا تُراعُ لهم ندوة، ولا تُدْرَكُ لهم نَبْوَة، عَمُود البلاد، وحَيّة كلِّ وادٍ، وأهل الأسَلِ الحِداد، والخيلِ الجياد، والطّارف[5] والتّلاد.

وأما بنو جَدِيلة فأسهَلُنا قراراً، وأعظمنا أخطاراً، وأطلبنا للأوتار، وأحْمانا للذِّمار، وأطعمنا للجار.

[٢٥٢/١٧] فقال له عمر: سَمِّ لنا هؤلاء الملوك، قال: نعم، منهم عُفَير المُجير على / الملوك، وعَمْرو المفاخر، ويزيد شارب الدماء، والغَمْرُ ذو الجود، ومُجير الجراد، وسراجُ كلّ ظلام ولامة[6]، وملحم[7] بن حنظلة؛ هؤلاء كلُّهم من بني حيّة.

وأما حاتم بن عبد الله الثعليُّ[8] الجواد فلا يُجاري، والسمح فلا يباري[9]، والليث الضِّرغامة، قرّاع كلِّ هامة، جودُه في الناس علامَة، لا يَقرُّ على ظُلامة. فاعترض رَجُلٌ من بني ثعَل لما مدح زَيْد حاتماً، فقال: ومنا زَيْد بن مهلهل النبهانيّ رئيس قومه وسيِّد الشِّيب والشبّان، وسمّ الفرسان، وآفة الأقران، والمهيب بكل مكان، أسرعَ إلى الإيمان، وآمنَ بالفرقان، رئيس قومِه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم، على شَحْط المزار، وطُموسِ الآثار، وفي الإسلام رائدنا إلى رسولِ الله ﷺ، ومجيبُه من غير تَلَعْثُم ولا تلبّث.

ومنا زيد بن سدوس النَّبهانيّ عصمة الجيران، والغَيْثُ بكل أوَان، ومُضْرِمِ النيران، ومطعم النُّدمان، وفخر كل يَمان.

ومنا الأسد الرَّهيص، سيد بني جَدِيلة، ومدوّخ[10] كل قبيلة، قاتل عنترة فارس بني عَبْس، ومكشِّف[11] كل لبس.

---

(١) في ب، من، عدتها.
(٢) القداميس: جمع قدموس، وهو السيد.
(٣) الخميس: الجيش.
(٤) في المختار: العدة.
(٥) في المختار: «والطريف».
(٦) في المختار: «وسراج كل الأمة»، واللامة: الهول.
(٧) في المختار: «وملجم»، بالجيم.
(٨) في ب، س: الثعلبيّ.
(٩) كذا في جـ، وفي ب، س: «الجواد بلا مجار، والسمح بلا مبار».
(١٠) في المختار: «وممدوح».
(١١) في المختار: وكاشف.

فقال عمر لزيد الخيل: لله دَرُّك يا أبا مُكْنِف[1] فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عديّ بن حاتم لقهرتَ بكما العرب.

قصته مع الشيباني

/ أخبرني ابن دريد، قال: أخبرني عَمّي، عن أبيه، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، قال: أخبرني شيخٌ مِنْ بني نبهان، قال: [١٧/ ٥٣]

أصابَتْ بني شيبان سنَةَ ذهبَتْ بالأموال، فخرج رَجُلٌ منهم بعِيَالِه، حتى أنزلهم الحيرة، فقال لهم: كونُوا قريباً من الملك يُصبْكنّ من خيره حتى أرجع إليكنّ، وآلى أَلِيَّةً لا يرجعُ حتى يكسبهنّ خيراً أو يموت. فتزوّد زاداً، ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمُهْرٍ مقيّد يَدُور حَوْلَ خباء. فقال: هذا أوّل الغنيمة، فذهب يَحُلُّه ويركبه، فنودي: خَلِّ عنه واغْنَمْ نفسك، فتركه، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطويل الشمس، فإذا خِباء عظيم وقُبّة من أدَم، فقال في نفسه: / ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهلٍ، وما لهذه القبة بدٌّ من ربّ، وما لهذا العطن بدٌّ من إبل، فنظر في الخباء، فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقُوَتاه، كأنه نَسْرٌ. [٥١/١٦]

قال: فجلستُ خَلْفَه، فلما وجبت[2] الشمسُ إذا فارسٌ قد أقبل لم أر فارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم، على فرس مُشْرِف ومعه أسودان يمشيان جَنْبيه، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِها، فبرك الفَحْل، وبركت حَوْله، ونزل الفارسُ، فقال لأحد عَبْدَيْه: احلُبْ فلانة، ثم اسْقِ الشيخَ، فحلب في عُسٍّ[3] حتى ملأه، ووضعه بين يدي الشيخ وتنحّى، فكرع منه الشيخُ مرّةً أو مرّتين، ثم نزع، فثُرْتُ إليه فشربته، فرجع إليه العَبْد. فقال: يا مولاي، قد أتى على آخره، ففرح بذلك، وقال: احلُبْ فلانة، فحلبها، ثم وضع العُسّ بين يدي الشيخ، فكرع منه واحدةً، ثم نزع، فثُرْتُ إليه فشربتُ نِصْفَه، وكرهتُ / أَنْ آتِيَ على آخره، فأتهم[4]، فجاء العَبْدُ فأخذه وقال لمولاه: قد شرب ورَوِي، فقال: دَعْه، ثم أمر بشاةٍ فذُبحت، وشوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعَبْدَاه، فأمهلتُ حتى إذا نامُوا وسمعتُ الغطيطَ ثُرتُ إلى الفَحْل، فحللتُ عِقاله وركبتُه، فاندفع بي وتبَعْته الإبلُ، فمشيت ليلتي حتى الصباح، فلما أصبحْتُ نظرت فلم أرَ أحداً، فشللتُها إذاً شلاً[5] عنيفاً حتى تعالى النهارُ، ثم التفتُّ التفاتةً فإذا أنَا بشيء كأنه طائر، فما زال يَدْنُو حتى تبيَّنْتُه، فإذا هو فارسٌ على فَرس، وإذا هو صاحبي بالأمس، فعقلت الفَحْلَ، ونثلْتُ كِنانتي، ووقفتُ بينه وبين الإبل، فقال: احلل عِقَالَ الفَحْل، فقلت: كلاّ والله، لقد خلّفت نُسيّات بالحيرة، وآليتُ إليّةً لا أرجع حتى أُفيدهن خيراً أو أموت. قال: فإنك لميّت، حُلَّ عقاله، لا أُمّ لك! فقلت: ما هُوَ إلاّ ما قلت لك، فقال: إنك لمغرور: انصب لي خطامَه، واجعَلْ فيه خَمْس عُجَر[6] ففعلت، فقال: أين تُريد أنْ أضعَ سهمي؟ فقلتُ: في هذا الموضع، فكأنما وضعه بيده، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم، فرددتُ نَبْلي، وحططتُ قوسي، [١٧/ ٥٤]

(١) أبو مكنف، كمحسن: كنية زيد الخيل.

(٢) وجبت الشمس: غربت.

(٣) العس: القدح العظيم.

(٤) ب، س: «فإنهم»، تحريف.

(٥) في المختار: «فشللته»، وشل الإبل: طردها.

(٦) العجر: جمع عجرة، وهي العقدة.

ووقفت مستسلماً؛ فدنا مني وأخذ السيفَ والقوسَ، ثم قال: ارْتَدِفْ خَلْفِي، وعرف أني الرجل الذي شربت اللَّبَنَ عنده، فقال: كيف ظنُّك بي؟ قلت: أسوأ ظنّ[1]. قال: وكيف؟ قُلت: لما لقيتَ من تعب ليلتك، وقد أظفرك اللهُ بي، فقال: أترانا كنّا نهيجك، وقد بتَّ / تنادم مُهلهلاً؟ قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم، أنا زَيْد الخيل، فقلت: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فقال: ليس عليكَ بأس. [٢٥٥/]

فمضى إلى مَوْضعه الذي كان فيه، ثم قال: أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسلمتها إليك، ولكنها لبنت مهلهل، فأقِمْ عليّ؛ فإني على شرَفِ غَارَةٍ.

فأقمتُ أياماً، ثم أغار على بني نُمير بالمِلْحِ، فأصاب مائةَ بعير، فقال: هذه أحَبُّ إليك أم تلك؟ قلت: هذه، قال: دُونكها. وبعث معي خُفَراء من ماءٍ إلى ماءٍ، حتى وَرَدُوا بي الحيرة، فلقيني نبطيٌّ: فقال لي: يا أعرابيّ، أيسرُّك أنَّ لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا قُرب مخرج نبيٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض، ويحول بين أربابها وبينها، حتى إن أحدهم ليبتاعُ البستان من هذه البساتين بثمن بعير.

قال: فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع الشُّيَطَيْن[2] فبينما نحن في الشُّيَطَيْن[3] على ماءٍ لنا، وقد كان الحَوْفَزان بن شريك أغار على بني تميم، فجاءنا رسولُ الله ﷺ فأسلَمْنا، وما مضَت / الأيامُ حتى شريتُ بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة. فقال في يوم المِلْح زيد الخيل: [٥٢/١٦]

ويـــوم الملـــحِ مِلـــحِ بنـــي نُمَيْـــرٍ أصـــابتكـــم بـــأظفـــار ونـــابِ

يسأل النبي ﷺ عن حكم ما تصيده الكلاب من الوحش

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عَمّي عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، والشرقي:

أنَّ زَيْد الخيل قال للنبي ﷺ: إن في الحيّ رجلين لهما كلاب مُضَرَّيات[4] تَصيدُ الوحش، أفنأكل مما أمسكته / ولم تُدرَك ذكاته؟ فقال: «إذا أرسلْتَ كلبك فاذكر اسم الله عليه وكُلْ مما أمسك»، أو كما قال عليه السَّلام. [٢٥٦/]

ليلى بنت عروة أنشدت شعراً لأبيها في يوم محجر

أخبرني الحُسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الراوية، عن ابن أبي ليلى، قال:

أنشدتني ليلى بنت عُروة بن زَيْد الخيل الطائي شِعْرَ أبيها في يوم مُحَجَّر[5]:

بنـي عـامـرٍ هـل تعـرفـون إذا غَـدَا أبـو مُكْنِـف قـد شـدَّ عَقْـدَ الـدوابـرِ[6]
بجيـشٍ تضـلُّ البُلْـقُ فـي حَجَـراتـهِ تَـرَى الأُكْـمَ فيـه سُجَّـداً للحَـوافِـر

---

(١) كذا في جـ، وفي ب، س، ما: «أحسن الظن».
(٢) كذا في ما. وفي ب، س: سقط اسمه من الكتاب.
(٣) الشيطان: واديان في ديار بني تميم لبني دارم، ويوم الشيطين من أيامهم.
(٤) مضريات: معلمات للصيد.
(٥) أ: «محجن»، تحريف. وفي البلدان: محجر، بالضم ثم الفتح وكسر الجيم المشددة، وقد تفتح. والأبيات في الكامل ١: ٣٥٨.
(٦) س والمختار: «الدوائر»، والمثبت يوافق ما في الكامل.

وجَمعٍ كمثلِ الليلِ مرتجزِ الوَغَى[(١)] كثيرٍ حواشيه[(٢)] سريعِ البوادرِ

قالت ليلى: فقلت لأبي: يا أبَهْ، أشهدْتَ ذلك اليوم مع أبيك؟ قال: إي والله يا بنيَّة، لقد شهدته، قلت: كم كانت خَيْلُ أبيكَ هذه التي وصفت؟ قال: ثلاثة أفراس[(٣)].

غزا بني عامر

نسختُ من كتاب عَمْرو بن أبي عمرو الشيبانيّ بخطّه عن أبيه:

أنّ زيدَ الخيل بن مهلهل جمع طَيِّئاً وأخلاطاً لهم، وجموعاً مِنْ شُذَّاذِ العرب، فغزا بهم بني عامر ومَنْ جاورهم مِنْ قبائل العرب مِنْ قَيْس، وسار إليهم فَصبّحهم من طلوع الشمس، فنَذِروا[(٤)] به وفزعوا إلى الخَيْل وركبوها، وكان أول مَنْ نَذِر بهم، فلقيَ جمعهم غَنِيٌّ بن أعصر وإخوتهم: الحارث وهو[(٥)] الطُّفاوة، / واسمُه [٧/١٧] مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، فاستحرَّ القَتْلُ بِغَنِيّ، وفيهم يومئذ فُرْسان وشُعَراء، فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم[(٦)].

أسر الحطيئة وأطلقه

وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئةَ الشاعر، فجزَّ ناصيته وأطلقه.

ثم إنَّ غنيًّا تجمَّعَتْ بعد ذلك مع لِفٍّ[(٧)] من بني عامر فغزَوْا طيئاً في أرضهم، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم. وقد كان زَيْد الخَيْل قال في وقعته لبني عامر قصيدتَه التي يقول[(٨)] فيها:

وخيبة من يخيب على غَنِيٍّ وباهلةَ بْنِ أعصُرَ والكلابِ

فلما أدركوا ثأرهم أجابه طُفَيْل الغنويّ، فقال:

سَمَوْنا بالجيادِ إلى أعادٍ مُغاورةً بجدٍّ واعتصابِ
نؤمّهم على وَعْثٍ[(٩)] وشحطٍ بِقُودٍ[(١٠)] يطَّلِعن من النِّقابِ

وهي طويلة يقول فيها:

---

(١) في الكامل: «مرتجس الوغى».
(٢) في الكامل والمختار: «تواليه».
(٣) الكامل: «ثلاثة أفراس، أحدها فرسه».
(٤) نذروا به: علموه فحذروه واستعدوا له.
(٥) كذا في جـ، وفي ب، س: «وهم».
(٦) ب، س: «غنائم تميم».
(٧) اللف: القوم المجتمعون، أو من عد فيهم.
(٨) الإصابة ١: ٥٥٥:

* وجنبة من يخب على غنى *

وقال: قال أبو عبيدة: أرادوا وصفهم بعدم الامتناع وعدم الجبن. فإذا خاب من يريد الغنيمة منهم كان غاية في الإدبار. وانظر رواية ابن قتيبة.

(٩) كذا في ما، وفي ب، س: رعب. ووعث الطريق تعسر سلوكه.
(١٠) قود: جمع أقود وهو السلس المنقاد.

أخذنا بالمخطّم مَنْ أتاهم ... من السُّودِ المزنَّمةِ الرِّغابِ[1]
وقتّلنا سَراتَهمُ جهاراً ... وجئنا بالسَّبايا والنِّهابِ
/ سبايا طَيِّيءٍ أبرزن قسْراً ... وأُبدلن القصورَ من الشِّعابِ
سبايا طَيِّيءٍ من كلّ حَيّ ... نما[2] في الفرع منها والنِّصابِ
/ وما كانت بناتُهمُ سبيًّا ... ولا رغباً يعدُّ مِن الرِّغاب
ولا كانت دماؤهمُ وفاءً ... لنا فيما يُعدّ من العِقاب

[٢٥٨/١٧]
٥٣/١٦

عروة بن زيد الخيل

أخبرني الحسن بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان لِزَيْدِ الخيل ابن يقال له عُرْوَة، وكان فارساً شاعراً، فشهد القادسيّة، فَحَسُنَ فيها بلاؤُه، وقال في ذلك يذكر حُسْنَ بلائه:

برزتُ لأهلِ[3] القادسيّة مُعْلِماً ... وما كلّ مَنْ يَغْشَى الكريهةَ يُعلِمُ
ويوم[4] بأكناف النُّخَيْلة قبْلَها ... شهدتُ فلم أبْرَح أدمَّي وأُكْلَمُ
وأقعصتُ[5] منهم فارساً بَعْدَ فارسٍ ... وما كلّ مَنْ يلقى الفَوارسَ يَسْلَمُ
ونجّانيَ اللهُ الأجَلّ وجيرتي ... وسيفٌ لأطراف المرازب مِخْذَمُ[6]
وأيقنتُ يوم الدَّيْلَمِيِّين أنني ... متى ينصرف وَجْهي عن القوم يُهْزَمُوا
فما رُمْتُ حتى مزّقوا برماحهم ... ثيابي وحتى بلَّ أخمصيَ الدّمُ
محافظةً إنّي امرؤ ذو حَفيظةٍ ... إذا لم أجِدْ مستأخراً أتقدّمُ

قال: وشهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه صِفّين، وعاش إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة مِن عليّ عليه السّلام، فامتنع عليه، وقال:

/ يحاولُني معاويةُ بن حَربٍ ... وليس إلى الذي يَهوَى سبيلُ
على جَحْدي أبا حَسنٍ عليًّا ... وحظّي من أبي حَسنٍ جليلُ

[٢٥٩/١١]

قال: وله أشعار كثيرة.

بعثه النبي ﷺ إلى الجرار فقتله لما أبى الإسلام

قال أبو عمرو: كان لتغلب رئيس يقال له الجرّار، وأدرك النبي ﷺ، وأبى الإسلام، وامتنع منه، فيقال: إنّ رسول الله ﷺ بعث إليه زَيْدَ الخيل، وأمره بقتاله، فمضى زيد فقاتله فقتله لَمّا أبى الإسلام، وقال في ذلك:

---

(١) المزنم من الإبل: المقطوع طرف الأذن. قال أبو عبيدة: وإنما يفعل ذلك بالكرام منها، «اللسان». والرغاب: الواسعة الدر الكثيرة النفع، جمع الرغيب. وفي س: «الرعاب» بالعين، والرعاب: السمان.
(٢) كذا في جـ و ب، س: «بمن».
(٣) المختار: «لآل»، وهما سواء.
(٤) جـ، والمختار: «ويوماً...».
(٥) أقعص الفارس: قتله مكانه وأجهز عليه.
(٦) المرازب: جمع مرزبان، وهو الرئيس من الفرس. مخذم: قاطع.

صبّحـتْ حَـيَّ بنـي الجـرّار دَاهيـةً ... مـا إن لتغلـبَ بعـد اليـوم جَـرّارُ
نحـوي النّهـابَ ونحْـوِي كـلَّ جـاريـةٍ ... كـأن نُقبتهـا[1] فـي الخـدِّ دِينـارُ

أغار على بني عامر

قال مؤرّج: خرج رجل من طيىء يقال له: ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له منْ هوازن، فأُصيب الرجل ـ وكان شريفاً ذا رِياسة في حَيِّه ـ فبلغ ذلك زَيْداً، فركب في نبهان ومَنْ تبعه من ولد الغَوْث، وأغار على بني عامر، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له: ألكَ عِلْم بالطائيّ المقتول؟ فإن قال: نعم، قتله، وإن قال: لا، خلَّى سبيله ومَنَّ عليه. وأصاب رجالاً من بني الوحيد[2] والضباب وبني نُفَيل. ثم رجع زَيْد إلى قومه، فقالوا: ما صنعتَ؟ فقال: ما أصبْتُ بثأر ذُؤاب، ولا يَبُوء به إلا عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فأما ابنُ الطفيل فلا يبوء به، وأنشأ زيد يقول:

لا أرَى أن بـالقَتِيـلِ قَتِيـلاً ... عـامـريّـاً يَفِـي بقَتْـلِ ذُؤاب
ليـسَ مـنْ لاعَـب الأسنـة فـي النـقع وسُمِّـي مـلاعبـاً بـأرابِ
/ عـامـرٌ ليس عـامـرَ بـنَ طُفيـل ... لكـن العَمْـرُ رأسُ حـيّ كِـلاب
ذاكَ إن ألْقَـه أنـالُ بـه الـوِتْـرَ وقَـرّتْ بـه عُيـونُ الصِّحـابِ[3]
/ أو يَفُتْنـي فقـد سُبِقْـتُ بـوتـرِ ... مَـذْحِجـيٍّ وجَـدُّ قـومـيَ كـابـي
قـد تقنَّصْـتُ للضِّبـابِ رجـالاً ... ونكـرمـتُ عـن دِمـاءِ الضِّبـابِ
وأصبنـا مِـنَ الـوَحِيـد رجـالاً ... ونُفَيـلٍ فمـا أسـاغُـوا شَـرَابـي

[١٧/ ٢٦٠]

[٥٤ / ١٦]

فبلغ عامر بن الطفيل قولُ زَيْد الخيل وشعره، فأغضبه وقال مجيباً له:

قـل لـزيـدٍ قـد كنـتَ تـؤثَـر بـالحلـ ... ـم إذا سُفِّهَـتْ حلـومُ الـرِّجـالِ
ليـس هـذا القتيـلُ مِـنْ سَلَـفِ الحـيّ كَـلاَعٍ ويَحْصُـبٍ وكُـلاَلِ[4]
أو بنـي آكِـلِ المُـرار ولا صِيـدِ بنـي جَفْنـةَ الملـوك الطِّـوالِ
وابـن مـاء السمـاء قـد علـم النّـا ... سُ ولا خَيْـرَ فـي مقـالـةِ غـالِـي
إنَّ فـي قَتْـل عـامِـر بْـنِ طُفيـلٍ ... لَبَـواءً[5] لطيِّـىء الأجبـالِ
إننـي والـذي يحـجُّ لـه النّـا ... س قليـلٌ فـي عـامـر الأمثـالِ
يـوم لا مـال للمحـارب فـي الحـرْ ... ب سِـوَى نَصْـلِ أسمـرٍ عَسّـالِ
ولجـامٍ فـي رَأس أجْـردَ كـالجِـذْ ... عِ طُـوَالٍ وأبيـضٍ قَصّـالِ
ودِلاَصٍ كـالنِّهْـيِ ذاتِ فضـولٍ ... ذاكَ فـي حَلْبَـةِ الحـوادث مَـالِـي[6]

(١) النقبة: الأثر، وفي جـ: «ثقبنها» تحريف.
(٢) كذا في المختار، وهو الوجه. وفي سائر الأصول: «وكان رجل من أصحاب».
(٣) جـ: «المصاب».
(٤) كلاع ويحصب وكلال: أحياء يمانية.
(٥) بواء: كفاء، وفي جـ، ما: «لبواراً».
(٦) الدلاص: الدروع الملساء اللينة. والنهي: الغدير أو شبهه.

وَلِعَمِّي فضلُ الرياسةِ والسنُّ وجَدٌّ[1] على هوازنَ عالي

[٢٦١/١٧] / غير أني أُولي هوازنَ في الحر ... بِ بضَرْبِ المتوَّجِ المختالِ

وبِطَعْنِ الكَمِيِّ في حَمَسِ النَّقْـ ... ـعِ على مَتْنِ هَيْكَلٍ جَوّالِ

أغار على بني مرة

قال أبو عَمرو الشيبانيّ:

لما بلغ زَيْد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعَمْرو بن الإِطْنابة الخَزْرَجيّ وهجائه إياه، غضب زَيْدٌ لذلكَ، فأغار على بني مُرّة بن غطفان، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته، ثم مَنّ عليهما، وقال يذكرُ ذلك:

ألاَ هل أتى غَوْثاً ورُومانَ أننا ... صبحَنا بني ذُبْيانَ إحدى العظائمِ

وسُقْنَا نساءَ الحيّ مُرّةَ بالقَنا ... وبالخيل تَرْدِي قد حوينا ابن ظالمِ[2]

جَنِيباً لأعضاد النواجي يَقُدْنَه ... على تَعَبٍ بين النَّواجي الرواسمِ[3]

يقولُ: اقبَلُوا مِنّي الفداء وأنعِمُوا ... عليّ وجُزُّوني مكانَ القَوَادِمِ

وقد مسّ حدُّ الرمح قوّارةَ استِه ... فصارت كشِدْقِ الأَعْلَمِ المُتَضَاجِمِ[4]

وسائِلْ بنا جارَ ابْنِ عَوف فقد رأى ... حليلتَه جالَتْ عليها مقاسمي[5]

تُلاعب وُحْدَانَ العَضَارِيط بَعْدَما ... جَلاَها بسهميه لقيطُ بن حَازِمِ[6]

أغرّك أنْ قيل ابنُ عوف ولا أرى ... عَزيمك إلاّ وَاهِياً في العزائمِ

غداة سَبَيْنَا مِنْ خَفاجة سَبْيَها ... ومرّتْ لهم مِنّا نحوسُ الأشائمِ

فمن مُبلِغٌ عني الخزارجَ غارةً ... على حيّ عوفٍ موجفاً غَيْرَ نائمِ

[٢٦٢/١٧] / **غارته على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان**

وقال أبو عمرو: أغار زَيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبو ضَبّ، ومع زَيْد الخيل من بني نَبْهان بطنان يقال لهما: بنو نَصْر وبنو مالك، فأصاب وغَنِم، وساقوا / الغنيمة، وانتهى إلى العَلَم، فاقتسموا النّهاب، فقال لهم زيدٌ: أعطوني حقَّ الرياسةِ، فأعطاه بنو نَصْر، وأبَى بنو مالك، فغضب زَيد، وانحدر إلى بني نصر، فبينما بَنُو مالك يقتسمون إذْ غشيَتْهم فَزارةُ وغطفان، وهم حلفاء، فاستنقذوا ما بأيديهم. فلما رأى زَيْد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبّ، وأخذ ما في أيديهم، فدفعه إلى بني مالك، وكانوا نادَوه يومئذ: يا زَيْداه أغِثْنا! فكرّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم، وردّه، وقال يذكر ذلك:

(١) في المختار: «وجدي».
(٢) ردى الفرس ـ كرمى ـ ردياً ورديانا: رجمت الأرض بحوافرها، أو هو بين العدو والمشي.
(٣) أعضاد: جمع عضد: ما حول الشيء. النواجي: جمع ناجية: الناقة السريعة.
(٤) أ: «كمثل الأعلم» والمتضاجم: المعوج الفم.
(٥) أ: «جالت عليه».
(٦) أ، جـ: «أحدان العضاريط»، وأحدان ووحدان سواء. والعضاريط: الخدم والأتباع، واحده عضروط.

كررتُ على أبطالِ[1] سَعْدٍ ومالكٍ ... ومَنْ يَدعُ الدَّاعِي[2] إذا هو نـدَّدا
فلأياً كررتُ الوَرْدَ حتى رَأيْتهم ... يُكبّون في الصحراء مَثْنَى ومَوْحَدا
وحتى نبذتُم بالصَّعِيدِ رِماحَكم ... وقد ظهرت دَعوى زُنَيْمٍ وأسْعَدا
فما زلتُ أرميهم بغُرَّة وَجْهِه ... وبالسيف حتى كلَّ تَحْتِي وبَلَّدا
إذا شكَّ أطرافُ العَوالي لَبانَهُ ... أُقدِّمه حتى يَرَى المَوتَ أسودا
عُلالَتها بالأمس ما قد علمتمُ ... وعَلُّ الجواري بيننا أنْ تُسَهَّدا
لقد علمَتْ نَبْهَانُ أنّي حميتُها ... وأنّي منعتُ السَّبْيَ أنْ يتبدَّدَا
عشيَّةَ غادرتُ ابنَ ضَبٍّ كأنما ... هوى عن عُقاب من شماريخ صِنْدِدا[3]
بِذي شُطَبٍ أُغْشِي الكتيبة سَلْهَباً[4] ... أقَبَّ كَسِرْحانِ الظلام مُعَوَّدا[5]

/ زيد وعامر بن الطفيل [٦٣/١٧]

قال أبو عمرو: وخَرج زَيْد الخيل يطلبُ نَعماً مِنْ بني بَدْر، وأغار عامرُ بن الطفيل على بني فَزارة، فأخذ امرأةً يقال لها هِنْد، واستاق نعماً لهم، فقالت بنو بَدْر لزَيْد: ما كنا قطّ إلى نَعَمك أَحْوج منّا اليوم، فتبعه زيد الخيل، وقد مضى، وعامر يقولُ: يا هند، ما ظنُّك بالقَوْمِ؟ فقالت: ظنّي بهم أنهم سيطلبونك، وليسوا نِياماً عنك.

قال: فحطأ[6] عَجُزَها، ثم قال: لا تقول اسْتُها شيئاً، فذهبتْ مثلاً.

فأدركه زَيْد الخيل، فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجَماله، وغشيه زيد فبرز له عامر، فقال: يا عامر؛ خَلِّ سبيلَ الظعينةَ والنَّعم. فقال عامر: مَنْ أنت؟ قال: فزاريٌّ أنا. قال عامر: والله ما أَنْتَ من القُلْح[7] أفْواهاً. فقال زَيْدٌ: خَلِّ عنها، قال: لا، أو تخبرني مَنْ أنت؟ قال: أسديٌّ، قال: لا والله ما أَنْتَ من المتكوِّرين على ظهُورِ الخيلِ. قال: خَلِّ سبيلها. قال: لا والله أو تخبرني فأصدقْني[8]، قال: أنا زَيْد الخيل، قال: صدقْتَ؛ فما تريد مِنْ قتالي، فوالله لئن قتلتني لتطلبنَّك بَنُو عامر، ولتذهبنَّ فزارة بالذكر. فقال له زيد: خَلِّ عنها، قال: تخلَّى عَنّي وأَدَعُكَ والظعينة والنَّعم؟ قال: فاستأْسِر، قال: أفعل، فجزّ ناصيته، وأخذ رُمْحَه، وأخذ هنداً والنعم، فردَّها إلى بني بَدْر، وقال في ذلك:

إنا لنُكثِرُ في قَيْسٍ وقائعَنا ... وفي تميمٍ وهذا الحيِّ من أسدِ
وعامر بن طفيل قد نحوتُ له ... صَدْرَ القناة بماضي الحدّ مطَّرِد

---

(١) كذا في أ، ب، س، وفي جـ: «فتيان».
(٢) أ: «ومثلي دعا الداعي».
(٣) أ: «هوى عن حفاف». وفي المختار: «صمرداً»، والصمرد، واحد الصماريد؛ وهي الأرضون الصلاب. وصندد: جَبَل بتهامة.
(٤) كذا في أ، جـ. وفي المختار: «أغشى الكريهة».
(٥) في أ: «كسرحان الظلام معرداً».
(٦) حطأ فلاناً: ضرب ظهره بيده مبسوطة.
(٧) القلح، بالقاف والحاء: جمع أقلح؛ وهو الذي في أسنانه صفرة. وفي المختار: الفلج، والفلج: المتباعد وما بين الأسنان.
(٨) في المختار: «فتصدقني».

[٢٦٤/١٧] / لمـا أحـسَّ[١] بـأنّ الـوَرْدَ مُـدركـه ... وصـارمـاً وَرَبِيـطَ الجَـأْش ذا لُبَـدِ

نـادَى إلـيَّ بسلْـمٍ بعـدمـا أخَـذَتْ ... منـه المنيـةُ بـالحَيْـزُوم واللُّغُـدِ

ولـو تصبَّـر لـي حتـى أخـالِطَـه ... أسْعـرتـه طعنَـةٌ تكْتـار بـالـزَّبَـدِ[٢]

[٥٦/١٦] / قال: فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً[٣]، وأخبرهم الخبر، فغضِبُوا لذلك، وقالوا: لا ترأسنا[٤] أبداً، وتجهَّزوا ليغيروا على طيىء، ورأَسُوا عليهم علقمة بن عُلاثَة، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير.

أسر الحطيئة وكعب بن زهير ثم أطلقهما

فبعث عامر إلى زَيْد الخيل دَسِيساً يُنْذِره، فجمع زيدٌ قومه، فلقيهم بالمضيق فقاتلهم، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم، فحبسهم فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد، فادِنَا. قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبَوْا ذلك عليه، فوهبهم لعامر إلاّ الحطيئة وكَعْباً، فأعطاه كعب فرسه الكُمَيت، وشكا الحطيئة الحاجةَ، فمنَّ عليه، فقال زيد:

أقـول لعبـدَيْ جَـرْوَل إذ أسَـرْتُـهُ ... أثِبْنِـي ولا يَغْـرُرْكَ أنـك شـاعِـرُ

أنـا الفـارِسُ الحـامِـي الحقيقـةَ والـذي ... لـه المَكْـرُمـات واللُّهَـى[٥] والمـآثِـرُ

وقـومـي رُؤُوس النـاس والـرأسُ قـائـد ... إذا الحـربُ شَبَّتْهـا الأكـفُّ المسـاعِـرُ

فلسـتُ إذا مـا المـوتُ حُـوذِرَ وِرْدُه ... وأتْـرعَ حَـوْضَـاه وحَمَّـجَ نـاظِـرُ،[٦]

بِـوَقّـافـةٍ يخشـى الحُتُـوفَ تَهَيُّبـاً ... يُبـاعِـدُنـي عنهـا مـن القُـبِّ[٧] ضـامِـر

[٢٦٥/١٧] / ولكننـي أغْشَـى الحُتُـوفَ بصَعْـدتـي[٨] ... مجـاهـرةً إنّ الكـريـمَ يُجـاهِـر[٩]

وأرْوِي سِنَـانـي مـن دِمَـاءٍ عـزيـزة ... علـى أهلهـا إذ لا تـرجّـى الأيـاصِـرُ،[١٠]

شعر الحطيئة لزيد

فقال الحطيئة لزيد:

إن لـم يكـن مـالِـي بـآتٍ فـإنّنـي ... سيَـأْتـي ثنـائـي زيـداً بـن مُهَلْهِـل[١١]

فـأعطيـتَ منـا الـوُدّ يـوم لقيتنـا ... ومـن آل بَـدْرٍ شـدَّة لـم تُهَلِّـل[١٢]

(١) في أ: «لما تحسب أن الورد». وفي المختار: «لما تيقن».

(٢) ب، س، جـ: «كالنار بالزند»، وفي المختار: «تكتن بالزبد» والمثبت من أ، جـ، وفي هامشه: تكتار، أي تجيش وترمي بالزبد، من قولهم: اكتار الفرس، إذا رفع ذنبه في العدو.

(٣) في المختار: «محزوناً».

(٤) في المختار: «لا نذوق وسناً أبداً».

(٥) اللهي: العطايا.

(٦) هامش أ: «التحميج: تحديد النظر».

(٧) القب: جمع الأقبّ، وهو من الخيل الدقيق الخصر.

(٨) في المختار: «وصعدتي». والصعدة: القناة المستوية.

(٩) في المختار: «إن الشجاع مجاهر».

(١٠) الأياصر: جمع آصرة؛ وهي قرابة الرحم.

(١١) ديوانه ٨٢، وفيه: إلا يكن... فإنه».

(١٢) في الديوان: «وأعطيت منا الود... ومن آل بدر وقعة» وفي ابن الشجري: «فأعطتك». ولم تهلّل: لم تضعف.

فمـا نلتَنـا غَـدْراً ولكـن صبَحْتَنـا غـداةَ التقينـا فـي المضيـق بـأَخْيَـل[1]
تَفَـادَى حمـاةُ القـومِ مـن وقـع رمحـه تَفَـادِي ضعـافِ الطَّيـرِ مـن وَقْـعِ أجـدل

وقال فيه الحطيئة أيضاً[2]:

وقعْـتَ بعَبْـس ثـم أنعمـت فيهـم ومـن آل بـدر قـد أصبـت الأخـايـرا[3]
فـإنْ يشكـروا فـالشكـرُ أدنـى إلـى التُّقـى وإن يكفـروا لا أُلْـفَ يـا زيـدُ كـافـرا[4]
تـركـتَ الميـاهَ مـن تميـمٍ بَـلاَقِعـاً بمـا قـد تـرى منهـم حُلُـولاً كـراكـرا[5]
/ وحـيَّ سُلَيْـمٍ قـد أَثَـرْتَ شَـرِيـدَهـم[6] وبـالأمـس مـا قتَّلـتَ يـا زيـد عـامـرا[7] [٢٦٦/١٧]

فرضي عنه زيد ومَنَّ عليه لما قال هذا فيه، وعدَّ ذلك ثواباً من الحطيئة وقبله.

امتناع الحطيئة عن هجائه

فلما رجع الحطيئةُ إلى قومه قام فيهم حامداً لزَيْد، شاكراً لنعمته، حتى أسرَتْ طيىء بني بدر، فطلبت فزارةُ وأفناءُ قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجوا بني لأم وزيداً، فتحامتهم شعراء العرب، وامتنعت من هجائهم، فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم، وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دَمي، وأطلقني بغير فِداءٍ؟ فلست بكافر نعمتَهُ أبداً، قالوا: فإنا نُعطِيك مائة ناقة، قال: واللهِ لو جعلتموها أَلْفاً ما فعلت ذلك. وقال الحطيئة:

كيـف الهجـاءُ ومـا تنفـكُّ صـالحـةٌ مِـن آل لأْم[8] بظَهْـر الغَيْـبِ تـأْتِينـا
المنعميـن أقـام العِـزُّ وسطَهُـمُ بيـضُ الـوجُـوه وفـي الهيجَـا مَطَـاعِينـا

/ وقد أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: ٥٧/١٦

خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنَّصُون الوَحْشَ، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم، فافتدى بُجَير نفسه بفرس كان لكعب أخيه، وكعب يومئذ مجاوِر في بني مِلْقَط من طيىء، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه:

غزا فزارة مع بني نبهان

وقال أبو عمرو: غزَتْ بنو نبهان فزارةَ وهم متساندون ومعهم زَيْد الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت فزارة، وساقت بنو نبهان الغنائم / من النساء والصبيان. ثم إن فزارة حشدت واستعانت[9] بأحياء من قيس، وفيهم [٢٦٧/١٧] رجل من سُليم شديدُ البأس سيِّدٌ يقال له: عباس بن أنس الرعليّ، كانت بنو سُليم قد أرادوا[10] عَقْد التاج على رَأْسِه

---

(١) هامش أ: «الأخيل: الشقراق يتشاءم به». وفي شرح الديوان: «بأخيل: جمع خيل».
(٢) ديوانه ٨٧.
(٣) جـ والمختار: «عنهم»، وفي الديوان: «قد أصبت الأكابرا».
(٤) في المختار: «لم ألف».
(٥) الكراكر: الجماعات، واحدها كركرة.
(٦) المختار: «أبرت شريدهم» وفي جـ: «وحتى سليم».
(٧) ب، س: «ولا تنس».
(٨) في أ: «لذي كريم» وفي هامشه وجـ: «من آل زيد». وفي المختار: «لآل لأم بظهر الغيب».
(٩) أ: «واستغاثت».
(١٠) أ: «قد أرادت».

في الجاهلية، فحسده ابنُ عمّ له فلطم عينه، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عدّةٍ من أهل بيته وقومه، فنزل في بني فزارة، وكان معهم يومئذ، ولم يكن لزَيْد المِرباع حينئذ، وأدركت فزارة بني نبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى زيد ما لقيَتْ بنو نبهان نادى: يا بني نبهان؛ أأحمل وَلي المِرْباع؟ قالوا: نعم، فشدَّ على بني سليم فهزمهم، وأخذ أُم الأسود امرأة عباس بن أنس، ثم شَدّ على فزارة والأخلاط فهزمهم، وقال في ذلك:

ألا ودَّعَـتْ جيـرانَهـا أُمُّ أسْـوَدَا ... وضنَّـت علـى ذي حـاجَـةٍ أن يُـزوَّدا
وأبغـضُ أخـلاقِ النسـاء أشَـدُّه ... إلـيّ فـلا تُـولِـنَّ أهلـي تشـددا
وسـائـلْ بنـي نَبْهَـان عنّـا وعنـدهـم ... بـلاءٌ كحـدّ السيـف إذْ قَطَّـعَ اليـدا
دَعـواً مـالكـاً ثـم اتَّصلنـا بمـالـكٍ ... فكـلٌّ ذَكـا مصبـاحُـهُ فتـوقّـدا
وبِشْـرَ بـن عمـرو قـد تـركنـا مُجَنـدلاً ... ينـوء بخطَّـار هنـاك ومَعْبَـدا[1]
تمطَّـت بـه قَـوْدَاءُ ذاتُ عُـلاَلَـةٍ ... إذا الصِّلْـدِمِ الخِنْـذِيـذ أَعْيَـا وبَلَّـدا[2]
لقينـاهُـمُ نستنقـذُ الخيـلَ كـالقنـا ... ويستلبـون السَّمْهَـرِيَّ المُقَصَّـدا[3]
فيـا رُبَّ قِـدْرٍ قـد كفَـأنـا وجَفْنَـةٍ ... بـذي الرِّمْـثِ إذ يـدعون مَثْنَى ومَـوْحَـدَا
/ علـى أنَّنـي أثْـوي سنـانـي وصَعْـدَتـي ... ـ بِسـاقَيـن ـ زيـداً أن يبـوءَ ومعبـدا

[٢٦٨/١٧]

زيد وقيس بن عاصم

قال أبو عمرو: وقعَتْ حربٌ بين أخلاط طيِّىء، فنهاهم زيد عن ذلك وكَرِهه فلم ينتهوا، فاعتزل وجاوَرَ بني تميم، ونزل على قَيْس بن عاصم، فغزَتْ بنو تميم بكرَ بن وائل وعليهم قيس، وزيد معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وزيد كافٌّ. فلما رأى ما لقيَتْ تميم ركب فرسه، وحمل على القوم، وجعل يدعو بالتميم، ويتكنَّى بكنية قَيْس إذا قتل رجلاً أو أذراه[4] عن فرسه، أو هزم ناحية، حتى هزمت بكر، وظفرت تميم، فصارت فخراً لهم في العرب، وافتخر بها قَيْس.

فلما قدموا قال له زيد: أقسم لي يا قيس نَصِيبي، فقال: وأيّ نصيب؟ فوالله ما وَلِيَ القتالَ غيري وغيرُ أصحابي، فقال زيد:

ألا هـل أتـاهـا والأحـادِيـثُ جَمَّـةٌ ... مُغَلغلـةٌ أنبـاءُ جَيْـشِ اللَّهـازِمِ
فلسـتُ بـوقّـافٍ إذا الخيـلُ أحجمـت ... ولسـت بكـذّاب كقيـس بـن عـاصِـم
تُخبِّـرُ مَـنْ لاقيـتُ أن قـد هـزمتهـم ... ولـم تَـدر مـا سيمـاهُـمُ والعمـائـم[5]
بـل الفـارس الطـائـيُّ فَـضَّ جمـوعَهـم[6] ... ومكّـةَ والبيـتِ الـذي عنـد هـاشـم

---

(١) أ: «مجدلاً... هناك معبداً».

(٢) الصلدم: الفحل الشديد الحافر. والخنذيذ: الطويل وفي أ: «إذا الصارم».

(٣) أ وجـ: «ويستلبون». والسمهريّ: الرمح الصليب العود. والمقصد: المكسور.

(٤) أذراه: أطاره.

(٥) أ: «لا، وعائم». وقال في هامشه: «وعائم: اسم صنم».

(٦) الفارس الطائي هو زيد الخيل.

٥٨/١٦ / إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجِلنا عليهمُ ... بِمَأْثُورةٍ تَشْفِي صُداعَ الجماجمِ

فبلغ المكشَّر بن حَنظلة العجليّ أحد بني سنان قولُ زيد، فخرج في ناس من عِجْل حتى أغار على بني نَبْهان، فأخذ من نعمهم ما شاء، وبلغ ذلك زَيْد الخيل، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان، حتى اعترض القوم، فقال: / ما لي ولك يا مكشّر؟ فقال: قولك: [٢٦٩/١٧]

* إذا ما دعوا عجلاً عجلْنا عليهم *

فقاتلهم زَيْد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم، ورجع المكشر ببقيةِ ما أصاب. فأغار زَيْد على بني تَيمِ الله بن ثعلبة، فغنم وسبى، وقال في ذلك:

إذا عركت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ غيرنا ... عَرَكْنَا بتَيْم اللاتِ ذَنْب بني عجل

حريث بن زيد الخيل

وقال أبو عمرو: كان حُريث بن زيد الخيل شاعراً، فبعث عُمر بن الخطاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه، فأقبل حتى نزل بمحلّة بني نبهان، فاستقرأ ابن عمٍّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زَيْد بن مُنْهِب، فلم يقرأ شيئاً، فضربه، فمات.

فأقامت بنته أم أوس تندبه، وأقبل حُرَيث بن زيد الخيل فأخبرته، فأخذ الرمح فشدّ على أبي سفيان فطعنه فقتله، وقتل ناساً من أصحابه، ثم هرب إلى الشام، وقال في ذلك:

ألاَ بكّر الناعِي بأوْسِ بن خالد ... أخي الشَّتْوَة الغَبْراء والزَّمَنِ المَحْلِ
فلا تَجْزَعِي يا أمَّ أوس فإنّه ... يلاقي المنايا كلُّ حافٍ وذي نَعْل[1]
فإنْ يقتلوا أوساً عزيزاً فإنني ... تركتُ أبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
ولولا الأَسَى ما عشْتُ في الناس بعده ... ولكنْ إذا ما شئت جاوبني مِثْلي
أصبْنَا به من خِيرة القوم سَبْعةً ... كِراماً ولم نأكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ

[٢٧٠/١٧] / صوت

بَشَّرَ الظبْيُ والغرابُ بسُعْدَى ... مَرْحباً بالذي يقول الغرابُ
اذْهَبِي فاقْرئِي السلام عليهم ... ثم رُدِّي جوابَنا يا رَبابُ

عروضه من الخفيف[2]. الشعر لعُبيد الله بن قيس الرقيّات، وَالغِناء لفِنْد[3] المخنّث - مولى عائشة بنت سَعْد بن أبي وقّاص - خفيف رمَل بالبنصر. وذكر حبش أنّ هذا اللَّحْنَ ليحيى المكي، وليس ممن يُحصّل قوله.

---

(١) في المختار: «تصيب المنايا».
(٢) أ: «من السريع»، وهو خطأ.
(٣) ضبط في أ بفتح الفاء، وهو تصحيف.

[٢٧١/١٧]

/ [خبر لابن قيس الرقيات]

أخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرميُّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، قال: حدّثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب، مولى بني عامر بن لؤيّ، وأبو الحارث هذا هو الذي يقولُ فيه عمر بن أبي ربيعة[١]:

يـــا أبـــا الحـــارثِ قلبـــي طـــائـرٌ[٢] فـــائتمـــر أمْـــرَ رشيـــد مُـــؤتمـــنْ

وقوفه إلى جانب عبد العزيز بن مروان وشعره فيه

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عَمْرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جدّه، قال:

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابنٌ ليس ابنُك أحبَّ إليّ منه؛ فإن استطعت ألّا يفرقَ بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل. فرقَّ له / عبد الملك، وكفَّ عن ذلك، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ـ وكان عند عبد العزيز ـ:

٥٩/١٦

يَخلُفُـكَ البيـضُ مِـنْ بنيـك كمـا يُخلَـفُ عُـودُ النُّضـارِ فـي شُعَبِـهْ
ليسـوا مِـنَ الخِـرْوع الضِّعـاف ولا أشبـاهِ عيـدانـه ولا غَـرَبِـهْ
نحـن علـى بيعـةِ الـرسـول التـي أُعطيَـتْ فـي عُجمـه وفـي عَـرَبِـهْ
/ نأتي إذا ما دعوتَ في الـزَّغَـفِ الـمَـسْـرُودِ أبـدانُـه وفـي جُنَنِـه[٣]
نُهـدي رَعِيـلاً أمـام أرعَـنَ لا يُعـرفُ وَجْـهُ البلقـاء فـي لَجَبِه[٤]

[٢٧٢/١٧]

فقال عبد الملك: لقد دخل ابنُ قَيْس الرقيّات مَدْخَلاً ضيقاً، وتهدّده وشتمه. وقال: أليس هو القائل:

كَيْـفَ نـومـي علـى الفـراش ولمـا تَشْمَـلِ الشّـامَ غـارةٌ شعـواءُ
تُـذْهِـلُ الشيـخَ عـن بنيـه وتبـدي عـن خِـدَامِ[٥] العقيلـةُ الْعَـذْرَاءُ

وهو القائل أيضاً:

---

(١) ديوانه ٦٥.

(٢) في الديوان: «يا أبا الخطاب قلبي هائم».

(٣) أ: «نأبى»، والزغفة ـ وقد تحرك ـ: الدرع اللينة الواسعة المحكمة، أو الرقيقة الحسنة السلاسل. ودرع زغف وجمعه أزغاف، وزغف، محركة، وزغوف.

(٤) أ: «وجه اللقاء».

(٥) في «اللسان» (خدم): أراد وتبدى عن خدام العقيلة، وخدام ها هنا في نية عن خدامها. وفي ديوانه ص ٩٦: «عن براها».

على بَيْعَةِ الإسلام بايَعْنَ مُصْعَباً ... كراديسَ مِنْ خيلٍ وجمعاً مُباركا
تدارَكَ أُخرانا ويَمْضِي أمامنا ... ويتْبَع ميمونَ النقيبة ناسكا
إذا فرغَتْ أظفارُه مِنْ كتيبةٍ ... أمال على أُخرى السيوفَ البواتكا[1]

قال: فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشَتْمه إياه قال:

بَشَّرَ الظَّبْيُ والغُرَابُ بسُعْدَى ... مَرْحباً بالذي يقول الغرابُ
قال لي: إنَّ خيرَ سعدي قريب ... قد أنَى أنْ يكون منه اقتراب[2]
قلت: أنّى تكون سُعْدَى قريباً ... وعليها الحصونُ والأبواب
حبذا الرِّيمُ ذو الوشاحين والمخْضَرُ الذي لا ينالُه الأثواب[3]
إنَّ في القصر لو دخلتَ غزالاً ... مُصْفَقاً موصَداً عليه الحِجابُ

[٢٧٣/١٧]

/ أرسلَتْ أن فَدتْكَ نفسيَ فاحذرْ ... ها هُنا شُرْطَةٌ عليك غضاب
أقسموا إنْ رأوك لا تَطْعَم الما ... ءَ وهم حين يقدُرُون ذِئابُ
قلت: قد يَغْفَلُ الرَّقيبُ ويُغْفِي ... شُرْطةٌ أو يحينُ منه انقلاب
أو عسى أنْ يُورِّيَ الله أمراً ... ليس في غَيْبِهِ علينا ارتقابُ
اذهبي فاقرئي السلامَ عليها ... ثم رُدِّي جوابَنا يا رَبابُ
حدِّثيها ما قد لقيتُ وقولي ... حَقَّ للعاشق الكريم ثوابُ
رجلٌ أنتِ همُّهُ حين يُمْسي ... خامرتْهُ مِنْ أجلكِ الأوصابُ
لا أشَمُّ الريحانَ إلاّ بعَيْنَيَّ كَرماً إنما يشمُّ الكلابُ
رُبَّ زارٍ عليَّ لم يَرَ منّي ... عثرةً وهو مُومِسٌ كذَّابُ
خادَعَ اللهَ حين جلَّله الشيبُ فأضحى قد بان منه الشَّبابُ
يأمُرُ الناس أن يبرّوا ويُمْسي ... وعليه مِن عَيبه جِلْبابُ
لا تَعِبْني فليس عندك علم ... لا تنامَنَّ أيُّها المغتاب
تَخْتِلُ الناسَ بالكتاب فهلاّ ... حين تغتابني نهاكَ الكتابُ
لَسْتَ بالمُخْبِتِ التقيِّ ولا المُحْـ ... ـضِيهِ مِن مقالتي الاحتساب[4]
/ إنني والتي رَمَتْ بك كرهاً ... ساقطاً مُلصَقاً عليك التراب
لتذوقَنَّ غِبَّ رَأيك فينا ... حين تَبْدُو بعرضِكَ الأنداب[5]

٦٠/١٦

قال الزبير: معنى قوله:

لا أشَمّ الريحانَ إلاّ بعينيَّ كَرماً إنّما يشمُّ الكلاب

(١) البواتك: القواطع. (٢) أنى: حان وقرب.
(٣) المثبت من هامش أ، و جـ وفي ب والديوان: والقصر الذي لا يناله الأتراب.
(٤) كذا في أ، حـ، وفي ب، س: «ولا المهنيه». وفي الديوان: «ولا المحض الذي لا تذمه الأنساب».
(٥) الأنداب: آثار الجروح الباقية.

[١١/٢٧٤] / يُعرِّض بعَبْدِ الملك؛ لأنه كان متغيِّرَ الفم يُؤذيه رائحته، فكان في يده أبداً ريحان، أو تفّاحة، أو طيب يشمه.

بيت شعر لابن قيس الرقيات أحفظ عبد الملك بن مروان

أخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، عن عمه:

أنَّ ابن قيس قالَ في عبد العزيز بن مروان:

يلتفتُ الناسُ عند مِنْبره إذا عمودُ البريّةِ انهدما

يعني إذا مات عبد الملك؛ لأنَّ العَهْدَ كان إليه بعده.

قال الزُّبير: فأخبرني مصعب بن عثمان، قال:

لما بلغ عبد الملك هذا البيت أحفظه، وقال: بفيه الحجر، وحينئذ قال: لقد دخل ابْنُ قيس مَدْخلاً ضيقاً.

الحجاج يبعث إلى عبد الملك بعمران بن عصام العنزي

أخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني كُثَيِّر بن جعفر، عن أبيه، قال:

قال الحجّاج يوماً لأهْلِ ثِقته مِنْ جلسائه: ما مِنْ أحد من بني أُميّة أشدّ نَصْباً[1] لي من عبد العزيز بن مروان، وليس يوم من الأيام إلاّ وأنا أتخوّفُ أنْ تأتيني منه قارِعة، فهل منْ رجل تدلّوني عليه، له لسانٌ وشعر وجلد؟ قالوا: نعم، عمران بن عِصام العنزيّ، فدعاه فأخلاه، ثم قال: اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين، فاقدح في قَلْبِه من ابْنِه شيئاً في الولاية، فقال له عمران: دُسّ أيها الأمير إليّ دسّاً، فقال له الحجاج: «إنّ العوانَ لا تُعلَّم الخِمْرة»[2].

فخرج بكتاب الحجّاج، فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتابَ، وسأله عن الحجّاج، وأمْر العراق، فاندفع يقول:

[١٧/٢٧٥] / أميرَ المؤمنين إليك أُهدي على الشَّحْط التحيّةَ والسلاما

أميرٌ من بَنِيك يكن جوابي لهم أُكرومةً ولنا نظاما

فلو أن الوليدَ أطاعَ فيه جعلتَ له الإمامةَ والذِّماما

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك. ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله، وقال فيه: فرَقَّ عبدُ الملك رقّةً شديدة، وقال: لا يكونُ إلى الصلة أسرعَ مني، فكفّ عن ذلك، وما لبث عبد العزيز إلا ستّة أشهر حتى مات.

الحجاج يقتل ابن الأشعث وعمران بن عصام

فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجّاج، فأُتي به حين قَتل ابنَ الأشعث فقتله، فبلغ ذلك عبد الملك فقال: قطع الله يدي الحجاج! أَقَتَلَهُ وهو الذي يقول:

وبعثت من ولد الأغَرِّ مُعَتِّبٍ صَقْراً يلوذُ حَمَامُه بالعَوْسَجِ

وإذا طبختَ بناره أنضجتَها وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ

(١) النصب: المعاداة. وفي «بيروت»: بغضاً إليّ.

(٢) المستقصى ٢/ ٣٣٤ يريد أن المجرب عارف بأمره.

/ ذكر فند وأخباره

[٢٧٦/١٧]

كان خليعاً متهتكاً

هو فِنْد أبو زَيْد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتكاً[1]، يجمع بين الرجالِ والنساءِ في منزله، ولذلك يقول فيه ابن قَيْس الرقيّات.

صوت

ط ١٦

/ قل لفِنْدٍ يُشَيِّعُ الأظْعانا ... طالما سَرَّ عيشَنا وكفانا

صادراتٍ عشيةً مِنْ قُدَيْد[2] ... وارداتٍ مع الضّحى عُسْفانا

زوّدَتْنا رُقَيّةُ الأحزانا ... يوم جازت حُمولُها السَّكْرَانا[3]

عروضه من الخفيف[4]. غنّاه مالك بن أبي السمح من روايتي إسحاق وعَمْرو بن بانة. ولحنه من خفيف الثقيل بالسّبابة في مجرَى الوسطى.

وقد اختلف في اسمه، فقيل: قَند بالقاف، وفِنْد بالفاء أصحُّ. وبه يضرب المثل في الإبطاء، فيقال: تَعِست العَجلة.

أرسلته عائشة بنت سعد ليجيئها بنار فجاءها بها بعد سنة

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:

كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عِيراً خارجاً إلى مِصْر، فخرج معهم، فلما كان بعد سَنة رجع فأخذ ناراً، ودخل على عائشة وهو يَعْدُو فسقط وقد قرب منها، فقال: تَعِسَت العَجَلة، فقال بعض الشعراء في رجل ذُكِرَ بمثل هذه الحال:

[٢٧٧/١٧]

/ ما رأينا لعُبَيْدٍ[5] مثلاً ... إذْ بعثْناهُ يَجي بالمَسَلَة[6]

غير فِنْد بعثُوه[7] قابساً ... فثوى حَوْلاً وسبَّ العَجَلَة

---

(١) كذا في م والمختار، وفي أ، جـ: «منهمكاً».

(٢) أ: «عشية من الآل»، وفي هامشه من نسخة: «قديد»، وفي البلدان: «من قديد» أيضاً.

(٣) وكذا في المختار، والبيت في البلدان (سكران) مع ثلاثة أبيات أخرى لابن قيس الرقيات والرواية فيه: «... حمولها سكراناً».

(٤) في أ، م: «من السريع»، وهو خطأ.

(٥) في ب، س والمختار: «ما رأينا لسعيد»، وفي «اللسان»: «الغراب».

(٦) في المختار و«اللسان»: «بالمشملة» وهي كساء يشتمل به دون القطيفة.

(٧) في «اللسان»: «أرسلوه».

ضربه سعد بن إبراهيم فحلفت عائشة ألّا تكلمه أو يرضى عنه

أخبرني الحسين، قال: قال حماد: قرأتُ على أبي الهيثم بن عَدِيّ، قال:

كان فِنْد أبو زيد مولى لسَعْد بن أبي وقّاص، فضربه سَعْد بن إبراهيم ضرباً مُبرِّحاً، فحلفَتْ عائشةُ بنت سعد أنها لا تكلِّمهُ أبداً أو يرضى عنه ـ وكانت خالته ـ فصار إليه سعد طاعة لخالته، فوجده وَجِعاً من ضَرْبه، فسلَّم عليه فحوّل وَجْهَه عنه إلى الحائط ولم يكلِّمْه؛ فقال له: أبا زيد، إنَّ خالتي حلفت إلّا تكلمني حتى ترْضَى، ولستُ ببارح حتى تَرْضَى عني. فقال: أما أنا فأشهد أنك مَقِيت سَمج مُبغَّض، وقد رَضيتُ عنك على هذه الحال[1] لتقومَ عني، وتُرِيحني من وجهك ومن النظر إليك.

فقام من عنده، فدخل على عائشة، وأخبرها بما قال له فِنْد، فقالت: قد صدق، وأنت كذلك ورضِيتُ عنه.

قال: وكان سعدٌ مضطرِبَ الخُلُق سَمِجاً.

مروان بن الحكم يتهدده

أخبرني الحسن قال: قال حماد: قرأت على أبي بكر:

وذكَر عوانةُ أنّ معاوية كان يستعملُ مَرْوان بن الحكم على المدينة سنةً، ويستعمل سعيد بن العاص سنةً، فكانت ولاية مَرْوان شديدةً يهربُ فيها أهل الدعارة والفسوق، وولاية سَعيد ليّنة يرجعون إليها، فبينا مَرْوان / يأتي المسجد وفي يده عكّازة له، وهو يومئذ مَعزول، إذا هو بفِنْدٍ يمشي بين يديه، فوكزه بالعكازة، وقال له: ويلك هِيه: [٢٧٨/١١]

* قل لِفِنْد يُشيِّع الأَظْعَانَا *

أتشيّع الأظعانَ للفساد ـ لا أمَّ لك ـ إلى أهل الريبة! ستعلمُ ما يحلّ بك مِنّي، فالتفت إليه فِنْد، وقال: نعم، أنا ذلك وسبحان الله! ما أسمَجك والياً ومَعْزُولاً! فضحك مَرْوان، وقال له: تمتَّعْ، إنما هي أيّام قلائل ثم تعلم ما يمرّ بك مني.

[٢٧٩/١١] / **صوت**

حَـــيِّ الـــدُّوَيْـــرَةَ إذ نـــأَتْ	منّـــا علـــى عُـــدَوائِهـــا
لا بـــالفـــراق تُنِيلنـــا	شيئـــاً ولا بلقـــائهـــا

٦٤/١٦ عروضه من الكامل[2] الشعر لنُبَيْه بن الحجّاج السَّهميّ، والغناء لابن سريج، رَمَل بالوُسْطَى / عن عَمْرو.

---

(١) المختار: «على هذه الأحوال».

(٢) المراد: من مجزوء الكامل.

/ أخبار نبيه ونسبه

[٢٨٠/١٧]

نسبه

هو نبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعْد بن سهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب؛ وأمُّه وأم أخيه مُنبِّه أرْوَى بنت عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قصيّ.

قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين

وكان نُبَيْه بن الحجّاج وأخوه من وُجوهِ قريش وذوي النباهة فيهم، وقُتلا جميعاً يوم بَدْر مشركَيْنِ، ولهما يقول أعشى بني تميم ـ وهو ابن النبّاش بن زُرارة، وكان أخوه أبو هالَة بن النبّاش زَوْج خديجة أم المؤمنين في الجاهلية، ولها منه أولاد لهم عَقِب إلى الآن ـ وكان الأعشى مَدّاحاً لهم، وفيهم يقول، وهي قصيدة طويلة[١]:

لله دَرُّ بنـــي الحجّـــاج إذْ نُـــدِبـــوا ... لا يَشتكـي فِعْلَهـم ضيـفٌ ولا جـارُ[٢]

إن يكسبـوا يُطعِمـوا مِـنْ فَضْـل كسبهـمُ ... وأوفِيـــاءُ بعَقْـــدِ الجـــارِ أحـــرارُ[٣]

وفي نبيه يقول أيضاً[٤]:

إن نُبَيهـــاً أبـــا الـــرزّام أفضلُهـــم[٥] ... حِلْمـاً وأجـودَهُـم، والجـودُ تَفْضِيـلُ

ليـس لفعـل[٦] نُبيـهِ إنْ مَضـى خَلـفٌ ... ولا لقـــول أبـــي الـــرزّام تَبْـــدِيـــلُ

/ ثَقْـفٌ كلُقْمـانَ، عَـدْلٌ فـي حكـومتِـه[٧] ... سيْـفٌ إذا قـام وَسْـطَ القـوم مَسْلُـولُ

[٢٨١/١٧]

وإنَّ بيـــتَ نُبيـــهِ مَنْهَـــجٌ فَلَـــجٌ[٨] ... مُخَضَّـر بـالنـدى مـا عـاشَ مَـأْهُـولُ[٩]

---

(١) الآمدي ٢١، ونسب قريش ٤٠٣.

(٢) في الآمدي:

وقـــد أراهـــا حـــديثـــاً وهـــي آنـــة ... لا يشتكي أهلها ....

ندبوا: دعوا للقيام بالأمور.

(٣) في جـ: «أبرار»، وفي الآمدي:

* وأوفياء لمن آووه أبرار *

(٤) نسب قريش ٤٠٤.

(٥) نسب قريش: «أحلمهم».

(٦) نسب قريش: «ليس لقول».

(٧) ثقف: حاذق.

(٨) فلج: يراد به هنا الواسع.

(٩) في نسب قريش ٤٠٤: «مخضر أبداً...»، والرواية في أ: «... مخضر أبداً ما عاش مأمول».

مـن لا يَعُـرُّ ولا يـؤذِي عشيـرتَـه ... ولا نَـدَاهُ عـن المُعْتَـرِّ معـدول[١]

وله أيضاً فيهما مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلا ببَدْر لم أستَجِزْ ذِكْرها؛ لأنهما قُتِلا مشركَيْنِ محارِبَيْن الله ورسوله.

شعره في زوجتيه وقد سألتاه الطلاق

وكان نُبَيه مِنْ شعراء قريش، وهو القائل وقد سألته زوْجَتاه الطلاق، ذكر ذلك الزُّبَيْر بن بكّار[٢]:

تلـك عِـرْسـايَ تنطقـان بِهُجْـرِ ... وتقـولان قَـوْلَ زُورٍ وهِتْـرِ[٣]
تسـألانـي الطـلاقَ أنْ[٤] رأتـانـي ... قَـلَّ مَـالِـي، قـد[٥] جئتمـانـي بِنُكْـر
فلعلِّـي أنْ يَكْثُـرَ المـالُ عِنْـدِي ... ويُخلَّـى[٦] مـن المغـارم ظَهْـري
ويُـرَى أعْبُـدٌ لنَـا وجِيَـادٌ ... ومَنَـاصِيـفُ[٧] مِـنْ وَلائِـدَ عَشْـر
وَيْكَـأَنْ مَـنْ يكـن لـه نَشَـبٌ يُـحْـبَـبْ ومَـنْ يفتقـر يَعِـشْ عَيْـشَ ضُـرِّ
/ ويُجَنَّـبْ يُسْـرَ الأُمـورِ ولكـنْ ... ذَوِي المـال حُضَّـرٌ كـلَّ يُسْـر[٨]

[١٠/٢٨٢]

شعر آخر له

أخبرني الطوسيّ والحرميّ، قالا: حدثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدثني علي بن صالح:

أنَّ عامر بن صالح أنشده لنُبَيه بن الحجاج:

قَصَّـرَ العُـدْمُ[٩] بـي ولـو كنـت ذا مـا ... لٍ كثيـرٍ لأجلبَ[١٠] النـاسُ حَـوْلـي
ولقـالـوا: أنـت الكـريـمُ علينـا ... ولحطُّـوا إلـى هـوايَ ومَيْلـي
ولَكِلْـتُ المعـروفَ كَيْـلاً هَنِيًّـا[١١] ... يَعْجِـزُ النـاسُ أنْ يكيلـوا ككيلـي

قال الزُّبير: قال عليّ بن صالح: وأنشدني عامر بن صالح لنبيه بن الحجّاج أيضاً:

/ قـالـت سُليمَـى إذ طَـرَقْـتُ أزورُهـا: ... لا أبتغـي إلاّ امـرأً ذَا مَـالِ

٦٣/١٦

---

(١) في جـ: «من لا يعق». عرهم: ساءهم. والمعتر: الذي يطيف بك يطلب ما عندك؛ سألك أو سكت عن السؤال. «اللسان» (عرر). وفي نسب قريش: «من لا يعن».
(٢) في هامش أ: «الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل».
(٣) في أ، م: «قول أثر وعثر».
(٤) في ب، س: «إذ رأتاني».
(٥) في نسب قريش: «إذ جئتماني».
(٦) في جـ: «ويعرى».
(٧) المناصيف: الخدم، واحدها منصف، كمنبر ومقعد.
(٨) في جـ:
«ويجنـب سـر النـدى ولكـن ... أخـا المـال محضر كـل سـر»
(٩) أ، م: «قصر الشيء».
(١٠) أجلب الناس حولي: تجمعوا وأتوني من كل واد.
(١١) أ، م: «هنيئاً».

لا أبتغـــي إلّا امـــرأً ذا ثـــروة كيمـا يَسُـدُّ مَفَـاقِـرِي وخِـلالـي[1]
فـلأحـرِصَـنَّ علـى اكتسـابِ محبَّـبِ ولأكسِبَـنْ فـي عِفَّـةٍ وجمـال

أخبرني الطوسيّ والحرميّ، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمّي مصعب، قال:

نزل نُبَيْه بن الحجّاج قُدَيداً[2] يُرِيد الشامَ، فغيّب بعضُ بني بكر ناقتَه، يريد أخْذَ الجعالة عليها منه، فقال نُبيه في ذلك:

وردتُ قُـدَيْـداً فـالتَـوى بـذراعهـا ذؤبـانُ بكـرٍ كـلُّ أطلـسَ أفْحَـجِ[3]
/ رجـلٌ صَـديـقٌ مـا بَـدَت لـك عَيْنُـه فـإذا تغيَّـب فـاحتفـظْ مِـنْ دَعْلَـجِ [١٧/٨٣]

قال الزبير: الدَّعْلَج: الكَلْب والذّئب، وكلّ مختلس من السباع فهو دَعْلَج، ويقال لاختلاسه: الدَّعْلجة، وأنشد[4]:

بـاتـت كـلابُ الحـيّ تَسْـرِي بَيْنَنـا يَـأكُلْـنَ دَعلجـةً ويشبَـع مـن ثَـوَى

يعني بالدعلجة السرقة.

قال الزُّبير: ولا عَقِبَ للحجّاج أبي نُبَيْه ومنبِّه إلاّ من ولد نُبيه؛ فإنّ العَقِب مِنْ ولد أبي سلمة إبراهيم بن عَبْد الله بن عفيف بن نُبَيْه، وفي ريطة بنت منبّه؛ فإن عمرو بن العاص تزوّجها فولدت له عبد الله بن عَمرو[5].

انتزع امرأة من أبيها فلجأ إلى حلف الفضول فخلصوها منها

وهذا الشعرُ الذي فيه الغِناء يقولُه في امرأةٍ كان غلبَ أباها عليها، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قُريش، والحِلف المعروف بحلْف الفضول؛ فانتزعوها مِنْ نُبَيْه وردُّوها على أبيها.

أخبرني الطوسيّ، قال: حدثني الزُّبير بن بكار، قال: حدثني غَيْرُ واحد من قريش، منهم عبد العزيز بن عمر العَنْبسيّ عن مغنٍّ[6]، واسمه عُيينة بن عبد الله بن عَنْبَسة:

[١٧/٨٤] / أنَّ رجلاً من خَثْعم قدم مكّةَ تاجراً، ومعه ابنةٌ له يقال لها القَتُول، أوْضَأ نساء العالمين وَجْهاً، فعلِقها نُبَيْه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد بن سَهْم، فلم يبرح حتى نَقَلها إليه، وغلب أباها عليها، فقيل لأبيها: عليك بحِلْفِ الفضول؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم، فأتوا نُبَيْه بن الحجّاج، فقالوا: أخرج ابنةَ هذا الرجل، وهو يومئذ مُتَبَدٍّ[7] بناحية مكة وهي معه، فقال: لا أفعل، قالوا: فإنّا مَنْ قد عَرَفْت، فقال: يا قوم مَتِّعوني بها الليلة، فقالوا:

---

(١) المفاقر: وجوه الفقر لا واحد لها. والخلال: الحاجات.

(٢) قديد: موضع قرب مكة.

(٣) ذؤبان بكر: يريد لصوصها ـ أطلس: وسخ الثياب مغبرها ـ أفحج: متداني صدور قدميه متباعد عقباه.

(٤) «اللسان» (دعلج)، وفيه:

بـاتـت كـلاب الحـي تسـري بيننـا يـأكلـن دعلجـة ويشبـع مـن عفـا

قال: والدعلجة: الأخذ الكثير. وقيل: الأكل بنهم.

(٥) ورد في النسخ بعد هذا الكلام ما نصه: «نسب نبيه بن الحجاج وأخباره في هذا الشعر وغيره» وقد سبق هذا العنوان في ص ٢٨٠.

(٦) ب، س: «مغني»، أ، م: «مفتي»، وموضعها بياض في جـ.

(٧) كذا في أ، وفي ب، س، م: متند. وفي جـ: «مبتد»، تصحيف.

قبّحك الله، ما أجهلك! لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ، وهي أوْسَعُ أحابيك من السائل، فأخرجها إليهم فأعطوها أباها، وركبوا، وركب معهم الخَثْعَمِيّ، فلذلك يقول نُبَيه بن الحجاج[1]:

شعره في ذلك:

راحَ صَحْبِي ولم أُحَيِّ القَتُولا ... لم أُودّعهم وَداعاً جميلا
إذ أجدّ الفُضُولُ أنْ يمنَعُوها ... قد أراني ولا أخافُ الفُضولا
لا تخالِي أنّي عشيةَ راحَ الرَّكْبُ هُنْتُم عليّ ألاّ أقُولاَ
إنني والذي تحُجّ لَهُ شُمُّطُ ... إيادٍ وهلّلوا تهليلا[2]
لا تَبَرّأْتُ مِنْ قُتَيْلَةَ بالنَّا ... س وهَلْ تَبْتَغُونَ إلاّ القَتُولا[3]
/ لَمْ أُخَبِّر عن الحديثِ ولا أبْدأ رَسَّ الحديثِ والتقبيلا[4]
ومَبيتاً بذِي المجاز ثلاثاً ... ومتى كان حجُّنا تحليلا
لن أذيعَ الحديثَ عنها ولا أنقادُ لو أبيتُ فيها فتيلا[5]
/ أتلوَّى بها كما تَتَلوّى ... حَيّةُ الماءِ بالأباءِ طويلا[6]
ثم عدّوا أعداءَ[7] نَخْلَةَ ما يد ... رِكُ منهمُ أدنى رَعِيلٍ رَعِيلا
وبنو غالب أولئك قومي ... ومتى يفزعوا تراهم قَبِيلا
ونَدامَى بِيضُ الوجوه كهولٌ ... وشبابٌ أسهرتُ لَيْلاً طَويلا
غيرُ هُجْنٍ ولا لئامٍ ولا تعـ ... ـرف منهمْ إلاّ فتى بُهْلُولا[8]

٦٤/١٦
[٢٨٥/١٧]

وفي ذلك يقول نُبَيه بن الحجاج[9]:

حيُّ الدُّوَيْرَةَ إذ نأَتْ ... مِنّا على عُدَوَائِها[10]
لا بالفراق تُنِيلُنا ... شيئاً ولا بلقائها
أخذَتْ حُشَاشَةَ قَلْبِه ... ونأَتْ فكيف بنائها[11]

---

(١) ابن كثير ١ : ٢٩٥.
(٢) جـ: «له حج شمط من إياد».
(٣) كذا في أ، م، وفي ب، س:
إبراء من قتيلة بالناس ... هل أراكم تبغون إلا القتولا
(٤) سقط هذا البيت من جـ.
(٥) كذا في النسخ وهو غير موزون.
(٦) الأباء: أجمة الحلفاء والقصب، وفي ب، س: «بالإناء»، تصحيف.
(٧) أ: «أطواء نخلة».
(٨) البهلول: الجامع لكل خير وفي:
.... ولا نعـ ... ـدم منهم مبسرا مأمولا
(٩) في نسب قريش ثلاثة أبيات من هذا الشعر.
(١٠) العدواء: البعد.
(١١) بنائها: ببعدها.

حلّت تِهامةَ خُلّةٌ ... مِنْ بَيّتِها ووِطائها

ولها بمكةَ مَنْزِلٌ ... مِنْ سهلها وَحِرائها[1]

رفعُوا المحلّةَ فوقها ... واستعذبوا مِنْ مائِها

تَدعو شِهاباً حَوْلَها ... وتعمُّ في خُلفائها

لولا الفُضولُ وأنّه ... لا أمْنَ مِنْ عُدَوائها[2]

/ لدنوتُ مِن أبياتِها ... ولطُفْتُ حَوْلَ خِبائها [٢٨٦/١٧]

ولجئتُها أمشِي بِلا ... هادٍ لَدَى ظَلْمَائها

فشربتُ فضلةَ رِيقها ... ولَبِثْتُ في أحشائها

فَسَلِي بمكةَ تُخْبَرِي ... أنّا مِن أهلِ وَفائِها

قِدماً وأفضلُ أهلها ... مِنّا على أكفائها

نمشِي بألْوِيَةِ الوَغَى ... ونموتُ في أوْدَائها[3]



(١) حراء: جبل بمكة كان يتحنث فيه النبي ﷺ.

(٢) في نسب قريش: «لا أمن من روعائها».

(٣) الوادي: مفرج بين جبال أو تلال أو آكام؛ جمعه أوداء وأودية. «القاموس».

[٢٨٧/١٧] / [حلف الفضول]

سبب حلف الفضول

أخبرنا به الطُّوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عُبيدة قال:

كان[1] سبَبُ حِلْف الفضول أنَّ رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رَجلٌ من بني سَهْم، فلَوَى الرجلَ بحقِّه؛ فسأله متاعَه فأبى عليه، فقام في الحجر، فقال:

يَا آلَ قُصَيٍّ لمظلُومٍ بضَاعتُه ... ببَطْنِ مكة نائي الدار والنَّفَرِ

وأشعثٍ مُحرِمٍ لم يَقضِ حُرْمته ... بين المقام وبَيْنَ الرُّكْنِ والحَجَرِ

ورَوى بعضُ الثقاتِ تماماً لهذين البيتين، وهو:

أقائمٌ مِنْ بني سَهمٍ بذمّتِهم ... أم ذاهبٌ في ضَلالٍ مالُ مُعْتَمِرِ

إنَّ الحرامَ لِمَنْ تَمّتْ حَرامتُه ... ولا حرام لثَوْبِ الفاجرِ الغُدَرِ

صـ ١٦ / قال: وقال بعضُ العلماء: إنّ قيس بن شَيْبَة السُّلَمي باع متاعاً من أُبيّ بن خَلَف، فَلَواهُ وذهب بحقّه، فاستجار برجل من بني جُمح، فلم يقمْ بجواره، فقال:

يا آلَ قُصيّ كيف هذا في الحرَمْ ... وحرمةِ البيتِ وأعلاقِ الكَرَمْ

* أُظْلَمُ[2] لا يُمْنَعُ منّي مَن ظَلَمْ *

[٢٨٨/١٧] / قال: وبلغ الخبر العبّاس بن مِرْدَاس السُّلَميّ، فقال:

إن كان جارُكَ لم تنفعكَ ذِمَّتُه ... وقد شرِبتَ بكأس الغلِّ أنفاسا[3]

فائتِ البيوتَ وكُنْ من أهلها صَدداً[4] ... لا تُلْفِ[5] ناديَهُمْ فُحْشاً ولا باسا

وثَمَّ كُنْ بفِناء البَيْتِ مُعْتَصِماً ... تَلْقَ ابنَ حربٍ وتَلْقَ المرءَ عبّاسا

قَرْمَي قُريشٍ وحَلاَّ في ذُؤَابتِها[6] ... بالمجد والحَزْمِ ما حازا وما ساسا

ساقِي الحجيج وهذا ياسِرٌ[7] فَلَجٌ ... والمجدُ يورثُ أخماساً وأسداسا

---

(١) خبر حلف الفضول ورد في ابن هشام ١: ١٤٤، وابن كثير ٢: ٢٩، والسيرة الحلبية ١: ١٥٣.

(٢) كذا في أ، م، وفي ب، س: «أظَل»، وفي جـ: «أضم».

(٣) ما: «بكأس الذل».

(٤) صدداً: قبالتهم وقريباً منهم، وفي نسخة للمختار: «سدداً».

(٥) كذا في أ، وفي ب، س والمختار: لا يلق.

(٦) في المختار: «حلا في ذوائبها».

(٧) الياسر: السهل اللين، وأيضاً: من يتولى قسمة جزور الميسر.

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردّا عليه. واجتمعت بطونُ قريش، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكة، وألا يُظلم رَجلٌ بمكة إلاّ مَنَعُوه، وأخذُوا له بحقه، وكان حِلفُهم في دارِ ابن جُدْعان، فكان رسولُ الله ﷺ يقول: «لقد شهدْتُ حِلْفاً في دارِ ابن جُدْعان ما أُحِبُّ أنّ لي به حُمْرَ النَّعَم، ولو دُعيتُ به[1] لأجبتُ».

فقال قوم من قُريش: هذا واللهِ فضل منَ الحلف؛ فسمّى حلفَ الفضول.

قال: وقال آخرون: تحالفوا على مِثْلِ حِلْفٍ تحالف عليه قومٌ مِنْ جُرْهم في هذا الأمر ألاّ يُقِرُّوا ظلماً ببطن مكة إلاّ غَيَّرُوه، وأسماؤهم الفضل بن شراعة، والفضل بن قُضَاعة، والفَضْل بن سماعة[2].

/ قال: وحدثني محمد بن فضالة، عن عبد الله بن سمعان، عن ابن شهاب، قال: [١٧/٢٨٩]

كان شَأن حِلْف الفضول أنّ بَدْءَ ذلك أنّ رجلاً من بني زُبَيد قدم مكة مُعْتَمِراً في الجاهلية ومعه تِجارةٌ له، فاشتَرَاها منه رجلٌ مِنْ بني سَهْم، فأواها إلى بيته، ثم تغيّب، فابتغى مَتاعَه الزُّبيديّ، فلم يقدِرْ عليه، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه، فأغْلَظُوا عليه، فعرف أنْ لا سبيل إلى ماله؛ فطوّف في قبائل قريش يستعينُ بهم، فتخاذلت القبائلُ عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قُريش مجالِسها في المسجد، ثم قال:

يا آل فِهْرٍ لمظلوم بِضَاعَتُه ... ببَطْن مكّة نائي الدارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمْرَتَهُ ... يا آل فهرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
أقائمٌ من بني سَهْم بخُفرتهم[3] ... فعادلٌ أم ضلالٌ مالُ معتمرِ

الحلف ينعقد في دار عبد الله بن جدعان ورسول الله معهم

فلما نزل أعظَمت قُرَيْشٌ ذلك، فتكلمُوا فيه، فقال المُطيَّبُون: والله لئن قُمْنا في هذا ليغضَبَنّ الأحلاف، وقال الأحلافُ: والله لئن تكلّمنا في هذا ليغضبنَّ المطيَّبون، وقال ناس مِنْ قريش: تعالوا فليكن حِلْفاً فُضُولاً دونَ المطيّبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا في دارِ عبد الله بن جُدْعان، وصنع لهم طعاماً يومئذ كثيراً، وكان رسولُ الله ﷺ يومئذ معهم، قَبْل أن يُوحِيَ الله إليه، وهو ابنُ خمس وعشرين سنة. فاجتمعت بنو هاشم وأسد / وزهرة وتَيم، وكان الذي تعاقَدَ عليه القومُ: تحالفوا على ألاّ يُظلم بمكة غَرِيب ولا قَرِيب ولا حُرّ ولا عَبْد إلاّ كانوا معه، حتى يأخذوا له بحقّه، ويُؤدُّوا إليه مظلمَتَه من أنفسهم ومن غيرهم، ثم عمدوا إلى ماءٍ من زمزم فجعلوه / في جَفْنة، ثم بَعثوا، به إلى البيت، فغُسلت به أركانُه ، ثم أتَوْا به فشربوه. [طت ١٦] [١٧/٢٩٠]

الرسول يشيد بحلف الفضول

قال: فحدثنا هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها:

أنها سمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفَ الفضول، أمَا لو دُعيت إليهِ اليوم لأجَبْتُ، وما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمر النَّعم، وأني نقضته».

قال: وحدثني عُمر بن عبد العزيز العنبسيّ[4] أنّ الذي اشترى مِنَ الزُّبيديّ المتاعَ العاص بن وائل السَّهْميّ.

(١) في المختار: «ولو دعيت له اليوم».
(٢) كذا في م، وهامش أ: وورد فيهما بعده: «فلان سقط من الكتاب»، وفي ب، س، جـ، أ: الفضل بن فلان. سقط من الكتاب.
(٣) أ: «هل مخفر من بني سهم بخفرتهم». والخفرة: الذمة.
(٤) كذا في أ، جـ، وفي ب، س، م: «العبسي».

أهل الحلف وعلى أي شيء تحالفوا

وقال: أهلُ حِلْف الفضول بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العُزّى، وبنو زُهْرَة، وبنو تَيْم، تحالفوا بينهم ألاّ يُظلم بمكة أحد إلا كنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم، حتى نَأخذَ له مظلمته ممّنْ ظلمه شريفاً أو وَضِيعاً، منّا أو من غيرنا.

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل، ثم قالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدِّيَ إليه حقّه، فأعطى الرجل حقّه، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحد حقَّه بمكة إلاّ أخذوه له. وكان عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أنّ رجلاً وَحْدَه خرج من قوْمِه لخرجتُ من عبد شمس، حتى أدخل في حِلْف الفُضول. وليس عبد شمس في حلف الفضول.

وحدثني محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن فَضالة، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، وعن إبراهيم بن محمد، وعن أبي عبد الله بن الهاد:

[٢٩١/١٧] / أنَّ بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العُزّى وتَيْم بن مرّة احتلفوا على ألاّ يَدعوا بمكة كلها، ولا في الأحابيش[١] مظلوماً يَدْعُوهم إلى نُصرته إلاّ أنجدوه، حتى يَرُدُّوا عليه مظلمتَه، أو يُبْلوا في ذلك عُذْراً، أو على ألاّ يتركوا لأَحدٍ عند أحدٍ فضلاً إلاّ أخذوه، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وبذلك سُمّي حِلْفَ الفضول ـ بالله الغالب[٢] أنَّ اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقّه ما بَلَّ بحرٌ صُوفة[٣]، وعلى التأسّي في المعاش.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن طلحة في حديثه، عن موسى بن محمد عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن أبيه، قال:

لم يكن بنو أسد بن عبد العُزى في حِلْف الفضول، قال: وكان بعد عبد المطلب.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن عيسى بن يزيد بن دأبٍ، قال: أهل حلف الفضول: هاشم، وزهرة، وتيم. قال: وقيل له: فهل لذلك شاهدٌ من الشعر؟ قال: نعم، قال: أنشدني بَعْضُ أهل العِلْم قولَ بعض الشعراء:

تيْـمُ بـن مـرَّةَ إن سـألـت وهـاشـمٌ ... وزهـرةُ الخيـر فـي دار ابـن جُـدعـانِ
متحـالفـون علـى النَّـدى مـا غـرَّدت ... وَرْقـاءُ فـي فَنَـنٍ مـن جِـزْع كُتْمَـانِ

[٢٩٢/١٧] / فقيل له: وأين كُتمان؟ فقال: وادٍ بنَجْرَان[٤]؛ فجاء ببيتين مضطربين مختلفي النصفين.

وحدثني أبو الحسن الأَثْرَمُ، عن أبي عبيدة، قال:

تداعَى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزّى وبنو زُهْرَة بن كلاب وتَيْم بن مرّة إلى حِلْفِ الفُضول، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان، فتحالفوا عنده، وتعاقدوا ألاّ يجدوا بمكة مظلوماً مِنْ أهلها ولا مِنْ غيرهم

---

(١) الأحابيش: أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام؛ سموا بذلك لاسودادهم. وقيل: إنهم سموا باسم جبل حبشي بأسفل مكة؛ وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده، فحالفوا قريشاً وقالوا: إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار. وما أرسى حبشي مكانه. «اللسان» (حبش).

(٢) أ: «القائل» وفي هامشه من نسخة: «الغالب».

(٣) ما بل بحر صوفة، أي أبداً. وصوف البحر: شيء على شكل الصوف الحيواني. ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة، وحكى اللحياني: مابل البحر صوفة. (اللسان ـ «صوف»).

(٤) في البلدان: قال أبو منصور: كتمان: اسم بلد في بلاد قيس. وقال غيره: كتمان: واد بنجران.

/ إلاَّ قاموا معه على مَنْ ظلَمه حتى يردُّوا مَظْلَمته. وشهد النبيُّ ﷺ هذا الحلف قبل أنْ يبعث، فهذا حِلْف الفُضول. [٦٧ / ١٦]

قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدّي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال: إنما سُمِّي حلْفَ الفضول[١] لأنه كان في جُرْهم رِجالٌ يردُّون المظالم يقال لهم: فُضيل وفضّال وفَضل ومُفضل، قال: فلذلك سُمّي حلف الفضول، تعاقدوا أن يردُّوا المظالم.

قال: فتحالفوا باللهِ الغالب لنأخذنَّ للمظلوم من الظالم، وللمقهور من القاهِر، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة.

قال: وقال أبي: قال رسول الله ﷺ:

«فشهدت حلفاً في دارِ عَبْد الله بن جُدعان لم يَزِده الإسلام إلا شدةً، / ولهو أَحَبُّ إلى من حُمر النَّعم»، قال: [١٧/٢٩٣] وقال غيره: «لو دُعيت إليه لأَجَبْت».

رواية أخرى في سبب تسميته

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضلِ قال: إنّما سمَّت قُريش هذا الحلف حلف الفضول؛ لأن نَفراً من جُرْهم يقال لهم: الفَضْل وفَضَّال والفُضيل، تحالفوا على مِثْل ما تحالفت عليه هذه القبائل.

قال: وحدثني رجل عن محمد بن حسن، عن محمد بن فضالة، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة:

أنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لقد شهدتُ في دَارِ ابن جُدْعَانِ حِلْف الفضول، أَمَا لو دُعيت إليه لأجبت، وما أحبُّ أنّي نقضْتُه، وأنّ لي حمر النّعم».

قال الزُّبير: وحدثني علي بن صالح عن جدِّي عبد الله بن مصعب، عن أبيه:

أنَّ رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لقد شهِدتُ في الجاهلية حِلْفاً ـ يعني حلف الفضول ـ أما لو دُعيت إليه اليوم لأجبْتُ، لهو أحبُّ إليَّ من حمر النعم، لا يزيده الإسلامُ إلا شدّة».

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عُبيدة، قال: حدثني رجل عن محمد بن يزيد الليثيّ، قال: سمعْتُ طَلْحَةَ بن عَبْد الله بن عَوْف الزّبيريّ، يقول:

قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدتُ في دارِ عبد الله بن جُدعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حمر النعم، ولو أُدْعَى إليه في الإسلام لأَجبْتُ».

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نصر بن مزاحم، عن معروف بن خَرَّبُوذ، قال:

/ تداعَتْ بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتَيم، فاخْتَلَفُوا على ألاّ يَدَعُوا بمكة كلّها ولا في الأحابيش مظلوماً [١٧/٢٩٤] يَدْعُوهم إلى نُصْرته إلاّ أَنْجَدُوه، حتى يردّوا إليه مظلمته، أو يُبلوا في ذلك عُذْراً. وكرِهَ ذلك سائر المطيّبين[٢] والأحْلافِ من أمره[٣]، وسمّوْه حلف الفضول، عَيْباً له، وقالوا: هذا من فُضول القَوْم، فسمّوه حِلْفَ الفُضُول.

---

(١) في «اللسان» (فضل): وسمي حلف الفضول، لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل: الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة؛ فقيل: حلف الفضول، جمعاً لأسماء هؤلاء، كما يقال: سعد وسعود.

(٢) كذا في أ، جـ، م، وفي ب، س: «المكيين».

(٣) كذا في أ، وفي ب، س: «والأحلاف من أمرهم».

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، قال:

كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهْرة وبني تيم.

قال: فحدثني أبو خيثمة زُهير بن حرب، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزُّهريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عَوْف، قال:

قال رسولُ الله ﷺ: «شهدتُ مع عُمُومَتِي حلْفَ المكِّيين، فما أُحبُّ أنَّ لي حُمرَ النَّعم وأني أنكثه».

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن طَلْحَة، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ:

أنه بلغه أنّ الذي بدأ بحلْفِ الفضول مِنْ هذه القبائل أمْرُ الغَزَال الذي سُرِق من الكعبة.

ابن جبير بن مطعم وعبد الملك بن مروان

ط ١٦ / حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ، عن أبيه، قال:

قدم ابْنُ جُبَير بن مطعم على عبد الملك بن مروان، وكان مِنْ حُلَفاء / قريش. [١٧/٢٩٥]

بنو عبد شمس وبنو نوفل لم يكونا في حلف الفضول

فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم ـ يعني بني نوفل ـ في حِلْف الفضول، قال: وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: لتحدِّثني بالحق من ذلك، قال: لا واللهِ يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، ولم تكن يَدُنا ويَدُكم إلاّ جميعاً في الجاهلية والإسلام.

الوليد بن عتبة ينصف الحسين بن علي

قال: وحدثني محمد بن حَسن، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد اللّيْثيّ أنَّ محمد بن الحارث التيميّ أخبره:

أنه كان بين الحُسين بن عليّ عليهما السلام وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان كلامٌ ـ والوليد يومئذ أمِيرُ المدينة في زَمن معاوية بن أبي سفيان ـ في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة[١]، فقال الحُسين بن عليّ عليهما السلام: استطال عليّ الوليد بن عُتبة في حقّي بسلطانه، فقلت: أقسم بالله لتنصِفَنّي في حقّي أو لآخذنَّ سيفي، ثم لأقومنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ، ثم لأدعونَّ بحلف الفضول، قال: فقال عبدُ الله بن الزّبير ـ وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال ـ: وأنا أحلف بالله لئنْ دعا به لآخُذَنَّ سَيْفِي ثم لأقُومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقه أو نموت جميعاً. فبلغت المِسْور بن مخرمة بن نوفل الزهريّ، فقال مثل ذلك، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ، فقال مثل ذلك. فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحُسين من حقّه حتى رضي.

---

(١) ذو المروة: قرية بوادي القرى. وقيل: بين خشب ووادي القرى. «البلدان».

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم عليّ بن المغيرة، عن أبي عُبيدة، قال: حدثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثيّ:

أنَّ محمد بن إبراهيم التيميّ حدَّثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا.

الحسين بن علي ينازع معاوية في أرض له [٢٩٦/١٧]

قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جدّي عبد الله بن مصعب، عن أبيه أنَّ الحُسين بن عليّ عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلامٌ في أرضٍ له، فقال له الحُسين عليه السلام: اختَرْ خصلة من ثلاث خصال: إما أنْ تشتري مني حقي، وإما أن تردّه عليَّ، أو تجعل بيني وبينك ابنُ الزبير وابن عمر، والرابعة الصَّيْلم، قال: وما الصَّيْلَم؟ قال: أنْ أهتفَ بحلْف الفُضُول، قال: فلا حاجةَ لنا بالصَّيْلَم.

قال: فخرج وهو مُغْضَب، فمرّ بعبد الله بن الزّبير فأخبره، فقال: والله لئن لم ينصفْني لأهتَفَنَّ بحلْفِ الفضول، فقال عبدُ الله بن الزبير: والله لئن هتفْتَ به وأنا مضطجع لأقعدنَّ أو قاعد لأقومنَّ، ولئن هتفتَ به وأنا ماشٍ لأسعَيَنَّ، ثم لينفدنَّ روحي[1] مع روحك، أو لَينصِفَنَّك.

قال: فخرج عبدُ الله بن الزُّبير فدخل على معاوية فباعه منه، وخرج عبد الله فجاء إلى الحُسين عليه السلام، فقال: أرسل فانتقذْ مالك، فقد بعتهُ لك.

قال: وحدثني عليّ بن صالح، عن جَدّي عبد الله بن مُصْعب، عن أبيه، قال:

خرج الحسينُ عليه السلام من عند معاوية، فلقي عبدَ الله بن الزبير، والحسين مغضَب، فذكر الحسين أن معاويةَ ظلمه في حقّ له، فقال الحسين: أخيِّره في ثلاث خصال، والرابعة الصَّيْلم: أن يجعلَك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقرّ بحقي، ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه منّي، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفنَّ بحِلْفِ الفضول. قال ابنُ الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفْتَ به وأنا قاعد لأقومنّ أو قائم / لأمشيَنَّ، أو ماشٍ لأشتدنَّ، حتى تَفْنَى رُوحي مع روحك أو ينصفك. ٩٤ ١٦

/ قال: ثم ذهب ابنُ الزبير إلى معاوية، فقال: لَقِيَني الحسين فخيَّرك في ثلاث خصالٍ، والرابعة الصَّيْلم. قال معاوية: لا حاجةَ لنا بالصَّيْلم؛ إنك لقيته مُغْضَباً، فهاتِ الثلاث، قال: تجعلني أو ابْنَ عمر بينك وبينَه، قال: فقد جعلتُك بيني وبينه أو ابْنَ عمر أو جعلتكما، قال: أو تقرّ له بحَقِّه وتسأله إياه، قال: أنا أُقِرُّ له بحَقِّه وأسأله إياه، قال: أو تشتريه منه، قال: وأنا أشتريه منه، قال: فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحُسين عليه السلام: إنْ دعاني إلى حِلْف الفضول لأجِبْتُه، فقال معاوية: لا حاجة لنا بهذا. [٢٩٧/١٧]

رجل من ثمالة يشكو أبيّ بن خلف إلى حلف الفضول

قال: وبلغني أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكرة والمِسْوَر بن مخرمة قالا للحُسين بن عليّ عليهما السلام مِثل ما قال ابنُ الزبير، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبير بن مطعم، فقال له معاوية: يا أبا محمد، أكنّا في حِلْف الفضول؟ قال: لا، قال: فكيف كان؟ قال: قدم رجل من ثُمالة فباع سِلْعةً له من أبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَحَ،

(١) في المختار: «ثم لآتينك حتى تفنى روحي مع روحك أو ينصفك»، وستأتي هذه الرواية.

فظلمه، وكان يُسِيء المخالطة فأتى الثماليُّ إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا: اذهب فأخْبِره أنك أتيتنا، فإن أعطاك حقّكَ وإلا فارجع إلينا، فأتاه فأخبره بما قال له أهلُ حِلف الفضول، قال: فأخرج إليه ماله، وأعطاه إياه بعينه، وقال:

أيأخذني في بَطْنِ مكّةَ ظالماً … أُبَيٌّ ولا قَومي لَدَيَّ ولا صَحْبِي
ونادَيتُ قومي صارخاً ليُجيبني[1] … وكم دُونَ قومي من فَيَافٍ ومن سُهْبِ[2]
ويَأبى لكم حِلفُ الفضول ظلامتي … بَني جُمحٍ والحقُّ يُؤخَذُ بالغَصْبِ

[٢٩٨/١٧] / **القيني يستصرخ عبد الله بن جدعان**

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزاميّ في أمر حِلْف الفضول غير ما رواه الزبير، قال إبراهيم: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال:

قدم أبو الطمحان القَيْنِيّ الشاعر، واسمه حنظلة بن الشرقيّ، فاستجار عَبْدَ الله بن جُدْعان التيميّ ومعه مال له من الإبل، فعَدَا عليه قومٌ مِنْ بني سَهْم فانتحروا ثلاثةً من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها، فقال: أنتم لها ولأكثر منها أهلٌ، فأخذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زماناً، ثم جلسوا على شَرابٍ لهم، فلما انتشَوا غَدَوْا على إبله فأساقوها كلها، فأتى عبدَ الله بن جُدعان يستصرخهُ، فلم يكن فيه ولا في قومه قوةٌ ببني سهم، فأمسك عنهم ولم ينصره، فقال أبو الطمحان[3]:

ألاَ حَنَّت المِرْقَالُ واشتاقَ رَبُّها … تَذَكَّرُ أرْمَاماً وأذكرُ مَعْشَري[4]
ولو عَلِمت صَرْفَ البيوع لسرَّها[5] … بمكّةَ أن تبتاعَ حَمْضاً بإذخِرِ
أجِدَّ بني الشَّرفيّ أنَّ أخاهُمُ … متى يَعتلقْ جاراً وإن عزَّ يَغْدِرِ
إذا قلتُ وافٍ أدرَكَتْهُ دُروكُه … فيا مُوزعَ الجيرانِ بالغَيِّ أقْصِرِ

ثم ارتحل عنهم.

لميس بن سعد يستجير بقريش من ظلم أبي بن خلف

ووفد لَمِيسُ بن سَعْد البارِقيّ مكة، فاشترى منه أبيّ بن خلف سلعة، فظلمه إياها، فمشى في قريش فلم يُجِرْهُ أحد، فقال:

أيظلمني مالي أبَيٌّ سَفاهةً … وبَغْياً ولا قَومي لديَّ ولا صَحْبي

---

(١) ب، س: «التجيبني»، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) السهب، بضم السين: المستوى من الأرض في سهولة. وضبط في أ بفتح السين. والسهب، بالفتح: الفلاة. «اللسان» (سهب).

(٣) الشعراء ٣٤٨، والأغاني ١١: ١٧٨.

(٤) ب، س: «أزماناً»، والمثبت يوافق ما في «اللسان» وباقي النسخ. وفي الشعراء: «واتتب ربها»، أي تهيأ للذهاب وتجهز. وأرمام: موضع بعينه.

(٥) جـ: بيثرب، والبيت في الكامل ٤٢٧، والحمض: بفتح الحاء، نبات لا يهيج في الربيع ويبقى على القيظ وفيه ملوحة، إذا أكلته الإبل شربت عليه، وإذا لم تجده رقت وضعفت. وهو فاكهة الإبل. والإذخر: الحشيش الأخضر.

ونـاديـتُ قـومـي بـارقـاً لتجيبَـنـي وكـم دونَ قـومـي مـن فيـافٍ ومـن سَهْـب

/ ورجل آخر من زبيد يستجير بقريش [١٧/٢٩٩]

/ ثم قدم رجلٌ من بني زبيد، فاشترى منه رجل من بني سَهْم يقال له: حُذيفة سلعةً، وظلمه حقّه، فصعد الزبيديّ[1] على أبي قُبيس، ثم نادى بأعلى صوته: ٧٠/١٦

يـا آلَ فِهـرٍ لمظلـوم بضـاعتُـه ببَطْـن مكّـةَ نـائي الحـيّ والنَّفَـر

يـا آلَ فهـرٍ لمظلـوم ومُضْطهَـدٍ بيـن المقـام وبيـن الـركـن والحجَـرِ

إنّ الحـرامَ لمـن تَمَّـتْ حَـرامتـه ولا حـرام لثـوب الفـاجـر الغُـدرِ

فأعظم الزُّبير بن عبد المطلب ذلك، وقال: يا قوم، إني واللهِ لأخشَى أنْ يصيبَنا ما أصاب الأُمم السالفةَ مِنْ ساكني مكّة، فمشى إلى ابْنِ جُدعان، وهو يومئذ شيخُ قريش، فقال له في ذلك، وأخبره بظُلْم بني سَهْم وبغيهم، وقد كان أصاب بني سَهْم أمران لا يشكُّ أنهما لِلْبَغْي: احتراق المقاييس منهم، وهم قيس ومَقِيس وعبد قَيْس بصاعِقَةٍ، وأقبل منهم رَكب من الشام، فنزلوا بماء يقال له القُطَيْعَة[2]، فصبُّوا فضلةَ خَمْر لهم في إناءٍ، وشربُوا ثم ناموا، وقد بقيت منهم بقيةٌ فكرع منها حيّة أسود، ثم تقيأ في الإناء، فهبّ القومُ فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأذكره هذا ومثله، فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم: بالله الغالب[3]، إنا ليدٌ واحدة على الظالم، حتى يردَّ الحق.

وخرج سائر قريش من هذا الحلف. إلا أنّ ابْنَ الزبير ادّعاه لبني أسد في الإسلام. قال: فأخبرني الواقديّ وغيره أن محمد بن جُبير بن مطعم دخل على عَبْد الملك بن مروان، فسأله عن حِلْف الفضول فقال: أما أنا وأنت / يا أمير المؤمنين فلسنا فيه، فقال: صدقت والله، إني لأعرفك بالصدق، قال: فإنَّ ابْنَ الزبير يدَّعيه، فقال: ذاك هو الباطل. [١٧/٣٠٠]

قال: وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أنّ رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حِلفٍ لخرجتُ عن قومي إلى حلف الفضول.

أقوال أخرى في سبب تسمية حلف الفضول

قال الواقديّ: قد اختلف فيه، لم سُمّي حِلْف الفضول؛ فقيل: إنه سُمّي بذلك لأنهم قالوا: لا نَدَعُ لأحدٍ عند أحدٍ فَضْلاً إلاّ أخَذْناه منه، وقيل: بل سمع بهذا بعض من لم يدخل فيه، فقال: هذا فضولٌ من الأمر.

وقال الواقديّ: والصحيح أن قوماً من جُرهم يقال لهم فَضْل وفضالة وفَضّال ومُفَضّل تحالفُوا على مِثْل هذا في أيامهم، فلما تحالفت قريش هذا الحِلْف سُموا بذلك .

(١) أ: «الزبيري»، والمثبت من باقي الأصول وهو يوافق ما في السيرة الحلبية.

(٢) أ: «الغطيفة»، تحريف.

(٣) كذا في أ، جـ، م، وفي ب، س: «القاتل».

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

يـا لَلـرِّجـال لمظلـوم بضـاعتـه ... ببَطْـن مكّـة نـائي الـدار والنفَـر
إنّ الحـرامَ لِمَـنْ تَمّـتْ حـرامتـه ... ولا حـرامَ لِثَـوْبَـيْ لابِـس الغَـدْرِ

غنّاه ابنُ عائشة، ثقيل أول بالبنصر، عن حبَش.

يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا المدائنيّ، عن ابن أبي سبرة، عن لقيط بن نصر المحاربيّ، قال:

كان يزيد بن معاوية أول مَنْ سَنَّ المَلاهِي في الإسلام مِنَ الخلفاء، وآوى المغنّين، وأظهر الفَتْك وشُرْب [٣٠١/١٧] الخمر، وكان ينادِمُ عليها سَرْجون / النَّصْرانيّ مولاه والأخطل، وكان يأتيه / من المغنّين سائب خاثر فيقيم عنده، $\frac{٧١}{١٦}$ فيخلع عليه ويَصِله، فغنّاه يوماً:

يـا لَلـرِّجـال لمظلـومٍ بضـاعتـه ... ببَطْـن مكـةَ نـائـي الأَهْـلِ والنَّفَـرِ

فاعتَرَتْهُ أريحيّة، فرقص حتى سقط، ثم قال: اخلَعُوا عليه خِلعاً يغيبُ فيها حتى لا يُرَى منه شيء، فطرحت عليه الثيابُ والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها.

[٣٠٢/١٧] / صوت

اشـربْ هنيئـاً عليـك التـاجُ مُـرْتَفِقـاً ... فـي رَأْس غُمـدانَ دَاراً منـك مِحْـلالا
تلـك المكـارمُ لا قَعْبـانِ مـن لَبَـنٍ ... شِيبَـا بمـاءٍ فعـادَا بَعْـدُ أبـوالا

عروضه من البسيط.

المرتفق: المتّكِيء على مرفقه. وغمدان: اسمُ قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن. والمِحْلال: الدار التي يحلّ فيها، أي يقيم فيها. وشِيبا: معناه خُلطا. والشوب: الخلط، يقال: شاب كذا بكذا إذا خلطهما.

الشعرُ لأُميّة بن أبي الصلت الثقفيّ[١]، وقيل: بل هو للنابغة الجعديّ، وهذا خطأ من قائله؛ وإنما أدخل النابغة البيت الثاني مِن هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين. والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى، من رواية حماد عن أبيه، وفيه لُطويس لَحْن من كتاب يونس الكاتب غير مجنّس[٢].

(١) البيتان من قصيدة في ديوانه ٥٤ في مدح سيف بن ذي يزن؛ قال في الديوان: وأكثر الرواة يرويها لأبيه، وبعضهم لجده زمعة.

(٢) بعده في نسخة أ، م: «تم الجزء الخامس عشر من كتاب «الأغاني الكبير» لأبي الفرج الأصفهاني، يتلوه بمشيئة الله وعونه في الجزء السادس عشر نسب أمية بن أبي الصلت وخبره في قول هذا الشعر».

[٣٠٣/١٧]

/ نسب أمية بن أبي الصلت

وخبره في قوله هذا الشعر

نسبه

أبو الصَّلت عبد الله بن أبي رَبيعة بن عمرو[١] بن عُقْدَة بن عنزة[٢] بن عوف بن قَسِيّ[٣]، وهو ثَقيف. شاعر من شُعَراء الجاهلية قديم. وهذا الشعرُ يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنّيه بذلك ويمدحه.

سيف بن ذي يزن يستنجد كسرى

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سَيْف بن ذِي يزَن إلى كسرى يستنجدُ عليهم أنّ مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له: ذو نُواس غَزَا أَهْلَ نجران، وكانوا نَصَارى، فحصرهم؛ ثم إنه ظفر بهم فخَدّد لهم الأخاديد، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك، فحرَّقهم بالنار، وحرق الإنجيل، وهدم بيعتهم، ثم انصرف إلى اليَمن، وأفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثُعْلُبَان على فرسٍ، فركضه حتى أعجزهم في الرَّمْل.

دوس ذو ثعلبان يستنجد قيصر

ومضى دَوْس إلى قَيْصَر ملك الرُّوم يستغيثه ويخبره بما صنع[٤] ذو نواس بنجران، ومنْ قتل من النصارى، وأنه خرب كنائسهم، وبقر النساء، وهدم الكنائس، فما فيها ناقوس يُضْرب به. فقال له قَيْصَر: بَعُدَتْ بِلادي عن بلادكم، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم. قال دَوْس ذو ثُعْلُبان؛ فذاكَ إذاً، قال قيصر: إن هذا الذي أصنعه[٥] بكم أذلّ للعرب أن / يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم، ولا ألسنتهم على ألسنتهم، فقال الملك: أَنْظَرُ لأهل دِينه إنما هم خَوَلُه. [٣٠٤/١٧]

قيصر يكتب إلى ملك الحبشة بنصرة دوس

فكتب إلى ملك الحبشة أن انصر هذا الرجل الذي جاءَ يستنصرني، واغضب للنصرانية، فأوطىء بلادَهم الحبشة.

أرياط يخرج في جيش كبير إلى اليمن

فخرج دوس ذو ثُعْلُبان بكتابِ قَيْصَر إلى ملك الحبشة، فلما قرأ كتابَه أمر أرياط ـ وكان عظيماً من

---

(١) مختار الأغاني والإصابة (القسم الرابع، حرف الهمزة): «بن عوف».
(٢) في الإصابة: غيرة، وفي جـ، م: «غمرة».
(٣) كذا في ب، جو الشعراء، وفي أ، م: «قيس».
(٤) أ: «ويخبره ما صنع».
(٥) أ: «صنعت».

عُظَمائهم[١] ـ أنْ يخرجَ معه فينصره. فخرج أرياط في سبعين ألفاً من الحبشة، وقوّد على جُنْدِه قوّادا من رؤسائهم، وأقبل بفيله، وكان معه أبرهة بن الصباح. وكان في عَهْدِ ملك الحبشة إلى أرْياط: / إذا دخلْتَ اليمن فاقْتُلْ ثلث رجالها، وخرب ثلث بلادها، وابعث إليّ بثلث نسائها.

٧٢
١٦

فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر، وعبر بهم حتى وردَ اليمن، وقد قدّم مقدمات الحبشة، فرأى أهل اليمن جُنداً كثيراً، فلما تلاحقوا قام أرياط في جُنْدِه خطيباً فقال: يا معشر الحبشة، قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادِكم أبداً، هذا البحر بين أيديكم إنْ دخلتُموه غَرِقتُم، وإن سلكتم البَرّ هلكتم، واتخذتكم العربُ عَبِيداً، وليس لكم إلاّ الصبر حتى تموتوا أو تَقتلوا عدوَّكم.

انتصار أرياط على ذي نواس

فجمع ذو نُواس جَمْعاً كثيراً، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدولةُ للحبشة، فظفر أرياط، وقتل أصحاب ذي نُواس، وانهزموا في كل وَجْه. فلما تخوّف ذو نواس أنْ سيُؤْسَرُ ركض فرسَه، واستعرض به البحر، وقال: الموت بالبحر أحسن من إسار أسود، ثم أقحم فرسَه لُجّةَ البحر، فمضى به فرسُهُ، وكان آخر العهد به.

[٣٠٥/١٧] / ثم خرج إليهم ذو جَدن الهَمْدانيّ في قومه، فناوشهم، وتفرّقت عنه همدان، فلما تخوّف على نفسه قال: ما الأمر إلاّ ما صنع ذو نُواس، فأقحم فرسه البحر، فكان آخر العهد به.

ودخل أرياط اليمن، فقَتل ثلثاً، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة، وخرب ثلثاً، وملك اليمنَ، وقَتَل أهْلَها، وهدم حُصُونَها، وكانتْ تلك الحصونُ بنَتْها الشياطين في عَهْد سليمان لبِلْقِيس، واسمها بَلْقَمَة، وكان مما خرب مِنْ حصونهم: سلحون، وبينون، وغُمْدان، حصوناً لم يُرَ مثلها. فقال الحميريّ[٢]، وهو يذكر ما دخل على حِمْير من الذلّ:

هــونـكَ أيــن تــرُدُّ العَيْــنُ مـا فــاتــا ... لا تهلِكَــنْ أسفـاً فـي إثْـر مــن فــاتــا

أبعــــدَ بَيْنُــــونَ لا عَيْــــنٌ ولا أثَــــر ... وبعــد سَلْحُــون يَبْنِـي النـاسُ أبيــاتــاً!

قال: فلما ظفر أرْياط أخذ الأموال، وأظهر العَطاء في أهل الشرف، فغضبت الحبشةُ حين أعطى أشرافهم، وترك أهل الفقر منهم، واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في العمل، وكلّفهم ما لا يُطيقون، فجزع من ذلك الفقراءُ، وشكا ذلك بعضُهم إلى بعض، وقالوا: ما نرانا إلاّ أذِلّة أشقياء أينما كنّا، إن كان قتال قُدِّمنا في نحورِ العدوّ، وإن كان قَتْل قتلنا، وإن كان عَمَل فعلينا، والبلايا علينا، والعطايا لغيرنا، مع ما يُقْصِينا ويجفونا.

---

(١) أ: «أمر إرياط عظيماً».

(٢) هو ذو جدن الحميري؛ كما في البلدان (بينون)، والبيتان مع آخر هناك، والرواية فيه:

لا تهلكــن جــزعـاً فــي إثــر مــن مــاتــا ... فــإنــه لا يــرد الــدهــر مــا فــاتــا

وفي أ، جـ: «... في إثر ما فاتا»، والشعر في الطبري ٢: ١٢٥، وفيه: «... يرد الدمع... لا تهلكي»، وفي «ياقوت» (سلحين):

يـا خلتـي مـا يـرد الـدمـع مـا فـاتـا ... لا تهلكـي أسفـاً فـي إثـر مـن فـاتـا

[٣٠٦/١٧] / **أبرهة يحرض فقراء الحبشة على أرياط**

فقال لهم عِنْد ذلك رجلٌ من الحبشة يقال له أبرهة مِنْ قُوَّاد أرياط: لو أن رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأسلَمْتُمُوه حتى يُذْبَح كما تُذْبَحُ الشاة. قالوا: لا والمسيح، ما كنّا نسلمه أبداً، فواثقوه بالإنجيل ألاّ يسلموه[1] حتى يموتوا عن آخرهم.

فنادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أنَّ أبا أصحم أبرهة جمع لك الجموعَ، ودعا الناسَ إلى قِتالك. قال: أوَ قَد فَعل ذلك أبْرَهة، وهو ممن لا بَيْتَ له في الحبشة! وغضب أرياط غضباً شديداً، وقال: هو أذْنَى مِنْ ذلك نَفْساً وبيتاً، هذا باطل.

قالوا: فأرسل إليه؛ فإنْ أتاك فهو باطل، وإن لم يَأتك فاعلم أنه كما يقال، فأرسل إليه: أجِب الملك أرياط. فجثا أبرهة على رُكبتيه وخَرّ لوجهه، وأخذ عُوداً من الأرض فجعله في فِيه، وقال للرسول: اذهَبْ إلى الملك فأخبره بما رأيْتَ مني، أنا أخلعه؟ أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك! وأنا آتيه على أربع قوائم بحسابِ البهيمة.

فرجع الرسولُ إلى الملك فأخبره بالخبر، / فقال: ألم أقُلْ لكم؟ قالوا: الملك أعقل وأعلم منّا. ٧٣/١٦

فلما وَلّى الرسولُ من عند أبرهة وتوارَى عنه صاحَ أبرهة في الفقراء من الحبشة، فاجتمعوا إليه معهم السلاح، والآلةُ التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مُدن اليمن: المعاول والكَرَازِين[2] والمَسَاحِي، ثم صفّوا صفّاً، وصفّوا خَلْفَه آخر بإزائه. فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يَرَى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال، وأتى الرسولُ أرياط فأخبره بما صنع أبرهة، ركب في الملوك ومَنْ تَبِعه / من أتباعهم، فلبسوا السلاحَ وجاءُوا بالفِيَلة، وكان معه سبعة فِيَلة، حتى إذا دنا بعضُهم من بعض برزَ أبرهةُ بين الصَّفَّين، فنادى بأعلى صوته: يا مَعْشَر الحبشة، الله ربُّنا، والإنجيل كتابُنا، وعيسى نبيُّنا، والنجاشيّ مَلِكنا، علامَ يَقْتُلُ بعضُنا بعضاً في مَذْهب النصرانية؟ هذا رجلٌ وأنا رجل فخَلّوا بيني وبينه، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثَرة الأغنياء وهلاك الفقراء، وإنْ قَتَلْتُه سلمتم وعملتُ فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت. [٣٠٧/١٧]

فقال الملوك لأرياط: قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى، وقد أبيت[3] إلاّ حُسن الرأي فيه، وقد أنصفك. وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة، وكان جميلاً، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجُمَّة[4]، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبن، فبرز بين الصفَّين، ومشى أحدهما إلى صاحبه، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامَّة أنفه، ووقع بين رِجْلَيْ أرياط، فعمد أبرهة إلى عمامته فشدّ بها وجهه، فسكن الدَّمُ والتأم الجرح، وأخذَ عوداً وجعله في فِيه، وقال: أيها الملك، إنما أنا شاة فاصنَعْ ما أردْتَ، فقد أبصرتُ أمري. ففرح أرياط بما صنع، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً، وجعله في بَطْن فخذه، كأنه خافِية نَسر.

---

(١) كذا في أ، حـ وفي ب، س: «لا يسلموه».
(٢) الكرزن، بالفتح، وقد يكسر، والكرزين: فأس كبير.
(٣) كذا في أ، حـ، وفي ب، س: «أبنت أحسن الرأي فيه».
(٤) الجمة، بضم الجيم: مجتمع شعر الرأس.

أبرهة يقتل أرياط ويتولى ملك اليمن

فلما رأى أبرهة أنَّ أرياط قد أفلت عنه، وهو ينظرُ يميناً وشمالاً؛ لئلاّ تراه ملوكُ الحبشة، استلَّ خنجره فطعنه طعنة في فرج دِرْعه فأثبته[1]، وخَرَّ أرياط على قفاه، وقعد أبرهة على صَدْره فأجهز عليه. فسمى أبرهة الأشرمَ بتلك الضَّرْبةِ التي شرمت وَجْهَه وأنفَه.

فملك أبرهة عشرين سنة، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم، ثم أخوه مسروق بن أبرهة، وأمه ريحانة امرأة ذِي يزن أمّ سيف بن ذي يزن الحميريّ.

[١١/٣٠٨] / **سيف بن ذي يزن يسعى لتخليص اليمن من حكم الحبشة**

[فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميريّ][2] فكلّمُوه في الخروج، وقالوا إنّا نجد فيما روت حمير[3] عن خبر لسطيح أنه يوشكُ أنّ هذا البلاءَ يفرج بيَدِ رَجُل من أهْل بَيْتِك ابن ذي يزن، وقد رَجَوْنا أنْ ندرِكَ بثأرنا، فأنْعَم لهم. فخرج إلى قيصر ملك الروم، فكلّمه أن ينصُرَه على الحبشة، فأبى، وقال: الحبشة على دِيني ودِين أهل مملكتي، وأنتم على دين يهود، فخرج من عنده يائساً.

النعمان يصحب سيفاً إلى كسرى

فخرج عامِداً إلى كسرى، فانتهى إلى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه، فأخبره بما لَقِيَ قومُه من الحبشة، فقال: أقم؛ فإنَّ لي على الملك كسرى إذْناً في كلّ سَنة، وقد حان ذلك.

فلما خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كِسرى، فقال: غُلِبنا على بلادنا، وغَلَب الأحابيش علينا، وأنا أقربُ إليك منهم، لأني أبيض وأنت أبيض، وهم سودان. فقال: بلادك بلادٌ بعيدة، ولا أبعثُ معك جَيْشاً في غير منفعة، ولا أمرٍ أخافُه على ملكي.

فلما أيأسه من النّصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كُساً.

[٧٤/١٦] فلما خرج بها من باب / كسرى نَثَرها بين الصِّبْيان والعبيد، فرأى ذلك أصحابُ كسرى، فقالوا ذلك له؛ فأرسَل إليه: لِـمَ صنعْتَ بجائزة الملك؟ تَنْثُرها للصِّبْيان والناس؟ فقال سَيْف: وما أعطاني الملك! جِبالُ أرضى ذهب وفضّة، جئتُ إلى الملك ليمْنَعِني من الظُّلْم، ولم آتِه ليعطيني الدراهم، ولو أردْتُ الدراهم كان ذلك في بَلَدِي كثيراً.

[١١/٣٠٩] فقال كسرى: أنْظرُ في أمرك. فخرج سيف على طمع، وأقام عنده / فجعل سيف كلما ركب كسرى عَرض له، فجمع له كِسْرى مَرَازِبته، وقال: ما تَرَوْن في هذا العربيّ، وقد رأيتُه رَجُلاً جَلْداً؟ فقال قائل منهم: إن في السجون قوماً قد سجنهم المَلِك في مَوْجِدةٍ عليهم، فلو بعثهم الملكُ معه فإن قُتلوا استراح منهم، وإن ظفرُوا بما يُرِيد هذا العربيّ فهو زيادة في مُلْك الملك. فقال كسرى: هذا الرأي.

---

(١) أثبته: جعله لا يقدر على الحراك. ورواية «الطبري» أن الذي طعنه غلام أكمنه أبرهة.

(٢) تكملة من المختار.

(٣) كذا في أ، ما وفي ب، س، جـ، م: «في هاروت»، تصحيف.

كسرى يعين سيفاً بجيش يقوده وهرز

وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل، فولّى أمرهم رجلاً معهم يقال له وَهْرِز، وكان رامياً شجاعاً مع مكانة في الفرس، وجهَّزهم، وأعطاهم سلاحاً، وحملهم في البَحر في ثماني سُفن، فغرقت سفينتان، وبَقي مَنْ بقِي وهم ستمائة رجل؛ فأرْسَوْا إلى ساحل عَدَن، فلما أرسوا قال وهرز لسيف: ما عندك، فقد جئنا بلادَكَ؟ فقال: ما شئْتَ مِن رجل عَرَبيّ وفرس[1] عربي، ثم اجعل رَجُلي مع رَجُلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً.

قال وهرز: أنصفْتَ. فاستجلب سيف مِن استطاع من اليمن، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة، وقد سمع بهم مسروق وبتَعْبيتهم، فجمع إليه جُنْدَه من الحَبشة، وسار إليهم، والْتَقَى العَسْكران، وجعلت أمدادُ اليمنِ تثوبُ إلى سيف، وبعث وهرز ابْناً له كان معه على جريدة خَيْل، فقال: ناوِشُوهم القتال، حتى ننظر قتَالهم، فناوشهم ابْنُه، وناوشوه شيئاً من قتال، ثم تورّط ابْنُه في هلكة لم يستطع التخلُّص منها؛ فاشتملوا عليه فقتلوه، فازْدَادَ وهرز عليهم حَنَقاً. وسيء العرب، وفرحت الحَبَشة، فأظهروا الصليب، فوتَّر وهرز قَوْسَه، وكان لا يقدر أن يوتّرها غيره.

وهرز يقتل مسروقاً

وقال وهرز والناس في صفوفهم: انظروا أين تَرون ملكهم؟ قال سيف[2]: أرى رجلاً قاعداً على فيل تاجُه على رأسه، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء. قال: ذلك ملكهم. وقال وهرز: اتركوه. / ثم وقف طويلاً، ثم قال: انظروا هل تحوَّل؟ قالوا: قد تحوّل على فرس. قال: هذا منه اختلاط. ثم وقف طويلاً، وقال: انظروا هَلْ تحوّل؟ قالوا: قد تحول على بغلة، فقال: ابنةُ الحِمار، ذلَّ الأسود وذلّ مُلْكُه، ثم قال لأصحابه: نَقْتُله[3] في هذه الرَّمْيةِ، تأمَّلُوا النشّابة، وأخَذَ النشّابة وجعل فُوقَها في الوتر، ثم نزَع فيها حتى ملأها، وكان أيِّداً[4]، ثم أرسلها فصكّت الياقوتة التي بَين عيني ملكهم مسروق، فتغلغلت النشّابة في رَأسِه حتى خرجت مِن قَفاه، وحملت عليهم الفُرْسُ، فانهزمت الحبشة في كل وَجْه، وجعلت حمير تقتلُ مَنْ أدركوا منهم، وتُجْهز على جَرِيحهم. [١٧/١٠]

وهرز يدخل صنعاء ويملك اليمن

وأقبل وَهْرز يريدُ أنْ يدخل صنعاء، وكان موضعهم الذي التَقَوا فيه خارجَ صنعاء، وكان اسم صنعاء: أزال[5]، فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها، فقالت: صَنْعَة؛ فسميت صَنْعاءَ، وكانت صنعاء مدينة لها بابٌ صغير يُدْخَلُ منه، فلما دنا وَهْرز من باب المدينة رآه صغيراً، فقال: لا تَدْخُلُ رايتي منكّسة، اهدموا البابَ، فهُدم بابُ صنعاء، ودخل ناصباً رايَتَه وسِيرَ بها بين يديه. فقال سَيْفُ بن / ذي يزن: ذهب مُلْكُ حمير آخِرَ الدهر، لا يرجع إليهم أبداً. [٧٥/١٦]

فملك وهرز اليمن، وقهر الحبشة، وكتب إلى كسرى يُخْبره: إني قد ملكْتُ للملك اليَمن، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم، وبعث بجَوْهر، وعَنْبر، ومال، وعُود، وزَباد[6]، وهو جلود لها رائحةٌ طيِّبة.

---

(١) المثبت في أ، م، حـ، وفي ب، س: «قوس»، تصحيف.
(٢) في «ما» ما يفيد أن سيف بن ذي يزن هو الذي سأل.
(٣) المثبت في أ، م، وفي ب، س، جـ: «قتلته».
(٤) أيّدا: قويًّا.
(٥) ب، س: «إيال»، والمثبت من «ما» وهو يوافق ما في معجم البلدان عن الزجاجي.
(٦) الزباد: طيب يجلب من دابة كالسنور يقال لها: قط الزباد.

كسرى يأمر وهرز أن يملّك سيفاً اليمن

فكتب كسرى يَأْمُره أنْ يملّك سيفاً، ويقدم وَهْرزُ إلى كسرى.

فخلّف على اليمن سيفاً، فلما خلاَ سيفٌ باليمن وملكها عَدَا على الحبشة، فجعل يَقْتل رِجالها ويبقر نساءَها عمّا في بطونها، حتى أفناها إلّا بقايا منها / أهل ذلةٍ وقلة، فاتَّخذهم خَولاً، واتخذ منهم جمّازين[1] بحرابهم بين يَدَيْه. [٣١١/١٧]

الحبشة يغتالون سيفاً

فمكث كذلك غَير كثير، وركب يوماً وتلك الحبشةُ معه، ومعهم حرابُهم يَسْعَون بها بين يديه، حتى إذا كان وسطاً منهم مالُوا عليه بحِرَابهم فطعنوه بها حتى قَتَلُوه.

وكان سيف قد آلى ألاّ يشرب الخمر، ولا يمسّ امرأةً حتى يدركَ ثأره من الحبشة، فجُعلت له حُلّتان واسعتان فأتزر بواحدة، وارتدى الأخرى، وجلس على رأس غُمدان يشرب، وبرَّت يمينه. وخرج بعد ذلك يتصيّد فقتَلَته الحبشة.

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة، وملك يكسوم تسع عشرة سنة، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة، فهذه أربع وسبعون سنة.

وكان قدومُ أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجار بعشر سنين، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين، ورسول الله ﷺ ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها؛ لأنَّ رسول الله ﷺ وُلِدَ بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة.

وفود العرب تقدم على سيف لتهنئته بالنصر

ونسخت خَبَر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان، قال: حدثنا الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وحدثني به محمد بن عمران المؤدّب بإسنادٍ لسْتُ أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبيّ فيه، فاعتمدت هذه الرواية، قال:

[٣١٢/١٧] لما ظفر سيف بن ذِي يَزَن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي / ﷺ بسنتين أَتَتْه وفود العربِ وأشرافُها لتهنِّيه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأرِ قومه؛ فأتَتْهُ وفودُ العرب من قريش، فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وخويلد بن أسد، في ناسٍ من وجوه قريش، فأتوه بصَنْعاء، وهو في رَأس قَصْرٍ له يقال له: غُمدان، فأخبره الآذِنُ بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا عليه وهو على شرابه، وعلى رَأْسِه غلامٌ واقف يَنْثر في مفرقه المسك، وعن يمينه ويساره الملوك والمقَاول، وبين يديه أمية بن أبي الصلت الثقفيّ ينشده قوله فيه هذه الأبيات[2]:

---

(١) الجمازون: العداءون بحرابهم أمام موكب الملك.

(٢) ديوانه ٥١، والطبري ١: ١٤٧، وابن هشام ١: ٦٩ وفيه: «وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي. قال ابن هشام: وتروى لأمية بن أبي الصلت».

أمية يمدح سيفاً والفرس

لا يطلُبُ الثأر إلاّ كابْنِ ذي يَزَنٍ[١] في البَحْر خيَّم للأعداءِ أحوالا[٢]
أتى هِرَقلَ وقد شالَتْ نَعامَتُهُ فلم يَجِدْ عنده النّصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كِسْرَى بعد عاشرة من السِّنينَ يُهينُ النفسَ والمالا[٣]
حتى أتى[٤] بِبَني الأحرار يَقْدُمُهم تخالُهم فوقَ مَتْنِ الأرض أجبالا
لله دَرُّهُم مِنْ فِتْيَةٍ صَبَروا ما إن رأيتَ[٥] لهم في الناس أمثالا
بيضٌ مَرَازِبَةٌ غُلْبٌ أساوِرَةٌ أسْدٌ تُرَبِّبُ[٦] في الغَيْضاتِ أشبالا
/ فالْتَطْ[٧] من المسك إذ شالت نَعامتهم وأسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيك إسبالا [١٣/١٧ ٢٦ ١٦]
واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً في رأس غُمْدَانَ داراً منك مِحْلالا
تلك المكارم لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بماءٍ فعادَا بعدُ أبوالا

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سَيْفِ بن ذي يزن، وهم إلى الآن يسمّون بني الأحرار بصنعاء، ويسمون باليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة؛ وبالبَصْرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة.

عبد المطلب يهنىء سيفاً، وسيف يرحب به وبمن معه

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: إنْ كنتَ ممن يتكلم بين يدي الملوك، فقد أذِنَّا لكَ، فقال عبد المطلب: إنَّ الله قد أحلَّك أيُّها الملك مَحَلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طَابَتْ أرومته، وعزَّت جرثومته، في أكرم موطن، وأطيب معدن؛ فأنت ـ أبيتَ اللعن ـ مَلِكُ العرب، وربيعها الذي به تُخصِب، وأنتَ أيُّها الملك رأسُ العرب الذي له تَنْقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، فسلَفك لنا خَيْرُ سلف، وأنْتَ لنا منهم خير خلف، فلم يَخمُل مَنْ أنت خَلَفُه، ولن يهلك من أنت سَلَفُه نحن أهْلُ حرم الله وسَدَنَةُ بيته، أشخَصنا إليك الذي أبهجنا؛ لكشفك الكرب الذي فَدحنا، فنحن وفودُ التَّهْنِيَةِ لا وفود المَرْزِيَة.

قال: وأيّهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابْن أُختنا؟ قال: نعم. فأدْناه حتى أجْلَسه إلى جَنْبه، ثم أقبل على القَوْم / وعليه، فقال: مرحباً وأهلاً، وناقةً ورَحْلاً، ومستناخاً سهلاً، ومَلِكاً رِبَحْلا[٨]، يُعْطى عطاءً جَزْلاً، قد سمع الملكُ مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقَبِل وَسِيلتكم، وأنتم أهلُ الشرف والنَّباهة، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحِباء إذا ظعنتم. [٤/١٧]

(١) في الديوان: «ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزن». وفي ابن هشام: «ليطلب الوتر أمثال».
(٢) أ: «خيم في البحر للأحباب».
(٣) في الديوان: «من السنين لقد أبعدت إيغالا».
(٤) أ: «حتى انتحى».
(٥) في الديوان: «... من عصبة خرجوا... ما إن ترى».
(٦) في الديوان: «غر جحاجحة بيض مرازبة... تربب»، وفي ابن هشام: «أسداً تربب».
(٧) الديوان: «واطل بالمسك».
(٨) ربحلا: عظيم الشأن.

سيف يسر إلى عبد المطلب بأمارات ظهور النبي ﷺ

ثم استُنهضوا إلى دارِ الضيافة والوفود، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الانصراف، وأجرَى لهم الأنزال[1]. ثم انتبه لهم انتباهةً، فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه، وأخلى مجلسه، ثم قال: يا عبد المطلب، إني مفوِّض إليكَ مِنْ سرّ علمي أمْراً لو يكون غيرك لم أبُحْ به إليه، ولكني رأيتُك موضِعَه، فأطلعتك طِلْعَه؛ فليكن عندك مطويًا حتى يأذَنَ الله فيه، فإنَّ اللهَ بالغ أمره.

إني أجِدُ في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحْتَجَنَّاه دُونَ غيرنا، خَبَراً عظيماً، وخَطراً جسيماً، فيه شَرَفُ الحياة، وفضيلةُ الوفاء للناس عامة، ولِرَهْطِك كافة، ولك خاصة.

قال عبد المطلب: مِثلك أيّها الملك مَنْ سَرَّ وبَرَّ، فما هو فداك أهْل الوبر، زُمَراً بعد زمر؟ قال ابنُ ذي يزن: إذا وُلِد غلامٌ بتهامة، بين كتفيه شَامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزَّعَامة، إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافد، ولولا هَيْبَةُ الملك وإكرامه وإعظامه لسألتُه أنْ يزيدني في البشارة ما أزداد به سروراً. قال ابن ذي يَزَن: هذا حينه الذي يُولَد فيه، أو قد وُلِد؟ اسمه محمد ﷺ، يموتُ أبوه وأمه، ويكفله جَدّه وعمّه، قد ولدناه[2] / مِرَاراً، والله باعِثهُ جهاراً، وجاعلٌ له منّا أنصاراً، يُعزُّ بهم [٣١٥/١٧] أولياءه، ويُذِل بهم أعداءه، يضربُ بهم الناسَ عن عُرُض، / ويستبيح بهم كرائمَ الأرض، يُخمد النيران، ويدْحَرُ [٧٧/١٦] الشيطان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله فَصْل، وحُكْمُهُ عَدْل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: أيها الملك، عَزّ جَدُّك، وعَلا كَعْبُك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك مُخْبِري بإفصاح، فقد أوضح لي بعضَ الإيضاح.

فقال ابنُ ذِي يزن: والبيتِ ذي الحُجُب، والعلامات على النُّصُب، إنك يا عبد المطلب، لَجَدُّه غير الكذب.

يطلب من عبد المطلب أن يكتم أمر محمد ويحذره من اليهود

فخرّ عبْدُ المطلب ساجداً، فقال له: ارفَعْ رأسك، ثلج صدْرُك، وعلا أمرُك؛ فهل أحسستَ شيئاً مما ذكرتُه لك؟ فقال عبد المطلب: أيها الملك! كان لي ابنٌ، وكنت به معجَباً، وعليه رفيقاً، زوّجْتُه كريمةً مِنْ كرائم قومي، اسمها آمنة بنت وهب؛ فجاءت بغلام سمّيْتُه محمداً، مات أبوه وأُمه؛ وكفلته أنا وعمه. قال: الأَمْرُ ما قلت لك؛ فاحتفِظْ بابنك، واحذر عليه من اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعلَ اللهُ لهم عليه سبيلاً، واطْوِ ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك؛ فإني لا آمَن أنْ تدخُلَهم النَّفَاسة مِنْ أن تكونَ له الرياسة؛ فينصبون له الحبائل، ويطلبون له الغوائل، وهم فاعلون وأبناؤهم، وبطيءٌ ما يُجيبه قومُه؛ وسيَلْقَى منهم عَنَتاً، والله مُبْلِج حجّته؛ ومُظهر دعْوَتَه، وناصر شيعته، ولولا أني أعلم أنَّ الموت مجتاحي قبل مَبْعثه لَسِرْتُ بخَيْلي ورَجلي؛ حتى أصيِّر يثرب دارَ مُلْكي؛ فإني أجدُ في / الكتاب المكنون أنَّ بيثرب استحكامَ أمره، وأهل نصرته، وموضع قَبْره؛ ولولا أني أتوقَّى عليه [٣١٦/١٧]

(١) النزل: ما هيىء للضيف، وجمعه أنزال.
(٢) المختار: «قد وجدناه مراراً»، وفي ما: «قد ولدناه سراراً».

الآفات، وأحذَرُ عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنّه أمرَه، ولكني صارفٌ ذلك إليك من غير تقصيرٍ مني بمَنْ معك.

يجزل العطاء لعبد المطلب وصحبه

قال: ثم أمر لكلّ رجل بعشرة أَعْبُد، وعشرة إماء، ومائة من الإبل وحُلّتين برُوداً، وخمسة أرطال ذهباً، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوءة عَنْبَراً، ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك.

وقال: يا عبد المطلب، إذا حال الحَوْلُ فائْتِني. فمات ابنُ ذي يَزَن قبل أنْ يحولَ الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك، وإنْ كثُر؛ فإنه إلى نَفَاد، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفُه وذِكْرُه إلى يوم القيامة. فإذا[1] قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأَ ما أقولُ، ولو بَعْدَ حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس[2]:

جلبْنـا النُّصحَ تحملـه المَطـايـا ... إلـى أكـوارِ أجمـالٍ ونُـوقِ
مغلغلـةً مـرافِقُهـا ثِقـالاً ... إلـى صنعـاءَ مِـنْ فـجٍّ عَميـق
تَـؤُمُّ بنـا ابْـنَ ذِي يَـزن ونُهـدي ... مَخالِبَهـا إلـى أمَـمِ الطـريـق[3]
/ فلمـا وافقـتْ[4] صَنْعـاءَ صـارَتْ ... بـدارِ المُلْـكِ والحَسَـب العَـرِيـقِ

[٣١٧/١٧]

أحمد بن سعيد المالكي يغني طاهر بن الحسين شعر أمية في سيف

أخبرني عليّ بن عبد العزيز، قال: حدثني عبدُ الله بن عبد الله بن خُرّداذْبة، قال:

كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكيّ، أحد القواد مع طاهر بن الحُسين بن عبد الله بن طاهر، فكان معه بالريّ، وكان مع محلّه مِنْ خدمة السلطان مُغَنّياً حسن الغناء، وله صنعةٌ، فحضر مجلس طاهر بن عبد الله، وهو متنزّه بظاهر الريّ بموضع يعرف بشاذَمِهْر، وقيل: بل / حضره بقَصْرِه بالشاذِياخ[5]، فغنّى هذا الصوت:

[٧٨/١٦]

اشْـرَبْ هنيئـاً عليـكَ التـاجُ مُـرْتَفِقـاً ... في رأس غمدان .... البيت

فقال ابنُ عبّاد الرازيّ في وَقْتِه من الشعر مِثْلَ ذلك المعنى، وصنع فيه، وغنّى فيه أحمد بن سعيد لَحْناً من خفيف الرمل وهو[6]:

---

(١) س: «فإذ».

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٣.

(٣) في الديوان:

تـؤم بهـا ابـن ذي يـزن وتفـري ... بطـون خفـافهـا أم الطـريـق

وفي أ: «مخالتها».

(٤) الديوان: «فلما وافت» ٤٣.

(٥) الشاذياخ: مدينة نيسابور، أم بلاد خراسان.

(٦) البلدان (شاذياخ).

صـوت

اشـرب هنيئـاً عليـك التـاجُ مُـرْتَفِقـاً ... بـالشـاذيـاخ ودَعْ غُمْـدَان لِلْيَمَـنِ
فـأنـتَ أوْلَـى بتـاج المُلْـك تَلْبَسُـه ... مِـنْ هَـوْذَةَ بـن علـيّ وابـن ذي يـزَن[١]

فطرب طاهر، فاستعاده مرات، وشرب عليه حتى سكر، وأسنَى لأحمد بن سعيد الجائزةَ.

هوذة بن علي ويوم الصفقة

أما ذكره هَوْذة بن عليّ ولبسه التاج؛ فإنَّ السببَ في ذلك أنّ كسرى تَوَّج هَوْذَةَ بن عليّ الحنفيّ، وضمَّ إليه جيشاً من الأساورة، فأوقع ببني تميم يوم الصَّفْقة[٢].



(١) في البلدان: «. . . من ابن هوذة يوماً وابن ذي يزن».
(٢) يوم الصفقة كان لهوذة بن علي الحنفي على بني تميم، البلدان (صفقة).

/ [يوم الصفقة] [٣١٨/١٧]

أخبرني بالسبب في ذلك عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكّريّ، قال: حدثنا ابنُ حبيب ودِماذ، عن أبي عُبيدة، قال ابنُ حبيب: قال أبو سعيد: وأخبرنا إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: وأخبرني ابن الأعرابيّ، عن المفضل، قال أبو سعيد، قالوا جميعاً:

كان من حديث يوم الصَّفْقة[1] أنّ باذام[2] عاملِ كِسرى باليمن بعث إلى كِسرى عيراً تحمِلُ ثياباً من ثيابِ اليمن، ومِسْكاً وعَنْبَراً، وخُرجين فيهما مناطق مُحلاَّة، وخُفراء تلك العير فيما يزعُم بَعْضُ الناس بنو الجُعَيْد المرادِيُّون. فساروا من اليمن لا يَعْرِضُ لهم أحد، حتى إذا كان بحَمَضَ[3] مِنْ بلاد بني حنظلة بن يربوع[4] وغيرهم، أغاروا عليها فقتلوا مَنْ فيها مِنْ بني جُعيد والأساوِرة، واقتسموها، وكان فيمن فعل ذلك ناجيةُ بن عقال، وعتبة[5] بن الحارثِ بن شهاب، وقَعْنب بن عتّاب، وجَزْء بن سعد، وأبو مليل عبد الله بن الحارث، والنَّطِف بن جبير، وأسيد بن جُنادة، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجَر مع كزارجر المكعبر، فساروُا إلى بني حنظلة بن يربوع، فصادَفُوهم على حَوْضٍ، فقاتلوهم قتالاً شديداً، فهُزِمت الأساورة، / وقُتِلوا قتْلاً شديداً ذَرِيعاً، ويومئذ أخذ النَّطِفُ [٣١٩/١٧] الخُرجَيْن اللذيْن يُضْرَبُ بهما المَثَل[6].

فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضَباً، وأمر بالطعام فادُّخر بالمشقَّر ومدينة اليمامة، وقد أصابت الناسَ سنةٌ شديدة، ثم قال: مَنْ دخلها مِن العرب فأَميروه ما شاء[7].

فبلغ ذلك الناس، قال: وكان أعظم مَنْ أتاها بنو سَعْد، فنادى منادِي الأساوِرة: لا يدخلها عَرَبيّ بسلاح، فأُقيم بَوّابُون على باب المشقّر، فإذا جاء الرجلُ ليدخلَ قالوا: ضَعْ سلاحك، وامْتَرْ، واخرُجْ من الباب الآخر؛ فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله، فيزعمون أنَّ خَيْبَريّ بن عبادة بن النوال بن مرة بن عُبَيْد ـ وهو مُقاعس ـ قال: يا بني تميم؛ ما بَعْدَ السلب إلاّ القَتْل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون، فانصرف منهم مَنِ انصرف مِنْ بقيَّتهم، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم. هذا حديث المفضَّل.

وأما ما وجد عن ابن الكلبيّ في كتاب حمّاد الراوية، فإن كسرى بعث إلى عاملِه باليمن بعِير، وكان باذَام[8]

---

(١) البلدان (صفقة) والطبري ٢: ١٦٩، وابن الأثير ١: ٢٧٥، والعقد ٥: ٢٢٤.

(٢) في الطبري: «بعث وهرز بأموال وطرف».

(٣) ب، س: «حمصي»، جـ: «حمضي» والمثبت من م.

(٤) في الطبري: «فلما صارت في بلاد يربوع».

(٥) أ، م: «والمنطف بن خيبري».

(٦) يقال: أصاب كنز النطف. وانظر الطبري ٢: ١٦٩.

(٧) أميروه: أعطوه الميرة.

(٨) ب، س: «باذان»، والمثبت من أ، جـ، وهو يوافق ما في البلدان أيضاً.

على الجَيْش الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نبعاً[1]، فكانت تُبَذْرَقُ[2] من المدائن حتى تدفعَ إلى النعمان، / ويبذرقها النعمان بخُفَراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعَها إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفي، فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة، ثم تدفع إلى سَعْد، / وتجعل لهم جِعالَة، فتسير فيها، فيدفعونها إلى عُمّال باذام باليمن.

٧٩ ١٦ [٣٢٠/١٧]

فلما بعث كسرى بهذه العير قال هَوْذة للأساورة: انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه؛ فأنا أكفيكم أمْرَهم، وأسير فيها معكم، حتى تبلغوا مَأمنكم، فخرج هوذة والأساورةُ والعير معهم مِنْ هَجَر، حتى إذا كانوا بنَطاع بلغ بني سَعْد ما صنع هَوْذَة، فساروا إليهم، وأخذوا ما كان معهم، واقتسموه وقتلوا عامّةَ الأساورة، وسلبوهم، وأسروا هَوْذة بن عليّ، فاشترى هوذةُ نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هَجَر، فأخذوا منه فداءَه، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد:

ومِنَّا رئيسُ القَومِ ليلةَ أدلَجُوا ... بهَوْذَةَ مقرونَ اليدين إلى النَّحْرِ
ورَدْنا به نَخْلَ اليمامةِ عانِياً ... عليه وَثاقُ القِدِّ والحَلَقِ السُّمْرِ

فعمد هَوْذَةُ عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد، وكانوا قد سُلبوا، فكساهم وحملهم، ثم انطلق معهم إلى كسرى، وكان هَوْذَةُ رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً، فدخل عليه فقصَّ أمْرَ بني تميم وما صنعوا، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها، وأعطاه إياها وكساه قَباءَ دِيباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ، وقلنسوة قيمتُها ثلاثون ألف درهم، وهو قول الأعشى[3]:

لـه أكاليلُ بالياقوت فصَّلها ... صَوّاغُها لا ترى عَيْباً ولا طَبَعا

وذُكِر أن كسرى سألَ هَوْذَة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عَيْش رَغد، وأنه يغزو المغازيَ فيُصيب.

[٣٢١/١٧]

فقال له كسرى في ذلك: كَمْ ولَدُك؟ قال: عشرة، قال: فأيّهم أحبُّ / إليك؟ قال: غائبهم حتى يقدم، وصغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ. قال كسرى: الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلك على أن طلبْتَ مني الوسيلةَ. وقال كسرى لهوذة: رأيتَ هؤلاء الذين قتلوا أساورتي، وأخذوا مالي، أبَيْنَك وبينهم صُلح؟.

قال هوذة: أيها الملك بيني وبينهم حَساء[4] الموت، وهم قتلوا أبي. فقال كسرى: قد أدركْتَ ثأرك، فكيف لي بهم؟ قال هوذة: إنَّ أرْضَهم لا تُطيقها أساوِرتُك، وهم يمتنعون بها، ولكن احبِسْ عنهم المِيرة، فإذا فعلتَ ذلك بهم سنةً أرسلتَ معي جنداً من أساورتك، فأقيم لهم السوق؛ فإنهم يأتونها، فتصيبهم عند ذلك خَيْلُك.

ففعل كسرى ذلك، وحبس عنهم الأسواقَ في سَنَةٍ مُجْدبة، ثم سَرّح إلى هوذة فأتاه، فقال: ائت هؤلاء فاشْفِني منهم، واشْتَفِ. وَسرّح معهم بجَوار بُودَار[5] ورجلاً منْ أرْدَشِير خُرَّه. فقال لهوذة: سِرْ معَ رسولي هذا، فسار في ألف أسوار حتى نزلُوا المشَقَّر من أرض البحرين، هو حِصْن هَجَر.

---

(١) أ، جـ: «نبغاً». والنبع: شجر القسي.

(٢) تبذرق: تخفر.

(٣) ديوانه ١٠٧.

(٤) حساء الموت: شربه وتجرعه.

(٥) كذا ضبط في أ، م وفي جـ: «جوار يودار».

وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتَوه، فدنوا منْ حيطان المشَّقر، ثم نودي: إنَّ كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر لكم بميرة، فتعالوا، فامتاروا. فانْصَبَّ عليهم الناس، وكان أعظم مَنْ أتاهم بنو سَعْد، فجعلوا إذا جاءُوا إلى باب المشَّقر أُدخلوا رجلاً رجلاً، حتى يُذهب به إلى المُكَعْبِر[1] فتضرب عنقه، وقد وضع سِلاَحَه قبل أن يدخل، فيقال له: ادْخُلْ من / هذا الباب واخْرُجْ من البابِ الآخر، فإذا مرَّ رجُلٌ / منْ بني سَعْد بينه وبين هوْذة إخاء، أو رجل يرجوه، قال للمكعبر: هذا مِنْ قومي فيخلِّيه له. [٣٢٢/١٧] هـ ١٦

فنظر خيبريُّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون، وتُؤْخَذ أسلحتُهم، وجاء ليمتار، فلما رأى ما رأى قال: وَيْلكم! أَيْنَ عقولكم! فوالله ما بَعْدَ السَّلْب إلا القتل.

وتناول سيفاً من رجل من بني سَعْدُ يُقال له مَصاد، وعلى باب المشَّقر سلسلة ورجل من الأساورة قابضٌ عليها، فضربها فقطعها ويَد الأسوار، فانفتح البابُ، فإذا الناس يُقتلون، فثارَتْ بنو تميم.

ويقال: إن الذي فعل هذا رجلٌ من بني عبس يقال له: عُبيد بن وهب، فلما علم هَوْذة أنَّ القوم قد نَذِرُوا به أمرَ المكعبر فأطلق منهم مائةً من خِيارهم، وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة، فتبعتهم بنو سَعْد والرباب، فقُتل بعضهم، وأفلت من أفْلت.

[٣٢٣/١٧]

/ صوت

إذا سلكتْ حَوْرَانَ مِنْ رَمْل عالجٍ[2] فقُولا لها: ليس الطريقُ هنالكِ
دَعُوا فلَجاتِ[3] الشامِ قد حِيل دُونَها بضَرْبٍ كأفواه العِشار الأوارِكِ[4]

عروضه من الطويل. الشعر لحسّان بن ثابت، والغناء لابن محرز، ولَحْنُه من القدر الأوسط من الثقيل الأول، مطلق في مجرى البنصر.

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقُرَيش حين تركت الطريقَ الذي كانت تسلكُه إلى الشام بعد غَزْوة بَدْر، واستأجرت فُرات بن حيّان[5] العِجليّ دَليلاً، فأخذ بهم غَيْرَها، وبلغ النبي ﷺ الخبر، فأرسل زيد بن حارثة في سريّة إلى العير فظفر بها، وأعجزه القوم.

---

(١) في الطبري: «وإنما سمي المكعبر؛ لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل. واسمه آزاذ فروذ بن جشنس».

(٢) الديوان ٢٩٥: «إذا سلكت للغور من رمل عالج».

(٣) الفلجات: الأودية الصغار.

(٤) في الديوان:

.... قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك

والأوراك: التي ترعى الأراك.

(٥) ب، س: حبان بالباء، والمثبت من ما، وهو موافق لما في «كتب السيرة».

[١٧/٣٢٤]

[ذكر الخبر في[1] سرية زيد بن حارثة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أُسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، عن الواقديّ، قال:

كان سبب هذه الغَزْوة أنَّ قريشاً قالت: قد عوَّر علينا محمد مَتْجَرنا[2]، وهو على طريقنا. وقال أبو سفيان وصَفْوَان بن أمية: إنْ أقمنا بمكة أكلنا رُؤوس أموالنا. فقال زَمْعَةُ[3] بن الأسود: وأنا أدلّكم على رجُل يسلكُ بكم النّجدة[4]، ولو سلكها مُغْمَض العين لاهْتَدَى. فقال صفوان: مَنْ هو؟ قال: فرات بن حَيّان العجليّ، فاستأْجَرَاه، فخرج بهم في الشتاء، فسلك بهم ذات عِرْق، ثم سلك بهم على غَمْرَةَ، فانتهى إلى النبيّ ﷺ خَبَرُ العِير، فخرج وفيها مالٌ كثير، وآنية مِنْ فِضّة حملها صَفْوَانُ بن أمية.

فخرج زَيْد بن حارثة فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيانُ القوم، وكان الخُمْسُ عشرين ألفاً، فأخذه رسولُ الله ﷺ فقسّم الأربعة الأخماس على السّرية[5]، وأُتي بفُرات بن حَيّان العجليّ أسيراً، فقيل له: إن أسلَمْتَ لم يقتلك رسول الله ﷺ. فلما دَعَا به رسولُ الله ﷺ أسلم، فأرسله.

حدثنا محمد بن جرير الطبريّ، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق في خبرِ هذه السرية بمثل رِواية الواقديّ، وزاد فيها فيما رواه:

إن قريشاً لما خافَت طريقَها إلى الشام أخذَتْ على طريق العراق، وذكر أنَّ الوقْعَةَ كانت على القَرَدَة[6]: ماء من مياه نجد.

[١٧/٣٢٥] / **إبراهيم بن هشام يكتب إلى هشام بن عبد الملك بدعوة بني مخزوم**

٨١/١٦ أخبرني حرميّ بن أبي العلاء، / قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني يعقوب بن محمد الزهريّ، قال:

كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك: إن رأى أميرُ المؤمنين إذا فرغ من دَعْوَةِ أعمامه بني عبد مناف أنْ يبدأ بدَعْوَة أخواله بني مخزوم. فكتب: إن رضيَ بذلك آلُ الزبير فافعل. فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى منادِيه ببني مخزوم، فناداه عثمان بن عروة، وقال[7]:

---

(١) في النسخ: «ذكر الخبر في ذلك».
(٢) عور علينا متجرنا: عرضه للضياع.
(٣) كذا في ما، والطبري وفي ب، س: «ربيعة».
(٤) كذا في ما وهو الصواب.
(٥) كذا في م وهو الوجه.
(٦) ضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة (معجم البلدان ونهاية الأرب).
(٧) هو لحسان بن ثابت.

إذا هبطتْ حورانَ مِنْ أرْضِ[1] عالجٍ فقُولاَ لها: ليس الطريقُ هنالكِ

فأمر منادِيه فنادى بني أسد بن عبد العزّى، ثم مضى على الدعوة.

النبي ﷺ بقطع فرات بن حيان أرضاً بالبحرين

أخبرني محمد بن عبد الله الحضرميّ إجازة، قال: حدثنا ضرار بن صُرَد، قال: حدثنا عليّ بن هشام، عن عمار بن زُرَيق، عن أبي إسحاق، عن عديّ بن حاتم:

أنّ النبي ﷺ أتى بفرات بن حيّان فقال: إني مسلم، فقال لعليّ صلوات الله عليه: إنَّ منكم مَن أَكِلُه إلى إيمانه، منهم فرات بن حيّان، وأقطعه أرضاً بالبحرين تعلّ ألفاً ومائتين.

حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد، قال: حدثنا محمد عُبيد الله بن عتبة، قال: حدثنا موسى بن زياد الزيات، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل[2]، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن جارية[3] بن مُضَرِّب، عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، قال:

أتى النبي ﷺ بفرات بن حيّان يوم الخَنْدق، وكان عيناً للمشركين، فأمَر بقَتْله، فقال: إني مسلم، فقال: إن منكم مَنْ أتألّفه على الإسلام وأَكِلُه إلى إيمانه، منهم فرات بن حيّان.

[٣٢٦/١٧]

صوت

إذا المرء لم يطلب معاشاً لِنَفْسه شكى الفَقْرَ أو لامَ الصَّدِيقَ فأكثرا
وصار على الأدْنَيْنِ كَلاًّ وأوشكتْ صِلاتُ ذَوِي القُرْبى له أن تَنَكَّرا
فسر في بلادِ الله والتمسِ الغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أو تموتَ فتُعذَرا
ولا تَرْضَ مِنْ عيش بدُونٍ ولا تنم وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا

عروضه من الطويل، الشعر لأبي عطاء السنديّ. والغناء لإبراهيم. خفيف ثقيل بالوسطى، من نسخة عمرو الثانية.

(١) في هامش أ من نسخة: «من رمل عالج»، وهي رواية الديوان أيضاً، وكذلك المختار.
(٢) في الإصابة: الأشهل.
(٣) وكذا في الإصابة، وفي الإكمال: «حارثة بن مضرب».

[١٧/٣٢٧]

/ ذكر أبي عطاء السندي

أبو عطاء، اسمه أفلح بن يَسَار، مولى بني أسد، ثم مَوْلى عنبر[١] بن سِمَاك بن حُصين الأسديّ، منشؤه الكوفة، وهو مِنْ مخضرمي الدولتين. مدح بني أميّة وبني هاشم، وكان أبوه يَسار سِنْدِيًّا أعجمياً لا يفصح. وكان في لسان أبي عطاء لُكْنَةٌ[٢] شديدة ولثغة، فكان لا يفصح[٣]. وكان له غلامٌ فَصيح سمّاه عطاء، وتكنّى[٤] به، وقال: قد جعلتُك ابني، وسميتك بكنيتي، فكان يروِّيه شِعْره، فإذا مدح مَنْ يَجْتَدِيه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله[٥]. وكان ابن كناسة يَذْكُر أنه كاتَبَ مَوالِيَه، وأنهم لم يعتقوه.

يكاتب مواليه

أخبرني بذلك محمد بن مزيد، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كُناسة، قال:

كَثُر مال أبي عطاء السنديّ بعد أن أُعْتِق، فأعْنَتَه مواليه وطمعوا فيه، وادَّعوا رِقَّه، فشكا ذلك إلى إخوانه، فقالوا له: كاتِبْهُمْ[٦]، فكاتَبُوه على أربعة آلافٍ، وسعى له/أهلُ الأدب والشعر فيها فتركهم، وأتى الحرّ بن عبد الله القُرَشيّ، وهو حليفٌ لقريش لا مِنْ أنفسهم، فقال فيه:

٨٢/١٦

شعره في الحر بن عبد الله القرشي

أتيتُك لاَ مِنْ قُرْبَةٍ هي بَيْنَنا ... ولا نعمةٍ قَدَّمتُها أستَثِيبُها

ولكن مع الرَّاجِين أن كنتَ[٧] مَوْرِداً ... إليه بُغَاةَ الدِّيْنِ تَهْفُو قلوبها[٨]

/ أغِثْني بِسَجْلٍ مِنْ نَداكَ يكفُّني ... وقال[٩] الرَّدَى مُرْدُ الرِّجَالِ وشِيبُها

[١٧/٣٢٨]

تَسَمَّى ابن عبد الله حُرًّا لوَصْفِه[١٠] ... وتلك العُلاَ يُعْنَى بها مَن يُصِيبُها[١١]

---

(١) س، جـ: «مولى عمرو بن سماك»، وفي المرزباني ٤٥٦: اسمه أفلح، وقيل: مرزوق.

(٢) جـ: «عجمة».

(٣) جـ: «وكان لا يكاد يفصح».

(٤) جـ: «وتبناه».

(٥) جـ: «ما قاله فيه».

(٦) كاتب رقيقه: اتفق معه على مال يدفعه له فإن أداه صار حراً.

(٧) أ والمختار: «إذا كنت».

(٨) المختار: «بغاة الري».

(٩) أ: «يقلني... فداك». وفي المختار: «وقاك الردى مرد الكرام»، وسجل من نداك: نصيب عظيم من عطائك - والسجل في الأصل: الدلو العظيمة فيها ماء.

(١٠) س والمختار: «كوضعه»، والمثبت من أ، جـ.

(١١) كذا في المختار، وفي ب، س: «يعيبها».

فأعطاه أربعة آلاف درهم، فأدّاها في مكاتبته وعَتق[١].

وشعره في سليمان بن سليم

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان أبو عطاء السنديّ يجمَعُ بين لثغة ولكنة، وكان لا يكاد يُفْهَم كلامه، فأتى سليمان بن سُليم فأنشده:

أعوزَتْني الرُّواةُ يابْنَ سُلَيم — وأبى أنْ يقيم شِعْرِي لساني
وغَلَى بالذي أُجَمْجِمُ صَدْرِي — وجَفَاني بعُجْمَتي سلْطاني[٢]
وازْدَرَتْني العيونُ إذ كان لَوْني — حالكاً مُجْتَوَى[٣] من الألوان
فضربتُ الأمورَ ظَهْراً لبَطْن — كيف أحتالُ حيلةً للساني![٤]
وتمنيتُ أنني كنت بالشِّعْـ — ـرِ فَصيحاً وبانَ بَعْضُ بَناني
ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابي — عند رَحْب الفِناءِ والأعطان
فاكفِني ما يَضِيقُ عنه رُوَاتي — بفصيح مِنْ صَالحِ الغِلمان
يُفْهِمُ الناسَ ما أقول من الشِّعْـ — ـرِ فإنَّ البيانَ قَدْ أعياني
فاعْتَمِدْني بالشكر يابْنَ سُلَيم — في بلادي وسائر البُلدان
/ ستُوافيهمُ قَصائدُ غُرٌّ — فيكَ سَبَّاقةٌ لكل[٥] لسان [٣٢٩/١٧]
فقديماً جعلتُ شكري جَزَاء — كُلَّ ذِي نعمةٍ بما أوْلاني
لم تَزَلْ تشتري المحامِدَ[٦] قِدماً — بالرَّبيح الغالي من الأثمان

فأمر له بوَصِيف بَرْبَريّ فصيح، فسمّاه عطاء، وتكنّى به، وروّاه شِعْرَه؛ فكان إذا أراد إنشادَ مديح لمَنْ يَجْتَديه، أو مذاكرة لِشعْرِه أنشده.

هجاؤه مولاه عنبر بن سماك الأسدي

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا ثعلب، عن أبي العالية الحُرّ بن مالك الشاميّ، قال: لما أثْرَى أبو عطاء أعْتَقَه مولاه عنبر[٧] بن سِماك الأسديّ، حتى ابتاع نَفْسَه منه، فقال يهجوه:

إذا ما كنتَ متخذاً خليلاً — فلا تَثِقَنْ بكلّ أخِي إخَاء
وإنْ خُيِّرْتَ بينهمُ فألْصِقْ — بأهل العقل منهم والحياءِ

---

(١) جـ: «وأعتق».
(٢) في المختار: «لعجمتي».
(٣) مجتوى: مبغضاً مكروهاً.
(٤) في المختار: «لبياني».
(٥) في المختار: «بكل».
(٦) في المختار: «المدائح».
(٧) انظر ما سبق في نسبه.

فإنَّ العقل ليس له إذا ما ... تُذُوكِرَتِ[1] الفضائلُ مِنْ كِفاء
وإنّ النَّوْكَ للأحساب غُولٌ ... به تأوي إلى داءٍ عَيَاء
فلا تَثِقَنْ مِن النَّوكَى بشيءٍ ... ولو كانوا بَنِي ماءِ السماء
كعَنْبرِ الوثيقِ بناءَ بَيْتٍ ... ولكن عقلُه مِثلُ الهَبَاء
/ وليس بقابلٍ[2] أدباً فَدَعْه ... وكن منه بمنقطعِ الرَّجاء

٨٣/١٦

كان من شعراء بني أمية ومداحهم

قال: وكان أبو عطاء مِنْ شُعراء بني أميّة ومُدّاحهم والمُنْصَبِّي الهَوَى إليهم، وأدرك دولةَ بني العباس فلم تكُنْ له فيها نَبَاهةٌ، فهجاهم. وفي آخر / أيام المنصور مات. وكان مع ذلك مِنْ أحسن الناس بديهة، وأشدّهم عارضةً وتقدُّماً، وشهد أبو عطاء حَرْبَ بني أُميّة وبني العباس فأَبلى، وقُتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة، وانهزم هو، وقيل: بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه. [١٧/٣٣٠]

شعره في أبي زيد المري وقد أعطاه فرسه فهرب به

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ، قال:

كان أبو عطاء يقاتل المسوِّدة[3]، وقدّامه رجُل مِنْ بني مرَّة يكنى أبا يزيد، وقد عُقِر فرسه، فقال لأبي عطاء: أعطني فرسَك حتى أُقاتل عنّي وعنك، وقد كانا أيْقنا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسَه، فركبه المُرّيّ، ثم مضى وترك أبا عطاء، فقال أبو عطاء في ذلك:

لعمرك إنني وأبا يزيد ... لكالساعي إلى وَضَحِ السَّراب
رأيتُ مَخِيلةً[4] فطمعتُ فيها ... وفي الطمع المذلَّةُ للرِّقاب
فما أعياك مِنْ طلبٍ ورزقٍ ... كما يعييك في سَرَقِ الدَّواب[5]
وأشهد أنّ مُرَّةَ حيُّ صِدْقٍ ... ولكن لستَ منهم في النِّصاب

أخبرني الحسن، عن أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ:

أنّ يحيى بن زياد الحارثيّ وحمّاداً الراوية كان بينهما وبَيْن مُعَلّى بن هُبيرة ما يكونُ مِثْلُه بين الشعراء والرُّواة من النَّفاسة، وكان معلّى بن هُبيرة يحبُّ أنْ يطرح حماداً في لسان شاعرٍ يهجوه.

أبو عطاء وحماد الراوية

قال حمّاد الراوية: فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السنديّ أن يقول في زُجّ وجَرَادة ومسجد بني شيطان؟ قال: فقلت له: / فما تجعلُه لي على ذلك؟ قال: بَغْلتي بسرجها ولجامها. قلت: فعدِّلْها[6] على يَدَي يحيى بن زِياد، ففعل، وأخذْتُ عليه موثقاً بالوفاء. [١٧/٣٣١]

---

(١) في ب: «تذكرت»، والمثبت في المختار. كفاء: شيء يقوم به ويعادله.
(٢) أ: «بقائل»، والمثبت في المختار أيضاً.
(٣) المسودة: يريد بني العباس ومن والاهم لأن لباسهم كان السواد.
(٤) المخيلة: السحابة تخالها ما طرة لرعدها وبرقها.
(٥) أ: «كما أعياك من».
(٦) عدلها: يريد اجعلها في ضمان عدل.

وجاء أبو عطاء السنديّ فجلس إلينا، وقال: مرهباً مرهباً، هيَّاكم الله. فرحّبْتُ به، وعرضْتُ عليه العشاء، فقال: لا هاجَةَ لي به، فقال: أعندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمَرَّتْ عَيْناه، واسترخت عَلاَبيه[1]، ثم قلت: يا أبا عطاء، إنّ إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز، ولست أقدر على إجابته البتة، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء، ففرّجْ عني. قال: هات، فقلت:

أبِـن لـي إنْ سُئلْـتَ أبـا عطـاء … يقينـاً كيـف علمُـك بـالمعـانِـي

فقـال:

خبيـرٌ عـالـم فـاسـأل تَجِـدْنـي … بهـا طَبًّـا وآيـاتِ المَثـانِـي

فقلـت:

فمـا اسـمُ حـدَيْـدَةٍ فـي رأس رُمـحٍ … دُوَيـن الكَعْـبِ ليسـت بـالسِّنـان؟

فقال أبو عطاء:

هـو الـزُّجُّ الـذي إن بـات ضَيْفـاً … لصَـدْرك لـم تـزَلْ لـك عَـوْلتـان

قلت: فرّج الله عنكَ، تعني الزجّ. وقلت:

فمـا صفـراء تُـدْعَـى أمَّ عـوف … كـأن رُجَيْلَتَيْهـا مِنجـلانِ؟

فقـال:

أردتَ زَرَادةً وأَزُنُّ زَنّـاً … بـأنَّـكَ مـا أردتَ سِـوَى لسـانـي

قلت: فرّج الله عنك، وأطال بقاءك! تريد جرادة، وأظنُّ ظناً. وقلت:

أتعـرِف مسجـداً لبنـي تميـم … فُـوَيْـقَ الميـل دُونَ بَنـي أبـان؟

فقـال:

بنـو سَيْطـان[2] دُونَ بنـي أبـان … كقُـرْب أبيـك مـن عَبْـدِ المـدان

قال حماد: فرأيت عَينيه قد احمرّتا، وعرفت الغضب في وجهه وتخوّفْتُه، فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك النصف مما أخذته، قال: فاصدقني، قال: فأخبرته. فقال لي: أولى لك! قد سلمتَ وسلم لك جُعْلُك، خُذْه بُورِك لك فيه، ولا حاجة لي فيه. فأخذته، وانقلب يَهْجُو مُعَلَّى بن هبيرة.

مدح أبا جعفر فلم يثبه

أخبرني الحَسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ:

---

(١) علباء البعير: عصب عنقه، وجمعه: «علابي». وعلبي الرجل: ظهرت علابيه كبراً.

(٢) أ: «شيطان»، بالشين، وفي الشعر والشعراء ٧٤٣: أيكم يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان، فقال حماد الراوية: أنا، فلم يلبث أن جاء أبو عطاء، فقال: .... مرهباً مرهباً، هياكم الله، قلنا: ألا تتعشى؟ قال: قد تأسيت، فهل عندكم نبيذ؟ قلنا: نعم، فأتى بنبيذ، فشرب حتى استرخت علابيه، وخذيت أذناه، فقال حماد الراوية: كيف بصرك باللغز يا أبا عطاء؟ قال: هن... إلى آخر الخبر.

أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه، فأظهر الانحرافَ عنه لعلمه بمَذْهَبه في بني أميَّة، فعاوَدَه بالمدح، فقال له: يا ماصّ كذا من أُمِّه، أَلَسْتَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سَيّار ترثيه:

فاضَتْ دُموعي على نَصْرٍ وما ظلمت ... عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّارِ
يا نَصْرُ مَنْ لِلِقاء الحرب إن لَقِحَتْ ... يا نَصْرُ بعدك أو للضيف والجارِ
الخِنْدِفيّ الذي يَحْمي حَقيقَته ... في كل يَوْم مخوف الشرّ والعارِ
/ والقائد الخيْل قُبّا في أعنَّتِها ... بالقوم حتى تلفّ القار بالقار[1]
مِنْ كُلّ أبيض كالمصباح مِنْ مُضَرٍ ... يَجْلُو بسُنَّته الظلماءَ لِلسّاري
ماضٍ على الهَوْل مِقدام إذا اعترضت ... سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فَرَّارِ
إنْ قالَ قَوْلاً وَفَى بالقول مَوْعِدُه ... إنَّ الكنانيَّ وافٍ غيرُ غَدّارِ

[١/٣٣٣]

هجاؤه أبا جعفر

والله لا أُعطيك بعد هذا شيئاً أبداً. قال: فخرج من عنده، وقال عدة قصائد يذمُّه فيها منها:

فليت[2] جَوْرَ بني مَرْوَان عادَ لَنا ... وليتَ عَدْلَ بني العبّاس في النار

وقال أيضاً:

أليسَ اللهُ يعلمُ أنَّ قلبي ... يُحِبُّ بني أُميّةَ ما استطاعا
وما بي أنْ يكونوا أهلَ عَدْلٍ ... ولكنّي رأيتُ الأمْرَ ضاعا

شعره في ابن هبيرة حين لم يصله بشيء

أخبرني الحسن، قال: حدثني الخراز[3]، عن المدائنيّ، قال:

كان أبو عطاء مع ابن هبيرة، وهو يَبْني مدينته التي على شاطىء الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صلاتٍ ولم يُعْطِه شيئاً، فقال:

قصائدُ حكتهُنَّ ليَوْم فَخْر[4] ... رَجَعْنَ إلى صُفْراً خالياتِ
رجَعن وما أفَأنَ عليّ شيئاً ... سِوَى أنّي وُعِدت التُّرُهَاتِ
أقام على الفرات يزيد حَوْلاً ... فقال الناس: أيهما الفراتي![5]
/ فيا عجباً لبَحْرٍ باتَ يَسْقي ... جميعَ الخَلْقِ لم يَبْلُلْ لَهاتي

[١/٣٣٤]

شعره في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبلّ لهاتك يا أبا عطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابنَه بدفعها إليه، ففعل، فقال يمدح ابنه:

---

(١) المختار: «الغار بالغار».
(٢) الشعر والشعراء: يا ليت.
(٣) أ: «الخزاز».
(٤) أ: «بقوم قيس»، وفي المختار: «العدم قيس».
(٥) أ: «الفرات».

أمّـا أبـوكُ فعَيْـنُ الجُـودِ تعـرفُـه ... وأنـتَ أشبَـهُ خَلْـقِ الله بـالجـود[1]
لـولا يـزيـد ولـولا قَبْلـه عمـر ... ألقَـتْ إليـك معـدٌّ بـالمَقـاليـد
/ مـا ينبـتُ العـودُ إلا فـي أرُومتـه ... ولا يكـون الجَنَـى إلاّ مـن العـود

٨٥/١٦

وهب له نصر بن سيار جارية فقال في ذلك شعراً

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائنيّ، قال:

وَهَب نَصْر بن سيّار لأبي عطاء جارية، فلما أصبح غَدَا على نَصْر، فقال: ما فعلتَ أنْتَ وهي؟ فقال: قد كان شيء منّي منعني مِنْ بعض حاجتي - يعني النّوم - فقال: وهل قلت في ذلك شعراً؟ قال: نعم، وأنشد:

إنَّ النكـاحَ وإن هَـرِمْـتَ[2] لصـالـح ... خَلَـفٌ لعَيْنِـك مِـن لـذيـذ المَـرقَـدِ

فقال نصر:

ذاك الشقـاء فـلا تَظُنَّـنْ غَيْـرَهُ ... ليـس المشـاهِـدُ مِثْـلَ مَـنْ لـم يَشْهَـدِ

فقال: أصلحك الله، إني قد امتدحتكَ فائْذَن لي أن أنشدك، قال: إني لفي شغل، ولكن ائتِ تميماً، فأتاه فأنشده، فحمله على بِرْذَوْنٍ أبْلَق، فقال له نصر من الغد: ما فعل بك تميم؟ فقال:

لئـن كـان أُغْلِـقَ بـابُ النـدى ... فقـد فُتِـحَ البـابُ بـالأبلـق

ثم أنشده قوله:

وهيكـلٍ يُقـال فـي جَـلالِـهِ ... تقصُرُ أيْدي الناسِ عَنْ قَـذالِـهِ
/ جَعَلْتُ أوصـالـي علـى أوصـالـهِ ... إنّـك حمّـالٌ علـى أمثـالـهِ

٣٥/١٧]

لبس السواد وقال شعراً في ذلك

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ، قال: لما أمر أبو جعفر الناسَ بلبس السّواد، لبسَه أبو عطاء فقال:

كُسِيـتُ ولـم أكفُـرْ مِـنَ الله نعمـةً ... سـواداً إلـى لـونـي ودنّـا[3] مُلَهْـوَجـا[4]
وبـايعـتُ كـرهـاً بيعـةً بعـد بَيعـة ... مُبَهْـرجـة إن كـان أمـرٌ مبهـرجـا[5]

يضيف بيتين من الشعر إلى بيتين بعث بهما إليه إبراهيم بن الأشتر

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائنيّ، قال:

بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء ببيتين من شعر، وسأله أنْ يضيف إليهما بيتين من رويّهما وقافيتهما، وهما:

---

(١) المختار ١: ٤١٣.

(٢) في ب، س: «هربت» والمثبت من ما.

(٣) الدن: قلنسوة محددة الأطراف وكان العباسيون قد أمروا بلبس القلانس.

(٤) الملهوج: غير المحكم.

(٥) كذا في ما وفي أ: «إن كان أمر».

وبلــدةٍ يــزدهــي الجِنّــانُ طــارِقَهــا قطعتهــا بِكِنــاز اللحْــم مُعْتَــاطَــهْ
وَهْنــاً وقــد حلّــق النّســران أو كَــرَبــاً وكــانــت الــدلــو بــالجَــوْزَاء مُنْتَــاطَــهْ

فقال أبو عطاء:

فــانجــاب عنهــا قميــصُ الليــل فــابتكَــرت تسيــر كــالفَحْــلِ تحــت الكُــور لَطَّــاطَــهْ
فــي أينُــقٍ كلمــا حــثّ الحــداةُ لهــا بَــدَتْ منــاسِمُهــا هَــوْجــاءَ حَطّــاطَــهْ

يهجو بغلة أبي دلامة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائنيّ، قال:

كان سبب هجاء أبي دُلامة بغلته أن أبا عطاء السنديّ هجاها، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك، وتعرّه، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة. قال: وأبيات أبي عطاء فيها:

أبغــلَ أبــي دلامــةَ مــتْ هَــزْلاً عليــه بــالسخــاء تُعَــوَّلينــا
دوابّ النــاس تقضَــم مِلْمَخَــالِــي وأنــتِ مهــانَــةٌ لا تَقضمينــا
/ سَلِيــه البيــعَ واستعْــدِي عليــه فــإنّــكِ إنْ تُبــاعِــي تسمنينــا

[٣٣٦/١٧]

شعره في مدح نهيك بن معبد

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائنيّ، قال:

[٨٦/١٦] كان أبو عطاء منقطعاً في طريق / مكة، وخباؤه مطروحٌ، فمرّ به نَهِيكُ بن مَعْبَد العطارديّ، فقال: لمَنْ هذا الخباء المُلْقى؟ فقيل: لأبي عطاء السنديّ، فبعث غِلْماناً له، فضَرَبُوا له خِباءً، وبعث إليه بألطاف وكسوة، فقال: مَنْ صنع هذا؟ قالوا: نَهِيك بن معبد، فنادى بأعْلَى صوته يقول:

إذا كنــتَ مُــرْتَــادَ الــرجــال لِنَفْعهــم فنــادِ بصَــوْت: يــا نَهِيــكُ بــنَ مَعْبــد

فبعث إليه نهيك: لا، زِدْنا يا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء:

إنما أعطيناك على قَدْر ما أعطيتنا، فإنْ زِدْتنا زِدْناك، والله أعلم.

أنشده حماد بيتاً فلم يعجبه فقال شعراً يصحح معناه

نسخت من كتاب ابن الطحان[1]: قال الهيثم بن عديّ: أخبرنا حمّاد الراوية، قال:

أنشدت أبا عطاء السنديّ في أثناء حديثٍ هذا البيت:

إذا كنــتَ فــي حــاجــةٍ مــرسِــلاً فــأرْسِــلْ حكيمــاً ولا تُــوصِــهِ

فقال أبو عطاء: بئس ما قال! فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسلــتَ فــي أمــرٍ رســولاً فــأفهِمْــه وأرسِلْــه أدِيبــا
وإنْ ضيّعــتَ ذاك فــلا تَلُمْــهُ علــى أن لــم يكــن عَلِــمَ الغُيــوبــا

(١) م: «النطاح».

شعره في مدح سليمان بن سليم

[١٧/٣٣٧] نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ: قال الهيثم بن عديّ، عن / حماد بن سلمة الكلبيّ، قال:

دخل أبو عطاء السنديّ على سليمان بن سُليم بن بَشّار[1]، فقال له:

أعوزَتْني الرُّواةُ يابن سُليم ... وأبى أن يقيمَ شِعْرِي لساني
وغلاً بالذي أُجَمْجِم صَدْرِي ... وشكاني من عجمتي شيطاني
وَعَدَتْني العيونُ أن كان لَوْني ... حالكاً مُظْلِماً مِنَ الألوان
وضربت الأمورَ ظَهْراً لبطن ... كيف أحتال حيلةً لبَيَاني!
فتمنّيت أنني كنتُ بالشعـ ... ـر فصيحاً وبانَ بَعْضُ بناني
ثم أصبحت قد أنخْتُ ركابي ... عند رحب الفِناء والأعطان
فإلى مَن سِوَاك يابن سليم ... أشتكي كُرْبَتي وما قد عَناني
فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي ... بفَصيح مِنْ صالحي الغلمان
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـ ... ـر فإنَّ البيان قد أعياني
ثم خذني بالشكر يابن سُليم ... حيثُ كانتْ داري من البلدان

فأمر له بوَصِيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

فأقبلوا نحوي معاً بالقنا ... وكلّهم يسأل: ما شأني؟
فقلت: شأني كلّه أنني ... في تعتب من لفظ جُرْداني
يابنَ سليم أنتَ لي عصمة ... من حدثٍ أفزع جيراني
فقد رماني الدَّهْرُ عن فقره ... بسهم فقر غير لَغبان[2]
صادَ فُؤَادي بعدما قد سلا ... فصرت كالمقتبِل العاني
[١٧/٣٣٨] / فانعَشْ فدَتْكَ النفس مني ومَن ... أطاعَني مِنْ جِلّ إخواني
وهبْ فدتك النفسُ لي طَفلة[3] ... يقمع حِرها رَأْسَ شيطاني
فإن أيري قد عَتَا واعتدى ... وصار يبغي بغيةَ الزّاني
فاللهَ ثم الله في قمعه ... من قبل أنْ أُمْنَى[4] بسلطان
[٨٧/١٦] / يتركني أضحوكةً بعدما ... أضرب في سِرٍّ وإعلانِ

فأمر له بجارية قُنْدُهارِيَّة[5] فارهة، فقال:

أحصنني اللهُ بكفِّيْ فَتى ... مهذَّبٍ مِنْ سِرّ قَحطان

---

(١) أ: «ابن كيسان».
(٢) اللغبان: «الشديد الإعياء».
(٣) الطفلة: الرخصة الناعمة.
(٤) أ: «أنمى».
(٥) قندهارية: منسوبة إلى قندهاز (البلدان).

مـن حميـر أهـل السّـدي[١] والنـدى وعصمـة الخـائـفِ والجـانـي
يـا خَيْـرَ خَلْـقِ الله أنـت الـذي أيـأنْـتَ مِـنْ فسقِـي شيطـانـي

يغضب لخطأ راويته في شعر قاله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ، عن أبيه، قال:

كنتُ جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السنديّ، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مَدِيحاً لأبي عطاء، وأبو عطاء جالسٌ لا يتكلّم، إذ قال الراوية في إنشاده:

فمـا فضلـت يمينُـك مـن يميـن ولا فضلَـتْ شمـالُـك عـن شمـال[٢]

هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء، وقال: ويلك فما مدهته إذاً، إنما هزوته، يريد فما مدحتُه إذاً إنما هجوتُه، ثم أنشده أبو عطاء:

فمـا فـدَلـت يمينَـك مـن يميـن ولا فـدَلـت شمـالَـكَ عـن شمـال

[٣٣٩/١٧] / فكدتُ أضحك، ولم أجسر، لأني رأيتُ القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون؛ خوفاً منه.

ينشد نصر بن سيار فيأمر له بجائزة

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال:

وفَدَ أبو عطاء السنديّ على نَصر بن سيّار فأنشده:

قـالـت تَـرِيكـة بَيْتِـي وهـي عـاتِبـةٌ[٣]: إنَّ المقـام علـى الإفـلاَسِ تَعْـذِيـبُ
مـا بـال هَـمٍّ دخيـلٍ بـات محتضـراً رأس الفـؤادَ فنـوم العَيـنِ تـوجيـب
إنـي دعـانـي إليـك الخَيْـرُ مِـنْ بلـدي والخيـرُ عنـدَ ذوي الأحسـاب مطلـوب

فأمر له بأربعين ألف درهم.

يغضب لأن ضيفه يرقب جاريته

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن عليّ، قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سَعد، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، عن صالح بن سليمان، قال: دخل إلى أبي عطاء السنديّ ضَيْفٌ، فأتاه بطعام، فأكل، وأتاه بشراب وجلسا يشربّان، فنظر أبو عطاءٍ إلى رجل يلاحظُ جاريته، فأنشأ يقول[٤]:

كُـلْ هنيئـاً ومـا شـربـت مَـرِيئـاً ثـم قُـمْ صـاغـراً وأنْـتَ ذميـمُ
لا أُحِـبُّ النـديـم يُـومِـض بـالطـر ف إذا مـا خـلا لعِـرْسِ النَّـدِيـمِ[٥]

(١) السدي: المعروف.
(٢) أ: «فما نزلت ولا نزلت»، وفي المختار ١: ٤١٤: «ولا فدلت» «يريد: ولا فضلت».
(٣) تريكة البيت: التي تترك فلا تتزوج، وهي العانس في بيت أبويها. «اللسان» (ترك).
(٤) الأبيات في الكامل: ٧٤ والبيان ٣: ٣٤٧.
(٥) الكامل: «يومض بالعين إذا ما انتشى لعرس النديم» في وفي البيت إقواء.

[٣٤٠/١٧]

صوت

تجـــولُ خـــلاخيــلُ النســـاء ولا أرى ... لـــرَمْلَـــة خَلْخَـــالاً يَجـــولُ ولا قَلبـــا[١]
أُحِـــبّ بنـــي العـــوّام طُـــرًّا لحبِّهـــا ... ومِـــنْ أجلهـــا أحببْـــتُ أخـــوالهـــا كَلْبـــا
فـــإن تُسْلِمـــي نُسْلِـــم، وإن تتنصَّـــري ... تخـــطّ رِجـــالٌ بيـــن أعينهـــم صُلْبـــا

عروضه من الطويل. الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رَمْلة بنت الزُّبير. والغناء ليحيى المكيّ، ثاني ثقيل أول بالوسطى، من رواية ابنه وأبي العبيس[٢]، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر، عن حَبش.



(١) الكامل ١ : ٢٠٤، والمختار من شعر بشار ١٥١، ومعجم الأدباء ١١ : ٤١، والقلب: سوار المرأة.
(٢) في أ، جـ، م: «العميس».

[٣٤١/١٧] 88/16

/ ذكر خالد ورملة وأخبارهما وأنسابهما

نسبه

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفْنَى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وأمّ خالد بن يزيد أمّ هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

كان عالماً شاعراً

أخبرني الطوسيّ وحرميّ، قالا: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمّي مصعب، قال:

كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم، ويقول الشعر، وزعموا أنه هو الذي وضع خَبر السُّفْيانيّ وكَبَّره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مَرْوان بن الحكم على الملك، وتزوّج أُمَّه أمّ هاشم، وهذا وَهْمٌ من مصعب؛ فإن السفيانيّ قد روَاه غَيرُ واحد، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامّة. وذكر خبَر أمره أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم.

حدثني أبو عبد الله[1] الصَّيْرَفيّ، قال: حدثنا محمد بن عليّ بن خلف العطار، قال: حدثنا الحسن بن صالح، عن أبي الأسود، قال: حدثنا صالح بن أبي الأسود - يعني أباه - عن عبد الجبار بن العباس الهمدانيّ، عن عمار الدّهنيّ، قال:

قال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام: كم تعدُّون بقاءَ السفيانيّ فيكم؟ قلت: حَمْلَ امرأة تسعة أشهر، قال: ما أعلمكم بأهل الكوفة..

[٣٤٢/١٧] / حدثني أبو عبد الله قال: حدثنا محمد بن عليّ، قال: حدثنا الحسن بن صالح، قال: حدثنا منصور بن الأسود، قال:

أتيتُ جابراً الجعفيّ أنا والأسود أخي، فقلنا له: إنا قومٌ نضربُ في هذه التجارات، وقد بلغنا أن الراياتِ قد قُطع بها الفُرات، فماذا تُشير علينا؟ وماذا تأمرنا؟ قال: اذهبوا حيث شئتُم من أرْض الله تعالى، حتى إذا خرج السُّفْيَانيّ فأَقْبِلوا عَوْدكم على بدئكم.

أمه تكتني باسمه

أخبرني الطوسيّ وحرميّ، قالا: حدثنا الزُّبير بن بكار، عن عمه، قال: لما ولدت أمُّ هاشم خالدَ بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها، واكتنَتْ بخالد، وقال فيها يزيد بن معاوية:

(١) أ: «أبو عبيد الله».

وما نَحْنُ يوم استعبَرتْ أمُّ خالد ... بمَرضى ذوي داءٍ ولا بِصِحَاحِ

ولها يقول، وقد قدم من المدينة، وقد تزوّج أمَّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عُمر بن الخطاب فحُملت إليه بالشّام، فأُعجب بها، وجفَا أمَّ خالد، ودخل عليها وهي تبكي، فقال[1]:

مـا لـكِ أمَّ خـالـدٍ تبكيـنْ ... مِـنْ قَـدَرٍ حـلَّ بِكُـمْ تَضِجّيـنْ!
بَـاعَـتْ علـى بَيْعِـك أمُّ مِسكيـنْ ... ميمـونـةٌ مِـنْ نِسـوةٍ مَيَـامِيـنْ
حَلَّـتْ مَحَلَّـكِ الَّـذِي تَحُلِّيـنْ ... زارتـك مِـنْ يثـرب فـي جـواريـنْ
* في مَنْزِلٍ كنتِ به تكُونين *

رملة تزوجت عثمان بن عبد الله قبل زواجها من خالد

أخبرني الطوسيّ وحرميّ، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه: أنَّ رملة بنت الزبير كانت أختَ مصعب بن الزبير لأُمه[2]، كانت أمّهما أمّ الرباب بنت أُنيف بن عُبيد بن مَصَاد بن كعب بن عُليم بن عتّاب[3] / بن ذُهل من [٣٤٣/١٧] كلب، وإنما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى، فولدت له عبد الله بن عثمان، / وهو زوجُ سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام. ٨٩/١٦

الحجاج يعاتب خالداً لخطبته رملة فيرد عليه رداً عنيفاً

قال الزبير: فحدثني رَجُل، عن عُمر بن عبد العزيز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال:

لما قتِل ابن الزبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية، فخطب رَمْلة بنت الزبير بن العوامّ، فأرسل إليه الحجاجُ حاجبه عُبيد الله بن مَوهب، وقال له: ما كنتُ أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، وكيف خطبْتَ إلى قوم ليسوا لك بأكفاء! وكذلك قال جدّك معاوية، وهم الذين قارعُوا أباك على الخلافة، ورَمَوْه بكل قبيحة، وشَهِدوا عليه وعلى جدّك بالضَّلَالة.

فنظر إليه خالدٌ طويلاً، ثم قال له: لولا أنَّكَ رسول، والرسولُ لا يعاقب لقطَّعتُك إرْباً إرْباً، ثم طرحْتُك على باب صاحبك، قل له: ما كنتُ أرى أن الأُمورَ بَلَغَتْ بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء!.

وأما قولك لي: قارعُوا أباك وشهدُوا عليه بكلّ قبيح، فإنها قُريش يُقَارِعُ بعضُها بعضاً، فإذا أقرّ اللهُ عز وجل الحقّ قراره، كان تقاطُعهم وتراحمهم على قَدْر أحلامهم وفَضْلهم.

وأما قولك: إنهم ليسوا بأكفاء فقاتَلك اللهُ يا حجّاج، ما أقلَّ علمك بأنساب قريش! أيكونُ العوام كُفْؤاً لعَبْد المطلب بن هاشم بتَزوُّجه صفيّة، ويتزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان! فرجع الحاجبُ إليه فأعلمه.

(١) نسب قريش ١٥٥.
(٢) المختار: «لأبيه»، وفي أنساب الأشراف للبلاذري: «أخت مصعب لأبيه وأمه وأمهما الرباب».
(٣) في المختار: «بن جناب».

[١٧/٣٤٤] / **شعره في رملة**

قال: وقال عُمر بن شبّة في خبره، قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها[١]:

أليس يزيد السيرُ في كل ليلة ... وفي كلّ يوم من أحبّتنا قُربا
أحِنّ إلى بنت الزبير وقد عَلَتْ ... بنا العِيسُ خَرقاً من تهامة أو نقبا[٢]
إذا نزلت أرضاً تحبّبَ أهلها ... إلينا وإنْ كانت منازلها حربا
وإن نزلت ماءً وإن كان قبْلَها ... مليحاً[٣] وجدنا ماءَه بارداً عَذْبا
تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرَى ... لِرَمْلَةَ خلخالاً يَجُولُ ولا قُلْبا
أقِلّوا عليّ اللومَ فيها فإنني ... تخيّرتُها منهم زُبيريةً قَلْبا[٤]
أُحبُّ بني العوّام طُرًّا لحبُّها ... ومِنْ حبها أحبَبْتُ أخوالها كلبا

قال أبو زيد: وزادوا في الأبيات:

فإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصّري ... تخطّ رجالٌ بين أعينهم صُلْبا

فقال له عبد الملك: تنصرْتَ يا خالِد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت، فقال له خالد: على مَنْ قاله ومَنْ نحَلنيه لعنَةُ الله.

يشير غضب الحجاج فيعنّفه ويتطاول عليه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثني عُمَر بن شبّة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن سلم[٥]، قال:

قدم الحجاج على عبد الملك، فخرّ بخالد بن يزيد بن معاوية، ومعه بعضُ أهل الشام، فقال الشاميّ لخالد: مَنْ هذا؟ فقال خالد كالمستهزىء: هذا عَمْرو بن العاصي، فعدل إليه الحجاجُ، فقال: إني والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عَمراً ولا ولدني؛ ولكني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل / من قُريش، ولقد ضربْتُ بسيفي هذا [١٧/٣٤٥] أكثرَ من مائةِ ألف، كلّهم يشهدُ أنك وأباك من أهل النار، ثم لم أجِدْ لذلك عندك أجراً ولا شكراً، وانصرف عنه، وهو يقول: عَمْرو بن العاصي، عمرو بن العاصي!.

محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص يتنقصه

$\frac{٩٠}{١٦}$ أخبرني محمد بن / العباس اليزيديّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز[٦]، قال: حدثنا المدائنيّ، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم القرشيّ، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك:

---

(١) معجم الأدباء ١١: ٤٤.
(٢) الخرق: الفلاة الواسعة. والنقب: الطريق في الجبل.
(٣) المليح: المملح ضد العذب.
(٤) زبيرية قلبا، يريد خالصة النسب.
(٥) كذا في أ، ب، وفي جـ: «سالم».
(٦) ف: «الخزاز».

أنّ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدم الشام غازياً، فأتى عَمَّته أُميّة[1] بنت سعيد، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالدٌ فرآه، فقال: ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فظنّ محمدٌ أنه يعرِّضُ به، فقال له: وما يمنَعُهم من ذلك، وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضِح[2]، فنكحوا أمّك وسلَبُوكَ مُلْكك، وفرَّغوك لطلب الحديث وقراءَةِ الكتب، وعَمَلِ الكيميا الذي لا تقدِرُ عليه. انتهى.

أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا الخراز عن المدائنيّ، عن أبي أيوب القرشيّ، عن يزيد بن حصين بن نمير:

أنَّ مَرْوان بن الحكم تزوَّج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالداً يوماً وأراد أنْ يضَعَ منه في شيء جرَى بينهما، فقال له: يابْنَ الرَّطبة، فقال له خالد: إنك لأُمّي مختبر[3]، وأنتَ بهذا أعلم. ثم أتَى أمَّه فأخبرها، وقال: أنتِ صنعتِ بي هذا، فقالت له: دَعْه، فإنه لا يقولها لكَ بعد اليوم.

/ فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبركِ خالدٌ بشيء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! خالد أشدُّ تعظيماً لك مِنْ أن يذكر لي خبراً جرَى بينك وبينه. [٣٤٦/١٧]

فلما أمسى وضَعتْ مِرْفَقَةً على وَجْهه، وقعدَتْ عليها هي وجَواريها حتى مات.

وأراد عبد الملك قَتْلها، وبلغها ذلك، فقالت: أما إنه أشدُّ عليك أنْ يعلمَ الناس أن أباك قتلَتْهُ امرأة؛ فكفّ عنها.

رملة تشكو سكينة بنت الحسين إلى عبد الملك بن مروان

أخبرني محمد قال: حدّثني الخراز، عن المدائنيّ، قال: وأخبرني الطوسيّ، عن الزُّبير، عن المدائِنيّ، عن جُوَيرية قال:

نشزت سكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على زَوْجها عبد الله بن عثمان ـ وأُمُّه رَمْلَة بنت الزبير ـ فدخلت رملةُ على عبد الملك بن مروان، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية، فقالت: يا أمِيرَ المؤمنين، لولا أنْ يُبتزَّ أمْرُنا[4] ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا، سُكينة بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابني، قال: يا رمْلَة، إنها سُكينة، قالت: وإن كانت سكينة، فوالله لقد ولدنا خَيرهم، ونكحنا خَيرهم، وأنكحنا خَيرهم، تعني بمن وَلدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومَنْ نكحوا صَفِيَّة بنت عبد المطلب، ومَنْ أنكحوا النبيّ ﷺ.

فقال: يا رَمْلَة، غَرَّني منك عُرْوَة بن الزُّبير، فقالت: ما غَرَّك، ولكن نصح لك؛ لأنك قتلْتَ أخي مُصْعباً فلم يأمني عليك.

---

(١) المختار: «آمنة».

(٢) الناضح: البعير الذي يستقى عليه الماء، والأنثى: ناضحه، بهاء.

(٣) أ، جـ: «فقال له خالد: الأمير مختبر»، وفي المختار: «إنك لأمين مختبر».

(٤) المختار: «لو أن لنا من يدبر أمرنا».

شعر خالد في بنت عبد الله بن جعفر

[٣٤٧/١٧] أخبرني الطوسيّ، قال: حدثني عمّي مصعب، قال: تزوَّج خالد / بن يزيد بنتَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيها:

جـاءتْ بهـا دُهْـمُ البغـال وشهبهـا ... مقنّعـة فـي جَـوْفِ حِـدْجٍ[1] مُخـدَّرِ

مقـابلـةً بيـن النبـيّ محمـد ... وبيـن علـيّ والحَـوَارِي وجَعْفَـر

مَنـافِيَـةً جـادَتْ بخـالِـص وُدّهـا ... لعبـدِ مَنـافـيّ أغَـرّ مُشهَّـر

قال مُصعب: وِمِنَ الناس مَنْ ينكر تزويجَه إياها.

شُدَيد بن شداد يعير عبد الملك بن مروان بخالد

ومما يُثبِتهُ قولُ شُدَيد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وُهَيب بن ضِبَاب بن حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص[2] بن عامر بن لؤيّ لعبد الملك بن مروان هذا يُعَيِّرُهُ[3] بخالد في تزويجه بنت الزبير وبنتِ عبد الله بن جعفر، قال:

[٩١/١٦] / لا يستوي[4] الحَبْلاَن حَبْلٌ تَلَبَّست[5] ... قُـواهُ وحَبْـل قـد أُمِـرَّ شَـديـدُ

عليـكَ أميـر المـؤمنيـن بخـالـد ... ففـي خـالـدٍ عمـا تُـريـدُ صُـدُودُ/

إذا مـا نظَـرْنَـا فـي مناكـح خـالـدٍ ... عَـرَفْنَـا الـذي يَهْـوَى وحَيـث يُـريـد

خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك

أخبرنا الطوسيّ، قال: حدثنا الزُّبير، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال: دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد، فقال: لقد هممتُ اليَوْمَ بقَتْلِ الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئْسَ ما هممتَ به في ابنِ [٣٤٨/١٧] / أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين، قال: إنه لقي خَيْلي فنفّرها، وتلاعبَ بها، فقال له خالد: أنا أكْفِيكه إن شاء الله. فدخل خالد على عبد الملك، وعنده الوليدُ، فقال له: يا أميرَ المؤمنين؛ إن وليّ عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خَيْلَ ابنَ عمِّه عبد الله بن يزيد فنفّرها وتلعّب بها، فشقّ ذلك على عبد الله، فنكس عَبْدُ الملك رَأْسه، وقرع الأرض بِقَضِيب في يده، ثم رفع رأسه إليه، فقال: ﴿إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قريةً أفْسَدُوهَا وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً وكَذَلِكَ يَفْعَلُون﴾[6]، فقال له خالد: ﴿وَإذَا أرَدْنَا أنْ نُهْلِك قريةً أمَرْنَا مُتْرَفِيها ففَسَقُوا فِيها فحقَّ عليها القَوْلُ فدَمَّرْنَاهَا تَدْميراً﴾[7]، فقال له عبدالملك: أتكلمني فيه، وقد دخل عليّ لا يقيم لسانه لَحْناً، فقال له خالد: يا أمير المؤمنين، أفعَلَى الوليد تعوّل[8] في اللّحن؟ فقال عبد الملك: إنْ يكن الوليدُ لحّاناً فأخوه سليمان، قال خالد: وإن

(١) الحدج، بكسر الحاء: الهودج، مركب من مراكب النساء ليس برحل ولا هودج. «اللسان» (حدج).

(٢) س: «بغيض»، والمثبت يوافق ما في جمهرة الأنساب ١٧٤، ١٧٢ وأنساب قريش ٤٣٥.

(٣) في ف: «يغريه»، والمثبت يوافق ما في أ.

(٤) نسب قريش: «ولا يستوي».

(٥) أ: «حبل تلبثت».

(٦) سورة النمل ٣٤.

(٧) سورة الإسراء ١٦.

(٨) كذا في المختار، وهو الوجه. وفي باقي الأصول: «تقول».

يكن عَبْدُ الله لحّاناً فأخوه خالد، قال الوليد لخالد: أتكلّمني ولستَ في عِير ولا نَفِير[1]! قال: ألا تسمَعُ يا أمير المؤمنين ما يقولُ هذا؟ أنا واللهِ ابْنُ العِير والنَّفِير، سيِّد العِير جَدِّي أبو سفيان، وسيِّد النفير جَدِّي عُتْبَة بن ربيعة[2]، ولكن لو قلتَ: حُبَيْلات ـ يعني حَبَلة العِنب[3] ـ وغُنَيْمات والطائف لقلنا: صدَقْتَ، ورحم الله عُثمان!

هذا آخر الحديث. قال مؤلف هذا الكتاب: يعيِّره بأمّ مروان، وأنها / من الطائف، ويُعيِّره بالحكم، وأنّ رسول الله ﷺ طرده إلى الطائف، وترحّم على عثمان لردِّه إياه. [١٤٩/١٧]

حماقة معاوية بن مروان

حدثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ، عن إسحاق بن أيوب:

أنّ معاوية بن مروان كان ضَعِيفاً، فقال له خالد بن يزيد: يا أبا المغيرة! ما الذي هوّنك على أخيك فلا يوليك ولاية[4]، قال: لو أردتُ لفَعل، قال: كلاّ، قال: بلَى والله، قال: فسَلْه أن يولّيَكَ بَيْتَ لِهْيا[5]، قال: نعم.

فغَدَا على عبد الملك، فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين! ألسْتُ أخاك؟ قال: بلى واللهِ، إنكَ لأخي وشقيقي، قال: فوَلِّني بيت لِهْيا، قال: متى عَهْدُكَ بخالد؟ قال: عشيّة أمس، قال: إيّاكَ أنْ تكلِّمه.

ودخل خالدٌ فقال له: كيفَ أصبحتَ يا أبا المغيرة؟ قال: قد نهانَا هذا عن كَلامِك، فغلب على عبد الملك الضَّحك، فقام وتفرّق الناس.

قال: وأفلت لمعاوية هذا بازٍ فَصَاحَ: أغلِقُوا أبوابَ المدينة لا يخرج، قال: وقال له رجل: أنت الشّريف ابن أمير المؤمنين، وأخو أمير المؤمنين، وابن عم أمير المؤمنين عثمان، وأمُّك عائشة بنت معاوية، قال: فأنا إذاً مُردَّد في بني اللَّخْنَاء ترداداً[6].

خالد يتعصب لكلب على قيس

أخبرني الطوسيُّ، عن الزبير، عن عمه، قال: كان خالد بن يزيد / يتعصّب لكلبٍ على قَيْس في الحربِ التي كانت بينهم؛ لأنّ كَلْباً أخوالُ أبيه يزيد، وأخوال زوجته، فقال شاعر قيس: [١٥٠/١٧]

يا خالد بن أبي سفيان قد قَرِحَتْ[7] ... منّا القلوبَ وضاقَ السَّهْلُ والجَبَلُ
ألستَ تأمُرُ كَلْباً أنْ تقاتِلَنا ... جَهْلاً وتمنعهم منّا إذا قَتَلُوا
ها إنّ ذا لا يُقِرّ الطير ساكنةً ... ولا تبرّك مِنْ نكرائه الإبلُ

٩٢/١٦

(١) ليس في عير ولا نفير، أي ليس شيئاً يعتد به.
(٢) في ف: «جدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير، وأبي أبو سفيان صاحب العير».
(٣) الحبل: شجر العنب، واحده حبلة.
(٤) في المختار: «ما أهونك على أخيك؛ ألا يولّيك ولاية».
(٥) بيت لهيا، قرية مشهورة بغوطة دمشق (البلدان).
(٦) ف: «ترديداً».
(٧) كذا في ف، وفي أ، ب، جـ: «قدحت».

[١٧/٣٥١]

صوت

خَمْـــسٌ دَسَسْـــنَ إلـــيَّ فـــي لَطَـــفٍ حُـــور العيـــون نـــواعـــمٌ زُهـــرُ
فطـــرقتهـــنَّ مـــع الجَـــرِيِّ[1] وقـــد نـــام الـــرَّقِيـــبُ وحَلَّـــقَ النَّـــسْرُ

عروضه من الكامل. الشعر للأحوص، والغِناء لمعبد، رمَل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق.



(١) الجري: الرسول، وهو الخادم أيضاً.

/ [خبر للأحوص]

[٣٥٢/١٧]

نسوة من أهل المدينة يعقدن له مجلساً، فيقول في ذلك شعراً

أخبرني حرميّ[(١)] بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكّار، قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: حدثني إسماعيل بن محمد المخزوميّ، قال:

اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلي إلى الأحوص، فإنّا نحبُّ أن نتحدثَ معه ونسمع من شِعره، فقالت لهنَّ: إذاً لا يزيدكنّ على أنْ يخرج إذا عرفكن، فَيَشْهَرُكُنّ وينظم الشعرَ فيكُنَّ، فلم يزلْنَ بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكرُ له أمرهنّ ولا يسميهنّ، ويقول له أن يأتيهن مخمَّر الرَّأس، ففعل، وتحدّث معهنّ وأنشدهن. فلما أراد الخروجَ وضع يدَه في تَوْر[(٢)] بين أيديهن فيه خَلُوق، فغطّى رأسَه، وخرج ووضع يَده على الباب، ثم تفقّد الموضع الذي كان فيه، فغدا إليه، وطاف حتى وجد أثر يَدِه في الباب، فقال:

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطَفٍ ... حُورُ العيون نواعمٌ زُهُرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيّ وقد ... نام الرقيبُ وحَلّق النسر
مستبطناً[(٣)] للحيّ إذ قرعوا ... عَضْباً يَلُوحُ بمَتْنِه أثر
/ فعكفْن ليلتهن ناعِمَة ... ثم استفقْنَ[(٤)] وقد بَدَا الفَجْرُ
بأشَمّ معسول فكاهته ... غضّ الشباب رداؤه غَمْر[(٥)]
رَزْنٍ بَعِيد الصَّوْت[(٦)] مُشْتهر ... جِيبت له جَوْب[(٧)] الرحى عَمْرو
قامت تخاصِرُه لكِلّتِها ... تمشي تَأوّدُ غادة بكرُ
فتنازعا مِن دُونِ نسوتها ... كَلِماً يَسُرُّ كأنه سِحْرُ
كلٌّ يَرَى أنّ الشَّبابَ له ... في كل غايةِ صَبْوةٍ عُذْرُ
سَيْفَانَةٌ أمرُ الشباب بها ... رَقراقةٌ لم يُبْلها الدَّهرُ
حتى إذا أبدى هَوَاهُ لها ... وبَدَا هواها مالَهُ سِتْرُ

[٣٥٣/١٧]

---

(١) ف: «الحرمي».
(٢) التور: إناء.
(٣) كذا في جـ، ف، وفي أ، ب: مستبطئاً.
(٤) ف: «ثم افترقن».
(٥) الغمر من الثياب: الواسع.
(٦) كذا في أ، ب، ف، وفي حـ: «بعيد الصيت».
(٧) كذا في ف، حـ، وفي أ، ب: «جيب الرحى».

سفَـرَتْ ومـا سفَـرَتْ لمعـرفـةٍ[1] وجْهـاً أغـرُّ كـأنَّـهُ البَـدْرُ

قال إسماعيل[2] بن محمد: فخرجتُ وأنا شابٌ ومعي شبابٌ نُريد مسجدَ رسول الله ﷺ، فذكَرْنَا حديثَ الأحوص وشِعْرَه، وقدّامنا عَجُوزٌ عليها بقَايا من الجمال، فلما بلغنا المسجدَ وقفَتْ علينا والتفتَتْ إلينا، وقالت: يا فِتْيَان، أنا والله إحدى الخمس، كذب وربّ هذا القَبْر والمنبر ما خلَتْ معه واحدةٌ منّا، ولا راجعته دُون نسوتها كلاماً.

رواية أخرى في سبب قوله هذا الشعر

٩٣/١٦ قال الزبير: / وحدثني غَيْرُ إبراهيم بن عبد الرحمن:

أنَّ نسوةً من أهل المدينة نَذَرْن مشياً إلى قُباءَ[3] وصلاةً فيه، فخرجْنَ ليلاً، فطال عليهنّ الليلُ فنِمْنَ، فجاءَهُنَّ ١٧/٣٥٤ الأحوصَ مُتَّكِئاً على عرجون / بن طَاب[4]، فتحدّث معهنّ حتى أصبح، ثم انصرف وانصرفْنَ، فقال قصيدته:

خمـس دَسَسْـنَ إلـيّ فـي لطـف حـورُ العُيُـونِ نَـوَاعِـمٌ زُهـرُ

وحدثني عمّي، عن أبيه، قال: قال حَبِيب بن ثابت:

صدَرْتُ إلى العَقِيق، فخلاَ لي الطريق، فأنشدتُ أبياتَ الأحوص هذه، وعجوزٌ سَوْدَاء قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها، فقالت: كذبَ والله يا سيّدي؛ إنَّ سيفَه ليلتذ لعرجُون ابْن طَاب يتحضّر به، وإني لرسولهنّ إليه.

قال الزبير: وحدثني عَمّي، عن أبيه، عن الزُّبير[5] بن حبيب، قال: كنْتُ أنشد قول الأحوص:

* خمس دَسَسْنَ إليّ في لَطف *

قال: فإذا نسوة فيهنّ عجوز سوداء، فأقْبَلْنَ على العجوز، فقلن لها: لمَنْ هذا الشعر؟ قالت: للأحوص، فقلت[6]: للأحوص لعمري، فقالت لهن: أنَا والله الجريُّ، خرج نسوة يصلّين في مسجد قُبَاء، ثم تحدّثْنَ في رَحْبَة المسجد، في ليلةٍ مقمرة، فقُلْن: لو كانَ عندنا الأحوص! فخرجتُ حتى أتيتهُنَّ به، وهو متخَصِّر بعرجون ابن طَاب، فتحدَّث معهنّ حتى دَنا الصبح، فقلن له: لا تذكر خَبَرنا، ولا تذكر إليه خيراً، قال: قد فعلت، وأنشدهنّ تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات، ثم استمرت بأفْواهِ الناس تغنّي:

* خمس دَسسن إليّ في لَطف *

الأبياتِ كلّها، والله ما قامَتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهن سِرّ[7].

---

(١) ف: «بمعرفة».

(٢) كذا في ف، وفي باقي النسخ: «محمد بن إسماعيل».

(٣) أي مسجد قباء.

(٤) ابن طاب: جنس من تمور المدينة، المضاف والمنسوب. وفي ف: «بعرجون مرطاب».

(٥) كذا في النسخ، وتأمل السند السابق.

(٦) في جـ، ف: «فقلن».

(٧) ف: «ستر».

[٣٥٥/١٧]

صوت

يابْنَةَ الجُودِيِّ قَلْبِي كَئِيبُ ... مُسْتهامٌ عندها ما يُنِيبُ[1]

ولقد قالوا[2] فقُلْتُ: دَعُوها ... إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيبُ

إنما أبْلَى عِظَامِي وجِسْمِي ... حبُّها، والحبُّ شيءٌ عجيبُ

عروضه من الرمل. الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والغناء لمعبد، ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، لم ينسبه إسحاق إلى أحد. وذكر أحمد بن يحيى المكّيّ أنه لأبيه يحيى. والله أعلم.



(١) ف: «ما يثيب».

(٢) المختار: «لاموا».

[١/٣٥٦]

/ ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصّة بنت الجوديّ

نسبه

عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله ـ وكان اسمُه في الجاهلية عَتِيقاً، فسمَّاه رسولُ الله ﷺ عبد الله ـ بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار.

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزّى، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الرحمن.

وأُمُّه وأُمّ عائشة أم رُومَان بنت عامر بن عُويمر بن عَبْد شمس بن عَتّاب بن أُذَينة بن سُبَيع بن دُهْمان بن الحارث بن[١] غَنْم بن مالك بن كِنانة بن خزيمة.

٩٤/١٦ // هذا قول الزبير، وعمه.

وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عُوَيْمَر بن عتّاب بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم.

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المروانيّ أنها بنت عامر بن عُويمر بن أُذَينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة.

له صحبة بالنبي ﷺ

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبيّ ﷺ، ولم يهاجِرْ مع أبيه صِغَراً عن ذلك، فبقي بمكانه؛ ثم خرج قبل الفتح مع فِتْيَةٍ من قريش. وقيل: بل كان إسلامه في يوم الفَتْح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع. انتهى.

[١/٣٥٧] / أخبرني الطوسيّ وحرميّ[٢] بن أبي العلاء، قالا: حدّثنا الزُّبير، قال: حدثني إبراهيم بن حمزة، عن سُفيَان بن عُيينة، عن عليّ بن زيد بن جدعان: أنَّ عبدَ الرحمن بن أبي بكر خرج في فِتْيَةٍ من قُريش مُهاجراً إلى النبيّ ﷺ قبل الفَتْح، قال: وأحسبه قال: إنّ معاوية كان معهم[٣].

موقفه من أخذ البيعة ليزيد بن معاوية

قال الزُّبير: وحدثني عمّي مُصعب قال:

---

(١) ف: «ابن عثمان»، والمثبت يوافق ما في نسب قريش وباقي النسخ.

(٢) ف: «والحرمي».

(٣) ف: «معه».

وقف مُحَكَّم اليَمَامةِ عَلَى ثُلْمة[1] فحماها فلم يَجُزْ عليه[2] أحَد، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله ـ وكان أحدَ الرُّماه ـ فدخل المسلمون من تلك الثُّلْمَة، وهو المخاطِبُ لمَرْوان يومَ دَعا إلى بَيْعةِ يزيد، والقائل: إنّما تُرِيدون أن تجعلوها كِسْرَوِيَّة أوْ هرقليَّة، كلما هلك كسرى أو هرقل مَلك كسرى أو هرقل، فقال مروان: أيُّها الناس، هذا الذي قال لوالديه: أُفٌ لكما أتَعِدَانِني أن أخرج وقد خلَتِ القرونُ من قبلي، فصاحت به عائشة: أَلِعَبْدِ الرحمن تقولُ هذا؟ كذبْتَ واللهِ، ما هو به، ولو شئت أن أُسمِّي مَنْ أنزلت فيه لسميتُه، ولكن أشهد أنَّ رسولَ الله ﷺ لعَن أباك، وأنت في صُلْبه، فأنت فَضَضٌ[3] مِنْ لَعْنَةِ اللهِ.

حدثنا بذلك أحمد بن الجَعْد، قال: حدثنا أحمد بن زُهير، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، عن جُويرية بن أسماء، وفي غير رواية: أنّ عائشة قالت له: يا مَرْوَان، أفينا تتأوّل القرآن، وإلينا تسوقُ اللعن؟ / والله لأقومنَّ يوم الجمعة بك مقاماً تودُّ أني لم أقُمْه. فأرسل إليها بعد ذلك وتَرضّاها واستعفاها، وحلف ألاّ يصلي بالناس أو تؤمِّنه، ففعلت. [١٧/٥٨]

شعره في ليلى بنت الجودي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عُمر بن شبّة، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله[4] بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وأخبرني الطّوسي، قال: حدثنا الزُّبير، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، قال:

استهيم عبد الرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجُودِيّ بن عديّ بن عمرو بن أبي عمرو الغَسّانيّ، فقال فيها[5]:

تـذكـرتُ ليلـى[6] والسمـاوةُ دُونَهـا ... ومـا لابنَـةِ الجُـودِيّ ليلـى ومَـالِيـا
وأنّـى تُعـاطِـي قلبـه حَـارِثِيَّـةٌ[7] ... تحـلُّ بِبُصْـرَى أو تحـلّ الجَـوَابِيـا[8]
وكيـف يُـلاَقيهـا، بلَـى، ولَعَلَّهـا ... إذا النـاسُ حجّـوا قـابـلاً أن تـلاقيـا[9]

قال أبو زيد: وقال فيها:

يـابْنَـةَ الجُـودِيّ قَلْبِـي كَئِيـبُ ... مُسْتَهـامٌ عنـدهـا مـا يُنِيـبُ

---

(١) الثلمة: فرجة المكسور والمهدوم.
(٢) ف: «فلم يجز عليها».
(٣) قال في القاموس: أنت فضض من لعنة الله، ويروى: فضض، كعنق وغراب، أي قطعة منها.
(٤) ف: «عن عبد الرحمن».
(٥) الأبيات في نسب قريش ٢٧٦، والبيت الأول في الإصابة ٤: ٣٩٠، وانظر نسب قريش.
(٦) في نسب قريش: «تذكر ليلى».
(٧) نسب قريش: «... ذكرها حارثية».
(٨) كذا في ف، وفي أ، جـ، ب: «الحوانيا»، والمثبت يوافق ما في نسب قريش.
(٩) في نسب قريش:
وأنى تلاقيها .... قابلاً أن ترافيا

جـاورتْ أخـوالهـا حَـيَّ عَـكٍّ فلِعَـكٍّ[١] مِـنْ فـؤادِي نَصِيـب

[٣٥٩/١٧ ٩٥/١٦] / وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم.

قال الزُّبير في خبره:

وكان قدم في تجارة، فرآها هناك على طِنْفسة حولها وَلائد، فأعجبته.

وقال أبو زَيْد في خبره: فقال له عُمر: ما لكَ ولها يا عبدَ الرحمن! فقال: واللهِ ما رأيْتُها قطّ إلا ليلة في بيت المقدس في جَوَارٍ ونساءٍ يَتَهَادَيْنَ، فإذا عثرتْ إحداهنَّ قالت: يابنة الجوديّ، فإذا حلَفَت إحداهُنَّ حلفت بابنة الجوديّ.

عمر يأمر بأن تكون ليلى لعبد الرحمن إذا فتحت دمشق

فكتب عُمر إلى صاحب الثَّغر الذي هي به: إذا فتح اللهُ عليكم دمشق فقد غنَّمت عبد الرحمن بن أبي بكر لَيْلى بنت الجوديّ. فلما فتح اللهُ عليهم غنّموه إيّاها.

قالت عائشة: فكنتُ أكلّمه فيما يصنَعُ بها، فيقول: يا أُخَيَّة، دَعيني، فوالله لكأني أرشف[٢] من ثَنَاياها حَبَّ الرمان. ثم ملّها[٣] وهانَتْ عليه، فكنتُ أكلّمه فيما يُسيء إليها كما كنتُ أُكلِّمهُ في الإحسان إليها، فكان إحسانه أنْ ردَّها إلى أهلها.

يردها إلى أهلها

قال الشيخ في خَبَرِه:

فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن لقد أحبَبْتَ ليلى فأفرطت، وأبغضت ليلى فأفرطت، فإما أنْ تنصفها، وإما أنْ تجهزها إلى أهلها؛ فجهَّزَها إلى أهلها.

ليلى بنت ملك دمشق

قال الزُّبَيْر: وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ: عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه:

أن عمَر بن الخطاب نفَّل عبدَ الرحمن بن أبي بكر بنت الجوديّ، حين فتح دمشق، وكانت بنت ملك دمشق.

[٣٦٠/١٧] / روايتان أخريان في أمر عبدالرحمن مع ليلى

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عُمر بن شبّة، قال: حدثنا الصَّلْت بن مسعود، قال: حدثنا محمد[٤] بن شيرويه، عن سليمان بن صالح، قال: قرأت على عبد الله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزُّبير، عن عائشة بنت مصعب، عن عروة بن الزُّبير، قال: كانت ليلى بنت الجوديّ بنت ملكٍ مِنْ مُلُوكِ الشام، فَشبَّب بها عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد رآها فيما تقدم بالشام، فلما فتح اللهُ عزّ وجلّ على

---

(١) ب، والمختار: أخوالها حي عكل فلعكل...».
(٢) ف: «أترشف».
(٣) كذا في ب، وفي أ، ف، جـ: «بذل لها».
(٤) كذا في أ، ب، وفي جـ، ف: «أحمد».

المسلمين، وقتلوا أباها أصابوها، فقال المسلمون لأبي بَكْر: يا خليفةَ رسول الله! أعطِ هذه الجارية عبد الرحمن، فقد سلّمناها له، قال أبو بكر: أكلّكم[١] على هذا؟ قالوا: نعم، فأعطاه إياها، وكان لها بساط في بلدِها لا تذهَبُ إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلّا بُسِط لها، ورُمِيَ بين يديها برمّانتين من ذهب تتلهّى بهما في طريقها. فكان عبد الرحمن إذا خرج مِنْ عندها، ثم رجع إليها رأى في عَيْنَيْها أثَرَ البُكاء، فيقول: ما يُبكيك؟ اختاري خصالاً أيها شئتِ فعلتُ بك: إما أنْ أعتقك وأنكحك، فتقول: لا أشتهيه، وإن شئت ردَدْتكِ على قومِك، قالت: ولا أريد، وإنْ أحْبَبْتِ رَدَدْتُكِ على المسلمين، قالت: لا أُريد، قال: فأخبريني ما يُبكيك؟ قالت: أبكي الملك من يوم[٢] البؤس.

أخبرني أحمد، قال: حدثني أبو زيد، قال: حدثني هارون بن إبراهيم بن معروف، قال: حدثني حمزة بن ربيعة، عن العلاء بن هارون، عن / عبد الله بن عَوْن[٣]، عن يحيى بن يحيى الغسانيّ: [٦١/١٧

أنّ عبد الرحمن قدم على يَعْلَى بن مُنْيَه، وهو على اليَمن، فوجدها في السَّبْي، فسأله أنْ يدفعها إليه.

شعر آخر له في ليلى

أخبرني أحمد، قال: حدّثنا عمر، قال:

كتب إليَّ محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها:

فـإمّـا تُصْبِحـي بعـد اقـترابٍ   بِسلْـعٍ أو ثنِيّـاتِ الـوَدَاعِ
فلـم ألفظـك مِـنْ شبَـعٍ ولكـن   لأقضـي حـاجـةَ النفس الشَّعـاعِ[٤]
/ كـأنَّ جـوانـحَ الأضـلاعِ منّـي   بُعَيْـدَ النـوم مُبْطَنَـةُ اليَـرَاعِ ٩٦/١٦

عائشة ترثيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا أبو أحمد الزُّبيريّ، قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن[٥] أبي مُليكة، قال:

مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبْشِيّ ـ جَبَل من مكّةَ على أميال[٦] ـ فحُمل فدُفِن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره، ثم قالت[٧]:

وكُنّـا كنَـدْمـانَـيْ جَـذِيمـةَ حِقْبَـةً   مـن الـدَّهْـرِ حتى قِيـل لـن يتصـدَّعَـا
فلمـا تفـرَّقْنَـا كـأنّـي ومَـالِكـاً   لطُـولِ اجْتِمَـاعٍ لـم نَبِـتْ ليلـةً معـا

أمَا واللهِ لو حضرتُك لدَفَنْتُك حيث متّ، ولو شهدتك لزرتُك[٨].

---

(١) كذا في ف وهو الوجه، وفي أ، ب: «أكلمكم».
(٢) ف: «أبكي للملك في يوم البؤس».
(٣) ف: «عوف».
(٤) نفس شعاع: متفرقة، وقد ورد هذا البيت في «اللسان» (شمع) منسوباً إلى قيس بن ذريح، وفيه: «أقضي».
(٥) في ف: «لاحق بن أبي مليكة».
(٦) في البلدان: «جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك».
(٧) البلدان (حبشي).
(٨) أ، ف: «ما زرتك»، وفي المختار: «لما زرتك».

[٣٦٢/١٧] / صـوت

أمَـــاوِيَّ إنّ المــــالَ غَـــادٍ ورَائـــحٌ ... ويَبْقَـى مِـنَ المـالِ الأحـاديـثُ والـذُّكْـرُ[١]
وقـد عَلِـمَ الأقـوامُ لـو أنَّ حـاتمـاً ... أرادَ ثَـراءَ المـالِ أمْسَـى لـه وَفْـرُ[٢]
أمـاوِيَّ إنْ يُصْبِـحْ صَـدَايَ بِقَفْـرَةٍ ... مِـنَ الأرضِ لا مـاءٌ لـديَّ ولا خَمْـرُ
تَـرَيْ أنَّ مـا أنفقـتُ لـم يَـكُ ضـائِـري ... وأنَّ يَـدِي ممـا بَخِلـتُ بـه صِفْـرُ

عروضه من الطويل.

الثراء: الكثرة في المال، وفي عددَ القومِ أيضاً. والوَفْر: الغِنَى، ووفور المال. والصَّدَى ها هنا: كان أهل الجاهلية يذكرون أنَّ طائراً يخرج مِنْ جسم الإنسان أو من رأسه، فإذا قُتِل أقبل يُصوِّتُ على قبره، حتى يُدْرَكَ بثأره. والصِّفْر: الخالي. والصدى: العطش، والصدى: ما يجيب إذا صُوِّت في المكان الخالي. وصدأ الحديد مهموز.

الشعر لحاتم الطائيّ. والغناء لإسحاق، رمَل بالسبابة في مجرى البنصر. وذكر الهشاميّ أنَّ فيه ثقيلاً أولَ، ولمالك خفيفاً، وذكر حَبَش أنَّ فيه لابْنِ سُريج ثاني ثقيل بالوسطى، وذكر عَمْرو بن بانَة أنّ فيه لابن جامع خفيف رمَل بالوسطى.



(١) ديوان حاتم١٩.
(٢) الديوان: «كان له وفر».

/ أخبار حاتم ونسبه [١٧/ ٣٦٣]

نسبه

ذكر ابنُ الأعرابيّ، عن المفضل[١]، والأثرم، عن أبي عمرو الشيبانيّ، وابن الكلبيّ، عن أبيه والسكريّ، عن يعقوب بن السِّكِّيت:

أنه حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عَديّ بن أَخْزَم بن أبي أخزم، واسمُه هَزُومة بن رَبيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيىء.

وقال يعقوب بن السكيت: إنما سمي هَزُومة؛ لأنه شَجّ أو شُجّ؛ وإنما سمي طيّىء طيئاً ـ واسمه جُلْهُمة ـ لأنه أول مَن طَوَى المناهِلَ[٢]، وهو ابن أُدد بن زَيْد بن يشحب بن يعرب بن قحطان. ويكنى حاتم أبا سَفّانة[٣]، وأبا عدِيّ؛ كني بذلك بابْنَتِه سفّانة، وهي أكبر ولده، وبابْنِه عدِيّ بن حاتم. وقد أدركت سَفّانة وعدِيّ الإسلامَ فأسلما، وأُتي بسفّانة النبيّ ﷺ في أسْرَى طَيّىء فمَنَّ عليها.

علي يروي خبر لقاء ابنته بالنبي ﷺ

أخبرني بذلك أحمد بن عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثني عبد الله بن عمرو[٤] بن أبي سَعْد، قال: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفيّ ـ ووجدتُه في بعض نسخ الكوفيين: عن سليمان بن الربيع ـ أتمّ من هذا فنسختُه وجمعتُهما. / قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصليّ البرجميّ، قال: حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد الصُّهبانيّ، عن أبيه، عن كُمَيْل[٥] بن زِيَاد النخعيّ، عن عليّ عليه السلام، قال: ٩٧/١٦

/ يا سبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير! عجبْتُ لرجلٍ يَجيئه أخوه في حاجةٍ فلا يرى نَفْسَه للخيرِ أهلاً، فلو كنّا لا نرجو جنّةً، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان يَنْبَغِي لنا أنْ نطلبَ مكارِمَ الأخلاق؛ فإنها تدلُّ على سبيل النجاة. [١٧/ ٦٤]

فقام رجلٌ، فقال: فِدَاكَ أبي وأُمّي يا أميرَ المؤمنين، أسمعْتَه مِنْ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خير منه؛ لما أُتينا بِسبَايَا طيىء كانت في النساء جاريةٌ حَمّاء[٦] حَوْراء العَيْنَيْنِ، لَعْسَاء لَمْيَاء عَيْطَاء[٧] شمّاء الأنف، معتدلة

---

(١) ب: «ابن المفضل»، والمثبت يوافق ما في أ، ف.

(٢) ف: «المنازل».

(٣) سفانة بنته، وأصل السفانة اللؤلؤة، كما في «القاموس».

(٤) ف: «عمير».

(٥) أ، ب، جـ: «كهيل»؛ والمثبت من ف، وهو يوافق ما في الإكمال ٢٢٩، والاشتقاق ٤٠٤.

(٦) أ، جـ: «جماء»؛ وحماء: بيضاء.

(٧) اللعس، محركة: سواء مستحسن في الشفة. واللمى: سمرة في الشفه؛ والعيط، بالتحريك: طول العنق.

القامة، دَرْمَاء[١] الكعبين، خدلّجة الساقين، لفّاء الفخذين، خميصة الخَصر، ضامِرة الكَشْحين، مصقولة المَتْنين.

فلما رأيتُها أُعْجِبت بها، فقلت: لأطلبنّها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها مِنْ فيئي. فلما تكلّمتْ أُنسيتُ جمالَها؛ لِما سمعْتُ مِنْ فصاحتها، فقالت:

يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخلِيَ عنّي، فلا تُشْمِتْ بي أحياءَ العرب؛ فإني بنْتُ سيِّد قومي، كان أبِي يفُكُّ العانيَ، ويَحمِي الذمارَ، ويَقْرِي الضيفَ، ويشبع الجائع، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعامَ، ويفشي السلام، ولم يَرُدّ طالبَ حاجة قط؛ أنا بنتُ حاتم طيىء.

[١٧/٣٦٥] فقال لها رسولُ الله ﷺ: يا جارية، هذه صفةُ المؤمن، / لو كان أبوك إسلاميّاً لترحمنا عليه، خلُّوا عنها؛ فإنَّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق، والله يحبُّ مكارِمَ الأخلاق[٢].

نسب أم حاتم

وأمّ حاتم عتبة[٣] بنت عَفِيف بن عَمرو بن امرىء القيس بن عديّ بن أخزم. وكانت في الجُود بمنزلة حاتم، لا تدَّخر شيئاً ولا يسألها أحَدٌ شيئاً فتمنعه.

بلغ من سخائها أن حجر عليها إخوتها

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: أخبرنا الحرمازيّ[٤]، عن العباسي بن هشام، عن أبيه، قال:

كانت عُتبة بنت عفيف، وهي أمّ حاتم ذات يسار، وكانت من أسْخَى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تُليق[٥] شيئاً تملكه. فلما رأى إخوتها إتلافَها حَجَرُوا عليها، ومنعوها مالَها، فمكثت دَهْراً لا يُدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظنُّوا أنها قد وجدت ألَمَ ذلك أعطوْها صِرْمة[٦] مِنْ إبلها، فجاءتها امرأةٌ من هوازن كانت تأتيها في كلّ سنةٍ تسألها، فقالت لها: دُونك هذه الصِّرْمَة فخُذِيها، فوالله لقد عضّني[٧] من الجُوع ما لا أمنعُ منه سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول[٨]:

من شعرها وقد سألتها امرأة من هوازن:

لَعَمْـرِي لَقِـدْمـاً عضَّـني الجـوعُ عَضَّـةً ... فـآليْـتُ ألاّ أمْنـعَ الـدَّهْـرَ جـائعـا
فقُـولاَ لهـذا الـلائمـي اليـومَ: أعفِنـي ... فـإن أنْـتَ لـم تفعَـلْ فعَـضّ الأصـابِعَـا
فمـاذا عسـاكـم أنْ تَقُـولُـوا لأختكـم ... سِـوَى عَـذْلِكـم أو عَـذْلِ مَـنْ كـان مـانعـا

---

(١) أ، ب: «ردماء»، تحريف. وامرأة درماء: لا تستبين كعوبها ومرافقها. وخدلجة: ممتلئة.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٢٧٤.

(٣) في الشعر والشعراء: عنبة. وفي ف: «غنية».

(٤) كذا في ف. وفي الديوان وباقي النسخ: «الجرموزي».

(٥) كذا في ف والديوان وفي أ: «لا تملك»، وفي ب: «لا تمسك».

(٦) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشر إلى الثلاثين، أو إلى الخمسين والأربعين، أو ما بين العشرة إلى الأربعين، أو ما بين عشرة إلى بضع عشرة. «القاموس».

(٧) ف: مضني.

(٨) ديوانه ٤٢.

/ ومــاذا تــرون[1] اليــومَ إلاّ طبيعــةً فكيــف بتــركــي يــا ابْــنَ أُمّ الطَّبــائعــا [١٧/٣٦٦]

سفانة ابنته من أجود نساء العرب

قال ابن الكلبيّ: وحدثني أبو مسكين قال:

كانت سَفَّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يُعْطيها الصِّرْمَة بعد الصِّرْمَة من إبلِه، فتنهبها وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية، إنَّ القَرِينَين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي؛ فإنه لا يبقى على هذا شيءٌ.

شعره يشبه جوده

قال ابن الأعرابيّ:

كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يُشبه / شعره جوده، ويصدّق قوله فعله، وكان حيثما نزل عُرِف منزله، وكان مظفَّراً، إذا قاتل غَلَب، وإذا غَنِم أنهَب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أُسر أطلق، وكان يقسم بالله ألاّ يقتل واحِدَ أمّه. ١٦/٩٨

وكان إذا أهلَّ الشهر الأصمُّ[2] الذي كانت مُضر تعظّمه في الجاهلية ينحَر في كلّ يوم عَشْراً من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان ممّن يأتيه من الشعراء الحطيئة، وبشر بن أبي خازم.

فذكروا أن أمَّ حاتم أُوتِيَت وهي حُبْلَى في المنام، فقيل لها: أغلام سمح يقال له: حاتم أحبّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس، ليوثٌ ساعةَ البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس[3]، فقالت: بل حاتم، فولدت حاتماً.

لا يأكل إلا إذا وجد من يأكل معه

فلما ترعرع جعل يُخرج طعامه، فإن وَجَدَ من يأكله معه أكل، وإن لم يجدْ / طرحه. فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامَه قال: له الحقْ بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوَها[4]، فلما أتى الإبلَ طفِق يبغي الناسَ فلا يجدهم، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً. [١٧/٣٦٧]

عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني يمتدحونه فيهب لهم إبل جده كلها

فبينا هو كذلك إذ بصر بِرَكْبٍ على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قِرًى؟ فقال: تسألوني عن القِرَى وقد ترون الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابغة الذبيانيّ؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبَن، وكانت تكفينا بَكْرة إذا كنت لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكني رأيتُ وجوهاً مختلفة، وألواناً متفرّقة، فظننت أن البُلْدان غيرُ واحدة؛ فأردت أن يذكر كلُّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فَضْله. فقال حاتم: أردت أن

---

(١) ف: «وما إن ترون»، أ: «وما ترون»، وفي الديوان: «ولا ما ترون إلا . . . طبائعاً».

(٢) قال في «القاموس»: «رجب الأصم، لأنه لا ينادي فيه: «يا لفلان! ويا صباحاه»!.

(٣) أوغال: جمع وغل، وهو الضعيف النذل الساقط المقصر. والأنكاس: جمع نكس، وهو الضعيف المقصر عن غاية الكرم، وفي ف: «بأوغاد».

(٤) الفلو: المهر إذا فطم.

أحسن إليكم فكان لكم الفَضْل عليّ، وأنا أُعاهِدُ الله أن أضربَ عراقيبَ إبلي عن آخرها أو تقدموا[1] إليها فتقتسموها. ففعلوا، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً[2]، ومضوا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه، فقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت؛ طوّقْتُك بها طَوْقَ الحمامة مجدَ الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوَضاً من إبلك.

فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلتَ ذلك! قال: نعم، قال: والله لا أُساكِنك أبداً. فخرج أبوه بأهله، وترك حاتماً، ومعه جارِيتُه وفرسه وفِلْوها، فقال يذكر تحوُّلَ أبيه عنه[3]:

[٣٦٨/١٧] / وإنـي لَعَـفٌ الفَقْـرِ مُشْتَـرَك الغِنَـى ... وتَـارِك شكْـلٍ[4] لا يـوافقُـه شَكْلِـي

وشَكْلِـي شكـلٌ لا يقـومُ لمثلـه ... مـنَ النـاس إلّا كـلُّ ذي نيقـة مِثْلِـي[5]

وأَجْعَـلُ مَـالِـي دُونَ عِـرْضِـيَ جُنَّـةً ... لنفسـي وأستغنـي بمـا كـان مِـنْ فضلـي

ومـا ضَـرَّنـي أن سَـارَ سَعْـدٌ بـأهلـه ... وأَفْـرَدَنـي فـي الـدارِ لَيْـسَ معـي أهلـي

سيكفـي ابتنـائِي المجدَ سَعْدَ بـن حَشـرج ... وأحمِـل عنكـم كـلَّ مـا ضـاع مـن ثِقْـلِ[6]

ولـي مَـع بَـذْلِ المـال فـي المجد صَـوْلَـةٌ ... إذا الحَـرْبُ أَبْـدَتْ عـن نَـوَاجذهـا العُصْـلِ[7]

وهذا شعر يدلُّ على أنّ جَدَّه صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه. وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت، ووَصَفَ أنّ أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير، فكان في حجر جَدّه سعد بن الحشرج، فلما فتح يدَه بالعطاء وأنهب ماله ضيّق عليه جدُّه ورحل عنه بأهله، وخلّفه في داره، / فقال يعقوب خاصة: [٩٩/١٦]

فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه، وإذا[8] حوله مائتا بعير أو نحوها تجولُ ويحطمُ بعضُها بعضاً، فساقها إلى قَوْمِه، فقالوا: يا حاتم، أبقِ على نفسك فقد رُزِقت مالاً، ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من الإسراف، قال: فإنها نُهْبَى[9] بينكم، فانتهبت، فأنشأ حاتم يقول:

[٣٦٩/١٧] / تَـدَارَكنـي مَجْـدِي بسَفْـحِ مُتَـالـعٍ ... فـلا يَيْـأَسَـنْ ذو نَـوْمَـةٍ أنْ يغنَمَا[10]

قال: ولم يَزَلْ حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضَى لسبيله.

حاتم وبنو لأم

قال ابن الأعرابيّ، ويعقوب بن السكّيت، وسائر من ذكرنا من الرُّوَاة:

---

(١) ف والمختار والديوان ٨٤: «أو تقوموا إليها».

(٢) ف والديوان والمختار: «تسعة وثلاثين بعيراً».

(٣) ديوانه ٦.

(٤) الديوان: «وودك شكل».

(٥) النيقة، من قولهم: تنيق في مأكله وملبسه: تجوّد وبالغ، كتنوق، والاسم النيقة، بالكسر. وفي الديوان: «إلا كل ذي خلق مثلي».

(٦) كذا في ف، جـ. وفي أ، ب: «من نفل»، وفي الديوان: «ما حل من أزلي»، والأزل: الضيق.

(٧) النواجذ: أقصى الأضراس، والعصل: المعوجة في صلابة، جمع أعصل، وهو كناية عن اشتداد الحرب.

(٨) كذا في أ، ب، وفي ف: «ووهبه وهو نائم».

(٩) النهبى: كل ما انتهب.

(١٠) ديوانه ٥٢، وفي ف: «تداركني جدي».

خرج الحَكَمُ بن أبي العاصي بن أُمية بن عبد شمس، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة[1]، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمعُ إليه الناس كل سنةٍ. وكان النعمان بن المنذر قد جعل لِبَني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيىء رُبع الطريق طُعمةً لهم؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان، وكانوا أصهارَه، فمرَّ الحكَمُ بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوارَ في أرضِ طيىء حتى يَصِيرَ إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزُور فنُحِرت، وطبخت أعضاء، فأكلوا، ومع حاتم مِلْحان بن حارثة بن سَعْد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكَمُ من طِيبة ذلك. فمرّ حاتم بسَعْد بن حارثة بن لأم، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتمٌ على راحلته، وفرسه تُقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: اطعموا حيّاكم الله، فقالوا: مَنْ هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاءِ جيراني، قال له سعد: فأنتَ تُجير علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابنُ عمّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمته، فقالوا: لستَ هناك. وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِحَ عامر بن جُوَيْن[2] قبله، فوثبوا إليه، فتناول سعد بن حارثة بن لأم / حاتماً، فأهوى له حاتمٌ [١٧/٣٧٠] بالسيف فأطار أرْنَبَةَ أنفه، ووقع الشرُّ حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك[3]:

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ لو أنَّ أنْفَه ... هواءٌ فما مَتَّ[4] المُخاطُ عن العَظْمِ

ولكنَّما لاقاهُ سَيْفُ ابنِ عَمِّهِ ... فآبَ ومرَّ السَّيْفُ منه على الخَطْمِ[5]

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سُوقُ الحيرة فنُماجِدُكَ[6] ونضَع الرَّهن، ففعلوا، ووضعوا تسعةَ أفراس هنا على يَدَيْ رجل من كَلْب يقال له: امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَناب، وهو جدُّ سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما، ووضع حاتم فرسَه. حتى خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائيّ، فخاف أن يُعينهم النعمان بن المنذر يُقَوِّيهم بماله وسلطانه؛ للصِّهْرِ الذي بينَهم وبينه، فجمع إياسٌ رَهْطَه من بني حية، وقال: يا بني حيّة، إنّ هؤلاء القوم قد أرادوا أنْ يفضحوا ابن عمكم في مجاده، أي مماجدته[7] فقال رجل من بني حية[8]: عندي مائةُ ناقةٍ سوداء ومائة ناقة حمراء أدْماء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصُن، على كل حصانٍ منها فارِس مدجَّج لا يُرى منه إلاّ عيناه. وقال حسان بن جبلة[9] الخير: قد علمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلًّا / كثيراً، فعليّ كلُّ خمْر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: عليَّ مِثْلُ [١٠١/١٦] جميع ما أعطيتم كلكم.

[١٧/٣٧١] / قال: وحاتم لا يعلمُ بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال،

---

(١) ديوان حاتم: «ومعه عير له يزيد العراق».

(٢) ف: «بن حر»، والمثبت يوافق ما في باقي النسخ والديوان.

(٣) ديوانه ٣٠.

(٤) متّ العظم متًّا: سال ما فيه من الودك.

(٥) الخطم: مقدم الفم والأنف.

(٦) هامش أ: «تماجد القوم فيما بينهم، وماجدته، أمجده؛ أي غلبته بالمجد».

(٧) أ، حـ: «أي بمماجدته».

(٨) ف: «فقام رجل... فقال: عندي».

(٩) ف: «بن حنظلة الخير».

فقال: يابن عم، أعِنِّي على مخايلتي[١]. قال: والمخايلة المفاخرة، ثم أنشد[٢]:

يا مالِ إحْدَى خطوب الدَّهْر قد طَرَقَتْ ... يـا مـالُ مـا أنْتُمُ عنهـا بـزَحْـزاحِ
يـا مـالِ جـاءَتْ حِيَـاضُ المـوتِ وارِدَةً ... مـن بيْـنِ غَمْـر فخُضْنَـاه وضَحْضَـاحِ[٣]

فقال له مالك: ما كنْتُ لأخرِبَ نفسي ولا عِيَالي وأعطيك مالي.

فانصرف عنه، وقال مالك في ذلك قوله:

إنّـا بَنُـو عمِّكـم لا أنْ نُبَـاعِلكـم ... ولا نجـاوِركـم إلاَّ علـى نَـاحِ[٤]
وقـد بلَـوتُـك إذ نلْـتَ الثـراءَ فلـم ... ألقـك بـالمـالِ إلاَّ غيـر مـرتـاح

قال أبو عَمرو الشيبانيّ في خبره: ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له: وَهْم ابن عَمْرو، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلِّمُه، فقالت له امرأته: أيْ وَهْمُ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلَع، فقال: ما لنا ولحاتم! أثْبِتي النظر، فقالت: ها هو، قال: ويحك هو لا يكلِّمني، فما جاء به إليّ؟ فنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامَه وحيّاه، ثم قال له: ما جاءَ بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حَسبك وحَسَبِي، قال: في الرُّحب والسَّعَة، هذا مالي ـ قال: وعِدّته يومئذ تسعمائة بعير ـ فخُذها مائة مائة حتى تذهبَ الإبلُ أو تصيبَ ما تريد. فقالت امرأته: [١٧/٣٧٢] / يا حاتم، أنْتَ تخرجنا مِنْ مالِنا، وتفضح صاحبنا ـ تعني زَوْجها ـ فقال: اذهبي عنك؛ فوالله ما كان الذي غَمَّك ليردّني عما قِبَلي. وقال حاتم[٥]:

إلاَ أبلِغَـا وَهْـمَ بـنَ عمـرو رسـالـةً ... فـإنـكَ أنْـتَ المـرءُ بـالخيـر أجْـدَرُ
رأيتُـكَ أدْنَـى النـاسِ منّـا قـرابـةً[٦] ... وغيْـركَ منهـم كنـتُ أحْبُـو وأنصُـرُ
إذا مـا أتَـى يـومٌ يُفَـرِّقُ بيننـا ... بمَـوْتٍ فكُـنْ يـا وَهْـمُ ذُو يتـأخَّـرُ

ذو في لغة طيـىء[٧]: الذي.

قالوا: ثم قال إياس بن قبيصة: احملوني إلى الملك، وكان به نِقْرس، فحُمل حتى أُدخل عليه، فقال: أنْعِم صباحاً أبيتَ اللعن، فقال النعمان: وحيَّاك إلٰهك، فقال إياس: أتمدُّ أَختانَك بالمال والخيل، وجعلْتَ بني ثُعَل في قَعْر الكنانة! أظُنُّ أختانَك أن يصنعُوا بحاتم كما صنعوا بعَامِر بن جُوَين[٨]، ولم يَشْعروا[٩] أنَّ بني حيَّة بالبَلَد؛ فإن شئت واللهِ ناجَزْناك حتى يَسْفَحَ الوادي دَماً، فليحضروا مِجادَهم غداً بمجمع العرب.

فعرف النعمانُ الغضبَ في وَجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب؛ فإني سأكفيك.

---

(١) أ: «مخابلتي»، بالباء تحريف.

(٢) ديوانه ٣١.

(٣) ف: «بضحضاح». والغمر: الماء الكثير، والضحضاح: الماء اليسير.

(٤) في «اللسان»: باعل القوم قوماً آخرين مباعلة وبعالاً: تزوج بعضهم إلى بعض. وناح: يريد ناحية.

(٥) ديوان حاتم ٣١.

(٦) ف: «... أدنى الناس مني ...».

(٧) ف: «ذو: لغة أهل اليمن: الذي».

(٨) ف: «ابن حر».

(٩) ف: «ولا يشعرون».

وأرسل النعمانُ إلى سَعْد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابْنَ عمّكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذِّرونه، وما أُطِيق بني حيَّة.

/ فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له: أَعْرِض عن هذا المِجاد ندع أَرْشَ أَنْفِ ابن عمنا، قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أَرْشَ أَنْفِ صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبّحها اللهُ وأبْعدها؛ فإنما هي مَقارف[1]، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك[2]: [٣٧٣/١٧]

/ أَبْلِـغْ بنـي لأمٍ فـإنَّ خيـولَهُـم ... عَقْـرَى وإنَّ مجـادَهـم لـم يَمْجُـدِ[3] [١٠١/١٦]

هـا إنَّمـا مَطـرَتْ سمَـاؤكـمُ دَمـاً ... ورفعْـتَ رأسَـك مِثْـل رأسِ الأصْيَـدِ

ليكـونَ جيـرانـي أُكـالاً[4] بينكـم ... نُحْـلاً[5] لِكِنْـديّ وسَبْـيٍ مـزبـد

وابـنِ النُّجُـودِ إذا غَـدَا متـلاطمـاً ... وابـنِ العـذَوَّرِ ذي العِجـانِ الأبـرد[6]

ولثـابـتٍ عَيْنـي جـذ متمـاوت ... وللعمـط أوْس قـد عَـوَى لمقلـد[7]

أَبْلِـغْ بنـي ثُعَـلٍ بـأنّـيَ لـم أكُـنْ ... أبـداً لأفعلَهـا طـوالَ المُسْنَـدِ

لاجئتُهـمْ[8] فَـلاً وأتـركَ صُحْبَتِـي ... نَهْبـاً ولـم تَغْـدرْ بقـائمـه يَـدِي

وخرج حاتم في نَفَرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم، فسقطوا على عَمْرو بن أوس بن طريف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ في فَضَاءٍ من / الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم: لا تَعْجَلُوا بقَتْلِه؛ فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه، وإنْ لم تَرَوْا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناسُ بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم[9]: [٣٧٤/١٧]

عَمْـرو بـن أوس إذا أشيـاعـه غَضِبـوا ... فـأحـرزُوه بـلا غُـرْمٍ ولا عـارِ

إنَّ بنـي عَبْـد وُدٍّ كلّمـا وقعـت ... إحـدى الهنـات أتَـوْهَـا غيـر أغْمَـارِ

خبر لأبي الخيبريّ عند قبر حاتم

أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش، عن عليّ بن حرب، عن هشام بن محمد، عن أبي مِسكين جعفر بن المحرز[10] بن الوليد، عن أبيه، قال: قال الوليد جده، وهو مولى لأبي هريرة: سمعتُ محرز بنَ أبي هريرة يتحدَّث، قال:

---

(١) ف: «مقاريف»، والمقرب من الخيل: غير الأصيل.

(٢) ديوانه ٣٢.

(٣) في الديوان: «بلغ بني لأم بأن جيادهم... لم يرشد».

(٤) كذا في ف، وفي الديوان:

* ليكون جيراني كأني بينكم *

(٥) ب، س: «بخلاً»، تصحيف.

(٦) العذوّر: السيء الخلق، والعجان: الاست، وفي ف، جـ: «الأربد».

(٧) ف: «ولنابت».

(٨) ف: «لا' حيّهم قُلاًّ».

(٩) ديوانه ٦٥.

(١٠) ف: «المحرم».

كان رجل يُقال له أبو الخَيْبَرِيّ مَرَّ في نَفَرٍ من قومه بقبر حاتم، وحوله أنصاب متقابلات مِن حجارة كأنهنَّ نساءٌ نوائح. قال: فنزلوا به، فبات أبو الخيبريّ ليلتَه كلَّها يُنادي: أبا جعفر اقْرِ أضيافَك. قال: فيقال له: مَهْلاً؛ ما تُكلِّم مِنْ رِمَّةٍ[1] بالية! فقال: إنَّ طيئاً يزعمون أنه لم ينزل به أَحَدٌ[2] إلاّ قَرَاه.

قال: فلما كان من آخر الليل نام أبو الخَيْبَرِيّ، حتى إذا كان في السَّحَر وثب فجعل يصيح: وارحِلَتاه! فقال له أصحابُه: وَيْلك! ما لك! قال: خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظرُ إليه حتى عقر ناقتي، قالوا: كذبْتَ، قال: بلى، فنظروا إلى راحلته فإذا هي مُنْخَزِلة[3] لا تنبعث، فقالوا: قد واللهِ قَرَاك. فظلُّوا يأكلون مِنْ لحمها، ثم أردفوه، [١٧/٣٧٥] فانطلقوا فساروا / ما شاء الله، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عَدِيّ بن حاتم راكباً قارناً جملاً أسود، فلحقهم، فقال: أيّكم أبو الخيبريّ؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في النوم، فذكر لي شَتْمَكَ إياه، وأنه قرى راحلتك لأصحابك[4]، وقد قال في ذلك أبياتاً، وردّدها حتى حفظتُها؛ وهي[5]:

أَبَا خيبريّ[6] وأنتَ امرؤٌ	ظلُومُ العشيرةِ شَتّامُها
فماذا[7] أردتَ إلى رِمَّة	ببادِيةٍ صَخِبٍ هَامُها[8]
تُبَغِّي أذاها وإعسارَها	وحولَك غَوْثٌ وأنعامُها[9]
وإنّا لَنُطعم أضيافَنا	مِنَ الكُومِ بالسَّيفِ نَعْتَامُها[10]

وقد أمرني أنْ أحملك على جَمَل فدونكه، فأخذه وركبه، وذهبوا[11].

حاتم يطلق قومه من أسر الحارث بن عمرو

[١٠٢/١٦] / أغارت[12] طيىء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شَمِر الجفنيّ، ويقال: هو الحارث بن عَمرو، رجل من بني جَفْنة، وقَتَلُوا ابناً له. وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلنّ وليسبينّ الذّراريّ، فحلف ليقتلنّ من بني الغَوْث أهل بيت على دَمٍ واحد، فخرج يريد طَيئاً، فأصاب من بني عديّ بن أخزم سبعين رجلاً[13] رأسهم وَهْمُ بن عمرو من [١٧/٣٧٦] رَهْط حاتم ـ وحاتمٌ يومئذ بالحيرة عند / النعمان ـ فأصابتهم مُقدمات[14] خيله. فلما قدم حاتم الجَبَلَيْن جعلتِ

(١) الرمة: العظم البالي، وجمعه رمم.
(٢) ف: «لم ينزل به أحد وهو ميت إلا قراه».
(٣) منخزلة: منقطعة، وفي ف والمختار: «مختزلة».
(٤) ف: «وأنه أقرى راحلتك أصحابك».
(٥) ديوانه ١٨، ١١.
(٦) في الديوان: «أبا الخيبري».
(٧) في أ: «ماذا»، والمثبت من ف.
(٨) أ: «ببادية صخب هامها»، وفي ف: «بداوية صيحت هامها». وفي الديوان: «بداوية صخب هامها».
(٩) ف والمختار: «عوف وأنعامها».
(١٠) الكوم: جمع كوماء؛ وهي الناقة العظيمة السنام.
(١١) في الديوان: «وذهب».
(١٢) ديوانه ١٣.
(١٣) في الديوان: «من أخزم تسعين رجلاً».
(١٤) ف: «معربات»، وفي الديوان: «فأصابهم مقدمات الجند».

المرأةُ تأتِيه بالصبيّ من ولدها[١] فتقول: يا حاتم أُسِر أبو هذا. فلم يلبث إلاّ ليلة حتى سار إلى النعمان[٢] ومعه مِلْحَان بن حارثة، وكان لا يُسافر إلاّ وهو معه، فقال حاتم[٣]:

ألاَ إنني قَدْ هَاجَنِي الليلةَ الذُّكَرْ[٤] ... وما ذاكَ من حبّ النساء ولاَ الأَشَرْ[٥]

ولكنه مما أصاب عَشِيرتي[٦] ... وقومي بأقْرَانِ حَوَالَيْهم الصِّيَرْ[٧]

الأقران: الحبال. والصِّير: الحظائر، واحدها صِيرَة.

ليالي نَمشي بين جَوٍّ ومِسْطَحٍ[٨] ... نَشَاوَى لنا من كُلِّ سائمةٍ جُزُرْ

فيا ليتَ خَبرَ الناس حيّاً وميّتاً ... يقول لنا خيراً ويُمْضي الذي ائتمرْ

فإنْ كان شرّاً فالعزاء فإننا ... على وقعات الدَّهرِ مِنْ قَبْلِها صُبُرْ[٩]

سَقى اللهُ ربُّ الناس سَحّاً وديمةً ... جنوبَ السَّرَاة من مَآبِ إلى زُغَرْ[١٠]

بلادَ امرىءٍ لا يعرفُ الذَّمُّ بيتَه ... له المشربُ الصَّافي ولا يَطْعم الكدرْ[١١]

/ تذكرتُ مِن وَهْم بن عَمْرو جَلادَةً ... وجُرْأةَ مَغْزاهُ[١٢] إذا صارِخٌ[١٣] بَكَرْ [٧٧/١٧]

فأبْشِرْ وقَرَّ العينَ منك فإنّني ... أجيء كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ

فدخل حاتم على النعمان[١٤] فأنشده، فأُعجب به، واستوهبهم منه؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عديّ، ثم أنزله فأُتِيَ بالطعام والخمر، فقال له مِلْحان: أتَشْرَبُ الخمر وقومك في الأغلال؟ قُمْ إليه فسَلْهُ إياهم، فدخل عليه فأنشده[١٥]:

إنَّ امرأ القيسِ أضحَت[١٦] من صَنيعتكم ... وعبدَ شمس - أبيتَ اللّعْنَ - فاصطنعوا

إنَّ عَدِيّاً[١٧] إذا مَلَكْتَ جانبها ... من أمْرِ غَوْثٍ على مرأى ومُسْتَمَعِ[١٨]

---

(١) في ب، س، أ: «ولديها».
(٢) في الديوان: «حتى سار إلى الحارث».
(٣) ديوانه ١٤.
(٤) ف: «الذعر».
(٥) الأشر: المرح.
(٦) في الديوان: «ولكنني مما أصاب».
(٧) س، ب: «الصبر»، بالباء تصحيف.
(٨) س: «جور»، والمثبت من أ، جـ، وفي الديوان: «ليالي نمسي بين جو».
(٩) ف: «... بالعزاء... من قبله صبر»، وفي الديوان: «فإن كان شر فالعزاء».
(١٠) س، ب: «من ما أتت إلى ذعر»، والمثبت من جـ، ف، والديوان؛ وهذا البيت والذي بعده في البلدان، قال: زغر، بوزن زفر، وآخره راء مهملة: قرية بمشارف الشام.
(١١) الديوان: «وليس له الكدر».
(١٢) الديوان: «وجرأة معداه».
(١٣) في الديوان: «إذا نازح بكر».
(١٤) الديوان: «على الحارث».
(١٥) ديوانه ١٤، ٩٥.
(١٦) كذا في جـ، وفي أ، ب: «أضحى».
(١٧) ف: «إن العبيد».
(١٨) في البيت إقواء.

أَتبِعْ بني عبد شمس أمْرَ صاحبهم(١) أهْلِي فِداؤُك إنْ ضَرُّوا وإنْ نَفَعُوا
لا تَجْعَلَنَّا ـ أبيتَ اللَّعْنَ ـ ضاحيَةً(٢) كمعشرٍ صُلِمُوا الآذانَ أو جُدِعُوا

[٣٧٨/١٧] / أو كالجَناحِ إذا سُلَّتْ قَوادِمهُ صارَ الجَنَاحُ لفَضْلِ الرِّيشِ يَتَّبِعُ

فأطلَقَ له بَني عبد شمس بن عديّ بن أخزم، وبقي قَيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضيّ بن مالك بن ذُبيان بن عَمْرو بن رَبيعة بن جرْوَل الأجئيّ(٣)، وهو من لخْم، وأمه من بني عديّ، وهو جَدُّ الطرماح بن حكيم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدر ـ فقال له النعمان: أفَبقِيَ(٤) أحد من أصحابك؟ فقال حاتم(٥):

فككتَ عَدِيًّا كلَّها من إسارِها فأفضِلْ وشفِّعْني بقَيْس بن جَحْدَرِ
أبُوهُ أبِي والأمهاتُ أمّهاتُنا فأنْعِمْ فَدَتْكَ اليومَ نَفْسِي(٦) ومَعْشَرِي

[١٠٣/١٦] / فقال: هو لك يا حاتم، فقال حاتم(٧):

أبْلِغ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي حافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثَّوَابِ
ومُجِيبٌ دُعاءه إنْ دَعَانِي(٨) عَجِلاً واحداً وذا أصحابِ
إنما بَيْنَنا وبينك فاعْلَمْ سَيْرُ تِسْعٍ للعاجِلِ المُنْتابِ
فثلاثٌ مِنَ السَّراة(٩) إلى الحَلَّةِ للخَيْلِ جاهداً والرِّكابِ
وثلاثٌ يُورِدْن تَيماءَ رَهْواً وثلاثٌ يُقَرِّبْنَ بالأعْجابِ

[٣٧٩/١٧] / فإذا ما مَرِرْنَ(١٠) في مُسْبَطِرٍّ(١١) فاجْمَحِ الخَيْلَ مثلَ جَمْحِ الكِعابِ

اجْمَحْ: ارْمِ بهم كما يُرْمَى بالكعاب، ويقال: إذا انتصب لك أمْرٌ فقد جمحَ.

بينما ذاك أصبحَتْ وهي عَضْدَي مِنْ سبيٍّ مجموعةٍ ونهاب(١٢)

[عَضْدَى: مكسورة الأعضاء](١٣).

ليتَ شعري متى أرَى قُبَّةً ذا تَ قِلاَعٍ للحارث الحَرَّابِ

---

(١) ف: «أبلغ»، وفي الديوان: «إخوتهم».
(٢) كذا في ف والديوان، وفي أ، ب: ضاحكة.
(٣) كذا في ف وهو الوجه، وفي الديوان: «الأجائي».
(٤) انظر الديوان.
(٥) ديوانه ١٥.
(٦) ف: «فدتك السوء نفسي».
(٧) ديوانه ١٥.
(٨) ب: «ومجيب دعاءه أن دعاني». والمثبت رواية أ، ف، والديوان.
(٩) الديوان: «من الشراة».
(١٠) الديوان: «فإذا ما مررت».
(١١) المسبطر: الممتد.
(١٢) في ف: «بين شتى مجموعة ونهاب».
(١٣) ليس في ف.

بِبَقـــاعٍ[1] وذاك منهـــا محَـــلّ فَــوْقَ مَلْـكٍ يـدِيــن بــالأحســاب
أيهـــا المُـــوعـــدي[2] فــإنَّ لَبُــونِـي بيــن حَقْــلٍ وبيــن هَضْــبِ دَبــابِ[3]
حيــث لا أرهــبُ الجُــراةَ[4] وحَــوْلــي ثُعَلِيُّــون[5] كــالليُــوثِ الغِضَــابِ

وقال حاتم أيضاً[6]:

لــم تُنِسنــي إطـلال مــاويّــةٍ يــأسِــي ولا الـزمـن المـاضـي الـذي مِثْلُـه يُنْسِي
إذا غــرَبَــتْ شَمْــسُ النهــارِ وردْتُهــا كمـــا يــرد الظمـــآن آتيــةَ الخِمْــسِ

[١٧/ ٣٨٠]

/ حاتم وماوية بنت عفزر

قال: وكنا عند معاوية[7]، فتذاكرنا ملوكَ العرب، حتى ذكرنا الزّباء[8] وابنة عفزر، فقال معاوية: إني لأُحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم، وماويةُ بنت عَفْزَر، فقال رجل من القوم: أفلا أُحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى، فقال: إنّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج مَنْ أرادت، وإنها بعثت غلماناً لها وأمَرَتْهم أن يأتوها بأوسَم مَنْ يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: حتى أخبرك، وقعد على الباب، وقال: إني أنتظر صاحبين لي، فقالت: دونَك أستدخل المِجْمَر. فقال: اسْتِي[9] لم تُعَوَّد المِجْمر، فأرسلها مثلاً. فارتابَتْ منه، وسقَتْه خمراً ليسكر، فجعل يهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائقٍ قِرًى ولا قارٌ حتى أنظرَ ما فعل صاحباي. فقالت: إنّا سنرسلُ إليهما بقِرّي، فقال حاتم: ليس بنافِعي شيئاً أو آتيهما. قال: فأتاهما، فقال: أفتكونان عَبْدَيْن لابنة عَفْزَر، تَرْعَيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما[10]؟ فقالا: كلّ شيء يُشبه بعضهُ بعضاً، وبعضُ الشَّرِّ أهون من بعض، فقال حاتم: الرحيل والنجاة. وقال يذكر ابْنَةَ عفزر، وأنه ليس بصاحب ريبة[11]:

حننــتُ إلــى الأجبــالِ أجبــالِ طيــيء وحَنَّت قَلُوصي[12] أن رأت سوط أحمرا
فقلــتُ لهــا: إنَّ الطــريــقَ أمــامنــا وإنـــا لمحْيُـو[13] رَبْعِنـــا إن تَيَسَّـــرَا
/ فيـــا رَاكبـــيْ عَلْيَـــا جَـــدِيلَـــةَ إنمـــا تُســـامـــان ضَيْمـــاً مستبينـــاً فتَنْظُـــرَا[14]

[١٧/ ٣٨١]

---

(١) أ، جـ: «ببقاع»، وفي ب: «البقاع» والمثبت من ف والديوان.
(٢) ب، س: «إنها موعدي» والمثبت من أ، ف والديوان.
(٣) كذا في ف، وهو جبل لبني ثعل، وفي أ، ب، جـ: «ضباب».
(٤) كذا في أ، ف، والديوان. وفي جـ: «الخرارة حولي»؛ وفي ب: «الجراءة حولي».
(٥) أ، ف: «ثعلبيون»، والمثبت في الديوان أيضاً.
(٦) ديوانه ١٦.
(٧) ديوانه ٣٣.
(٨) في الديوان: «الزباء ابنة عفزر».
(٩) جـ، ف والديوان: «است».
(١٠) ف: أو لتقتلنكما.
(١١) ديوانه ٣٤، وفيه: «وابنة عفزر، كانت بالحيرة، وكان النعمان من يأتيه يريد كرامته أنزله عليها فقال:».
(١٢) في الديوان: «حنت . . . وجنت جنوناً».
(١٣) في الديوان: «. . . . وإنا محيو ربعنا».
(١٤) في الديوان: «فيا أخوينا من جديلة. . . .»، وفي ف: «ضيماً مستعيناً فبكرا».

١٠٤/١٦

/ فما نكراهُ غيرَ أنَّ ابنَ مِلْقَطٍ   أراهُ وقد أعطى الظُّلامةَ أوْجَرا(١)

وإني لمُزْجٍ لِلْمَطيِّ(٢) على الوجَا   وما أنا من خِلاَّنكِ ابنةَ عَفْزرا

وما زِلْتُ أسعى بين نابٍ ودارةٍ   بِلَحْيانَ حتى خِفْتُ أن أتَنَصَّرَا

وحتى حسِبْتُ الليلَ والصبحَ إذْ بدا   حِصانَيْنِ سيَّالَيْنِ(٣) جَوْناً وأشْقَرا

لَشِعْبٌ من الرَّيَّانِ أمْلِكُ بابَه   أُنادِي به آلَ الكبيرِ وجَعْفَرا

أحَبُّ إليَّ مِنْ خطيبٍ رأيْتُه(٤)   إذا قلتُ معروفاً تبدَّل مُنْكَرَا

تنادي إلى جاراتِها: إنَّ حاتماً   أراهُ لعَمْري بَعْدَنا قد تَغَيَّرَا

تغيَّرْتُ إني غيرُ آتٍ لِريبةٍ(٥)   ولا قائلٍ يوماً لِذِي العُرْفِ مُنْكَرَا

فلا تسأليني واسألي أيّ فارسٍ   إذا بادَرَ القومُ الكنيفَ المُسَتَّرا

ولا تَسأليني واسألي أيَّ فارسٍ(٦)   إذا الخيلُ جالَت في قَناً قد تكسَّرا

فلا هي ما تَرْعَى جَميعاً عِشارُها   ويُصْبِحُ ضيفي ساهِمَ الوجهِ أغبَرَا

متى تَرَني أمشي بسيفي وَسْطَها   تَخَفْني وتُضْمِرْ بينها أن تُجَزَّرَا

وإني ليغشى أبعدُ الحيِّ جَفْنَتي   إذا ورَقُ الطَّلْحِ الطِّوالِ تَحَسَّرا(٧)

[١٧/٣٨٢]

/ فلا تسأليني(٨) واسألي به صُحْبَتي   إذا ما المَطيُّ بالفَلاةِ تَضَوَّرا

وإني لَوَهَّابٌ قُطُوعي(٩) ونَاقتي   إذا ما انتشَيْتُ، والكميتَ المصَدَّرَا

وإني(١٠) كأشْلاءِ اللِّجامِ ولَنْ تَرَىٰ   أخا الحَرْبِ إلاَّ ساهِمَ الوجْهِ أغْبَرَا

أخُو(١١) الحَرْبِ إن عضَّتْ به الحَرْبُ عضَّها   وإنْ شمَّرت عن ساقِها الحَرْبُ شَمَّرا

وإني إذا ما الموتُ لم يَكُ دونَه   قِدَى(١٢) الشِّبرِ أحمي الأنفَ أن أتأخرا

متى تبغِ وُدّاً مِنْ جَديلةَ تَلْقَهُ   مع الشَّنْءِ(١٣) مِنْهُ باقياً متأثِّراً

فإلاَّ يُفادونا جِهاراً نُلاقِهِم(١٤)   لأعدائنا رِدْءاً دَليلاً ومُنْذِرا

---

(١) في الديوان: «... أعطي المقادة...».
(٢) في ف والديوان: «وإني لمزجاء المطي...».
(٣) في ف والديوان: «... مشنالين».
(٤) في الديوان: «... من خطيب لقيته».
(٥) في ف والديوان: «آت دنية».
(٦) في ف والديوان: «أي ياسر».
(٧) تحسر: سقط.
(٨) ف: «ولا تسأليني».
(٩) القطع: طرف من الثياب الموشاة، وجمعه قطوع.
(١٠) ف والديوان: «رأتني».
(١١) أ، جـ والديوان: «أخا الحرب».
(١٢) أ: قدى الشبر: قدر الشبر.
(١٣) الديوان: مع الشّنّ.
(١٤) في جـ، ف والديوان: «فإلا يعادونا».

إذا حال دُوني من سَلامان رَمْلَةٌ وَجَدْتُ تَوالي الوَصْلِ عِنْدِي أَبْتَرَا

وذكروا أن حاتماً دعَتْهُ نفسه إليها بعد انصرافِه من عندها، فأتاها يخطبُها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبِيت[1]، فقالت لهم: انقلبُوا إلى رِحَالكم، ولْيَقُل كلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني أتزوّج أكرَمكم وأشعركم.

[٣٨٣/١٧] / فانصرفوا ونحر كلُّ واحد منهم جَزُوراً، ولبست ماوية ثياباً لأَمَةٍ لها وتبعتهم، فأتتْ النَّبِيتيّ[2] فاستطعمته من جَزُوره فأطعمها ثيل جَملِه[3] فأخذته، ثم أتت نابغةَ بني ذِبيان فاستطعمتْه فأطعمها ذَنَب جَزُوره فأخذته، ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدْرَه فاستطعمته، فقال لها: قِفي[4] حتى أُعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قِطَعاً من العَجُز والسنام، ومثلَها من المِخْدَش، وهو عند الحارِك[5]، ثم انصرفت، وأرسل كلُّ واحد منهم إليها ظهر جَمله، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية. وصبّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبِيتيّ[6]:

١٠٥/١٦ / هلاَّ سَألتِ النَّبِيتِيِّينَ[7] ما حَسَبِي عند الشتاء إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ

ورَدَّ جازِرُهم حرفاً مُصَرَّمَةً[8] في الرَّأس منها وفي الأصلاء تمليحُ[9]

وقال رائِدُهم[10]: سِيّان مالهُمُ مِثْلانِ مِثْلٌ لمن يرعَى وتَسْرِيحُ

إذا اللِّقَاحُ غدت مُلْقَى أصِرَّتها[11] ولا كريمَ مِنَ الوِلدان مَصْبُوحُ

[٣٨٤/١٧] / فقالت له: لقد ذكرت مَجْهَدةً[12].

ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول[13]:

هَلاَّ سألتِ بني ذبيانَ ما حَسَبي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمطَ البَرَمَا[14]

---

(١) هم قبيلة من الأنصار.

(٢) في الديوان: «فأتت النبيتيء متنكرة».

(٣) الثيل، بالفتح والكسر: وعاء قضيب البعير.

(٤) ف: «قرّي»، وفي الديوان: «اصبري»، والمثبت في أ، جـ، ب.

(٥) المخدش كمنبر ومحدث: كاهل البعير، والحارك: أعلى الظهر.

(٦) ديوان حاتم ٣٦.

(٧) الديوان: «هلا سألت بني النبيت».

(٨) ف: «ورد جارهم حرفاً مضرمة»، والمثبت في الديوان أيضاً. الحرف: الناقة الضامرة أو المهزولة، ومصرمة، كمعظمة: ناقة يقطع طبياها ليميش الإحليل فلا يخرج اللبن ليكون أقوى لها، وقد يكون من انقطاع اللبن بأن يصيب ضرعها شيء فيكوي فينقطع لبنها.

(٩) الأصلاء: جمع الصلا: وسط الظهر، وفي ف: «وفي الأعصاب تمليح». وفي الديوان والمختار: «وفي الأصلاب تمليح». والتمليح: السمن.

(١٠) ف: «وقال قائلهم».

(١١) أصرة: جمع صرار: ما يشد به.

(١٢) الديوان: «مكرمة».

(١٣) ديوانه ٦٦.

(١٤) الأشمط: الذي خالطه الشيب. البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

وهَبَّتْ الريحُ مِنْ تلقاءِ ذي أُرُلٍ[(١)] تُزجِي مع الليلِ مِنْ صُرَّادِها[(٢)] الصِّرَما
إنّي أتمم أيْسَارِي[(٣)] وأمْنحُهم مَثْنَى الأيادِي وأكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُمَا

فلما أنشدها قالت: ما ينفكّ الناس بخير ما ائتدموا.

ثم قالت: يا أخا طيّىء أنشدني، فأنشدها[(٤)]:

أماويّ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عذرَتْني في طِلابكم العُذْرُ
أماويّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ ويَبْقى مِنَ المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ
[١٧/٣٨٥] / أماويّ إني لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يَوْماً: حلّ في مالنا النَّذْرُ[(٥)]
أماويّ إمّا مانعٌ فمبيِّنٌ وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أماويّ ما يُغْنِي الثَّراءُ عنِ الفَتَى إذا حشرجَتْ يَوْماً[(٦)] وضاقَ بِها الصَّدْرُ
إذا أنا دلّاني الذين أحبّهم بملحودةٍ زَلْجٍ جوانِبُها[(٧)] غُبْرُ
وراحُوا سِراعاً ينفضُونَ أكفَّهم يقولون: قد دَمَّى[(٨)] أناملَنا الحَفْرُ
أماويّ إنْ يُصبحْ صدايَ بقَفْرةٍ مِنَ الأرضِ لا ماءٌ لديّ[(٩)] ولا خَمْرُ
تَرَيْ أنّ ما أنفقتُ[(١٠)] لم يَكُ ضَرَّني وأنّ يَدِي مما بخلْتُ به صِفْرُ
أماويّ إنّي رُبَّ واحدِ أُمِّه أخذْتُ[(١١)] فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ
وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنّ حاتماً أرادَ ثراءَ المالِ كان لَهُ وَفْرُ
فإنّيَ لا آلُو بمالِي صَنيعةً فأوّلُهُ زادٌ وآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤْكَلُ طيّباً وما إنْ تعرّتْهُ القِداحُ ولا الخَمْرُ[(١٢)]
[١٧/٣٨٦] / ولا أظلِمُ[(١٣)] ابنَ العمّ إن كان إخوتي شُهوداً وقد أوْدَى بإخوتِه[(١٤)] الدّهرُ

---

(١) أ، ب، جـ، س: «أزل»، والمثبت من الديوان والبلدان، قال ياقوت: وأول: جبل بأرض غطفان بينها وبين عذرة، وأنشد للنابغة الذبياني... وذكرت البيت. وفي ف: «أرك» بالكاف.

(٢) ف: «من صرادها»، والمثبت في الديوان أيضاً. والصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه. الصرم: جمع صرمة، وهي قطع السحاب، وفي المختار و ف: «تزجى مع الصبح».

(٣) في الديوان: «إني أسامح». الأيسار: جمع يسر، وهم لمتقامرون.

(٤) ديوانه ١٩.

(٥) في الديوان: «النزار»، يريد أنه أصبح قليلاً. وفي ف: «نذر».

(٦) في الديوان: «إذا حشرجت نفس».

(٧) في س، أ، ب، جـ: «زلخ». وزلج جوانبها: الزلج، محركة: الزلق، ويسكن. والزلج: المزلة تزل فيها الأقدام لندوته أو ملاسته.

(٨) في الديوان: «وراحوا عجالاً». وفيه: «قد أدمى».

(٩) في الديوان: «... لا ماء هناك ولا خمر».

(١٠) في الديوان: «أن ما أهلكت».

(١١) ف والديوان: «أجرت فلا قتل».

(١٢) ف: «... ولا القمر»، وفي الديوان: «وما إن تعريه».

(١٣) في المختار: «ولا ألطم».

(١٤) في المختار: «بإخوانه».

غنينـا زمـانـاً بـالتَّصَعْلُـكِ والغِنَـى وكـلاًّ سقـانـاه بِكَـأسهمـا الْعَصْـرُ(١)
فمـا زادنـا بَغْيـاً علـى ذِي قَـرَابَـةٍ غِنَـانـا ولا أزرى بـأحْسَـابِنَـا الفَقْـرُ
ومـا ضَـرَّ جـاراً يـابْنَـةَ القـومِ فـاعْلَمِي يجـاورنـي ألاَّ يكـون لـه سِتْـرُ(٢)
بعينـيَ عـن جـاراتِ قَـومـيَ غَفْلَـةٌ وفـي السَّمْـعِ مِنّـي عـن حـديثهـمُ وَقْـرُ

فلما فرغ حاتمٌ من إنشادِه دعَتْ بالغداء، وكانت قد أمرت إماءَها أنْ يقدّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها، فقدّمْن إليهم ما كانت أمرتهنّ أنْ يقدمنه إليهم، فنكّس النَّبِيتيُّ رأسه والنابغة، فلما نظر حاتم إلى ذلك رَمى بالذي قُدّم إليهما(٣)، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لِوَاذاً، وقالت: إنَّ حاتماً أكرمكم وأشعركم.

فلما خرج النَّبِيتيُّ والنابغة قالت لحاتم: / خلِّ سبيلَ امرأتك، فأبى، فزوّدته وردَّتْه. فلما انصرف دعَتْه نفسُه إليها، وماتت امرأته، فخطبها فتزوّجته، فولدت عَدِيًّا. ١٠٦/١٦

/ إسلام عدي بن حاتم [٣٨٧/١٧]

وقد كان عديّ أسلم وحَسُن إسلامه، فبلغنا إنّ النبي ﷺ قال له، وقد سأله عدِيّ: يا رسول الله، إن أبي كان يعطي ويحمل، ويُوفي بالذِّمّةِ، ويأمر بمكارم الأخلاق؛ فقال له رسول الله ﷺ: إنَّ أباك خشبة مِن خشبات جَهَنّم.

فكأن النبيّ ﷺ رأى الكآبَةَ في وَجْهه، فقال له: يا عديّ إنَّ أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار.

ماوية وحاتم وابن عمه مالك

وكانت ماوية عنده زماناً، وإن ابنَ عمٍّ لحاتم كان يُقالُ له: مالك قال لها: ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفَنّه، وإن لم يَجِدْ ليتكلفنّ، وإنْ مات ليتركنَّ ولده عِيَالاً على قومك، فقالت ماوية: صدقت، إنه كذلك.

وكان النساءُ ـ أو بعضهنّ ـ يُطلِّقْنَ الرجالَ في الجاهلية، وكان طلاقهن أنهن إنْ كنَّ في بيتٍ من شَعر حوّلن الخِبَاءَ؛ فإن كان بابُه قِبَلَ المشرق حوّلْنَه قبلَ المغرب، وإن كان بابه قِبَلَ اليمن حوَّلْنَه قِبَلَ الشام؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يَأْتها. وإن ابنَ عم حاتم قال لماوية ـ وكانت أحسنَ نساءِ الناس ـ: طلِّقي حاتماً، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه، وأكثر مالاً، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك؛ فلم يزل بها حتى طلَّقَتْ حاتماً، فأتاها حاتم وقد حوّلت بابَ الخِبَاء، فقال: يا عديّ، ما ترى أُمَّك عُدِيَ(٤) عليها؟ قال: لا أدْري، غير أنها قد غيَّرت بابَ الخِبَاء، وكأنه لم يلحن(٥) لما / قال، فدعاه فهبط به بطنَ وادٍ، وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون، فتَوَافَوْا خمسين رجلاً، فضاقَتْ بهم ماوية ذَرْعاً، وقالت لجاريتها: اذهبي إلى مالك فقولي له: إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرْسِلْ بنابٍ(٦) نَقْرِهم ولَبَنٍ نَغْبقهم(٧)، وقالت لجاريتها: انظري إلى جَبِينه وفَمه فإنْ [٣٨٨/١٧]

(١) ب، س: «عنينا». وفي الديوان:

عُنينـا زمـانـاً بـالتصعلـك والغنـى كمـا الـدّهـر فـي أيـامـه العُسـر واليُسـرُ
لبسْنـا صُـروف الـدّهـر لينـاً وغلظـةً وكـلاًّ سقـانـاه بكـأسهمـا العَصـر

(٢) البيت ليس في ديوانه، وكذا ما بعده.

(٣) ف: «بالذي قدمته إليها».

(٤) ف: «عدا».

(٥) لم يلحن: لم يفطن.

(٦) الناب: الناقة المسنة.

(٧) الغبوق: ما يشرب بالعشي. وغبقه: سقاه ذلك.

شافَهك[١] بالمعروف فاقْبَلِي منه، وإنْ ضرب بلحيته على زَوْرِه، وأدخل يدَه في رأسه فاقفُلي ودعيه، وإنها لما أتَت مالكاً وجدتْه متوسِّداً وطْباً[٢] من لبن وتحت بطنه آخر، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره، فأبلغته ما أرسلَتْها به ماوية، وقالت: إنما هي الليلةُ حتى يعلم الناسُ مكانَه.

فقال لها: اقرئي عليها السلام، وقولي لها: هذا الذي أمرْتُكِ أنْ تُطلِّقي حاتماً فيه، فما عندي من كبيرة قد تركَتِ العمل، وما كنْتُ لأنحر صفِيَّةً[٣] غَزِيرة بشَحْمِ كُلَاها، وما عندي لبنٌ يكفي أضياف حاتم.

فرجعت الجاريةُ فأخبرتها بما رأتْ منه، وما قال؛ فقالت: ائت حاتماً فقولي: إن أضيافَك قد نزلُوا الليلةَ بنا، ولم يعلَمُوا بمكانك. فأرْسِلْ إلينا بنابٍ تنحرها ونقرهم وبلبن نَسقِهم؛ فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانَك.

[١٧/٣٨٩] / فأتت الجاريةُ حاتماً فصرخَتْ به.

فقال حاتم: لبيكِ، قريباً دَعَوْتِ. فقالت: إنَّ ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: إنَّ أضيافَك قد نزلوا بنا الليلة، فأرسلْ إليهم بناب ننحرها ولبَنٍ نَسقهم. فقال: نعم وأبِي. ثم قام إلى الإبل فأطلق ثِنْيَيْنِ من عِقَالَيْهما، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عرَاقِيبَهما، فطفقت ماويّة تصيح وتقول: هذا[٤] الذي طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء، فقال حاتم[٥]:

هـل الـدَّهـرُ إلاَّ اليـومُ أو أمـسِ أو غَـدُ ... كـذاكِ الـزمـانُ بيننـا يَتَـرَدَّدُ

١٠٧/١٦ / يَـرُدُّ علينـا ليلـةً بعـد يَـوْمِهـا ... فـلا نَحْـنُ[٦] مـا نَبْقَـى ولا الـدهـرُ يَنْفَـدُ

لنـا أجَـلٌ إمّـا تَنَـاهَـى أمـامَـه ... فنحـن علـى آثـارِه نتَـورَّدُ[٧]

بنـو ثُعَـلٍ قـومِـي فمـا أنـا مُـدَّعٍ ... سِـوَاهُـمْ إلـى قـوم ومـا أنـا[٨] مُسْنِـدُ

بِـدَرْئهـمُ أغْشَـى دُرُوءَ مَعَـاشِـرٍ ... ويحنـف عَنّـي الأبْلَـخُ المُتَعَمِّـدُ[٩]

فمهـلاً فِدَاكِ اليـومَ[١٠] أمّـي وخـالتـي ... فـلا يـأمُـرَنّـي بـالـدَّنيـة أسْـوَدُ

علـى حيـن أن ذَكيـت[١١] واشتـدَّ جـانبـي ... أُسـامُ التـي أعْيَيْـتُ إذْ أنَـا أمْـرَدُ

[١٧/٣٩٠] / فهـل تـركَـتْ قَبْلِـي حضُـورَ مكـانِهـا! ... وهـل مَـنْ أتَـى ضَيْمـاً وخَسْفـاً مخلَّـد![١٢]

---

(١) الديوان: «فإن بادرك...».

(٢) الوطب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه، وجمعه أوطب ووطاب وأطاب.

(٣) الصفية: الناقة الصغيرة.

(٤) أ: «تصبح: هذا الذي».

(٥) ديوانه ٣٩.

(٦) الديوان: «ثم يومها فما نحن».

(٧) ف: «نتزود»، والمثبت من أ، جـ، ب والديوان.

(٨) في ف، والمختار: «فلا أنا مدّعِ... ولا أنا مُسْنِد».

(٩) الدرء: الدفع، ويحنف: يميلُ. والأبلخ: المتكبر. وفي الديوان: «ويجنف».

(١٠) في الديوان: «فمهلاً فدى أمي ونفسي وخالتي».

(١١) في ف: «زكيت»، وهو يريد عقرت وذبحت.

(١٢) الديوان:

فهـل تـركـت قبلـي حصـون مكـانهـا ... وهـل أنـا إن أعطيـت خسفـاً مخلـد

ومُعتَسَفٍ بالرُّمحِ دونَ صِحابِه … تعسَّفْتُه بالسَّيفِ والقومُ شُهَّدُ(1)
فخَرَّ على حُرِّ الجَبينِ وذَادَه … إلى الموتِ مَطرورُ الوَقيعةِ(2) مِذْوَدِ(2)
فما رمتُه(3) حتى أزحْتُ عَويصَهُ … وحتى عَلاه حالِكُ اللَّونِ أسودُ
فأقسمتُ لا أمشي على سرِّ جارتي(4) … يَدَ الدَّهرِ ما دام الحَمامُ يغرِّدُ
ولا أشتري مالاً بِغَدرٍ علِمتُهُ … ألا كلُّ مالٍ خالطَ الغَدرَ أنكَدُ
إذا كان بعضُ المالِ ربّاً لأهلِه … فإنّي بحمد الله مالي مُعَبَّدُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤكَلُ طيِّباً … ويُعطى إذا ضَنَّ البخيلُ المُصَرِّدُ(5)
إذا ما البخيلُ الخِبُّ أخمَدَ نارَه … أقولُ لِمَنْ يصْلَى بناريَ: أوْقِدُوا
توسَّعْ قليلاً أو يكن ثَمَّ حَسْبُنا … ومُوقِدُها الباديْ أعفُّ وأحمدُ(6)
كذاك أمورُ الناسِ راضٍ دَنِيّةً … وسامٍ إلى فَرعِ العُلا مُتَوَرِّدُ
فمنهم جوادٌ قد تلفَّتَ حَولَه … ومنهم لئيمٌ دائمُ(7) الطرفِ أقوَدُ
/ وَداعٍ دَعاني دَعوةً فأجبتُه … وهل يَدعُ الدَّاعين إلا اليَلَنْدَدُ(8) [٣٩١/١٧]

حاتم ونساء من عنترة

أسرت(9) عنزةُ حاتماً، فجعل نساء عنزة يُدارِئْنَ(10) بعيراً ليفصدْنه فضعُفْن عنه، فقلن: يا حاتم، أفاصِدُه أنتَ إنْ أطلقنا(11) يديكَ؟ قال: نعم. فأطلقن إحدى يَدَيْه، فوجأ لَبَّته فاستدمينه(12). ثم إنَّ البعير عَضِد، أي لوَى عُنُقَه، أي خرَّ، فقلن: ما صنعت؟ قال: هكذا فصادتي، فجرت مثلاً. قال: فلطمته إحداهنَّ، فقال: ما أنتُنَّ نساء عنزة بكِرام، ولا ذواتِ أحلام. وإن امرأةً منهن يقال لها: عاجزة أُعجبت به، فأطلقَتْه؛ ولم ينقِمُوا عليه ما فعل، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده(13):

كذلكَ فَصْدِي إنْ سألتِ مَطِيَّتي … دَمُ الجَوفِ إذْ كلُّ الفِصادِ وَخِيمُ(14)

(1) في الديوان: «من دون صحبه... والقوم هجد». وفي المختار:
* تعسفته والسيف والقوم شهد *
(2) ذاده: دفعه. ومطرور الوقيعة: السيف. وفي أ، ب، جـ: «مزود».
(3) أ: «فما رحته».
(4) في الديوان: «وأقسمت... إلى سر جارتي».
(5) كذا في الديوان، وفي أ: «إذا منّ». والتصريد: التقليل.
(6) الديوان: «أعف وأنجد».
(7) رواية الديوان:
فإن الجواد من تلفت حوله … وإن البخيل ناكس الطرف أقود
(8) ف: «إلا التلدد»، واليلندد: الخصم الشحيح الذي لا ينقاد.
(9) ديوانه ٥٢.
(10) ف: «يدرن».
(11) ف: «إن أطلقنا إحدى يديك».
(12) أ: «فاستدمي منه»، وفي ف: «فاستدمين منه».
(13) ديوانه ٥٣.
(14) في ف: «دم الحوارك والفصاد وخيم» ولا يستقيم معه الوزن.

جُودُه وهو غلام

أقبل رَكْبٌ من بني أسد ومن قَيس يريدون النعمان، فلقوا حاتماً، فقالوا له: إنّا تركنا قومنا يُثنون عليك خيراً، وقد أرسلوا إليك رَسُولاً برسالة. قال: وما هي؟ فأنشده الأسديُّون شعراً لعَبيد ولِبْشر يمدحانه، وأنشد القيسيُّون شعراً للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحي أن نسألكَ شيئاً، وإن لنا لحاجة، قال: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد أرجل[1]، فقال حاتم: خذُوا / فَرَسِي هذه فاحملوا عليها صاحبكم. فأخذوها وربطت الجارية فِلْوَها[2] بثوبها، فأفلت، فاتّبعته الجارية، فقال حاتم: ما تبعكم[3] من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفِلْو والجارية. [٣٩٢/١٧]

وإنهم / وردوا على أبي حاتم، فعرف الفَرس والفِلْو، فقال: ما هذا معكم؟ فقالوا: مررنا بغلامٍ كريمٍ فسألناه، فأعطى الجسيم. ١٠٨/١٦

رواية أخرى في خبر أبي الخيبري

قال: وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجُود، فقال رجل من القوم: أجودُ الناس حيًّا وميتاً حاتم، فقال معاوية: وكيف ذلك؛ فإن الرجل مِنْ قُريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قطّ ولا قومه، فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين، أنَّ نفراً من بني أسد مرُّوا بقَبْرِ حاتم، فقالوا: لنبخُلنَّه ولنخبرنَّ العرب أنّا نزلْنا بحاتم، فلَم يقرنا، فجعلوا يُنَادُون: يا حاتم ألا تَقْرِي أضيافك! وكان رئيس القوم رجل يقال له: أبا الخَيْبَرِيّ، فإذا هو بصوتٍ ينادي في جوف الليل:

أبَا خَيْبَرِيٍّ وأنتَ امرؤٌ ظلومُ العشيرة شَتَّامُها[4]

إلى آخرها، فذهبوا ينظرون؛ فإذا ناقةُ أحدهم تَكُوسُ[5] على ثلاثة أرجل عقيراً. قال: فعجب القومُ من ذلك جميعاً.

حاتم وأوس بن سعد

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: أنا أدخلك بين جبلي طَيِّىء حتى يدين لك أهلهما، فبلغ ذلك حاتماً، فقال[6]:

ولقد بَغَى بِخُلاد أوسٌ قومَهُ ذُلًّا وقد علمَتْ بذلكَ سِنْبِسُ[7]
/ حَاشَا بَنِي عَمْرِو بْنِ سِنْبِسَ إنهم مَنَعُوا ذِمَارَ أبيهم أنْ يدنَسُوا[8] [٣٩٣/١٧]
وتواعَدُوا وِرْدَ القُرَيَّة غُدوَةً وحلفْتُ باللهِ العزيز لنَحبِسُ[9]

---

(١) أرجل، أي ليس له ما يركبه، فهو راجل.
(٢) الفلو: المهر الذي فطم.
(٣) ف: «ما بلغكم».
(٤) ديوانه ١١، وفيه: «حسود العشيرة».
(٥) تكوس: تمشي على ثلاث قوائم.
(٦) ديوانه ٤٩.
(٧) خلاد: أرض في بلاد طيىء عند الجبلين لبني سنبس، وسنبس هي من طيىء.
(٨) ف: «لا يدنس».
(٩) الديوان: «ليحس».

والله يعلَــمُ لــو أتَــى بِسُــلافِهِـم | طَـرَفُ الجَـرِيـضِ لَظَـلَّ يَـوْمٌ مِشْكَـسُ[١]
كـالنـار والشَّمـس التـي قـالَـتْ لهـا | بيـد اللُّـوَيمِـس[٢] عـالمـاً مـا يَلْمـسُ
لا تَطْعَمُـــنَّ المـــاءِ إنْ أوْرَدْتَهُـــم | لِتَمـامِ ظِمْئِكُـم ففُـوزُوا واحْلِسُـوا[٣]
أو ذو الحصيـــن وفـــارسٌ ذُو مِـــرَّةٍ | بكَتِيبَـةٍ مَـنْ يُـدْرِكُـوه يُفْـرَسُ[٤]
ومُـــوَطَّـــأُ الأكنـــافِ غيـــر ملعَّـــنٍ | فـي الحـيِّ مَشَّـاء إليـه المَجْلِـسُ

شعره في مدح بني بدر

قال: وجاور[٥] في بني بَدْر زَمن[٦] احتربت جَدِيلة وَثُعَلُ، وكان ذلك زَمن الفساد، فقال يمدح بني بدر[٧]:

إنْ كنْـتِ كـارِهـةً مَعِيشتنـا[٨] | هـاتِـي فَحُلِّـي فـي بَنِـي بـدْرِ
جـاوَرتهُـم زَمـنَ الفسـادِ فَنِـعْـمَ الحـيُّ فـي العَـوْصَـاء[٩] واليُسـرِ
فسُقِيـتُ بـالمـاء النَّميـر ولـم | يُنْظَـرْ إلـيَّ بـأعيُـنٍ خُـزْرِ
/ الضـاربيـن لـدَى أعنَّتِهـم[١٠] | والطـاعنيـن وخَيْلُهـم تَجْـري
الخـالطين[١١] نَحِيتَهـم بنُضارِهـم[١٢] | وذَوِي الغِنَـى منهـم بـذِي الفَقْـر

[٣٩٤/١٧]

يقيم مكان أسير في قيده ويطلقه

وزعموا أنّ حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلبُ حاجةً، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم: يا أبا سَفّانة؛ أكلني الإسار والقمل، قال: وَيْلَكَ! والله ما أنا في بلادِ قومي، وما معي شيء، وقد أسأتَ بي إذ نوَّهْتَ باسمي، ومالَكَ مَتْرَك. فساوم به العَنَزِيِّين فاشتراه منهم، فقال: خَلُّوا عنه وأنا أُقِيمُ مكانه في قَيْدِه حتى أُؤَدِّي فِداءه، ففعلوا، فأتِيَ بفدائه.

ماوية تتحدث عن كرمه

وحدّث الهيثم بن عديّ، عمن حدّثه، عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم، قال: قلت لماوية: يا عمّة، حدثيني بِبَعْضِ عجائب حاتم، فقالت: كلُّ أمره عجب، فعن أيّه تسألُ؟ قال: قلت: حدّثيني ما شئتِ، قالت:

---

(١) المشكس: السيء الخلق. السلاف: المتقدمون. الجريض: غصص الموت.
(٢) ف: «كالشمس والنار». ولو يمس: تصغير لامس.
(٣) المثبت من ف، أ وفي ب، جـ: احبسوا. وحلس بالمكان: أقام.
(٤) ديوانه «يفرس»، بالغين.
(٥) ديوانه ٢٠. وفيه: «وجاور حاتم بني بدر».
(٦) ف: «الما»، وفي أ، ب، جـ: «وجاور في بني بدر من احترب من جديلة».
(٧) ديوانه ٢٠.
(٨) الديوان: «العيشتنا . . .».
(٩) العوصاء: الشدة والعسر.
(١٠) كذا في ف والديوان، وفي أ، ب، جـ: «الذيّ أعينهم».
(١١) ف والديوان: «والخالطين»، وفي «اللسان»: قال ابن بري: صوابه «والخالطون»، بالواو.
(١٢) أ: «نجيبهم»، والمثبت من ف والديوان و«اللسان» (نحت). قال: والنحيت: الدخيل في القوم، قالت الخرنق أخت طرفة. . . وذكر البيت والذي بعده، ثم قال: «والنضار»: الخالص النسب.

١٠٩/١٦ أصابت الناسَ / سنةٌ، فأذهبت الخُفّ والظِّلف، فإني وإياه ليلةً قد أسهرنا الجوعُ، قالت: فأخذ عدياً وأخذتُ سَفّانة، وجعلنا نُعَلِّلُهما حتى ناما، ثم أقبل عليّ يحدِّثني ويعلّلني بالحديث كَيْ أنام، فرققْتُ له لما به من الجهد، فأمسكت عَن كلامه لينام، فقال لي: أنمتِ؟ مِراراً، فلم أُجب، فسكتّ فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل، فرفع رأسَه فإذا امرأةٌ، فقال: ما هذا؟ قالت: يا أبا سَفّانة؛ أتيتُك من عند صِبْيةٍ يتعاوَوْن كالذئاب جُوعاً، فقال: أحضريني[1] / صِبيانك، فوالله لأشبِعنَّهم. قالت: فقمتُ سريعاً فقلت: بماذا يا حاتم! فوالله ما نام صِبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل[2]! فقال: والله لأُشبعنَّ صبيانك مع صبيانها. [٣٩٥/١٧]

فلما جاءَتْ قامَ إلى فرسه فذبحها، ثم قدح ناراً ثم أجّجها، ثم دفع إليها شفرة، فقال: اشتوي وكُلِي، ثم قال: أيقظي صبيانك. قالت: فأيقظتهم[3]، ثم قال: والله إنَّ هذا لَلُؤْمٌ؛ تأكلون وأهل الصِّرْمِ[4] حالهم مثل حالكم! فجعلَ يأتي الصِّرْم بيتاً بيتاً فيقول: انهضوا عليكم بالنار. قال: فاجتمعوا حَوْلَ تلك الفَرس، وتقنَّع بكسائه فجلس ناحيةً، فما أصبحوا ومِنَ الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلاّ عَظْم وحافر، وإنه لأشدُّ جوعاً منهم، وما ذاقه.

حاتم ومحرّق

أتى حاتم ومُحرّقاً[5] فقال له محرّق: بايِعْني، فقال له: إنَّ لي أخوين ورائي، فإنْ يأذنا لي أبايعك وإلاّ فلا، قال: فاذهبْ إليهما، فإنْ أطاعاك فأتني بهما، وإن أبيَا فأذَنْ بحرب. فلما خرج حاتم قال[6]:

أتـانـي مِـن الـرّيـان[7] أمْـس رسـالـةٌ ... وغُـدْوَى وغَـيٌّ مـا يقـول مُـواسِـلُ[8]

[٣٩٦/١٧] / هُـمـا سـالانـي: مـا فعلـتَ؟ وإنـنـي ... كـذلـك عمـا أحـدثـا أنـا سـائـل

فَقُلْـتُ: ألا كيـف الـزمـانُ عليكمـا؟ ... فقـالا: بِخَيْـر كـلُّ أرضِـك سـائـلُ

فقال محرّق: ما أخواه؟ قال[9]: طرفا الجَبَل، فقال: ومحلوفه لأُجلِّلنَّ مُواسلاً الرَّيطَ مصبوغاتٍ بالزَّيْتِ، ثم لأُشعِلَنَّه بالنار. فقال رجل من الناس: جهل مرتَقىً بين مداخل سُبُلات[10]. فلما بلغ[11] ذلك محرقاً قال: لأُقدِمَنَّ

---

(١) ف: «أحضري صبيانك»، والخبر في الديوان ٩٧ مع اختلاف في الرواية.

(٢) التعليل: شغل الصغير عن الطعام بشيء.

(٣) ف: «فأيقظتها».

(٤) الصرم: الأبيات المجتمعة المنقطعة عن الناس.

(٥) محرق: لقب عمرو بن هند.

(٦) ديوانه ٥١.

(٧) ب، س: «الديان»، والمثبت من أ، ف والديوان.

(٨) كذا في ف، وفي أ، جـ: «وغدوا بحيّ»، والريان ومواسل: جبلان، وقد ذكرهما زيد الخيل في شعره، قال:

أتتمنـى لسـان لا أسـر بـذكـرهـا ... تصـدع منهـا يـذبـل ومـواسـل

وقـد سبـق الـريـان منـه بـذلـة ... فـأضحـى وأعلـى هضبـه متضـائـل

وقد ذكر الريان حاتم في قوله:

لشغـب مـن الـريـان أملـك بـابـه ... أنـادي بـه آل الكبيـر وجعفـرا

وانظر «ياقوت» و «البكري».

(٩) ف: «قيل».

(١٠) سبلات: جبل من جبال أجأ ومواسل أيضاً، عن نصر (البلدان).

(١١) ف: «فبلغ».

عليك قُرَيَّتَكَ[١]. ثم إنه أتاه رجل، فقال له: إنك إن تقدم القُرَيَّة تهلك. فانصرف ولم يقدم.

حاتم وأسير له

غزت فزارةُ طيئاً وعليهم حصين[٢] بن حذيفة، وخرجت طيىء في طلب القوم، فلحق حاتم رجلاً من بَدْر[٣]، فطعنه ثم مضى، فقال: إنْ مَرّ بك أحد فقل له: أنا أسير حاتم. فمرّ به أبو حَنبل، فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا أسير حاتم. فقال له: إنه يقتلك، فإن زعمتَ لحاتم أو لِمَنْ سألك أنّي أسرتك، ثم صِرْتَ في يدي خلّيتُ سبيلك، فلما رجعوا قال حاتم: / يا أبا حَنبل[٤] خَلِّ سبيلَ أسيري، فقال أبو حَنبل: أنا أسرتُه، فقال حاتم: قد رضيتُ بقوله، فقال: أسرني أبو حنبل، فقال حاتم[٥]: [٣٩٧/١٧]

إنَّ أبـاكَ الجَـوْنَ لـم يَـكُ غـادراً ... ألاَ مِـنْ بَنِـي بـدر أتتـكَ الغـوائـلُ

/ **صوت** [٣٩٨/١٧]

وهَـاجـرةٍ مِـنْ دُونَ مَيَّـةَ لـم تَقِـلْ ... قَلُوصـي بهـا والجُنـدبُ الجَـوْنُ يُـرْمَـحُ[٦]
بِتَيْهـاء مِقْفـارٍ[٧] يكـادُ ارتكـاضُـهـا ... بـآل الضُّحَـى والهَجْـرُ بـالطَّـرْفِ يُمْصَـحُ

ـ الهجر ها هنا مرفوع بفعله، كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. / ويمصَح: يذهب بالطَّرْف ـ: [١١٠/١٦]

كـأنَّ الفِـرِنْـدَ المَحْـضَ معصـوبـةٌ بـه ... ذُرَا قُـورِهـا يَنْقَـدُّ عَنهـا ويَنْصَـحُ[٨]
إذا ارفـضَّ أطـرافُ السِّيـاط وهَلَّلـتْ ... جُـرومُ المَهـارِي عُـذّ مِنهـنّ صَيْـدَحُ[٩]

عروضه من الطويل.

الهاجرة: تكون وقتَ الزوال. والجندب: الجرادة. والجوْن: الأسود. والجَوْن: الأبيض أيضاً: وهو من الأضداد. وقوله: يرمح، أي ينزو من شدة الحرّ لا يكاد يستقرّ على الأرض. والتَّيْهاء من الأرض: التي يُتاه فيها. والمِقْفَار: التي لا أحد فيها ولا ساكن بها. ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعيّ. وارتكاضها؛ يعني ارتكاض هذه التَّيْهاء، وهو نزوها بالآل، والآل: السراب. والهجر والهاجرة واحد. وقوله: الهجر بالطرف يمصَح، رفع الهجر / بفعلِه كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. يمصح: يذهب بالطَّرْف. والفرند: الحرير الأبيض. والمحض: الخالص. يقول: كأن هذا السراب حرير أبيض، وقد عصبت به ذرى قورها، وهي الجبال [٣٩٩/١٧]

---

(١) قريّة: موضع بجبل طيىء.
(٢) الديوان: «حصن بن حذيفة».
(٣) الديوان: «من بني بدر».
(٤) ف: «جبيل»، والمثبت من الديوان أيضاً.
(٥) ديوانه ٥٠.
(٦) ديوان ذي الرمة ٨٦. لم تقل، من القيلولة. والجندب: شبه الجراد في ظهره نقط.
(٧) في الديوان: «وبيداء مقفار».
(٨) ينقد: ينشق، وفي ف: «ينقد عنه».
(٩) كذا في ف، وفي باقي الأصول: «عذبتهن صيدح».

الصغار والواحدة قارة، فتارة يغطيها وتارة يَنْجابُ عنها وينكشف، فكأنه إذا انكشف عنها ينقدّ عنها، وكأنه إذا غَطّاها ينصَح عنها[(١)]؛ أي يخاط. ويقال[(٢)]: نصحتُ الثوب، إذا خِطْتَه، والنّاصِحُ: الخيّاط، والنِّصاح: الخيط. وقوله: ارفضّ أطراف السياط، يعني أنها انفتحت أطرافها من طُولِ السفر؛ وأصل الارفضاض التفرّق. والجروم: الأبدان، واحدها جِرم، بالكسر. وقوله: هللت جروم المطايا، يعني أنها صارت كالأهلّة في الدّقة[(٣)]. وصَيْدَح: اسم ناقته.

الشعر لذي الرمة، والغناء لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالوسطى.

تم الجزء السابع عشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الثامن عشر،

وأوله: (ذكر ذي الرمة وخبره)



(١) ف: «عليها».

(٢) ف: «ويقول».

(٣) كذا في ف، وهو الوجه، وفي باقي الأصول: «الرقة».

فهرس موضوعات الجزء السابع عشر



كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة «٣٥٦» هجرية

إعداد
مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء الثامن عشر

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[١/١٨]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

١١٠/١٦

/ ذكر ذي الرمة وخبره

نسبه

اسمه غَيْلانُ بن عُقْبة بن مسعود بن حارثة بن عمْرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عديّ بن عبد مناة بن أُدّ طابخة بن إلياس بن مضر.

أقوال في سبب تلقيبه ذا الرمة

وقال ابن سلاّم: هو غيلان بن عقبة بن بُهيش[١] بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة[٢] بن مِلْكان. ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقبٌ. يقال: لقَّبته به ميّة؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسةٌ إلى جَنْب أمها فاستسقاها ماءً، فقالت لها أمها: قومي فاسقيه. وقيل: بل خرق إداوته لمّا رآها، وقال لها: اخرُزِي لي هذه، فقالت: والله ما أُحسِنُ ذلك، فإني لخرقاء. قال: والخَرْقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قَوْمها، فقال لأمها: مُريها أن تسقِيَني ماء، فقالت لها: قومي يا خَرْقاء فاسقيه ماءً، فقامت فأتته بماءٍ، وكانت على كتفه[٣] رُمَّة؛ وهي قطعة من حَبْل، فقالت: اشرب يا ذا الرُّمَّة؛ فلُقِّب بذلك.

وحكى ابنُ قُتَيْبة[٤] أن هذه القصة جرت بينه وبين خَرْقاء العامريّة.

وقال ابن حبيب: لُقِّبَ ذا الرمة لقوله[٥]:

* أشعَثَ باقي رُمَّةِ التقليدِ *

[٢/١٨]

/ وقيل: بل كان يُصيبه في صِغَره فَزَعٌ، فكُتِبت[٦] له تميمة، فعلّقها[٧] بحَبْل، فلُقِّب بذلك ذا الرُّمَّة.

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، عن أبيه، وعن أشياخه، وعِدّة من أهل البادية من بني عديّ، منهم زُرْعة بن أذبول[٨] وابنه سليمان وأبو قيس وتميم/ وغيرهم من علمائهم:

١١١/١٦

(١) كذا في «المشتبه»، و «القاموس»، و «اللآلي»، و «ابن خلكان». وفي «الأصول»: «نهيس».

(٢) جـ: «ابن عمرو بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة».

(٣) جـ: «كفه».

(٤) «الشعر والشعراء» ٥٠٩.

(٥) «اللسان» ١٥: ١٤٣، و«نوادر المخطوطات» لابن حبيب ٣٠١، و «الشعر والشعراء» ٥٠٨.

(٦) ب، س: «فكتبت له أمه».

(٧) أ: «فتعلقها».

(٨) ب، س، ف: «دبول».

أنَّ أمَّ ذي الرّمة جاءت إلى الحُصَين بن عبدة بن نُعيم العدويّ[١] وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتَهم، فقالت له: يا أبا الخليل؛ إن ابني هذا يُرَوَّع بالليل، فاكتب لي معاذةً أُعلِّقها على[٢] عنقه، فقال لها: ائتيني برَقّ أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له؟ قال: فجيئيني بجلد[٣]، فأتته بقطعة جِلد غليظ، فكتب له مَعاذة فيه، فعلّقته في عنقه، فمكث دَهْراً. ثم إنها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَين وهو جالس في ملأ من أصحابه ومَوَاليه، فدنَتْ منه، فسلّمت عليه، وقالت: يا أبا الخليل، ألا تسمع قولَ غَيْلان وشِعْرَه؟ قال: بلى. فتقدّم فأنشده، وكانت المَعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود، فقال الحصين: أحسن ذو الرمة؛ فغلبت عليه.

كان له إخوة كلهم شعراء

وقال الأصمعيّ: أُمُّ ذي الرمة امرأة من بني أسد يُقال لها ظبية، وكان له إخوة لأبيه وأُمّه شعراء منهم مسعود، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمّة ويذكر ليلى بنته:

إلــى الله أشكــو لا إلــى النــاس أنني ... وليلَـى كِـلانـا مُـوجَـعٌ مـات وافِـدُهْ[٤]

[٣/١٨] / ولمسعود يقول ذو الرمة[٥]:

صـوت

أقــولُ لمسعــود بِجَــرْعــاءِ مــالــكٍ ... وقــد هــمَّ دَمْعِــي أن تَسِــحَّ أوائِلُــهْ
ألا هــل تَــرى الأظعــان جــاوَزْنَ مُشْـرِفـاً ... مـن الـرمـل أو سـالـت بهـنَّ سلاسلُـهْ[٦]

غنّى فيه يحيى بن المكيّ[٧] ثاني ثقيل بالوسطى، على مذهب إسحاق من رواية عَمرو.

ومسعود الذي يقول[٨] يرثي أخاه أيضاً ذا الرمّة، ويرثي أوْفَى بن دَلْهَم ابنَ عمه، وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُرْوَى عنه الحديث.

وقال هارون بن[٩] الزيات: أخبرني ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، قال: كان لذي الرمة إخوة ثلاثة[١٠]: مسعود، وجِرْفاس، وهشام، كلّهم شعراء، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتاً أُخر، فينشدها الناس، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه[١١]:

---

(١) جـ: «العذري».
(٢) ف: «في عنقه».
(٣) جـ: «بقطعة جلد».
(٤) جـ: «واحده».
(٥) «ديوانه» ٤٦٦.
(٦) ف: «أو حاذت... سوائله». ومشرف: موضع، وسلاسل الرمل: ما انعقد واتصل.
(٧) ف: «يحيى المكي».
(٨) في ف: «يقول فيه أيضاً».
(٩) ف: «ابن محمد الزيات».
(١٠) في ابن سلام: وكانوا إخوة ثلاثة: غيلان وأوفى ومسعود. وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: وكان لذي الرمة إخوة ثلاثة: هشام وأوفى ومسعود، فجعلهم أربعة إخوة.
(١١) «ابن سلام» ٤٨١، و «شرح الحماسة» ٢: ١٤٧، و «الكامل» ١: ١٥٣.

نعى الركبُ أوفى حين آبتْ رِكابُهم ... لعَمْري لقد جاءُوا بشرٍّ فأوجعوا[١]
نَعَوْا باسِقَ الأخلاقِ لا يُخلِفونَه ... تكادُ الجبالُ الصُّمُّ مِنه تَصدَّعُ
/ خوى المسجدُ المعمورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهمٍ ... فأضحى بأوْفَى قومُه قد تضعضعوا [٤/١٨]
تعزَّيتُ عن أوْفَى بغَيْلانَ بَعْدَه ... عَزاءً وجَفْنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ
ولم تُنْسِني أوفَى المصيباتُ[٢] بعده ... ولكنْ نِكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ[٣] أوْجَعُ

وأخوه الآخر هشام، وهو رَبّاه[٤]، وكان شاعراً. ولذي الرمّة يقول:

أغَيلانُ إن ترجع قُوى الوُدِّ بيننا ... فكلُّ الذي ولّى من العيش[٥] راجع
فكنْ مثل أقصَى الناسِ عندي فإنني ... بطول التَّنائي مِنْ أخِي السوء قانِعُ

يقول شعراً لأخيه هشام فيجيبه

وقال ذو الرمة لهشام أخيه[٦]:

أغرُّ هشاماً من أخيه ابنِ أُمِّه ... قوادِمُ ضَأْنٍ أقبلَتْ ورَبيعُ[٧]
وهل تُخلِفُ الضأنُ الغِزَارُ أخا النَّدى[٨] ... إذا حلَّ أمرٌ في الصُّدورِ فَظيعُ

/ فأجابه هشام فقال: ١١٢/١٦

إذا بانَ مالِي مِنْ سَوامِك لم يكُنْ ... إليك وربُّ العالمين رُجوعُ
فأنْتَ الفتى ما اهتزَّ في الزَّهَرِ النَّدى[٩] ... وأنتَ إذا اشتدَّ الزمانُ مَنُوع[١٠]

ذو الرمة وأخوه مسعود يقولان شعراً في ظبية سنحت لهما

وذكر المهلَّبيّ[١١] عن أبي كَرِيمة النحويّ، قال:

/ خرج ذو الرمّة يسير مع أخيه مسعود بأرضِ الدَّهناءِ، فسنحت لهما ظَبيةٌ، فقال ذو الرمة[١٢]: [٥/١٨]

أقُولُ لدَهناويةٍ عَوْهَجٍ جرَتْ ... لنا بين أعلى بُرْقةٍ بالصَّرائمِ[١٣]

---

(١) أ: «فأوجفوا»، تصحيف.
(٢) أ: «أوفى المصائب».
(٣) القرح: الجرح.
(٤) ف: «رثاه».
(٥) ف: «من الدهر».
(٦) «ديوانه» ٣٥٤.
(٧) في «الديوان»: «توادم ضأن يسرت وربيع».
(٨) «الديوان»: «ولا تخلف... أخا الفتى».
(٩) ف: «ما اهتز في الدهر للندى».
(١٠) ف: «هلوع».
(١١) ف: «الهشامي».
(١٢) «ديوانه» ٦٢١.
(١٣) «الديوان»: «لنا بين أعلى عرفة بالصرائم».
ودهناوية: ظبية من ظباء الدهناء. والصرائم: الرمال. وعوهج: طويلة. وبرقة: موضع.

أيـا ظَبْيَـةَ الـوَعْسـاءِ بيـن جُـلاجِـلٍ ... وبيـن النَّقـا آأنـتِ أمْ أمُّ سـالـمِ!

وقال مسعود[1]:

فلـو تُحسِـنُ التشبيـهَ والنعـتَ لـم تقُـلْ ... لِشـاةِ النَّقـا آأنْـت أم أمّ سـالـم

جعلـت لهـا قَـرنَيْـن فـوق قُصـاصِهـا[2] ... وظِلْفَيْـن مُسـوَدَّيـن تحـت القـوائـم

وقال[3] ذو الرمة[4]:

هِـيَ الشِّبْـهُ لـولا مِـذرواهـا وأذْنُهـا ... سـواء ولـولا مَشْقَـةٌ فـي القَـوائـم[5]

وكان طفيلياً

وكان ذو الرمّة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة، وكان طُفيليّاً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن[6] سعيد الكِنديّ، قال: سمعت ابن عيّاش يقول:

حدثني مَنْ رأى ذا الرمّة طفيليّاً يأتي العُرُسات[7].

[٦/١٨] / **بعض صفاته**

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن الزيات، قال: أخبرني محمد بن صالح العدويّ، قال: قال زُرعة بن أذبول:

كان ذو الرمّة مدوَّر الوجه، حسن الشَّعرة جَعْدها، أقنى، أنزع، خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك[8]، مُفوَّهاً، إذا كلمك كلَّمك أبلغ الناس، يضع لسانَه حيث يشاء.

قال حمّاد بن إسحاق: حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حصفة، عن عمته عافية وغيرها من أهله: أنهم رأوا ذا الرمّة باليمامة عند المُهاجر بن عبد الله شيخاً أجْنَأ[9] سِناطاً[10] متساقطاً.

وقال هارون[11] بن الزيات: حدثني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني ربيح النميريّ، قال:

اجتمع الناس مرةً وتحلَّقوا على ذي الرمة، وهو ينشدهم، فجاءت أمه فاطّلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو

(١) ف: «فقال له مسعود».
(٢) قصاص الشعر: حيث تنتهي نبته من مقدمه أو مؤخره. («القاموس»).
(٣) ف «فقال».
(٤) «ديوانه» ٦٢٢.
(٥) «الديوان»: «إلا مدرييها وأذنها... وإلا مشقة، وفي أ:... إلا مذرييها»، والمذروان من الرأس: ناحيتاه. والمدري: القرن. والمشقة: الرقة أو فرجة في قوائمها.
(٦) ف: «حدثني علي بن سعيد».
(٧) العرسات: جمع عرس، بالضم وبضمتين: طعام الوليمة.
(٨) جـ: «حسن المضحك».
(٩) الأجنأ: من يشرف كاهله على صدره.
(١٠) السناط، بالكسر والضم: الخفيف العارض، أو الذي لا لحية له أصلاً.
(١١) جـ: «هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات».

ذو الرمة. وكان دميماً شختاً[١] أجْنَأ فقالت أمه: استمعوا إلى شِعْره، ولا تنظروا إلى وجهه.

قال هارون: وأخبرني يعقوب بن السكّيت، عن أبي عدنان، قال: أخبرني أسيد الغنويّ، قال:

/ سمعتُ ببادِيتنا من قوم هَضَبوا في الحديث[٢] أنَّ ذَا الرُّمَّة كان تِرْعِيَّةً[٣]، وكان كِنازَ اللحم مربوعاً قصيراً، [٧/١٨] وكان أنفه ليس بالحسن.

الفرزدق وجرير يحسدانه

أخبرني ابن عمّار، عن سليمان بن أبي[٤] شيخ، عن أبيه، عن صالح بن سليمان قال:

كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمّة، وأهلُ البادية يُعجبهم شعرُه.

كان صالح بن سليمان راوية لشعره

قال: وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرمّة، فأنشد يوماً قصيدةً له، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع، فقال: أشهد عَنّك - أي أنّك - لفقيهٌ تُحسِنُ ما تتلوه[٥]، وكان يحسَبه قرآناً.

إعجاب الكميت بشعره

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثني هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، قال: قال حمّاد الراوية:

قال الكُميت حين سمع قول ذي الرمة[٦]:

أعــاذِلُ قــد أكثــرتِ مِــنْ قــول قــائــلٍ ... وعَيْــبٌ علــى ذي الــوُدِّ[٧] لَــوْمُ العــواذلِ

/ هذا والله مُلهم، وما عِلْم بَدويّ بدقائق[٨] الفطنة وذخائر كَنْز العقل المعَدّ لذوي الألباب! أحسنَ ثم ١١٣/١٦ أحسن.

قال محمد بن صالح: وحدثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكميت، وقال:

[٨/١٨] / لما أنشده قولَه في هذه القصيدة[٩]:

دعــانــي ومــا دَاعِــي الهــوى مِــنْ بــلادِهــا ... إذا مــا نــأَتْ خَــرْقَــاءُ عنّــي بِغــافِــلِ

فقال الكميت: لله بلادُ هذا الغلام! ما أحسن قوله! وما أجود وصفه! ولقد شفع[١٠] البيتَ الأول بمثله في

(١) أ: «وكان ذميماً شيخاً». والشخت: الدقيق الضامر خلقة لا هزالاً.

(٢) هضب الرجل في الحديث: أفاض. وفي حـ: «هضبوا الحديث».

(٣) رجل ترعية بالتشديد، وقد يخفف: يجيد رعية الإبل.

(٤) ف: «أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ».

(٥) ف: «ما تلوته».

(٦) «ديوانه» ٥٠٠.

(٧) في «الديوان»: «وعيب على ذي اللب».

(٨) ف: «بدقائق فهم الفطنة».

(٩) «ديوانه» ٤٩٢.

(١٠) جـ: «شيع».

جودة الفهم والفطنة، وقال[١] قولَ مُستسلم.

قال ابن كناسة: وقال لي حمّاد الراوية: ما أخّر القومُ ذِكْرَه إلاّ لحداثة سنّه، وأنهم حسدوه.

آراء قيلت في شعره

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف[٢]:

لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرمة، ولا أحسن جواباً؛ كان كلامه أكثر من شعره.

وقال الأصمعيّ: ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريِّين وغيرهم شكا حُبًّا أحسن من شكوى ذِي الرمّة، مع عِفَّةٍ وعَقْلٍ رَصِين.

قال: وقال أبو عبيدة:

ذو الرمة يخبر فيُحسن الخبر، ثم يردّ على نفسه الحجّةَ من صاحبه[٣] فيحسن الردّ، ثم يعتذر فيحسن التخلص، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف في الحكم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أبو أيوب المدينيّ، قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ، عن مولًى لجدّه، قال:

رأيتُ ذا الرمة بسوق المِرْبَد، وقد عارضه رجلٌ يهزأُ به، فقال له: يا أعرابيّ، أتشهد بما لم تَرَ؟ قال: نعم، قال: بماذا؟ قال: أشهد أنّ أباك ناك أمّك.

[١٨/٩] / أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدثني عمّي عُبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل، قال:

كان جرير عند بعض الخلفاء، فسأله عن ذي الرمّة، فقال: أخذ من طريف الشعر وحَسنِه[٤] ما لم يسبقه إليه أحد غيره.

أخبرني وكيع[٥]، عن حماد بن إسحاق، قال: قال حماد الراوية:

قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فلم أرَ أفصح ولا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدثني أبو عبيدة، عن أبي عمرو، قال: خُتِم الشِّعْر بذي الرمة، وخُتم الرَّجَز برُؤْبة.

قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون؟ قال: كَلٌّ على غيرهم؛ إنْ قالوا حسناً فقد سُبِقوا إليه، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائنيّ، عن بعض أصحابه، عن حمّاد الرّاوية، قال:

---

(١) ف: «فقال».

(٢) جـ: . . . وأبو عمرو علي بن حزام وأبو المطرف.

(٣) ج: «من صاحبته».

(٤) جـ: «ووحشيه».

(٥) حـ: «محمد بن خلف وكيع. قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه. . .».

أحسَنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرمة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه عبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل:

أنَّ جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاءِ بني أُميّة، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراد[١] عن ذي الرمة، فكلاهما قال: أخَذ من طريف الشعر وحَسنِه[٢] ما لم يسبقه إليه غيره، فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما[٣] فيه أنه أشعَرُ منكما جميعاً.

[١٠/١٨] / أخبرني جَحظةُ[٤]، عن حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي قال:

أُنشِد الصَّيقَلُ شِعْرَ ذي الرمة فاستحسنه، وقال: ما له قاتلَه الله! ما كان إلاّ رُبَيقَة، هَلاَّ عاشَ قَلِيلاً[٥]!.

وقال هارون بن محمد: أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخيّ، عن سفيان ابن عُيَيْنَة، عن ابن شُبرمة، قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلتُ: كأنّه، ثم لم أجد مخرجاً فقطع[٦] الله لساني.

/ قال هارون: وحدثني[٧] العباس بن ميمون طائع، قال: قال الأصمعيّ: كان ذو الرمّة أشعرَ الناس إذا شبَّه، ولم يكن بالمُفْلِق. ١١٤/١٦

وحدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال:

كان لذي الرمة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين، كان[٨] علماؤنا يقولون: أَحسَنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤُ القيس، وأحسَنُ أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمة.

لقاؤه بمية وشغفه بها

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد، عن أبيه، عن أبي عقيل عمارة بن عقيل، عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير، عن جارية كانت لأم ميّ، قالت:

كنا نازلين بأسفل الدهناء، وكان رهط ذي الرُّمة مجاورين لنا، فجلست مية ـ وهي حينئذ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته ـ تغسل ثياباً لها ولأمها في بيت منفرد، وكان بيتاً رثّاً قد أخلق، ففيه خروق، فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أُمها، فأقبل ذو الرُّمة حتى دخل إلينا، ثم سلّم، ونَشد ضالّةً وجلس ساعةً ثم خرج. فقالت مية: إني لأرى هذا العدويّ[٩] قد رآني منكشفة واطلع عليّ من / حيث لا أدري؛ فإنَّ بني عديّ[١٠] أخبث [١١/١٨] قوم في الأرض، فاذهبي فقُصّي أثره، فخرجت فوجدته ما يثبتُ مُقامه، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر

(١) أ: «انفراده».
(٢) ف: «ووحشيه».
(٣) ف: «أشهد على اتفاقكما».
(٤) حـ: «أحمد بن جعفر جحظة».
(٥) حـ: «ما كان إلا زنيقة، ألا عاش قليلا!» والربقة: العروة من الحبل، وتصغيرها ربيقة.
(٦) حـ: «ولم أجد فقطع».
(٧) حـ: «وحدثني محمد بن العباس».
(٨) جـ: «وكان».
(٩) في «المختار»: «العذري».
(١٠) في «المختار»: «بني عذرة».

من ثلاثين طرقة[١] ، كل ذلك يدنو فيطّلع إليها، ثم يرجع على عَقِبيه، ثم يعود فيطلع إليها، فأخبرتها بذلك، ثم لم تنشب أن جاءَنا شِعْرُه فيها من كل وَجْه ومكان[٢] .

رواية أخرى في ذلك

وذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازيّ: أن هارون بن مسلم بن سَعْد حدّثه عن حسين[٣] بن براق الأسديّ، عن عمارة بن ثقيف، قال:

حدثني ذو الرّمة أنّ أول ما قاد المودّةَ بينه وبين ميّة أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بِغاء إبلٍ لهم، قال: بينا[٤] نحن نسير إذ وردْنا على ماءٍ وقد أجهدنا العطش، فعدلنا إلى خِوَاء[٥] عظيم، فقال لي أخي وابن عمي: ائت الخِوَاء فاستَسْقِ لنا[٦] ، فأتيتُه وبيْنَ يَدَيْه في رواقه عجوزٌ جالسة. قال: فاستسقيتُ، فالتفتَتْ وراءَها فقالت: يا ميّ، اسْقِي هذا الغلام، فدخلتُ عليها فإذا هي تنسج[٧] عِلْقَةً لها، وهي تقول:

يـا مَـنْ يـرى[٨] بَـرْقـاً يَمُـرُّ حِينـاً ... زَمْـزَمَ رَعْـداً وانتحـى يمينـا[٩]

كـأنَّ فـي حـافـاتـهِ حنينـاً[١٠] ... أو صـوتَ خيـلٍ ضُمَّـرٍ يَـرْدِينَـا

قال: ثم قامت تصبُّ في شَكْوَتي[١١] ماءً، وعليها شَوْذب[١٢] لها، فلما / انحطّت على القِرْبة رأيتُ مُوَلّى لم أر أحسنَ منه، فلَهوْتُ بالنظر إليها، وأقبلَتْ تصبُّ الماء في شَكْوتي والماء يذهبُ يميناً وشمالاً. قال: فأقبلت عليّ العجوز «[١٣] وقالت: يا بنيّ ألهتْكَ ميّ عما بعثك أهلُك له، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً!»[١٣] فقلتُ: أما والله ليطولنَّ هُيامي بها. [١٢/١٨]

قال: وملأْتُ شَكْوَتي، وأتيتُ أخي وابنَ عمي، ولففتُ رأسي، فانتبذتُ ناحيةً، وقد كانت ميّ قالت: لقد كلّفك أهلُك السَّفَر علَى ما أرى من صغرك وحداثة سنك، فأنشأتُ أقول[١٤]:

قـد سَحَـرَتْ[١٥] أختُ بنـي لَبِيـدِ ... منّـي ومِـنْ سَلْـمٍ ومِـنْ وَليـدِ[١٦]

---

(١) طرقة: مرّة من الطرق.
(٢) انفردت ف بهذا الخبر.
(٣) ف: «غصين بن براق».
(٤) ف: «فبينا».
(٥) في المختار: «خباء». والخبار والحواء، ككتاب: جماعة البيوت المتدانية.
(٦) ف: «فاستسق لنا ماء».
(٧) في «المختار»: «تمسح علقة لها». وفي ف: «تنسج شقة لها». والعلقة: قميص بلا كمين، وقيل: ثوب صغير يتخذ للصبي.
(٨) في «المختار»: «رأى».
(٩) في «المختار»: «. . .على يبرينا. . . وانتحى حنينا».
(١٠) «المختار»: «جنينا».
(١١) الشكوة: وعاء من أدم الماء واللبن.
(١٢) الشوذب: ثوب طويل.
(١٣ ـ ١٣) من أ، ف، والمختار.
(١٤) «ديوانه» ٥٧ .
(١٥) «الديوان»: «قد عجبت».
(١٦) «الديوان»: «وهزئت مني ومن مسعود».

رأتْ غُــلامَــيْ سَفَــرٍ بعيــدِ يــدَّرِعــان اللَّيْــلَ ذا السُّــدودِ[١]

* مثل ادِّرَاعِ اليَلْمَقِ[٢] الجديد *

قال: وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها:

* هل[٣] تعرف المنزل بالوَحِيدِ *

ثم مكثتُ أَهِيمُ بها في دِيارها عشرين سنة.

ذو الرمة وزوج ميّ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن النوفليّ[٤]، قال: سمعتُ أبي يقول:

ضاف ذو الرّمة[٥] زَوْجَ ميّ في ليلةٍ ظلماء، وهو طامع في ألاَّ يعرفه زَوْجُها، فيدخله بيْتَه[٦]، فيراها ويكلِّمها، ففطن له الزَّوْجُ وعرفَه فلم يُدْخِلْه، وأخرج إليه / قِرَاه، وتركه بالعَراء[٧]، وقد عرفته مَيّةُ؛ فلما كان في [١٣/١٨] جَوْفِ الليل تغني غناءَ الرُّكبان قال[٨]:

أراجعــةٌ يــا مــيُّ أيــامُنــا الأُلَــى بــذِي الأثْــل أم لاَ، مــا لهــنَّ رجــوعُ!

فغضب زوجُها، وقال: قُومي فصِيحي به: يابْنَ الزانية، وأيُّ أيامٍ كانت لي[٩] معك بذِي الأثل! فقالت: يا سبحان الله، ضَيْفٌ، والشاعر يقول! فانتضى السيفَ، وقال: والله لأضربنَّكِ به حتى آتِي عليك أو تقولِي[١٠]، فصاحت به كما أمرها زَوْجُها، فنهض على[١١] راحلته، فركبها وانصرف عنها مُغْضِباً يُريد أن يصرفَ مودَّتَه عنها إلى غيرها.

قال شعراً في خرقاء يغيظ به ميًا

فمرَّ بفَلْج في رَكْبٍ، وبعضُ أصحابه يريد / أن يرقع خُفَّه، فإذا هو بجوارٍ خارجات مِنْ بيت يُرِدْنَ آخر، وإذا [١١٥/١٦] خرقاء فيهنّ ـ وهي امرأةٌ من بني عامر ـ فإذا جاريةٌ حُلْوَةٌ شَهْلاَء[١٢]، فوقعت عَيْنُ ذِي الرُّمة عليها، فقال لها: يا جارية، أترقَعين لهذا الرجل خُفَّه؟ فقالت تهزأً به: أنا خَرْقاء لا أُحسِن أن أعمل؛ فسمَّاها خرقاء، وترك ذكر ميّ؛ يُريد أن يغيظَ بذلك ميّاً. فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً، ثم لم يلبث أن مات.

---

(١) يدرعان: يلبسان. والسدود: الظلمات.

(٢) اليلمق: القباء، فارسي معرب.

(٣) «الديوان»: ١٥، وأولها:

ألا يــا دار ميــة بــالــوحيــد كــأن رســومهــا قطــع البــرود

(٤) حـ: «حدثني علي بن محمد النوفلي».

(٥) أي نزل ذو الرمة ضيفاً عليه.

(٦) ف: «بيته ويقريه».

(٧) ف: «وتركه بالعراء وراحلته».

(٨) «ديوانه» ٣٥٢ وروايته في «الديوان»: «أيامنا التي.... بذي الرمث».

(٩) ف: «كانت لنا».

(١٠) ف: «أو لتقولن»، وفي المختار: «أو لتقولين».

(١١) ف: «إلى راحلته».

(١٢) الشهل، محركة وبالضم: أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه. («القاموس»).

لقاؤه بجرير والمهاجر بن عبد الله

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن الأصمعيّ، عن عمارة بن عقيل، قال:

قال جرير: خرجتُ مع المُهاجِر بن عبد الله إلى حَجَّةٍ، فلقينا ذا الرُّمة، فاستنشده المهاجر فأنشده[١]:

ومِـنْ حـاجتـي لَـوْلاَ التَّنَـائـي ورُبّمـا ... منحـتُ الهَـوَى مَـنْ ليس بـالمُتَقَـارب

[١٨/١٤] / عطـابيـلُ بِيـضٌ مِـنْ ربيعـة عـامـرٍ ... عِـذابُ الثنـايـا مُثقَـلاتُ الحقـائـب[٢]

يَقِظْـنَ الحِمَـى والـرّمْـلُ منهـنّ مَخْضَـرٌ[٣] ... ويَشْـرَبْـنَ ألبـانَ الهِجـان النجـائـب

فالتفت إليّ المهاجر، وقال: أتراه مجنوناً!.

رأي لجرير في بيت قاله

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البَيْدَاء الرّياحيّ، قال:

قال جرير: قاتل اللهُ ذا الرمّة حيث يقول[٤]:

ومُنْتَـزِعٍ مِـنْ بيـن نِسْعَيْـهِ جِـرَّةً[٥] ... نشيجَ الشَّجَا جاءَت إلى ضِرْسِه نَزْرَا[٦]

أما واللهِ لو قال: «ما بين جَنْبَيْهِ» لما كان عليه مِنْ سبيل.

جرير وأبو عمرو بن العلاء يصفان شعره

أخبرني الطوسيّ وحبيب[٧] المهلبيّ، عن ابن شبّة، عن أبي غزالة[٨]، عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن رجل من كندة، قال:

سئل جرير عن شِعْرِ ذي الرمة فقال: بَعَرُ ظِباءٍ، ونُقَطُ عَرُوسٍ، يضمَحِلُّ[٩] عن قليل.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلّام، قال: كان أبو عَمْرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرّمة نُقَط [عروس يضمحل عن قليل][١٠] وأبعار لها مَشَمّ في أول شمّة[١١]، ثم تعودُ إلى أرواح البَعَر.

الفرزدق يعجب بشعره ولا يعده من فحول الشعراء

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة:

---

(١) «ديوانه» ٥٦.

(٢) في «الديوان»: .... من ذؤابة عامر... رقاق الثنايا مشرفات الحقائب.
وعطابيل: بيض طوال حسان.

(٣) في «الديوان»: .... منهن مربع، والهجان: الكرام. والنجائب: الكرام من الإبل. ويقظن: ينزلنه في القيظ، وفي أ: «يعظن».

(٤) «ديوانه» ٢٧٣.

(٥) ف: «درة».

(٦) أ: «نزر».

(٧) ف: «وحبيب بن نصر المهلبي».

(٨) ف: «ابن غزالة».

(٩) ف: «أي يضمحل عن قريب».

(١٠) من ابن سلام.

(١١) ابن سلام: «شمها».

/ وقف الفرزدقُ على ذي الرمّة وهو ينشد قصيدته (الحائية)[١] التي يقول فيها[٢] : [١٥/١٨]

إذا ارْفَضّ أطرافُ السِّياط وهُلِّلَت ... جُرومُ المطايا عذَّبتهنّ صَيْدَحُ[٣]

فقال[٤] ذو الرمة: كيف تسمعُ يا أبا فِراس؟ قال: أسمعُ حَسناً، قال: فما لي لا أُعَدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويُباعدك[٥] ذِكرُك الأبعار وبكاؤُك الديار، ثم قال[٦] :

ودَوِّيَّةٍ لو ذُو الرُّمَيْمةِ رَامَها[٧] ... لقصَّر عنها ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ[٨]

قطعتُ إلى معروفها منكراتِها ... إذا اشتدّ آلُ الأمْعَزِ المتوضِّحُ[٩]

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً، فقال: إنهما بيتان، ولن أزيد عليهما شيئاً.

قال: وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو[١٠]: إنما شعره نقط عروس تضمحل عَمّا قليل، وأبعار ظباء لها مشمّ في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح الأبعار[١١].

كان هواه مع الفرزدق على جرير

وكان[١٢] هوَى ذِي الرُّمّة مع الفرزدق على جَرير؛ وذلك لِمَا كان بين جرير وابن لجأ / التَّيْميّ، وتَيْمٌ وعديٌّ أخوَان من الرِّباب، وعُكْل أخوهم، ولذلك يقول جَرير لعُكل[١٣]: [١٦/١٨]

فلا يضغَمنَّ الليثُ عُكْلاً بغِرَّةٍ ... وعُكْلٌ يَشمُّونَ الفَرِيسَ المنيَّبا

الفَرِيس ها هنا ابن لجأ، وكذلك يفعل السبع[١٤] إذا ضغم[١٥] شاةً ثم طُرد عنها، أو سبقته، أقبلت / الغنمُ ١١٦/١٦

(١) كذا في ف.

(٢) «ديوانه» ٨٧.

(٣) ارفض: تفرق من العراق. والجرم: الجسد، وهللت جرومها: صارت كالأهلة من الهزال. وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٤) ف: «ثم قال».

(٥) ف: «ويتقاعد بك».

(٦) «ديوانه» ١٤٧.

(٧) ف: «أمها»، والدوّية: المفازة.

(٨) س: «ذو الرماء»، وفي «الديوان»:

* بصيدح أودي ذو الرميم وصيدح *

وذو الرميمة، تصغير ذي الرمة، ورامها بصيدح: ابتغى قطعها بناقته صيدح.

(٩) ف: «إذا امتد». وفي «ابن سلام» ٤٦٩، و «الديوان»:

* إذا خب آل دونها يتوضح *

الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. المتوضح: المستبين.

(١٠) أ: «قال: وكان أبو عمرو يقول».

(١١) ف: «البعر».

(١٢) ابن سلام ٤٦.

(١٣) «ديوانه»: ١٤، وابن سلام ٤٦٩.

(١٤) ف: «الليث».

(١٥) ضغم السبع الشاة: عضها، أو عضها دون النهش.

تشمُّ موضع الضَّغْم، فيفترسها[١] السبع، وهي تشم، ولذلك قال جرير لبني عديّ[٢]:

وقُلْتُ نصاحةً لبَني عَدِيٍّ ... ثيابَكُم ونَضْحَ دَمِ القَتيلِ[٣]

يحذِّر عَدِيًا ما لَقِي ابنُ لَجَأ.

الفرزدق ينتحل أبياتاً له

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام[٤] أنّ أبا يحيى الضبيّ قال: قال ذو الرمّة يوْماً: لقد قلتُ أبياتاً إنّ لها لعُروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً. قال له الفرزدق: ما هي؟ قال: قلت[٥]:

أحينَ أعاذَتْ بي تميمٌ نساءَها[٦] ... وجُرِّدْتُ تجريدَ اليماني من الغِمْدِ

ومَدَّت بضَبْعَيَّ الرِّبابُ ومالِكٌ ... وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائي بنو سَعْدِ

ومِنْ آلِ يَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كأنَّه ... زُهَا اللَّيْلِ[٧] محمودُ النِّكايةِ والرِّفْدِ

[١٧/١٨] فقال له الفرزدق: لا تعودَنَّ فيها، فأنا أحقُّ بها منكَ، قال: والله / لا أعودُ فيها ولا أنشدها أبداً إلاّ لك؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها[٨]:

وكُنّا إذا القَيْسِيُّ نَبَّ عَتُودُه ... ضَرَبْناه فوْقَ الأُنثيينِ على الكَرْدِ[٩]

ـ الأُنثيان: الأذنان. والكَرْد: العُنُق ـ.

وروَى هذا الخبر حمّاد عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن الضحاك الفقيميّ[١٠] قال:

بينا أنَا بكاظمة وذو الرمّة يُنْشِدُ قصيدته التي يقول فيها:

* أحينَ أعاذَتْ بي تَمِيمٌ نساءَها[١١] *

إذا راكبان قد تدلَّيا مِنْ نَقْب[١٢] كاظمة مُقنَّعان فوقفا، فلما فرغ ذو الرمّة حسر الفرزدقُ عن وَجْهه وقال لِرَاوِيته[١٣]: يا عُبيد، اضممْ إليك[١٤] هذه الأبيات. قال له ذو الرمة: نشدتُك الله يا أبا فراس! فقال له: أنا أحقُّ بها منك، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

---

(١) ف: «فيغترها».

(٢) البيت في «ديوانه» ٤٣٧.

(٣) نصاحة، أي نضحاً. والنضح: الرشاش يصيب الثوب من دماء أو ماء.

(٤) ف: «حدثنا أبو عبد الله بن سلام قال».

(٥) ابن سلام ٤٧٠، و «الموشح» ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، و «ديوان ذي الرمة» ١٤٢.

(٦) س: «نساءهم». والمثبت في أ، ج، وابن سلام، وفي «الموشح»، و «ديوان ذي الرمة» ١٤٢.

(٧) «ديوانه»: «دجا الليل».

(٨) «ديوانه» ٢١ و «اللسان» (كرد)، و «المعرب» ٢٧٩، و «الموشح» ١٧٠، وابن سلام ٤٧١.

(٩) س: «وكان... إلى الكرد»، والمثبت من المراجع السابقة. والعتود: الجدي القوي.

(١٠) ف: «عن الضحاك بن القاسم».

(١١) س: «نساءهم».

(١٢) ف: «بيت».

(١٣) جـ: «للراوية».

(١٤) جـ: «اضمم هذه».

المهاجاة بينه وبين هشام المرئي

حدَّثنا محمد، قال: حدثنا أبو الغرّاف، قال:

مَرّ ذو الرمّة بمنزلٍ لامرىء القَيْس بن زيد مَناة يُقال له: مَرْأة[1]، به نَخْل، فلم ينزلوه ولم يقروه، فقال[2]:

نــزلْنـا وقــد طــال[3] النهــارُ وأوْقَــدَتْ علينـا حصـى المَعـزاءِ[4] شَمْـسٌ تنـالُهـا

أَنَخْنــا فظُلِّلنــا بــأبْــرَادٍ يُمْنَــةٍ عِتــاقٍ وأسيــافٍ قــديــمٍ صِقــالُهــا[5]

[١٨/١٨] فلمــا رآنــا أهْــلُ مَــرْأَةَ أغلقــوا مخــادعَ لــم تــرفَــعْ لخيــرٍ ظِــلالُهــا[6]

وقد سُمِّيَتْ بــاسْــمِ امرىء القيس قَــريــةٌ كِــرامٌ صَــوَادِيهــا لِئــامٌ رِجــالُهــا[7]

فلجَّ الهجاءُ بين ذِي الرُّمة وبين هشام المرئيّ، فمرَّ الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد[8]:

صوت

وَقَفْــتُ علــى رَبْــعٍ لِمَيَّــةَ نــاقتــي فمــا زِلْــتُ أبْكــي عنــده وأُخَــاطِبُــهْ

وأسقِيــهِ حتــى كــاد ممــا أَبُثُّــه تُكلِّمنــي أحجــارُه ومَــلاَعبُــه

غنّى[9] فيه إبراهيم ثاني ثقيل مُطلق في مجرى البنصر، وسيأتي خبره بعد؛ لئلا ينقطع هذا الخبر.

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء[10] في الديار، والعبدُ يرتجز[11] بك في المقابر[12]، يعني هشاماً.

وكان[13] ذو الرُّمّةِ مُستَعْلِياً هشاماً حتى لقي جُرِيرٌ هشاماً، فقال: غلبك العبدُ، يعني ذا الرّمة، قال: فما أصْنَع يا أبا حَزْرَة، وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ، والرَّجَزُ لا يقوم للقَصيد في الهِجَاءُ؟ ولو رَفَدْتَني[14]، فقال جرير ـ لتُهمَتِه ذا الرُّمَّة

---

(١) ابن سلام ٤٧١.

(٢) «ديوانه» ٥٤٢.

(٣) ف: «وقد طاب النهار»، وفي «الديوان»: «وقد غار النهار».

(٤) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى.

(٥) في «الديوان»:

بنينــا علينــا ظــل أبــراد يمنــة علــى سمــك أسيــاف قــديــم صقــالهــا

اليمنة: ضرب من برود اليمن.

(٦) في «الديوان»: «فلما دخلنا جوف مرأة غلقت... دساكر....».

والدساكر: جمع دسكرة، وهي بناء كالقصر، حوله بيوت الأعاجم، يكون فيها الشراب والملاهي، أراد بها ها هنا البيوت عامة.

(٧) سميت مرأة باسم امرىء القيس. والصوادي: جمع صادية؛ وهي النخل التي بلغت عروقها الماء وطالت، فهي لا تحتاج إلى سقي. وفي أ: «كدام صواديها».

(٨) «ديوانه» ٣٨، ابن سلام ٤٧٢.

(٩) أ: «غناه إبراهيم».

(١٠) في ابن سلام: «التبكاء».

(١١) في ابن سلام: «يرجز بك».

(١٢) في حـ، وابن سلام: «في المقبرة».

(١٣) ابن سلام ٤٧٣.

(١٤) حـ، وابن سلام: «فلو رفدتني»، ورفده: أعانه.

[١٩/١٨] بالميل[١] / إلى الفرزدق ـ: قل له[٢]:

[١١٧/١٦]

/ غَضِبْتُ لِرَجُلٍ مِنْ عَدِيّ تشمّسوا	وفي أيِّ يَوْمٍ لم تَشَمَّسْ رجالُها[٣]
وفيم عَديٌّ عند تَيْم من العُلاَ	وأيامنا اللاّتي تُعَدُّ فَعَالُها
وضَبَّةُ عَمّيَ يابْنَ جُلٍّ[٤] فلا تَرُمْ	مَساعِيَ قومٍ ليس منكَ سِجالُها[٥]
يُمَاشِي عَدِيًّا لؤمُها، لا تُجِنُّه	من الناس ما مشَت عَدِيًّا ظِلالُها[٦]
فقل لعديٌ تَستعنْ بنسائِها	عليّ فقد أعْيا عَدِيًّا رِجالُها
أذَا الرُّمِّ قد قَلَّدتَ قومَك رُمَّةً	بطيئاً بأمر المُطْلِقين انحلالُها

قال أبو عبد الله: فحدثني أبو الغَرَّاف، قال:

لما بلغت الأبياتُ ذا الرمة قال: والله ما هذا بكلام[٧] هشام، ولكنه كلامُ ابن الأتان[٨].

أخبرنا أبو خليفة، قال: حدثنا ابن سلاّم، قال: وحدثني[٩] أبو البَيْدَاء قال:

لما سمعها[١٠] قال: هُوَ والله ينتمي شِعْرَ حنظليٍّ عُذريّ[١١]، وغلب هشام على ذي الرمّة بها.

[٢٠/١٨] / نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدثني أبو عبيدة، قال: حدثني فلان المرئيّ، قال:

أتانا جرير على حمار، وأنا لا أعرفه، فأُتي بنبيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟ فدُعِي، فقال له: أنشدني ما قلتَ في ذي الرمّة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدةً قال: لم تصنع شيئاً، ثم قال له: قد دَنَا رَوَاحِي فارْدُدْ[١٢] هذه الأبيات ومُر شُبّانكم بروايتها، وذكر الأبيات التي أولها قوله[١٣]:

* غَضِبْتَ لرَجُلٍ[١٤] من تميم تَشَمَّسُوا *

ذو الرمة يعاتب جريراً فيعينه بأبيات يهجو بها هشاماً

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرّمة جريراً فقال: تعصَّبْتُ على خالك للمرئيّ. فقال جرير: حيث

---

(١) في ابن سلام: «وميله إلى الفرزدق».
(٢) «ديوان جرير» ٤٨٦، وابن سلام ٤٧٣.
(٣) ابن سلام: «غضبت لرهط...»، قال محققه: ويروى: «عجبت لرحل»، و«غضبت لرحل»، بالحاء المهملة. وتشمس: قعد في الشمس أو انتصب لها.
(٤) بنو جل بن عدي بن عبد مناة بن ود.
(٥) السجال: المساجلة والمباراة والمفاخرة.
(٦) ف: «... ضلالها»، وفي ابن سلام: «... ما مشت عدياً رجالها».
(٧) أ، ف: «كلام».
(٨) ابن الأتان، يعني جريراً.
(٩) ابن سلام ٤٧٤.
(١٠) ف: «فلما سمعها».
(١١) ف: «نجودي»، وابن سلام: «غدري».
(١٢) حـ: «فارو هذه الأبيات».
(١٣) ساقط من جـ.
(١٤) انظر التعليق السابق، حاشية ٢ ص ١٩.

فعلتُ ماذا؟ قال: حين تقولُ للمرئيّ كذا وكذا، فقال جرير: لأنك[١] ألهاكَ البكاءُ في دار ميّة حتى استقبحتُه[٢] محارُمك.

قال: وقول ذِي الرمّة: تعصَّبْتَ على خالك، أنّ النَّوار بنت جُلّ[٣] أمّ حَنْظَلة بن مالك، وهي من رَهْط ذي الرّمة، وكذلك عنى جرير بقوله:

ولـولا أن تقـولَ بنـو[٤] عـديّ ... ألـم تـك أمَّ حنظلـة النَّـوارُ

أتتكـم يـا بنـي مِلْكـانَ منّـي ... قصـائـدُ لا تعـاوَرُهـا البِحـارُ[٥]

فقال ذو الرّمة: لا، ولكن اتهمْتَني بالمَيْل مع الفرزدق عليك، قال: كذلك هو، قال: فوالله ما فعلتُ، وحلف له بما يُرضيه، قال: فأنشدني ما هجوتَ به المرئيّ، فأنشده قوله[٦]:

نَبَـتْ عَيْنَـاك عـن[٧] طلَـلٍ بِحُـزْوَى ... عَفَتْـه الـريـح وامتضـح[٨] القِطَـارا

/ فأطال[٩] جدّاً، فقال له جرير: ما صنعتَ شيئاً، أفأرفدك؟ قال: نعم، قال: قل[١٠]: [٢١/١٨]

يَعُـدُّ النـاسِبُـون إلـى تميـم ... بُيـوتَ المَجْـدِ[١١] أربعـةً كبـارا

يَعُـدُّون الـرِّبـابَ وآلَ سَعْـدٍ[١٢] ... وَعمـراً ثـم حنظلـةَ الخيـارا

ويَهْلِـك بينهـا المَـرَئـيُّ لَغْـواً ... كمـا ألغَيْـتَ فـي الـدِّيَـةِ الحُـوَارا

([١٣] ويروى: ويذهب بينها[١٣]).

فغلبه[١٤] ذو الرمّة بها.

قال: حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ[١٥]، قال: حدثني جماعة من أهل العلم أنّ ذا الرّمّة مرّ بالفرزدق فقال له: أنشدني أحْدَث ما قلت في المرئيّ، فأنشده هذه الأبيات، فأطرق الفرزدق ساعة، ثم قال: أعِد، فأعاد، فقال: كذبت وأيم الله، ما هذا لك، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْنِ منك، وما هذا إلاّ شعرُ ابن الأتان[١٦].

(١) ف: «لا، بل».
(٢) ف: «حتى استبيحت».
(٣) أ: «بنت خال».
(٤) في أ: «بني عدي».
(٥) في ف: «التجار».
(٦) «ديوانه» ١٩٣.
(٧) أ: «من طلل». وحزوى: موضع بنجد.
(٨) ف، و «الديوان»: «وامتنح»، وامتنح، من المنحة وهي العطية، وامتضح، من مضح عرضه: شأنه.
(٩) جـ: «فأطالها».
(١٠) «ديوان ذي الرمة» ١٩٦.
(١١) «الديوان»: «بيوت العز».
(١٢) «الديوان»:

يعـدون الربـاب لهـم وعمـراً وسـعـداً ثـم ....

(١٣ ـ ١٣) كذا في جـ.
(١٤) في ف: «فغلب».
(١٥) ما: «الجرجراني». وف: «الجرجرائي».
(١٦) يريد جريراً.

١١٨/١٦ فلما سمعها المرئيّ جعل يلطم رَأْسَه، ويصرخ ويَدْعو / بِوَيْله، ويقول: قتلني جرير، قتله الله! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطةٌ في البحر لكدَّرته، قتلَني، وفضحَني.

فلما استعلَى ذو الرمة على هشام أتَى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا: يا أبا حَزْرة، عادتُك الحسنى، فقال: هيهات، ظلمتُ أخوالي، قد أتاني ذو الرّمة، فاعتذر إليّ، وحَلفَ[١] فلستُ أُعِينُ عليهم.

[٢٢/١٨] / فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتَب وقد طلع بمكاتبته، فأعطوه عشرة أعنز، وأعانوه على مكاتبته، فقال أبياتاً عَيْنيّة يفضِّل فيها بني امرىء القيس على بني عديّ، وهشاماً على ذي الرمّة، ومات ذو الرمّة في تلك الأيام، فقال الناس: غَلَبه هشام.

قال ابن النّطاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئيّ، فقال الناس: غلبه، ولم يغلبه؛ إنما مات قبل الجواب.

يتحدث عن شعره

أخبرني اليزيديّ[٢]، عن محمد بن الحسن الأحول، عن بعض أصحابه، عن الشَّبْو بن قُسيم العُذْريّ[٣]، قال:

سمعتُ ذا الرمّة يقول: مِنْ[٤] شعري ما طاوعني فيه القولُ وساعدني، ومنه ما أجهدْتُ نفسي فيه، ومنه ما جُننت به جنُوناً؛ فأما ما طاوعني القول فيه فقولي[٥]:

* خليليّ عُوجاً مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ *

وأما ما أجهدتُ نفسي فيه فقولي[٦]:

* أأنْ تَوسّمت من خَرْقاء منزلة *

أما ما جُننت به جنوناً فقولي[٧]:

* ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكِبُ *

[٢٣/١٨]
/ جرير يتمنى أن ينسب إليه شعر لذي الرمة

أخبرني عليُّ بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جَرير يقول: ما أحببتُ أن يُنسب إليّ مِن شعر ذي الرمة إلا قوله:

---

(١) ف: «وحلف لي».
(٢) حـ: «محمد بن العباس اليزيدي».
(٣) حـ: «السير بن قسيم العدوي».
(٤) حـ: «في».
(٥) «ديوانه» ٤٩١ وعجز البيت:

* بجمهور حزوى فابكيا في المنازل *

(٦) «ديوانه» ٥٦٧ وفي «الديوان»:

أعن ترسمت .... ماء الصبابة من عينيك مسجوم

(٧) «ديوانه» ١ وتمامه:

* كأنه من كل مفرية سرب *

* ما بَالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ *

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:
قال حمّاد الراوية: ما تمم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها:

* ما بالُ عَيْنِك منها الماء ينسكب *

حتى مات، كان يَزيد فيها منذ قالها حتى تُوفّي.

ذو الرمة وخياط في سوق المربد

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن أبي عدنان، قال: أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز الباهليّ، عن كثير بن ناجية، قال:

بينا ذو الرمة ينشد بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون إليه، إذا هو بخيّاط يطالعُه، ويقول: يا غيلان

أأنـتَ الـذي تستنطـق الـدارَ واقفـاً ... مِـنَ الجهـل هـل كـانـت بكـنّ حلـولُ؟

فقام ذو الرمّة وفكّر زماناً، ثم عاد فقعد في المِرْبَد ينشد، فإذا الخياط قد وقف عليه، ثم قال[1]:

أأنـت الـذي شبّهـت عَنْـزاً بقفـرة ... لهـا ذَنَـبٌ فـوق اسْتِهـا أُمّ سـالـم؟
وَقَـرْنـانِ إمّـا يَلْـزقـا بِـكَ يَتْـركـا[2] ... بجَنْبَيْـك يَـا غيـلانُ مِثْـلَ المـواسـم
جعلـت لهـا قـرنيـن فـوق شـواتهـا[3] ... ورَابَـكَ منهـا مَشْقَـةٌ فـي القـوائـم

/ فقام ذو الرمة فذهب، ولم يُنشد بعدها في المِرْبد حتى مات الخياط. قال: وأراد الخياط بقوله هذا قولَ [٢٤/١٨] ذي الرمة[4]:

أقـول لـدَهْنَـاوِيَّـةٍ عَـوْهَـجٍ جَـرَتْ ... لنـا بيـن أعْلَـى بُـرقـةٍ فـي الصَّـرائـم[5]
أيـا ظبيـة الـوَعْسَـاء بيـن جُـلاَجـلٍ ... وبيـن النَّقَـا آأنـتِ أم أُمُّ سـالِـم؟
هـي الشِّبْـهُ لـولا مِـدْريـاهـا[6] وأذْنهـا ... سـواء وإلاَّ مَشْقَـةٌ فـي القَـوَائـم

فانتبه ذو الرُّمة لذلك، فقال[7]:

/ أقـولُ بِـذِي الأَرْطَـى عشِيَّـةَ أَرْشَقَـتْ[8] ... إلـى الـرَّكْـبِ أعنـاقُ الظِّبـاءِ الخَـواذِلِ[9] ١١٩/١٦

---

(١) حـ: «فقال».
(٢) حـ: «يلزمانك يثنيا».
(٣) الشواة: الشوى، والشوى: قحف الرأس. وفي ف: «فوق ثيابها».
(٤) «ديوانه» ٦٢١.
(٥) في «الديوان»: «. . . بين أعلى عرفة بالصرائم». وفي ف: «بين أعلى عجمة فالصرائم».
(٦) في «الديوان»: «إلا مدرييها». والمدريان: القرنان.
(٧) «ديوانه» ٤٩٥.
(٨) في «الديوان»: «وعشية أتلعت. . . .»، وفي ف: «أشرفت».
(٩) حـ: «أعناق المطي».

لأدماءَ[١] مِنْ آرام بين سُوَيْقَةٍ وبين الجِبال[٢] العُفْر ذاتِ السَّلاسِلِ
أرى فيكِ من خرقاءَ يا ظبيةَ اللِّوَى مشابةَ جُنِّبْتِ[٣] اعتلاقَ الحبائلِ
فعيناكِ عيناها وجِيدُكِ جِيدُها ولونك لولا أنها غيرُ عاطِل[٤]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم[٥].

[١٨/٢٥] / رؤبة يعجز عن تفسير بيت قاله الراعي فيفسره له ذو الرمة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش[٦]، عن أبي سعيد السكريّ، عن يعقوب بن السكّيت، عن محمد بن سلّام، عن أبي الغرّاف، قال:

قال ذو الرمة لرُؤْبة: ما عَنَى الراعي بقوله[٧]:

أنَاخَا بأَشْوَا الظَّنّ ثمّتَ عرّسا قَلِيلاً وقد أبقى سُهَيْلٌ فعَرّدَا

فجعل رُؤْبة يقول: هي كذا هي كذا، لأشياء لا يقبلها ذو الرمّة، فقال له رؤبة: فمهْ؟ وَيْحَكَ! قال: هي الأرض بين المُكلئة وبين المُجْدِبة.

الوليد بن عبد الملك يسأل الفرزدق وجريراً عن ذي الرمة

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عَدْنان، عن إبراهيم بن نافع:

أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره، فقال له: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا، قال: أفتعلم أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلّا أن غلاماً من بني عديّ بن كعب يركبُ أعجازَ الإبل، وينعت الفَلَوات. ثم أتاه جرير فسأله، فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرمة فقال له: ويحك! أنتَ أشعر الناس، قال: لا، ولكنّ غلام من بني عقيل يُقال له: مُزاحم: يسكن الرَّوضات يقول وحشيًّا من الشعر لا نقدر على أن نقول مثلَه.

كثيرة تقول شعراً في ميّ وتنحله ذا الرمة

قال: وكان ذو الرمة يتشبّب[٨] بميّ بنت طُلْبَة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وكانت كثيرةُ[٩] أمةً مُولّدة لآلِ قيس بن

---

(١) في «الديوان»: «لأدمانة من وحش»، وأدمانة: ظبية.
(٢) في «الديوان»: «... الحبال»، بالحاء المهملة، قال: والحبال يعني حبال الرمل. والعفر: الحمر. والسلاسل من الرمل: ما تعقد منه.
(٣) جـ: «جنته»، والمثبت من أ و «الديوان»: يدعو لها ألا تعلق في حبالة الصائد.
(٤) حـ و«الديوان»: «إلا أنها». والعاطل: التي لا حلي عليها.
(٥) حـ: «لإبراهيم الموصلي».
(٦) ف: «علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد».
(٧) ابن سلام ٤٧٧، وروايته:

أناخا بأشوال طروقاً بخبة قليلاً وقد أعيا سهيل فعردا

وفي «اللسان» (خبب) و«المخصص» ١٠: ١٧٣:

أناخوا بأشوال إلى أهل خبة طروقاً وقد أقعى سهيل فعردا

وفي حـ:

أناخا بأشراط وظلا بخبة طروقاً وقد أقعى سهيل فعردا

(٨) حـ: «يشبب».
(٩) ابن سلام: «كنزة».

عاصم، وهي أم سَهْم بن بُرْدة اللص الذي / قتله سِنَان بن مُخَيِّس[١] القشيريّ أيام محمد بن سليمان، فقالت كثيرة[٢] : [٢٦/١٨]

علـى وَجْـه مَـيٍّ مَسْحَـةٌ مِـنْ مَـلاحـةٍ ... وتحـت الثيـابِ الخِـزيُ لـو كـان بَـادِيـا

ألـم تـر أنّ المـاءَ يخبـثُ طعْمُـه ... ولـو كـان لَـوْنُ المـاء فـي العيـن صَـافيـا[٣]

ونحلتْها ذا الرّمة، فامتعض من ذلك، وحلف بجهد[٤] أيمانه ما قالها.

قال: وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دَهْري، وأفنيتُ شبابي أُشبِّب بها وأمْدَحُها[٥]، ثم أقول هذا، ثم اطّلع على أنّ كثيرة قالتهما، ونحلتهما إياه.

ميّة لا ترد عليه السلام فيغضب ويقول في ذلك شعراً

وقال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عَبْد الله، قال: حدثني هارون بن سعيد، قال: حدثني أبو المسافر الفقعسيّ، عن أبي بكر بن جَبَلة الفقعسيّ، قال:

وقف ذو الرمة في رَكْبٍ معه على مَيّة، فسلّموا عليها، فقالت: وعليكم إلاّ ذا الرمة[٦]، فأحفظه ذلك وغمّه ما سمع منها بحضرة القوم[٧]؛ فغضب وانصرف وهو يقول:

أيَـا مـيّ قـد أشمـتِّ بـي ويحـك العِـدَا ... وقطَّعـتِ حَبْـلا كـان يـا مـيّ بـاقيـا

فيـا مـيّ لا مـرجـوعَ للـوَصْـلِ بيننـا ... ولكـنّ هَجْـراً بيننـا وتَقَـاليـا

ألـم تـر أنّ[٨] المـاءَ يخبـثُ طعْمُـه ... وإنْ كـان لـون المـاء فـي العيـن صـافيـا

/ محمد بن الحجاج الأسيدي يلتقي بمية وهي عجوز [٢٧/١٨]

أخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ، عن[٩] ابن مَهْرُويه، عن ابن النطّاح، عن محمد بن الحجاج الأسيديّ من بني أسيد بن عمرو بن تميم، قال:

مررتُ على ميّة وقد أسنّت، فوقفت عليها وأنا / يومئذ شابّ فقلت: يا ميّة! ما أرى ذا الرمة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول[١٠]: [١٢٠/١٦]

صوت

أمـا[١١] أنْـتَ عـن ذِكـراك مَيّـة مُقْصِـرُ ... ولا أنـتَ نـاسِـي العَهْـدِ منهـا فتـذكُـرُ

---

(١) أ: «ابن محسر»؛ والمثبت من ف وابن سلام.
(٢) ابن سلام: «كثنزة»، والشعر في ابن سلام ٤٧٦، و«أمالي الزجاجي» ٥٧، و «الحماسة» ٤: ٥٣، و «الشعر والشعراء» ٥١٩.
(٣) في هامش حـ من نسخة: «وإن كان...». وفي «الديوان» ٦٧٥: «... أن الماء يخلف طعمه».
(٤) حـ: «جهد».
(٥) س: «وأمذقها»؛ والمثبت من أ، ف، وابن سلام.
(٦) حـ: «إلا ذو الرمة».
(٧) حـ: «فأحفظه ما سمع منها بحضرة القوم».
(٨) أ: «ألم ترين»، والمثبت من «الديوان».
(٩) ف: «قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه».
(١٠) الأبيات في «ديوانه» ٦٦٦.
(١١) في حـ: «وما».

تَهِيمُ بها ما تستفيقُ ودُونها حِجابٌ وأبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّر

قال: فضحكت وقالت: رأيتَني يابنَ أخي وقد ولّيتُ وذهبَتْ محاسني، ويرحم الله غَيْلان؛ فلقد قال هذا فيَّ وأنا أَحسنُ من النارِ الموقدة في الليلة القَرَّة في عَيْنِ المقرور، ولن تبرحَ حتى أُقيمَ عندك عُذره[1]، ثم صاحت: يا أسماء، اخرجي؛ فخرجت جاريةٌ كالمَهَاةِ ما رأيتُ مثلها، فقالت: أمّا لمن شبّب بهذه وهَوِيها عُذر؟ فقلت: بلى، فقالت: والله لقد كنت أزمان كنتُ مثلها أحسنَ منها، ولو رأيتَني يومئذ لازْدَرَيْتَ هذه ازدراءَك إياي اليوم، انصرف راشداً.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

أبو سوّار الغنويّ يصف ميّة

أخبرني[2] أبو خليفة، قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوّار[3] الغَنَويّ:

[٢٨/١٨] رأيت مَيّة وإذا معها بَنُون لها صغار، فقلت: صِفْها لي، فقال: مسنونةُ الوجه، / طويلة الخد[4]، شمّاء الأنف، عليها وَسْم جمال، فقالت: ما تلقَّيْتُ[5] بأحدٍ من بنيَّ هؤلاء إلاّ في الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمّة فيها؟ قال: نعم، كانت تسحّ سحًّا، ما رأى أبوك مثله.

ميّة تجعل لله عليها أن تنحر بدنة يوم ترى ذا الرمة

فأمّا ابن قتيبة فقال في خبره[6]:

مكثت مَيّة زماناً لا ترى ذا الرمّة، وهي تسمع مع ذلك شِعْرَه، فجعلت لله عليها أنْ تنحرَ بدَنة يوم تراه، فلما رأته رجلاً دميماً أسود، وكانت من أجمل الناس قالت: واسوأتاه! وابؤساه[7] واضيعة بدَنتاه! فقال ذو الرمة:

على وَجْهِ مَيٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ وتحت الثيابِ الشَّيْنُ لو كانَ بادِيا

قال: فكشفت ثوبَها عن جسدها، ثم قالت: أشيناً ترى لا أُمّ لك! فقال:

ألم تَرَ أنَّ الماءِ يخبُثُ طَعْمُه وإنْ كان لونُ الماءِ أبيضَ صافيا

فقالت: أمّا ما تحت الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شينَ فيه، ولم يبق إلا أنْ أقول لك: هلمَّ، حتى تذوق ما وراءه، ووالله لا ذقْتَ ذاك أبداً، فقال:

فيا ضيعةَ الشِّعرِ الذي لجّ فانقضى بِمَيٍّ ولم أملك ضَلالَ فؤادِيا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك، فعاد لما كان عليه من حُبِّها.

---

(١) ف: «عذره فيّ».
(٢) الخبر في ابن سلام ٤٧٦.
(٣) جـ: «ابن سوار».
(٤) في ابن سلام: «الخدين».
(٥) تلقت المرأة: حبلت.
(٦) «الشعر والشعراء» ٥٠٩.
(٧) ساقط من ف، وهو في «الشعر والشعراء».

محمد بن علي الجبيري يلتقي بالنوار ابنة ميّة ويتذاكران شعراً لذي الرمة

وذكر محمد بن عليّ بن حَفْص الجُبَيْريّ[١] الحنفيّ ـ من ولد أبي جُبيرة ـ أنَّ النَّوار بنت عاصم المنقرية ـ وأمّها ميّة صاحبة ذي الرمة ـ أخبرته، وقد ذكر عندها ذا الرمة[٢]، وأنشدها قوله في أمها[٣]:

[٢٩/١٨]

/ هـي البُـرْء والأسقـام والهـمُّ والمُنَـى ... وموتُ الهوى في القَلْب مني المبرِّحُ[٤]

وكـان الهـوى بـالنـأي[٥] يُمْحَـى فيمَّحِـي ... وحُبُّـكِ عنـدي يَسْتَجِـدُّ ويـربـح

يربح، أي يزيد الربح[٦]. هكذا ذكره الأصمعيّ.

إذا غَيَّـر النـأيُ المُحِبِّيـن لـم أجـد ... رَسِيسَ الهـوى[٧] مِـنْ حُـبِّ ميَّـةَ يَبْـرح

فلما سمعت قوله:

* إذا غَيَّرَ النَّأيُ المحبِّين. . . . *

قالت: قبَّحه الله، هو الذي يقول أيضاً:

علـى وَجْـهِ مَـيٍّ مَسحـةٌ مِـنْ مَـلاحـةٍ ... وتحت الثياب الشَّيـن[٨] لـو كـان بـادِيـا

١٢١/١٦

/ فقلت لها: أكانت ميّة جَدّتك؟ قالت: لا، بل أُمّي، فقلت لها: كم تَعُدِّين؟ قالت: ستين سنة.

أخبرني الحسين[٩] بن يحيى، قال حماد: قرأتُ على أبي، عن محمد بن سلام، قال:

كانت ميّ صاحبة ذي الرمة من وَلد طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وكانت لها بنت [عم][١٠] من ولد قيس يقال لها: كثيرة[١١] أم سلهمة، فقالت على لسان ذي الرمة:

* على وَجْه ميّ مَسْحَةٌ من مَلاحة *

الأبيات. فكان ذو الرمة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه، ويحلفُ أنه ما قالها[١٢] قطّ.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي الغرّاف الضبيّ[١٣] بمثله، وقال فيه:

---

(١) حـ: «الحميري».

(٢) ف: «ذو الرمة».

(٣) «ديوانه» ٧٩، ٨٣ من قصيدته التي مطلعها:

أمنـزلتـي مـيّ سـلام عليكمـا ... علـى النـأي، والنـائـي يسـود وينصـح

(٤) حـ: «للأسقام والهم والمنى»، وفي «الديوان»:

هـي البرء والأسقـام والهـم ذكـرهـا ... ومـوت الهـوى لـو التنـائـي المبـرح

(٥) «الديوان»: «وبعض الهوى بالبحر».

(٦) حـ: «يزيد كما يزيد الربح».

(٧) في «الديوان»: «. . . لم يكد. . . رسيس الهوى. . .».

(٨) حـ و «الديوان»: «الخزي».

(٩) أ: «الحسن بن يحيى.».

(١٠) ساقط من ف.

(١١) انظر الحاشية ٤ ص ٢٥.

(١٢) حـ: «ما قاله».

(١٣) حـ: «الفقعسي».

[٣٠/١٨] / إن كثيرة مولاة لهم، وهي[١] أمّ سلهمة اللص الذي قتلته خَيْلُ محمد بن سليمان، والله أعلم.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبيّ[٢]، عن ابن شبّة، عن المدائنيّ، عن سلمة[٣]، عن محارب، قال:

كان ذو الرمّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك، فقيل له: كيف تقول: عُزَير ابن الله أو عزير بن الله؟ فقال: أكثرهما حروفاً.

ذو الرمة يكتب

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب، عن عبد الله بن مسلم، قال:

قال[٤] عيسى بن عمر: قال لي[٥] ذو الرمة: ارفع هذا الحَرْفَ، فقلتُ له: أتكتب؟ فقال بيده[٦] على فيه: اكتم[٧] عليّ فإنه عندنا عَيْب.

رؤبة يتهمه بسرقة شعره

أخبرني ابنُ دُريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ، قال:

قال رؤبة: كما قلتُ شعراً سرقه ذو الرمّة، فقيل له: وما ذاك؟ قال: قلت[٨]:

* حَيُّ الشهيقِ ميّتُ الأنفاسِ *

فقال هو[٩]:

يَطْرحنَ بالمهارق الأغفالِ ... كلَّ جَهِيضٍ لَثِقِ السِّرْبالِ

* حيُّ الشهيق مَيّتِ الأوصالِ *

[٣١/١٨] / فقلت له: فقوله واللهِ أجودُ من قولك، وإن كان سرقه منك، فقال: ذلك[١٠] أغمّ لي.

يحدثنا عن منزلته من الراعي

أخبرني ابن عبد العزيز[١١] عن ابن شبّة قال:

---

(١) حـ: «وأمها».
(٢) ف: «وحبيب بن نصر».
(٣) حـ: «عن مسلمة بن محارب».
(٤) «الشعر والشعراء» ٥٠٧.
(٥) جـ: «قال ذو الرمة».
(٦) يريد: أشار بيده على فيه.
(٧) «الشعر والشعراء»: «أي اكتم عليّ».
(٨) «الشعر والشعراء» ٥١٦، وفيه: «موتى العطايا حية الأنفاس».
(٩) «ديوانه» ٤٨٢، «الشعر والشعراء» ٥١٦.
والمهارق: الصحف؛ شبه الفلوات بها. والأغفال: اللواتي لا علم بها. والجهيض: الولد الذي سقط لغير تمام. السربال، يعني جلده. وفي ف: «كل حنين» وفي ب: «كل حصين».
(١٠) حـ: «ذاك».
(١١) حـ: «محمد بن عبد العزيز».

قيل لذي الرمة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما والله لئن قيل ذاك ما مَثَلي ومَثَله إلاّ شابٌ صحِب شيخاً، فسلك به طرقاً ثم فارقه، فسلك الشابُ بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ.

لا يحسن الهجاء والمدح

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلاّس، عن الخراز[١] عن المدائنيّ، وأخبرني به[٢] إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، دخل حديثُ بعضِهم في حديث بعض قال:

إنما[٣] وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح، وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال[٤]:

رأيتُ الناس ينتجعون غَيثاً فقلتُ لِصَيْدحَ: انتَجِعِي بِلالاَ

فلما أنشده قال له: أو لم ينتجعني غير صَيْدح؟ يا غلام، أعطه حَبْل قَتٍّ لصَيْدَح، فأخجله.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم قال: حدثني أبو الغرّاف قال:

عاب الحكم بن عَوانة الكلبيُّ ذا الرمة في بعض قوله فقال فيه[٥]:

فلو كنتَ من كَلْبٍ صميماً[٦] هجوتُكُم جميعاً ولكن لا إخالُكَ من كَلْبِ[٧]

/ ولكنما أُخبِرتُ أنك مُلصَقٌ كما أُلصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ القَعْبِ[٨] [٣٢/١٨]

تَدَهْدَى فخرَّتْ ثُلْمَةٌ من صميمه[٩] فَكِيفَ بأخرى[١٠] بالغِراء وبالشَّعْبِ

ذو الرمة وبلال بن أبي بردة يحتكمان إلى أبي عمرو بن العلاء في رواية شيء من شعر حاتم:

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم[١١] قال: وحدثني أبو الغرّاف قال:

دخل ذو الرمّة على / بلال بن أبي بُردة، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً، فأنشده بلال أبياتَ حاتم طيِّىء قال[١٢]: ١٢٢/١٦

لحا اللهُ صُعْلُوكاً مُناهُ وهمُّه مِنَ العَيْشِ أن يلقى لَبُوساً ومَطْعَما

يَرَى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُه مِنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما[١٣]

(١) حـ: «عن أحمد بن الحارث الخراز».
(٢) حـ: «وأخبرني إبراهيم».
(٣) حـ: «وإنما».
(٤) «ديوانه» ٤٤٢.
(٥) ابن سلام ٤٨٢، «ديوانه» ٥٣.
(٦) «الديوان». وفي «الأصول»: «صحيحاً».
(٧) «الديوان» وابن سلام. وفي بعض «الأصول»: «في كلب».
(٨) «الديوان»: «ولكنني خبرت»، وثلمة الإناء: موضع الكسر من شفته، والقعب: القدح.
(٩) ف، وفي أ، س: «صحيحه».
(١٠) في «الديوان» وابن سلام: «فلز بأخرى».
(١١) ابن سلام ٤٨٣.
(١٢) «ديوان حاتم» ٢٥، وابن سلام ٤٨٣.
(١٣) في ابن سلام: «من قلة الهم».

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرمة: يرى الخَمْص تعذيباً، وإنما الخِمْسُ للإبل، وإنما هو خَمْص البطن، فمحكَ بلال ـ وكان مَحِكاً[١] ـ وقال: هكذا أنشدنيه[٢] رُوَاة طيِّىء، فردّ عليه ذو الرمة، فضحك[٣]، ودخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدهما[٤]؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كِلاَ الوَجْهَيْنِ جائز، فقال: أتأخذون عن ذِي الرمة؟ فقال: إنه لفصيح وإنا لَنَأْخذُ عنه بتمريضٍ. وخرجا من عنده، فقال ذو الرمة لأبي عَمْرو: واللهِ لولا أني أعلم[٥] أنك حطبْتَ في حَبْلِه وملت[٦] مع هواه لهجوتُك هِجاءً لا يقعدُ إليك اثنان بعده.

[١٨/٣٣] / أجود شعره في رأي بلال بن جرير

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني هارون بن محمد الزيات، قال: حدثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال: قيل لبلال بن جرير: أيّ شعر ذي الرمة أجود؟ فقال[٧]:

* هل حبل خَرْقاءَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرْمُوم *

إنها مدينة الشعر.

رأيٌ لابن سلام في ذي الرمة

حدثنا[٨] أبو خليفة، عن ابن سلّام، قال:

كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتَادة من الحسن وابن سيرين، كان يَرْوِي عنهما ويروي عن الصحابة، وكذلك ذو الرمّة، هو دونَهما ويساويهما في بَعْضِ شعره[٩].

جماعة من الكوفة يصنعون له أبياتاً

أخبرني[١٠] الجوهريّ قال: حدثنا ابن شبّة، عن ابن معاوية[١١]، قال: قال حماد الراوية:

قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نَرَ أحسنَ ولا أفصحَ ولا أعلم بغريبٍ منه؛ فغمّ ذلك كثيراً من أهل المدينة[١٢]، فصنعوا له أبياتاً وهي قوله:

رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها ... من الدّهر يدري كيف خَلْقُ الأباعرِ

(١) كذا في ابن سلام. ومحك: نازع في الكلام وتمادى في اللجاجة، وفي ف: «وكان ضحوكاً».
(٢) في ابن سلام: «أنشدنيهما».
(٣) ابن سلام: «فمحك».
(٤) حـ: «كيف تنشدها».
(٥) حـ وابن سلام: «أعلمك».
(٦) ابن سلام: «وقلت في هواه».
(٧) «ديوانه» ٥٦٩، وفيه: «... بعد الهجر»، وتمامه:

* أم هل لها آخر الأيام تكليم *

(٨) ابن سلام ٤٦٦.
(٩) في ابن سلام: «الشعر».
(١٠) جـ: «وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري».
(١١) جـ: «عن أحمد بن معاوية الباهلي».
(١٢) جـ: «من أهل الكوفة».

فقـال: شظـايـا مَـعْ ظبـايـا ألا لنـا وأجفـل إجفـال الظَّليـم المبـادرِ
فقلـت لـه: لا ذَهْـلَ مِلْكَيْـل بعـدمـا مَـلا نَيْفَـق التُّبـان منـه بعـاذر

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

ذو الرمة وعنبسة النحوي

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، عن العباس بن ميمون طائع، قال: حدثنا أبو عثمان المازنيّ، عن الأصمعيّ، عن عنبسة النحويّ، قال:

[١٨/ ٣٤] / قلت لذي الرمة وسمِعْتُه ينشد ويقول:

وعَيْنـان قـال الله كُـونَـا فكـانَتَـا فَعُـولَيْـنِ بـالألْبَـابِ مـا تَفْعَـل الخَمْـرُ

قال: فقلت له: فهلاّ قلتَ: فَعُولان؟ فقال: لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كان خيراً لك؛ أي أنك أردتَ القدر، وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب، وأراد عنبسة: وعينان فَعولان.

وروى هذا الخبرَ ابنُ الزيّات[١]، عن محمد بن عبادة، عن الأصمعيّ، عن العلاء بن أسلم، فذكر مِثلَه.

يغير شعره لرأي قاله ابن شبرمة

وحكى أن إسحاقَ بن سُوَيد المعارِضَ له قال: وأخبرني الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذَّل، قال: حدثني أبي، عن أبيه قال:

قدم ذو الرمّة الكوفة فوقف يُنشِد الناس بالكُناسة قصيدتَه الحائيّة، حتى أتى على قوله[٢]:

إذا غَيَّـر النَّـأيُ المُحِبِّيـن لـم يَكَـدْ رَسِيـسُ الهَـوَى مِـنْ حُـبِّ مَيَّـةَ يَبْـرَحُ

٢٣/١٦ / فناداه ابنُ شُبْرُمة: يا غَيْلان، أراهُ قد برَح. فشنق[٣] ناقَته، وجعل يتأخر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله:

* إذا غيَّر النَّأيُ المحبين لم أجِدْ *

قال: فلما انصرفت حدّثتُ أبي، فقال: أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذي الرُّمّة ما أنشد، وأخطأ ذو الرُّمّة حين غيّر شِعْرَه لقول ابن شبرمة، إنما هذا مثل قول اللهِ عز وجل: ﴿ظُلماتٌ بَعضُها فوق بعض إذا أخرج يدَه لم يَكَدْ يَراها﴾[٤] وإنما معناه لم يرها ولم يكد.

[١٨/ ٣٥] ### / بلال بن أبي بردة يأمر له بعشرة آلاف درهم

أخبرني الجوهريّ، عن ابن شُبرمة، عن يحيى بن نجيم[٥] قال:

قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة: علام تعطي ذا الرمة؟ فوالله إنه ليَعْمِد إلى مقطّعاتنا فيصلها فيمدحك بها، فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

(١) جـ: «هارون بن محمد الزيات».
(٢) «ديوانه» ٧٨.
(٣) جـ: «فشنق لناقته»، وشنق البعير: كفه بزمامه حتى ألزق ذفراه بقادمة الرحل، أو رفع رأسه وهو راكبه.
(٤) سورة النور ٤٠.
(٥) جـ: «أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني يحيى بن نجيم قال:».

رجل بمربد البصرة يراجعه في شعر ينشده

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، حدثنا[١] إسحاق الموصليّ، عن الأصمعيّ، قال[٢] :

قال رجل: رأيت ذا الرّمة بمِربَد البصرة وعليه جماعة مُجتَمعة وهو قائم، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار، وهو ينشد، ودموعُه تجري على لحيته[٣] :

* ما بالُ عَيْنِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ *

فلما انتهى إلى قوله[٤] :

تُصْغِي إذَا شَدَّهَا بالكُورِ جانحةً ... حتى إذا ما استوَى في غَرْزِها تَثِبُ

قلتُ: يا أخا بني تميم، ما هكذا قال عَمُّك، قال: وأيّ أعمامي يرحمك الله؟ قلتُ: الراعي، قال: وما قال؟ قال: قلت: قوله[٥] :

ولا تُعجِل المرءَ قبل الوُرو ... ك وَهْيَ بركبته أبْصَرُ[٦]

وهِيَ إذَا قَام في غَرْزِها ... كمثلِ السفينةِ إذا تُوقَر[٧]

/ ومُصْغِيَة خَدَّها بالزّما ... م فالرأس منها لَهُ أصعَر[٨]

حتى إذا ما استَوَى طبَّقَتْ ... كما طبَّقَ المِسحَلُ[٩] الأغْبَرُ

[٣٦/١٨]

قال: فأُرتج عليه ساعة، ثم قال: إنه نَعَتَ ناقةَ مَلِكٍ ونعتُّ ناقة سُوقةٍ. فخرج منها على رؤُوس الناس.

روايات في سبب تشبيبه بخرقاء

فأما السبَبُ بين ذي الرمة وخَرقاء فقد اختلف فيه الرواة؛ فقيل: إنه كان يَهْواها، وقيل: بل كاد بها ميّة، وقيل: بل كانت كَحَّالة فداوَت عينه فشبّب بها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ[١٠]، عن النوفليّ، عن أبيه:

أن زوج ميّة أمرها أن تَسُبَّ ذا الرمة غَيْرةً عليها، فامتنعت، فتوعّدها بالقتل، فسبَّته فغضب، وشبّب بخرقاء

---

(١) جـ: «قال حدثنا»، والخبر في «الشعر والشعراء» ٥١٧.

(٢) جـ: «عن رجل أخبرني قال».

(٣) «ديوانه» ١، وتمامه:

* كأنه من كلي مفرية سرب *

(٤) «ديوانه» ٨.

(٥) «الشعر والشعراء» ٥١٨، «الموشح» ٢٧٧، «أمالي المرتضى» ١ : ٢٧٩، «اللآلي» ٨٩٨، «اللسان» (ورك).

(٦) «الشعر والشعراء»:

ولا تعجل المرء قبل البرو ... ك، وهي بركبتها أبصر

(٧) «الشعر والشعراء»: «أو أوقر».

(٨) «الشعر والشعراء»: «وواضعة خدها للزمام». وأصعر: مائل.

(٩) المسحل: الحمار الوحشي. وانظر «الموشح» ٢٧٧.

(١٠) جـ: «قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي».

العامريّة؛ يَكيدُ ميّة بذلك، فما قال فيها إلاّ قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات.

أخبرني حبيب بن نصر، عن ابن شبة، عن العُتبيّ، عن هارون بن عتبة قال:

شبّب ذو الرمّة بخرقاء العامرية بغير هَوًى؛ وإنما كانت كحّالة فداوَتْ عَيْنَه من رمَد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبّين حتى أعطيك؟ فقالت[1] : عشرة أبيات تشبّب بي؛ ليرغبَ الناس فيّ إذا سمعوا أنّ في بقية للتشبيب، ففعل.

كان الحاجّ يمرون بخرقاء

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال:

كان ذو الرمة شبّب[2] بخَرْقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة، وكانت تحُلّ فَلْجاً[3] ، ويمرّ بها الحاجّ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهادِيهم، وكانت تجلس معها فاطمة / بنتها - فحدثني مَنْ رآهما - فلم[4] تكن فاطمة مثلها، وكانت [٣٧/١٨] تقول: أنا مَنْسَكٌ من مَنَاسِك الحج؛ لقول ذي الرمّة فيها[5] :

/ تمامُ الحجّ أنْ تقِفَ المطايَا ... على خَرْقاءَ واضِعةَ اللِّثامِ ١٢٤/١٦

خرقاء تسأل القحيف العقيلي أن يشبب بها

قال ابن سلاّم في خبره[6] : وأرسلت خرقاء إلى القُحَيْف العقيليّ تسأله أن يشبب بها فقال:

صوت

لقد أرسلتْ خرقاءُ نَحوِي جَرِيَّها[7] ... لتجعَلني خَرْقَاءُ فِيمَن أضلَّتِ

وخَرْقَاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ... ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلَّتِ

خرقاء تسقي ذا الرمة وهي لا تعرفه

حدثني حبيبُ بن نصر، عن الزّبير، عن موهوب[8] بن رشيد، عمَّن حدثه، قال:

نزل ركب بأبي خرقاء العامِريّة، فأمر لهم بلبن فسُقُوه، وقصَّر عن شابّ منهم، فأعطته خرقاءُ صَبوحَها وهي لا تعرِفهُ، فشربه، ومضَوا فركبوا، فقال لها أبوها: أتعرفين الرجلَ الذي سقيتِهِ صَبوحك؟ قالت: لا والله، قال: هو ذو الرمة القائل فيكِ الأقاويل، فوضعت يدَها على رأسها، وقالت: واسوأتاه وابُؤْساه! ودخلت بيتها، فما رآها أبوها ثلاثاً.

(١) جـ: «لي عشر بنات أيامي، فشبب بي ليرغب الناس فيهن».

(٢) ف: «يشبب».

(٣) في ابن سلام ٤٧٧: «فلجة».

(٤) جـ وابن سلام: «قال: لم تكن».

(٥) «ديوانه» ٦٧٣، ابن سلام ٤٧٨.

(٦) ابن سلام ٤٧٩.

(٧) جريها: رسولها.

(٨) ف: «حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا موهوب...»، وفي س: «موهب»، والمثبت في أ.

المفضل الضّبيّ يزور خرقاء

حدثني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة، قال: قال[١] الضبيّ:

كنتُ أنزل على بعض الأعراب إذا حجَجْتُ، فقال لي يوماً: هل لك إلى أن أُرِيَك خَرْقَاء صاحبة ذي الرمّة؟ فقلت: إن فعلتَ فقد بررت. فتوجهنا جميعاً نريدها، فعَدَل بي عن الطريق قَدْر ميل، ثم أتينا أبيات شَعر، فاستفتح [١٨/٣٨] / بيتاً ففتح له، وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة[٢] بها قوّة، فسلّمَتْ وجلسَتْ، فتحدثنا ساعة، ثم قالت لي: هل حججتَ قطّ؟ قلت: غير مرة. قالت: فما منعك من زِيارتي؟ أما علمت أنّي مَنْسَك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعتَ قول ذي الرمة:

تمـــام الحـــجّ أن تقِـــفَ المطـــابـــا عـلـــى خَـــرْقَـــاءَ واضعـــةَ اللّثـــامِ

أخبرني وكيع، عن أبي أيوب المدائنيّ[٣] عن مصعب الزبيريّ، قال: شبّب ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة.

رواية أخرى في لقاء ذي الرمة بخرقاء

قال هارون بن الزيات: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم، عن محمد بن يعقوب، عن أبيه قال:

رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانُها، وإنّ في ديباجة وجهها لبقيّة، فقلت: أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمّة، فقالت: اجتاز بنا في رَكْبٍ ونحن عدّة جوارٍ على بعض المياه، فقال: أسفِرن، فسفرن غَيرِي، فقال: لئن لم تُسْفِري لأفضَحنّك، فسفرت، فلم يزل يقول حتى أزيد، ثم لم أرَه بعد ذلك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزّبير بن بكار قال: حدثني موهوب بن رشيد، قال: حدثني جدّي، قال:

كنتُ مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأُمر لهم بلبن فسُقوه، وقصُر اللبن عن شاب منهم، فأمرت له خرقاء بغَبوقها، فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غَبوقَك اليوم؟ قالت: لا والله ما أعرفه، قال: ذاك ذو الرمة، فوضَعت يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه! ودخلت خدرها.

[١٨/٣٩] / قال الزبير: وحدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ، قال: حدثنا أبو الشّبل المعديّ قال:

كانت خَرْقَاء البَكَائيّة أَصْبَحَ من القَبَس، وبَقِيَتْ بقاءً طويلاً حتى شَبَّب بها القُحَيف[٤] العقيليّ.

خرقاء وصباح بن الهذيل

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ، عن أحمد بن سليمان، عن أبي شَيْخ، عن أبيه، عن عليّ بن صالح بن سليمان[٥]، عن صباح بن الهذيل أخي زُفَر بن الهذيل، قال:

(١) ف: «قال المفضل الضبي».
(٢) ف: «حُسّانة».
(٣) أ، ب: «المديني».
(٤) جـ: «شبب بها العجيف».
(٥) جـ: «عن أحمد بن سليمان بن صباح».

خرجتُ أريدُ الحجّ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزِله خرقاء، فأتيتُها، فإذا امرأة جَزْلة، عندها سماطان[١] من الأعراب تحدّثُهم[٢] وتُناشدُهم، فسلّمتُ فردّتْ، ونَسَبَتْني، فانتسبتُ لها وهي تُنْزِلني، حتى انتسبت[٣] إلى أبي، فقالت: حسبك أكرمتَ[٤] ما شئت، ما اسمك؟ قلت: صباح، قالت: وأبُو مَن؟ قلت: أبو المُغلّس، قالت: أخذت أول الليل وآخره، قال: فما كان[٥] لي هِمّة / إلاّ الذّهاب عنها. ١٢٥/١٦

الحجاج الأسدي يزور خرقاء، وتنشده شعراً لها في ذي الرمة

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح: حدثني محمد بن الحجاج الأسديّ التميميّ ـ وما رأيت تميمياً أعلم منه ـ قال:

حججتُ فلما صرت بمُرّان منصرفاً، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له فجئته فاستنشدتُه[٦]، فقال لي: إليك عنّي، فإني مشغول عنك. وألححتُ عليه فقال: أرشدك إلى ما بعض ما تحبّ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلْقَاكَ فإن فيه حاجتك، هذا بيت خرقاء ذي الرمة؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد، فقالت: ادْنُه، فدنوت، فقالت: إنك لحضريّ، فمن أنت؟ قلت: / من بني تميم ـ وأنه أحسب أنها لا معرفةَ لها بالناس ـ قالت: [١٨/٤٠] مِن أيّ تميم، فأعلمتُها، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي، فقالت: الحجاجُ بن عُمَير بن يزيد؟ قلت: نعم، قالت: رحم الله أبا المثنّى! قد كنّا نَرْجُو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد، قلت: نعم، فعاجَلَتْه المنيّةُ شابًّا، قالت: حيّاك الله يا بنيّ وقرّبك، مِنْ أين أقبلت؟ قلتُ: من الحج. قالت: فما لكَ لم تمرّ بي وأنا أحَدُ مناسك الحج؟ إنَّ حجّك ناقص، فأقم حتى تحجّ أو تكفُر بعِتْق. قلت: وكيف ذلك؟ قالت: أما سمعتَ قول غَيلان عمِّك:

تمـــامُ الحـــجِّ أنْ تقِـــفَ المطـــايَـــا على خَـــرْقَـــاءَ واضعـــةَ اللِّثـــامِ

قال: وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمةٌ من طولها، بَيْضاء شهلاء، فخمة الوجه. قال: فسألتُها عن سنّها، فقالت: لا أدري إلاّ أني كنتُ أذكر شَمِرَ بن ذي الجَوْشن حين قتل الحُسين عليه السلام، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسّمها في قومه، قالت: وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمالات، قال: ولما أنشدتني خرقاء بَيتَ ذي الرّمة فيها قلت: هيهات يا عمّة، قد ذهب ذلك منك، قالت: لا تقل[٧] يا بنيّ، أما سمعتَ قول قُحَيف[٨] فيّ:

وخَـــرْقَـــاء لا تـــزدادُ إلاّ مـــلاحـــةً ولـــو عُمِّـــرت تعميـــرَ نُـــوح وجلَّـــتِ

ثم قالت: رحم الله ذا الرمة؛ فقد كان رَقيقَ البَشرة، عَذْبَ المنطِق، حَسَن الوصف، مُقارِبَ الرَّصف، عفيف الطَّرْف، فقلت لها: لقد أحسنت الوصف، فقالت: هيهات أن يدركه وصْفٌ، رحمه الله، ورحم مَنْ سمّاه اسمه.

(١) السماط: الصف.
(٢) ف: «تحادثهم».
(٣) جـ: «حتى انتهيت».
(٤) جـ: «كرمت».
(٥) جـ: «فما كانت».
(٦) ف: «فحييته واستنشدته».
(٧) أ: «لا تغفل».
(٨) أ، و «المختار»: «عجيف». وانظر «المختار» ٦: ٦٣.

فقلت: ومَن سمّاه؟ قالت: سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عَبدة بن نُعيم، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة:

[٤١/١٨] / لقد أصبحتَ في فَرْعَيْ مَعَدٌ ... مكانَ النّجم في فَلَك السماء
إذا ذُكرت محاسنُه تدرَّت ... بِحارُ الجود من نحو السماء[1]
حُصَينٌ شادَ باِسمِك غيرَ شَكٍّ ... فَأنتَ غِياثُ مَحْلٍ بالفِناء
إذا ضَنَّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ ... تَثُجُّ بحارُ جُودك بارتواء
لقد نُصِرت باسمِك أرضُ قَحطٍ ... كما نُثِرت[2] عديٌّ بالثَّراء

فقلت: أحسنتِ يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إي وربي، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربَّيتِ شُكْرَها من ذِكرها، فقالت: أثقلنا حقُّها، ثم قالت: اللهم غَفراً، هذا في اللفظ، ونحتاج إلى العمل.

رجل من بني النجار يمر ببيت خرقاء ويحادث ابنتها

أخبرني جحظة، عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كُناسة، عن خيثم بن حِجِّيَّة العِجليّ، قال: حدثني رجل من بني النجار، قال:

[١٢٦/١٦] خرجتُ / أمشي في ناحية البادية، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بَيْتٍ فقمت[3] أُكلّمها فنادتني عجوز من ناحية الخِباء: ما يقيمك على هذا الغزال النّجديّ؟ فوالله ما تنالُ[4] خَيْراً منه ولا ينفعك، قال: وتقول هي: دَعيه يا أمّاه يكن كما قال ذو الرمة[5]:

وإن لم يكن إلاّ مُعَرَّسُ ساعةٍ ... قليلاً فإنّي نافعٌ لِي قَلِيلُها

فسألتُ عنهما، فقيل لي: العجوز خرقاء ذي الرمة والفتاة بِنتها.

ذو الرمة يموت وله أربعون سنة

وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك، وله أربعون سنة. وقد اختلفت[6] الرواةُ في سبب وفاته.

[٤٢/١٨] / روايات مختلفة في وفاته

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السُّكّريّ، عن يعقوب بن السُّكيت: أنه بلغ أربعين سنة، وفيها توفي[7]، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك، ودفن[8] بحُزْوَى، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

(١) ما: «ماء السماء».
(٢) جـ: «مطرت».
(٣) ف: «فوقفت».
(٤) حـ: «لا تصيب».
(٥) «ديوانه» ٥٥٠. وفيه: «فإن لم يكن إلا تَعَلُّلُ».
(٦) جـ: «اختلف».
(٧) جـ: «مات».
(٨) جـ: «فدفن».

أخبرني[١] أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني ابن أبي عديّ قال:

قال ذو الرمة: بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين [سنة][٢].

قال ابنُ سلّام: وحدثني أبو الغرّاف أنه مات وهو يريد هشاماً، وقال في طريقه في ذلك[٣]:

بـلادٌ بهـا أهلُـونَ لسـتُ ابْـنَ أهلهـا ... وأُخـرى بهـا أهلـون ليـس بهـا أهـلُ

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسديّ، قال: حدثني جبرُ بن رِباط قال:

أنشد ذو الرمة الناس شعراً له، وصف فيه الفلاة بالثّعلبية[٤]، فقال له حَلْبَسٌ الأسديّ: إنك لتنعتُ الفلاةَ نَعْتاً لا تكون مَنِيّتُكَ إلا بها.

قال: وصَدرَ ذو الرمة على أحد جَفْرَيْ بني تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة، فلما أشرف على البصرة[٥] قال[٦]:

وإنّـي لعـاليهـا وإنـي لخـائـفٌ ... لِمـا قـال يَـوْمَ الثَّعْلَبِيَّـةِ حَلْبَـسُ[٧]

/ قال: ويقال: إن هذا آخر شعر قاله. فلما توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنَفَرَتْ منه، ولم تكن تنفر منه، [٤٣/١٨] وعليها شرابُه وطعامُه، فلما دنا منها نفرت حتى مات، فيقال: إنه قال عند ذلك[٨]:

ألاَ أبلـغِ الفِتيـانَ[٩] عنّـي رِسـالـةً ... أهِينـوا[١٠] المَطـايـا هُـنَّ أهـلُ هَـوَانِ

فقـد تـركَتْنِـي صَيْـدَحُ بمَضلّـةٍ ... لِسـانـيَ مُلْتَـاثٌ مِـنَ الطَّلْـوَانِ[١١]

قال هارون: وأخبرني أحمد بن محمد الكلابيّ بهذه القصة، وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم، فركبها أخوه، وقصّ أثره، حتى وجده ميّتاً وعليه خِلَعُ الخليفة، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز[١٢]، عن الرّياشيّ، عن الأصمعيّ، عن أبي الوَجِيه، قال:

دخلتُ على ذي الرمة وهو يجود بنفسه، فقلت له: كيف تجدُك؟ قال: أَجِدُني والله أجد ما لا أجد[١٣] أيام

(١) ابن سلام ٤٨٠.
(٢) من ابن سلام.
(٣) جـ: «تلك»، والبيت في «ديوانه» ٤٥٨، وابن سلام ٤٨٠. وفي ف، و«الديوان»: «ليسوا بأهلها»، وفي ف بعد البيت: «ويروى: ليسوا بأهلنا».
(٤) جـ: «وهو بالثعلبية». والثعلبية: من منازل طريق مكة.
(٥) جـ: «الفلاة».
(٦) «ديوانه» ٦٦٨.
(٧) جـ: «التغلبية حابس»، والمثبت في «الديوان» و«المختار».
(٨) «ديوانه» ٦٧٥.
(٩) ف: «الركبان».
(١٠) أ: «أهين».
(١١) الطلوان: بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش.
(١٢) حـ: «عمر بن عبد العزيز بن أحمد».
(١٣) حـ: «ما أجد».

أزعم أني ما لم أجد حيث أقول[١] :

كأنّي غداةَ[٢] الزُّرْق[٣] يا مَيُّ مُدْنَفٌ ... يَجودُ بنَفْسٍ قد أحَمَّ[٤] حِمَامُها

حِذارَ اجْتِذامِ البَيْنِ أقرانَ نيّةٍ ... مُصَابٌ[٥] ولوعاتٌ[٦] الفؤاد انجذامُها

[١٨/٤٤] / قال: وكان آخر ما قاله[٧] :

يا ربّ قد أشرفَتْ نَفْسي وقد عَلِمَتْ ... عِلْماً يقيناً لقد أحصَيْتَ آثاري

يا مُخرجَ الرّوح من جسمي إذا احْتُضِرَت ... وفارجَ الكَرْبِ زَحْزِحْني عن النّارِ

١٢٧/١٦ / قال أبو الوجيه: وكانت مَنِيَّتُه هذه في الجُدَرِيّ، وفي ذلك يقول[٨] :

ألَمْ يَسأتِها أنّي تلبّستُ بعدها ... مُفَوَّفَةً صَوَّاغُها غيرُ أخرقِ[٩]

نسخت من كتاب هارون بن الزيات: حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزديّ، قال: حدثني جَهْم بن مَسْعَدة، قال: حدثني محمد بن الحجاج الأسديّ، عن أبيه، قال:

وردت حَجْراً وذو الرمة به، فاشتكى شكايته التي كانت منها منيّتُهُ، وكرهتُ أن أخرج حتى أعلم بما يكون في[١٠] شكاته، وكنت أتعهّده، وأعوده في اليوم واليومين، فأتيته يوماً وقد ثَقُل، فقلت: يا غيلان، كيف تَجِدُك؟ فقال: أجدني والله يا أبا المثنى اليوم في الموت، لا غداة[١١] أقول:

كأني غداة الزُّرق[١٢] يا ميّ مدنَفٌ ... يكيد بِنَفْسٍ قد أحمّ حِمامُها

فأنا والله الغداة في ذلك[١٣]، لا تلك الغداة.

قال هارون بن الزيات: حدثني موسى بن عيسى الجعفريّ، قال: أخبرني أبي قال: أخبرني رجل من بني تميم، قال:

كانت ميتة ذي الرمة أنه اشتكى النَّوْطة[١٤] فوَجِعَها دَهراً، فقال في ذلك[١٥]:

---

(١) «ديوانه» ٦٣٧.
(٢) حـ: «كأني يوم البين».
(٣) حـ: «الرزق... يكيد بنفس». وفي «الديوان»: «يكيد بنفس».
(٤) «الديوان»: «أجم». وأحم: دنا وقرب. والحمام: الموت.
(٥) حـ و«الديوان»: «مصيب».
(٦) حـ: «كروعات»، وفي «الديوان»: «لو قرأت الفؤاد».
(٧) «ديوانه» ٦٦٧.
(٨) «ديوانه» ٦٧٠.
(٩) جـ: «تبدلت». وفي «الديوان»: «غير أخرقا».
(١٠) جـ: «من شكاته».
(١١) جـ: «لا في غداة».
(١٢) جـ: «الرزق».
(١٣) جـ: «في ذلك اليوم».
(١٤) النوطة: ورم في الصدر، أو غدة في البطن مهلكة. («القاموس»).
(١٥) «ديوانه» ٤٩١.

أَلِفتُ كِلابَ الحيِّ حتى عَرَفْنَني ومُدَّتْ نِساجُ[١] العنكبوت على رَحْلِي

/ قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود، قد أجدني تماثلتُ وخفّت الأشياء عندنا، واحتجنا إلى زيارة [٤٥/١٨] بني مروان، فهل لك بنا فيهم؟ فقال: نعم، فأرسله إلى إبله يأتيه[٢] منها بلبن يتزوده، وواعده مكاناً، وركب ذو الرمة ناقته فَقَمَصت به، وكانت قد أُعفِيت[٣] من الركوب، وانفجرت[٤] النَّوْطة التي كانت به. قال: وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال: أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً، وإن العلّة التي كانت بي انفجرت. فأرسل إلى أهله فَصَلُّوا[٥] عليه، ودفن برأس حُزْوَى، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

قبره بالدهناء

نسخت من كتاب عبيد الله[٦] بن محمد اليزيديّ: قال أبو عبيدة وذكر هارون[٧] بن الزيات، عن محمد بن عليّ بن المغيرة، عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن المنتجع بن نبهان قال:

لما احتُضِر ذو الرمة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض والوِهاد، قالوا: فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء؟ قال: فأين أنتم من كُثبان حُزْوَى؟ - قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال - قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل[٨] وهو هائل؟ قال: فأين الشجرُ والمدَرُ والأعوادُ؟ قال: فصلَّينا عليه في بطن الماء، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكِباش، وهي أقوى على الصُّعود في الرمل من الإبل. فجعلوا قبره هناك وزبَّروه[٩] بذلك الشجر والمدر، ودلُّوه في قبره، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء، وأنت بالدَّوّ[١٠] على مسيرة ثلاث.

قال هارون: وحدثني محمد بن صالح العدويّ، قال: ذكر أبو عمرو المراديّ:

/ إن قبر ذي الرمة بأطراف عَناق من وسط الدّهناء مقابل الأواعس، وهي أجبُل شوارعُ يقابلن الصَّريمة[١١] [٤٦/١٨] صريمة النَّعام، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرِّباب.

قال هارون: وحدثني هارون بن مسلم، عن الزِّياديّ، عن العلاء بن بُرْد، قال:

ما كان شيءٌ أحبَّ إلى ذي الرمة إذا ورد ماء من أن يَطْوِيَ ولا يَسْقِيَ[١٢]، فأخبرني مخبر أنه مر بالجَفْر وقد جَهَده العطش، قال: فسمعته يقول:

---

(١) في «الديوان»: «أتتني... ومدت نسوج». وفي «المختار»: «ومدت مسوح».

(٢) أ: «ليأتيه».

(٣) ف: «اعنت».

(٤) ف: «فانفجرت».

(٥) «المختار»: «فأتوه وصلوا عليه».

(٦) ف: «عبد الله».

(٧) ف: «وذكر هارون بن محمد الزيات».

(٨) ف: «الرمل هائل».

(٩) أ: «ودثروه». والزبر أصله طي البئر بالحجارة.

(١٠) ياقوت: الدو: أرض ملساء بين مكة والبصرة.

(١١) أ: «الصرمة».

(١٢) ف: «ولا يستكفي».

١٢٨/١٦ / يا مخرجَ الرّوح من جِسْمي إذا احتُضِرتْ وفارجَ الكرْب زَحْزِحْني عن النار

ثم قضى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن عمه، عن عيسى بن عمر، قال:

كان ذو الرمة ينشد الشعر، فإذا فرغ قال: والله لأكسعنّك[1] بشيءٍ ليس في حسابك: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلّه إلا الله، والله أكبر.

كان حسن الصلاة والخشوع

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، ووَكيعٌ، عن أبي أيوب، قال: حدثني أبو معاوية الغلابيّ، قال:

كان ذو الرمّة حسنَ الصلاة، حسنَ الخشوع، فقيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع.

[٤٧/١٨] / أخوه مسعود يرثيه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيديّ قال: حدثني عبد الرحمن، عن عمّه، عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً، وقد بلغ قريباً من منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرّمة:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني وليْلَى كلانا مُوجَعٌ مات وافدُهْ[2]

فقلتُ له: مَن ليلى؟ فقال: بنت أخي ذي الرمة.

(١) كسعه: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه.
(٢) ف: «قائده».

/ ذكر خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية

[١٨/٤٨]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبّة، عن إسحاقَ الموصليّ، عن أبيه، قال:

صنعت لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب له شعراً، فعَسَر ذلك عليّ، فأُريتُ في المنام كأن رجلاً لقيني، فقال لي: يا إبراهيم، أو قد أعياك شِعرٌ لغنائك هذا الذي تُعجَب به؟ قلت: نعم. قال: فأين أنت من قول ذي الرمة[١]:

ألا يـا اسْلَمـي يـا دارَ مـيّ علـى البِلَـى ... ولا زال مُنهَـلاً بجـرعـائـكِ القَطْـرُ

قال: فانتهيتُ فرحاً بالشعر؛ فدعوت من ضرب عليّ فغنيتُه، فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلما عملت هذا الغناء في شعر ذي الرمة نبّهت عليه وعلى شعره، فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها[٢]:

أمَنْـزِلَتَـيْ مَـيٍّ سـلامٌ عليكمـا ... هـل الأزمُـنِ الّـلائـي مَضَيْـنَ رَواجـعُ!

وغنّيت بها الهادي فاستحسنها، وكاد يطير فرحاً، وأمر لكل صوت بألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا يـا اسلمـي يـا دار مـيٍّ علـى البِلَـى ... ولا زال مُنهـلاً بجـرعـائـك القَطْـرُ

ولـو[٣] لـم تكـونـي غيـر شـامٍ بقفـرةٍ ... تجـرُّ بهـا الأذيـالَ صيفِيَّـةٌ كُـدرُ[٤]

/ عروضه من الطويل. وقوله: يا اسلمي ها هنا نداء؛ كأنه قال: يا دار ميّ اسلمي، ويا هذه اسلمي، يدعو لها بالسلامة. ومثله قول الله عزّ وجلّ: ﴿ألاَ يسجدوا[٥] لله الذي يُخرج الخَبْءَ في السّموات والأرض﴾، فسّره أهلُ اللغة هكذا، كأنه قال: يا قوم اسجدوا لله. وميّ ترخيم ميّة إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخّم فَنَوّنَه. وقوله: على البلى، أي اسلمي وإن كنتِ قد بَلِيت. والمنهلُّ: الجاري، يقال: انهلّ المطرُ انهلالاً، إذا سال. والجرعاء والأجرع من الرمل: الكثير / الممتد. والشام: موضع يخالف لون الأرض، وهو جمع، واحدته شامة. والقفر: ما لم يكن فيه نبات ولا ماء، تجر بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة. وأذيالها: مآخيرها التي تسفي التراب على وجه الأرض، شبهها بذيل المرأة، وعنى بها أوائلَها. والكُدْر: التي فيها الغبرة من القتام

[١٨/٤٩] $\frac{١٢٩}{١٦}$

(١) «ديوانه» ٢٠٦.

(٢) «ديوانه» ٣٣٢.

(٣) في «الديوان»: «فإن لم تكوني».

(٤) شام: جمع شامة؛ وهي بقعة تخالف لون الأرض. صيفية: رياح فيها كدر وغبرة.

(٥) على قراءة التخفيف. وانظر القرطبي ١٣: ١٨٦. والآية في سورة النمل ٢٥.

والفِجاج؛ فهي تُعَفِّي الآثار وتدفنها. غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريًا بالوسطى. ومنها[١]:

صوت

أَمَنزلَتيْ مَيٍّ سَلامٌ عليكما ... هل الأَزْمُنُ اللائي مَضينَ رواجعُ!
وهل يرجعُ التّسليمَ أو يكشف العَمَى ... ثلاثُ الأثافي والدِّيارُ البلاقع![٢]
توهمتُها يوماً فقلتُ لصاحبي ... وليس لها إلاّ الظباءُ الخواضعُ[٣]
ومَوْشِيَّةٌ سُحْمُ[٤] الصَّياصِي كأنها ... مُجَلَّلَةٌ حُوٌّ عليها البراقعُ

[١٨/٥٠] عروضه من الطويل. غنَّاه إبراهيم ماخوريًا بالوسطى. والأزمن والأزمان جمع / زمان. والعمى: الجهالة. والأثافيّ الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القِدْر، واحدتها أُثفيَّة. والخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رؤوسها. والموشيّة: يعني البقر. والصَّياصي: القرون واحدتها صيصية. والمجلَّلَة: التي كأن عليها جِلالاً[٥] سوداً. والحُوَّة: حمرة في سواد. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله[٦]:

صوت

قِفِ العَنْسَ[٧] نَنظرْ نظرةً في ديارها ... وهل ذاك من داء الصبابة نافعُ![٨]
فقال: أمَا تَغْشَى لِمَيَّةَ منزلاً ... من الأرض إلا قُلتَ: هل أنا رابعُ![٩]
وقلّ لأطلالٍ لميٍّ تحيَّةٌ[١٠] ... تُحيَّا بها أو أن تُرِشّ المدامعُ

العَنْس: الناقة. والرابع: المقيم. وقلّ لأطلال، أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله. وتُرِش المدامع، أي تكثر نضحَها الدموعَ. غناه إبراهيم الموصليّ ماخورياً.

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذريّ، عن الحرمازيّ، قال:

مرَّ الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد:

* أمنزلتي ميٍّ سلام عليكما *

فلمَّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال: بكاؤك على الدِّمن، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل.

---

(١) «ديوانه» ٣٣٢.
(٢) «الديوان»: «الرسوم البلاقع».
(٣) جـ: «الخواشع».
(٤) الأسحم: الأسود؛ وجمعه سحم. وأصل الصياصي الحصون والمعاقل؛ ولما كانت البقر تحمي بقرونها سميت قرونها صياصي. يقول: كأن البقر خيل مجللة. حو: دهم، يعني الخيل.
(٥) جـ: «أجلالها».
(٦) «ديوانه» ٣٣٣.
(٧) ب، و«الديوان»: «العيس». والعَنْسُ: الناقة الصلبة القوية.
(٨) أ: «رافع».
(٩) «الديوان»، جـ: «هل أنت رابع».
(١٠) «الديوان»: «وقل إلى أطلال ميّ تحية».

ذو الرمة وعصمة بن مالك يزوران ميّة

حدثني ابنُ عمار والجوهريّ، وحبيب المهلَّبيّ، عن ابن شبّة[١]، عن إسحاق الموصليّ، عن مسعود بن قند، قال:

/ تذاكرنا ذا الرمة يوماً فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه، قال: كان حُلْوَ العينين، حَسَنَ النغمة، إذا [١٨/٥١] حدَّث لم تسأم حديثه، وإذا أنشدك بَرْبَرَ[٢] وجَشَّ صوته، جمعني وإيَّاه مَرْبَع مرَّة، فقال لي: هيا عِصْمة، إن ميّة من مِنْقَر، ومِنْقر أخبث حيّ وأقفاه لأثرٍ، وأثبته في نظر، وأعلمه بشرّ، وقد عرفوا آثار إبلي؛ فهل عندك من ناقة نَزْدَارُ[٣] عليها ميّة؟ قلت: إي والله عندي الجؤذَر بنت يمانية الجدَلِيّ، قال: فعليَّ بها. فأتيتُه بها، فركب وردفتُه فأتينا محلّة ميّة، والقوم خُلوف والنساء في الرحال، فلمَّا رأين ذا الرمة اجتمعن إلى ميّ، وأنخنا قريباً وأتيناهنَّ، فجلسنا إليهنَّ، فقالت ظريفة منهنَّ: أنشِدْنا / يا ذا الرمة. فقال لي: أنشِدْهنَّ يا عصمة. فأنشدتُ قصيدتَه التي يقول [١٣٠/١٦] فيها[٤]:

نظـرتُ إلـى أظعـانِ مَـيٍّ كـأنهـا ... ذُرا النَّخـل أو أثـلٌ تميـل ذوائبُـهْ
فـأسبلـت العينـانِ والقلـبُ كـاتـمٌ ... بمُغْـرَوْرِقٍ نَمَّـت عليـه سـواكبُـهْ
بكـاء فتًـى خـاف الفِـراقَ ولـم تُجِـلْ ... جـوائلَهـا أسـرارُه ومعـاتبُـهْ[٥]

قالت الظريفة: فالآن فلتُجِلْ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[٦]:

وقـد حلفـتْ بـالله ميّـة مـا الـذي ... أحـدّثهـا إلاّ الـذي أنـا كـاذبُـهْ
إذاً فـرمـانـي الله مـن حيـثُ لا أرى ... ولا زال فـي أرضـي عـدوٌّ أحـاربُـهْ

فقالت ميّة: ويحك يا ذا الرُّمة! خَفِ الله وعواقبَه. ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله:

إذا سَـرَحَـتْ مـن حـبّ مـيٍّ سـوارحٌ ... علـى القلـب آبَتْـه جميعـاً عـوازِبُـهْ

/ فقالت الظريفة: قتلته قتلك الله! فقالت ميّة: ما أصحّه وهنيئاً له! فتنفّس ذو الرُّمة تنفيسةً كادَ حرُّها يطير [١٨/٥٢] بلحيتي، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[٧]:

إذا نـازعتْـك القـولَ ميّـةُ أو بَـدا ... لـك الـوجـهُ منهـا أو نضـا الـدِّرعَ سـالبُـهْ
فمـا شئـتَ مـن خـدٍّ أسيـلٍ[٨] ومنطـقٍ ... رخيـمٍ ومـن خَلْـقٍ تَعلّـل جـادبُـهْ[٩]

---

(١) جـ: «حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيب بن نصر المهلبي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة...».

(٢) بربر في كلامه: أكثر منه. والبربرة: الجلبة والصياح.

(٣) ازداره: زاره.

(٤) «ديوانه» ٣٩.

(٥) جـ: «ومغايبه». وفي «الديوان»: «هوى آلف جاء الفراق فلم تجل».

(٦) «ديوانه» ٤٢.

(٧) «ديوانه» ٤٢.

(٨) «الديوان»: «فيا لك من خدّ أسيل».

(٩) جادبه: عائبه.

فقالت الظريفة: فقد بدا لك الوجه وتُنوزع[١] القولُ، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فقالت لها ميّة: قاتلك الله! فماذا تأتين به! فتضاحكت الظريفة وقالت: إن لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما، فقامت وقمن معها[٢]، وقمت فخرجت، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما، فوالله ما رأيتُه تحرك من مكانه الذي خلَّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال، فأتيته فقلت: انهض بنا فقد ثاب القوم فودَّعها فركب وردفته وانصرفنا. ومنها[٣]:

صوت

إذا هَبَّتِ الأرواحُ من أيِّ جانبٍ ... به أهلُ ميٍّ هاج قلبي هُبُوبُها

هوًى تذرِف العينانِ منه وإنما ... هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها

الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهِشاميّ.

[٥٣/١٨] صوت

إني تُذكِّرني الزُّبيرَ حمامةٌ ... تدعُو بمجمعِ نخلتين هَديلا

أفَتى النَّدى وفتَى الطِّعان قتلتُم ... وفتَى الرِّياحِ إذا تَهُبّ بَلِيلا

لو كنتَ حُرًّا يابنَ قينِ مجاشعٍ ... شيَّعتَ ضَيْفَك فرْسَخاً أو مِيلا

وفي أخرى: فرسخين وميلاً:

قالت قريشٌ: ما أذلَّ مُجاشعاً ... جاراً وأكرم ذا القتيلِ قتيلا!

الشعر لجرير، يهجو الفرزدق ويعيّره بقتل عشيرته الزُّبيرَ بن العوَّام يوم الجمل، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

(١) جـ: «من متوزع القلب».
(٢) جـ: «وهن».
(٣) «ديوانه» ٦٦ وفيه: «من نحو جانب».

[١٨/٥٤]
١٣١
١٦

/ ذكر مقتل الزبير وخبره

الزبير وعلي بن أبي طالب

حدّثنا أحمد بن عُبَيْد اللهِ بن عمّار، وأحمدُ بن عبد العزيز، عن ابن شبّة قالا: حدثنا المدائِنيّ، عن أبي بكر الهُذَلِيّ، عن قتادَة قال:

سار أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزّاوية[١] يريد طَلْحةَ والزُّبيرَ وعائشةَ، وصاروا من الفُرْضة[٢] يريدونه، فالتَقَوْا عند قصر عُبَيْد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين، فلما تَراءَى الجَمْعان خرج الزُّبير على فرس وعليه سلاحُه، فقيل لعليٍّ صلوات الله عليه: هذا الزُّبير، فقال: أَمَا والله إنه أحرَى الرجلين إن ذُكِّر بالله أن يَذْكُره، وخرج طلحة، وخرج عليٌّ عليه السلام إليهما، فدَنَا منهما حتى اختلفَت أعناقُ دَوابِّهم، فقال لهما: لعمري لقد أعدَدْتما خَيْلاً ورجالاً[٣]، إن كنتُما أعددتما عند اللهِ عُذراً فاتّقيَا اللهَ ولا تَكُونَا ﴿كالّتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعد قُوَّةٍ أنكاثاً﴾[٤] ألم أكُن أخاكُما في دينِكما تحرِّمانِ دمي وأُحرِّم دماءكما؟ فهلْ من حدَثٍ أَحَلَّ لكما دمي؟ فقال له طلحة[٥]: أَلَّبتَ الناسَ على عثمان، فقال: يا طلحةُ، أتطلبُني بدم عثمان؟ فلَعن الله قَتَلَةَ عثمان، يا زبير، أتذكر يوم مررتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله في بَني غَنْم، فنظر إليَّ وضحك، وضحكتُ إليه، فقلتَ: لا يدعُ ابنُ أبي طالب زَهْوه، فقال: مَهْ ليس بمزهوٍّ، ولتقاتلنّه وأنتَ له ظالم، فقال: اللهمَّ نعم، ولو ذُكِّرتُ ما سِرتُ مسيري هذا، والله لا أُقاتلك أبداً. وانصرف عليٌّ صلواتُ الله عليه إلى أصحابه وقال: أما الزُّبير فقد أعطى الله عهداً ألاّ يُقاتِلَني.

/ قال: ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنتُ في موطن مُذْ عَقَلْتُ إلاّ وأنا أعرِف فيه أمري غيرَ موطني [١٨/٥٥] هذا، قالت: وما تُريد أن تصنع؟ قال: أدعُهم وأذهب، فقال له ابنه عبدُ الله: أجمعْتَ بين هذين الغارَين[٦] حتى إذا حدَّد بعضُهم لبعض أردتَ أن تذهب وتَتْرُكَهم؟ أَخَشِيتَ[٧] رايات ابن أبي طالب وعلمتَ أنّها تحملها فِتيةٌ أنجاد. فأحفظه، فقال: إني حَلَفْتُ ألاّ أُقاتله. قال: كفِّرْ عن يمينِك وقاتلْه، فدعا غلاماً له يُدعَى مَكْحولاً فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ:

لم أرَ كاليوم أخا إخوانِ[٨] أعجَبَ من مُكَفِّر الأيمانِ

---

(١) الزاوية: عدة مواضع، منها موضع قرب البصرة.
(٢) في ب: «الفريضة».
(٣) في «التجريد»: «وسلاحاً».
(٤) النحل ٩٢.
(٥) في «التجريد»: «فقالا: ألبت...».
(٦) الغار: الجيش الكثير. وفي ب: «العارين».
(٧) في بيروت: «أحسست».
(٨) في «التجريد»: «أخا خوان».

* بالعِتقِ في مَعْصِيَةِ الرَّحمنِ *

وقال بعضُ شُعرائِهم:

يُعتِق مَكْحولاً لصَوْنِ دينِهْ كفّارةً لله عن يمينِهْ

* والنَّكثُ قد لاح على جَبينِهْ *

مقتل الزبير

حدثني ابنُ عمّار[١] والجوهريّ قال: حدثنا ابن شَبّة[٢]، عن عليّ بن محمد النوفليّ، عن الهذليّ، عن قَتادة، قال:

وقف الزبير على مسجد بني مُجاشع فسأل عن عِياضِ بن حمّاد، فقال له النعمانُ بن زمام: هو بوادي السِّباع فمضى يريده.

حدثني ابن عمّار والجوهريّ، عن عُمر، قال: حدّثني المدائنيّ، عن أبي مِخْنَف، عمّن حدَّثه عن الشعبيّ، قال:

خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النَّجيب[٣]، ثم رجع.

[٥٦/١٨] / قال: وحدثنا عن مَسْلَمة بن مُحارب، عن عَوف، وعن أبي / اليقظان، قالا:

١٣٢/١٦

مرّ الزُّبير ببني حمّاد فدعَوْه إلى أنفسهم فقال: اكفُوني خيرَكم وشرَّكم، فوالله ما كَفَوْه خيرَهم وشرَّهم. ومضى ابن فَرْتَنَى إلى الأحنف وهو بعِرْق سُوَيقه، فقال: هذا الزُّبير قد مَرّ، فقال الأحنف: ما أصنع به! جمع بين غارَيْن من المسلمين، فقتل بعضهم بعضاً، ثم مرّ يريد أن يلحق بأهله. فقام عَمْرُو بن جُرمُوز وفُضالةُ بن حابس ونُفَيع بن كعب أحدُ بني عوف[٤] ـ ويقال نُفَيع بن عُمَير ـ فلحقوه بالعِرق، فقُتِل قبل أن ينتهي إلى عِياض، قتله عَمرو بن جُرمُوز.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجْليُّ الكوفيّ، وجعفرُ بن محمد بن الحسن العلويّ الحسنيّ[٥]، والعباسُ بن عليّ بن العبّاس وأبو عبيد الصَّيْرفيّ، قالوا: حدثنا محمد بن عليّ بن خلَف العطّار، قال: حدّثنا عمرو بن عبد الغفار، عن سفيان الثوريّ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: حدثني ابنُ عباس قال:

قال لي عليّ صلوات الله عليه: ائتِ الزبير فقل له: يقولُ لك عليُّ بن أبي طالب نشدتُك الله، ألستَ قد بايَعتني طائعاً غيرَ مُكْرَه. فما الذي أحدثتُ فاستحللتَ به قِتالي؟.

وقال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أخاكما يقرأُ عليكما السلام ويقول: هل نَقِمْتُما عليَّ جَوْراً في

(١) ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمار».

(٢) ف: «عمر بن شبة».

(٣) هب: «النحيت».

(٤) في «الطبقات» ٣ ـ ٧٨: «عمير بن جرموز التميمي، وفضالة بن حابس التميمي، ونفيع أو نفيل بن حابس التميمي».

(٥) في ف: «الحيني».

حكم أو استئثاراً بفَيْء؟ فقالا: لا، ولا واحدةً منهما، ولكن الخوْف وشدَّة الطمع.

وقال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير: مع الخوف شدَّة المطامع، فأتيتُ عليًا عليه السلام فأخبرتُه بما قال الزبير، فدعا بالبَغْلة فركِبَها وركِبْتُ معه، فدَنَوا حتى / اختلفت أعناقُ دابَّتَيْهما فسمِعْتُ عليًا صلوات الله عليه [٥٧/١٨] يقول: نشدتُك الله يا زبير، أتعلم أني كنتُ أنا وأنتَ في سَقيفة بني فلان تُعالجني وأُعالجك فمرَّ بي - يعني النبيَّ ﷺ - فقال: كأنَّك تُحِبُّه! فقلت: وما يمنَعُني! قال: أما إنه ليُقاتِلنَّك وهو لك ظالم. فقال الزبير: اللهمَّ نعم، ذكَّرتَني ما نسيت، وولَّى راجعاً. ونادى منادي عليّ: ألا لا تقاتِلوا القومَ حتى يستشهِدوا منكم رجلاً، فما لبث أن أُتِي برجل يتشحَّط[١] في دمه، فقال عليٌّ عليه السلام: اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد، اللهمّ اشهد. وأمر الناسَ فشدُّوا عليهم، وأمر الصُّرَّاخَ فصرخوا: لا تُذَفِّفوا[٢] على جريح ولا تَتْبعوا مُدبِراً، ولا تَقتُلوا أسيراً.

حدثنا إبراهيمُ بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزوميّ، عن سعيد بن محمد الجرميّ، عن أبي الأحوص، عن عاصم بن بهدَلة، عن زِرّ بن حُبيش، ولا أحسبه إلا قال:

كنت قاعداً عند عليٍّ عليه السلام، فأتاه آتٍ فقال: هذا ابن جُرموز قاتلُ الزبير بن العوّام يستأذن على البابِ، قال: ليدخُلَنَّ قاتلُ ابن صفيَّة النَّار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكلّ نبيٍّ حوارِيّ وإنّ حَوارِيّ الزبير».

أخبرني الطُّوسيّ وحَرَمِيّ، عن الزُّبير، عن عليّ بن صالح[٣]، عن سالم بن عبد الله بن عروة، عن أبيه: أن عَمْراً أو عُوَيْمر بنَ جُرْمُوز[٤] قاتل الزبير أتى مُصْعَباً حتى وضع يده في يده، فقذفه في السجن، وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره، فكتب إليه عبدُ الله: بئس ما صنعت، أظننتَ أنّي أقتل أعرابيًا من بني تَمِيم بالزُّبير! خَلِّ سبيلَه، فَخَلاَّه.

عاتكة ترثي الزبير

أخبرني الطوسيّ والحَرَمِيّ، عن الزُّبير، عن عمه قال: قُتِل الزبيرُ وهو ابنُ / سبعٍ وستين سنة أو ستٍّ وستين [٥٨/١٨] سنة، فقالت عاتِكةُ بنت زَيْد بن عمرو بن / نُفَيْل ترثيه: ١٣٣/١٦

غَدرَ ابنُ جُرْموزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يومَ اللقاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ[٥]

يا عمرُو لو نَبَّهْتَه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ اللسان ولا اليَدِ[٦]

شَلَّتْ يمينُك إن قتلتَ لمُسلماً ... حلَّتْ عليك عقوبةُ المتَشْهِدِ[٧]

إنّ الزُّبيرَ لذُو بلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سَجِيَّتُه كريمُ المَشْهَدِ

كم غمرةٍ قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك يابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ[٨]

---

(١) تشحط في الدم: تضرج به.
(٢) دففه وذف عليه: أجهز عليه.
(٣) في ف: «أخبرني الطوسي الحرمي بن أبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير بن بكار».
(٤) ف: «عمرو بن عمير بن جرموز».
(٥) البهمة: الشجاع، ويراد بالهمة هنا الجيش. والمعرد: الهارب المحجم عن قرنه.
(٦) في ف: «السنان». وفي «التجريد»: «البنان». وفي «الطبقات»: ٣ ـ ٧٩: «رعش الجنان».
(٧) هب، «التجريد»، «الطبقات»: «المتعمد».
(٨) الفقع: نوع من الكمأة، والقردد: المستوى، ويقال للذليل: فقع قرقرة، وفقع القردد. وفي ف: «يابن نبع القردد». وفي ب: «يوم نقع».

فاذهب فما ظَفِرت يداك بمثلِه فِيمن مضَى مِمن يَروحُ ويَغْتَدِي[١]

وكانت عاتكةُ قبل الزبير عند عُمرَ، وقبل عُمَر عند عبد الله بن أبي بكر.

عبد الله بن أبي بكر وعاتكة

أخبرني بخبرها محمدُ بن خَلَف وكيع، عن أحمد بن عمرو بن بكر، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الهَيْثَمُ بن عَدِيّ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن، وأخبرنا وَكيع، قال: حدثني إسماعيل بن مجمِّع[٢] عن المدائنيّ.

وأخبرني الطوسيّ والحَرَميّ، قالا: حدثنا الزبير، عن عمّه، عن أبيه، وأخبرني اليَزِيديّ، عن الخليل بن أسَد، عن عمرو بن سعيد، عن الوَليد بن هشام بن يحيى الغَسّانيّ.

وأخبرني الجوهريّ، عن ابن شَبّة، قال: حدثنا محمد بن موسى الهُذَليّ، وكل / واحد منهم يَزيدُ في الرواية [١٨/٥٩] ويَنقُص منها، وقد جَمعت رواياتهم قالوا:

تزوج عبدُ الله بن أبي بكر الصِّدِّيق عاتِكةَ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتَمَامٌ في عقلها ومنظرها وجزالةِ رأيها، وكانت قد غلبته على رأيه فمرّ عليه أبو بكر أبوه وهو في عِلِّيَة[٣] يناغيها[٤] في يوم جمعة، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة، ثم رجع وهو يُناغِيها، فقال: يا عبد الله أجَمَّعْتَ[٥]؟ قال: أوَصلّى الناس؟ قال: نعم ـ قال: وقد كانت شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها ـ فقال له أبو بكر: قد شغلَتك عاتِكةُ عن المعاش والتجارة، وقد ألهتك عن فرائض الصلاة[٦] طلِّقها، فطلّقها تطليقة، وتحولت إلى ناحية[٧]، فبَيْنَا أبو بكر يصلّي على سطح له في الليل إذ سمِعه وهو يقول:

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارِقٌ[٨] وما ناح قُمْرِيُّ الحَمامِ المُطَوَّقُ
أعاتِكُ قلبِي كلَّ يوم وليلة لديكِ بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ ومنطقٌ وخَلْق مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ[٩]
فلم أرَ مثلي طلَّق اليوم مثلَها ولا مثلَها في غير شيء تُطلَّقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقّ له، فقال: يا عبد الله، راجع عاتكة، فقال: أُشهِدك أني قد راجعتُها. وأشرف على غلام له يقال له أيْمَن، فقال له: يا أيمن، أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى، أُشهِدُك أني قد راجعت عاتكَةَ، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخَّر الدار وهو يقول:

---

(١) في هب: «فيما مضى ممن يروح ويغتدي». وفي ف: «فيما مضى فيما تروح وتغتدي».
(٢) ف: «محمد».
(٣) العلية «بالضم والكسر»: بيت منفصل عن الأرض.
(٤) في «المختار»: «يداعبها».
(٥) جمع: شهد الجمعة.
(٦) في «التجريد»، بيروت، «المختار»: «فرائض الله تعالى».
(٧) في ف، هب: «ناحية الدار».
(٨) ما ذر شارق: ما طلعت الشمس حين تشرق.
(٩) في «الخزانة» ٤ ـ ٣٥١: «... ورأي ومنصب... وخلق سوى في الحياة ومصدق».

/ أعاتِكُ قد طُلِّقتِ في غير رِيبَةٍ ورُوجعتِ[1] للأمر الذي هو كائِنُ [٦٠/١٨]

كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحٌ على الناس فيه أُلفةٌ وتبايُنُ

وما زال قلبي للتَّفرُّق طائراً وقلبي لما قد قرَّب اللهُ ساكِنُ[2]

/ لِيهْنِكِ أني لا أرى فيكِ سَخْطةً وأنك قد تَمَّتْ عليك المحاسنُ ١٣٤/١٦

فإنكِ مِمَّنْ زيَّن اللهُ وجهَهُ وليس لِوَجْهٍ زانَه اللهُ شائِنُ

قال: وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألَّا تَتزوَّج بعده، فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف، أنشأت تقول:

فلِلَّه عيناً مَنْ رأى مثلَه فتًى[3] أكرَّ وأحمَى في الهياجِ وأصْبَرا

إذا شُرِعت فيه الأسِنَّةُ خاضَها إلى الموت حتى يترُك الرُّمحَ أحمرَا

فأقسمتُ لا تنفكُّ عيني سَخينَةً عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِي أغبَرا[4]

مَدَى الدّهرِ ما غنَّت حمامةُ أيكةٍ وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرَا

عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب، فقالت: قد كان أعطاني حديقةً على ألا أتزوجَ بعده، قال: فاستفتي، فاستفتَت عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: رُدِّي الحديقةَ على أهله وتزوَّجي. فتزوجت عمر فسَرَّحَ[5] عمر إلى عِدّة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ـ يعني دعاهم ـ لما بَنَى بها، فقال له علي: إنَّ لي إلى عاتِكَةَ حاجةً أريد أن أذكُرَها إياها، فقل لها تَسْتَتِر حتى أكلّمها، فقال لها عمر: استَتِري يا عاتكة فإنَّ ابن أبي طالب يريد أن يكلمك، / فأخذت عليها مِرْطَها[6] فلم يظهر منها إلا ما بدا من بَرَاجِمِها[7]، فقال: يا عاتِكَةُ: [٦١/١٨]

فأقسمتُ لا تنفكُّ عيني سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جِلْديَ أغبَرَا[8]

فقال له عمرُ: ما أردتَ إلى هذا؟ فقال: وما أرادتْ إلى أن تقول ما لا تفعل؛ وقد قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[9] وهذا شيء كان في نفسي أحببتُ والله أن يَخرُج. فقال عمر: ما حَسَّنَ[10] الله فهو حَسَنٌ، فلما قُتِل عمر، قالت ترثيه:

(١) في ف: «زوجت».

(٢) في ف، و«المختار»، و«التجريد»: «فقلبي لما قرت به العين ساكن».

(٣) في «التجريد»: «مثل هالك».

(٤) في ف: «أصفرا».

(٥) في «المختار»: «فسير».

(٦) المرط: كساء من صوف أو خزّ.

(٧) البراجم: مفاصل الأصابع إذا قبض الشخص كفه نشزت.

(٨) في ف: «أصفرا».

(٩) الصف ٣.

(١٠) في ب: ما أحسن.

عيـنُ جُـودِي بعَبْـرةٍ ونَحِيـبِ لا تمَلِّـي علـى الإمـامِ النَّجيـبِ
فَجَعَتنـا المَنُـون بـالفـارِس المُعْـ ـلَـم يـوم الهِيـاجِ والتَّلْبيـبِ
عِصْمَـةِ اللهِ والمُعِيـنِ علـى الـدَّهْـ ـر غِيـاثِ المُنْتـابِ والمَحْـرُوبِ
قـل لأهْـلِ الضَّـرّاءِ والبُـؤْسِ مُـوتُـوا قـد سَقتْـه المَنُـونُ كـأسَ شَعُـوبِ

وقالت ترثيه أيضاً:

صوت

مُنِـع الـرُّقـادُ فعـادَ، عَيْنَـي عِيـدُ[1] مِمّـا تَضمَّـن قَلبِـيَ المَعْمُـودُ
يـا ليلـةً حُبِسـت علـيَّ نُجـومُهـا فسَهِـرتُهـا والشـامِتُـون هُجُـودُ[2]
قـد كـان يُسهِـرُنـي حِـذارُك مَـرَّةً فـاليـوم حـقٌّ لِعَيْنِـيَ التَّسْهِيـدُ
أبكـي أميـرَ المُـؤْمنيـن ودُونَـه لِلـزّائـريـن صَفـائـحٌ وصَعِيـدُ

غنى فيه طُوَيس خَفيف رمل عن حمّاد والهشاميّ.

[١٨/٦٢] / الزبير بن العوام وعاتكة

فلما انقضت عِدَّتُها خطبها الزُّبَيْر بن العَوّام فتزوَّجها، فلما مَلَكها قال: يا عاتِكَة، لا تَخرُجي إلى المسجد، وكانت امرأة عَجْزاء بادِنة. فقالت: يابن العَوّام، أتريد أن أدع لغَيْرتك مُصَلًّى صَلَّيتُ مع رسول الله ﷺ / [١٣٥/١٦] وأبي بكر وعمر فيه؟ قال: فإني لا أمنعك، فلما سَمع النداءَ لصلاة الصبح توضَّأ وخرج، فقام لها في سَقِيفَة بني ساعِدَة، فلما مَرَّت به ضَرَب بيده على عجيزتها، فقالت: مالك قطع اللهُ يدك! ورجعتْ، فلما رَجع من المسجد قال: يا عاتِكَة، ما لِي لم أرَك في مُصلاّك؟ قالت: يرحمُك الله أبا عبد الله، فَسَد الناسُ بعدَكَ، الصلاة اليوم في القَيْطُون[3] أفضلُ منها في البَيْت، وفي البيت أفضل منها في الحُجْرة. فلما قُتِلَ عنها الزُّبير بوادي السّباع رثَتْه فقالت:

غَـدَرَ ابـنُ جُـرمـوزٍ بفـارس بُهْمـةٍ يـوم اللقـاء وكـان غيـرَ مُعَـرِّدِ
يـا عَمـرُو لـو نَبَّهْتَـه لـوجـدْتَـه لا طـائِشـاً رعِـشَ اللِّسـان ولا اليَـدِ
هبِلَتْـك أمُّـك إن قَتلْـت لَمُسْلِمـاً حَلَّـت عليـك عقُـوبـةُ المُتَعَمِّـدِ

الحسين بن علي وعاتكة

فلما انقضت عِدَّتُها تزوَّجها الحُسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فكانت أوّل مَن رفع خدَّه من التراب ـ صلّى الله عليه وآله ولَعَن قاتِلَه والرّاضي به يوم قُتِل ـ وقالت ترثيه:

وحُسَيْنـاً فـلا نَسِيـتُ حُسَيْنـاً أقصـدَتْـه أسِنَّـةُ الأعـداء[4]
غـادَروه بكَـرْبَـلاءَ صَـرِيعـاً جـادَتِ المُـزنُ فـي ذَرَى كَـرْبَـلاء

---

(١) عيد: ما اعتاد من مرض أو حزن ونحوه. وفي ب: عود.

(٢) في ف، و«المختار»: «نحست» بدل: «حبست». و «الساهرون رقود» بدل: «والشامتون هجود».

(٣) القيطون: المخدع.

(٤) أقصدته أسنّة الأعداء: أصابته فلم تخطئه.

ثم تأيّمت[١] بعده، فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشّهادة فليتزوّج بعاتكة. ويقال: إن مروان خَطَبها بعد الحُسَين عليه السلام فامتنعت عليه، وقالت: ما كنت لأتّخذ حَماً[٢] بعد رسول الله ﷺ.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثني العمريّ قال: حدثنا أُسامة بن زيد، عن القاسم بن محمد قال:

[١٨/٦٣] / لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم، فقال: من يعرف هذا منكم؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج: هذا سهمي وأنا بريتُه، وأنا رشتُه، وأنا عقبته، وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر: فهذا السهم الذي قتل عبد الله، والحمد لله الذي أكرمه بيدك، ولم يهنك بيده.

طويس يغني شعراً لعاتكة

أخبرني اليزيديّ، عن الزُّبير، عن أحمد بن عُبَيْد الله بن عاصم بن المُنْذِر بن الزبير، قال:

لما قُتِل الزبير وخلتْ عاتكة بنتُ زَيْد، خطَبها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت له: إني لأضَنّ بك على القتل يا بنَ عمِّ رسول الله.

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيَى، عن حمّاد، عن أبيه، عن محمد بن سَلّام قال: حدثني أبي قال:

بينا فِتية من قريش ببطن مُحَسِّر يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعارَ إذ أقبل طُوَيس وعليه قميص قُوهِيّ[٣] وحَبَرة قد ارتدَى بها، وهو يَخطُر في مِشيته، فسلّم ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد الله غَنِّنا شِعْراً مليحاً له حديث ظريف، فغنّاهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب:

مُنِـعَ الـرُّقـادُ فعـادَ عَيْنِـيَ عِيـدُ ... مِمَّـا تضمَّـنَ قَلْبِـيَ المَعمـودُ

الأبيات. فقال القوم: لِمَنْ هذه الأبيات يا طُوَيْس؟ قال لأَجْمَل خلق الله وأشأمهم، فقالوا: بأنفسُنا أنت، من هذه؟ قال: هي والله من لا يُجهَل نَسَبها ولا يُدفَع شرفُها، تزوّجت بابن خليفة نبي الله، وثنّت بخليفة خليفة نبيّ الله، وثَلّثت بحَوارِيّ نبيّ الله، وربّعت بابن نبي الله[٤] وكُلاًّ قَتلتْ. قالوا جميعاً: جُعِلْنا فداك، إنّ أمر هذه لعجيب، بآبائنا أنت من هذه؟ قال: عاتكةُ بنتُ زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل. فقالوا: نعم، هي على ما وصَفْتَ، قوموا بنا لا يُدرِك مجلسَنا شؤمُها. قال طُوَيس: إن شُؤمَها قد مات معها، قالوا: أنت والله أعلم مِنّا.

/ صوت

[١٨/٦٤]

يـا دَنـانِيـرُ قـد تنكّـر عَقْلـي ... وتَحيَّـرتُ بيـن وَعْـدٍ ومَطْـلِ

شَغَفِـي شـافِعِـي إليـكِ وإلاّ ... فـاقْتُلِيني إن كنـتِ تَهْـوَيـن قَتْلـي

[١١/١] / الشعرُ والغِناء لعَقِيد مولى صالح بن الرشيد، خفيف ثقيل، وفيه لعريب رمل بالوسطى، وهذا الشعر يقوله في دنانيرَ مَوْلاة البرامكة، وكان خَطَبها فلم تُجبه، وقيل: بل قاله أحدُ اليزيديّين، ونَحَلَه إيّاه.

---

(١) تأيمت: مكثت ولم تتزوج.
(٢) في ف، «المختار»: «حموا».
(٣) قيمص قوهي: أبيض.
(٤) في ف: «وربعت بابن بنت رسول الله». وفي «المختار»: «وربعت بابن رسول الله».

[٦٥/١٨]

/ ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد[١]

كانت مولاة ليحيى بن خالد البرمكي

كانت دنانيرُ مولاة يحيى بن خالد البرمكيِّ وكانت صفراءَ مولَّدة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهنّ وأكملهنّ أدباً وأكثرهنّ رِواية للغناء والشعر، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثِر مصيرَه[٢] إلى مولاها ويقيم عندها ويَبرّها[٣] ويفرِط، حتى شكته زبيدةُ إلى أهله وعُمومته، فعاتبوه على ذلك.

لها كتاب في الأغاني

ولها كتابٌ مجرَّد في الأغاني مشهور، وكان اعتمادُها في غنائها على ما أخذته من بذْل وهي خَرِّجَتُها، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَذْل عنهم مثل: فُلَيح، وإبراهيم، وابن جامع، وإسحاق، ونُظرائهم.

أخبرني جحظة، قال: حدَّثني المكّيُّ عن أبيه قال:

كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايِي[٤] دنانير جارية البرامكة، فكثيراً ما كانت تَغلِبنا.

عرضت على إبراهيم الموصلي صوتاً من صنعتهما فأعجبه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، عن ابن شبّة، قال: حدثني إسحاق الموصليّ، قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عمِلت صوتاً اختارتْه وأُعجِبت به، فقلت لها: لا يشتدُّ إعجابُك حتى تعرِضيه على شَيخك، فإن رضِيَه فارضَيه لنفسك، وإن كرهه فاكرهيه، فامضِ حتى تعرضَه عليك. قال: فقال لي أبي: فقلت له: أيها الوزير فكيف إعجابُك أنت به؟ فإنك والله ثاقب الفِطنة صحيحُ التَّمييز[٥]، قال: أكرهُ أن أقولَ لك: أعجبني فيكون عندك غَيرَ مُعجِب؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك، تَعرِف منها ما لا أعرف، وتقف من لطائفها على ما لا أَقِف، وأكرهُ / أن أقول لك: لا يُعجِبُني، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً، وإنما يتمُّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادَةً وتصويباً. قال: فمضَيْت إليها، وقد تقدم إلى خَدَمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره، وقال لدنانير: إذا جاءكِ إبراهيمُ فاعْرِضي عليه الصوتَ الذي صنعتِه واستحسنْتِه، فإن قال لك: أصبتِ سَررتِني بذلك، وإن كَرِه فلا تُعلميني. لئلا يزول سُروري بما صنعتِ. قال إسحاق: قال أبي: فحضَرْتُ الباب فأُدخِلتُ، وإذا الستارة قد نُصِبت، فسلّمت على الجارية من وراء الستارة، فردَّت السلام، وقالت: يا أبتِ أعرِضُ عليك صوتاً قد تقدّم لا شكّ

[٦٦/١٨]

(١) ب، «الدر المنثور»: عقيل.

(٢) هب، «المختار»: «مسيره».

(٣) هب، «المختار»: «ويقيم عنده ويبره».

(٤) عايا فلاناً: ألقى عليه كلاماً لا يهتدي لوجهه. وفي هب، ب، بيروت: «نعاني».

(٥) هب، ف: «ثاقب الرأي عالي الفطنة».

إليك خبرُه، وقد سمعتُ الوزيرَ يقول: إن الناس يُفتنون بغنائهم، فيُعجبهم منه ما لا يُعْجِب غيرهم، وكذلك يُفتنون بأولادهم، فيحْسُنُ في أعينهم منهم ما ليس يحسن، وقد خشِيت على الصوت أن يكون كذلك، فقُلت: هاتِ، فأخذت عودَها وتغَنَّت تقول.

صوت

نَفسِي أكنتُ عليك مُدّعِياً	أم حين أزمع بَيْنَهم خُنتِ!
إن كنتِ مولعةً بذكرهُم	فعلى فراقِهمُ ألا مُتِّ!

/ قال: فأعجبني والله غاية العجب واستخفَّني الطرب، حتى قلت لها: أعيديه، فأعادته وأنا أطلب لها فيه [١٣٧/١٦] موضعاً أُصلحه وأغيّره عليها لتأخذَه عنّي، فلا والله ما قَدرتُ على ذلك، ثم قلتُ لها: أعيديه الثالثة فأعادته، فإذا هو كالذهب المصفّى، فقلت: أحسنتِ يا بنيّة وأصبت، وقد قطعت عليك بحُسن إحسانك وجودة إصابتك أنك فائدةٌ للمعلمين[١]؛ إذ قد صرت تُحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة، قال: ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد، فقال: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟ قال: أعزَّ الله الوزير، / والله ما يُحْسِن كثيرٌ من حُذَّاق المغنِّين مثلَ هذه الصنعة، ولقد قلتُ [٦٧/١٨] لها: أعيديه وأعادته عليَّ مرات، كلُّ ذلك أُريد إعناتها، لأجتلِبَ[٢] لنفسي مدخلاً يؤخذ عنّي ويُنسب إليّ، فلا والله ما وجدته، فقال لي يحيى: وصفُك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها، وقد ـ والله ـ سررتني وسأسرُّك، فوجّه إليّ بمال عظيم.

اشتراها يحيى بن خالد من رجل من أهل المدينة

وذكر محمدُ بنُ الحَسَن الكاتب، قال: حدَّثني ابن المكّي، قال:

كانت دنانير لرجل من أهل المدينة، وكان خرّجها وأدّبها، وكانت أروى الناس للغِناء القديم، وكانت صفراءَ صادقةَ الملاحة، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها.

الرشيد يعجب بها فتتعلم أم جعفر وتشكوه إلى عمومته

وكان الرشيد يسير[٣] إلى منزلة فيسمعُها، حتى ألفها واشتد عَجَبُه[٤] بها فوهب لها هِبات سنيةً، منها أنه وهب لها في ليلةِ عيد عِقداً، قيمته ثلاثون ألف دينار، فَرُدَّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. وعلمت أمّ جعفر خبرَه فشكته إلى عُمُومته، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه، فقال: ما لِي في هذه الجارية من أرَبٍ في نفسها، وإنما أربَى في غنائها، فاسمعوها، فإن استحقت أن يُؤلَف غناؤُها وإلا فقولوا ما شئتم، فأقاموا عنده، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه، وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تُلحّ في أمرها فقَبِلت ذلك، وأهدت إلى الرّشيد عَشْرَ جوارٍ، منهن: ماردة أم المعتصم، ومراجل أم المأمون، وفارِدَة[٥] أم صالح.

وقال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات: أخبرني محمد بن عبد الله الخُزاعِيّ قال:

---

(١) ب، بيروت: «وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك فائدة المعلمين». وفي ف: «وقد قطعت عنك بحسن اختيارك وجودة إصابتك فائدة المعلمين».

(٢) ف: «لأحتال».

(٣) ف: «يصير».

(٤) ف: «إعجابه».

(٥) في ب: مارية «أم المعتصم». وفي ف: فارد «أم صالح».

[١٨/٦٨] حدثني عَبّاد البشريّ[١] قال: مررتُ بمنزِل من منازل طريق مَكّة يقال له / النَّبّاج، فإذا كِتابٌ[٢] على حائط في المنزل، فقرأتُه فإذا هو: النَّيْكُ أربعة؛ فالأول شَهْوة، والثاني لَذّة، والثالث شِفاء، والرابع دَاء[٣]، وحِرٌ إلى أَيْرَيْن أحوجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْن، وكتبَتْ دَنانيرُ مولاة البرامكة بخَطّها.

أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شَبَّة: أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصليّ حتى كانت تُغنّي غِناءَه، فتَحْكِيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتَني ودنانيرُ باقية فما فقدتني.

دنانير تصاب بالعلة الكلبية

قال: وأصابتها العِلّةُ الكَلْبِيّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة[٤]، فكان يحيى يتصدَّق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار، لأنها كانت لا تصومه، وبقيت عند البرامكة مدة طويلة.

الرشيد يأمر بصفع دنانير حتى تغني

أخبرني ابنُ عَمّار، وابن عبد العزيز، وابن يونس، عن ابن شبّه، عن إسحاق:

وأخبرني جَحْظةُ، عن أحمد بن الطَّيِّب: أنّ الرشيد دعا بدنانيرَ البرمكيّة بعد قتلِه إيّاهم، فأمرها أن تُغَنّي، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني آليتُ ألاّ أُغَنّي بعد سَيِّدي أبداً، فغضب، وأمر بصَفْعِها، فصُفِعت، وأقيمت على رجليها، وأعطيت العُود، وأخذته وهي تبكي أحرَّ بكاء، واندفعت / فغنّت: ١٣٨/١٦

صوت

يـــا دارَ سَلْمَــى بنــازِحِ السَّنَــدِ ... بيــنَ الثّنــايــا ومَسْقَــطِ اللَّبَــدِ

لَمَّــا رأيــتُ الــدِّيــارَ قــد دَرَسَــتْ ... أيقنــتُ أنّ النّعيــم لــم يَعُــدِ

[١٨/٦٩] / الغناء للهُذَليّ خَفِيف ثقيل أول مطلق في مَجْرى الوُسْطى، وذكر عليّ بن يحيى المُنَجِّم وعمرو أنه لسِياط في هذه الطريقة.

قال: فَرَقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت، ثم التفتَ إلى إبراهيم بن المَهْديّ فقال له: كيف رأيتَها؟ قال: رأيتها تَخْتِله برفق، وتَقْهَرُه بحِذْق.

خطبها عقيد فردته وبقيت على حالها إلى أن ماتت

قال عليّ بن محمد الهِشاميّ[٥]: حدثني أبو عبد الله بن حَمْدون أن عَقِيداً[٦] مولى صالح بن الرشيد خَطَب دَنانير البرمكيّة، وكان هَوِيَها وشُغِف بذكرها، فردّته، واستَشْفَع عليها مولاه صالح بن الرشيد، وبَذْل، والحُسَين بن محرز، فلم تُجِبه وأقامت على الوفاء لمولاها، فكتب إليها عَقِيد قوله:

(١) ف: «النشوي»، وفي «المختار»: «النسوي».

(٢) الكتاب هنا الكتابة. وفي «المختار»: «وإذا على الحائط مكتوب ما صورته...».

(٣) ف: «دواء».

(٤) ف: «مرة واحدة».

(٥) في ف، بيروت: «البسامي».

(٦) في ب، «الدر المنثور»: «عقيلاً».

يـا دنـانيـرُ قـد تنكَّـر عقلـي ... وتحيّـرتُ بيـن وَعْـدٍ ومَطْـلِ
شَفِّعِـي[١] شـافِعـي إليـك وإلاّ ... فـاقتُليني إن كنت تَهْـوَيْـن قَتْلـي
أنـا بـالله والأميـر ومـا آ ... مـلُ مـن مـوعـد الحُسَيـن وبَـذْل
مـا أُحِبُّ الحَياةَ يـا حِبُّ[٢] إن لـم ... يجمـع الله عـاجـلاً بـكِ شَمْلِـي

فلم يعطِفْها ذلك على ما يُحِبّ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت.

وكان عَقِيدٌ حَسَنَ الغِناءِ والضرب قليلَ الصَّنْعة، ماسَمِعنا منه بكبير[٣] صنعة، ولكنه كان بمَوْضِع من الحِذْق والتقدُّم.

/ قال محمد بن الحَسَن: حدثني أبو حارثة[٤] عن أخيه أبي معاوية قال: [١٨/ ٧٠]

شهدتُ إسحاق يوماً وعَقِيدٌ يُغنّيه:

صوت

هـلاّ سـألـتِ ابنـةَ العَبْسِـيّ مـا حسَبـي ... عنـد الطِّعـان إذا مـا احمـرَّت الحَـدَقُ
وجـالـت الخَيـلُ بـالأبطـال عـابِسـةً ... شُعْـثَ النّـواصـي عليهـا البِيـضُ تـأتَلِـقُ

الشعر يقال: إنه لعَنْترة ولم يصحّ له، والغِناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى. قال: فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويُصفّق حتى والَى بين أربعة أرطال، وسأله بعضُ مَنْ حضر: مَنْ أحسَنُ الناسِ غناءً؟ قال: مَنْ سقاني أربعةَ أرطال.

أبو حفص الشطرنجي يقول فيها شعراً يغنيه ابن جامع

وفي دنانير يقول أبو حَفْص الشُّطْرنْجيّ.

صوت

أشبهَـكِ المسـكُ وأشبهتِـه ... قـائمـةً فـي لـونـه قـاعـدهْ
لا شـك إذ لـونُكمـا واحـدٌ ... أنّكمـا مـن طينـةٍ واحـدهْ

غنّاه ابن جامع هزَجاً بالبِنصر وقيل: إنه لأبي فارة.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن عليّ بن محمد النوفليّ، عن مَوْلاة بن جامع أنّ مولاها كان يهويَ جارية صفراء. فقال فيها هذا الشعر وغنّى فيه، وأظن هذا وهماً؛ لأنّا لم نسمع لابن جامع بشعر قط، ولعله غنّاه في شعر أبي حَفْص الشُّطْرنجيّ. فظننته له.

ومما غنّاه عَقِيد في دنانير والشعر للموصليّ إلا البيت الأول فليس[٥] له).

---

(١) في ب، «الدر المنثور: «شفعي».
(٢) في هب، «الدر المنثور»، ب: «يا أخت». والحب: الحبيب.
(٣) في ف، هب، بيروت: «بكثير».
(٤) في ب: «أبو جارية».
(٥ ـ ٥) كذا في في ف، هب وهذا الصوت وما يليه من خبر خلت منه نسخة بولاق.

[٧١/١٨]

/ صوت

عقيد يقول فيها شعراً ويغنيه

هَـٰذِي دَنـانيـرُ تَنْسـانِـي فـأَذْكـرُهـا ... وكيـف تنسى مُحِبًّا ليس يَنْساهـا!
واللهِ واللهِ لـو كـانـت إذا بَـرزَت ... نَفْسُ المُتَيَّمِ فـي كَفَّيْـه أَلْقـاهـا

والشعر والغناء لعقيد، ولحنه من الرَّمل المطلق في مجرى الوسطى، وفيه هزج خفيف مُحدَث.

المغنون والجواري يغنون عند الأمين بشعر عقيد فيها

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني عليُّ بن محمد قال: حدثني جابر بن مُصْعَب، عن مُخارِق، قال:

مرّت بي ليلةٌ ما مَرَّ بي قطّ مثلُها. جاءني رسولُ محمد الأمين وهو خليفة، فأخذني وركضَ بي إليه ركْضاً، فحين وافَيْتُ أُتِيَ بإبراهيم بن المهدي[١] على مثل حالي، فنزلنا، وإذا هو في صحن لم أرَ مثله قد مُلِئَ شمعاً من شمع محمد الأمين الكِبار، وإذا به واقف ثم دخل / في الكِرْح[٢]، والدار مملوءة بالوصائف يُغنِّين على الطبول والسّرنايات[٣] ومحمد في وسطهنّ يرتكِض في الكِرْح، فجاءنا رسولُه، فقال: قُوما في هذا الباب مما يَلِي الصَّحْن، فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بَلَغ، وإيّا كما أن أسمعَ في أصواتكما تقصيراً عنه، قال: فأصغَيْنا فإذا الجَوارِي والمُخَنَّثُون يزمُرون ويضربون:

$\frac{١٣٩}{١٦}$

هَـٰذِي دنانيـرُ تَنْسـانـي وأذكـرهـا ... وكيـف تنسى مُحِبًّا ليس ينساهـا!
أعـوذُ بـالله مـن هِجـران جـاريـةٍ ... أصبحتُ من حبِّها أهـذِي بـذكراها
قد أُكمِلَ الحسنُ في تركيب صورتها ... فـارتـجَّ أسفلُهـا واهتـزَّ أعـلاهـا
/ قـامـت تَمشَّـى فليت الله صَيَّرنـي ... ذاك التـرابَ الـذي مَسَّتْـه رِجـلاهـا
واللهِ واللهِ لـو كـانـت إذا بـرزت ... نفـسُ المُتَيَّم فـي كفَّيـه ألقـاهـا

[٧٢/١٨]

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناي ونَتْبَعه حذراً من أن نخرج عن طبقته، أو نقتصر عنه إلى الغداة، ومحمد يجولُ في الكِرْح ما يسأمه، يدنو إلينا مرة في جولانه ويتباعد مرّة، وتحولُ الجوارِي بيننا وبينه حتى أصبحنا.

[٧٣/١٨]

/ صوت

ألا طَـرَقـتْ أسمـاءُ لا حيـن مُطْـرَقِ ... وأنّـى إذا حَلَّـتْ بنَجْـرانَ نلتقِـي

(١) في ف، «المختار»، بيروت: «إبراهيم الموصلي».
(٢) أصل معنى الكرح بيت الراهب. وفي ف، بيروت، «المختار»: «وإذا محمد قد دخل في الخدم».
(٣) السرنايات: من الآت الصفير. وفي ب: «السرنابات والسرنابي».

بِـوَجٌ ومـا بـالـي بِـوَجٌ وبـالُهـا[١] ومَـنْ يلـقَ يـومـاً جِـدَّة الحـبّ يُخْلَـقِ

عَرُوضه من الطويل، الشعر لخُفاف بن نُدْبة، والغناء لابن مِحْرز خفيف ثقيل أول بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسباب في مَجرى البِنصرِ عن إسحاق أيضاً، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لِمَعْبَد ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه لعلُّويه خفيف رمل بالوسطى، وفيه للقاسم بن زُرزُور[٢] خفيف رمل آخر صحيح في غنائه، وفيه لابن مِسْجَح ثقيل أول، عن إبراهيم، ويحيى المكيّ، والهِشاميّ، وفيه لمخارق رمل بالبِنصر.



(١) ف، بيروت: «ألحت بنوح ما لنوح وما لها».
(٢) في هب: «زرور». وفي ف: «زرزر».

[٧٤/١٨]

/ أخبار خفاف ونسبه

هو خُفاف بن عُمَيْر[١] بن الحارث بن الشَّرِيد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيلان بن مضر بن نِزار، ونُدْبَة أُمه وهي أمةٌ سوداء، وكان خفاف أسودَ أيضاً، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم، وجعله ابنُ سَلّام في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُوَيْرة، ومع ابني عَمّه صَخْر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد، ومالك بن حِمار الشَّمْخي[٢] .

أحد فرسان العرب وأغربتهم

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال:

كان خُفاف بن نُدْبة ـ وهي أمه ـ فارساً شجاعاً شاعراً، وهو أحدُ أغْربة العرب[٣] ، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشَّريد أغار على بَني ذُبيان يوم حَوْزة[٤] ، فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف: والله لا أَرِيم اليوم أو أُقِيدُ به سيِّدَهم، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارسُ بني فَزارة وسيِّدهم فطعنه فقتله، وقال:

فـإن تـكُ خَيلـي قـد أصيب صَمِيمُهـا ... فعمْـداً علـى عينـي تَيَمَّمْـتُ مـالِكـا

رفعـتُ لـه مـا جـرَّ إذ جَـرَّ مـوتـه[٥] ... لأَبنِـيَ مَجْـداً أو لأثـأر هـالِكـا

أقـول لـه والـرُّمـح يـأْطِـر مَتْنَـه: ... تـأَمَّـلْ خُفـافـاً إنّنـي أنـا ذَلكـا[٦]

[٧٥/١] / قال ابن سلّام: وهو الذي يقول:

[١٤٠/١٦] / يـا هِنـدُ يـا أُخـتَ بنـي الصّـارِدِ ... مـا أنـا بـالبـاقـي ولا الخـالـدِ

إن أُمْـسِ لا أمِلـكُ شيئـاً فقـد ... أملـكُ أمْـرَ المَنسِـرِ الحـارد[٧]

في هذين البيتين لعُبَيْد الله بن أبي غَسَّان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشاميّ.

ينال من العباس بن مرداس، والعباس يرد عليه

أخبرني عَمّي، عن عبد الله بن سعد، عن أحمد بن عمَر، عن عُمَر[٨] بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن الحجاج السُّلَميّ قال:

---

(١) في هب، ب: «عمرو».
(٢) في «المختار»: «مالك بن حماد الجشمي». وفي ب: «مالك بن حماد الشحمي».
(٣) أغربة العرب: سودانهم، منهم جاهليون وإسلاميون. انظر «المحيط» (غرب).
(٤) في ف: «يوم الحريرة»، وفي ف: «يوم الجزيرة».
(٥) في «الخزانة» ٢ ـ ٤٧٠: «نصبت له علوي وقد خام صحبتي». وفي ف: «دلفت له يا حز إذ حرّ ثوبه».
(٦) يأطر: يثني. والمتن: الظهر، يريد ظهر مالك.
(٧) ب: «المنسر الجارد»، وفي هب: «رأي اليسر الجارد». والمنسر: الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو من الأربعين إلى الخمسين أو إلى الستين أو من المائة إلى المائتين. والحارد: المجتمع الخلق الشديد.
(٨) في ب: «عمرو بن خالد».

كان بَدءُ ما كان بين خُفاف بن نُدْبة والعباس بن مرداس أنَّ خُفافاً كان في مَلإٍ من بني سُلَيم فقال لهم: إن عباس بن مِرْداس يريد أن يبلُغ فينا ما بلغَ عباس بن أنَس، ويأبَى ذلك عليه خصالٌ قَعَدْن به، فقال له فتى من رهط العبّاس: وما تلك الخصالُ يا خُفاف؟ قال: اتّقاؤه بخَيْله عند الموت، واستهانتُه بسبَايا العَرب، وقتلُه الأسرى، ومُكالبَتُه للصعاليك على الأسلاب، ولقد طالت حياته حتى تَمَنَّيْنا موتَه، فانطلق الفتى إلى العبَّاس فأخبره الخبر، فقال العبَّاس: يابن أخي، إن لم يكن كالأصمّ في فضله فلستُ كخُفافٍ في جهْله، وقد مضى الأصمُّ بما في أمس وخَلَّفَنِي بما في غَدٍ، فلما أمسى تَغَنَّى، وقال:

خُفَافٌ ما تزال تجرُّ ذيلاً ... إلى الأمرِ المُفارق للرَّشادِ
إذا ما عايَنَتْكَ بنو سُلَيم ... ثَنَيْت لهم بِداهيةٍ نآدِ[1]
/ وقد علِم المَعاشِرُ من سُلَيْم ... بأنّي فيهمُ حَسَنُ الأيادِي [١٨/٧٦]
فأوردْ يا خُفافُ فقد بُليتم ... بَني عوف بحَيَّةِ بَطْنِ وادي

قال: ثم أصبح فأتى خُفافاً. وهو في مَلإٍ من بني سُلَيْم، فقال: قد بلغني مقالتُك يا خُفاف، والله لا أشتُم عِرضَك ولا أسُبُّ أباكَ وأمَّك، ولكنّي رامٍ سوادك بما فِيك[2] وإنك لتعلم أنّي أحمِي المصافّ[3] وأتكرَّمُ على السَّلَب[4] وأطلق الأسيرَ وأصونُ السبِيَّةَ. وأما زعمُك أني أتّقي بخَيْلي الموتَ فهاتِ من قومِك رجلاً اتّقيتُ به. وأما استهانتي بسَبايا العرب فإني أحذُو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائِنا، وأما قتلي الأسرى فإني قتلتُ الزُّبيديّ بخالك؛ إذ عجزتَ عن ثأرك. وأما مُكالبتي الصعاليكَ على الأسلاب، فوالله ما أتيتُ على مسلُوب قطّ إلا لُمتُ سالبه. وأما تَمَنّيك موتي. فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي، وإن سُلَيماً لتعلم أني أخفُّ عليهم مؤُونة، وأثقلُ على عدوِّهم وطأةً منك، وإنّك لتعلم أنّي أبحْتُ حِمَى بني زُبيد، وكسرتُ قَرْنَي الحارث[5] وأطفأتُ جَمْرةَ خَثعم، وقلّدت بني كِنانة قلائدَ العار، ثم انصرف. فقال خُفافٌ أبياتاً لم يحفظ الشيخُ منها إلا قوله:

ولم تقتُل أسيرَكَ من زُبيدٍ ... بخالي بل غَدَرْتَ بمُسْتفادِ
فَزندُك في سُلَيْم شَرُّ زَنْدٍ ... وزادُك في سُلَيْم شَرُّ زادِ

فأجابه العباس بقوله:

ألا مَنْ مُبلغٌ عنّي خُفافاً ... فإنّي لا أحاشِي من خُفافِ
نكحتَ وليدةً ورضعتَ أخرَى ... وكان أبوكَ تحمِلُه قَطافِ
/ فلستُ لحاصِنٍ إن لم تَزُرْها ... تُثيرُ النَّقعَ من ظَهْر النّعافِ[6] [١٨/٧٧]
سِراعاً قد طواها الأينُ دُهْماً ... وكُمتاً لونُها كالوَرْس صافِ[7]

(١) نآد: شديدة.
(٢) السواد: الشخص. وفي ب: «ولكن رمى سوادك بما فيك».
(٣) المصافّ: مواقف القتال.
(٤) في ب، بيروت: «وأتكلم على السبي».
(٥) في ب، هب: «وكسرت قوى بني الحارث».
(٦) في ف: «فلست بحاضن إن لم تروها». والحاصن: العفيفة. والنعاف: جمع نعف؛ وهو المكان المرتفع في اعتراض.
(٧) في ف، «المختار»، هب: سواهم بدل سراعاً، ودهم وكمت «بالرفع».

ابن عم للعباس يحرضه على الحرب

قال: ثم كف العباس وخُفاف حتى أتى ابنُ عم للعباس يُكنى أبا عَمْرو بن بدر، وكان غائباً، فقال: يا عباس! ما نقولُ فيك خيراً إلاّ وهو باطل، قال: وكيف ذلك، ويحك! قال: أخبرْني عنك، أكُلُّ الذي أقررتَ[1] به من خُفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك؛ ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك؟ قال: لا، ولا واحدة منهما، ولكني أحببت البُقْيَا، قال: فاسمع ما قلتُه، قال: هات، فأنشأ يقول:

أرى العباسَ ينفُض مِذْرَوَيْه[2] ... دَهِينَ الرأس تَقْلِيه النساءُ

وقد أزْرَى بوالده خُفافٌ ... ويُحسَب مثله الداءُ العَياء[3]

فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ ... فإن السَّبَّ تُحسِنُه الإماءُ

ولا تكذِب وأهْدِ إليه حرباً ... مُعَجَّلَةً فإن الحرب داءُ

أذلّ اللهُ شرَّكما قبيلاً ... ولا سَقَّت له رَسْماً سَماءُ

العباس وخفاف يلتقيان بقومهما ويقتتلان قتالاً شديداً

قال العباس: قد آذنتُ خُفافاً بحرب، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل، وكان الفضل للعباس على خفاف، فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيد بن الصِّمَّة الجُشَميّ في وجوه هَوازن، فقام دُرَيد خطيباً فقال: يا معشر بني سُلَيم، إنه أعجلني إليكم صدرٌ وادٌ ورَأْيٌ جامع، وقد ركب صاحباكم شرَّ مطيّة، وأوضعا [٧٨/١٨] / إلى أصعَب غاية، فالآن قبل أن يندم الغالب ويَذِلّ المغلوب[4]، ثم جلس.

دريد بن الصمة ومالك بن عوف يحذرانهما عاقبة الحرب

فقام مالكُ بن عوف[5] فقال: يا معشر بني سُلَيم، إنكم نزلتم منزلاً بَعُدت فيه هَوازن، وشَبِعت منكم فيه بنو تميم، وصالت عليكم فيه بكر بن وائِل، ونالت فيه منكم بنو كنانة، فانزِعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوَّكم بقَرْنٍ أعْضَبَ وكَفٍّ جَذْماءَ، قال: فلما أمسينا تغنى دُرَيد بن الصِّمَّة فقال:

سُلَيمُ بنَ منصورٍ ألمّا تُخَبَّرُوا ... بما كان من حَرْبَيْ كُلَيْبٍ وداحِسِ

وما كان في حرب اليَحابِرِ[6] من دم ... مباحٍ وجَدْعٍ مؤلمٍ للمَعاطِسِ

وما كان في حَرْبَيْ سُلَيم وقبلهم ... بحرب بُعاثٍ من هلاك الفوارس

تسافهت الأحلامُ فيها جهالةً ... وأُضرِم فيها كلُّ رَطْب ويابِس

فكُفُّوا خُفافاً عن سفاهةِ رأيِه ... وصاحِبَه العبّاسَ قبل الدَّهارِسِ[7]

---

(١) في ب: «خبرني عن أصل الذي أقررت به... الخ».

(٢) المذروان: طرفا الإلية. وجاء ينفض مذرويه: جاء باغياً يتهدد.

(٣) في هب: «سبك مثله الداء العياء». وفي «المختار»: «ولكن نسله الداء العياء».

(٤) في ب: «ويذم المطلوب».

(٥) في ب: «مالك بن أوس».

(٦) في ب: «البحائر»، تحريف.

(٧) الدهارس: الدواهي.

وإلاّ فأنتم مثلُ مَنْ كان قبلكم ... ومَنْ يعقِل الأمثالَ غيرُ الأكايسِ

وقال مالكُ بن عوف النَّصْريّ:

سُليم بن منصور دعوا الحربَ إنما ... هي الهُلك للأقصَيْن أو لِلأقاربِ

ألم تعلمُوا ما كانَ في حربِ وائِلٍ ... وحرب مُرادٍ أو لُؤَيّ بن غالبِ

تفرّقت الأحياءُ منهم لَجاجَةً ... وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ

فما لِسُلَيمٍ ناصرٌ من هَوازنٍ ... ولو نُصِروا لم تُغنِ نُصرةُ غائبِ

/ دريد بن الصمة يعاهدهما على الكف عن الحرب وتهادي الشعر من غير شتم [٧٩/١٨]

/ قال: ثم أصبحنا، فاجتمعت بنو سُلَيم، وجاء العبّاس وخُفافٌ، فقال لهما دُريد بن الصِّمة ولمن حضر من $\frac{١٤٢}{١٦}$ قومهما: يا هؤلاء! إن أوّلكم كان خيرَ أوّل، وكل حيٍّ سَلَف خيرٌ من الخلَف، فكُفُّوا صاحبيكم عن لَجاجِ الحرب وتهاجِي الشعر، قال: فاستحيا العباس فقال: فإنا نكف عن الحرب، ونتهادَى الشعر، قال: فقال دُريد: فإن كنتما لا بد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودَعا الشّتم، فإن الشّتم طريقُ الحرب، فانصرَفا على ذلك. فقال العباسُ بن مِرْداس:

فأبلغ لدَيْك بني مالكٍ ... فأنتم بأنبائنا أخبَرُ

فأما النَّخِيلُ فليست لنا ... نخيلٌ تُسقَّى[1] ولا تُؤبَرُ

ولكنَّ جَمعاً كجِذْل[2] الحِكا ... ك فيه المُقنَّع والحُسَّرُ

مغاويرُ تحمِل أبطالَنا ... إلى الموت ساهمةً ضُمَّرُ

وأعددتُ للحرْب خَيفانةً ... تُديم الجِراءَ[3] إذا تَخطِرُ

صَنيعاً كقارورة الزّعفرا ... ن ممّا تُصانُ ولا تُوثَرُ

ويقال: صَبِيغاً. قال: فأجابه خُفافٌ فقال:

أعبّاسُ إنّ استعارَ القَصيـ ... ـدِ في غير مَعْشَره[4] مُنكَرُ

علامَ تَناولُ ما لا تَنالُ ... فتقطَعُ نفسَك أو تَحسَرُ[5]

/ فإنّ الرِّهانَ إذا ما أُريد ... فصاحبُه الشامخُ المُخطِر[6] [٨٠/١٨]

تَخاوَصُ لم تستطعْ عُدَّةً[7] ... كأنك من بُغضِنا أعوَرُ

فقصرُك مأثورةٌ إن بَقِيـ ... ـتُ أصحو بها لك أو أسكر[8]

لساني وسيفي معاً فانظُرَنْ ... إلى تلك أيُّهما تُبْدَرُ

---

(١) في ف، بيروت: «تجذ».

(٢) الجذل: عود ينصب للإبل الجربي لتحتك به.

(٣) في ب، بيروت: الجداء.

(٤) في ف: «موضعه».

(٥) ف: تحسر.

(٦) في ف، هب: «السابح المحضر».

(٧) في هب، ف، بيروت: «تخاوص لم تستطع غيره». وتخاوص: غض من بصره شيئاً.

(٨) ف: «فقصرك ما بعده... أو أشكر».

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتَّهاجي، قال عباس: إني واللهِ ما رأيت لخُفافٍ مثلاً إلا شِبام بني زُبَيد[١] فإنه كان يَلقَى من ابن عمه ثَرْوَانَ بنِ مُرَّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف، فلما لَجَّ في شتمه تركه وما هو فيه، فقال:

وهبــتُ لثَــروانَ بــن مُــرَّةَ نفسَــه ... وقــد أمكنَتنــي مــن ذُؤابَتِــه يــدِي

وأحمِـل مـا فـي اليـوم مـن سُـوء رأيـهِ ... رَجـاء التـي يـأتـي بهـا اللهُ فـي غـدِ[٢]

فقال خُفاف: إني والله ما وجدتُ لعباس مثلاً إلا ثَرْوَان بني زُبَيد، فإنه كان يَلقى من شِبام ما ألقى من العباس من الأذى، فقال ثَرْوَان:

رأيــتُ شِبــامــاً لا يــزال يَعِيبُنــي ... فللّــه مــا بــالــي وبــالُ شِبــام!

فقَصْــرُك منّــي ضــربــةٌ مــازِنِيَّــةٌ ... بكـفِّ فتًـى فـي القـوم غيـرِ كَهـامِ

فتُقصِــر عنــي يــا شِبــامُ بــنَ مــالـكٍ ... ومــا عَــضَّ سيفــي شــاتمــي بحَــرامِ

فقال عباس: جزاك الله عني يا خُفاف شرًّا، فقد كنتُ أخفَّ بني سُلَيم من دمائها ظَهْراً، وأخمصها بطناً، فأصبحتِ العرب تُعَيِّرني بما كنت أعيب عليها من / الاحتِمال وأكْل الأموال، وصرت ثَقيل الظَّهر من دمائها مُنْفَضِجَ[٣] البطن من أموالها، وأنشأ يقول: [١٨/٨١]

/ ألـم تـرَ أنّـي تـركـتُ الحـروبَ ... وأنّـي نَـدِمـت علـى مـا مَضَـى [١٤٣/١٦]

نــدامــةَ زارٍ علــى نفســه ... لِتلــك التــي عــارُهــا يُتّقــى

فلــم أُوقِــد الحــربَ حتــى رَمَــى ... خُفــافٌ بــأسهُمــه مَــنْ رَمَــى

فــإن تعطِــف القــومَ أحــلامُهــم ... فيــرجِــعَ مــن وُدِّهــم مــا نــأى

فلســتُ فَقِيــراً إلــى حَــرْبِهــم ... ومــا بــيَ عــن سَلْمِهــم مِــن غِنَــى

فقال خُفاف:

أعبّــاسُ إمّــا كَــرِهــتَ الحــروبَ ... فقــد ذُقْــتَ مــن عَضِّهــا مــا كَفَــى

أأَلْقَحْــتَ حَــربــاً لهــا شِــدَّة ... زَمــانــاً تُسعِّــرُهــا بــاللَّظَــى

فلمّــا تَــرَقّيــتَ فــي غَيِّهــا ... دَحَضْــتَ وزَلَّ بــكَ المــرْتَقَــى

فــلا زِلْــتَ تَبكِــي علــى زَلَّــة ... ومــاذا يَــرُدُّ عليــك البُكــا

فــإن كنــتَ أخطــأتَ فــي حَــرْبنــا ... فلَسْنــا نُقِيلُــك هــذا الخَطَــا

وإن كُنــتَ تَطْمَــعُ فــي سَلْمِنــا ... فــزاوِلْ ثَبِيــراً ورُكْنَــيْ حِــرَا

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني مسعودُ بن عيسى العَبْديّ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفَزَاريّ، وكان علاّمةً بأمرِ قيس، قال:

كان خُفاف بن نُدْبَةَ في جماعة من قومه، فقال: إنّ عباس بنَ مرداس ليُريد أن / يبلغ فينا مبلغ عباس بن [١٨/٨٢]

(١) في ب: «شبام بن زبيد».

(٢) في ف: «رجاء الذي يأتي به الله في غد».

(٣) في هب: «منفضخ البطن». ومنفضج البطن: منتفخه.

أنس، وتأبى عليه خِصالٌ قعَدْن به عن ذلك، فقال فتًى من رَهْط عباس: ما تلك الخصال يا خفاف؟ فقال: اتّقاؤه بخيله عند الموت، ومكالبةُ الصعاليك على الأسلاب، وقتلهُ الأسرى، واستهانتُه بسبايا العرب، وأَيم الله، لقد طالت حياتُه حتى تمنَّينا موتَه، فانطلق الفتى إلى العباس فحدّثه الحديث، فقال العباس: يابن أخي إلاّ أكن كالأصمّ في فضله فلست كخُفافٍ في جهله، وقد مضى الأصمّ بما في أمس، وخلّفني لِمَا في غد، فلما أَمْسَى تغنَّى، فقال:

خُفَــاف أمــا تــزال تجــرُّ ذَيــلاً ... إلــى الأمــر المقــرَّب للفســادِ
وقــد علــم المعــاشِــرُ مــن سُلَيْــم ... بــأنّــي فيهــمُ حَسَــنُ الأيــادي
وأنّــي يــوم جَمْــعِ بنــي عُطَيْــفٍ ... حملــت بحــالــكٍ وَهــج المــرَادِي[١]
وأنــي لا أُعَيَّــر فــي سُلَيْــم ... بــردِّ الخيــلِ ســالمــةَ الهــوادِي
وأنّــي فــي مُلِمَّــةِ كــلّ يــوم ... أَقِــي صَحْبِــي وفــي خيلِــي تعــادِي
ولــم أسلِــب بحمــد الله كَبْشــاً ... سِــلاحــاً بيــن مختلــف الصِّعــادِ[٢]
ولــم أحلُــل لمُحْصَنَــةٍ نِطــاقــاً ... ولــم أرَ عِتْقَهــا إلا مُــرادِي
فــأَوردْ يــا خُفــاف فقــد مُنِيتــم ... بنــي عــوفٍ بحيّــة بطــن وادي

فلما أصبح أتى خُفافاً وهو في ملأ من قومه، فقال: قد بلغني مقالُك يا خُفاف، وأَيم الله، إنك لتعلم أني أحمِي المصافّ[٣]، وأكره السلَب، وأطلِق الأسير، وأصون السَّبِيّة.

فأمّا زعمُك أنّي أتّقي بخيلي عند الموت فهاتِ لي من قومك رجلاً اتّقيتَ به، / وأما قَتْلي الأسرى فإني قتلتُ [١٨/٨٣] الزُّبيديّ بخالك، وأما سَلْبي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبَه، وأما استهانتي بالسَّبايا فإني أحذو القوم في سباياهم فِعَالهم في سبايانا، وأما تمنّيك موتِي فإن مِتُّ قبلكَ فأغنِ غَنائي، ثم انصرف. فقال خُفاف مُجيباً للعباس عن قوله:

لعمــرُ أبيــك يــا عبّــاسُ إنــي ... لمُنْقَطِــع الــرِّشــاء مــن الأعــادِي
وإنّــي قــد تعــاتبُنــي سُلَيْــم ... علــى جَــرِّ الــذيــولِ إلــى الفســادِ
أكُــلَّ الــدهــرِ لا تَنْفَــكّ تجــرِي ... إلــى الأمــر المفــارِق للسَّــدادِ
إذا مــا عــايَنَتْــكَ بَنُــو سُلَيْــم ... تَبيــتُ لهــم بــداهيــةٍ نــآدِ
فــزَنــدك فــي سُلَيْــم شــرُّ زَنْــدٍ ... وزادُك فــي المعــاشــرِ[٤] شــرّ زادِ
ألا لله دَرُّك مــــن رئيــــس ... إذا عــادَيْــتَ فــانظُــر مَــنْ تُعــادِي
جــرَيْــتُ مُبَــرِّزاً وجَــرَيــتَ تكبــو ... علــى تَعَــبٍ فهــل لــك مــن مَعــادِ
ولــم تقتــل أسيــرَك مــن زُبَيْــدٍ ... بخــالــي بــل غــدرت بِمُسْتَقــادِ

ومُستقاد: الزُّبيديّ.

---

(١) المرادي: جمع مردى، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور.
(٢) الكبش: سيد القوم وقائدهم، والصعاد: القنا المستويات.
(٣) المصاف: مواقف القتال. وفي ف: المصاب.
(٤) في «المختار»: وزادك في سليم.

وإنّ رهطَ خُفاف لاموه وقالوا: اكفُف عن الرجل. فقال: كيف أكفّ عن رجل يريد أن يَتِرنا أمرنا بغير فضل. وقال رهطُ العباس له: أيها الرجل، اكفُف، فقال قولاً جميلاً، وقال العبّاس عند ذلك:

هل تعرف الطَّلَل القديمُ كأنّه ... وشْمٌ بأسفل ذي الخيام مُرَجَّعُ
بقِيتْ معارِفُه على مَرّ الصَّبا ... بعد الجميع كأنّه قد يُمْرَعُ
دارُ التي صادت فؤادك بعد ما ... شمِل المَفارِقَ منك شيبٌ أروعُ
وزعمتَ أنّك لا تُراحُ إلى الصِّبا ... وعَلَتْك منه شبيبةٌ لا ترجعُ
[١٨/٨٤] / يا أيها المرءُ السفيهُ ألاّ ترى ... أنّي أضرُّ إذا هَوِيتُ وأنفعُ
وأعيش ما قَدَر الإلهُ على القِلَى ... وأعِفُّ نفسي عن مطامع تُطمِعُ
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى ... نفسي إلى الأمر الدنيّ تطلّعُ
وأردُّ ذا الضِّغن اللئيمَ برأيه ... حتى يموت وليس فينا مَطمعُ
لله دَرُّك لا تَمَنَّ مماتَنا ... فالموتُ وَيْحك قصْرُنا والمرجِعُ
لو كان يَهلِك مَنْ تَمَنَّى موتَه ... حلّت عليك دُهيَةٌ لا تُرقَعُ
ومكثتَ في دار الهوان موطَّأً ... بالذّلّ ليس لداركم مَنْ يمنعُ

فقال خُفافٌ مجيباً له:

عَجِبَتْ أُمامَةُ إذ رَأَتْني شاحِباً ... خَلَق القميص وأنّ راسِيَ أصلَعُ
وتنفّست صُعُداً فقلتُ لها: اقصِري ... إنّي امرؤ فيما أضرّ وأنفعُ
مهلاً أبا أنس فإنّي للّذي ... خلّى عليك دُهَيّةٌ لا تُرْفَعُ
وضَرَبْتُ أُمَّ شؤون راسك ضربةً ... فاستكَّ منها في اللَّقاء المسمَعُ
نَعْلَيَّ حَذْوُ نِعالها ولربّما ... أحذو العِدَا ولكلّ عادٍ مَصرعُ
لا تفخرنّ فإنَّ عُودِيَ نبعَةٌ ... أعيت أبا كَرِبٍ وعُودُك خِروَعُ[(١)]
ولقد أقود إلى العدوّ مُقلِّصاً ... سَلِسَ القِيادِ له تَلِيلٌ أتلَعُ[(٢)]
نَهْدَ المراكل والدَّسيع يَزينُه ... شَنِجُ النَّسا وأباجِلٌ لا تُقطَعُ[(٣)]
[١٨/٨٥] / وعَليَّ سابِغَةٌ كأنَّ قَتِيرَها ... حَدَق الجنادب لَيسَ فيها مطمعُ[(٤)]
زَغَفٌ مُضاعَفَةٌ تَخَيَّر سَرْدَها ... ذو فائشٍ وبنو المُرار وتُبَّعُ[(٥)]
في فِتْيَةٍ بِيضِ الوجوه كأنهم ... أُسْدٌ على لحم بِبِيشَةَ طُلَّعُ

(١) عودي نبعة: صلب شديد. وعودك خروع: ليّن متثن.
(٢) تليل أتلع: عنق طويل.
(٣) نهد المراكل: واسع الجوف. والدسيع: مغرز العنق في الكاهل. وفرس شنج النسا: صفة محمودة، لأنه إذا تشنج نساه لم تسترخ رجلاه. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في الفرس والبعير.
(٤) درع سابغة: تامة طويلة. والقتير: رؤوس المسامير في الدرع. والحدق جمع حدقة؛ وهي سواد العين الأعظم، والجنادب جمع جندب، وهو الصغير من الجراد.
(٥) الزغف جمع زغفة؛ وهي الدرع الواسعة. وسردها: نسجها. وفائش: واد كان يحميه ذو فائش سلامة بن يزيد اليحصبي.

لا ينكلون إذا لقُوا أعداءَهم إنّ الحِمامَ هو الطريق المهْيَعُ[١]

وكان خُفاف قد كفّ عن العبّاس، حتى أتاه غلام من قومه، فقال: أبَى العباس إلا جُرأة عليك وعَيْباً لك، فغضب خُفاف ثم قال: ما يدعوه إلى ذلك؟ فوالله إن أباه لرابطُ السهم، وإن أمّه لخفيّة الشخص، ولئن طلب مسعاي ليعلمَنَّ أنه قصيرُ الخطوة أجذمُ الكف، وما ذنبنا إليه إلا أنّا استنقذنا أباه من عِصِيّ بني حِزام، وكافحنا دونه يوم بني فِراس، ونصرنا أباه على حرب بن أميّة. وقال خُفاف في ذلك:

لن يترك الدهرَ عبّاسٌ تقحّمَه حتى يذوق وبالَ البَغْي عبّاسُ

أمسكتُ عن رَمْيِه حولاً ومَقْتَلُه بادٍ لتعذرني في حَرْبِه الناس

عمداً أجرّ له ثوبي لأخدَعه عن رأيه ورجائي عنده ياسُ

فالآن إذا صرّحت منه حقيقتهُ ظُلْماً فليس بشتمي شاتمي بَاسُ

أجُدّ يوماً بقولي كُلَّ مبتدِىء كما يَجُدُّ بكفّ الجازِرِ الفاسُ

تأبى سُلَيم إذا عدّت مساعِيَها أن يُحرزَ السَّبقَ عبّاسٌ ومِرداسُ

أودى أبو عامر عبّاس مُعْترِفاً أنّا إذا ما سُلَيم حصّلت راسُ

فبلغ العباسَ أمرُ خفاف، فأتاه، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصلت، وكان مأموناً في بني سُلَيم، فقال العباس: قد بلغني قولك يا خُفاف، ولعمري لا أشتُم أباك ولا أمّك، ولكنّي رامٍ سوادَك بما فيك. / والله ما كنت إلى ذمّك بالهَيْمان ولا إلى لحمك بالقَرِم، وإن سُلَيماً لتعلم أني أبحتُ [١٨/٨٦] حِمَى بني زُبَيد، وأطفأت جمرة خثعم، وكسرتُ قَرْنَيْ[٢] بني الحارث بن كعب، وقلّدت بني كنانة قلائدَ العار، وإني يا خُفاف لأخفُّ منك[٣] على بني سُلَيم مؤونةً، وأثقل منك على عدوّهم وطأةً، وقال مُجيباً له:

إنّي رأيت خُفافاً ليس يُهنئُه شيءٌ سوى شتم عبّاسِ بنِ مرداسِ

مهلاً خُفافُ فإنّ الحق مَغْضَبَةٌ[٤] والحمق ليس له في الناس من آسي

سائلْ سُلَيماً إذا ما غارة لَحِقتْ منها فوارسُ حُشْدٌ غيرُ أنكاسِ

من خثعمٍ وزُبَيدٍ أو بني قَطَنٍ أو رَهْط فروةَ دهراً أو شحا الناسِ[٥]

يُنْبُوا منِ الفارسُ الحامي حقيقَتَه إذا أتوك بحامٍ غيرِ عبّاسِ

لا يحسب النّاس قولَ الحق مُعترِفاً فانظر خُفاف فما في الحق من باس

مَنْ زار خيل بني سعد مُسوَّمة يُهدي لأولها لأيُ بن شمّاسِ

يوم اعترضتُ أبا بدر بجائفةٍ تعوي بعرق من الأحشاء قلّاسِ[٦]

أدعَى الرئيسَ إذا ما حربكم كشفَتْ عن ساقها لكُم والأمر للرّاسِ

(١) الطريق المهيع: الواسع البين.

(٢) في هب: «وكسرت قرني في بني الحارث».

(٣) ف: «عنك».

(٤) مَغْضَبَة: مقطعة.

(٥) الشحا: الواسع، والمراد جميع الناس.

(٦) الطعنة الجائفة: التي تصل إلى الجوف. وعرق قلاس: يزخر بالدم.

حتى إذا انكشفت عنكم عمايتُها ... أنشأت تضرب أخماساً لأسداسِ

وسعَى أهلُ الفسادِ إلى خُفاف فقالوا: إنّ عبّاساً قد فضحك، فقال خُفاف:

ألاَ أيُّها المُهْدِي لِيَ الشَّتمَ ظالماً ... ولستُ بأهلٍ حين أُذكَر للشَّتم

أبَى الشَّتمَ أنّي سَيِّدٌ وابنُ سادةٍ ... مطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعِيمَ لِلَّحْمِ[(١)]

[٨٧/١٨] / هُم مَنَحُوا نَصْراً[(٢)] أباك وطاعَنوا ... وذَلِك إذْ تُرْمَى ذَليلاً ولا تَرْمِي

كمُسْتَلْحِمٍ في ظُلمةِ اللَّيْل بَعْدَما[(٣)] ... رأى المَوتَ صِرْفاً والسيوفُ بها تَهْمِي

أدِبُّ على أنماط[(٤)] بيضاء حُرَّةٍ ... مقابَلَةِ الجِدَّين ماجدةَ العَمّ

وأنت لحَنْفاء اليَدَيْن لَوَ أنَّها ... تُباع لما جاءت بزَنْدٍ ولا سَهْم

وإنّي على ما كان أولُ أوّلٍ ... عليه، كذاك القَرْم يُنْتَجُ للقَرْم[(٥)]

وأُكرِم نَفْسِي عن أمور دَنِيئة ... أصونُ بها عِرْضِي وآسو بها كَلْمِي

وأصفحُ عَمَّن لو أشاءُ جَزَيْتُه ... فيمنعني رُشْدِي ويُدركُني حِلْمِي

وأغفر للمولَى وإنْ ذو عَظِيمَةٍ ... على البَغْي منها لا يَضِيقُ بها حَزْمِي[(٦)]

فهَذِي فَعالي ما بَقِيتُ وإنَّني ... لَمُوصٍ به عَقْبِي إذا كُنتُ في رَجْمِي[(٧)]

فقال له قومه: لو كان أوّلُ قولِك كآخره يا خفاف لأطفأت النائرة[(٨)]، وأذهبت سخائم النَّمائم، فقال العباسُ مُجيباً له:

ألاَ أيُّها المُهْدِي لِيَ الشَّتم ظالماً ... تَبَيَّنْ إذا راميتَ هَضْبَةَ مَن تَرْمِي

أبى الذَّمَّ عِرضِي إنَّ عِرضيَ طاهرٌ ... وإنّي أبِيٌّ من أُباةٍ ذوي غَشْم

وإنّي من القوم الذين دماؤُهم ... شِفاءٌ لطُلّاب التِّراتِ من الوَغْم[(٩)]

[٨٨/١٨] / وقال أيضاً:

إن تَلْقَني تَلْقَ ليثاً في عَرِيتَتِه ... من أُسْد خِفَّانَ في أرساغه فَدَعُ[(١٠)]

١٤٤/١٦ / لا يبرح الدهرَ صيداً قد تقنّصه ... من الرجال على أشداقه القَمَعُ[(١١)]

وكان العباس وخفاف قد همَّا بالصُّلح، وكرهت بنو سُلَيْم الحَرب، فجاء غويّ من رهط العبّاس فقال للعبّاس: إنَّ خُفافاً قد أنحى عليك وعلى والدَيْك، فغضب العباس، ثم قال: قد واللهِ هجاني، فكان أعظمُ ما عابني به أصغرَ

(١) في ب: «مطاعيم للجرم».
(٢) في ب، هب: الضرى.
(٣) في ب: محزما بدل بعدما، وتعمي بدل تهمي.
(٤) الأنماط جمع نمط، وهو ضرب من البسط.
(٥) في ب: «عليه كذاك القوم ينتج للقوم»، تحريف. والقرم: السيد أو العظيم على التشبيه بالفحل.
(٦) في ب: «جزمي»، تصحيف.
(٧) رجمي: قبري.
(٨) النائرة: العداوة.
(٩) الوغم: الحقد الثابت. وفي ب: «شفاء لطلاب التراث من الرغم»، تحريف. وفي ف، بيروت: «شفاء لطلاب الشفاء من الرغم».
(١٠) فدع: اعوجاج.
(١١) القمع: الاحمرار.

عيب فيه، ثم هجا والديّ فما ضرَّهما ولا نَفعه، ثم برزتُ له فأخفى شخصه واتَّقاني بغيره، ولو شئتُ لشتمت أباه وثَلبت عِرضَه، ولكني وإياه كما قال شِبامُ بني زُبيد[١] لابن عم له، يقال له ثَرْوَان بن مُرَّةَ، كان أشبه الناس بخُفاف:

وهبـتُ لثَـرْوانَ بـنِ مُـرَّة نفسَـه ... وقـد أمكنتنـي مـن ذُؤَابَتِـه يـدِي
وأحمِـلُ مـا فـي اليـوم مـن سُـوءِ رأيـه ... رجـاءَ الـذي يـأتـي[٢] بـه الله فـي غـد
ولسـتُ عليـه فـي السَّفـاه كنفسـه ... ولَسـتُ إذا لـم أهجُـه بمُـوعَّـدِ

وقـال:

أرانـي كُلمـا قـاربـتُ قـومـي ... نـأوْا عنـي وقَطعهُـم شـديـدُ
سئمـت عِتـابَهـم فصفحـتُ عنهـم ... وقلـتُ لعـلَّ حلمَهـمُ يعـودُ
وعـلَّ الله يُمْكِـنُ مـن خُفـافٍ ... فـأسقِيَـه التـي عنهـا يَحِيـدُ
بمـا اكتسبـت يـداهُ وجَـرَّ فينـا ... مـن الشَّحْنـا التـي ليسـت تَبيـدُ
/ وأنّـي لـي يـؤدّبنـي خُفـافٌ ... وعـوفٌ والقلـوبُ لهـا وَقـودُ [١٨/٨٩]
وإنـي لا أزال أُريـدُ خيـراً ... وعنـد الله مـن نَعَـم مَـزيـدُ
فضـاقـت بـي صـدورُهُـم وغصَّـت ... حُلـوقٌ مـا يَبِـضُّ لهـا وريـدُ
متـى أبعُـدْ فشـرُّهُـمُ قـريـبٌ ... وإن أقـرُبْ فـوُدُّهـم بعيـد
أقـول لهـم وقـد لَهِجُـوا بشَتمِـي: ... تـرَقَّـوْا يـا بنـي عـوفٍ وزِيـدُوا
فمـا شَتْمـي بنـافـع حَـيِّ عَـوفٍ ... أينقُصُنـي الهبُـوطُ أم الصُّعـودُ
أتجعلُنـي سَـراةُ بنـي سُلَيـم ... ككلـبٍ لا يهِـرُّ ولا يصيـدُ
كـأنّـي لـم أقُـد خيـلاً عِتـاقـاً ... شَـوازبَ مـا لهـا فـي الأرض عـودُ[٣]
أُجَشِّمهـا مَهـامِـهَ طـامِسـاتٍ ... كـأنَّ رمـالَ صَحصَحِهـا[٤] قُعـودُ
عليهـا مـن سَـراة بنـي سُلَيـم ... فـوارسُ نجـدةٍ فـي الحـرب صِيـدُ
فـأُوطِـي مَـنْ تُـريـد بنـي سُلَيـم ... بِكَلْكِلهـا ومـن ليسـت تُـريـدُ

فلما بلغ خُفافاً قولُ العباس قال: والله ما عِبتُ العباس إلا بما فيه، وإني لسليمُ العود، صحيح الأدِيم، ولقد أدنيتُ سوادي من سَواده فلم أحجِم ولا نَكَصتُ عنه، وإني وإيّاه كما قال ثَرْوان لشِبام بني زَبيد[٥]، وكان يَلْقَى منه ما لَقِيَ من العباس، قال:

رأيـتُ شِبـامـاً لا يـزال يَعيبنـي ... فللّـهِ مـا بـالِـي وبـالُ شِبـام
فقَصـرُك منّـي ضَـربـةٌ مـازِنيّـةٌ ... بكـفّ امـرىءٍ فـي الحـرب غيـر كَهـامِ[٦]

(١) ب: شبام بن زبيد.
(٢) ف: «رجاء التي يأتي بها الله...».
(٣) ف: «خيلاً سياراً». والشوازب: الضوامر. وفي ب: «كأني لم أقل... مثلها في الأرض» تحريف.
(٤) الصحصح: ما استوى من الأرض وجرد.
(٥) ب: لشبام بن زبيد.
(٦) ب: الحي بدل الحرب. وفي ف، المختار: «بكف فتى في الحق»، وقصرك: مصدر قصر بمعنى انتهى وكف. وسيف كهام: كليل.

[١٨/٩٠] / مـن اليـوم أو مـن شَيْعِـه[١] بمهنَّـدٍ خُصـومٍ لهـامـات الـرجـال حُسـامِ

١٤٥/١٦ / فتُقصِـر عنـي يـا شِبـامُ بـنَ مـالـكٍ ومـا عـضّ سيفـي شـاتمـي بحَـرامِ

وقال خفاف:

أرى العبـاسَ ينقـصُ كـلَّ يـوم ويـزعـم أنـه جَهـلاً يَـزيـدُ
فلـو نُقِصَـت عـزائمُـه وزادت سـلامتُـه لكـان كمـا يُـريـد[٢]
ولكـنَّ المَعـالـمَ أفسـدتـه وخُلْـقٌ[٣] فـي عشيـرتـه زَهيـدُ
فعبّـاسُ بـن مِـرداس بـن عمـرو وكِـذْبُ المـرء أقبـحُ مـا يُفيـدُ
حلفـتُ بـربِّ مكـةَ والمُصلَّـى وأشيـاخٍ محلَّقـةٍ تَنُـودُ[٤]
بـأنـك مـن مـودَّتنـا قـريـبٌ وأنـتَ مـن الـذي تَهـوَى بَعيـدُ
فـأبشِـر أن بقِيـتَ بيـوم سـوء يَشيـبُ لـه مـن الخـوف الـوليـدُ
كيـومـك إذ خـرجـت تَفـوق[٥] ركضـاً وطـار القلـبُ وانتفَـخ الـوريـدُ
فـدَعْ قـولَ السَّفـاهـةِ لا تَقُلْـه فقـد طـال التَّهـدُّدُ والـوعيـدُ
رأينـا مـن نُحـاربُـه شَقِيّـاً ومـن ذَا فـي بنـي[٦] عَـوْف سَعيـدُ

وقال خُفافٌ أيضاً:

أعبّـاسُ إنّـا ومـا بينَنـا كصَـدْع الـزُّجـاجـة لا يُجبَـرُ
فلسـتَ بكُـفءٍ لأعـراضنـا وأنـت بشَتْمِكَنـا[٧] أجـدرُ

[١٨/٩١] / ولسنـا بـأهـلٍ لمـا قُلْتُـمُ ونحـن بِشَتْمِكُـمُ أعـذر
أراكَ بَصيـراً بتلـك التـي تُـريـدُ وعـن غيـرهـا أعـورُ
فقَصـرُك منـي رَقيـقُ الـذُّبـا بِ عَضْـبٌ كَـريهتُـه مِبْتَـرُ
وأزرقُ فـي رأس خَطِّيَّـة إذا هُـزَّ أكعُبُهـا تَخطـرُ
يَلـوح السِّنـان علـى متْنهـا كنـار علـى مَـرْقَـب تُسعَـرُ
وزَغْـفٌ دِلاَصٌ حَبـاهـا العَـزيـزُ[٨] تـوارثهـا قبلَـه حِمْيَـرُ
فتلـك وجـرداءُ خَيْفَـانَـةٌ[٩] إذا زُجِـر الخيـلُ لا تُـزجـرُ
إذا ألقـت الخيـلُ أذيـالَهـا[١٠] فـأنـت علـى جـريهـا أقـدرُ

(١) شيعه: بعده، يريد به الغد.
(٢) في ف، بيروت: «ولو نقصت عواليه وزادت». وفي هب: «فلو نقصت عرائكه وزادت».
(٣) في ب: ولكن المعايب. . . وخلف.
(٤) تنود: تمايل من النعاس. وفي ب، بيروت: تهود.
(٥) في ف، بيروت: تفوت.
(٦) في هب، ف. وفي ب، بيروت: يا بني.
(٧) في هب: بشتمكها. وفي ب: يشتمكما.
(٨) في ب: «كماء الغدير. . . توارثه» بدل: «حباها العزيز. . . توارثها». والزغف: الدرع الواسعة الطويلة. ودلاص: ملساء لينة.
(٩) الخيفانة: السريعة.
(١٠) في ب: أولادها.

متى يبلُلِ الماءُ أعطافَها ... تبُذُّ الجيادَ وما تُبْهَرُ
أُنهِنه بالسوط من غَرْبِها[١] ... وأُقْدِمُها حيث لا يُنكَرُ
وأرحَضُها[٢] غيرَ مذمومةٍ ... بلبَّاتِها العَلَقُ الأحمرُ
أقولُ وقد شكَّ أقرابَها[٣] ... غدرتَ ومِثليَ لا يغدِرِ
وأُشهِدُها غمراتِ الحروب ... فسِيَّانِ تَسْلَم أو تُعقَر

وقال العباس:

خُفافُ ألم ترَ ما بيننا ... يزيدُ استعاراً إذا يُسعَرُ
ألم ترَ أنا نُهينُ التِّلا ... دَ للسائلين وما نُعذِرُ[٤]
/ لأنا نُكلِّفُ فوق التي ... يُكلِّفها الناسُ لو تخبُرُ
لنا شِيَمٌ غيرُ مجهولةٍ ... تَوارثها الأكبرُ الأكبرُ
وخيلٌ تكدَّسُ بالدَّارعيـ ... ـن تُنحَر في الرَّوع أو تُعقرُ
عليها فوارسُ مَخبورةٌ ... كجِنٍّ مساكِنُها عَبقرُ
ورَجْرَاجةٌ[٥] مثلُ لونِ النجو ... م لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ
وبيضٌ سوابِغُ مَسرودةٌ ... مواريثُ ما أورثت حِمْيَرُ
فقد يعلم الحَيُّ عند الصِّياح ... بأن العَقيلةَ بي تُستَرُ
وقد يعلم الحَيُّ عند الرها ... ن أني أنا الشامخ المُخطِر[٦]
وقد يعلم الحيُّ عند السؤا ... لِ أني أجودُ وأُستَمْطَرُ
فأنَّى تعيِّرني بالفخارِ ... فها أنا هذا هو المُنكَر[٧]

[١٨/٩٢] ١٤٦ ١٦

[١٨/٩٣]

/ صوت

ألا لا أُبالي بعد ريَّا أوافقتْ ... نَوانا نَوى الجيران أم لم تُوافِقِ
هِجانُ المُحيَّا حُرَّةُ الوجه سُربِلتْ ... من الحُسن سِرباًلا عتيقَ البنائِقِ

الشعر لجَبْهاء الأشْجَعِيّ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) أنهنه: أكف، والغرب: النشاط والحدة.
(٢) ف: وأرجعها.
(٣) ف: أقرانها. والأقراب جمع قرب، وهو الخاصرة.
(٤) في ب: «... نهينا البلاد... وما نغدر».
(٥) كتيبة رجراجة: تموج من كثرتها.
(٦) في ف:
وقد علم الحي عند النطاح ... أني أنا السابح المطحر
ورواية هب: عند الرهان، والباقي كرواية ف.
(٧) في بيروت: «هذا ذيك» بدل «فها أنا».

[١٨/٩٤]

/ أخبار جبهاء ونسبه

نسبه

جَبْهاء لقب غلَب عليه، يقال جَبْهاء وجُبَيْهاء[١] جميعاً، واسمه يَزِيدُ بن عُبَيْد، ويقال: يَزِيد بن حُمَيْمة بن عُبيد بن عُقَيلة بن قيس بن رُوَيْبة بن سُحَيْم بن عُبَيْد بن هِلال بن زَبِيد بن بَكْر بن أَشْجَع، شاعر بدوِيّ من مَخالِيفِ الحِجاز، نشأ وتُوفِّيَ في أيام بني أمية، وليس ممّن انْتَجَع الخُلفاء بشِعْره ومدحهم فاشتهر، وهو مُقِلٌّ، وليس من مَعْدُودِي الفُحول، ومن الناس من يَرْوِي هذه الأبيات لأبِي رُبَيْس الثَّعْلبيّ[٢] وليس ذلك بِصَحِيح، وهي في شعر جَبْهاء موجودة.

لقاؤه بالفرزدق

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْر بن بكّار، قال: حدثني عمِّي، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أبو الحَسَن الأحول، عن الطُّوسِيّ، عن أبي عمرو الشَّيْبانِيّ، قال:

قدِم جُبَيْهاءُ الأشجعِيُّ البصرةِ بجَلُوبَة[٣] له يريد بَيْعَها، فلَقِيه الفرزدقُ بالمِرْبَد، فقال: مِمَّن الرَّجُل؟ قال: من أشْجَع، قال: أتَعرِفُ شاعِراً منكم يُقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء؟ قال: نعم. قال: أفترْوِي قوله:

أمِـنَ الجَمِيـع بـذي البقـاع[٤] رُبـوعُ ... هـاجـت فـؤادَك والـرُّبـوعُ تَـروعُ

قال: نعم، قال: فأنشِدْنِيها، فأنشدَه قولَه منها:

مـن بعـد مـا نَكِـرت وغَيَّـر آيهَـا ... قَطْـرٌ ومُسْبِلَـةُ الـدّمـوع[٥] خَـريـعُ

[١٨/٩٥]

/ يـا صـاحِبَـيَّ ألا ارْفَعـا لـي آيَـةً ... تَشْفـى الصُّـداع فيُـذهَـل المـرفـوعُ

ألـواح نـاجِيَـة كـأنَّ تَلِيلَهـا[٦] ... جـذعٌ تُطِيـف بـه الـرُّقـاةُ مَنِيـعُ

حتى أتى على آخرها، فقال الفرزدَق: فأُقسِم بالله إنك لجَبْهاء، أو إنك لشَيْطانه.

قال الأخفَشُ في خَبَره عن أصحابه: الخَرِيعُ: الذاهِبَة العَقْل، شَبَّه السحابةَ بها لأنّها لا تَتمالك من المطر.

١٤٧/١٦ / أخبرني الحَسَن بنُ عَلِيّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ عُبَيد المكتب قال: حدثني عَلِيّ بن الصَّباح، عن ابن الكلْبِيّ، قال:

---

(١) في ب، هب: جبهاً وجبيهاً.

(٢) ف، بيروت: لابن دبيس التغلبي. وفي ب، هب: «لابن رئيس الثعلبي»، تحريف. وقال الزبيدي في «التاج» (ربس): أبو الربيس عباد بن طهمة، هكذا بالميم في التكملة، وذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبي شاعر من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، هكذا قاله الصاغاني. وفي «اللسان»: أبو الربيس التغلبي من شعراء تغلب وهو تصحيف، والصواب مع الصاغاني.

(٣) الجلوبة: الإبل يحمل عليها متاع القوم.

(٤) ف، بيروت: النعاع.

(٥) في ف: ومسبلة الذيول.

(٦) الناجية: الناقة، والتليل: العنق.

قدِم جُبَيْهاء الأشجعيّ المدينة بجَلُوبة له، فبينا هو يبيعها والفَرزْدَق يَوْمَئذ بالمَدِينة إذ مَرَّ به، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أشجع، قال: أتعرف شاعراً منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاءِ؟ قال: نعم، قال: أتروي قَصيدته:

أَلَا لا أُبالي بعد رَيَّا أوافَقَتْ ... نَواتَا نَوى الجيران أم لم تُوافِقِ

قال: نعم. قال: أنْشِدنيها، فأنشده إيّاها، فقال الفَرزْدق: أُقسم بالله إنّك لجُبَيْهاء، أو إنك لَشَيْطانه.

هجرته إلى المدينة

أخبرني الحَرَميّ قال: حدثنا الزُّبير، قال: حدثني عمّي، عن سُلَيمان بن عَيّاش، قال:

قالت زوجة جَبْهاء الأشجعيّ له: لو هاجرتَ بنا إلى المَدِينة وبِعْتَ إبِلَك وافْتَرَضْت في العطاء كان خَيْراً لك، قال: أفعلُ. فأقبَل بها وبإبِلِه حتى إذا كان بحرّة وَاقِمَ من شَرْقيّ المدينة، شَرَّعَها بحوض وَاقِمَ لِيَسْقِيَها[1]، فحَنَّت ناقة منها ثم نَزَعت، / وتَبِعَتها الإبلُ، وطلبها ففاتته، فقال لزوجته: هذه إبِل لا تعقِل، تحنُّ إلى أوطانِها، ونحن أحقُّ بالحَنين منها، أنتِ طالقٌ إن لم تَرْجِعِي، وفَعَل الله بِك وفعلَ وردّها وقال: [٩٦/١٨]

قالت أُنَيْسَةُ دَعْ بلادَك والتمس ... داراً بطَيْبَةَ رَبَّةِ الآطامِ
تَكْتُب عِيالَك في العَطاءِ وتَفْتَرِض ... وكذاك يفعلُ حازِمُ الأقوامِ
فهمَمْتُ ثم ذكرتُ ليلَ لِقاحِنا ... بِلِوَى عُنَيْزةَ[2] أو بقُفِّ بشَامِ
إذ هُنَّ عن حَسَبي مَذَاود كُلَّما ... نزل الظلامُ بعُصْبةِ أغْتامِ[3]
إن المَدِينةَ لا مَدِينَةَ فالْزَمِي ... حِقْفَ السِّتادِ وقُبّةَ الأرجامِ[4]
يُحلَب[5] لكِ اللّبنُ الغَرِيض ويُنْتَزع ... بالعِيس من يَمَنٍ إليكِ وشامِ
وتُجاوري النفَر الذين بِنَبْلِهم[6] ... أرمي العَدُوَّ إذا نهضتُ أُرامِي
الباذلين إذا طلبت تِلادَهم[7] ... والمانِعي ظَهْرِي من الغُرَّامِ

مجاورته في بني تيم

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع، قال: حدّثني أحمدُ بنُ زُهَير، قال: حدَّثني مُصعَب قال: جاور جَبْهاء الأشجعيُّ في بني تَيم، بطنٍ من أشجع، فاستَمْنَحَه مولى لهم عَنْزاً، فمنحه / إيّاها فأمسكَها دَهْراً، فلما طال على جَبْهاء ألّا يردَّها[8]، قال جبهاء: [٩٧/١٨]

أَمَوْلَى بَني تَيْمٍ أَلَستَ مُؤدّياً ... مَنِيحتَنا فيما تُرَدُّ المَنائِحُ[9]

---

(١) شرعها: أوردها الماء. واقم: أطم من آطام المدينة.، وحرة واقم إلى جانبه.
(٢) اللوى: ما التف من الرمل. والقف: ما ارتفع من الأرض. وعنيزة وبشام: موضعان. وفي ب: «بذوي عنيزة»، تحريف.
(٣) الأغتام: الذين لا يفصحون.
(٤) في ب: الأرحام.
(٥) في ب: يجلب.
(٦) في ف: «بنيلهم»، تصحيف.
(٧) في ب: «بلادهم»، تصحيف.
(٨) ب، هب: ما لا يردها.
(٩) المنائح: الهبات.

لهــا شَعَــرٌ صــافٍ وجِيــدٌ مُقلَّــص ... وجسـم زُخـارِيٌّ وضِـرْسٌ مُجـالِـحُ[١]

فأرسل إليه التَّيْمِيّ يقولُ:

بَلَــى، سنــؤدِّيهــا إليــكَ ذميمَــةً ... لِتَنكِحهــا إن أعــوَزَتــك المَنــاكِــحُ

فعمد به جَبْهاء فنزل، وقال:

لــو كنــتُ شيخــاً مــن سَــواةَ نكحتُهــا ... نِكــاحَ يَســارٍ عَنْــزَهُ وهْــيَ ســارِحُ

قال: وهم يُعيَّرون[٢] بنِكَاح العَنْز.

جبهاء وموسى بن زياد

أخبرني وَكِيع، قال: حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ، عن مُصْعَب، قال: استَطْرق جَبْهاءُ الأشجَعِيّ موسى بن زياد الأشجعيّ كبشاً[٣]، فوعده ثم مَطَله، فقال جَبْهاء:

١٤٨/١٦

/ واعَــدَنــي الكبشَ مُــوسَــى ثــم أخلفَنــي ... ومــا لِمِثْلــيَ تُعتَــلُّ الأكــاذِيــبُ

يــا ليــتَ كَبشَــك يــا مُــوسَــى يُصادِفُــه ... بيــن الكُــراعِ وبيــن الــوَجْنَــةِ الــذِّيــبُ

أمســى بــذي الغُصــن أو أمســى بــذي سَلَــمٍ ... فَقَحَّمَتْــه إلــى أبيــاتِــك اللُّــوبُ[٤]

فجــاء والحــيُّ أيقــاظٌ فطــاف بهــم ... طــوفيــن ثــم أقــرَّتــه الأحــاليــبُ

[١٠/٩٨]

/ فبــات ينظــرُه حــرّانَ مُنطَــوِيــاً ... كــأنــه طــالــبٌ للــوتْــر مَكــروبُ

وقــام يَشْتَــدّ حتــى نــال غِــرّتَــه ... طــاوِي الحَشَــا ذَرِبُ الأنيــابِ مَــذْبُــوبُ[٥]

بغَفْلــةٍ مــن زُرَيــقٍ فــاستمــرّ بــه ... ودونــه آكُــمُ الحِقْــفِ الغــرابيــبُ[٦]

سَبْلٌ عنــه أرخمــةٌ بيضــاً وأغــربــةً ... ســوداً لهــنّ حَنَــى أطْمَــى سلاَهيــبُ[٧]

يَــرديــن رَدْيَ العَــذارَى حــول دمنتِــهِ ... كمــا يطــوف علــى الحــوض المعــاقيــبُ

فجــاء يحمــل قــرنيــه وينــدبــه ... فكــلُّ حــيٍّ إذا مــا مــات منــدوبُ[٨]

[١٨/٩٩]

/ صوت

وَلهــا ولا ذَنْــبَ لهــا ... حُــبٌّ كــأطْــراف الــرِّمــاحِ

فــي القَلْــب يَجْــرَحُ والحَشــا ... فــالقَلْــبُ مَجروحُ النَّــواحِــي

الشعر لِوَالِبَة بنِ الحُباب، والغناء لِيَزِيد، رمل بالوسطى عن الهِشاميّ وعمرو، وفيه لسبك[٩] الزامر لحن عن ابن خُرداذْبه.

(١) الزخاري: الكثير الشحم واللحم، والمجالح: الذي يقشر الشجر.
(٢) في ف: يعرفون.
(٣) استطرق كبشاً: طلبه للضراب.
(٤) اللوب: العطش.
(٥) مذبوب: مجنون.
(٦) الحقف: ما أعوج من الرمل. والغرابيب: السود.
(٧) أطمي سلاهيب: مرتفع.
(٨) انفردت «ف» بالأبيات السبعة الأخيرة.
(٩) في ف: لشك الزامر.

/ أخبار والبة بن الحباب

[١٨/١٠٠]

شاعر عباسي

والِبَة بنُ الحُباب أسديٌّ صِلِيبةً، كوفيٌّ، شاعر من شعراء الدولة العباسِيَّة، يُكْنَى أبا أُسامة. وهو أُستاذ أبي نُوَاس، وكان ظريفاً شاعراً غزِلاً وَصَّافاً للشراب[١] والغِلمان المُرْد، وشعرُه في غير ذلك مُقارب ليس بالجَيِّد، وقد هَاجى بَشَّاراً وأبا العتاهية، فلم يصنع شيئاً وفَضَحاه، فعاد إلى الكوفة كالهارب، وخَمَل ذكرُه بعد.

المهدي يعجب بشعره ولا ينادمه

أخبرني محمدُ بن مزيد[٢] قال: حدثنا حَمَّاد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، والحسن بن علي الأدَمِيّ جميعاً، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدثنا يعقوب بن عمر، قال: حدثني أحمد بن سلمان، قال: حدثني أبو عدنان السُّلَميّ الشاعر، قال:

قال المهدي لعُمارة بنِ حَمْزة: مَنْ أرقُّ الناسِ شِعْراً؟ قال: والِبةُ بنُ الحُباب الأسديّ، وهو الذي يقول:

ولهـــا ولا ذنْـــبَ لهـــا ... حُـبٌّ كـأطْـرافِ الـرِّمـاحِ

فـي القلـب يَقْـدحُ والحشَـا ... فـالقلـبُ مَجْـروحُ النَّـواحِـي

قال: صدقتَ والله، قال: فما يمنعُك عن مُنادَمَته يا أمِيرَ المؤمنين؟ قال: يَمْنعُني قولُه:

قُلْـتُ لِسـاقِينـا علـى خَلْـوةٍ ... أدْنِ كـذا رأسَـك مـن راسِـي

ونَـمْ علـى صَـدْرِك لـي سـاعـةً ... إنّـي امـرؤٌ أنكَـحُ جُـلاَّسِـي[٣]

/ أفتُرِيدُ أن نكُون من جُلاّسه على هذه الشَّرِيطة!.

[١٨/١]

قال شعراً في أبي نواس

أخبرني الحُسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة: حدثني عبدُ الله بن مُسلم بن قُتَيْبَة، ووجدتُه في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ، فجمعتهما، قال:

حدَّثني الدَّعلجيّ غلامُ أبي نواس، قال: أنشدتُ يوماً بين يدي أبي نُواس قولَه:

يـا شقيـقَ النفْـسِ مـن حَكَـمِ ... نمـتَ عـنْ ليْلِـي[٤] ولـم أنَـمِ

---

(١) في «التجريد»: للخمر.

(٢) في ف، بيروت: محمد بن الحسن بن دريد.

(٣) في ب، هب، بيروت: حلاسيا. وقبلها: من راسيا.

(٤) في ب: عن عيني.

وكان قد سكر، فقال: أخبرك بشيء على أن تكتمه؟ قلتُ: نعم، قال: أتدري من المَغْنِيّ بقوله: يا شَقيق النفس من حَكَم؟ قلت: لا، قال: أنا والله المَغْنِيُّ بذلك، والشعر لِوالِبَة بنِ الحُباب، قال: وما عَلِم بذلك غيرُك وأنت أعلم، فما حدّثت بهذا حتى مات.

قال: وقال الجاحظ: كان والبةُ بنُ الحُباب، ومُطيعُ بن إياس، ومُنقذُ بن عبد الرحمن الهلاليّ، وحَفْصُ بن أبي وردة، وابن / المُقَفّع، ويونُسُ بن أبي فَرْوة، وحمّادُ بن عَجْرد، وعليُّ بن الخليل، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية، وابن الزِّبرقان[١]، وعُمَارة بن حمزة، ويزيدُ بن الفَيض، وجميلُ بن محفوظ، وبشّار المُرَعَّث[٢]، وأبانُ اللاّحقيّ ندماء، يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون، ويهجو بعضُهم بعضاً هزلاً وعَمْداً، وكلهم مُتَّهمٌ في دينه.

[١٤٩ / ١٦]

والبة وأبو العتاهية يتهاجيان

[١٨/ ١٠٢] أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد، قال: حدثني / محمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاقُ بنُ إبراهيم بن محمد السالمِيُّ الكوفيّ التَّيميّ، قال: حدثني محمد بن عمر الجُرْجانيُّ، قال:

رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي، فقال له: إن والِبة بن الحُباب قد هجاني، ومن أنا منه؟ أنا جرّار مسكين، وجعل يرفع من والِبة ويضعَ من نفسه، فأُحِبّ أن تكلمه أن يُمسِكَ عنّي. قال: فكلم أبي والبَةَ، وعرّفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك، فلم يقبل وجعل يَشتم أبا العتاهية، فتركه، ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته، فأخبره بما رَدّ عليه والبةُ، فقال لأبي: لِيَ الآن إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: لا تكلمني في أمره، قال: قلت له: هذا أوّل[٣] ما يجب لك، قال: فقال: أبو العتاهية يهجوه:

أوالِبُ أنت في العربِ ... كمِثْل الشَّيصِ في الرُّطَبِ
هَلُمَّ إلى المَوالي الصِّيـ ... ـدِ في سَعةٍ وفي رَحَبِ
فأنتَ بنا لعَمْرُ اللّـ ... ـه أشبهُ منك بالعرَبِ
غضِبْتُ عليك ثم رأيـ ... ـتُ وجهَك فانْجَلى غَضَبي
لِمَا ذكّرتني من لون أجْـ ... ـدادِي ولونِ أبي
فقُل ما شئتَ أقبلْه[٤] ... وإن أطْنبتَ في الكَذِب
لقد أُخبِرت عنك وعن ... أبيك الخالص العرَبي
فقال العارفُون به ... مُصاصٌ غيرُ مُؤْتَشِبِ[٥]

(١) ف، بيروت: «وحماد بن الزبرقان»، تصحيف.
(٢) في ب، س، هب: «المرغث». وسمي المرعث لبيت قاله، وهو:
قال ريم مرعث ... ساحر الطرف والنظر
وانظر الأغاني ٣ ـ ١٤٠ ط. دار الكتب.
(٣) ف، هب، بيروت: أقل ما يجب لك.
(٤) في ف: «أحمله».
(٥) المصاص: الخالص من كل شيء. وغير مؤتشب: غير مختلط.

[١٠٣/١٨]

/ أتانا من بلاد الرُّو م مُعْتَجِراً[١] على قَتَبِ
خفيفَ الحاذِ[٢] كالصِّمْصا م أطلسَ غيرَ ذي نَشَبِ
أوالبُ ما دهاكَ وأنـ ـتَ في الأعراب ذو نَسَبِ
أراك وُلِدتَ بالمرِّيـ ـخ يا بنَ سَبائِك الذهب
فجئتَ أُقَيْشِرَ الخدَّيْـ ـنِ أزرقَ عارِمَ الذَّنَبِ
لقد أخطأتَ في شَتمِي فخبِّرْني ألم أُصِبِ

وقال في والِبَة أيضاً:

نُطقتْ بنو أسَدٍ ولم تَجهرْ وتكلَّمَت خَفِياً[٣] ولم تَظهرْ
وأما وربِّ البيت لو نطقتْ لتركتها وصَباحُها أغبرْ
أيرومُ شتمِي منهمُ رجلٌ في وجهه عِبَرٌ لِمَن فكَّرْ
وابنُ الحُباب صَليبةٌ زعموا ومن المحالِ صليبةٌ أشقَرْ

١٥٠/١٦

/ ما بالُ مَنْ آباؤه عُرُبُ الألوان يُحسب من بني قَيصرْ
أترون أهلَ البدوِ قد مُسِخوا شُقراً أما هذا من المُنْكَرْ

وقال: وأول هذه القصيدة:

صَرِّحْ بما قد قلتَه واجهَرْ لابنِ الحُباب وقل ولا تَخْصَرْ
ما لي رأيتُ أباكَ أسودَ غِر بيبَ القَذالِ كأنه زُرْزُرْ[٤]
وكأنّ وجهَك حُمرةً رِئةٌ وكأنّ رأسَك طائرٌ أصفرْ

/ قال: وبلغ الشعرُ والبةَ، فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتَني في أبي العتاهية، وقد رغبتُ في الصّلح، قال له أبي: [١٠٤/١٨] هيهاتَ إنه قد أكّد عليّ إن لم تقبل[٥] ما طلب أن أُخلّي بينك وبينه، وقد فعلت، فقال له والبة: فما الرأي عندك؟ فإنه فضحني[٦]، قال: تنحدر إلى الكوفة، فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة، وأجودُ ما قاله والِبَةُ في أبي العتاهية قوله:

كان فينا يُكنى أبا إسحاقِ وبها الرَّكْبُ سار في الآفاقِ
فتكنَّى معتوهُنا بعَتاهٍ يا لها كُنيةً أتت باتفاقِ
خلق الله لِحيةً لك لا تنـ ـفكُّ معقودةً لدى الحلّاقِ

وله فيه، وهو ضعيف سخيف من شعره:

قل لابنِ بائعةِ القِصار[٧] وابنِ الذُّوارقِ والجِرارِ

---

(١) معتجراً: معتماً.
(٢) الحاذ: الظهر. وخفيف الحاذ: قليل المال. وفي ف: خفيف الحال.
(٣) في ف: تكلمت حيناً.
(٤) الغربيب: الأسود. والقذال: جماع مؤخر الرأس، أو: ما بين نقرة القفا إلى الأذن. والزرزر: طائر من نوع العصفور؛ سمي بذلك لزرزرته، أي تصويته، وفي هب: «زوزر».
(٥) في ب، س، بيروت: «ألا يقبل ما طلب وأن أخلي».
(٦) في ب: فقال له والبة: فما الرأي عندك؟ فقال: «فضحني»، تحريف.
(٧) في ف، بيروت: التغار بدل القصار. والتغار: الإجانة.

تهـوى عُتَيْبَـةَ ظـاهـراً ... وهـواك فـي أَيْـرِ الحِمـارِ
تهجـو مـوالِيـك الأُلَـى ... فَكُّـوك مـن ذلِّ الإسـارِ

والبة وعلي بن ثابت

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني ابن أبي فَنَن، قال:

كان والبةُ بن الحُباب خليلاً لعليّ بن ثابت، وصديقاً ودوداً، وفيه يقول:

حَـيٌّ بهـا والبَـةَ المُصْطَفَـى ... حَـيٌّ كَـرِيمـاً وابـن حُـرٍّ هِجـانِ
وقـاسِمـاً نَفْسِـي فِـدَتْ قـاسِمـاً ... مـن حَـدَث المَـوْتِ ورَيْـبِ الـزَّمـانِ

[١٨/١٠٥] / قال: ولَمَّا ماتَ والِبَةُ رثاه، فقال:

بكـت البَـرِيَّـة قـاطِبَـة ... جَـزَعـاً لِمَصْـرع والِبَـة
قـامَـتْ لِمَـوْتِ أبـي أسـا ... مـةَ فـي الـرُّفـاقِ النَّـادِبَـة

يقصد أبا بجير الأسدي بالأهواز ويلتقي بأبي نواس

قال: وكان والبةُ أستاذَ أبي نُواس، وعنه أَخذ ومنه اقْتَبس، قال: وكان والِبةُ قد قَصَد أبا بُجَير الأسدِيّ وهو يَتولَّى للمَنصور الأهوازَ، فمَدَحه وأقام عنده، فالفى أبا نُواس هناك وهو أمرد، فصَحِبه وكان حسنَ الوَجْه، فلم يزل معه، فيقال: إنه كشَف ثوبَه لَيلةً فرأى حُمرةَ أَلْيَتَيه وبياضهما، فقبَّلَهما فضَرَط عليه أبو نُواس، فقال له: لِمَ فَعلتَ هذا وَيْلَك، قال: لِئلّا يَضِيعَ قولُ القائلِ: ما جزاءُ مَنْ يُقبِّل الإستَ إلا ضَرْطة.

والبة وأبو سلهب الشاعر

أخبرني مُحمَّد بنُ العَبَّاس اليَزِيدِيّ، قال: حَدَّثني عَمّي الفَضْل، قال: حَدَّثني أبو سَلْهَب الشاعِر، قال:

كان والِبَةُ بنُ الحُباب صَدِيقي، وكان ماجِناً طَبْعاً، خفيفَ الرُّوح، خَبِيثَ الدِّين، وكنا ذات يوم نَشْرَب بغُمَّى، [١٥٤/١٦] فانتَبَه / يوماً من سُكْره، فقال لي: يا أبا سَلْهَب، اسمع، ثم أنْشَدني، قال:

شَـرِبْـتُ وفـاتِـكٌ مِثْلـي جَمُـوحٌ ... بِغُمَّـى بـالكـؤوس وبـالبَـواطِـي[1]
يُعـاطِينـي الـزُّجـاجَـةَ أرْيَحِـيٌّ ... رَخِيـمُ الـدَّلِّ بُـورِكَ مـن مُعـاطِـي
أقـول لـه علـى طَـرَبٍ: أَلِطْنِـي ... ولـو بمُـؤاجِـرٍ عِلْـجٍ نَبـاطِـي
فمـا خَيـرُ الشَّـراب بغَيْـرِ فِسْـقٍ ... يُتـابَـعُ بـالـزُّنـاء وبـاللِّـواطِ[2]
[١٨/١٠٦] / جعلـتُ الحـجَّ فـي غُمَّـي وبِنّـا[3] ... وفـي قُطْـرُبُّـلٍ أبـداً رِباطِـي
فقـل للخَمْـسِ آخـرُ مُلتَقـانـا ... إذا مـا كـان ذاك علـى الصِّـراطِ

يعني الصَّلَوات.

قال: وحدثني أنه كان ليلة نائماً وأبو نُواس غُلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آتٍ في منامه، فقال له: أتَدْرِي مَنْ

(١) البواطي جمع باطية: إناء من زجاج يملأ من الشراب، ويوضع بين الشرب يغترفون منه.
(٢) في ب، س: «يتابعه زناء أو لواط»، ويكون في الشعر إقواء.
(٣) غمى وبنا: قريتان من نواحي بغداد («معجم البلدان»).

هذا النائم إلى جانبك؟ قال: لا، قال: هذا أشعر منك وأشعر من الجنّ والإنس، أما والله لأفتِنَنَّ بشِعْره الثَّقَلَين ولأُغرِيَنَّ به أهلَ المَشْرق والمَغْرِب، قال: فَعلمتُ أنّه إبليس، فقلتُ له: فما عِندك؟ قال: عصِيتُ ربِّي في سَجْدة فأهْلَكَني، ولو أمرني أن أسْجُد له ألفاً لسَجَدْت.

حكم الوادي يغني شعر والبة

أخبرني الحُسَيْن[1] بنُ يَحْيى قال: حدثنا حَمّاد بنُ إسْحاق، قال:

قرأتُ على أبي عن أبيه أنَّ حَكَم الوادِي أخبره أنّه دخل على مُحَمَّد بنِ العَبّاس يوماً بالبَصْرة وهو يَتَملْمَل خماراً، وبِيَده كأس وهو يَجْتهِد في شُرْبها فلا يُطيقه، ونُدماؤُه بين يَدَيْه في أيْدِيهم أقداحُهم، وكان يوم نيروز[2]، فقال لي: يا حكَم غَنّني فإن أطْربْتَني فَلكَ كُلّ ما أُهْدِي إليّ اليوم[3] قال: وبين يَدَيْه من الهَدايا أمر عظيم، فاندَفعتُ أغنّي في شِعْر والبَةَ بنِ الحُباب:

صوت

قـــد قـــابلتنـــا الكـــؤوسُ ودابَـــرَتْنـــا النُّحـــوسُ[4]

[١٨/١٠٧] / واليـــوم هـــرمـــزروز[5] قـــد عَظَّمَتْـــه المَجـــوسُ

لـــم نُخطِـــه فـــي حِســـابٍ وذاكَ ممّـــا نَســـوسُ

فطرب واستعاده، فأعدتُه ثَلاثَ مَرّات، فَشُمِّرت قدحُه[6] واستمَرَّ في شُرْبه، وأمر بحَمْل كل ما كَانَ بَيْنَ يَدَيْه إليّ، فكانت قِيمتُه ثَلاثِين ألفَ دِرْهم.

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشاميّ وإبراهيم وغيرهما.

[١٨/١٠٨] / **صوت**

لقـــد زادَ الحَيـــاةَ إلـــيَّ حُبّـــا بنـــاتِـــي إنّهُـــنّ مـــن الضِّعـــافِ

مخـــافَـــةَ أن يَـــذُقْـــن البُـــؤسَ بَعـــدِي وأن يَشْـــرَبْـــنَ رَنْقـــاً بعـــد صـــافِ

وأن يَـــرَيْـــن إن كُســـيَ الجَـــوارِي فيُـــدِي الضُّـــرُّ عـــن هُـــزْلٍ عِجـــافِ[7]

ولـــولاهـــنّ قـــد سَـــوَّمْـــتُ مُهـــري وفـــي الـــرَّحْمـــان للضُّعفـــاء كـــافِ

الشعر لعِمران بن حِطان فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ، وذكر المدائنيّ أنّه لعيسى الحَبطيّ، وكلاهما من الشُّراة، والغِناء لمُحمّد بنِ الأشْعَث الكُوفيّ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عَمْرو بنِ بانة.

---

(١) في ب، ما: الحسن.

(٢) النيروز عند الفرس: أول يوم من أيام السنة الشمسية.

(٣) في ب: «فلك كل ما يهدي إلى اليوم».

(٤) ف: وأدبرتنا.

(٥) في ب، س: «واليوم هو نيروز».

(٦) شعرت: خففت بالماء. وفي ب، بيروت، هب: «فشرب».

(٧) في ب، ف: «كرم عجاف».ج وفي هب، بيروت: «كرم عجاف».

[١٠٩/١٨] ١٥٢/١٦

/ أخبار عمران بن حطان ونسبه

نسبه

هو عِمْرانُ بنُ حِطّان، بن ظَبْيان بن لَوْذان، بن عمرو، بن الحارث، بن سَدُوس، بن شَيبان، بن ذُهْل، ابن ثَعْلبة، بن عُكابَة، بن صَعْب، بن عليّ، بن بَكْر، بن وائل.

من شعراء الشراة

وقال ابنُ الكلبيّ: هو عِمران، بن حِطّان، بن ظَبْيان، بن معاوية، بن الحارِث، بن سَدُوس[١]. ويُكْنى أبا شهاب[٢]. شاعر فصيح من شعراء الشُّراة[٣] ودُعاتهم والمُقَدَّمين في مذهبهم، وكان من القَعدة[٤]؛ لأن عُمرَه طال فضَعُف عن الحَرْب وحضورها، فاقتصرَ على الدَّعوة والتحريض بلسانه.

من رواة الحديث

كان قبل أن يُفتَن بالشُّراة مشتهراً بطلب العلم والحديث، ثم بُلِي بذلك المذهب فضَلَّ وهلك، لعنه الله، وقد أدرك صَدْراً من الصحابة، وروى عنهم، وروى عنه أصحابُ الحديث. فما رُوِي عنه ما أخبرنا به مُحمد بنُ العباس اليَزيديّ، قال: حدّثنا الرِّياشيّ، قال: حدثنا أبو الوليد الطَّيالِسيّ، عن أبي عمرو بن العَلاء، عن أبي صالح بن سَرْح اليَشْكُرِيّ، عن عِمْران بن حِطّانِ قال:

كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضاةَ، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالقاضي العَدْل، فلا يزال به ما يَرَى من شِدَّةِ الحِساب، حتى يتمنى أنّه لم يَقض بَيْنَ اثْنَيْن في تَمْرة».

وكان أصلُه من البصرة، فلما اشتَهرَ بهذا المَذْهب طلبه الحَجّاج، فهرب إلى الشأم، فطلبه عبدُ الملك، فهرب إلى عُمان، وكان يتنقل إلى أن ماتَ في تَواريه.

[١١٠/١٨] / تزوج امرأة من الشراة فأضلته

أخبرني مُحمَّد بنِ عمران الصَّيْرفي، قال: حدّثنا الحَسَنُ بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدّثنا مَنيعُ بن أحمد السَّدُوسِيّ، عن أبيه، عن جده، قال:

كان عِمرانُ بنُ حِطّان من أهلِ السّنّة والعلم، فتزوّج امرأةً من الشُّراة من عشيرته، وقال: أردُّها عن مذهبها إلى الحق، فأضلَّته وذهبت به.

(١) ف: «... بن ظبيان بن صعد بن معاوية بن سدوس».
(٢) في ب، بيروت، «المختار»: «ويكنى أبا سماك».
(٣) الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: إننا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة.
(٤) القعدة: العاجزون.

طلبه الحجاج فهرب منه إلى الشام

وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عُمَرُ بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ، ومحمد بن العباس اليزيديّ، قالا: حدثنا الرِّياشيّ، قال: حدثنا الحَكَم بن مروان، قال: حدثنا الهَيْثم بن عديّ قال:

طلب الحَجّاج عِمرانَ بن حِطّان السَّدُوسِيّ، وكان من قَعَدة الخوارج، فكتب فيه إلى عُمّاله وإلى عبد الملك.

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحَسن بن عليّ الخَفّاف، ومحمد بن عِمْران الصيرفيّ، قالا: حدثنا العَنَزيّ، قال: حدّثنا محمد بنُ عبد الرحمن بنِ عبدِ الصَّمد الدّارع، قال: حدّثنا أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن المُثَنّى، عن أخيه يَزِيد بن المُثَنّى: أن عِمران بن حِطّان خرج هارباً من الحجاج، فطلبه، وكتب فيه إلى عُمّاله وإلى عبد الملك، فهَرَب ولم يزل يتنقّل في أحياء العرب، وقال في ذلك:

حَلَلْنـا فـي بَنِـي كَعْـبِ بـن عَمْـرٍو ... وفـي رِغْـلٍ[1] وعـامـرِ عَـوْثَبـانِ

وفـي جَـرْمٍ وفـي عمـرو بـن مُـرٍّ ... وفـي زيـدٍ وحـيّ بنـي الغُـدانِ

عمران وروح بن زنباع

ثم لحق بالشأم فنزل برَوْح بنِ زِنباع الجُذَاميّ، فقال له رَوْح: ممّن أنت؟ قال: من الأزد، أَزْدِ السّراة[2]، قال: وكان رَوْح يسمُر عند عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين إنّ في أضيافنا رجلاً ما سَمعتُ منك حديثاً قط إلاّ حدَّثني به وزاد فيما / ليس عندي قال: ممّن هو؟ قال: من الأزد، قال: إني لأسمَعُك تصف صفة عِمران بن [١٨/١١١] حِطّان؛ لأنني سمعتك تذكر لغة نزاريّة[3] وصلاةً وزهداً وروايةً وحِفْظاً، وهذه صفته، فقال رَوْح: وما أنا وعمران! ثم دعا بكتاب / الحجاج فإذا فيه: ١٥٣/١٦

أما بعد، فإنّ رجلاً من أهل الشِّقاق والنِّفاق، قد كان أفسد عليّ أهلَ العِراق وحَبّبَهُم بالشُّراية[4]، ثم إني طلبته، فلما ضاق عليه عَمَلي تحوّل إلى الشام، فهو يَتنقّل في مدائنها، وهو رجل ضَرْبٌ[5] طُوالٌ أفوهُ أروقُ[6]، قال: قال رَوْحٌ: هذه والله صِفَةُ الرجل الذي عندي. ثم أنشدَ عبدُ الملك يوماً قولَ عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم - لعنه الله - بقَتْله عليّ بن أبي طالب، صلوات الله عليه:

يـا ضَـربـةً مـن كَـريـمٍ مـا أرادَ بهـا ... إلا ليبلُـغَ مـن ذِي العَـرْش رِضْـوانـا

إنّـي لأَذْكُـرُ فيـه ثـم أَحْسَبُـه ... أوفَـى البَـرِيَّـةِ عنـد اللهِ ميـزانَـا

ثم قال عبدُ الملك: مَنْ يعرِفُ منك قائلها؟ فسكت القوم جميعاً، فقال لِرَوْح: سَلْ ضيفَكَ عن قائلها، قال: نعم أنا سائِلُه[7]، وما أراه يَخْفى على ضَيفي ولا سألتُه عن شيء قَطّ فلم أجده إلاّ عالماً به. وراح رَوْح إلى

(١) في «المختار»: عك. وفي ف: عتك، تحريف، ورعل: قبيلة من سليم.

(٢) في ب، هب، ف: الشراة. وفي «المختار» أزد شنوءة.

(٣) في ف، «المختار»، «التجريد»: فزارية.

(٤) في هب، «المختار» وحببهم بالشراة.

(٥) الضرب: الخفيف اللحم.

(٦) الأروق: الطويل الأسنان. وفي ب، هب، بيروت: «أزرق».

(٧) في ب: «أنا سائلهم».

أضيافه، فقال: إنّ أميرَ المؤمنين سألنا عن الذي يقول:

يا ضَرْبَةً من كَريم ما أراد بها ... ...

[١١٢/١٨] ثم ذكر الشعر، وسألهم عن قائله، فلم يكن عند أحَدٍ منهم عِلْم، فقال له عِمرانُ: / هذا قَوْلُ عمران بن حِطّان في ابن مُلْجَم قاتِلِ عليِّ بنِ أبي طالب، قال: فهَلْ فيها غير هذين البيتين تُفيدنيه؟ قال: نَعَم:

لله دَرُّ المُـــرادِيِّ الـــذي سَفَكــت كَفّــاه مُهْجَــة شَـرِّ الخَلْــقِ إنســانــا
أمســى عَشِيّــةَ غَشّــاه بضَــرْبَتِــه ممّــا جَنــاهُ مــن الآثــام عُــرْيــانــا

- صلواتُ الله على أميرِ المؤمنين، ولَعن اللهُ عِمرانَ بنَ حِطان وابنَ ملجَم - فغدا رَوْحٌ فأخبر عَبد الملك، فقال: مَنْ أخبرَك بذلك، فقال: ضَيْفي، قال: أظنّه عِمرانَ بن حِطّان، فأعْلِمه أنّي قد أمرتُك أن تأتِيَني به، قال: أفعَلُ، فراح رَوْحٌ إلى أضيافِه فأقبَلَ على عِمران، فقال له: إني ذكرتُك لعَبد الملِك، فأمرني أن آتيَه بك، قال: كنت أُحِبّ ذلك منك، وما مَنَعني من ذِكْره إلا الحَياءُ منك، وأنا مُتّبِعُك، فانطلِقْ. فدخل رَوح على عبد الملك، فقال له: أينَ صاحِبُك؟ فقال: قال لي: أنا متّبِعُك، قال: أظنُّك والله ستَرْجع فلا تجِدُه، فلما رجَعَ رَوح إلى منزله إذا عِمرانُ قد مَضَى، وإذا هو قد خَلَّف رُقعةً في كُوَّةٍ عند فِراشه، وإذا فيها يقول:

يــا رَوْحُ كــم مــن أخِــي مَثْــوَى نــزلــت بــه قــد ظَــنَّ ظنَّــك مــن لخــم وغسّــانِ
حتــى إذا خِفتُــه فــارقــتُ منــزِلَــه مــن بعــد مــا قِيــلَ: عِمــرانُ بــنُ حِطّــانِ
قــد كنــتُ ضيفَــك حَــولاً لا تــروّعُنــي فيــه الطــوارِقُ مــن إنْــسٍ ولا جــانِ
حتــى أردت بِــيَ العُظمــى فــأوحَشْتَنــي مــا أوحــشَ النــاسَ مــن خــوفِ ابــنِ مَــرْوانِ
فــاعــذِر أخــاكَ ابــنَ زِنْبــاع فــإنّ لــه فــي الحــادثــات هَنــاتٍ ذاتَ أَلْــوانِ
يــومــاً يَمــانٍ إذا لاقيــتُ ذا يَمــنٍ وإن لَقِيــتُ مَعَــدِّيــاً فعَــدْنــانِــي
لــو كنــتُ مُستغفِــراً يــومــاً لطــاغِيــةٍ كُنــتَ المُقــدَّم فــي سِــرّي وإعــلانِــي
لكــن أبــتْ ذاك آيــاتٌ مُطَهَّــرةٌ عنــد التّــلاوة فــي طَــهَ وعِمْــران

[١١٣/١٨] / نزوله بزفر بن الحارث ثم خروجه من عنده

١٥٤/١٦ قال: ثم أتى عِمْرانُ بن حِطّان الجزيرةَ، فنزل بزُفَر بن الحارث الكلابي بقَرْقِيسيا، فجعل شبابُ / بني عامر يتعجَّبون من صَلاتِه وطُولها، وانتسب لزُفَر أوزاعيّاً، فقدم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عِمْران بنَ حِطّان بالشام عند رَوْح بن زنباع، فصافحه وسلَّم عليه، فقال زُفَر للشّامي: أتَعْرِفه؟ قال: نعم، هذا شيخ من الأَزْد، فقال له زفر: أزْدِيٌّ مرّة وأوزاعيٌّ أخرى! إن كُنتَ خائفاً آمنّاك، وإن كنتَ عائلاً أغنَيْنَاك، فقال: إن الله هو المُغْنِي، وخرج من عنده وهو يقول:

إن الّتــي أصبحَــتْ يَعْيَــا بهــا زُفَــرٌ أعيــت عَيــاءً علــى رَوْحِ بــنِ زِنبــاعِ[1]
أمسَــى يُســائِلنــي حــولاً لأُخبِــرَه والنــاسُ مــن بيــن مَخــدوعٍ وخَــدّاعِ

(١) في «المختار» «أعيت عياء» وفي ب، س: «... يعني بها زفر... أعيت عناء..».

حتى إذا انْجَذَمَتْ مِنِّي حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَعْ بإهلاعِي[1]
فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحٌ إنَّني رجلٌ ... إمّا صريحٌ وإمّا فَقْعَةُ القاعِ[2]
أمّا الصَّلاةُ فإني غيرُ تاركِها ... كلُّ امرئٍ للّذي يُعنَى به ساعي
فاكفف لِسانَكَ عن هَزْئي ومسألتي ... ماذا تُريدُ إلى شيخٍ لأوزاعِ!
أكرِمْ بِرَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وأسرتِه ... قوماً دَعا أوّلِيهم للعُلا داعي
جاورتُهم سَنَةً فيما دَعَوتُ به ... عِرضي صَحيحٌ ونَوْمي غَيرُ تهجاعِ
فاعمَلْ فإنك مَنْعِيٌّ بحادِثَةٍ ... حَسْبُ اللَّبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِي

/ هروبه من الحجاج إلى روذ ميسان ووفاته بها [١٨/١١٤]

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثِرون ذكرَ أبي بلال مرداس بن أُدَيَّة، ويُثنُون عليه ويذكرون فضله، فأظهر فضلَه وبشّر أمرَه عندهم، وبلغ الحجاجَ مكانُه، فطلبه، فهرب فنزل في روذَمِيسان ـ طَسُّوج من طَساسِيج السَّواد إلى جانب الكوفة ـ فلم يزل به حتى مات، وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزد، فقال في ذلك:

نَزلتُ بحَمْدِ الله في خَيْرِ أُسرةٍ ... أُسَرُّ بما فيهم من الإنْس والخفَرْ
نزلتُ بقومٍ يجمَعُ اللهُ شملَهم ... وما لهم عُودٌ سِوَى المَجْد يُعتَصَرْ
من الأَزْدِ إنّ الأزْدَ أكرمُ أسرةٍ ... يمانيةٍ قَرُبُوا[3] إذا نُسِب البَشَرْ

قال اليزيديّ: الإنسُ بالكسْر: الاستئناسُ. وقال الرِّياشي: أراد قَرُبُوا فخفّف، قال:

وأصبحتُ فيهم آمِناً لا كَمَعْشَرٍ ... بَدَوْني[4] فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ
أو الحيِّ قَحْطانٍ وتلك سَفاهةٌ ... كما قال لي رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَرْ
وما مِنهمُ إلا يُسَرُّ بِنسبةٍ ... تُقَرِّبُني[5] منهم وإن كان ذا نَفَرْ
فنحن بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ[6] ... وأولى عِبادِ الله باللهِ مَنْ شكَرْ

أخبرنا اليزيديّ قال: حدثنا الرِّياشيُّ قال: حدّثنا الأصمعيُّ عن المُعتَمِر بنِ سُليمان قال:

كان عِمرانُ بنُ حِطّان رجلاً من أهل السنة، فقدم عليه غلام من عُمان كأنه نَصْل، فَقَلبه عن مَذْهبه في مجلس واحد.

/ أخبرني اليَزِيديّ، قال: حدثنا الرِّياشيُّ، قال: حدّثنا مسدَّدُ بن مُسرهَد، قال: حدّثنا بِشْرُ بن المفضَّل، عن [١٨/١١٥] سَلَمة[7] بن عَلقَمَةَ، عن محمد بنِ سيرين، وأخبرني الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا الحسن[8] بن عُلَيْل العَنَزيُّ،

(١) الإهلاع: الإفزاع والترويع.
(٢) يقال لمن لا أصل له: هو فقعة القاع.
(٣) في «المختار»: «تعلو».
(٤) في بيروت: «أتوني». وفي «المختار»: «بدوا بي».
(٥) في ب: «تصيرني».
(٦) في «المختار»: «والله ربنا».
(٧) في ب، س: «مسلم».
(٨) في ب: «الحسين»، تحريف.

١٥٥/١٦ قال: حدثنا عمرو بنُ عليّ القلاّسُ، / وعباس العنبريّ، ومحمد بن عبد الله المخزوميّ، قالوا: حدَّثنا عبد الرحمن ابن مهديّ، عن بِشر بنِ المُفَضَّلِ، عن سلَمة بنِ عَلقمة، عن محمد بن سِيرين، قال:

تزوّج عِمرانُ بنُ حِطّان امرأةً من الخوارج فقيل له فيها، فقال: أردُّها عن مَذهبها فذهبت هِيَ به.

خارجي يتخلف عن الخروج ويتمثل بشعر لعمران

نَسختُ عن بعض الكتب: حدَّثنا المدائنيُّ، عن جُوَيْرية قال:

كتب عيسى الحَبَطيُّ إلى رجل منهم يقال له أبو خالد، كان تَخَلَّف عن الخروج مع قَطَريّ أو غيره منهم:

أبـا خـالـدٍ أنْفُـرْ فلسـتَ بخـالـدٍ ... ومـا تـركَ الفُـرقـانُ عُـذْراً لِقـاعـدِ
أتـزعـم أنّـا الخـارجـون على الهدى[1] ... وأنـت مُقيـمٌ بيـن لِـصٍّ وجـاحـدِ!

فكتب إليه: ما مَنعني عن الخروج إلاّ بناتِي والحَدَبُ[2] عليهن حين سَمعتُ عِمران بنَ حِطّان يقول:

لقـد زاد الحيـاةَ إلـيَّ حُبّـاً ... بنـاتـي إنّهـن مـن الضِّعـافِ
ولـولا ذاك قـد سَـوَّمـتُ مُهـري ... وفـي الـرَّحمـن للضُّعفـاء كـافِ

[١١٦/١٨] / قال: فجلس عِيسى يقرأ الأبياتَ ويبكي، ويقولُ: صدَقَ أخي، إنَّ في ذلك لعُذراً له، وإنَّ في الرحمن للضعفاء كافياً.

الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء

وقال هارون: أخذتُ من خَط أبي عَدْنان: أخبرني أبو ثَرْوان الخارجيّ، قال: سمعت أشياخَ الحيِّ يقولون:

اجتمعت الشعراء عند عَبْدِ الملك بن مروان فقال لهم: أبقِي أحدٌ أشعر منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل: كَذَبوا يا أمير المؤمنين، قد بَقِيَ من هو أشعر منهم، قال: ومن هو؟ قال عِمرانُ بن حِطّان، قال: وكيف صار أشعرَ منهم؟ قال: لأنه قال وهو صادق ففاتهم، فكيف لو كذَب كما كذَبوا!.

الحجاج يتحصن من غزالة الحرورية وعمران يتهكم عليه

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن محمد بن عليّ بن حمزة الخراسانيّ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىء، عن الزُّهريّ، عن أبيه:

أنّ غَزالة الحَرُوريّة[3]، لما دَخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة، تحصّن منها وأغلق عليه قَصره، فكتب إليه عِمران بنُ حِطّان، وقد كان الحجاج لجّ في طَلَبه، قال:

أسـدٌ علـيَّ وفـي الحـروبِ نَعـامـةٌ ... رَبـداءُ تَجْفُـلُ مـن صَفيـر الصافـرِ[4]
هـلاّ بَـرَزْتَ إلـى غَـزالـة فـي الـوغَـى ... بـل كـان قَلْبـك فـي جَنـاحـيْ طـائـرِ

(١) في هب، ب، «التجريد»: «أتزعم أن الخارجين على الهدى».
(٢) في ب، هب: «والحرب».
(٣) الحرورية: فرقة من الخوارج ينسبون إلى حروراء: قرية بقرب الكوفة، كان أول اجتماعهم بها وتعمقوا في أمر الدين حتى مرقوا منه.
(٤) ربداء: مقيمة. تجفل: تهرب.

صَـدَعـتْ غَـزالـةُ قلبَـه بفـوارسٍ ... تـركـتْ مـدابِـرَه كـأمْـس الـدَّابـر

ثم لَحِق بالشام فنزلَ على روْح بنِ زِنْباع.

[١١٧/١٨]

/ عمران يصير حروريًّا

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدَّثنا محمد بن خالد أبو حَرب، قال: حدثنا محمد بنُ عبّاد المهلبيُّ، قال: حدثنا جريرُ بن حازم، قال:

كان عِمرانُ بنُ حِطّان أشدّ الناس خُصومة للحَروريّة حتى لقيه أعرابيٌّ حَروريّ فخاصَمهُ فخصمه فصار عِمرانُ حَرُوريًّا، ورجع عن رأيه.

قال جريرُ بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسنَ بنا ابنُ حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذْنا فيه، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا؛ يعني لجوْدة شعره.

لا يقول أحد من الشعراء شعراً إلا نسب إليه لشهرته

نسختُ من كِتاب ابن سَعْد قال: أخبرني الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ، قال: أخبرني أحمد / بنُ عَبدِ الله بن سُوَيد بن مَنْجوف السَّدُوسيّ، قال: أخبرني أحمد بن مُؤَرِّج، عن أبيه قال: حدثني به تَمِيمُ بنُ سَوادَة، وهو ابن أخت مُؤَرِّج، قال: حدثني أبو العَوّام السَّدُوسِيّ، قال: [١٥٦/١٦]

كان مالك المذموم[١] رجلاً من بَني عامر بن ذُهْل، وكان منَ الخَوارِج، وكان الحَجّاج يَطلبُه. قال أبو العَوّام: فدخلتُ عليه يوماً وهو في تَوارِيه، فأنشدني يقول:

ألـم يـأنِ لـي يـا قَلـبُ أن أتْـركَ الصِّبـا ... وأن أزجـرَ النفـسَ اللَّجُـوجَ عـن الهَـوَى

ومـا عُـذرُ مَـنْ يَعمَـى وقـد شـاب رأسُـه ... ويُبصِـر أبـوابَ الضَّـلالـةِ والهُـدَى

ولـو قُسِـم الـذَّنـبُ الـذي قـد أصبتُـه ... علـى النَّـاس خـاف النَّـاسُ كُلّهـم الـرَّدَى

فـإن جَـنَّ ليـلٌ كُنـتُ بـاللَّيـل نـائمـاً[٢] ... وأُصبِـح بَطَّـالَ العَشِيَّـاتِ والضُّحَـى

قال: فلما فَرَغَ من إنشادها قال: سيَغْلِبُني عليها صاحبُكم، يعني عِمرانَ بنَ حِطّان، فكان كذلك، لمّا شاعَت رَواها الناسُ لِعمران، وكان لا يقول أحَدٌ من الشُّعراء شِعْراً إلاّ نُسِب إليه لشُهرته إلاّ مَنْ كان مِثلَه في الشُّهرة مثل قَطَرِيّ / وعَمْرو القَنَا[٣] وذَوِيهِما، قال: ثم هرب إلى اليَمامة من الحَجّاج، فنزل بحَجْر، فأتاه آلُ حُكّام الحَنَفِيّون[٤]، فقال: [١١٨/١٨]

طَيَّـرونـي مـن البـلاد وقـالـوا ... مـالَـكَ النِّصـفُ[٥] مـن بنـي حَكّـامِ

نـاقَ سِيـري قـد جَـدّ جَـدّ حَقّـاً[٦] بنـا الـسَّـيـ ... ـرُ وكـونـي جَـوّالـةً فـي الـزِّمـامِ

(١) في بيروت: المزموم. وفي ب: المرموم.
(٢) في هب: «. . . كنت بالليل قائماً». وفي ب، بيروت: «وإن جن ليل كان بالليل نائماً».
(٣) في ب: «عمرو الغناء».
(٤) في ب: «فأداه إلى بني حكام الحنفيون»، تحريف.
(٥) النصف «بكسر النون وتفتح وتضم»: اسم بمعنى الإنصاف.
(٦) في ب: قد جد خفياً.

فمَتَى تَعْلَقِي[١] يَدَ المَلِكِ الأَسْوَدِ تَسْتَيْقِنِي بأَلاَّ تُضامِي
قد أَرانِي ولِي من الحاكم النِّصْفُ بحَدِّ السِّنانِ أو بالحُسامِ

قال: والملك الأسود إبراهيم بن عربيّ وَالِي اليَمامَةِ لِعَبْد المَلِك، وكان ابنُ حَكّام على شُرْطته قال:

ومُنِينا بطِمْطِمٍ[٢] حَبَشِيٍّ حالِكِ الوَجْنَتَيْنِ من آلِ حامِ
لا يُبالِي إذا تَضَلَّعَ خَمْراً أَبِحِلٍّ رَماكَ أم بِحَرامِ[٣]

قال العَنَزِيّ: فأخبرني مُحمد بنُ إدريس بن سُليمان بنِ أبي حَفْصَة، عن أبيه، قال: كان مالكٌ المذمومُ من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذاتَ ليلة فسَمِعَتْ قراءته امرأةٌ من آل حَكّام[٤] فرمَت بنفسها من فوق سَطْح كانتْ عليه، فسَمِع الصوتَ أهلُها، فأتَوْه فضربوه ضربات، فاستَعْدى عليهم إبراهيم بنَ عَرَبيّ، وكان عبدُ الله / بن حَكّام على شُرْطَته فلم يُعدِه[٥] عليهم، فهجاه بالأبيات الماضية، وهَجاه بقَصِيدته التي أوَّلُها: [١١٩/١٨]

دارَ سَلْمَى بالجِزْعِ ذِي الآطامِ خَبِّرِينا سُقِيتِ صَوبَ الغَمامِ

وهي طَوِيلة ينسبونها أيضاً إلى عِمْران بنِ حِطّان.

الفرزدق يعترف بتفوقه ونبوغه

أخبرني أحمدُ بنُ الحسين الأصْبهانيُّ ابنُ عَمّي قال: حَدَّثني أبو جَعْفر بن رُسْتم الطَبَريُّ النَّحوِيّ، قال: حدثنا أبو عُثمان المازِنِيُّ، قال: حدّثنا عمرو بن مُرّة[٦]، قال:

مرَّ عِمران بن حِطّان على الفرزْدَقِ وهو يُنشد والناس حَولَه، فوقَف عليه، ثم قال:

أيُّها المادِحُ العِبادَ لِيُعْطَى إنَّ لله ما بأَيْدِي العِبادِ
فاسأَلِ اللهَ ما طلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوّادِ
/ لا تقُل في الجَواد ما ليس فيه وتُسمِّي البخِيلَ باسم الجَواد [١٥٧/١٦]

فقال الفرزدق: لولا أنَّ الله عز وجل شَغَل عنا هذا برأيه لَلَقِينا منه شرًّا.

مسلمة بن عبد الملك يبكيه شعر لعمران

وقال هارون بن الزَّيّات: أخبرني عبدُ الرحمن بن موسى الرَّقّيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ محمد بنِ حُمَيْد بن سُلَيْمان بن حَفْص بن عبد الله بن أبي جَهْم بن حُذَيْفة بن غانم العَدوِيّ[٧]، قال: حدثنا يَزِيدُ بنُ مرة، عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى عن عِيسَى بن يَزِيد بن بَكر المدنيّ، قال:

اجتمع عند مَسْلَمة بنِ عبد الملك ناسٌ من سُمّاه، فيهم عبدُ الله بنُ عبد الأعلى الشّاعر، فقال مَسْلَمَة: أيُّ بَيْت

(١) في ب: «تلقني». وفي هب: «نلتقي»، وسقط البيت الثاني منها.
(٢) رجل طمطم كزبرج: في لسانه عجمة.
(٣) تضلع: امتلأ. وفي ف، بيروت: «بحلال رماك...».
(٤) في ب: «من آل حام».
(٥) لم يعده: لم ينصره.
(٦) في ب، هب: «عمرو بن ترمذة».
(٧) في ب: «... بن سديفة بن هاشم العدوي» بدلاً من «حذيفة بن غانم العدوي».

قالتْه العربُ أوعظُ وأحكَم؟ فقال له عبد الله قوله:

صَبا ما صبَا حتى عَلاَ الشَّيبُ رأسَه ... فلما علاه قال لِلْباطل ابْعُد

/ فقال مَسلَمةُ: إنّه والله ما وَعَظني شِعْرٌ قَطّ كما وَعَظني شِعْرُ ابن حِطّان حَيْث يقول: [١٢٠/١٨]

فيُوشِكُ يَومٌ أن يُقارِنَ لَيلَةً ... يَسوقانِ حَتْفاً راح نَحْوك أو غَدا

فقال بَعضُ مَنْ حضر: واللهِ لقد سَمِعتُه أَجّل الموتَ ثم أفناه، وما صنَع هذا غيرُه، فقال مَسلَمة: وكَيْف ذاك؟ قال: قال:

لا يُعجِزُ المَوتَ شيءٌ دُونَ خالِقِه ... والموتُ فانٍ إذا ما نالَه الأَجَلُ

وكُلُّ كَرْبٍ أمامَ المَوتِ مُنْقَضِعٌ ... للموت، والمَوتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ

فبكى مَسلَمةُ حتى اخضلّت لِحيَتُه، ثم قال: رَدِّدهما عليّ، فردَّدَهما عليه حتى حَفِظَهما.

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ، قال: حدثنا مَنِيع بنُ أحمد بنُ مؤرِّج السَّدُوسيّ، عن أبيه، عن جَدّه، قال:

تزوج عِمرانُ بن حِطّان حمزةَ بنتَ عمه ليردّها عن مَذهَب الشُّراية، فذهَبت به إلى رأيهم، فجعل يقول فيها الشعر، فمِمّا قال فيها:

يا حَمزَ إنّي على ما كان من خُلقِي ... مُثْنٍ بخَلاّتِ صِدْقٍ كُلُّها فيكِ

اللهُ يعلَم أنّي لم أقُل كَذِباً ... فيما عَلِمْتُ وأنّي لا أُزَكّيكِ

امرأته تتهمه بالكذب في شعره فيرد اتهامها

أخبرني الحَسَن، قال: حدثنا محمدُ بنُ مُوسَى، وحدثني بعضُ أصحابنا، عن العُمَريّ، عن الهَيْثم بن عديّ:

أنّ امرأةَ عِمران بنِ حِطّان قالت له: ألم تزعم أنّك لا تَكْذِب في شعرك؟ قال: بلى، قالت: أفرأيتَ قولَك:

وكذاك مَجْزاَةُ بنُ ثَوْ ... رٍ كان أشجعَ من أسامَة

أيكون رجل أشْجَعَ من الأسد؟ قال: نعم، إنّ مجزاةَ بنَ ثَوْر فَتَح مَدِينةَ كذا، والأسد لا يَقدِر على فَتْح مَدِينة.

/ صوت

[١٢١/١٨]

نَديمِيَّ قد خَفَّ الشَّرابُ ولم أجِد ... له سَوْرَةً في عَظْم رأسي ولا جِلْدِي

نَدِيميَّ هذِي غِبُّهُم فاشرَبا بها ... ولا خيرَ في شُرْبٍ يكون على صَرْدِ[١]

الشعر لعُمار بنِ الوليد بنِ المُغيرة المَخزُوميّ، والغناء لابنِ سُرَيج خفيف ثقيل.

(١) سقاه الخمر صرداً، أي صِرْفاً. وفي ف، بيروت: «على حرد».

/ أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

[١٢٢/١٨]
١٥٨
١٦

نسبه

عُمارة بنُ الوليد، بن المُغيرة، بنِ عبد الله، بن مَخزُوم، بن يَقَظة، بن مَرّة، بن كعب، بن لؤيّ، بن غالب، وهو أحدُ أزْواد الرَّكْب[١]، ويقال له الوحيد، وكان أزوادُ الرَّكْب لا يمُرُّ عليهم أحد إلا قَروْه وأحْسَنُوا ضيافته، وزَوَّدُوه ما يحتاج إليه لسفَرِه، وكان عمارة بنُ الوَليد فَخُوراً مِعَنًّا[٢] مُتعرِّضاً لكل ذي عارِضة من قُرَيش، فأخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ شَبيب، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، عن الحزاميّ، قال:

مرّ عُمارة بنُ الوَليد بمُسافرِ بن عَمْرو، فوقَفَ عليه وهو مُنْتشٍ، فقال:

خُلِق البِيضُ الحِسان لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِراً كُنّا أحقّ به ... حين صِيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ

فأجابه مُسافِرُ بنُ عَمْرو بن أُميّة، فقال:

أعمارَ بنَ الوليد لقد ... يذْكُر الشّاعِر مَنْ ذَكَره[٣]
هل أخو كأسٍ مُخفّفُها ... ومُوَقّ صَحبَه سَكَرَهْ
ومُحَيّيهم إذا شَرِبُوا ... ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِياد الرَّيْطِ والحَبَرهْ
كابراً كُنّا أحقّ به ... كلُّ حيٍّ تابعٌ أثَرَهْ

يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته على تركه

[١٢٣/١٨] أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيُّ، قال: حدّثنا العُمَريُّ، عن الهَيْثم بن عَديّ / عن حمّاد الراوية: أنَّ عُمارة بن الوَليد خَطَب امرأةً من قَوْمه فقالت: لا أتزَوَّجُك أو تترُك الشّراب والزّنا، قال: أما الزّنا فأتركه، وأما الشّراب فلا أتركه ولا أستطيع. ثم اشتدّ وجدُه بها فحلف ألاّ يشرب، فتزوجها ومكث حيناً لا يشرب، ثم إنه لبِس ذات يوم حُلَّته وركب ناقته وخرج يسير، فمر بخمّار وعنده شَرْبٌ يشربون، فدعَوْه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندَهم، فقال للخمّار: أطعِمْهم ويلك، فقال: ليس عندي شيء، فنحر لهم ناقته، فأكلوا منها، فقال: اسقِهم، ولم يكن معهم شيء يشربون به، فسقاهم ببُردته، ومكثوا أياماً ذوات عدد، ثم خرج فأتى أهله، فلما رأته امرأته،

(١) في «القاموس» (زود): أزواد الركب: مسافر بن أبي عمرو، وزمعة بن الأسود، وأبو أمية بن المغيرة؛ لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر، يطعمونه ويكفونه الزاد.

(٢) المعن: من يدخل فيما لا يعنيه ويعرض في كل شيء. وفي «المختار»: «متعرضاً لكل من عارضه من قريش». وفي ف: معياً. وفي بيروت: معيباً.

(٣) ف، «المختار»، بيروت: «يذكر الإنسان من ذكره».

قالت له: ألم تحلف ألاّ تشرب؟ ولامته، فقال:

ولسنا بشَرْبٍ أُمَّ عمرو[1] إذا انتشَوْا ... ثيابُ النَّدامَى عندهم كالغنائِمِ
ولكنَّنا يا أُمَّ عَمْرٍو نديمُنا ... بمنزلة الرّيّان ليس بعائِمِ
أسرّكِ لما صرّع القومَ نشوةٌ ... أنْ أخرُجَ منها سالماً غير غارِمِ
خَلِيًّا كأنّي لم أكن كُنتُ فيهِمُ ... وليس الخِداعُ مُرتضًى في التّنادِمِ

ملاحاة بينه وبين عمرو بن العاص

[أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم، قال: حدثني عمي: أحمد بن جعفر، عن ابن دأب، قال:

قدم رجل من تجار الروم بحُلّة من لباس قيصر على أهل مكة، فأتى بها عمارةَ بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، فعرضها عليه بمائة حِقّ من الإبل، فاستغلاها، فأتى بها عمرو بن العاص، فقال له: هل أتيت بها أحداً؟ قال: نعم، عُمارة بن الوليد فاستغلاها وقال: لن تعدم لها غَوِيًّا من بني سهم، قال: قد أخذتها، فاشتراها بمائة حِقّ، يعني مائة بعير، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم، فناداه عمارة: أتبيع الحُلّة يا عمرو؟ فغضب والتفت إلى عمارة، فقال:

[١٨/١٢٤]

/ عليكَ بجزّ رأس أبيك إنّا ... كفيناك المُسَهَّمةَ[2] الرِّقاقا
زوَوْها[3] عنكُم وغَلَتْ عليكم ... وأعطينا بها مائةً حِقاقا
وقلتم: لا نطيق ثيابَ سَهْمٍ ... وكلٌّ سوف يَلبَس ما أطاقا

قال: فغضب عمارة وقال: يا عمرو، ما هذا التهوّر؟ إنك لستَ بعتبةَ بن ربيعة، ولا بأبي سفيان بن حرب، ولا الوليد بن المغيرة، ولا سُهَيْل بن عمر، ولا أُبيّ بن خلف، فقال عمرو: إلاّ أكن بَعضهم فإن كلَّ واحد منهم خيرُ ما فيه فيّ: من عُتبةَ حلمُه، ومن أبي سفيان رأيُه، ومن سُهَيل جودُه، ومن أُبَيّ بن خلف نجدَتُه، وأما الوليد فوالله ما أحب أنّ فيّ كلَّ ما فيه من خير وشر، ولكنك والله مالكَ عَقلُ الوليد، ولا بأسُ الحارث بن هشام وخالد بن الوليد، ولا لِسانُ أبي الحكم، يعني أبا جهل. وانصرف، فأمر عُمارة بجزور فنُحِرت على طريق عمرو، وأقبل عمرو فقال: لمَنْ هذه الجزور؟ قيل: لعمارة، فقال له: أطعِمنا منها يا عُمارة، فضحك منه، ثم قال:

عليك بجَزْرِ أيرِ أبيك إنّا ... كفيناك المُشَاشةَ والعُراقَا[4]
ومَنسَبةَ الأطايب من قريشٍ ... ولم تَرَ كأسَنا إلاّ دِهاقا
ونلبس في الحوادث كلَّ زَغْفٍ[5] ... وعند الأمن أبْراداً رِقاقا

فوقع الشرُّ بينهم، فقال عمرو:

(١) في ب، ما: «أم عوف».
(٢) سهّم الثوب وغيره: صور فيه سهاماً، فهو مسهم.
(٣) زووها عنكم: صرفوها ونحّوها.
(٤) المشاشة: رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه. والعراق: العظم أكل لحمه.
(٥) الزغف: الدرع الواسعة الطويلة.

لعَمْـــرُ أبيـــك والأخبـــار تَنْمِـــي ... لقـــد هَيَّجْتَنـــي يـــابـــنَ الـــوليـــدِ
فـــلا تعجـــل عُمـــارةُ إنّ سَهْمـــاً ... لمخـــزوم بـــن يَقْظـــةَ فـــي العـــديـــدِ
وأوردْ يـــا عُمـــارة إنَّ عـــودِي ... مـــن أعـــواد الأبـــاطـــحِ خيـــرُ عـــودِ

[١٨/١٢٥] / فأجابه عُمارة، فقال:

ألا يـــا عمـــرو هـــل لـــك فـــي قُـــريـــشٍ ... أبٌ مثـــلُ المُغيـــرة والـــوليـــدِ
وجَـــدٌّ مثـــلُ عبـــدِ الله يَنْمِـــي ... إلـــى عمـــرِو بـــن مخـــزومٍ بِعُـــودِ
إذا مـــا عُـــدَّت الأعـــواد نَبْعـــاً ... فَمـــالِـــي فـــي الأبـــاطـــح مـــن نَـــديـــدِ
وقـــد عَلِمـــتْ سَـــراةُ بنـــي لُـــؤَيٍّ ... بـــأنّـــي غيـــرُ مـــؤتَشِـــبٍ زهيـــدِ
وإنـــي للمُنـــابـــذِ مـــن قـــريـــشٍ ... شَجـــاً فـــي الحَلْـــق مـــن دون الـــوريـــدِ
أحـــوطُ ذِمـــارَهـــم[١] وأكـــفُّ عنهـــم ... وأصبـــر فـــي وَغَـــا اليـــوم الشَّـــديـــدِ
وأبـــذُل مـــا يضِـــنّ بـــه رِجـــالٌ ... وتُطعِمُنـــي المـــروءةُ فـــي المـــزيـــدِ
وإنـــك مـــن بنـــي سَهْـــمِ بـــنِ عَمـــرو ... مكـــان الـــرُّدْفِ مـــن عَجُـــزِ القَعـــودِ
وكـــان أبـــوك جَـــزَّاراً... وكـــانـــت ... لـــه فـــأس وقِـــدْرٌ مـــن حـــديـــدِ[٢]]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ، عن العُمَريّ، عن أبي عَوانةَ، عن عبد الملك بن عمير، أنّ عمر بن الخطاب قَسَم بروداً في المهاجرين.

عمر بن الخطاب يتمثل بشعره

قال العَمَرِيّ: هكذا ذكر أبو عَوانةَ، وقد حدثني الهيثَم، عن أبي يعقوب الثّقفيّ، عن عبد الملك بن عُمير، قال: أخبرني مَنْ شهد ذلك:

أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ بعث إلى عمر بن الخطاب بِحُلَل من اليمن، فقال عمر: عليّ بالمحمَّدين، فأُتي بمحمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن طلحة بن عُبيْد الله، ومحمد بن / عمرو بن حزم، ومحمد بن حاطب بن أبي بَلْتعة، ومحمد بن حطّاب[٣] أخي حاطب، وكلهم سمَّاه النبي ﷺ محمداً، فأقبلوا، فاطّلع محمد بن حطّاب[٤] / فيها، فقال له عمر: يا شيبة معمر ـ يعني عمًّا له قتل يوم بدر ـ اكفف، وكان زيد بن ثابت الأنصاريّ عنده، فقال له عمر: أعطهم حُلَّةً حُلَّة، فنظر إلى أفضلها، وكانت أُمّ أحدهم عنده، فقال عمر: ما هذا؟ فقال: هذه لفلان، الذي هو ربيبه، فقال عمر: اردُدْه، وتمثل بقول عُمار بن الوليد:

[١٥٩/١٦] [١٨/١٢٦]

أســـرَّك لمّـــا صـــرَّع القـــومَ نشـــوةٌ ... أن أخـــرُجَ منهـــا ســـالمـــاً غيـــرَ غـــارمِ
خَلِيّـــا كـــأنّـــي لـــم أكـــن كنـــت فيهـــمُ ... وليـــس الخِـــداعُ مُـــرتضًـــى فـــي التّـــنـــادِمِ[٥]

(١) أحوط ذمارهم: أحفظ ما يلزمني حفظه والدفاع عنه.
(٢ ـ ٢) انفردت نسخة ف بهذا الخبر من ص ١٢٣ ـ ١٢٥ طبعة دار الكتب.
(٣) في ب: «محمد بن حاطب».
(٤) في ب: «فاطلع على محمد بن حطاب»، تصحيف.
(٥) في ما: «وليس الخداع مرتضى في التراتم».

وقال أبو عَوانة: . . . . . من تصافي التنادم.

ثم أمر بالبرود فغُطِّيت بثوب، ثم خَلَطها[١]، ثم قال: لِيُدْخِلْ كلُّ امرىءٍ يدَه فليأخذ حُلّته وما قُسِم له.

/ صوت

[١٨/١٢٧]

قـــد يجمــــعُ المـــالَ غيـــرُ آكِلِــه ويـــأكـــلُ المـــالَ غيـــرُ مـــن جَمعَـــهْ
فـــاقبَـــلْ مـــن الـــدّهـــر مـــا أتـــاك بـــه مَـــنْ قـــرَّ عينـــاً بعيشـــه نَفَعَـــهْ
لكـــلِّ هـــمٍّ مـــن الهمـــوم سَعَـــةْ والصُّبـــح والمُسْـــيُ لا فـــلاحَ معـــه[٢]

الشعر للأضبط بن قُرَيْع، والغناء لأحمد بن يحيى المكّي، ثقيل أول بالسَّبابة في مجرى البنصر من روايته، وسمعناه يغني في طريقة خفيف رمل، فسألت عنه ذُكاء وجه الرّزّة، فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكيّ في هذه الطريقة، ولم يعرف صانعَه ولا سأل عنه.



(١) في ب، س، بيروت: خللها.

(٢) في ف، «المختار»: «لا بقاء معه».

[١٢٨/١٨]

/ أخبار الأضبط ونسبه

كان الأضبط مفركاً

أخبرني جَعفرُ بنُ قُدامة قال: حدثني عبدُ الله بنُ طاهر، قال: قال أبو مُحلِّم: أخبرني ضِرار[١] بن عيينة، أحد بني عبد شمس، قال:

كان الأَضبطُ بن قُرَيْع مُفَرَّكاً[٢]، وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف، ثم قال:

أنـا الـذي تفـرُكُـه حـلائلُـهْ ... ألا فتـى مُعشَّـقٌ أُنـازلُـهْ!

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرْك الأضبط، فأَجْمَعن أن ذلك لأنه بارد الكَمَرة، فقالت لإحداهنّ خالتُها: أتعجز إحداكنّ إذا كانت ليلتُه منها أن تُسخن كمرته بشيء من دُهن؟ فلما سمع قولَها صاح: يا آل عوف، يا آل عوف، فثار الناس وظنوا أنه قد أُتِي، فقال: أوصيكم بأن تُسخِنوا الكمرة فإنه لا حُظْوة لبارد الكمرة، فانصرفوا يضحكون، وقالوا: تبًّا لك، ألهذا دعوتَنا!.

شعره فيمن خالفوه

قال أبو مُحلِّم: كانت أُمُّ الأضبط عَجِيبة[٣] بنت دارم بن مالك بن حنظلة، وخالته الطَّموح[٤] بنت دارِم أم جُشَم وعبشمس[٥] ابني كعب بن سعد، فحارب بنو الطَّموح قوماً من بني سعد، فجعل الأضبط يدُسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرّح بنُصرتهم خوفاً من أن يتحزَّب قومه حزبين معه وعليه، وكان يشير عليهم / بالرأي فإذا [١٢٩/١٨] أبرمه نقضوه وخالفوا عليه، وأَرَوْه مع ذلك أنهم على رأيه، فقال في ذلك:

[١٦٠/١٦]

/ لكـلِّ هَـمٍّ مـن الهُمـوم سَعَـهْ ... والمُسْـيُ والصُّبـح لا فـلاحَ معـه[٦]

لا تحقِـرنَّ الفقيـرَ علَّـك أن ... تـركـع يـومـاً والـدهـرُ قـد رَفعـهْ[٧]

وصِـلْ حِبـال البعيـد إن وَصَـلَ الـحبْـل وأَقْـصِ القـريـبُ إن قطعـهْ

قـد يجمـع المـالَ غيـرُ آكِلِـه ... ويـأكـل المـالَ غيـرُ مَـنْ جَمعـهْ

(١) في ف، بيروت: صبار.
(٢) المفرك: المتروك المبغض.
(٣) في ب، هب، «المختار»: عجبة.
(٤) في ب، هب: الطم بنت دارم.
(٥) في ف، بيروت: «... بن جشم وعبد شمس».
(٦) صدر البيت في «الشعر والشعراء» ٢٢٦، ط ليدن: «يا قوم من عاذري من الخدعة». وفي «الخزانة» ٤ ـ ٥٩١: «لكل ضيق من الأمور سعه»، وفي «المختار»: «لا بقاء معه» بدل: «لا فلاح معه».
(٧) في «الشعر والشعراء» ٢٢٦: «لا تهين الفقير... أن تخشع».

مـا بـال مَـنْ غَيُّـه مُصيبُـك لا | يملـك شيئـاً مـن أمـره وَزعـهْ[١]
حتـى إذا مـا انجلَـتْ غَـوايتُـه | أقبـل يَلحَـى وغيُّـه فجعـهْ
أذودُ عـن نفسـه ويخـدَعُنـي | يـا قـوم مَـنْ عـاذري مـن الخُـدَعَـهْ
فـاقْبَـلْ مـن الـدّهـر مـا أتـاك بـه[٢] | مَـنْ قـرَّ عينـاً بعيشـه نفعـهْ

نشوز امرأته عليه وشعره في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الخراز عن المدائنيّ، قال:

كان الأضبطُ بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة، فنَشزَت عليه، ففارقها ولم يعطِها ما كان ضمِن لها، فلما احتملت أنشأ يقول:

ألـم تَـرَهـا بـانـت بغيـر وصيفـةٍ | إذا مـا الغـوانـي صـاحبتها الـوَصـائِـفُ
ولكنهـا بـانـت شَمـوسٌ بَـرِزَّـةٌ | مُنعَّمـةُ الأخـلاق حـدبـاءُ شـارفُ
لـو أنّ رسـولَ اللّهـوِ سلّـم واقِفـاً | عليهـا لـرامـتْ وَصلَـه وهـو واقـفُ

[١٨/١٣٠] / أبو عبيدة وخلف لا يعرفان إلا بيتاً وعجز بيت من قصيدة له

أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعيد[٣]، قال:

حدثنا الجمّاز، قال: أنشدت أبا عبيدة وخَلَفاً الأحمر شِعر الأضبط:

وصِـلْ حبـال البعيـدِ إن وصـل الحبـ | ـل وأقْـصِ القـريـبَ إنْ قطعـهْ

فما عرفا منه إلا بيتاً وعجز بيت، فالبيت الذي عرفاه:

فـاقبـل مـن الـدّهـر ما أتـاك بـه | ....

والعجز:

* يا قوم مَنْ عاذِري من الخُدَعَهْ *

والخدعة: قوم من بني سعْد[٤] بنِ زيْد مناة بنِ تميم.

[١٨/١٣١] / صـوت

ومـا أنـا فـي أمـري ولا فـي خصـومتـي | بمُهْتَضَـمٍ حقّـي ولا قـارع سِنّـي[٥]
ولا مُسلِـمٍ مـولاي عنـد جنـايـةٍ | ولا خـائـفٍ مـولاي مـن شرِّ مـا أجْنِـي

الشعر لأعشى بني ربيعة، والغناءُ لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

(١) وزعه: كفه.
(٢) في «سمط اللآلي» ١/٣٢٦: «واقنع من الدهر...».
(٣) في ب: سعيد. وفي هب: ابن سعد.
(٤) في «سمط اللآلي» ١ ـ ٣٢٧: قوم من سعد....
(٥) ف: «قرني». وفي «سمط اللآلي» ٩٠٦: «ولا سالم قرني».

[١٨/١٣٢]

/ أخبار الأعشى ونسبه

نسبه

الأعشى اسمه عبدُ الله بنُ خارجةَ بن حبيب بن قيس بنِ عَمْرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة الحُصَين بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بين جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، وكان مَرْوانِيّ المذهب، شديد التعصب لبني أمية.

قدومه على عبد الملك

أخبرني محمدُ بن العباسِ اليَزيديّ قال: حدثنا عمّي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيبَ[١]، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عمه العباس بن هشام، عن أبيه، قالا:

قدِم أعشَى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبدُ الملك: ما الذي بَقِي منك؟ قال: أنا الذي أقول:

[١٦١/١٦]

/ وما أنا في أمري ولا في خُصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي

ولا مُسلمٍ مَولايَ عند جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاي من شر ما أجني

وإن فُؤادي بين جَنبيّ عالمٌ ... بما أبصرت عَيني وما سَمِعَت أُذُني

وفضّلني في الشِّعر واللُّبِّ أنّني ... أقولُ على عِلمٍ وأعرِفُ مَن أعْني

فأصبحتُ إذ فَضَّلتُ مروانَ وابنَه ... على الناسِ قد فَضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

[١٨/١٣٣]

فقال عبد الملك: مَنْ يلومني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تُخوت / ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعه ألفَ جَريب[٢]، وقال له: امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، وأجرى له على ثلاثين عَيّلاً[٣] فأتى زَيداً فقال له: ائتِني غداً، فأتاه فجعل يردِّده، فقال له:

يا زيدُ يا فداكَ كُلُّ كاتِبِ ... في الناسِ بين حاضرٍ وغائبِ

هل لك في حَقٍّ عليكَ واجبِ ... في مثله يرغب كُلُّ راغِبِ

وأنتَ عَفٌّ طَيِّبُ المكاسِبِ ... مُبَرّأً من عَيْبِ كلّ عائبِ

ولستَ - إن كفَيْتَني[٤] وصاحِبي ... طُولَ غُدُوٍّ ورَواحٍ دائبِ

(١) وحبيب أمه، وانظر «تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه».

(٢) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع.

(٣) عيل الرجل: أهل بيته الذين يتكفل بهم من أزواج وأولاد وأتباع.

(٤) في ف: كلفتني.

وشِدَّةَ البابِ(١) وعُنفَ الحاجِبِ ... من نِعمةٍ أسدَيتَها بخائبِ

فأبطأ عليه زيد، فأتى سُفيان بنَ الأبْرد الكلبيّ، فكلّمه سُفيانُ فأبطأ عليه، فعاد إلى سفيان، فقال له:

عُدْ إذ بدأتَ أبا يَحيى فأنت لَها ... ولا تكُن حين هابَ النَّاسُ هيّابا(٢)

واشفَع شفاعةَ أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فإنَّ من شُفَعاءِ النَّاسِ أذنابا

فأتى سُفيانُ زيداً الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته.

يحث عبد الملك على الخروج لمحاربة ابن الزبير

قال محمد بن حبيبَ: دخل أعشى بني أبي ربيعة(٣) على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يَجِدّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك مُتَلوِّماً يُنهِضُك الحَزم ويُقعِدك العَزمُ، وتَهُم بالإقدام وتَجْنَح إلى الإحجام، انفذْ لِبَصيرتك / وأمضِ رَأيَك، وتوجَّهْ إلى عَدُوّك، فجَدُّك مُقبِل، وجَدُّه مُدبِر، وأصحابُه له ماقِتُون، ونحن لك مُحِبّون، وكلمتُهم مُفتَرِقَة، وكَلِمَتُنا عليك مُجتَمِعة، واللهِ ما تُؤتَى من ضَعْف جَنان، ولا قِلّة أعْوان، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً فقال: هاتِها، فإنك تنطق بلسان وَدُود وقَلْب ناصح، فقال: [١٨/١٣٤]

آلُ الزُّبَير من الخلافة كالّتي ... عَجِلَ النِّتاجُ بحَملها فأحالَها

أو كالضِّعاف من الحَمولة حُمِّلَت ... ما لا تُطِيق فضَيَّعت أحمالَها

قُوموا إليهم لا تَناموا عنهمُ ... كَم للغُواةِ أطَلْتُموا إمْهالَها(٤)

إنَّ الخلافةَ فيكُم لا فيهمُ ... ما زِلتُمُ أركانَها وثِمالَها(٥)

أمسَوا على الخيرات قُفْلاً مغلقاً(٦) ... فانهض بيُمنِك فافتَتِحْ أقفالَها

فضحك عبدُ الملك، وقال: صدقتَ يا أبا عبد الله، إنّ أبا خُبَيب لَقُفلٌ دون كل خير، ولا نَتأخّر عن مُناجَزته إن شاء الله، ونستعين الله عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأمر له بصلة سنية.

جفاء الحجاج ثم سر بكلامه

/ قال ابن حبيب: كان الحجّاج قد جَفا الأعشَى واطّرَحه لِحالة كانت عند بشر بنِ مروان، فلما فرغ الحَجّاج من حرب الجماجم ذكر فتنةَ ابن الأشعث، وجعل يوبِّخ أهلَ العراق، ويؤنّبهم، فقال مَنْ حَضَر من أهل البصرة: إنّ الرَّيبَ والفتنة بدأ من أهل الكوفة، وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية، فقال أهل الكوفة: لا، بل أهلُ البصرة أوّلُ مَنْ أظهر المعصية مع جرير بن هِميان السّدوسيّ، إذ جاء مخالفاً من السِّند(٧). وأكثروا من ذلك، فقام [١٦٢/١٦]

(١) في ف: وشدة الباب.
(٢) في ب: «... ولا تكن من كلام الناس هياباً».
(٣) في أ، ف: «أعشى بني ربيعة»، ويقال له أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار، وأعشى بني أبي ربيعة نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان».
(٤) في ف: إهمالها.
(٥) ثمالها: غياثها.
(٦) في ف: موثقاً.
(٧) في ب: «إذ جاء من الهند».

[١٨/١٣٥] أعشى بني أبي ربيعة، فقال: أصلح اللهُ الأميرَ / لا بَراءَة من ذنب، ولا ادِّعاء على الله في عصمة لأحد من المِصْرَيْن، قد والله اجتهدوا جميعاً في قِتالِك، فأَبى اللهُ إلاَّ نَصْرَك؛ ذلك أنهم جَزِعوا وصَبرتَ، وكفروا وشكَرْتَ، وغَفرْتَ إذ قَدَرْتَ، فوَسِعَهم عَفوُ الله وعَفوُكَ فنجَوْا، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا، فسُرَّ الحَجَّاجُ بكلامه وقال له جميلاً، وقال: تهيَّأْ للوِفادة إلى أمير المؤمنين حتى يَسْمع هذا منك شِفاهاً، انتهى.

اعتذاره للحجاج من رثائه عبد الله بن الجارود

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع، قال: حدثني حَمَّادُ بن إسحاق، عن أبيه، قال: بلغ الحَجَّاجَ أنَّ أعشَى بَني أبي ربيعة رَثى عبدَ الله بنَ الجارود، فغضب عليه، فقال يَعتذِر إليه:

أَبِيتُ كـأنِّـي مـن حِـذار ابـنِ يُـوسُـفٍ ... طَـريـدُ دَمٍ ضـاقـتْ عليـه المَسـالـكُ

ولــو غَيْــرُ حَجَّــاجٍ أراد ظُــلامَتـي ... حَمَتْنِـي مــن الضَّيْـم السُّيـوفُ الفـواتِـكُ

وفِتيــانُ صِــدْقٍ مــن ربيعــة قُصْــرةً ... إذا اختلَفَــت يــومَ اللِّقــاء النَّيــازِكُ[١]

يُحـامــون عــن أحسـابِهـم بِسيُـوفهـم ... وأرمـاحِهـم واليـومُ أسـودُ حـالـكُ

مدحه عبد الملك بن مروان

أخبرني أبو الحَسن الأسدِيّ، قال: حدثني أحمد بن عبدُ الله بنُ عليّ[٢] بن سُوَيْد بن مَنْجوف، عن ابن مُؤَرِّجٍ، عن أبيه، قال:

دخل أَعْشَى بَني أبي ربيعةَ على عَبْد الملك بن مروان، فأنشده قولَه:

رَأيتُــك أمــس خيــرَ بنــي معــدٍّ ... وأنــتَ اليــومَ خيــرٌ منــك أمــس

وأنــتَ غــداً تَــزيــدُ الضِّعــفَ ضِعفــاً ... كـذاكَ تـزيـد سـادةُ عَبْـدِ شَمْـسِ[٣]

[١٨/١٣٦] / فقال له: من أيِّ بَني أبي ربيعة أنتَ؟ قال: فقلتُ له: من بني أُمامة، قال: فإن أُمامةَ ولد[٤] رجلين: قيساً وحارثةَ، فأحدُهما نَجَم، والآخر خَمَل. فمن أيهما أنت؟ قال: قلتُ: أنا من وَلَد حارثة، وهو الذي كانت بَكْر بن وائل تَوَّجَتْه، قال: فقام بمِخصَرة[٥] في يده، فغَمَز بها في بَطْني، ثم قال: يا أخا بَني أبي ربيعة هَمُّوا ولم يفعلوا، فإذا حدَّثْتني فلا تكذِبْني، فجعلتُ له عَهْداً ألا أحدِّث قُرشيًا بكذبٍ أبداً.

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرني عمّي، قال: حدَّثنا ابنُ أبي سعْد، قال: حدَّثني أحمدُ بن الهَيْثم السُّلميّ[٦]، قال: حدثني أبو فراس محمد بن فراس، عن الكلبيّ، قال:

---

(١) يقال: فلان ابن عمه قصرة، أي قريب. والنيازك: الرماح القصيرة.

(٢) في ب: «حدثني عبد الله بن علي».

(٣) في «المؤتلف والمختلف» ١٠: «وأنت غداً تزيد الضعف خيراً». وبعده:

وتــاج الملــك ليــس يــزال فيهــم ... يُحــوَّل فــوق رأس كــل رأس

(٤) ف: ولدت رجلين.

(٥) المخصرة: ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب.

(٦) في هب، ب: الشامي.

أتى أعشَى بَني أبي ربيعة أسماءَ بن خارجة فامتدحه فأعْطاه وكَساه، فقال:

لأسماءُ بنُ خارجَة بنِ حِصْنٍ ... على عِبْءِ النَّوائبِ والغَرامَهْ
أقلُّ تعَلُّلاً يوماً وبُخْلاً ... على السُّؤال من كَعْبِ بنِ مامَهْ
ومَصْقَلةُ الذي يَبْتاع بَيْعاً ... رَبِيحاً فوق ناجِيةَ بنِ سامَهْ

قال الكلبيّ: جعل ناجيةَ رجلاً وهي امرأة؛ لضرورة الشعر.

مدحه سليمان بن عبد الملك

قال أبو فراس: فحدّثني / الكلبيّ، عن خِداش، قال: ١٦٣/١٦

دخل أعْشَى بَني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال:

أتَينا سُليمانَ الأميرَ نزورُه ... وكان امرأً يُحْبَى[1] ويُكرمُ زائرُهْ
/ إذا كُنتَ في النَّجْوى به مُتَفرِّداً ... فلا الجُودُ مُخْليه ولا البُخْلُ حاضِرُه[2] [١٨/١٣٧]
كلا شافِعَيْ[3] سُؤّالِهِ من ضميرِه ... على البُخْلِ ناهِيه وبالجود آمِرُه[4]

فأعطاه وأكرمه وأمر كُلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بصِلَته، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه.

[١٨/١٣٨]

/ صوت

نأتْك أُمامةُ إلاّ سُؤالاَ ... وإلاّ خيالاً يُوافي خَيالاَ
يُوافي مع الليل مِيعادُها ... ويأبى مع الصُّبح إلا زِيالاَ
فذلك يَبْذُل من وُدِّها ... ولو شَهِدَت لم تُواتِ النَّوالاَ
فقد رِيعَ قلبيَ إذْ أعلنُوا ... وقيلَ أجدَّ الخَليطُ احْتِمالاَ[5]

الشعر لعَمْرو بن قَمِيئة، والغِناء لِحُنَيْن خفيف رمَل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكيّ، وذكر الهِشاميّ وغيره أنه من مَنْحول يحيى إلى حنين.

---

(١) ف: يحيا.
(٢) في هب: ناصره.
(٣) في ب، س: فلا شافعي.
(٤) في شرح «ديوان الحماسة» ٤ ـ ٢٨٧: «عن الجهل ناهيه وبالحلم آمره».
(٥) في ب، س: الزيالا.

[١٣٩/١٨]

/ أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

نسبه

هو فيما ذكر أبو عَمْرو الشَّيبانيّ، عن أبي بَرْزَة: عمرُو بن قَمِيئة بن ذَرِيح بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعب بنِ عليّ بنِ بكر بن وائل بن قَاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

قال ابن الكَلْبِيّ: ليس من العرب مَنْ له وَلَدٌ، كُلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثَعْلبة بن عُكابة، فإنه وَلَدَ أَرْبَعَةً كُلٌّ واحد منهم قَبيلة: شَيْبان بن ثَعْلَبة، وهو أبو قَبيلة، وقَيْس بنُ ثَعْلبة، وهو أَبُو قَبِيلة، وذُهْل بن ثَعلبة وهو أبو قَبِيلة، (١) وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة(١).

وكان عَمْرو بن قَمِيئة من قُدماء الشعراء في الجاهلية، ويُقال: إنه أوّلُ مَنْ قال الشعر من نِزار، وهو أقدَم من امرىء القَيْس، ولَقِيه امرؤُ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قَيْصر لَمّا توجه إليه فمات معه في طريقه، وسَمَّتْه العربُ عَمْراً الضائع لموته في غُرْبة وفي غير أَرَب ولا مَطْلب.

بعض صفاته

نسختُ خبرَه من رِوايَتَي أبي عَمْرو الشَّيْبانِيّ، ومؤرِّج، وأخبرَني بِبَعْضه الحسنُ بنُ عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي سَعْد، عن ابن الكَلْبِيّ، فذكرتُ ذلك في مواضعه، ونَسبتُه إلى رُواته، قالوا جميعاً:

كان عَمْرُو بنُ قَمِيئة شاعراً فَحْلاً مُتَقدِّماً، وكان شاباً جميلاً حَسَنَ الوجه مديدَ القامة حسن الشَّعْر(٢)، ومات أبوه وخَلَّفه صغيراً، فكفَلَه عَمُّه مَرْثَد بنُ سَعد، / وكانت سبَّابَتا قدَمَيْه ووُسْطَياهما مُلتَصِقَتَيْن، وكان عَمُّه(٣) مُحِبًّا له مُعجَباً به، رقيقاً عليه. [١٤٠/١٨]

مراودة امرأة عمه له وامتناعه عليها

وأخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا الكُرانِيُّ، قال: حدَّثنا أبو عمر العُمَرِيّ، عن لَقِيط، وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرُّواة:

أنَّ مَرْثَدَ بنَ سَعد بن مالك عَمَّ عَمْرو بن قَمِيئة كانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال، فهَوِيت عَمْراً وشُغِفَتْ به، ولم تُظهِر له ذلك، فغاب مَرْثد / لبعض أمرِه ـ وقال لَقِيط في خَبَره: مضى يَضْرب بالقِداح ـ فبَعَثَت امرأتُه إلى عَمْرو تدعوه على لِسان عَمّه، وقالت للرَّسُولِ: ائتني به من وَراءِ البُيوتِ، ففعل، فلما دَخَل أنكر شأنَها، فوقف ساعة، ثم راودتْه عن نفسه، فقال: لقد جِئتِ بأمر عظيم، وما كان مِثْلي لِيُدْعَى لِمِثْل هذا، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً [١٦٤/١٦]

(١ ـ ١) تكملة من ف، هب، «مختار الأغاني».
(٢) في هب، ب: الشعرة.
(٣) في ب: حيه.

لأمتنعنَّ منه خَوفَ الدَّناءَة والذِّكْر القَبيح الشَّائع عَنّي في العرب، قالت: والله لَتفعَلَنّ أو لأَسُوأَنّك، قال: إلى المسَاءَةِ تدْعِينَني. ثم قام فخرج من عندها، وخافت أن يُخبِر عَمّه بما جرى، فأمرت بجَفْنة فكُفِئَت على أثَر عمرو، فلما رجع عمُّه وجدها مُتَغَضِّبة، فقال لها: ما لك؟ قالت: إنّ رجلاً من قومك قَريبَ القَرابة، جاء يَسْتامني نَفْسي ويُريد فِراشك منذ خرجت، قال: مَنْ هو؟ قالت: أما أنا فلا أُسَمّيه، ولكن قُمْ فافْتَقِد أثره تحت الجَفْنة، فلما رَأى الأَثَر عرفه.

هروبه من عمه إلى الحيرة

قال مُؤَرِّج في خبره: فحدَّثني أبو بَرْزَة وعلْقَمة بنُ سعد وغَيرُهما من بَني قَيْس بن ثَعلَبة، قالوا:

وكان لِمَرْثَد سيفٌ يُسمَّى ذَا الفَقار، فأتى لِيَضْرِبه به، فهرب فأتى الحِيرَة، فكان عند اللَّخْمِيِّين ولم يكن يَقْوَى على بني مَرْثَد لكثرتهم، وقال لعَمْرو بن هِنْد: إنّ القوم اطّرَدُوني، فقال له: ما فَعلوا إلا وقد أجْرمْت، وأنا أفحص / عن أمرك، فإن كُنتَ مُجرِماً ما رددْتُك إلى قَومك، فغَضب وهَمَّ بهجائه وهِجاء مرْثَد، ثم أعرضَ عن ذلك، ومدح عَمَّه واعتذر إليه، انتهى. [١٨/١٤١]

وأما أبو عَمْرو فإنّه قال:

لما سمع مَرْثد بذلك، هجر عَمْراً وأعرض عنه، ولم يُعاقِبْه[١] لموضعه من قلبه، فقال عمرو يَعْتَذِر إلى عمِّه:

خليلَيَّ لا تَسْتَعْجِلا أن تَزَوَّدا ... وأنْ تجمعا شَمْلي وتَنْتَظِرا غَدا
فما لَبْثي يوماً بسائِق مَغْنَم ... ولا سُرْعتي يوماً بسائِقة الرَّدى[٢]
وإن تُنْظِراني[٣] اليومَ أقْضِ لُبانةً ... وتستوجبا مَنّاً عليَّ وتُحْمدا
لعمرُك ما نَفْسٌ بجِدٍّ رَشيدةٍ ... تؤامرني سُوءاً[٤] لأصرِمَ مَرْثَدا
وإن ظَهَرت مني قَوارِصُ جَمّةٌ ... وأفرعَ من لَومي مِراراً وأصعدا[٥]
على غير جُرْمٍ أن أكون جَنَيْتُه ... سِوَى قَولِ باغٍ كادَني فتجهَّدا
لَعَمْري لنِعْمَ المَرءُ تدْعو بِخَيْلِه[٦] ... إذا ما المُنادي في المَقامة نَدَّدَا
عَظيمُ رَمادِ القِدْر لا مُتَعَبِّسٌ ... ولا مُؤْيِسٌ منها إذا هو أوقَدَا
وإن صَرَّحَت كَحْلٌ[٧] وهَبَّت عَرِيّةٌ ... من الرِّيح لم تَتْرُك من المال مِرْفدا
صَبَرتُ على وَطْء المَوالي وخَطْبِهم[٨] ... إذا ضَنَّ ذُو القُرْبى عليهم وأخْمدا

يعني أخمد نارَه بُخْلاً، وروى: أجْمداً. المجمد: البخيل.

(١) في ب: يعاتبه.
(٢) في ف: «فما كنت يوماً... ولا سرعتي يوماً بسابقة». وفي «الديوان»: «فما لَبث يوماً بسابق مغنم... بسابقة الردى».
(٣) في ب: «وإن تنظرا في اليوم».
(٤) في ف، و«الديوان» ١١: سرا.
(٥) في ب: «وأفرغ من لومي»، تحريف.
(٦) في ب: بخلة، وفي «الديوان» ١١: تدعو بحبله.
(٧) كحل: السنة الشديدة المجدبة. وفي ف: عجل. والعرية: الباردة. والمرفد: ما يعطى للضيف.
(٨) في هب: «وحطهم». وفي ف، بيروت، و«الديوان» ١٢: «وحطمهم».

[١٨/١٤٢] / ولـم يَحـمِ فَـرْجَ الحَـيّ إلا مُحـافـظٌ كـريـم المُحَيَّـا مـاجِـدٌ غَيـرُ أجْـرَدَا(١)

الأجردُ: الجعْد اليَدِ البَخِيل.

حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس

أخبرني محمد بن العَبَّاس اليَزِيديّ، قال: حدّثني عَمِّي الفَضْل بنُ إسحاق، عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، قال: سأل رجُلٌ حَمَّاداً الرَّاوِية بالبصْرة وهو عند بلال بنِ أبي بُرْدة: مَنْ أشعَرُ النَّاس؟ قال الذي يقول:

رمَتْنـي بَنـاتُ الـدَّهْـر مـن حَيـثُ لا أرَى فمـا بـالُ مَـن يُـرمَـى ولَيْـس بِـرامِ(٢)

١٦٥/١٦ / قال: والشعر لعَمْرو بنِ قَمِيئة.

بلوغه التسعين وقوله في ذلك

قال عليّ بن الصباح في خبره، عن ابنِ الكَلْبيّ:

وعُمِّر ابنُ قَمِيئَةَ تِسْعِينَ سنَة، فقال لَمَّا بَلَغها:

كـأنّـي وقـد جـاوزتُ تِسْعيـنَ حِجَّـةً خلَعـتُ بهـا عَنّـي عِنـانَ لِجـامِـي(٣)
علـى الـرَّاحَتَيْـن مَـرَّةً وعلـى العَصـا أنـوءُ ثـلاثـاً بَعْـدَهُـنَّ قِيـامِـي
رمَتْنِـي بنـاتُ الـدَّهـر مـن حَيْـثُ لا أرَى فمـا بـالُ مـن يُـرمَـى وليـس بِـرامِ!
فلـو أنَّ مـا أُرمَـى بنَبـلٍ رَمَيْتُهـا ولكنّمـا أُرمَـى بغَيـر سِهـامِ
إذا مـا رآنـي النَّـاسُ قـالـوا: ألـم يَكُـنْ حَـدِيثـاً جَـدِيـدَ البَـرْيِ(٤) غيـرَ كَهـامِ!
وأفْنَـى ومـا أُفْنِـي مـن الـدهـر ليلـةً ولـم يُفْـنِ مـا أفنيـتُ سِلْـكَ نِظـامِ
وأهلكَنِـي تـأمِيـلُ يَـومٍ ولَيْلَـةٍ وتـأميـلُ عـامٍ بعـد ذاك وعـامِ

[١٨/١٤٣] / **عبد الملك بن مروان يتمثل بشعر له**

أخبرني الحُسَيْن بنُ يحيى، قال: قال حَمَّادُ بن إسحاق: قرأتُ على أبي: حدَّثنا الهَيْثَمُ بن عَدِيّ، عن مجالد(٥)، عن الشّعبيّ قال:

دخلتُ على عَبْدِ المَلِك بنِ مروان في عِلّتِه التي مات فيها، فقلت: كيف تَجِدُك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحتُ كما قال عَمْرُو بنُ قميئة:

كـأنّـي وقـد جـاوزتُ تِسْعيـن حِجَّـةً خَلعْـتُ بهـا عَنّـي عِنـانَ لجـامِ
رَمَتْنِـي بَنـاتُ الـدَّهـر مـن حَيْـثُ لا أرى فكيـف بمَـنْ يُـرمَـى وليـس بِـرام!
فلـو أنّهـا نَبْـلٌ إذاً لاتّقَيْتُهـا ولكنّمـا أُرمَـى بغَيْـر سِهـامِ

---

(١) في «الديوان» ـ ١٢: «غير أحردا».
(٢) في «الديوان» ـ ٢٣، و«الشعر والشعراء»: «فكيف بمن يرمي وليس برام».
(٣) في «الديوان» ـ ٢٣: «خلعت بها يوماً عذار لجامي».
(٤) في ف، بيروت: «حديد البز». وفي «الديوان» ـ ٢٣: «جديد البز». والبز: السلاح.
(٥) في ب: مخلد.

وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

فقلتُ: لستَ كذلك يا أميرَ المؤمنين، ولكنك[1] كما قال لبيد:

قامتْ تشكّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً ... وقد حملتُك سَبْعاً بعد سَبْعِينا

فإن تُزادِي ثلاثاً تَبْلُغِي أَمَلاً ... وفي الثلاثِ وَفاءٌ للثَّمانِينا

(٢) فعاش حتى بَلَغ التِّسْعِين، فقال:

كأني وقد جاوزت تِسْعين حِجَّةً ... خلعتُ بها عن مَنْكِبيَّ رِدائِيا

فعاش حتى بَلَغَ عشراً ومائة سنة، فقال:

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رَجُلٌ ... وفي تكاملِ عَشْرٍ بعدها عِبَرُ(٢)

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة، فقال:

وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مجرَى داحِسٍ[3] ... لو كان للنفسِ اللجُوجِ خلُودُ

/ ويروى: «دَهْراً قبل مَجْرى داحس»، فعاش حتى بلغ مائةً وأربعين سنة، فقال: [١٨/١٤٤]

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها ... وسُؤالِ هذا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ؟

فتبَسَّم عبدُ الملك وقال: لقد قَوَّيتَ من نَفْسي بقولك يا عامر، وإنّي لأَجِدُ خِفًّا[4] وما بي من بَأْس وأمر لي بصلة، وقال لي: اجلِسْ يا شَعْبِيّ فَحدِّثْني ما بينَك وبينَ الليل، فجلست فحدثتُه حتى أمسَيْت، وخرجْتُ من عنده، فما أصبحت حتى سَمِعْت الواعِيَةَ[5] في دارِه.

خروجه مع امرىء القيس إلى قيصر

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد، قال: حدَّثني مُحمدُ بنُ عبدِ الله بن طَهْمان السُّلمي، عن إسحاق بن مِرار الشَّيْبانيّ، قال:

نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل، وضرب قُبَّتَه، وجلس إليه وُجوهُ بَكْر بن وائل، فقال لهم: هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر؟ فقالوا: ما فينا / شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر، قال: فأْتُوني به، فأتوْه بعَمْرو بن قَمِيئة وهو شَيْخ، فأنشَدَه فأعجِب به، فخرَج به معه إلى قيْصر، وإيَّاه عَنى امرؤ القَيْس بقوْله: [١٦٦/١٦]

بَكَى صاحِبي لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَن أنَّا لاحِقانِ بقَيْصَرا

فقُلتُ له: لا تَبْكِ عينُك إنَّما ... نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَموتَ فنُعْذَرَا

وقال مؤرِّج في هذا الخبر: إنَّ امرأ القَيْس قال لعَمْرِو بنِ قَمِيئة في سفره: ألاَ تركب إلى الصَّيْد؟ فقال عَمْرو:

---

(١) في ب: وهذا.

(٢ ـ ٢) التكملة من ف، هب، وهي ساقطة من ب.

(٣) في ف: «وصلت سنيناً بعد مجرى داحس».

(٤) في ب: «لا أجد خفاً».

(٥) الواعية: الصراخ.

شَكَـوتُ إليـه أنّنـي ذُو جـلالـةٍ وأنّـي كَبِيـرٌ ذُو عِيـالٍ مُجَنَّـبُ[١]
فقـال لنـا: أهـلاً وسهـلاً ومـرحبـاً إذا سرَّكـم لحـمٌ مـن الـوَحْـش فـاركَبُـوا

[١٤٥/١٨]

صوت

يـا آخِ مـن حَـرُّ الهَـوَى إنَّمـا يَعـرِف حَـرَّ الحُـبِّ مَـنْ جَـرَّبـا
أصبحـتُ للحُـبِّ أسِيـراً فقـد صعَّـدنـي الحُـبُّ وقـد صـوَّبـا
لا شـكَّ أنـي مَيِّـتٌ حَسْـرَةً إن لم أزُر قَبْـلَ غَـدٍ زَيْنَبـا
تلْـك الّتـي إن نِلتُهـا لـم أُبَـلْ مَـنْ شَـرَّقَ الـدَّهْـرَ أو غَـرَّبـا[٢]

الشعر للمُؤَمَّل بنِ جَميل[٣] بن يَحْيى بن أبي حَفْصة بن عَمْرو بن مَرْوان بن أبي حَفْصة، والغِناء لابن جامع رمل بالوسطى، عن إبراهيم والهِشاميّ.



(١) في «الديوان» ـ ٦٥: ذو خلالة. والجلالة: عظم القدر. والخلالة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل. وجنب القوم: انقطعت ألبانهم وقلت فهم مجنبون. وهو مجنب: فقير.
(٢) في ف: ومن غرّبا.
(٣) في ف: المؤمل بن حميد بن يحيى...

/ أخبار المؤمل بن جميل

[١٨/١٤٦]

كان أبوه جميل يلقب قتيل الهوى

قد مَضَى نَسبُ أبي حَفصةَ في أخبار مَرْوان، وكان يَحْيَى بنُ أبي حَفصة يُكنى أبا جَميل. والمُؤمَّل بن جَميل يُكنى أبا جميل. وأم جميل أميرة بنتُ زياد بنِ هَوْذة بنِ شماس بن لؤيّ من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحُطيئة. وأم المُؤمَّل شَريفة بنت المُذَلق بن الوليد بن طُلبة بن قيس بن عاصم المِنقريّ، وكان جميل يُلقَّب قَتيل الهوى، ولُقِّب بذلك لقوله:

قُلْــن: مَــن ذا؟ فَقُلْــتُ: هــذا الــيمــانــيُّ قَتيــلُ الهــوى أبــو الخطــابِ
قُلْــن: بــالله أنــت ذاك يقينــاً لا تقُــل قــولَ مــازحٍ لَعــابِ
إن تكــن أنــتَ هُــو فــأنــت مُنــانــا خــالِيــاً كنــتَ أو مــع الأصحــابِ

أخبار له مع غلامه المطرز

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان، عن أبيه، وحكى أبو أحمد ـ رحمه الله ـ عن محمد بهذا الإسناد:

أن أبا جَميل اشترى غلاماً مدنيًا مُغَنيًا مجلوباً من مولّدي[١] السّند على البراءة من كل عيب، يقال له المُطَرّز، فدعا أصحاباً له ذات يوم، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنِّيين، يُقال لأحدهما السائب وللآخر شُعبة، فلما أخذ القومُ مجلسَهم ومعهم المُطَرّز اندفع الشيخان فغنّيا، فقال المطرّز لأبي جَمِيل مولاه: ويلك يا أبا جميل يابن الزّانية، أتدري ما فعلت ومن عندك؟ فقال له: ويلك! أجُننت! ما لك! قال: أما أنا فأشهد أنك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين.

قال: وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له، فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة / يقال له بُهلول، وهو في بُستان له، [١٨/١٤٧] فقال لهم: مولاي / أبو جميل قد أرسلني أدعوكم، وقد بلّغتُكم رسالَته، وإن شاوَرتُموني أشرتُ عليكم، فقالوا: ١٦٧/١٦ أشِرْ علينا، قال: أرى ألا تذهبوا إليه، فمجلسُكم والله أنزهُ من مجلسه وأحسن، فقالوا له: قد أطَعْناك، قال: وأخرى، قالوا: وما هي؟ قال: تحلِفون عليّ ألاّ أبرحَ، ففعلوا، فأقام عندهم.

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبَطَحه يضربه وهو يقول: ويلك أبا جميل! اتقِ الله فيَّ، الله الله في أمري، أما عَلمت ويلك خبري قبل أن تشتَرِيَني! قال: وكان يبعثه إلى بئر لهم عَذبَة في بستان له يَسقي منها لهم ماء، فكان يستقيه ثم يَصُبُّه لجيران لهم في حيِّهم، ثم يَسْتَقِي مكانه من بئر لهم غليظة، فإذا أنكر مولاه قال له: سلِ الغلمان إذا أتيت البستان: هل استقيت منه؟ فيسألهم فيجده صادقاً.

---

(١) في ب: موالي. ومجلوباً من جلبه جلباً: ساقه من موضع إلى آخر، فهو مجلوب.

انقطاعه إلى جعفر بن سليمان ثم عبد الله بن مالك

حدّثنا يحيى بنُ محمد بن إدريس، عن أبيه:

أنّ يحيى بن أبي حَفصة زَوّج ابنَه جَميلاً شريفةَ بنت المُذلّق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم، فولدت له المُؤمّل بن جميل، وكان شاعراً ظريفاً غَزِلاً، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، ثم قدِم العراق فكان مع عبد الله بن مالك، وذكره للمهديّ فحظِيَ عنده، وهو الذي يقول في شَكاةٍ اشتكاها عبد الله بن مالك:

ظلّت عليَّ الأرضُ مُظلمةً ... إذْ قِيلَ عبدُ الله قد وُعِكا

يا ليتَ ما بكَ بي وإن تَلِفت ... نفسِي لذاك وقلَّ ذاكَ لكَا

وهو الذي يقول:

يا آخِ من حَرِّ الهوى إنما ... يعرف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

وذكرَ الأبيات التي تقدم ذِكرها والغناء فيها.

[١٤٨/١٨]

/ صوت

إنِّي وهَبتُ لظالمِي ظُلمِي ... وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ

ما زال يَظلِمني وأرحَمُه ... حتَّى رَثيتُ له من الظّلمِ

الشعر لمساور الورّاق، والغناء لإبراهيمَ بن أبي العُبَيس، ثاني ثقيل بالوسطى، أخبرني بذلك ذُكاءُ وغيره.

[١٨/١٤٩]

/ أخبار مساور ونسبه

نسبه

هو مساور بنُ سَوَّار بنِ عبد الحميد، من آل قَيْس بن عيْلان بن مُضَر، ويقال: إنه مولى خُوَيْلد من عَدْوان[١] كوفيّ قليل الشّعر من أصحابِ الحديثِ ورُواته، وقد رَوَى عن صَدْر من التابعين، ورَوى عنه وُجُوهُ أصحابِ الحَديث.

أخبرني عليُّ بن طَيْفور بنِ غالب النَّسائيّ قال: حدّثنا يَعقوبُ بن حميد بن كاسب، قال: حدّثنا حمّاد بن أُسامة، عن مُساوِر الورّاق، قال: حدّثني جعفر بن عمرو بن حُرَيْث، عن أبيه، قال:

كأنّي أنظر إلى النبيّ ﷺ وهو على ناقَتِه يَخطُب، وعليه عِمامة سَوْداء، قد أرخاهَا بين كَتِفيه.

خبره مع ابن أبي ليلى

أخبرني مُحمَّدُ بنُ الحسن بن دُرَيْد، قال: أخبرنا الأُشناندانيُّ، عن الأصمعي، قال:

كان قوم يَجْلِسون إلى ابن أَبِي لَيْلى، فكتَبَ قوماً منهم لِعيسَى بنِ مُوسَى، وأشار[٢] عليه أن يَشْغلهم ويَصِلهم، / فأتى مُساوِرٌ الورّاق، فكلّمه أن يَجعلَه فيهم فلم يَفْعَل، فأنشأ يقول: [١٦/١٦٨]

أراكَ تُشِيرُ بأهلِ الصلاح … فهل لكَ في الشاعرِ المُسلِم
كَثيرِ العيالِ قليلِ السوا … لِ عَفٍّ مطاعِمُه مُعْدِمِ[٣]
يُقيم الصَّلاة ويؤتي الزَّكاة … وقد حَلَّق العامَ بالمَوْسِمِ
وأصبح واللهِ في قومه … وأمسَى وليس بذي دِرْهَمِ

قال: فقال ابنُ أَبِي ليلى: لا حاجة لنا فيه، فقال فيه مُساوِرٌ أبياتاً، قال أبو بكر بن دُرَيْد: كَرِهنا ذِكرَها صيانة لابْنِ أَبِي لَيْلى.

[١٨/١٥٠]

/ هجا حفص بن أبي بردة لأنه عاب شعراً للمرقش الأكبر

أخبرني محمد قال: حدثني التَوَّزيّ[٤] قال:

كان مُساوِرٌ الورّاق، وحَمَّاد عَجْرد، وحَفْص بن أبي بُرْدة مجتمعين، فجعل حَفْص يَعِيب شِعْرَ المُرَقِّش الأكبر، فأقبل عليه مُساوِرٌ فقال:

---

(١) في ب، بيروت: عدنان.
(٢) في ب: وأشاروا.
(٣) سقط هذا البيت من ف.
(٤) ف: «حدثنا الأشناندانى قال حدثنا ابن أبي ليلى».

لقد كان في عينَيْك يا حفصُ شاغِلٌ ... وأنفٌ كثِيلِ[1] العَوْد عما تتَبَّعُ
تتَبَّعتَ لحناً في كلام مُرقِّشٍ ... ووجهُك مبنيٌّ على اللحنِ أجمع

فقام حَفْص من المجلس خَجِلاً، وهاجره مدة.

وصيته لابنه

نَسختُ من كتاب عُبيد الله اليزيديّ بخطّه: حدّثنا سليمانُ بن أبي شَيْخ، قال: كان مُساوِر الورّاق من جَدِيلَة قَيْس، ثم من عَدْوان، مولًى لهم، فقال لابنه يوصيه:

شَمِّر ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ ... واحكُكْ جَبِينَك للعُهود بثُومِ
إنَّ العُهودَ صفَتْ لكلِّ مُشمِّرٍ ... دَبِرِ الجبينِ مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ ... حسنِ التَّعهُّد للصلاة صَؤُومِ
من ضَرْبِ حَمّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ ... وسِمَاكِ العَتَكيّ وابنِ حَكِيمِ
وعليك بالغَنَويِّ فاجلِسْ عنده ... حتى تُصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتِيمِ[2]
تغنيك عن طلب البُيوع نَسِيئةً ... وتكفّ عنك لسانَ كُلِّ غَرِيمِ
وإذا دخلتَ على الرَّبِيعِ مُسلِّماً ... فاخصُصْ شَبابَةَ منك بالتَّسْليمِ

ولاه عيسى بن موسى عملاً فانكسر عليه الخراج

قال: ففعل ما أوصاه به أبوه، فلم يلبث مُساوِرٌ أن ولّاه عيسَى بن موسى عَملاً، ودفع إليه عهده، فانكسر عليه الخراج، فدُفع إلى بُطِينٍ صاحبِ عذابِ عِيسَى يستأديه، فقال مُساوِر:

[١٨/١٥١] / وجدت دواهِرَ[3] البَقّال أهنَى ... من القُرْنيِّ[4] والجَدْيِ السَّمِينِ
وخيراً في العَواقِب حين تُبْلي ... إذا كان المَرْدُ إلى بَطِينِ
فكُنْ يا ذا المُطِيف بقاضِيَيْنا ... غداً من عِلْمِ ذاك على يَقِينِ
وقُلْ لهما إذا عَرَضا[5] بعَهْدٍ: ... بَرِئتُ إلى عُرَيْنَةَ من عرِينِ
فإنك طالما بَهْرجْتَ فيها ... بمثلِ الخُنْفُساء على الجَبِينِ

مرَّ بمقبرة صديقه حميد الطوسيّ وقال في ذلك شعراً

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد، قال:

مَرّ مُساوِر الورّاق بمقبرة حُمَيْد الطوسيّ وكان له صديقاً، فوقف عليها مُستعبِراً، وأنشأ يقول:

أبا غانِمٍ أمّا ذَرَاك فواسِعٌ ... وقَبْرُك مَعمورُ الجوانبِ مُحْكَمُ

---

(١) الثيل: وعاء قضيب البعير، والعود: المسن من الإبل. وفي ف: «كمثل العود».

(٢) في ب: لتميم.

(٣) في هب: نواهض. وفي ف: نواقض. والدواهر: الشدائد. والقرني: نوع من الخبز يعجن بالسمن والسكر.

(٤) القرني جمع قرنية، وهي خبزة تروى لبناً وسمناً وسكراً.

(٥) في ف: اعترضا.

/ وما يَنْفَعُ المقبورَ عُمْرانُ قَبْرِه ... إذا كان فيه جِسْمُه يتهدَّمُ ١٦٩/١٦

شعر له في أصحاب أبي حنيفة

أخبرني إسماعيلُ بن يونُس الشّيعيُّ قال: حدَّثنا الرّياشيُّ قال: حدَّثنا محمد بن الصبّاح، عن سفيان بن عُيَيْنة، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أنَّ حامد بن يحيى البَلْخيّ(١)، حدّث عن سفيان بن عُيَيْنَة، وهذه الرواية أتمّ، قال:

لَمّا سَمع مُساوِر الوَرّاق لغَطَ أصحاب أبي حَنِيفة وصِيَاحهم أنشأ يقول:

كنّا من الدِّين قبل اليوم في سَعةٍ ... حتى بُلِينا بأصحاب المَقايِيس
قَومٌ إذا اجتمعوا ضَجُّوا كأنّهُم ... ثعالبٌ ضَبَحتْ بين النَّواويس(٢)

/ فبلغ ذلك أبا حَنيفةَ وأصحابَه، فشقَّ عليهم وتوعّدُوه، فقال أبياتاً تُرضِيهم وهي: [١٨/١٥٢

إذا ما النَّاس يوماً قايَسُونا ... بآبِدَةٍ من الفُتْيَا ظَرِيفَهْ
أتيناهُم بمِقياسٍ ظَرِيفٍ(٣) ... مُصيبٍ من قِياسِ أبي حَنِيفَهْ
إذا سَمِع الفَقِيهُ بها وَعاها ... وأثبتها بحِبْرٍ في صَحِيفَهْ

فبلغ أبا حَنيفة فرضِي. قال مُساوِرٌ: ثم دُعِينا إلى وَليمة بالكوفة في يوم شديد الحَرّ، فدَخَلت فلم أجد لرِجْلِي مَوْضعاً من الزّحام، وإذا أبو حَنيفة في صدر البيت، فلما رآني قال: إليَّ يا مُساوِر، فجئتُ فإذا مكان واسع، وقال لي: اجلس، فجلستُ، فقلت في نفسي: نفعَتْنِي أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: ها هنا، ها هنا، ويوسّع لي إلى جنبه، ويقول: إنَّ هذا من أهْل الأدَب والفَهْم، انتهى.

حفظ حقوق جيرانه ولكنهم ضيعوا حقه فهجاهم

أخبرني مُحمَّدُ بن الحسين بن دُرَيْد، قال: حدَّثنا أبو المعمّر عبد الأول بن مزيد، أحد بني أنف الناقة، قال:

كان مُساوِر الوَرّاق لا يُضِيعُ حَقًّا لجارٍ له، فماتت بِنْتُه، فلم يشهدها من جيرانِه إلاّ نَفرٌ يسيرٌ، فقال مُساورٌ في ذلك:

تغيَّب عنّي كُلُّ جافٍ ضرورةً ... وكلّ طُفَيْلِيّ من القوم عاجِزِ
سَريعٍ إذا يُدعَى ليومِ وَليمَةٍ ... بَطيءٍ إذا ما كان حَمْلُ الجَنائزِ

أخبرني محمد بن الحسن، قال: حَدَّثنا عبد الأول، قال:

قدم جارٌ لِمُساور الوَرّاق من سفر، فجاءه يُسلّم عليه، فقال: يا جارية، هاتي لأبي القاسم غداء، فجاءت برغيق فَوضَعَته على الخُوان، فمَدَّ يده يأكل مع مُساور، / وقال له: يا أبا القاسِم، كُلْ من هذا الخُبز، فما أكلتُ خبزاً أطيبَ منه، فقال مُساورٌ في ذلك: [١٨/١٥٣

(١) أ، ب، س: «بن أبي يحيى»، والمثبت من ف.
(٢) ضبحت الثعالب: صوتت. والنواويس: القبور. وفي «المختار»: «ثعالب ضجت».
(٣) في ف: صليب.

مـا كنـتُ أحسَـبُ أنَّ الخُبـزَ فـاكهـةٌ حتّـى رأيتُـكَ يـا وَجْـهَ الطَّبَـرْزِيـنِ[١]
كـأنَّ لِحْيَتَـه فـي وجهـه ذَنَـبٌ أو شِعْـرَةٌ فـوق بَظْـرٍ غيـرِ مَخْتـونِ

يعود أبا العيص الجرمي ويسمع منه شعراً في مرض موته

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث، عن المَدائِنيّ قال: دخل مُساوِرٌ الوَرَّاق على أبِي العِيص الجِرْميّ يعوده وكان صديقَه، فكلَّمه فلم يُجِبْه، فبَكَى مُساوِرٌ جَزَعاً عليه، وأدْنَى رأسَه منه يكلِّمه، فقال أبو العِيص:

أفـي كـلِّ عـامٍ مَـرْضـةٌ بعـد نَقْهـةٍ[٢] وتَنْعَـى ولا تُنْعَـى متَـى ذا إلـى متَـى
سيـوشـك يـومٌ أن يجـيءَ[٣] وليْلَـةٌ يَسـوقـان حَتْفـاً راح نحـوك أو غَـدَا
/ فتُمسِـي صَـريعـاً لا تُجِيـب لـدَعـوةٍ ولا تَسْمـع الـدّاعي وإن جَـدَّ فـي الـدُّعا[٤]

١٧٠/١٦

ثم لم يَلْبث أن مات، رحمه الله.

[١٨/١٥٤]

/ صــوت

تَنـامِيـنَ عـن لَيْلـي وأسهَـرُه وَحْـدِي وأنهَـى جُفـونـي أن تَبُثَّـكِ مـا عِنْـدِي
فـإن كُنْـتِ مـا تـدْرِيـنَ مـا قـد فعلْتِـه بنـا فـانظُـري مـاذا علـى قـاتـلِ العَمْـدِ

الشعر لسعيد بن حُمَيْد الكاتب، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل مُطْلق بالسَّبابة في مَجْرى الوُسْطى.

(١) الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الفأس.
(٢) ف: ثم نقهة.
(٣) ف: يحين.
(٤) لم يرد هذا البيت في ف.

/ أخبار سعيد بن حميد ونسبه

[١٨/١٥٥]
٢/١٧

نسبه

(١) سَعِيد بن حُمَيْد بن سَعِيد بن حُمَيد بن بحر، يُكْنَى أبا عُثمان(١) من أولاد الدَّهَاقين، وأصله من النَّهْروان الأوْسط، وكان هو يقول: إنَّه مَوْلَى بني سامَةَ بنِ لُؤَيّ، من أهل بَغْداد، بها وُلِدَ ونَشَأ، ثم كان يَتَنقَّل في السُّكْنى بينها وبين سُرَّ منْ رأى.

كان كاتباً شاعراً

كاتِبٌ شاعِر مُتَرسِّل، حسن الكلام فصيح، وكان أبوه وَجْهاً من وجوه المعتزلة، فخالف أحمدَ بنَ أبي دُواد في بعض مَذْهَبِه، فأغرى به المُعْتَصِم، وقال: إنه شُعُوبِيٌّ زِنْدِيق، فحَبسه مدة طويلة، ثم بانت بَراءَته له أو للَواثِق بعده، فخلَّى سَبيلَه، وكان شاعراً أيضاً، فكان يَهْجو أحمدَ بن أبي دُواد، وأنْشَدنيها جَماعةٌ من أصْحابِنا، قال:

أبوه يهجو أحمد بن أبي دواد

لقد أصبحتَ تُنْسَب في إيادٍ ... بأنْ يُكْنَى أبوكَ أبا دُوادِ

فلو كان اسمُه عمرو بنَ مَعْدِي ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ

لئن أفسدْتَ بالتَّخويف عيْشي ... لما أصلحتَ أصلَك في إيادِ

وإن تكُ قد أصبتَ طريف مالٍ ... فبُخلُك باليَسير من التِّلادِ

قوة حافظته

فذكر مُحَمَّد بنُ موسى أن أبا يوسُفَ بن الدَّقَّاق(٢) اللّغويّ أخبره أنّ حُمَيْد بن سَعِيد بن حُمَيْد دفع إليه ابنَه سعيداً وهو صَبِيٌّ فقال له: امضِ به مَعَك إلى مجلس ابن الأعرابيّ، قال: فحضرناه ذاتَ يوم، فأنْشدنا أُرجوزَةً لبعض العرب فاستحْسنتُها، ولم تكن معنا مِحْبَرة نكتُبها منها، فلما انصرَفْنا قلت له: فاتَتْنا هذه الأُرجوزة، فقال: لم تفتْكَ، أتُحبّ أن أُنشدَكها؟ / قلت: نعم، فأنْشدنيها وهي نيِّف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه، وإنما سَمِعها مرَّة واحدة، فلقيتُ أباه من غد، فقال لي: كيف / رأيتَ سَعِيداً؟ قلت له: إنك أوْصَيتَنِي به، وأنا أسألُك الآن أن تُوصِيَه بي، فضحِك وسألني عن الخَبر، فأعلَمْته فسُرَّ به.

٣/١٧ [١٨/١٥٦]

خبره مع أبي العباس بن ثوابة

أخبرني عَلِيّ بنُ العبَّاس بن أبي طَلْحة، قال: حَدَّثني ابن أبي المُدَوِّر، قال:

(١ ـ ١) ف: «سعيد بن حميد بن يحيى»، يكنى أبا عثمان.
(٢) ف: «أن أبا يوسف الدقاق».

دخل سعيدُ بنُ حُمَيْد يوماً على أبي العَبَّاس بن ثَوابةَ، وكان أبو العَبَّاس يُعاتِبُه على الشَّغف بالغِلْمان المُرْد، فرأى على رأسِه غُلاماً أمردَ حَسن الوَجه، عليه مِنْطَقةٌ وثياب حِسان، فقال له: يا أبا العَبَّاس:

أزعمْـــتَ أنَّــك لا تَلُـــوطُ فقُـــل لنـــا ... هـــذا المُقَـــرْطَـقُ[1] قـــائمـــاً مـــا يَصْنـــعُ!

شَهِـــدَتْ مَـــلاحَتُـــه عليـــكَ بِـــرِيبَـــةٍ ... وعلـــى المُـــريـــبِ شَـــواهـــدٌ لا تُـــدفَـــعُ

فضحك أبو العَبَّاس وقال: خُذْه، لا بُورِك لك فيه حتى نَسْتَرِيح من عَتْبك.

حيلة له مع غلام من أولاد الموالي وشعره في ذلك

أخبرني عَمِّي، رحمه الله، قال: قال لي محمد بن موسى بنِ الحَسن بنِ الفُراتِ الكاتب: كان سَعِيدُ بنُ حُمَيْد يَهوَى غُلاماً له من أولاد المَوالِي، فغاب عنه مُدَّة، ثم جاءه مُسلِّماً، فقال له: غِبتَ عنِّي هذه المدة ثم تَجيئُني فلا تُقيم عندي! فقال له: قد أمسينا، فقال: تَبِيتُ، قال: لا والله لا أقدِر، ولم يَزلْ به حتى اتَّفَقا على أنَّه إذا سَمع أذانَ العَتَمة[2] انصرف، فقال له: قد رضِيت. ووضع النَّبِيذَ، فجعل سعيد يَحُثُّ السَّقْي[3] بالأرطال، فلما قَرُب وقتُ العَتَمة، أخذ رُقعةً فكتب فيها إلى إمام المَسْجِد وهو مُؤَذِّنه قولَه:

قـــل لِـــداعِـــي الفِـــراق[4] أخِّـــرْ قليـــلاً ... قـــد قَضَيْنـــا حَـــقَّ الصَّـــلاةِ طـــويـــلا

أخِّـــر الـــوقـــتَ فـــي الأذانِ[5] وقـــدِّمْ ... بعـــدهـــا الـــوقـــت بُكـــرةً وأصيـــلا

[١٨/١٥٧] / ليـــس فـــي ســـاعـــة تُـــؤَخِّـــرهـــا وِزْ ... رٌ فنحيـــا بهـــا وتـــأتـــي جميـــلا[6]

فتُـــراعـــى حـــقَّ الفُتُـــوَّةِ فينـــا ... وتُعـــافَـــى مـــن أن تكـــون ثقيـــلا[7]

فلما قرأ المُؤذِّن الرُّقْعة ضَحِك وكتب إليه يحلِف أنه لا يُؤَذِّن ليلتَه تلك العَتَمة، وجعل الفتى يَنْتظِر الأذانَ حتى أمْسى وسمع صوت الحارث، فعَلم أنَّها حِيلَة وقعت عليه وبات في موضعه، وقال سَعِيد في ذلك:

عَـــرَّضْـــتُ بـــالحُـــبِّ لـــه وعـــرَّضـــا ... حتـــى طَـــوَى قلبـــي علـــى جَمْـــر الغَضَـــى

وأظْهَـــرتْ نفسِـــي عـــن الـــدَّهْـــر الـــرِّضـــا ... ثـــم جَفـــانـــي وتـــولَّـــى مُعـــرِضـــا

لـــم ينقـــضِ الحـــبُّ بَلَـــى[8] صبـــرِي انقضـــى ... فِـــداكَ مَـــنْ ذاقَ[9] الكـــرَى أو غَمَّضَـــا

حتـــى طـــرقـــتَ فنسيـــتُ مـــا مضـــى ... ســـألتُـــه حُـــوَيْجَـــةً[10] فـــأعـــرضـــا

وقـــال: لا، قـــولَ مُجيـــبٍ بِـــرِضَـــا ... فكـــان مـــا كـــان وكـــابـــرْنـــا القَضـــا

---

(١) قرطقه: ألبسه القرطق؛ وهو قباء ذو طاق واحد فهو مقرطق.

(٢) العتمة: وقت صلاة العشاء الآخرة.

(٣) في «المختار»: السعي بالأرطال.

(٤) في هب، «المختار»: الصلاة.

(٥) في «التجريد»: في الصلاة.

(٦) البيت من «المختار» و «التجريد»، ولم يرد في ف، ب، هب.

(٧) في «التجريد»، ف: «حق المودة» بدل: «حق الفتوة».

(٨) في ب: على.

(٩) في هب: «فذاك من ذاق...» وفي «المختار»: «فذاق من ذاق».

(١٠) في «المختار»: حوائجاً.

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صَدَقة، أخبرني بذلك ذُكاء وجه الرُّزَّة.

وجدت في بعض الكتب:

حدثني أحمد بن سليمان بن وَهْب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حُمَيد، فلما سكروا قام سعيد قومة بعد العصر[1]، فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابَه فلبسها، وأخذ بعضُدتي الباب، وأنشأ يقول:

سلام عليكم حالت الرّاحُ بيننا ... والوتْ بنا عن كل مرأىً ومَسْمَعِ

/ ولم يَبْقَ إلا أن يَميلَ بنا الكَرَى ... ويجمع نومٌ[2] بين جَنْبٍ ومضْجعِ ٤/١٧

/ فقام له أهل المجلس، وقالوا: يا سيدنا، اذهب في حفظ الله وفي ستره، فانصرف وودّعهم. [١٨/١٥٨]

كتب لفضل الشاعرة يعتذر إليها

حدثني محمد بن الطَّلاَّس أبو الطَّيِّب، قال: حدثني عبدُ الله بن طالب الكاتب قال:

قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حُمَيْد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغيُّر ظَنَّتْه به، وفي آخرها:

تَظنُّون أنِّي قد تبدّلتُ بعدكم ... بديلاً وبعضُ الظَّنّ إثمٌ ومُنْكَرُ

إذا كان قلبي في يديكِ رَهينةً ... فكيف بلا قلب أُصافِي وأهجُرُ!

في هذين البيتين لابن القَصَّار الطُّنبوريّ رمل، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل.

خبره مع كعب جارية أبي عكل المقين

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبو عليّ المادَرانيّ[3] أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكْل المُقَيِّن، وكان بعضُ أهل المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها في حِجرها، فإذا فيها قولُه:

ما على أحسن خلق الله أن يَحسُنَ فِعلُهْ

بأبي أنتَ وأُمّي من مَليكٍ قَلَّ عَدْلُه

وبَخيلٍ بالهَوَى لو كان يُسلَى عنه بُخلُه

أكثَرَ العاذِلُ في حُبِّك لو ينفع عَذْلُه

فهو مَشْغُولٌ بعَذْلِي وفؤادي بكل شُغلُه

أكثِرُ الشَّكوى وأستعْدِي على مَنْ قَلَّ بذلُه

/ فوثبت الجارية فقبّلت رأسَه وجلسَتْ إلى جَنْبه، فقال الرّجل الذي كان يَهْواها: هذا والله كلامُ الشَّياطين ورُقْيَةُ الزِّنا، وبهذا يَتِمّ الأمر، أما أنا فإني أُشهدكم، لا قرأتُ اليوم في صَلاتي غيرَ هذه الأبيات لعلّها تَنفعُني، فضحك سَعيد وقال: بحياتي قُومِي فارْجِعي إليه حتى تكون الأبياتُ قد نَفَعتْه قبل أن يَقرأها في صلاته، وسُرَّ بي بذلك، فقامت فرَجَعت إلى موضعها. [١٨/١٥٩]

---

(١) ف: «فلما سكرنا نام سعيد نومة».

(٢) ف: «سكر».

(٣) في هب: الداراني. وفي ف: «أبو علي المداري أنه كان في مجلس فيه لعب جارية بن علل المقين».

خبرة مع جارية كان يهواها زارته على غير وعد

قال عليّ بن العبّاس: وحدثني أبو عليّ المادَرانيّ: أنّه كان عنده يوماً، فدخلت إليه جاريةٌ ـ كان يهواها ـ غفلةً على غير وَعْد، فسُرَّ بذلك وقال لها: قد كُنتُ على عِتابِك، فأمّا الآن فلا، فقالت: أمّا العِتابُ فلا طاقَةَ لي به، ووالله ما جِئتُك إلا عند غفلة البوّاب، فقال سعيد[1] في ذلك:

زاركَ زَوْرٌ علـــى ارتقـــابِ مُغتَنِمـــاً غَفْلَـــةَ الحُجّـــابِ
مُستَتِـــراً بـــالنِّقـــاب يَبـــدُو ضِيـــاءُ خـــدَّيـــه فـــي النِّقـــابِ
كـــالشَّمـــسِ تبـــدو وقـــد طَـــواهـــا دُونَـــكَ سِتـــرٌ مـــن السَّحـــابِ
قـــد كـــان فـــي النفـــس منـــك عَتْـــبٌ يـــدعـــو إلـــى شـــدَّة اجْتِنـــابِ
فمِلـــتُ بـــالعَتْـــب عـــن حَبيـــبٍ يَضعُـــفُ عـــن مـــوقـــف العِتـــابِ
والـــذَّنـــبُ منـــه وأنـــتَ تَخْشَـــى فـــي هَجْـــرِه صـــولـــةَ العِقـــابِ

عبد الله بن داود يستحسن شعراً له

$\frac{5}{17}$ / أخبرني عَمّي قال: حدَّثني ابنُ أبي سعد، قال: حدَّثني مُحمّدُ بنُ عبد الله بن دَاود، قال: كان أبي يَستَحسِن قولَ سَعِيدِ بن حُمَيد:

تَظُنُّـــون أنّـــي قـــد تَبَـــدَّلْـــتُ بعـــدكـــم بَـــديـــلاً، وبَعـــضُ الظَّـــنِّ إثـــمٌ ومُنْكَـــرُ
إذا كـــان قَلْبِـــي فـــي يَـــدَيْـــكِ رَهينـــةً فكيـــف بـــلا قَلْـــبٍ أُصـــافـــي وأهجُـــرُ!

[١٨/ ١٦٠] / ويقول: لَئِن عاش هذا الغُلامُ لَيكونَنَّ له في الشِّعر شَأن.

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل، وذكر قريض أنّه له.

زارته فضل الشاعرة فجأة أثناء ذهابها إلى القصر فقال في ذلك شعراً

أخبرني ابنُ أبي طَلْحة قال: حدَّثني إسحاقُ بنُ مُسافِر أنه كان عند سَعيد بن حُمَيد يوماً إذ دَخلت عليه فَضْل الشاعرة على غَفْلة، فوثَب إليها وسلَّم عليها، وسألها أن تقيم عنده، فقالت: قد جاءني وحياتِك رسولٌ من القَصْر، فليس يُمكِنُني الجُلوسُ، وكرِهتُ أن أمُرَّ ببابِك ولا أراكَ، فقال سعيد من وَقْتِه على البَدِيهة:

قَـــرُبْـــتِ ولا نَـــرجُـــو اللِّقـــاء ولا نَـــرَى[2] لنـــا حِيلَـــةً يُـــدْنيـــكِ منّـــا احتيـــالُهـــا
فـــأصبحْـــتِ كـــالشمـــس المُنيـــرة ضـــوؤُهـــا قـــريـــبٌ ولكـــن أيـــنَ منّـــا مَنـــالُهـــا!
كَظَـــاعِنـــةٍ ضَنَّـــتْ بهـــا غُـــرْبَـــةُ النَّـــوَى علينـــا ولكـــن قـــد يُلِـــمُّ خَيـــالُهـــا
تُقـــرِّبُهـــا الآمـــالُ ثـــم تَعُـــوقُهـــا مُمـــاطَلـــةُ الـــدُّنيـــا بهـــا واعتـــلالُهـــا
ولكنهـــا أُمنيَّـــةٌ فلعلهـــا يجـــودُ بهـــا صَـــرْفُ النَّـــوَى وانْتِقـــالُهـــا

(١) ف: سعيد بن حميد.
(٢) في ف: «قربت ولم نرج اللقاء ولم تجد».

تغاضب وفضل فكتب إليها فصارت إليه وصالحته

أخبرني عَمّي قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد، قال: حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن يعقوب بن داود؛ قال: تغاضب سَعِيدُ بن حميد وفَضْل الشّاعرة أياماً، ثم كتَب إليها:

تعالَيْ نُجدِّدُ عَهْدَ الرِّضا ... ونَصفَح في الحُبِّ عمَّا مَضى

ونَجري على سُنَّةِ العاشقين ... ونضمن عني وعنكِ الرِّضا

ويَذُل هَذَا لِهَذا هَواهُ ... ويَصْبِر في حُبِّه للقَضا

ونخضع[1] ذُلاًّ خُضوعَ العَبيدِ ... لمولًى عزيزٍ إذا أعرضا

فإنِّيَ مُذْ لَجَّ هذا العِتابُ ... كأنِّيَ أبطنتُ جَمْرَ الغَضَى[2]

[١٦١/١٨] / فصارت إليه وصالَحتْه.

في هذه الأبيات لهاشم بنِ سُلَيْمان ثَقِيل أول بالوسطى، وفيها لابن القصّار خفيف رمل.

رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول في ذلك شعراً

أخبرني ابنُ أبي طَلْحة قال: حدَّثنا أبو العبَّاس بن أبي المدوّر قال:

بات سَعِيدُ بنُ حُمَيد عند أبي الفَضْل بن أحمد بن إسرائيل، [3] واصطبَحا على غِناءِ حسن كان عندهما[3]، فجاءه رسول الحسن بن مُخَلَّد وقد أُمِر ألاّ يُفارِقه لأمرٍ مُهِمٍّ، فقام فَلبِس ثِيابَه، وأنشأ يقول:

يا ليلةً باتَ النُّحوسُ بَعيدةً ... عنها على رَغْم الرَّقيب الرَّاصِدِ

تَدعُ العَواذِلَ لا يَقُمْن لِحاجةٍ ... وتقوم بهجتُها بِعُذرِ الحاسدِ

ضَنَّ الزَّمانُ بها فلمَّا نِلْتُها ... وَرَدَ الفراقُ فكان أقبحَ واردِ

والدَّمعُ ينطق للضمير مُصدِّقاً ... قَوْلَ المُقِرِّ مُكَذِّباً للجاحدِ

أبو العباس بن ثوابة يعاتبه على تأخره عنه فيجيبه

أخبرني ابنُ أبي طلحة قال: حدثني أبو العَبَّاس بن أبي المدوّر، قال:

كان سَعِيد بن حُمَيد / صديقاً لأبي العباس بن ثَوابة، فدعاه يوماً، وجاءه رسول فَضْل الشّاعرة يسألُه المَصيرَ إليها، فمضى معه وتأخَّر عن أبي العَبَّاس، فكتب إليه رُقْعةً يعاتِبه فيها معاتبة فيها بعض الغِلْظة، فكتب إليه سعيد: [٦/١٧]

أقلِلْ عِتابك فالبقاءُ قليلُ ... والدهرُ يَعدِل تارةً[4] ويَميلُ

لم أبكِ من زَمنٍ ذَممتُ صروفَه ... إلا بكيتُ عليه حين يَزولُ

---

(١) ف: «ونجمع».

(٢) في ف جاء البيت:

فإن فرق الدهر ما بيننا ... فمَنْ ذا يقوم لصرف القضا

بدلاً من البيت الأخير ـ واختلاف في ترتيب الأبيات، فالبيت الثالث مكان الثاني، والثاني مكان الثالث.

(٣ ـ ٣) في ف: واصطحبا على غناء حسن كان عنده.

(٤) ف: «يعدل مرة».

[١٨/١٦٢] / ولِكُلِّ نائبةٍ ألمّت مُدَّةٌ ولكلِّ حالٍ أقبلت تحويلُ
والمُنتمُون إلى الإخاء جماعةٌ إن حصّلوا أفناهم التَّحصيلُ
ولعلَّ أحداثَ الليالي والرّدى[١] يَوماً ستَصْدَعُ بيننا وتحولُ
فلئن سبقتُ لتبكينَّ بحسرة وليكثُرنَّ عليَّ منكَ عَويلُ
ولتُفجَعَنَّ بمخلصٍ لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحبله موصولُ
[٢] وليذهبنَّ جمالُ كلّ مروءة وليعفُونَّ فِناؤها المأهولُ
ولئن سَبقتَ، ولا سَبقتَ، ليمْضِيَنْ مَنْ لا يشاكله لديَّ عديلُ
وأراك تَكْلَف بالعتاب وودُّنا باقٍ عليه من الوفاء دليلُ
ودٌّ بدا لذَوِي الإخاء جميلُه وبدت عليه بهجةٌ وقبولُ
ولعلَّ أيام الحياة قصيرةٌ فَعَلامَ يكثُر عتبُنا ويطولُ

مظلومة جارية الدقيقي تعاتبه على هجرانه فيرد عليها

أخبرني الطَّلْحيُّ قال: حدثني أبو عليّ بن أبي الرعد: أن سعيدَ بنَ حميد كان يهوَى مظلومة جارية الدقيقيّ، فبلغه أنها تُواصلُ بعض أعدائه، فهجرها مدة، فكتبت إليه تعاتبه وتتشوقُه، فكتب إليها:

أمري وأمرُك شيءٌ غير مُتَّفقٍ والهجر أفضل من وصلٍ على مَلَقِ
لا أُكْذِبُ اللهَ، ما نفسي بسالية ولا خليقةُ أهل الغدْر مِنْ خُلقي
فإن وثقتِ بوُدٌّ كنتُ أبذلُه فعاودِي سوء ظن بي ولا تثِقي [٢]

اعتذر إلى هبة المغنية فوثبت إليه وقبّلت رأسه

وذكر اليوسفيّ الكاتب أنه حَضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هِبَةُ[٣] المغنّية، وكان سعيد يتعشّقها ويَهِيمُ بها، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ، / ودَخلت بعد ذلك وهو في القوم، فسلّمت عليهم سواه، [١٨/١٦٣] فقالوا لها: أتهجُرِين أبا عُثمان؟ فقالت: أُحِبُّ أن تسألوه ألاّ يكلّمني، فقال سعيد:

اليوم أيقنتُ أنّ الهجرَ مَتلَفةٌ وأنَّ صاحبَه منه على خَطَرِ
كيف[٤] الحياة لِمَن أمسى على شَرفٍ من المنيّة بين الخَوْف والحَذَرِ
يلومُ عَينَيه أحياناً بذَنْبهما[٥] ويحمِل الذنبَ أحياناً على القَدَرِ
تناْونَ عنه وَينأى قلبُه معكم فقلبُه أبداً منه على سَفَرِ

فوَثبت إليه وقبّلت رأسَه، وقالت: لا أهجُرك والله أبداً ما حَيِيتُ.

---

(١) في «المختار»: والنوى.
(٢ ـ ٢) الأبيات والخبر من نسخة ف، وهما ساقطان من نسخة ب، ش والأبيات في «المختار».
(٣) في ب، س: «هذه المغنية».
(٤) في ب، س: كرب الحياة.
(٥) ف، بيروت: لذرفها.

غضبت عليه فضل الشاعرة فكتب إليها فراجعت وصله

أخبرني جَحْظَةُ قال: حدثني مَيمونُ بنُ هارون، قال:

غضِبت فَضْل الشاعرة على سَعِيد بنْ حُميْد فكتب إليها:

يـا أيّهـا الظـالـم مـا لِـي ولَـكْ أهكـذَ تهْجـر مَـنْ واصلَـكْ!

لا تصـرفِ الـرّحمـةَ عـن أهلهـا قـد يَعطِـف المولَـى على مـنْ مَلكْ

ظلمـتَ نفسـاً فيـكَ عَلّقتُهـا فـدَارَ بـالظُّلـم علـيّ الفَلَـكْ[1]

تبـارَكَ اللهُ فمـا أعـلـم الله بـمـا ألْقَـى ومـا أغفلـكْ!

فرَاجَعت وصله، وصارت إليه جواباً للرقعة.

في هذه الأبيات لعَريب ثاني ثقيل وهزج، عن ابن المعتز، وأخبرني ذُكاءُ وَجهُ الرّزة أنّ الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء.

فضل الشاعرة تشكو شدة شوقها إليه فيكتب إليها

أخبرني الطوسي الطَّلحِيُّ[2] قال: حدّثنا محمد بن السّريّ: أنّ سعيدَ بنَ حُمَيْد كان في مجلس الحَسن بن مُخلَّد، إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدَّة / شوقها، فقرأها وضَحك، ـ فقال له الحَسَنُ بن مُخَلَّد: [١٨/ ١٦٤] بحياتي عليك أقرئنيها، فدفَعها إليه فقرأها وضَحك وقال له: قد وحياتي مَلُحتْ فأجبْ، فكتب إليها:

يـا واصـفَ الشـوق عنـدي مـن شـواهـده قلـبٌ يهيـم وعَيـنٌ دَمعُهـا يكِـفُ

/ والنَّفـسُ شـاهـدةٌ بـالـوُدّ عـارفـةٌ وأنفُـسُ النـاس بـالأهـواء تـأتلـفُ ٧/١٧

فكـن علـى ثِقَـةٍ مِنّـي وبيِّنَـةٍ إنّـي علـى ثقـةٍ مـن كـل مـا تصِـفُ

عدلت فضل عنه إلى بنان بن عمرو فقال فيها شعراً

أخبرني جَحظةُ قال: حدّثني مَيمونُ بن هارون قال:

لما عشقت فَضلُ الشاعرةُ بنانَ بنَ عمرو[3] المغني، وعدلَتْ عن سعيد بن حُمَيد إليه أسف عليها وأظهر تَجَلُّداً، ثم قال فيها:

قـالـوا: تَعـزّ وقـد بـانـوا فقُلـتُ لهـم: بـانَ العـزاءُ علـى آثـارِ مَـنْ بـانـا

وكيـف يملـكُ سُلـوانـاً لحبِّهِـمُ مَـنْ لـم يُطِـق للهـوَى سَتْـراً وكتمـانـا!

كـانـت عـزائـمُ صَبْـرِي أستعيـن بهـا صـارتْ علـيَّ بحمـد الله أعـوانـا

لا خَيْـرَ فـي الحـبِّ لا تبـدو شـواكِلُـهُ ولا تَـرى منـه فـي العينيـن عُنـوانـا

قال أبو الحسن جحظة[4] : وغنّى فيه بعض المُحْدَثين لحناً حسناً، وأظنه عنى نَفْسَه.

---

(١) ف: عليها الفلك.

(٢) أ، ب، س: «أخبرني الطلحي».

(٣) ف، بيروت: بنان بن عمرون.

(٤) أ، ب، س: «قال أبو الحسن: وغنى».

كتب إلى أبي هفان يتبرأ من طعن فيه نسب إليه ظلماً

أخبرني الطَّلْحِيُّ قال : حدثني أبو عيسى الكاتب : أن أبا هِفّان بلغَه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جَفاء وطَعْن على شعره ، فتوعده بالهجاء ، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً ، فبَلغ سَعيداً ما جرَى، فكتب إلى أبي هِفّان:

أمسَى يُخَوِّفني العبديُّ صولتَه[1] وكيفَ آمنُ بأسَ الضَّيْغَمِ الهَصِرِ!
مَن ليس يُحرِزُني من سيفه أجلي وليس يمنعني مِنْ كيده حذَري
[١٦٥/١٨] / ولا أُبارِزُه بالأمرِ يكرهُه ولو أُعِنْتُ بأنصار من الغِيَرِ
له سِهامٌ بلا ريشٍ ولا عَقَبٍ وقَوْسُه أبداً عُطْلٌ من الوَتَرِ
وكيف آمنُ مَنْ تَخرِي له غَرَضٌ وسَهمُه صائبٌ يَخْفَى عن البَصرِ[2]!

عاتبته فضل الشاعرة فزارها وقال فيها شعراً

أخبرني الطَّلْحِيّ قال: حدّثني محمد بن السَّرِيّ: أنّه سار إلى سعيد بن حُمَيد وهو في دار الحسن بن مُخلَّد في حاجة له، قال: فإني عنده إذ جاءته رُقعةُ فَضْل الشاعرة، وفيها هذان البيتان:

صوت

الصبر ينقُص والسَّقامُ يزيدُ والدّارُ دانيةٌ وأنتَ بَعيدُ
أشكوك أم أشكو إليك فإنّه لا يستطيع سِواهُما المجهودُ

أنا يا أبا عُثمان في حال التَّلَف ولم تَعُدْني، ولا سألْتَ عن خَبري.

فأخذ بيدي فمَضينا إليها، فسأل عن خبرها، فقالت: هو ذا أموتُ وتستريح مني، فأنشأ يقول:

لا مُتُّ قبلي[3] بل أحيا وأنتِ معاً ولا أعيشُ إلى يوم تَموتينا
لكن نَعيش بما نَهوَى وتأمُلُه ويُرغِمُ الله فينا أنفَ واشينا[4]
حتى إذا قدَّر الرحمنُ ميتتنا وحانَ من أمرنا ما ليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعاً كغُصْنَي بانةٍ ذَبُلا مِنْ بعد ما نَضُرا وَاستوسقا حِينا
ثمَّ السَّلام علينا في مضاجعنا حتى نعودَ إلى ميزان مُنْشِينا

[١٦٦/١٨] / أخْبرني إبراهيمُ بنُ القاسم بن زُرْزور[5] قال: قال لي أبي:

٨/١٧ كانت فَضْل الشَّاعرةُ تتعشق / سَعيدَ بن حميد مدّة طويلة، ثم تعشقت بناناً، وعدَلت عنه، فقال فيها قَصيدَته الدَّالية التي يقول فيها:

(١) في ب: بصولته.
(٢) لم يرد هذا البيت في ف.
(٣) في ف: لا مت قبلك.
(٤) ف: شانينا.
(٥) ب، س، أ: «زرزور»، وفي ف: «زرزر».

* تَنامينَ عن ليلي وأسهَرُهُ وَحدِي[١] *

فَلم تتَعطَّف عليه، وبلغها بعد ذلك أنه قد عَشِق جارية من جواري القيان، فكتبت إليه:

يا عاليَ السنِّ سَيِّئَ الأدَب ... شِبتَ وأنتَ الغُلام في الطَّرِبِ
ويحكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرك الْمَنصوب بينَ الغُرور والعَطَبِ
لا تَصدِّينَ للفقير ولا ... يَطْلُبنَ إلا معادِنَ الذهبِ
بينا تَشَكَّى هواكَ إذ عَدَلَتْ ... عن زفراتِ الشَّكْوى إلى الطَّلبِ
تَلْحَظ هذا وذَاكَ وَذا ... لحظ مُحِبٍّ وفِعْلَ مُكْتَسِبِ

عادته فضل في مرضه وأهدته هدايا كثيرة

أخبرني إبراهيم قال: وحدّثني أبي قال:

افْتَصد سعيد بن حميد، فسألتني فضل الشاعرة، وسألتَ عَرِيب أن نمضي إليه، ففعلنا، وأهدت إليه هدايا، فكان منها ألف جَدْي وحَمَل[٢] وألف دَجاجة فائقة، وألف طبق ريحان وفاكهة، ومع ذلك طِيبٌ كثير وشرابٌ وتُحفٌ حِسانٌ، فكتب إليها سعيد: إنَّ سروري لا يتم إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، وجلسنا نشرب، فاستأذن غلامُه لِبَنان فأذِن له، فدخل إلينا وهو يومئذ شابٌّ طَرِير، حَسَن الوجه، / حَسنُ الغِناء، نظيف الثياب، [١٨/١٦٧] شَكِلٌ[٣]، فذهب بها كلَّ مذهب، وأقبلت عليه بحديثها ونَظَرها، فتشمَّز[٤] سعيد واستُطير غضباً، وتبيَّن بَنان القِصَّة فانصرف، وأقبل عليها سعيد يَعْذِلُها ويُؤَنِّبها ساعة، ثم أمسك، فكتبت إليه:

يا من أطلتُ تَفرُّسي ... في وَجْهه وتَنفُّسي
أفديك من مُتَدلِّلٍ ... يُزْهَى بقَتل الأنفُسِ
هَبْنِي أسأتُ وما أسَأ ... تُ بَلَى أُقِرّ أنا المُسِي
أحْلفتَنِي ألاَّ أسا ... رق نَظْرةً في مَجْلِسي
فنظرتُ نظرةَ مُخطِئٍ ... أتْبَعْتُها بتَفَرُّسِ
ونَسيتُ أنِّي قد حَلَفْ ... تُ، فما عُقُوبةُ مَنْ نَسِي؟

فقام سعيد، فقبَّل رأسَها وقال: لا عقوبةَ عليه بل نَحْتَمِل هَفوته، ونَتجافى عن إساءته، وغنت عَرِيبُ في هذا الشِّعر هَزَجاً، فشَربنا عليه بَقِيَّة يومِنا، ثم افترقنا. وأثَّرَ بَنان في قَلبها وعَلِقَت به، فلم تَزَلْ حتى واصلَته وقَطعت سعيداً.

وَجدْتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن المُعتز، قال: قال لي إبراهيم بن المهدي[٥]:

كانت فَضْل الشّاعرة من أحسن خلْق الله خَطّاً، وأفصحهم كلاماً، وأبلَغهم في مخاطبة، وأثبتهم في مُحاورة،

---

(١) عجز البيت كما جاء في ف، بيروت: «وأنهى دموعيَ أن تبثك ما عندي». وفي «التجريد»: «وأنهى جفوني. . .».
(٢) ب، س: «وجمل».
(٣) شكل: فيه دلال وغزل.
(٤) تشمز: تقبض. وفي «المختار»: «فنم». وفي ب، س: «فتشمر»، تصحيف.
(٥) ف، بيروت: المدبر.

فقلتُ يوماً لسعيد بن حُمَيد: أظنُّك يا أبا عثمان تكتب لفَضْلِ رِقاعَها وتُقيِّدها[١] وتُخَرِّجها، فقد أخذتَ نحْوَك في الكلام وسلكت سبيلَك، فقال لي وهو يضحك: ما أخيب[٢] ظنَّك، ليتها تسلم مِنِّي ولا آخذُ كلامَها ورسائلَها[٣]، والله يا أخي لو أخذ أفاضلُ الكُتّاب وأماثلُهم عنها لما استغنَوْا عن ذلك.

[١٨/١٦٨]

صوت

٩/١٧

كـلُّ حَـيٍّ لاقِـي الحِمـام فَمُـودِي ... مـا لِحَـيٍّ مُـؤَمَّـلٍ مِـنْ خُلـودِ

لا تَهـابُ المَنـونُ شَيْئـاً ولا تُبْـ ... ـقِـي علـى والـدٍ ولا مَـوْلـودِ

الشعرُ لابن مُناذِر، والغِناء لبنان ثقيل أول بالسّبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صَنْعته، وفيه لِساجي[٤] جارية عُبَيد الله بنِ عبدِ الله بنِ طاهر ثقيلٌ أوّل أيضاً على مذهب النَّوْح، ابتداؤُه نشيد.



(١) ف: «وتقيدها».

(٢) ف: «ما أحسن ظنك».

(٣) ب، هب: «. . . لآخذ كلامها ورسائلها».

(٤) هب، ب، س: لشاج.

/ أخبار ابن مناذر ونسبه

[١٦٩/١٨]

نسبه وكنيته

هو محمَّد بن مُناذِر مولى بني صُبَيْر بن يَرْبوع، ويُكْنَى أبا جَعْفر، وقيل: إنه كان يُكنَى أبا عبد الله.

ووجدتُ في بعض الكُتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يُكنى أبا ذَرِيح وقد كان له ابن يُسمى ذَرِيحاً، فمات وهو صَغير وإياه عَنى بقوله:

كــأنّــك للمنــايــا يــا ... ذَرِيــحُ اللهُ صَــوَّرَكَــا

فنــاطَ بــوَجْهــك الشِّعْــرَى ... وبــالإكليــل قَلَّــدكَــا

ولعلّه اكْتَنى به قبلَ وفاته.

وقال الجاحظ: كان مُحمَّدُ بنُ مُناذِر مولى سليمان القَهْرمان، وكان سليمان مَوْلى عُبَيْد الله بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول الله ﷺ، وكان أبو بكرة عَبداً لثَقِيف، ثم ادَّعى عُبَيْد الله بن أبي بكرة أنه ثَقَفِيٌّ، وادّعى سليمان القَهرمان أنه تميميٌّ، وادّعى ابنُ مناذر أنه صَلِيبة من بني صُبَيْر بن يَرْبوع، فابنُ مناذِر مَوْلَى مَوْلَى مَوْلَى، وهو دَعِيٌّ مولى دَعِيٌّ، وهذا ما لا يجتمع في غَيره قط ممَّن عرفْناه وبلَغنا خبرُه.

كان إماماً في العلم باللغة

ومحمد بنُ مُناذر شاعر فَصيح مُقَدَّم في العلم باللغة وإمام فيها، وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها، وكان في أوّل أمره يتألّه، ثم عدَل عن ذلك فهَجَا الناس، وتهتّك وخلع، وقَذَف أعراضَ أهل البصرة حتى نُفِيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك. وهذه الأبيات يَرْثي بها ابنُ مناذر عبدَ المجيد بنَ عبد الوهاب الثّقفيّ، وكان عبدُ الوهاب[1] مُحدِّثاً جليلاً، وقد رَوى عنه وُجوهُ المحدِّثين وكبراء الرُّواة، وكان ابن مُناذِر يهوى عبد المجيد هذا. فكان في أيّام حياته / مَستوراً [١٧٠/١٨] متألّهاً جَميلَ الأمر، فلمّا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عَليه، وأخبارُهما تُذكَر في مواضعهما.

كان ناسكاً في أول أمره، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك وفتك

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفَش، قال: حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويُّ، قال:

كان ابنُ مُناذر مَوْلى صُبَيْر بنِ يَرْبوع، وكان إماماً في عِلم اللُّغة وكلام العَرب، وكان في أوّل أمره ناسكاً مُلازماً للمسجد، كثيرَ النَّوافل، جَميلَ الأمر إلى أن فُتِن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفيّ، فتهتّك بعد ستره، وفتكَ بعْد نُسْكِه، ثم ترامَى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفيّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظْهر البَذاء وقذف المحْصَنات، ووجبت عَليه حُدُودٌ، فهَرب إلى مكة وبقي بها حتى مات.

---

(١) ف: «وكان عبد المجيد...».

كان سفيان بن عيينة يسأله عن معاني حديث النبي ﷺ فيخبره بها

وكان يُجالس سُفيانَ بنَ عُيَيْنَةَ، فيسأله سُفيانُ عن معاني حديث النبي ﷺ فيُخبِره بها، ويقول له: كَذَا وكَذا مأخوذ من كَذا، فيقول سفيان: كلامُ العربِ بَعضُه يأخذُ بِرقاب بعض. قال: وأدرَك المَهْدِيَّ / ومدَحه، ومات في أيام المأمون. ١٠/١٧

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيْمان، قال: حدَّثني محمد بن يزيد وغيره: أنَّ محمّد بنَ مُناذِر كان إذا قيل له: ابن مَناذر ـ بفتح الميم ـ يغضب، ثم يقول: أمَناذر الصُّغرى أم مَناذر الكبرى؟ وهما كورتان من كُوَر الأهوار، إنما هو مُناذر على وزن مُفاعِل من ناذَر فهو مُناذِر، مثل ضارب فهو مُضارِب، وقاتل فهو مُقاتِل.

وعظته المعتزلة فلم يتعظ، ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وهجاهم

قال محمد بن يزيد: ولما عدل محمد بن مُناذر عما كان علَيه من النُّسْك والتَّألُّه وعظتْه المعتزلة فلم يَتَّعِظ، وأوعدَته بالمكروه فلم يزدجر، ومَنعوه دخولَ المسجد فنابذهم / وطعن عليهم وهجاهم، وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيطرحه في مَطاهِرهم، فإذا تَوضَّئُوا به سوّد وجوهَهم وثيابَهم، وقال في تَوَعد المعتزلة إيّاه: [١٨/١٧١]

أبلِغْ لديك بني تَمِيمٍ مَألُكاً[1] عَنِّي وعَرِّج في بَني يَرْبُوعِ

أَنِّي أخٌ لكُمُ بِدارِ مَضِيعَةٍ بُومٌ وغِرْبانٌ عليه وُقوعُ[2]

يا لَلْقبائلِ من تَمِيمٍ ما لكُم رَوْبَى[3] ولَحْمَ أخِيكم بمَضِيعِ

هُبُّوا له فلقد أراه بنَصْرِكُم يَأْوِي إلى جَبَلٍ أشَمَّ مَنِيعِ

وإذا تحزَّبت القَبائلُ كُنْتُمُ ثِقَتي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وفظيعِ[4]

إن أنتُم لم تَثْأرُوا لأخيكُم[5] حتى يُباءَ بِوِتْرِه المَتْبُوعِ

فخُذوا المَغازِلَ بالأكُفّ وأيقِنوا ما عِشْتُمُ بمَذَلَّةٍ وخضوعِ

إن كنتُم حُدُباً[6] على أحسابكم سُمُعاً فقد أسمعتُ كُلَّ سَمِيعِ

أينَ الصُّبَيْرِيُّون[7] لم أرَ مِثْلَهم في النائبات وأين رَهْط وَكِيعِ!

قال: ثم استَحْيا من قَوْله: أينَ الصُّبَيْرِيُّون؟ لِقِلَّة عَدَدهم فقال: أين الرِّياحِيُّون؟.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني الحَسن بنُ عليّ، قال: حدّثني مسعودُ بنُ بِشْر، قال:

قال لي ابنُ مُناذر: ولع بي قومٌ من المعتزلة ففَرِقْتُ منهم، قال: وكان مَوْلَى صُبَيْر بنِ يَرْبُوع، فقلت: بنو صُبَيْر

(١) المألك: الرسالة.
(٢) في البيت إقواء.
(٣) قوم روبى: خاثر والأنفس مختلطون.
(٤) ب، س، و «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٥٩: صلتم بدل كنتم. وبفتى بدل ثقتي.
(٥) ب، س، و «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٥٩: «لم توتروا». ومعنى توتروا: تفزعوا وتأخذوا له وتره.
(٦) في ب، س، و «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٥٩: «حرباً».
(٧) في «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٥٩: «أين الرياحيون...».

نَفْسان ونصف، فمن أَدْعو / منهم؟ فقلت: ليس إلا إخوتهم بنو رياح، فقلت أبياتاً حَرَّضْتُهم فيها، وحضَضْت [١٨/ ١٧٢] بنو رياحَ، فقلت:

أيـن الـرِّيـاحِيُّـون لـم أرَ مِثلَهـم ... فـي النَّـائبـات وأيـنَ رَهْـط وكيـع!

قال: فجاء خَمْسون شيخاً من بني رِياح فطرَدُوهم عنّي.

أخبرني عليُّ بنُ سُليْمان قال: حدَّثني محمد بن يزيد، قال: حدثني الجاحِظ، عن مسعود بن بِشر، عن أبي عُبيدة، قال:

ما زادت بنو صُبَيْر بنِ يَرْبوع قط على سَبْعة نَفَر، كُلَّما وُلِد منهم مولود مات منهم ميّت.

كان من أهل عدن

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار، قال: حدثني يعقوب بن نعيم، قال: حدثني إسحاقُ بن محمد النَّخعيّ، قال: حدَّثني أبو عثمان المازنيّ، قال:

كان ابنُ مُناذر من أهل عدن، وإنَّما صار إلى البَصْرة في طَلب الأدَبِ لِتَوافُر العلماء فيها، فأقام فيها مدّة، ثم شُغِل بعبد المجيد بن عبدالوهاب الثَّقَفيّ، فتطاول أمرُه إلى أن خَرَج عنها، وكان مُقيماً بمَكَّة، فلما مات عبد المجيد نَسَك. وقوم يقولون: إنه كان دَهْرِيّاً.

كره الناس إمامته في المسجد بعد تهتكه فهجوه ورد عليهم

وذكر أبو دعامة، عن عطاء الملط[١] قال:

كان / ابن مناذر يؤُمّ النَّاسَ في المسجد الذي في قبيلَته، فلما أظْهَر ما أظهره من الخَلاعة والمُجُون كرهوا أن [١١/ ١٧] يُصلِّيَ بهم وأن يأْتَمُّوا به[٢] فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهَجَوْه، وألقوا الرقعة في المِحْراب، فلما قضى صلاتَه قرأها، ثم قلَبها وكَتَب فيها يقول:

نُبِّئْـت قـافيـةً قِيلـت تَنـاشَـدَهـا ... قـومٌ سـأتـرك فـي أعـراضهـم نَـدَبـا

نَـاكَ الـذيـن رَوَوْهـا أُمَّ قـائِلهـا ... ونـاكَ قـائلُهـا أُمَّ الـذي كَتَبـا

ثم رمى بها إليهم ولم يعُد إلى الصلاة بهم.

/ أول لقاء له بأبي نواس [١٨/ ١٧٣]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ، قال:

حدثنا أبو الفَضْل بن عبدان بن أبي حَرْب الصَّفّار، قال: حدَّثني الفضل بنُ موسى مولى بني هاشم، قال:

دخلَ ابنُ مُناذر المسجدَ الجامع بالبصرة، فوقعت عينُه على غُلام مُسْتَنِد إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقعة ودَواةً، فكتب أبياتاً مَدَحه بها، وسأل الغُلاَم الذي التَمسه أن يُوصِّل الرُّقْعة إلى الفَتى المُستنِد إلى السارية، فذهب بها إلى الغلام، فلما قرأها قلَبها وكَتب على ظَهْرِها يقول:

---

(١) ب، س: عطاء الملك.

(٢) ف: يأثموا به.

مِثْـلُ امْتِـداحِـك لـي بـلا وَرِقٍ[١] مثـلُ الجِـدار بُنِـي علـى خُـصِّ
وألـذُّ عِنْـدي مـن مـديحـك لـي سُـودُ النِّعـالِ ولَيِّـنِ القُمْـصِ
فـإذا عَـزَمْـتَ فهَـيِّ لـي وَرِقـاً فـإذا فعلـتَ فلسـتُ أستَعْصِـي

فلما قرأها ابنُ مُناذر قام إليه فقال له: ويْلك، أأنْتَ أبو نُوَاس؟ قال: نعم، فسلَّم عليه وتعانَقا، وكان ذلك أوّل المودَّة بينهما.

خبره مع أبي العتاهية

أخبرني مُحمَّد بن الحَسن بن دُرَيْد، قال: حَدَّثني أبو حاتم، قال:

اجتَمع أبو العَتاهِيَة ومحمد بن مُناذِر، فقال له أبو العتاهِية: يا أبا عبد الله، كيف أنتَ في الشِّعْر؟ قال: أقول في الليلة إذا سَنَح القَولُ لي، واتَّسَعَت القوافِي عشرةَ أبياتٍ إلى خَمْسة عشر، فقال له أبو العتاهِية: لَكِنِّي لو شِئْت أن أقولَ في الليلة ألفَ بيْت لقُلْت، فقال ابنُ مُناذِر: أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك:

ألا يـا عُتْبَـةَ السّـاعَـة أمـوتُ السّـاعـةَ السّـاعَـة

قلت: ولكني لا أُعوِّد نفْسي مثل هذا الكلام السّاقِط، ولا أسمَح لها به، فخَجِل أبو العَتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَه.

[١٨/١٧٤] / أخبرني به الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه، قال: حدَّثني سَهْل بنُ محمد أبو حاتم، وأحمد بنُ يعْقوب بن المُنير ابن أخت أبي بَكْر الأصمّ. قال ابنُ مَهْرُويَه: وحدثني به يحيى بنُ الحسن[٢] الرَّبِيعيّ، عن غَسَّان بن المُفَضَّل[٣]، قال:

اجتمع أبو العتاهِيَة، وابنُ مُناذر، فاجتمع الناس إليهما، وقالوا: هذان شَيْخا الشُّعَراء[٤]، فقال أبو العتاهية لابْنِ مُناذِر: يا أبا عبد الله، كم تقولُ في اليَوْم من الشِّعْر؟ وذكر باقي الخَبَر مثل المتقدم سواء.

رفض خلف الأحمر أن يقيس شعره إلى شعر الجاهليين

أخبرني أبو دُلَف هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدَّثنا العباس بن مَيْمون طائع، قال:

سمعتُ الأصمَعِيّ يقول: حضرنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرِز خلَفُ الأحمر، وحضرها ابنُ مُناذِر، فقال لخلف الأحمر: يا أبا مُحْرز، إن يكُنْ النَّابغة، وامرؤُ القيْس، وزُهَيْر، قد ماتوا فهذه أشعارُهم مُخَلَّدة فقِسْ شعْري إلى شِعْرِهم، واحكُم فيها بالحقّ، فغضِب خلَفٌ، ثم أخذ صحفة / مملوءة مَرقاً فرمَى بها عَليه فمَلأه، فقام ابنُ مُناذر مُغْضَباً، وأظنه هَجاه بعد ذلك. [١٢/١٧]

طلب من أبي عبيدة أن يحكم بين شعره وشعر عدي بن زيد

أخبرني حَبيب بنُ نصْر المَهلَّبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا خَلّاد[٥] الأرقط، قال:

(١) الورق: الدراهم المضروبة.
(٢) ف: بن الحسين.
(٣) ب، س: الفضل.
(٤) ف: شيخا الشعر.
(٥) ب، س: حماد الأرقط.

لَقِيَني ابنُ مُناذر بمكة، فأنشدني قصيدتَه:

* كُلُّ حَيٍّ لاقِي الحِمام فمُودِي *

ثم قال لي: أقرىء أبا عُبيدة السلام وقل له: يقول لك ابنُ مناذر، اتَّقِ اللهَ واحكُم بين شِعْري وشِعْر عَدِيّ بن زَيد، ولا تقُل ذلك جاهليٌّ، وهذا إسلاميّ، وذاك قديم وهذا مُحْدَث فتحكم بين العصرين، ولكن احكُم بين الشعرين ودع / العَصبيّة، قال: وكان ابنُ مناذِر ينحُو نحو عَدِيّ بن زيْد في شِعْره، ويمِيل إليه ويقدِّمه. [١٨/ ١٧٥]

ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويقدمه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني محمد بن عثمان الكزبريّ، قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني، قال:

قُلتُ لابن مُناذر: مَنْ أشعر الناس؟ قال: مَنْ كُنتُ في شِعْره، فقلت له: ومَنْ[1] ذاك؟ فقال: عَديُّ بن زيد، وكان ينحُو نحوه في شِعْره ويقدّمه ويتّخذه إماماً.

كان أبو عبد المجيد الثقفي على جلالته وسنه لا ينكر صحبة ابنه لابن مناذر

والأبيات التي فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مُناذِر رَثَى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ، وكان يَهْواه، وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً، وأكملِهم في كلّ حال، وكان على غاية المحبّة لابنِ مُناذر والمُساعدة له والشَّغَف به. وكان يبلُغ خبرُه أباه على جلالته وسِنّه وموْضعه من العِلْم، فلا يُنْكِر ذلك؛ لأنّه لم تكن تبلغه عنه ريبة، وكان ابنُ مُناذر حينئذ حَميدَ الأمْر[2] حسن المروءة عفيفاً. فحدَّثني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بنُ حُدَّان[3]، قال: حدثني قُدامة بن نوح، قال:

قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ: إن ابنَ مُناذر قد أفسد ابنك، وذكره في شِعْره وشبَّب به، فقال عبد الوهاب: أو لا يَرْضَى ابني أن يَصْحبه مثلُ ابن مُناذر ويذكره في شعره!.

خروجه إلى جبانة بانة أم عبد المجيد مع جواريها

أخبرني أحمد بنُ عُبيد الله بنِ عمّار، قال: حدثني عليُّ بن محمد بن سليمان النَّوفليّ، قال:

أُمّ عبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفيّ الذي كان يشبّب به ابن مُناذر بانَةُ بنت أبي العاصي، وهي مَوْلاة جِنان التي يشبِّب بها أبو نُواس، قال: فحدّثني مَنْ رأى / محمد بنَ مُناذر يوم ثالثِ بانَةَ هذه، وقد خَرج جواريها إلى قبرها، فخرج معهنّ نحو الجبّانة بالبصْرة، قال: فقلتُ له: يا أبا عبد الله، أينَ تُريد؟ فقال: [١٨/ ٧٦]

اليـــومُ يـــومُ الثُّـــلاثـــا ... وَيـــومُ ثـــالـــثِ بـــانَـــهْ

اليـــوم تكثُـــر فيـــه الظِّبـــا ... ءُ فـــي الجَبّـــانَـــهْ

(١) في ب، س: فقلت له: على ذاك.

(٢) ف: جميل الأمر.

(٣) ب: «جدان»، تصحيف.

قال أبو الحَسَن: ولَدت بانَةُ من عَبْدِ الوَهَّاب بن عبد المجيد أولادَه: عبدَ المَجيد وأبَا العاصِي، وزياداً. وزِيادٌ الذي عناه أبو نُواس في قَوْله يُشَبِّب بجِنان:

جَفْــنُ عينــي قــد كــاد يَــسْــقــط مــن طــول مــا اختلَــجْ
وفُــؤادِي مِــنْ حَــرِّ حُــبِّــكِ قــد كــاد أو نَضَــجْ
خَبِّــرِينــي فَــدَتْــكِ نَــفْــسِــي وأهْلِــي مَتَــى الفَــرَجْ![1]
كــان ميعــادُنــا خُــرو جَ زيــادٍ فقــد خَــرَجْ

/ قال ابن عَمّار: قال لي النَّوفَلِيّ: في هذه الأبيات غناء حُلْو مليح، لو سَمِعْتَه لشربتَ عليه أربعة أرطال. ١٣/١٧

قال النوفَلِيُّ: وكان لعبْد الوهاب ابنٌ يقال له: محمد، كان أسنَّ وَلَدِه، ويقال: إنه كان يتعشَّق بانَةَ ابنةَ أبي العاصي هذه امرأةَ أبيه، وإن زِيادَ بن عبد الوهاب منه، وكان أشْبَه الناس به.

حدثني ابن عمار قال: حدثنا عُمر بن شبة، قال: حدثني أبي قال:

خَرَج ابنُ مُناذِر يوماً من صَلاة التَّراوِيح وهو في المَسْجد بالبصرة، وخرج عَبْدُ المَجيد بن عبد الوهاب خلفَه، فلم يَزَل يُحدِّثه إلى الصُّبح، وهما قائمان، إذا انْصرَف عَبْدُ المجيد شَيَّعَه ابنُ مُناذر إلى منزله، فإذا بَلَغه وانصرفَ ابنُ مُناذر شَيَّعه عبدُ المجيد، لا يَطِيب أحدُهما نَفْساً بفِراقِ صاحِبِه حتى أصبَحا. فقِيلَ / لعبد الوهاب بن عبد المجيد: ابنُ مناذر قد أفْسَد ابنَك، فقال: أو ما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مُناذر[2]. [١٨/١٧٧]

قصيدة له في مدح عبد المجيد بن عبد الوهاب

وفي عَبْدِ المَجيد يَقولُ ابنُ مُناذر يَمدحُه، وهو من مُخْتار ما قاله فيه، أنشدنيها عليُّ بنُ سُليمان الأخفَشُ، عن محمد بن زَيْد من قَصِيدَةٍ أولها:

شَيَّــبَ رَيــبُ الــزَّمــانِ رأسِــي لَهْفِــي علــى ريــبِ ذَا الــزَّمــانِ
يَقْــدَحُ فــي الصُّــمِّ مــن شَــرَوْرَى ويَحْــدُر[3] الصُّــمَّ مــن أبــانِ

يَقولُ فيها يمدَحُ عَبْدَ المَجيد:

مِنِّــي إلــى المــاجــد المُــرَجَّــى عبــدِ المَجِيــد الفَتــى الهِجــانِ
خيــرِ ثَقِيــفٍ أبــاً ونَفْســاً إذا التَقَــت حَلْقَتــا البِطــانِ
نفســي فِــداءٌ لــه وأهْلِــي وكُــلُّ مــا تَمْلِــك اليَــدانِ
كــأنَّ شمــسَ الــضُّــحَــى وبــدر الــدُّجَــى عليــه مُعلَّقــانِ
نِيطــاً معــاً فــوق حــاجِبَيْــه والبــدرُ والشَّمــسُ يَضْحَكــانِ
مُــشَــمِّــرٌ، هَمُّــه المَعــالِــي ليــس بِــرَثٍّ ولا بِــوانِــي

(١) ف: حدثيني.
(٢) في «المختار»: «أو ما يرضى ابني أن يرضى به ابن مناذر».
(٣) في ب، هب: ويحذر. وشروري، وأبان: جبلان.

بَنَى لَهُ عِزَّةً ومَجْداً فِي أولِ[1] الدَّهرِ بانيان
بانِ تلقَّاه مِن ثَقِيفٍ ومِن ذُرَا الأزدِ خَيرُ بانِي[2]
فاسألْهُ مِمَّا حَوَتْ يَداه يَهْتَزُّ كالصَّارِمِ اليَمانِي[3]

[١٧٨/١٨]

/ ملازمته عبد المجيد في مرضه

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو تَوْبة صالحُ بنُ مُحَمد قال:

مرض عَبْدُ المجيد بنُ عبد الوهاب الثَّقفيّ مرضاً شديداً بالبَصْرة، وكان ابنُ مناذر ملازماً له يُمرِّضُه ويخدمه، ويتولى أمرَه بنفسه، لا يَكِله إلى أحد. فحدّثني بعضُ أهلهم قال: حضرتُ يوماً عنده، وقد أُسْخِن له ماءٌ حارٌّ لِيَشْرَبه، واشتَدَّ به الأمرُ فجعل يقول: آهِ! بصوت ضَعِيف، فغَمَس ابنُ مُناذِر يدَه في الماء الحارّ وجعل يتأوَّه مع عبد المجيد ويدُه تَحْترِق حتى كادَتْ يدُه تَسقُط، فجذَبْناها وأخرجْناها من الماء، وقلنا له: أمَجْنُونٌ أنت! أيُّ شيء هذا! أينتفع به ذاك! فقال: أساعده، وهذا جَهْد من مِقلٍّ، ثم استَقَلَّ من عِلَّته تلك وعُوفِي مُدَّة طويلة، ثم تَردَّى من سَطح فمات، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يَفضُل / أهلَه وإخوتَه في البُكاء والعَويل، وظَهر منه من الجزع ما عجب الناسُ له، ورثَاه بعد ذلك بِقصيدته المَشْهُورة، فرواها أهلُ البَصْرة، ونِيح بها على عبد المجيد، وكان الناس يُعجَبون بها ويَستَحْسِنُونها.

١٤/١٧

أخبرني الحسن بن عَليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم النُّوشَجانِيّ[4]، قال: سمعت أبي يقول:

حضرتُ سُفيان بن عُيَيْنَة يقول لابن مُناذِر: أنشِدْني ما قلتَ في عبد المجيد، فأنشده قصيدته الطويلة الدّالية. قال سفيان: باركَ الله فيك، فلقد تفرَّدت بمراثي أهل العراق.

سقوط عبد المجيد من السطح على رأسه وموته

فأخبرني عمّي، قال: حدثني أبو هِفَّان، قال: قال جَمّازٌ:

تزوج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شَهْراً يجتمع عنده في كلّ يوم وُجُوه أهل البصرة وأدباؤُها وشعراؤها، فصعد ذاتَ يوم إلى السطح فرأى طُنُباً من أطناب السِّتارة قد انحَلَّ، فأكبَّ عليه ليشدَّه، فتردَّى على رأسِه ومات من سَقْطته، فما رأيتُ مُصيبَةً قطّ كانت أعظم منها ولا أنكأ للقُلوب.

[١٧٩/١٨]

/ طارح محمد بن عمر الخراز رثاءه في عبد المجيد وناحا عليه به بعد أن وضعا فيه لحناً

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدثني الحسَنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ، قال: حدثني العبَّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني محمد بن عمر الخَرّاز[5]، قال:

قال لي ابنُ مُناذِر: ويحك! ولستُ أرى نساء ثَقِيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نِياحَةً على استواء، قلت: فما

(١) في ب: أزل.
(٢) في ب: «بأن تلقاه... غير بان»، تحريف.
(٣) كذا في ف. وفي ب، س: «جاء البيت الثامن مكان التاسع».
(٤) ف: محمد بن محمد بن القاسم النوشجاني.
(٥) ف: عن جعفر بن سليمان، قال: حدثني محمد بن عمرو الجان.

تُحبّ؟ قال: تخرجُ معي حتى أطارحك، فطارَحني القصيدة التي يقول فيها:

إنَّ عبدَ المجيد يوم تَوَلّى ... هَدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدُودِ
هَدَّ عبدُ المجيد رُكْنِي وقد كُنْـ ... ـتُ بِرُكْنٍ أبوءُ منه شَدِيدِ[1]

قال: فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعَيْتُها، ووضعنا فيها لحناً، فلما كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها، صلّينا العِشاء الآخِرَة في المسجد الجامع، ثم خرجنا إلى دارهم، وقد صعد النساء على السَّطح يَنُحن عليه، فسكَتن سَكْتَةً لهنّ، فاندفعنا أنا وهو نَنُوح عليه، فلما سمِعْتنا أقبلن يَلْطُمْن ويصِحْن حتى كِدْن يَنْقَلِبْنَ من السطح إلى أسفل من شدة تَشرُّفِهِنّ علينا وإعجابِهِنّ بما سمِعنه منا، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا، وشاع الخبر بالبصرة وتحدَّث به الناسُ حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس.

أم عبد المجيد تبرّ قسمه وتصيح صياحاً يقال إنه أول ما قيل في الإسلام

وأخبرني الحسَن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال لي: حدثني موسى بن[2] حماد بن عبد الله القُرشيّ، قال: حدثني محمد بن النعمان بن جَبَلة الباهِلِيّ، قال: لما قال ابنُ مُناذِر:

لأُقِيمَنَّ مأتماً كنُجوم اللَّيْـ ... ـلِ زُهْراً يلْطُمْنَ حُرَّ الخُدُودِ
مُوجَعاتٍ يَبْكِين للكَبِد الحَرَّى ... عليه وللفُؤادِ العَمِيدِ

[١٨/١٨٠] / قالت أم عبد المجيد: والله لأبرَّنَّ قسمَه، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه، وقامت تصيح عليه: واي، وَيْه، واي، وَيْه، فيقال: إنها أول من فعل ذلك وقاله في الإسلام.

رثاء له في عبد المجيد

وأخبرني بهذا الخبر ابنُ عمّار عن عليّ بن محمد النوفليّ عن عمه:

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ، قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن محمد بن عامر النخعيّ[3]، قال:

أنشدني محمدُ بن مُناذِر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول:

١٥/١٧ / يا عَينُ حَقَّ لكِ البُكا ... ءُ لحادِثِ الرُّزْءِ الجَليلِ
فابكي على عبد المجِيـ ... ـدِ وأعوِلي كلَّ العَوِيلِ
لا يُبْعِدُ اللهُ الفَتَى الـ ... ـفَيّاضَ ذَا الباعِ الطَّويلِ
عَجِل الحِمامُ به فَودَّ ... عَنا وآذَنَ بالرَّحِيلِ
لَهَفِي على الشَّعَر المُعَفَّر ... منكَ والخَدِّ الأسيلِ
كَسَفَتْ لِفقْدِك شمْسُنا ... والبَدْرُ آذن بالأفُولِ

عرض قصيدته الدالية على أبي عبيدة فلم تعجبه

حدثني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثني النَّضْرُ بن عمرو عن المازِنيّ، قال: حدثنا حَيّان:

(١) بيتان من قصيدة تقع في تسعة وثلاثين بيتاً. انظر «مهذب الأغاني» ٧ ـ ١٦٠.
(٢) ف: «حدثني يونس بن حماد».
(٣) ف: «الحنفي».

أنَّ ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه، وقال: اعرِضها على أبي عُبَيْدة، فأتَيْتُه وهو على باب أبي عَمْرو بن العَلاء، فقرأتُ عليه منها خمسةَ أبيات فلم تُعجِبْه، وقال: دعني من هذا، فإني قد تشاغلْتُ بحِفْظ القرآن عنه وعن مِثْله، قال: وكان أبو عبيدة يُبغِضُه ويُعادِيه لأنه هَجَاه.

هبود وعبود

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر، قال: حدَّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال ابن مناذِر: قلت:

* يَقدَحُ الدهرُ في شماريخ رَضْوَى *

/ ثم مكثتُ حَولاً لا أدرِي بمَ أُتمِّمُه، فسمعت قائلاً يقول: هَبُود، قلت: وما هَبُود؟ فقال لي: جُبَيْل في [١٨/ ١٨١] بلادنا، فقلت:

* ويحُطُّ الصُّخورَ من هَبُّودِ *

قال إسحاق: وسَمع أعرابيٌّ هذا البيت، فقال: ما أجهل قائله بهَبُّود! والله أنها لأُكَيمة ما تُوارى الخارِىء، فكيف يحُطُّ منها الصُّخور!.

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدَّثني أبو حاتم، قال: سمِعتُ أبا مالِك عمْرو بن كِرْكِرة يقول:

أنشَدني ابنُ مُناذر قصيدتَه الدّالية التي رَثى فيها عبدَ المجيد، فلمّا بَلغ إلى قوله:

يَقدح الدّهرُ في شماريخ رَضْوَى ... ويحُطُّ الصُّخورَ مِنْ هَبُّود

قلت له: هَبُود، أيّ شيء هو؟ فقال: جبَل، فقلت: سَخِنت عينُك، هَبُود والله بئر باليمامَة مَاؤها مِلْح لا يَشْرَب منه شيءٌ خَلَقه الله، وقد والله خَرِيتُ فيها مَرّات، فلما كان بعد مدة وقَفتُ عليه في مَسجد البصرة وهو ينشدها، فلما بَلغَ هذا البيتَ أنشدَها:

* ويحُط الصُّخورَ من عَبُّود *

فقلت له: عَبُود، أيُّ شَيء هو ذا[1] ؟ فقال: جَبل بالشّام، فلَعلك يابن الزّانية خَرِيت عليه أيضاً، فضحِكْتُ ثم قلْت: لا ما خريت علَيه ولا رأيتُه، وانصرفت عنه وأنا أضحَك.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرانيُّ، عن العُمريّ، عن الهَيْثم بن عديّ، قال:

كان يحيى بنُ زياد يُرمَى بالزّندَقة، وكان من أظْرف الناس وأنظفهم، فكان يقال: أظرف من الزّنديق.

/ **شعر له في محمد بن زياد** [١٨/ ١٨٢]

وكان الحاركيّ واسمه محمد بن زياد يُظهِر الزندقة تظارفا، فقال فيه ابنُ مُناذر:

يا بنَ زيادٍ يا أبا جَعفرٍ ... أظهرتَ دِيناً غيرَ ما تُخفِي

مُزَنْدَق والظاهِر باللفظ[2] في ... باطنِ إسلامٍ فَتَى عَفِّ

(١) في ب، س: أي شيء هو زيادة.
(٢) ف: «مزندق الظاهر باللطف».

لَسْتَ بِزِنْدِيقٍ ولكنَّما ... أَرَدْتَ أن تُوسَمَ بالظَّرْفِ[1]

وقال فيه أيضاً:

يا أبا جَعْفَرٍ كأنك قد صِرْ ... تَ على أَجْرَدٍ طَويلِ الجِرانِ[2]

١٦/١٧ / مِن مَطايا ضَوامِرٍ ليس يَصْهَلْـ ... ـنَ إذا ما رُكِبْنَ يومَ رِهانِ

لم يُذَلَّلْنَ بالسُّروج ولا أُفْـ ... ـرِحَ أشداقَهُنَّ جَذْبُ العِنانِ

قائماتٍ مُسَوَّماتٍ لدى الجِسْـ ... ـرِ لأمثالِكم من الفِتْيانِ

انصرف الناس عن حلقته إلى حلقة عتبة النحوي فقال شعراً في ذلك

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَة عن ابن عائشة، قال:

كان عُتْبة النحويّ من أصحاب سيبويه، وكان صاحبَ نحوٍ فَهِماً بما يشرحه ويفسّره على مذاهِب أصْحَابه، وكان ابنُ مناذر يَتعاطى ذلك، ويجلس إليه قومٌ يأخذُونه عنه، فجَلَس عُتْبة قريباً من حَلْقته، فتقوّض الناسُ إليه، وتركوا ابنَ مُناذر، فلمّا كان في يَوْم الجمعة الأخرى قام ابنُ مناذر من حَلْقته، فوقف على عُتْبة، ثم أنشأ يقول:

قُومُوا بنا جميعاً ... لحَلْقةِ العَذارِي

تَجمعنَ للشقاءِ ... إلى عُتْبةِ الخَسارِ[3]

ما لي ومَا لِعَتْبَـ ... ـةَ إذ يَبْتَغِي ضِرارِي

[١٨/١٨٣] / قال: فقام عتبة إليه فناشده ألّا يَزيد، ومنع مَنْ كان يَجلِس إلى ابن مُناذِر من حضور حَلْقته، وجَلس هو بعيداً من ابنِ مُناذر بعد ذلك.

كان جاره ابن عمير يغري به المعتزلة فهجاه

حدّثني عَمِّي، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة، قال:

كان لابن مُناذر جارٌ يقال له ابنُ عُمير[4] من المعتزلة، فكان يَسعى بابن مناذر إليهم، ويَسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به، فقال يَهْجوه:

بَنُو عُمَيْرٍ مَجدُهم دارُهم ... وكُلّ قَوم فلَهُم مَجدُ

كأنهم فَقْعٌ[5] بِدَوِّيَّةٍ ... وليس لهم قَبْلٌ ولا بَعْدُ

بَثَّ عُمَيرٌ لُؤمَه فيهمُ ... فكُلُّهم من لُؤمِه جُعْدُ

وأخبرني بهذا الخبر الحَسَنُ بنُ عليّ، عن ابن مَهْرُويه، عن النَّوفليّ بمِثْله، وزاد فيه: وعبد الله بن عُمَير ـ أبُو هؤلاء الذين هجاهم ـ أخو عَبْدِ الله بن عامِرٍ لأُمّه، أُمُّهما دَجاجَةُ بِنْت إسماعيل بنِ الصَّلت السَّلميّ.

(١) في ف: البيت الثاني مكان الثالث.
(٢) الجران: باطن العنق من البعير وغيره.
(٣) في هب: جمعن. وفي ب، بيروت: «يجمعن. . . مع عتبة».
(٤) ف: «أبو عمير».
(٥) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة. يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر. وفي ب: «قفع»، تصحيف.

كان من أحضر الناس جواباً

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا الخليل بن أسد، قال:

كان ابنُ مُناذِر مِن أحْضَر النّاسِ جَواباً، قال له رجل: ما شَأنك؟ قال: عِظَم في أنْفي.

قال: وسأله رجُلٌ يوماً: ما الجزباء؟ فأومأ بِيَده إلى الأرض، قال: هذه، يَهْزأ به، وإنَّما الجَرْباء السَّماء.

خبره مع الخليل بن أحمد

أخبرني أحمدُ بنُ العَبَّاس العَسْكَرِيّ المُؤدِّب، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدَّثَني جَعْفَرُ بنُ مُحمَّد عن دَماذ[1] قال:

/ دار بَيْنَ الخَلِيل بنِ أحْمَد وبَيْن ابنِ مُناذِر كلام، فقال له الخَليل: إنما أنتم مَعْشَرَ الشّعراء تَبَعٌ لي، وأنا سُكّان [١٨ / ١٨٤] السَّفِينة، إن قَرَّظْتُكم ورَضِيتُ قولَكم نَفَقْتُم وإلاّ كَسَدْتم، فقال ابنُ مُناذر: واللهِ لأقولَنّ في الخَلِيفة قَصِيدَةً أمتَدِحُه بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غَيْرك.

يمدح الرشيد فيجيزه

فقال في الرَّشِيد قَصِيدَتَه الّتي أوّلُها:

مَـا هَيَّـجَ الشَّـوقُ مِـن مُطَـوَّقَـةٍ ... أوفَـتْ علـى بـانَـةٍ تُغَنِّينَـا

يقول فيها:

ولَـو سَـألْنـا بحُسْـنِ وَجْهِـك يـا ... هـارونُ صَـوْبَ الغمـامِ أُسْقِينَـا

/ قال: وَأراد أن يَفِدَ بها[2] إلى الرشيد، فلم يلبث أن قَدِم الرشيدُ البَصْرة حاجًّا ليأخُذَ على طَرِيق النَّباج[3] $\frac{١٧}{١٧}$ وكان الطريق[4] قديماً، فدخلها وعَدِيلُه إبراهيم الحَرّانِيّ فتحمَّل عليه ابنُ مُناذِر بعُثمان بنِ الحَكَم الثَّقفِيّ، وأبي بَكر السُّلَمِيّ حتى أوصلاه إلى الرّشيد، فأنشَده إيّاها، فلما بَلَغَ آخِرَها كان فيها بيت يُفْتَخِر فيه وهو:

قـومـي تَمِيـمٌ عنـد السِّمـاك لهـم ... مَجْـدٌ وعِـزٌّ فمـا يُنـالـونـا[5]

فلما أنْشده هذا البيت تَعَصَّب عليه قَوْمٌ من الجلساء، فقال له بعضهم: يا جاهِلُ، أتفخَر في قَصِيدةٍ مَدَحْتَ بها أميرَ المؤمنين. وقال آخر: هذه حَماقة بَصْرِيّة، فكَفَّهم عنه الرشيد ووهب له عِشْرينَ ألفَ دِرْهم.

الرشيد يستشهد بشعره ويبعث له بجائزة

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حَدَّثَنا محمد بنُ يزيد، قال: حدثني سهيل السَّلميّ: أنَّ الرَّشِيدُ اسْتَسْقَى في سَنة قَحْط فسُقِي الناسُ، فسُرَّ بِذَلِك، وقال: لله دَرُّ ابنِ مُناذر حَيْث يَقُول:

---

(١) ب: ابن دماذ.

(٢) ف، بيروت: «ينفذ بها»، وفي المختار: «ينفذها».

(٣) في بلاد العرب نباجان، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين.

(٤) في ب، بيروت: «وهو كان الطريق».

(٥) ف: «فما ينالونا».

[١٨/١٨٥] / ولو سألْنا بحُسْن وَجْهك يا هارون صَوْبَ الغَمام أسقِينا

وسأل عن خَبَره فأُخبر أنّه بالحِجاز، فبَعَث إليه بجائزة.

هجاؤه بكر بن بكار

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حَدَّثنا العَنزيّ، قال: حَدَّثنا نَصْر بن علي الجَهْضَمِيّ، قال: حَدَّثني مُحمَّد بن عباد المهلبيّ[١]، قال:

شهد بَكْر بن بَكّار عند عُبَيْد الله بن الحَسَن بن الحُصَيْن بن الحُرّ العنزيّ بِشهادة، فتَبَسَّم ثم قال له: يا بَكْر، ما لك ولابن مُناذر حَيثُ يَقول:

أعوذُ بالله من النّار ومنك يا بَكْرَ بنَ بَكّارِ

فقال: أصلَح الله القاضِي، ذاك رجل ماجِنٌ خَليع لا يُبالي ما قال، فقال له: صَدَقْت وزاد تبسُّمه، وقَبِل شهادَته، وقام بَكْر وقد تَشوَّر[٢] وخجِل. قال العنزيّ: فحدثني أبو غَسّان دَماذ قال:

أنشدني ابنُ مُناذِر هذا الشّعر الذي قاله في بَكْرِ بن بكّار وهو:

أعوذُ بالله من النّارِ ومنكَ يا بكرَ بنَ بَكّارِ

يا رَجُلاً ما كان فيما مَضى لآل حِمْرانَ بِزَوّارِ

ما مَنزِلٌ أحدَثْتَه رابِعاً مُغْتَزِلاً[٣] عن عَرْصَة الدّارِ

ما تَبرحُ الدّهرَ على سَوْأةٍ تطرحُ حَبّاً للخُشْنُشارِ

يا معشَرَ الأحداثِ يا وَيْحكم تعَوَّذُوا بالخالِق الباري

مِن حَرْبةٍ نِيطَت على حَقْوِه يَسْعَى بها كالبَطَل الشّاري

يوم تمَنّى أنّ في كفّه أيْرَ أبي الخِضْر بدينارِ

[١٨/١٨٦] / قال ابن مَهْرُويه في خبره: والخُشْنُشار هو مُعاوية الزِّيادِيّ المُحدّث، ويكنى أبا الخضر، وكان جميلَ الوجه.

وقال العنزيّ في حديثه: حَدَّثني إسحاقُ بنُ عَبْد الله الحمرانيّ، وقد سألتُه عن مَعْنى هذا الشعر، فقال: الخُشْنُشار: غُلامٌ أمردُ جميل الوجه كان في محلَّتنا، وهذا لقبه، وكان بَكْر بنُ بكار يَتَعَشّقه، فكان يَجيء إلى أبي فيُذاكره الحَديثَ ويُجالسه ويَنْظُر إلى الخُشْنُشار.

قال العنزيّ: حدّثني عمرُ بن شَبّة، قال:

$\frac{١٨}{١٧}$ بلغني أنّ عُبيد الله بن الحسن[٤] لقِي / ابنَ مُناذر فقال له: وَيْحك، ما أردْتَ إلى بَكْر بن بَكّار فَفَضحته، وقلت فيه قَوْلاً لعَلَّك لم تتحقّقه؟ فبدأ ابنُ مُناذر يحلِف له بيمين ما سَمِعْتُ قَطّ أغلظ منها، أنّ الذي قالَه في بَكْر شَيْء يَقولُه معه كُلُّ من يَعرِف بَكْراً ويعرِف الخُشْنُشار، ويُجمع عليه ولا يخالفه فيه، فانصرف عُبيد الله مَغْمُوماً بذلك قد بان

---

(١) كذا في ف. وفي ب: «أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: حدثني محمد بن عباد المهلبي، قال:».

(٢) تشور مطاوع شوره، أي خجل.   (٣) ب، بيروت: متنزحاً.

(٤) في هب: عبيد الله بن الحسين. وفي ب: عبد الله بن الحسن.

فيه، فلما بعُد عنا، قُلتُ لابنِ مُناذِر: بريء اللهُ منك، وَيْلك ما أكْذَبك! أكُلُّ مَنْ يعرف بكرَ بنَ بَكّار[1] يقول فيه مِثْلَ قَوْلك حتى حَلَفْت بهذه اليمين؟ فقال: سَخِنت عَيْنُك، فإذا كنت أعْمَى القَلْب أيّ شيء أصنع! أفتراني كنت أكذِّب نَفْسِي عند القاضي، إنما مَوَّهتُ عليه وحلفت له أن كُلَّ من يَعرِفُها يقولُ مِثلَ قَوْلي، وعَنَيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قَوْلي:

* أعوذُ باللهِ من النَّارِ *

أفتعرِف أنتَ أحداً يعرفُهما أو يَجْهَلُهما إلاّ يقول كما قلت: أعوذُ بالله من النار، إنما مَوَّهتُ على القاضي وأردت تَحْقِيقَ قَوْلي عنده.

/ قال مؤلف هذا الكتاب: وبَكْرُ بن بَكّار رجُلٌ مُحدِّث، قد رَوَى عن وَرْقاء، عن ابن أبِي نُجَيْح تَفسِيرَ مُجاهِد، ورَوَى حَدِيثاً صالحاً. [١٨/١٨٧]

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصر المُهلَّبيّ، قال: حدثنا عُمرُ بنُ شبَّة، قال: حدَّثنا بَكْر بنُ بَكّار عن عَبْد الله بن المحرز، عن قتادة، عن أنَس: أن النبيّ ﷺ قال: «زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم».

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني الأحوصُ بن الفَضْل البصريّ[2]، قال: حدَّثَنا ابنُ مُعاوِية الزِّيادِيّ، وأبوه الخُشْنُشار الذي يقول فيه ابنُ مُناذِر:

* تُطْرح حبًا للخُشْنُشار *

قال: حدثني مَنْ لَقِيَ ابنَ مُناذر بمَكّة فقال: ألاَ تَشْتاق إلى البَصْرة؟ فقال له:

أخبرني عن شمس الوزّانين، أعَلَى حالها؟ قال: نعم، قال: وَثِيق بنُ يوسُف الثَّقَفِيّ حَيّ؟ قال: نعم، قال: فغَسّان بن الفَضْل[3] الغَلاّبِيّ حَيّ؟ قال: نعم، قال: لا، والله لا دَخَلْتُها ما بَقِي فيها واحِدٌ من الثَّلاثة. قال: وَشَمْس الوَزّانين في طَرَف المِرْبَد بحضرةَ مَسْجد الأنصار في مَوْضِعٍ حِيطانُه قِصارٌ لا تكاد الشَّمسُ تفارقه.

كان محمد بن عبد الوهاب أخو عبد المجيد يعاديه

أخبرني حَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حدَّثَنا عُمرُ بن شَبَّة، قال:

كان مُحمّدُ بنُ عَبْدِ الوهاب الثَّقَفِيُّ أخُو عبد المجيد يُعادِي مُحمدَ بنَ مُناذِر بسبَبِ مَيْله إلى أخِيه عبد المجيد، وكان ابنُ مُناذِر يَهْجوه ويَسُبّه ويقْطَعه، وكُلُّ واحد منهما يطلُب لصاحِبه المَكْروه ويَسْعَى عليه، فلَقِيَ مُحمدُ بنُ عبد الوهاب ابنَ مُناذر في مَسْجد البَصْرة، ومعه دَفتر فيه كتاب العَرُوض بدَوائره، ولم يكن مُحمّد بن عبد الوهاب يعرِف العَرُوض، فجَعَل يلحَظُ الكِتاب ويَقرؤُه فلا يَفْهَمهُ، وابنُ مُناذِر / مُتغافِلٌ عن فِعْله، ثم قال له: ما في كِتابك هذا؟ فخبّأه في كُمّه وقال: وأيُّ شيء عليك مِمّا فيه؟ فتعلّق به ولَبّبه، فقال له ابنُ مُناذر: يا أبا الصَّلْت، اللهَ اللهَ في دَمِي، فطَمِع فيه وصاحَ يا زِنْدِيق، في كُمّك الزَّنْدَقة، فاجتَمع النّاسُ إليه، فأخرج الدَّفْتَر من كُمّه وأراهم[4] إيّاه، [١٨/١٨٨]

(١) في ب: بكر بن وائل.
(٢) في هب: المفضل النصري. وفي ب: المفضل.
(٣) ف: «المفضل».
(٤) في ب: وأراه.

فعَرَفُوا بَراءَته مِمَّا قَذَفه به، وَوَثَبوا على مُحمَّد بنِ عبد الوهاب واستَخَفُّوا به، وانْصَرَف بِخِزْيٍ[1]، وقال ابن مُناذِر يَهْجوه:

إذا أنـــــتَ تَعلَّقـــــتَ[2] ... بحَبْـــلٍ مـــن أبـــي الصَّلْـــتِ
تَعلَّقـــتَ بحَبْـــلٍ وا ... هـــنِ القُـــوَّةِ مُنْبَـــتِّ
19/17 / إذا مـــا بَلَـــغ المجـــدَ ... ذَوُو الأحســـاب بـــالمَـــتِّ
تقـــاصَـــرْتَ عـــن المَجْـــد ... بـــأمـــرٍ رائـــبٍ شَخْـــتِ[3]
فلا تَسْمُـــو إلـــى المَجْـــد ... فمـــا أمـــرُك[4] بـــالثَّبْـــتِ
ولا فَـــرعُـــك فـــي العِيـــدَا ... ن عُـــودٌ نـــاضِـــرُ النَّبْتِ[5]
وما يُبقِـــي لكـــم يـــا قـــو ... مُ مـــن أثْلَتِكـــم نَحْتِـــي
فهـــا فـــاسْمَـــعْ قَـــرِيضـــاً مـــن ... رقيـــقٍ حَسَـــنِ النَّعْـــتِ
يقـــول الحـــقَّ إن قـــال ... ولا يـــرميـــك بـــالبَهْـــتِ
وفـــي نَعْـــتٍ لِـــوَجْعـــاء ... قـــد استَـــرْخَـــت مـــن الفَـــتِّ
فعِنْـــدِي لـــك يـــا مَـــأْبُـــو ... ن مِثْـــلُ الفـــالـــجِ البُخْتِـــي[6]
[١٨/١٨٩] / عُتُـــلٌّ يُعمِـــلُ الكُـــومَ ... مـــن السَّبْـــتِ إلـــى السَّبْـــتِ
لـــه فَيْشَلَـــةٌ إن أدْ ... خِلَـــتْ واسعـــةُ الخَـــرْتِ[7]
وإلا فـــاطْـــلِ وجعـــاء ... كَ بـــالخَضْخـــاضِ والـــزِّفْـــتِ[8]
ألـــم يبلغْـــك تَســـآلِـــي ... لـــدى العَـــلاَّمَـــةِ المَـــرْتِ
فقـــال الشيـــخُ سَـــرْجُـــوَيـــ ... ـــهْ[9]: داءُ المـــرء مـــن تَحْـــت
فخُـــذْ مـــن وَرَق الـــدُّفْلَـــى ... وخـــذ مـــن ورق القَـــتِّ
وخـــذ مـــن جَعْـــرِ[10] كَيْســـانِ ... ومـــن أظفـــار نِسَّخْـــتِ
فغَـــرْغِـــرْه بـــه واسْعَـــطْ ... بِـــذَا فـــي دَائِـــه أُفْتِـــي

قال: ونِسَّخْت[11]: لقَب أبي عُبَيْدَة، وهو اسمٌ من أسماء اليَهُود؛ لُقِّب به تَعْرِيضاً بأنّ جَدَّه كان يَهُودِيًا، وكان أبو عُبَيْدة وسِخاً طَوِيلَ الأظفار أبداً والشَّعَر، وكان يَغضَب من هذا اللَّقب.

---

(١) في ب: فانصرفوا ووثب يجري.

(٢) ف: تمسكت.

(٣) الرائب من الأمور: ما فيه شبهة وريبة. والشخت: الضامر.

(٤) ف: فما أصلك.

(٥) في ب: «البكت»، تحريف.

(٦) في ف، بيروت: «مثل الجمل البختي». وفي ب: «الفالج البحت». ولعلها الفالج البخت وهو ما أثبتناه. والفالج: الجمل الضخم ذو السنامين، والبخت: الإبل الخراسانية.

(٧) الخرت: الثقب.

(٨) الوجعاء: السافلة؛ وهي الدبر. والخضخاض: نفط أسود تدهن به الإبل الجربى.

(٩) في ف: وقال الشيخ ما سر جويه...

(١٠) في ب: وخذ من جعد... والجعر: خرء كل ذي مخلب من السباع.

(١١) في ف: سنخت. وفي المختار: شبخت.

فأخبَرني الحَسنُ بن عَلِيّ، عن ابن مَهْرُويه، عن عليّ بن محمد النوفليّ، قال: لَمَّا قال ابنُ مُناذِر هذه الأبيات:

إذا أنـــــت تعلَّقـــــتَ ... بحَبْـــل مـــن أبـــي الصَّلْـــتِ
تعلَّقـــــتَ بحبْـــــل وا ... هـــن القُـــوَّة مُنْبَـــتّ
وقـــال الشيـــخُ سَـــرْجُويـــةُ: داء المَـــرْء مـــن تَحـــت

/ فبلغ ذلك سُرْجُويه، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله [١٨/١٩٠] وإخوانه وجيرانه، فسلَّم عليه وكان أعْجَمِيًّا لا يفصح، ثم قال: «بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت: داء المرء من تحت»[١]، فكاد القوم أن يَفْتَضِحُوا من الضَّحِك، وصاح به محمد: اعزُب قَبَّحَك الله، فظَنَّ أنه لم يقبل عُذْرَه، فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذاك، ومُحمد يَصِيح به: ويلك اعزُب عنّي، وهو في المَوْت منه، وكلما زادَه من الصِّياح إليه زادَه في العُذْر واجْتَهد في الأيْمان، وضحك الناس حتى غُلِبوا، وقام محمد خَجِلاً فدَخَل منزِلَه وتفَرَّقُوا.

قال أبو الحَسن النَوفَلِيّ: ثم مضَى لذلك زمانٌ، وهجا أبو نَعامة أبا عبد الله عَرِيسَة الكاتب / فقال فيه: ٢٠/١٧

وروَى شَيـــــخُ تَمِيـــــم ... خـــالـــدٌ أنَّ هَـــرِيسَـــة
يُـــدْخِـــلُ الأصلـــعَ ذا الخُـــرْ ... جَيْـــن فـــي جَـــوْفِ الكَنِيسَـــة

فلَقِي خالدُ بنُ الصبّاح هذا هريسةَ، وكان يُعاديه، وأراد أن يُخجِله، فحلَف له مجتهداً أنَّه لم يقُل فيه ما قاله أبو نَعامة، فقال هَرِيسة: يا بارد! لم تُرِد أن تعْتَذِر، إنما أردتَ أن تَتَشبَّه بابنِ مُناذر ومُحمَّد بن عبد الوهاب، وبِأبي الشَّمَقْمَق وأحمد بن المعذَّل، ولست من هؤلاء في شيء.

شعر له في ضرير وأخرس جالسين عنده

قرأتُ في بعض الكُتُب عن ابنِ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو الخَطّاب الحسن بن محمد، عن محمد بن إسحاق البَلْخيّ، قال:

دخلتُ على ابنِ مُناذر يوماً وعنده رجلٌ ضَرِيرٌ جالِسٌ عن يَمِينه، ورجل بَصِيرٌ جالسٌ عن شماله ساكِتٌ لا يَنْطِق، قال: فقلت له: ما خبرك؟ فقال:

/ بيـــن أعْمَـــى وأخْـــرَسٍ أخْـــرَس الـــلَّـــه لســـانَ الأعمَـــى وأعْمَـــى البَصِيـــرا [١٨/١٩١]

قال: فوثَبا فخَرجا من عندِه وهُما يَشْتُمانه.

خبره مع سفيان بن عيينة

ونسختُ من كِتاب ابنِ أبي الدُّنيا: حدَّثني أبو مُحمَّد التَّميميّ، قال: حدَّثني إبراهيمُ بن عبدِ الله، عن الحَسَن بن عليّ، قال:

كُنّا عند باب سُفيان بن عُيَيْنَة وقد هرب منا، وعنده الحسن بن عليّ التَّختاخ، ورجلٌ من الحَجَبة، ورجل من أصحاب الرشيد، فدخل بهم وليسَ يَأْذَن لنا، فجاء ابن مُناذِر فقَرُب من الباب، ثم رَفَع صوته فقال.

(١) كذا في هب، مد: يريد سرجويه أن يقول لابن عبد الوهاب: «إن ما قاله ابن مناذر منسوباً إليه غير صحيح».

بعَمْرٍو وبالزُّهْرِيّ والسَّلَفِ الأُولَى ... بهم ثَبَتَتْ رِجلاك عند المَقاوِمِ
جعلتَ طَوالَ الدهر يَوْماً لصالحٍ ... ويوماً لصبَّاحٍ ويوماً لحاتِمِ
وللحسَنِ التَّخْتاخ[1] يوماً ودونهم ... خَصصتَ حُسَيْناً دُونَ أهل المواسمِ
نظرتُ وطالَ الفِكْر فيك فلم أجِد ... رَحاك جَرَت إلاّ لأخْذِ الدَّراهمِ

فخَرَج سُفيان وفي يَدِه عَصاً وصاح: خُذُوا الفاسِق، فهَرَب ابنُ مُناذر منه، وأذِنَ لنا فدَخَلْنا.

رثاؤه سفيان بن عيينة

أخبرني الحَسن بن عليّ، قال: حدَّثنا مُحمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني أبو بكر المُؤدِّب، قال: حدّثني مُحمد بن قُدامة، قال:

سمعتُ سُفيانَ بنَ عُيَيْنَةَ يقول لابنِ مُناذر: يا أبَا عبد الله، ما بَقِي أحدٌ أخافُه غيرَك، وكأنّي بك قد مِتُّ فرثَيْتَنِي، فلما مات سُفيانُ بنُ عُيَيْنَة، قال ابنُ مُناذر يَرْثيه:

راحوا بسُفيانَ على نَعْشِه ... والعِلْمِ مَكسُوَّيْن أكْفانَا[2]
[١٨/١٩٢] / إنّ الذي غُودِرَ[3] بالمُنْحَنى ... هَدَّ مِن الإسلام أركانا
لا يُبْعِدَنْكَ اللهُ من مَيِّتٍ ... ورَّثَنا[4] عِلْماً وأحزانا

سفيان بن عيينة يتكلم بكلام لابن مناذر

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيْد الله بن عَمّار، قال: حدّثني أحمدُ بن سُلَيْمان بن أبي شيخ قال:

حدّثني شَيْخٌ من أهْل الكُوفَة يقال له عَوّام، قال: سَمِعْتُ سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ وقد تكلَّم بكلام استُحسِن، فسألَه مُحمدُ بنُ مناذر أن يمليَه عليه، فتبَسّم سُفيانُ وقال له: هذا كلام سَمِعْتُك تتكلَّم به فاستَحْسَنْتُه فكَتَبْتُه عنك، قال: وعلى ذلكَ أُحِبّ أن تُمليَه علَيّ، فإني إذا رَوَيْتُه عنك كان / أنفَقَ له من أن أنسبه إلى نَفْسي. [٢١/١٧]

قال عَوّام: وأنشدَني ابنُ عائشةَ لابنِ مُناذر يَرْثِي سُفْيانَ بنَ عُيَيْنة بقَوْله:

يَجْنِي من الحِكْمةِ نُوّارَها ... ما تَشْتَهي الأنفُسُ ألوانا[5]
يا واحدَ الأمّة في عِلْمِه ... لَقِيتَ من ذي العَرْش غُفرانا
راحوا بسُفْيانَ على نَعْشِه ... والعلمِ مَكْسُوَّين أكفانا

رجع إلى المجون بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب

أخبرني عليّ بن سُلَيْمان، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يَزِيد، عن مُحمد بن عامر الحَنفيّ، قال:

لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب، خَرجَ ابنُ مُناذر إلى مَكّة، وترك النُّسْك وعاد للمُجونِ والخَلْع، وقال

(١) في ف: المحتاج. والتختاخ: الألكن.
(٢) في «معجم الأدباء» ١٩/ ٦٠: «راحوا بسفيان على عرشه».
(٣) في ب: غور.
(٤) ف، بيروت: ورثتنا.
(٥) في «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٦٠: «يجني من الحكمة سفياننا».

في هذا المعْنى شِعْراً كثيراً، حتى كان إذا مَدَح أو فَخر، لم يجعل افْتِتاحَ شعره ومَبادِيه إلا المُجون، وحتى قال في مَدْحه للرَّشيد:

هــل عنــدكــم رُخصــةٌ عــن الـحــسـن الــبــصْـرِيّ فــي العِشْــق وابــنِ سِيــرِينــا!
/ إنَّ سَفــاهــاً بــذِي الــجَــلالَــة والــشَّــيْـبــةَ ألاّ يــزَالَ مَفْتــونــا [١٨/١٩٣]

وقال أيضاً في هذا المَعْنى:

ألا يــا قمــر المَسْجِــد هــل عنــدَكَ تَنْــويــلُ!
شِفــائــي منــك ـ إن نــوَّلْتَنِــي ـ شَــمٌّ وتَقْبِيــلُ
سَــلاَ كُــلُّ فُــؤادٍ[1] و فُــؤادي بــك مَشْغــولُ
لقــد حُمِّلْــت مــن حُبِّــك مــا لا يَحمِــل الفِيــلُ[2]

خبره مع يونس النحوي

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثنا العبّاس بن الفضل الربعيّ، قال: حدثني التَّوْزِيّ، قال:

قال ابنُ مناذر ليُونُس النحويّ يُعرّض به: أخبرني عن جُبُل أتَنْصَرِف أم لا؟ وكان يونُس من أهلها، فقال له: قد عرفتُ ما أردتَ يابنَ الزّانية. فانصرفَ ابنُ مُناذر: فأعَدَّ شُهوداً يَشْهَدون عليه بذلك، وصار إليه وسأله، هل تنصرف جُبَل؟ وعَلِم يونُس ما أراد، فقال له: الجوابُ ما سَمِعْتَه أمس.

خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل، قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ، قال: حدثني إسحاق بن عَمْرو السَّعديّ، قال: حدّثني الحجاج الصَّوّاف. وأخبرني الحسن بن عليّ أيضاً، قال: حدّثني ابن مَهْرُويه، قال: حدّثني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أُمَيَّة بن أبي مروان، قال: حدثني حجّاج الصَّوّاف الأعور، قال:

خرجت إلى مكّة فكان هِجِّيرَاي[3] في الطريق ابنَ مُناذر، وكان لي إلْفاً وخِدْناً وصَدِيقاً، فدَخَلْتُ مكة فسألتُ عنه، فقالوا: لا يَبْرَح المسْجد، فدخَلْت / المسجد فالتَمَسْتُه فوجدته بفِناء زَمْزَم، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشّعراء [١٨/١٩٤] يكتُبون عنه، فسلَّمت وأنا أُقدِّر أن يكون عنده من الشَّوق إليَّ مثلُ ما عندي، فرفَع رأسَه فردَّ السّلام رَدّاً ضَعِيفاً، ثم رجع إلى القوم يُحدِّثُهم ولم يَحْفل بي، فقلتُ في نفسي: أتُراه ذَهَبتْ عنه مَعْرفتي! فبَيْنا أنا أُفكِّر إذ طلع أبو الصَّلْت بن عبد الوهاب الثقفيّ من باب بني شَيْبَة داخلاً المسْجد، فرفع رأسه فنَظَر إليه، ثم أقبل عليَّ فقال: أتعرف هذا؟ فقلت: نعم، هذا الذي يقول فيه مَنْ قطَع اللهُ لِسانَه:

/ إذا أنــتَ تعلَّقْــتَ بحَبْــلٍ مــن أبــي الصَّلْــتِ

(١) في ب: «كل فؤادي».
(٢) الأبيات في «الشعر والشعراء» ٢ ـ ٨٧٠.
(٣) الهجيري: الشأن والقصد.

تَعلَّقـــــتَ بحَبـــــــل وا هِـــــنِ القُــــوَّةِ مُنْبَـــــتِّ

قال: فتَغافل عنّي، وأقبل عليهم ساعة، ثم أقبل عليّ فقال: من أيّ البِلاد أنت؟ قلت: من أهل البصرة، قال: وأين تنزل منها؟ قلت: بحضرة بني عائش الصَّوَّافين، قال: أتعرِفُ هناك ابنَ زانية يقال له: حَجّاج الصَّواف؟ قلت: نَعَم تركتُه يَنيكُ أُمَّ ابنِ زانِيةٍ يقال له: ابنُ مُناذِر، فضَحك وقام إليّ فعانَقني.

هجاؤه حجاج الصواف

قال مُؤَلّف هذَا الكِتاب: ولابْنِ مُناذِر هِجاءٌ في حَجّاج الصَّوَّاف على سَبيل العَبَث، وهو قولُه.

إنَّ ادِّعـاء الحَجّـاجِ فـي العَـرَبِ — عنْـدَ ثَقِيـفٍ مـن أعْجَـب العَجَـبِ
وهـو ابـنُ زانٍ لألـف زانيـةٍ — والـف عِلْـجٍ مُعَلْهَـجِ النَّسَـبِ[1]
ولـو دَعـاهُ داعٍ فقـال لـه: — يـا ألأم النّـاسِ كُلِّهـم أجِـبِ
إذاً لقـالَ الحجّـاج: لبّيْـكَ مِـنْ — داعٍ دَعـانـي بـالحَـقّ لا الكَـذِب
ولـو دَعـاه دَاعٍ فقـال لـه: — مَـنِ المُعَلّـى فـي اللؤم؟ قـال: أبـي
/ أبـوه زَانٍ والأمُّ زَانيَـةٌ — بِنـتُ زُنـاةٍ مَهْتُـوكَـةُ الحُجُـبِ
تَقـول: عَجِّـلْ أدخِـلْ، لِنـائكِهـا — اتركُه في استي إن شئْتَ أو رَكَبي[2]
مَـنْ نـاكَني فيهمـا فـأوْسَعنـي — رَهْـزاً دِراكـاً أعطيتُـه سَلَبـي
هَـمُّ حِـرِي النَّيـكُ فـابتَغُـوا لحِري — أيْـرَ حِمـارٍ أقضـي بـه أرَبـي
أُحِـبُّ أيـرَ الحِمـار وا بِـأبـي — فَيْشَـةُ أيْـر الحِمـار وا بِـأبـي
إذا رأتْـه قـالـت: فـديتُـك يـا — قُـرَّة عَيْنـي ومُنْتَهـى طَلَبـي
إذا سَمِعـتُ النَّهيـقَ هـاج حِـرِي — شَـوْقـاً إليـه وهـاج لـي طَـرَبـي
يَـأخـذُنـي فـي أسافِلـي وحِـرِي — مِثْـلُ اضْطـرام الحريـقِ فـي الحَطَـبِ
شَكَـتْ إلـيّ نِسْـوة فقُلْـن لهـا — وهـي تنـادي بـالـوَيْـل والحَـرَبِ:
كُفِّـي قَليـلاً، قـالـت: وكَيْـفَ وبِـي — فـي جَـوفِ صَـدْعي[3] كَحِكَّـة الجَـرَبِ
أرى أُيـورَ الـرِّجـال مـن عصَـبٍ — لَيْـتَ أُيـورَ الـرِّجـال مـن خَشَـبِ

هجاه إسكاف بالبصرة فهرب منها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثني أحمدُ بن محمد الرَّازِيُّ أبو عبْد الله، قال: حدثني أبو بجير[4]، قال: كان ابنُ مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبَصْرة، فلا يَزال يَهْجوه بالأبيات فيصيح من ذلك ويقول له: أنا صَديقُك فاتّقِ الله وأبْقِ على الصَّداقة وابن مناذر يُلِحُّ، فقال الإسكاف: فإني أستعِينُ اللهَ عليك وأتعاطى الشعر، فلما أصْبَح غدَا عليه ابنُ مُناذر كما كان يَفْعَل، فأخذ يَعْبَث به ويَهْجُوه، فقال الإسكافُ:

(١) في ب: «. . . معلهج الحسب». وفي ف: «وابن ثفل معلهج النسب». والمعلهج: الهجين.
(٢) الركب: من أسماء الفرج، وفي ف: أيرك بدل: اتركه.
(٣) الصدع: الشق.
(٤) في ف، بيروت: أبو يحيى.

[١٨/١٩٥]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَلَّ عَدِيدُه ... ورمى القَضاءُ به فِراشَ مُناذِرِ
عبدَ الصُّبَيْرِيِّين لم تَكُ شاعِراً ... كيف ادَّعيتَ اليومَ نِسْبَةَ شاعِرِ!

/ فشاع هَذَان البَيْتان بالبَصْرة ورَواهما أعداؤه، وجعلوا يتناشَدُونَهما إذا رَأوْه، فَخَرج / من البَصرة إلى مَكَّة وجاوَرَ بها، فكان هَذَا سبَبَ هَرَبه من البَصرة. [١٨/١٩٦ ٢٣/١٧]

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثنا الكُرَانيُّ، عن أبي حاتِم، قال:

قال ابنُ مناذر: ما مَرَّبي شيء قطّ أشدَّ عليَّ مِمَّا مَرَّبي من قولِ أبي العَسْعاس فِيَّ:

كَثُرت أُبُوَّتُه وقَلَّ عَدِيدُه ... ورَمَى القَضاءُ به فِراشَ مُناذِرِ

انظُر بكَم صِنْف قد هَجاني في هذا البَيْت قَبَّحه الله، ثم مَنَعني من مُكافأته أنّي لم أجِد له نَباهَة فأغُضَّها، ولا شَرَفاً فأهدِمَه، ولا قَدْراً فأضَعَه.

يستطيع أن يجعل كلامه كله شعراً

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثني الكُرانِيّ، قال: حدَّثني بِشْر بن دِحْيَة الزِّيادِيّ أبو مُعاوية قال:

سَمِعْتُ ابنَ مُناذِر يقول: إن الشِّعرَ ليَسْهُل عَلَيَّ حتى لو شِئْتُ ألاّ أتكلَّم إلا بشِعْر لفَعلت.

أخبرني هاشِمُ بنُ مُحمد الخُزاعِيّ، قال: حدَّثنا العَبَّاس بنُ مَيمون طايع، قال: حدَّثني بعض أصحابنا، قال:

رأيتُ ابنَ مناذر بمَكَّة وهو يتوكَّأ على رَجُل يَمْشِي معه ويُنشِد:

إذا ما كِدْتُ أشْكُوها ... إلى قَلْبِي، لها شَفَعا
ففَرَّق بيننا دَهْرٌ ... يُفَرِّق بين ما اجْتَمَعا

فقلت: إنَّ هذا لا يُشبِه شِعْرك، فقال: إن شِعْري بَرَد بعدك[١].

ذم امرأة محمد بن عبد الوهاب الثقفي

أخبرني عِيسَى بن الحُسَين الوَرّاق، قال: حدَّثنا أبو أيُّوب المَدينيّ[٢]، قال:

حدَّثنا بعضُ أصحابنا أنَّ محمد بن عبد الوهاب الثَّقفيّ تزوَّج امرأةً من ثقِيف يقال لها عَمَّارَة، وكان ابنُ مُناذر يُعادِيه، فقال في ذلك:

/ لمّا رأيتُ القَصْفَ والشّارَهْ ... والبَزُّ ضاقَتْ به الحارَهْ [١٨/١٩٧]
والآسَ والرَّيحانَ يُرْمَى به ... من فَوْق ذي الدَّارَةِ والدَّارَه
قُلتُ: لمَنْ ذا؟ قِيلَ: أُعجوبةٌ ... مُحمَّدٌ زَوَّج عَمّارَهْ
لا عَمَّر اللهُ بها رَبْعَه ... فإنَّ عَمّارة بَذْكارَه[٣]
وَيْحَكِ فِرِّي واعصِبِي فاكِ لي[٤] ... فهذه أُخْتُكِ فَرّارَهْ

(١) في ف، بيروت: «إن شعري بدل بعدك».
(٢) ب: المدني.
(٣) في هب: مذكاره. وبدكاره: كلمة فارسية معناها بنت زنا.
(٤) ف: «واعصبي ذاك بي».

قال: فوالله ما لَبِثتْ عنده إلا مُدَيْدَة حتى هربت، وكانت لها أُختٌ قبلها مُتزوّجة إلى بعض أهل البصرة ففَرِكَتْه[1] وهربت منه، فكانوا يعجبون من مُوافقةِ فِعْلِها قَولَ ابن مُناذر.

شعر له في أبي أمية خالد

قال أبو أيُّوب: وحُدِّثْت أن أبا أميّة[2] واسمه خَالِد ـ وهو الذي يقُولُ فيه أبُو نُواس:

أيهـــا المُقْبِـــلان مـــن حَكَمـــان ... كيـــف خَلَّفْتُمـــا أبـــا عُثْمـــانِ؟

وأبـــا أُمَيَّـــة المُهَـــذَّب والمَـــا ... جِـد والمُـرتَجَـى لـرَيْـبِ الـزَّمـانِ

ـ كان خطَب امرأة من ثَقيف، ثم ولد عُثْمان بن أبي العَاصي، فرُدَّ عنها، وتَصدّى للقَاضي أن يُضمِّنَه مالاً من أموال اليَتامى، فلم يُجبه إلى ذلك، ولم يَثِقْ به، فقال فيه ابنُ مُناذر:

أبـــا أُمَيَّـــة لا تَغْضَـــب علـــيَّ فَمـــا ... جَـزاءُ مـا كـان فيمـا بيننـا الغَضَـبُ

إن كـــان رَدَّك قَـــومٌ عـــن فَتـــاتِهِـــمُ ... ففـي كَثيـر مـن الخُطّـاب قـد رَغِبُـوا

قـالـوا: عَلَيْـك دُيـورٌ مـا تَقـومُ بهـا ... فـي كـلّ عـام تُسْتَحْـدَثُ الكُتُـبُ

وقـد تَقَحّـم مـن خَمْسِيـنَ غـايَتُهـا ... مـعْ أنـه ذو عيـال بَعْـدَ مـا انْشَعَبُـوا

/ وفـي الّتـي فَعَـل القـاضـي فـلا تَجِـدَنْ ... فلَيْـس فـي تلـك لـي ذَنْـبٌ ولا ذَنَـبُ

أردتَ أمـــوالَ أيتـــام تُضَمَّنُهـــا ... ومـا يُضَمَّـن إلاّ مَـنْ لـه نَشَـبُ

[١٨/١٩٨]
٢٤/١٧

بلغه عن ابن دأب قول قبيح فهجاه

أخبرني مُحمَّد بنُ خَلَف وكيع، قال: حَدَّثَني أحمدُ بنُ زُهير، قال: سمعت إبراهيم بن المُنْذر الحزَامِيّ يَقول: بلغَ ابنُ مناذر عن ابنِ دأب قَولٌ قَبيحٌ، قال: فدعاني، وقال: اكتب:

فمـــن يَبْـــغِ الـــوَصـــاةَ فـــإنَّ عِنـــدي ... وَصـــاةً للكُهـــولِ وللشَّبـــابِ

خُـذُوا عَـنْ[3] مـالِـكٍ وعـن ابْـنِ عَـوْنٍ ... ولا تَـــرْوُوا أحـــادِيـــثَ ابـــنِ دابِ

تـــرى الغـــاوِيـــن يَتّبِعُـــون منهـــا ... مـــلاهِـــيَ مـــن أحـــاديـــثٍ كِـــذابِ

إذا التُمِسَـــتْ مَنـــافِعُهـــا اضمَحَلَّـــتْ ... كمـا يَـرْفَـضُّ رَفْـرَاقُ السَّحـابِ

قال: فرُوِيتْ، وافْتَضحَ بها ابنُ دَأب. قال الحزاميّ: فلما قَدِمْت العِراقَ وجدتُهم قد جَعَلُوها:

* خُذُوا عن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْن *

رثاؤه الرشيد

أخبرني عَمِّي، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدَّثنا أبو حاتِم، قال:

كان الرَّشيد قد وَصَل ابنُ مُناذر مَرّاتٍ صِلاتٍ سِنيَّةً، فلما مات الرَّشيد رَثاه ابنُ مُناذِر فقال:

(١) فركته: كرهته.

(٢) في ب، س: وحدثت أن أمية.

(٣) في ب: خذوا من مالك.

مَـــنْ كــــانَ يَبْكِـــي للعُـــلا مَلِكــاً وللهِمَـــمِ الشَّـــرِيفَـــهْ
فلْيَبْــــــكِ هــــــارونَ الخَليـ ـفَـــةَ للخَليفَـــةِ والخَليفَـــهْ[1]

هجاؤه خالد بن طليق

أخبرني مُحمَّدُ بنُ خَلَف وَكِيع، قال: حدَّثَنا أحمدُ بن أبي خَيْثَمة، عن محمد بن سلَّام قال:

/ كان مُحمَّدُ بن طَلِيق وسائر بَني طَلِيق أصدقاء لابنِ مُناذِر، فلما وَلِيَ المَهْدِيُّ الخِلافةَ استقضَى خالِدَ بنَ [١٨/١٩٩] طَلِيق، وعَزَل عُبَيْدَ الله بنَ الحسَن بن الحرّ[2]، فقال ابنُ مُناذر يَهْجو خالداً مُجوناً وخُبْثاً منه:

أصبــحَ الحــاكــمُ يــا لَنْـ ـــاسِ مــــن آلِ طَلِيـــقِ
جَــالِســاً يَحْكُــم فــي النّــا سِ بِحُكْــمِ الجــاثَلِيــقِ[3]
يَــدعُ القَصْــدَ ويَهْــوِي فــي بُنَيَّــاتِ الطَّــرِيــقِ[4]
يــا أبَــا الهَيْثَــمِ مــا كنْـ ـتَ لهــذا بخَليــقِ
لا ولا كنْــتَ لمــا حُمِّلْـ ـتَ منــه بمُطِيــقِ
حَبْلُــهُ حَبْــلُ غــرورٍ عنــده[5] غيــرُ وَثِيــقِ

قال ابن سلَّام: فقلتُ لابن مُناذِر: ويْحك إذا بَلَغ إخوانَك وأصدقاءَك من آل طَلِيق أنَّكَ هَجَوْتَهم ما يقُولُون لك؟ وبأيِّ شيء تَعْتَذِر إليهم؟ فقال: لا يُصدِّقون إذا بلغهم أنِّي هَجَوْتُهم بذلك؛ لأنهم يَثِقُون بي.

مدح بني مخزوم لأنهم زاروه في مرضه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثَني الحسن بن عُلَيْل[6]، عن مَسْعُود بن بِشْر، قال: حدَّثنا مُحمَّد بن مُناذِر، قال:

كنتُ بمَكَّة فاشتكَيْتُ، فلم يُعدْنِي من قريش إلا بَنُو مَخْزوم وحدهم، فقلتُ أمدَحُهم:

جــاءت قُــرَيــشٌ تَعــودُنِــي زُمَــراً فقــد وَعَــى أجــرَهــا لهــا الحَفَظَــهْ
/ ولــم تَعُــدْنــي تَيْــمٌ وإخــوتُهــا وزارَنــي الغُــرُّ[7] مــن بنــي يَقَظَــهْ [١٨/٢٠٠]
لــن يَبْــرحَ العِــزُّ منهــمُ أبــداً حتــى تَــزُولَ الجِبــالُ مــن قُــرَظَــهْ[8]

ابن عائشة يطلب سماع مرثيته في عبد المجيد

/ أخبرني الحسن، عن ابن مَهْرُويه، عن إسحاقَ بنِ محمد النخعيّ، قال:

٢٥/١٧

(١) في ب، مد: للخليفة للخليفة.
(٢) في ف: «عبد الله بن الحسن بن الحسن». وفي بيروت: «عبيد الله بن الحسن بن الحسن».
(٣) الجاثليق: رئيس الأساقفة (معربة). وفي «الشعر والشعراء»: «ضحكة يحكم. . . برأي الجاثليق».
(٤) بنيات الطريق: طرق صغيرة تتشعب من الجادة، وهي الترهات. ومنه المثل: «دع بنيات الطريق».
(٥) في ف: عقده.
(٦) في ف، هب: الحسن بن علي.
(٧) في هب: وعادني الغر، وفي ب: وزارني العز.
(٨) قرظة: قرية بوادي عرادات وهو بين اليمن وبين نجد «عن «معجم البلدان» ٣ ـ ٦٣٨ .

[١٨/٢٠٢] كنّا عند ابن عائِشَة فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدني مرثيةَ ابنِ مُناذر عبد المجيد فَجَعَل يُنْشِدُها فكُلّما أتى على بيت استَحْسَنه، حتى أتى على هذا البيت:

لأقِيمَنَّ مَأتماً كنُجُوم اللَّيل زُهْراً يُخمِشْن[1] حُرَّ الخُدودِ

فقالَ ابنُ عائِشَة: هذا كلام لَيِّن كأنه من كلام المُخَنَّثِين، فلما أتى على هذا البيت:

كُنتَ لي عِصْمةً وكُنتَ سماءً بك تَحْيا أرضِي ويَخضرُّ عُودِي

فقال: هذا بَيْتُها، ثم أنْشَد:

إنّ عبدَ المَجِيد يوم تَولَّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ
ما دَرَى نَعشُهُ ولا حامِلُوه ما عَلَى النَّعشِ من عَفافٍ وجُودِ
وَأرانا كالزَّرع يَحصُدُنا الدَّهْـ ـر فمِن بَين قائمٍ وحَصيدِ

فقال ابن عائشة: أجعله زرعاً يحصدنا الله؟ فليس هذا من كلام المسلمين، ألا ترى إلى قَوْله: إنَّه يقول:

يَحكُم الله ما يشاءَ فَيَمْضِي ليس حُكْم الإلَه بالمَرْدُودِ

عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة

أخبرني محمد بن يَحْيى الصّوليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ مُوسَى، ولم يتجاوزه بالإسناد.

[١٨/٢٠١] / ونَسخت هذا الخَبرَ من كتابِ ابنِ أبي مَرْيم الحاسب: حدَّثَني ابنُ القَدّاح، وعبدُ الله بنُ إبراهيم بن قُدامَة الجُمَحِيّ، قالا: حدَّثَنا ابنُ مُناذِر، قال:

حج الرَّشيدُ بعد إيقاعه بالبَرامكة وحج معه الفَضْل بن الرّبيع، وكنتُ[2] مُضيِّقاً مُملِقاً، فهيَّأتُ فيه قَوْلاً أجدتُ تَنميقَه وتنوَّقتُ فيه، فدخلتُ إليه في يوم التَّرْوِية وإذا هو يَسأل عنّي ويطلُبني، فَبَدَرني الفضلُ بن الرَّبيع قبل أن أتكلّم، فقال: يا أميرَ المُؤمنين، هذا شاعرُ البَرامِكة ومادحهم، وقد كان البِشر ظَهر لي في وجهه لمّا دخلتُ، فَتَنكَّر وعَبَس في وجهِي، فقال الفَضْلُ: مُرْه يا أميرَ المؤمنين أن يُنشدَكَ قوله فيهم:

* أتانا بَنُو الأملاك من آلِ بَرْمك *

فقال لي: أنشد، فأبيتُ، فتَوَعَّدَني وأكْرَهنِي، فأنشدته:

أتانَا بَنو الأملاكِ من آلِ بَرْمَكِ فيا طِيبَ أخبارٍ ويا حُسْنَ مَنْظَرِ
إذا ورَدوا بطحاءَ مكةَ أشرقت بيَحْيَى وبالفضل بن يحيى وجَعْفَرِ
فتُظلِمُ بَغْدادٌ ويَجْلُو لنا الدُّجى بمكّةَ ما حجّوا[3] ثلاثةُ أقمُرِ
فما صلَحت إلا لِجُودٍ أكُفُّهم وأرجلُهم[4] إلا لأعوادِ مِنْبَرِ
إذا راضَ يحيى الأمرَ ذَلَّتْ صِعابُه وحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَه ومُدَبِّرِ

(١) في ف: يلطمن.
(٢) في ب: «وكان»، تحريف.
(٣) في هب: «ما كانوا ثلاثة أبدر»، وفي ف: «ما عشنا». وفي «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٥٧: «ما عشنا ثلاثة أبحر».
(٤) في ف: أقدامهم. وفي «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٥٧: «فما خلقت إلا لجود... وأرجلهم...».

تـرى النـاسَ إجـلالاً لـه وكـأنّهـم غـرانِيـقُ مـاءٍ تحـت بـازٍ مُصَـرْصِـرِ[1]

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت: كانوا أولياءكَ يا أمير المؤمنين أيام مَدَحْتُهم، وفي / طاعتك لم يلْحقهم سُخطُك ولم تَحلَّل بهم نِقْمَتُك، ولم أكن في ذلك مُبْتَدِعاً، ولا خَلاَ أحدٌ من نُظَرائي من مدحهم، وكانوا قوماً قد أظلّني فضلُهم، وأغناني رِفدُهم فأثنيتُ بما أوْلَوْا، فقال: يا غلام، الطُمْ وجهَه، فلُطِمْتُ والله حتى سَدِرتُ[2] وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس، ثم قال: اسحبوه على / وجهه، ثم قال: والله لأحرمَنّك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً ٢٦/١٧ في هذا العام، فسُحِبت حتى أخرجت، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وما جرى عليّ، ولا والله ما عندي ما يُقيم يومئذ قُوتَ عِيالي لعيدهم، فإذا بشابٍّ قد وقف عليّ، ثم قال: أعززْ عليّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك، ودفع إليّ صُرّةً وقال: تَبَلَّغْ بما في هذه، فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار ـ قال الصوليّ في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار ـ فقلت له: من أنت جعلني الله فداءك! قال: أنا أخوك أبو نُوَاس، فاستعِن بهذه الدنانير واعذِرْني، فقَبِلْتُها، وقلت: وصلَكَ اللهُ يا أخي وأحسن جزاءك.

كافأه جعفر بن يحيى على القراءة بعد تركه الشعر

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثنا يحيى بنُ الحَسَن الرَّبيعيّ، قال: حدثنا أبو مُعاوية الغلابيّ، قال: قال سُفْيان بن عُيَيْنة:

كلَّمني ابنُ مُناذِر في أن أكلِّم له جَعْفَرَ بن يحيى، فكلَّمتُه له، وقد كان ابنُ مناذِر تَرَكَ الشِّعر، فقال: إن أحبَّ أن يَعُود إلى الشِّعر أعطيتُه خمسين ألفاً، وإن أحبَّ أن أُعطيَه على القراءة أعطيتُهُ عشرة آلاف، فذكرتُ ذلك له، فقال لي: خُذْ لي على القِرَاءَة، فإني لا آخذ على الشعر وقد تَركتُه.

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ، عن الرياشيّ، قال: قال العُتبيّ:

جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَنْ قائِلُها، فقال ابنُ مناذر:

هَـذِه الـدَّهمـاءُ تَجـرِي فِيكُـم أُرْسِلَـتْ عَمْـداً تَجُـرُّ الـرَّسَنَـا

/ قال شعراً يصف فيه الألفة بين الرشيد وجعفر بن يحيى [١٨/٢٠٣

قال الكُرَانيّ: وحدثني الرّياشيّ قال: سمعت خَلَف بن خليفة يقول:

قال لي ابنُ مناذر: قال لي جعفرُ بن يَحيى: قُلْ فيّ وفي الرّشيد شعراً تَصِف فيه الأُلفة بيننا فقلت:

قـد تُقطَـع الـرَّحِـمُ القـريـبُ وتُكفَـر الـنُّـعمَـى ولا كتَقَـارُب القَلْبيـن
يُـدْنِـي الهَـوَى هـذا ويُـدْنِـي ذَا الهَـوَى فـإذا هُمـا نَفْـسٌ تُـرَى نَفْسَيْـنِ

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول الله ﷺ نَقْلاً؛ فإن ابن عُيَيْنَة روى عن إبراهيم بن مَيْسَرَة، عن طاوس، عن ابن عبّاس: أن النبي ﷺ قال: «إنّ الرّحم تُقْطَع، وإن النّعم تُكْفَر، ولن تَرَى[3] مثلَ تقاربِ القلوب».

(١) الغرانيق جمع غرنوق، وهو طائر مائي، أو هو الكركي، والمصرصر: المصوت بشدة.
(٢) سدرت: تحيرت.
(٣) في ب، س: ولم تر.

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا العباس بن مَيْمُون، قال: حدثنا سُلَيمان الشَاذكونيّ قال:

كنا عند سُفيان بن عُيَيْنَة، فحدَّث عن ابن أبي نُجيح، عن مُجاهد، في قوله عز وجل: ﴿قالوا سَلاماً﴾[1] قالوا سَدَاداً، قال: فقال ابنُ مُناذِر وهو إلى جَنْبي: التنزيلُ أبينُ من التفسير[2].

خبره مع أبي حية النميري

أخبرني عمّي، قال: حدثنا الكُرَانيّ، عن أبي حاتم، وعن العُتْبيّ، عن أبي مَعْبد قال[3]:

مرّ بنا أبو حَيّة النُّميْريّ ونحن عند ابن مُناذِر، فقال لنا: عَلامَ اجتمعتم؟ فقلنا: هذا شاعر المِصْر، فقال له: أنشدني، فأنشده ابنُ مُناذر، فلما فرغ، قال له أبو حَيّة: / ألم أقل لك: أنشدني؟ فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حَيّة، [١٨/٢٠٤] فأنشدهم قوله:

ألا حَيِّ من أجْلِ الحَبيبِ المَغانِيَا[4] لَبِسْنَ البِلَى ممّا لَبِسْنَ اللّيالِيَا

إذا ما تَقاضَى المرءَ[5] يومٌ وليلةٌ تَقاضاه شيءٌ لا يَمَلُّ التَّقاضِيَا

فلما فرغ، قال له ابنُ مُناذر: ما أرى في شعرك شيئاً يُسْتَحْسن، فقال له: ما في شِعْري شيءٌ يُعاب إلا استماعَك إياه، فكادا أن يتَوَاثبا، ثم افترقا.

هجا خالد بن طليق وعيسى بن سليمان

٢٧/١٧ أخبرني عمّي، قال: حدّثني الكُرَانيّ، عن ابن / عائشة قال:

وليَ خالدُ بن طَلِيق القَضاءَ بالبصرة، وعيسى بنُ سُليمان الإمارةَ بها، فقال محمد بنُ مناذر يهجوهما بقوله:

الحمدُ لله على ما أرى خالدُ القاضِي وعيسَى أمير

لكنّ عيسَى نوكُه ساعةً ونوكُ هذا مَنْجَنُونٌ يَدُور[6]

وقال في شِيرَوَيْه الزِّيَادِيّ، وشيرويه لقب، واسمه أحمد، وسأله حَاجَةً، فأبى أن يقضيَها إلاّ على أن يمدحَه:

يا سَمِيَّ النَّبيِّ بالعَربيَّهْ وسَمِيَّ اللّيُوثِ بالفارسيَّهْ

إن غَضِبْنَا فأنتَ عبدُ ثَقِيفٍ أو رَضِينا فأنتَ عبدُ أُمَيَّهْ

فغضب شيرويه وجعل يَشتُمه، وشاع الشِّعرُ بالبصرة، فكان بعد ذلك إذا قيل لِشيرَوَيْه: ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض، يَشتُم مَنْ يقول له ذلك.

أخبرني الحَسَنُ بنُ القاسم الكوكَبيّ قال: حدثنا ابنُ أبي الدُّنيا قال: سمعتُ محمد بن قُدامة الجَوْهَريّ يقول: سمعتُ سُفيان بن عُيَيْنَة يقول لمحمد بن مُناذِر: كأنك بي قد مِتُّ فرَثَيْتَني، فلما مات، قال ابنُ مناذر يرثيه:

---

(١) الذاريات ٢٥، هود ٦٩.

(٢) في «لسان الميزان» لابن حجر ٥ ـ ٣٩٣ ط. الهند: فقال ابن مناذر: معنى التنزيل أبين من التأويل.

(٣) ف: «عن أبي معاوية».

(٤) في ب: «المعانيا»، تصحيف، والتصويب من هب، ف.

(٥) في ب: الأمر.

(٦) النوك: الحمق. والمنجنون: ما يستقى عليها.

/ إنّ الـذي غُـودِر بـالمُنْحنَـى هَـدَّ مِـن الإسـلام أركـانـا [١٨/٢٠٥]
راحـوا بسُفيـانَ علـى نَعْشِـه[١] والعِلـمِ مَكسُـوَّيْـنِ أكفـانـا
لا يُبعِـدَنْـك اللهُ مِـن هـالِـكٍ وَرَّثتَنـا عِلمـاً وأحـزانـا

يفسر كلماتٍ لعبد الله بن مروان

أخبرنا عَمّي، قال: حدثنا عَبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ مروان بن معاوية الفَزاريّ، قال: حدَّثنا سُفيان قال:

سَمِعتُ أعرابيةً تَقولُ: مَنْ يشتري مِني الحَزاة؟ فقلتُ لها: وما الحَزاة؟ قالت: تشترِيها النِّساءُ للطَّشَّة والخافِية والإقلات. قال عبد الله بنُ مروان: فسألتُ ابنَ مُناذر عن تَفْسير ذلك، فقال: الطَّشَّة: وجع يصيب الصِّبيانَ في رُؤوسهم كالزُّكام. والخافِية: ما خَفِي من العِلل المَنسوبة إلى أذى الجن[٢]. والإقلاتُ: قِلّة الوَلَد. وأنشدني ابنُ مناذِر بعَقِب ذلك:

بُغـاث الطَّيْـر أكثـرُهـا فِـراخـاً وأمُّ الصَّقْـرِ مِقْـلاتٌ نَـزُورُ[٣]

أي قليلَة الفِراخ.

أخبرني محمَّد بنُ الحَسَن بن دُرَيْد، قال: حدَّثني أبو حاتِم، قال:

سمعتُ محمَّدَ بن مُناذِر يقول: العَذراءُ: البَتُولُ، والبَتُورُ والبَتِيلُ واحد، وهي المُنْقَطِعة إلى رَبِّها.

قال: وسأله ـ يعني ابن مناذر ـ أبو هُرَيْرَة الصَّيْرفيّ بحضرتي فقال: كيف تَقول: أمّا لا أو إمّا لا؟ فقال له مُستهزِئاً به: أمّا لا[٤]، ثم التفت إليّ فقال أسمعتَ أعجبَ من هذه المَسألة!.

/ **يجيب على سؤال لم يجب عنه أبو عبيدة** [١٨/٢٠٦]

أخبرني الحَسن بن عليّ، قال: حدَّثني ابن مَهْرويه، قال: حدَّثني العَبَّاسُ بنُ الفضل الرَّبعيّ، قال: حدَّثنا التَّوَّزيّ، قال:

سألتُ أبا عُبَيْدَةَ عن اليَوْم الثاني من النَّحْر: ما كانت العرب تُسَمِّيه؟ قال: ليس عِنْدي من ذلك علم. فلقِيتُ ابن مناذر بمَكّة، فأخبرتُه بذلك، فعَجِب وقال: أيسقُط هذا عن مِثْل أبي عُبَيْدة! هي أربعَة أيّام مُتواليات كلّها على الرّاء: أولُها يوم النَّحْر، والثّاني يوم القَرّ، والثّالثُ يوم النَّفْر، والرّابع يوم الصدر. فحدَّثْتُه ـ يعني أبا عُبَيْدة ـ فكتبَه عن ابنُ / مناذر، وقد روى ابنُ مناذر الحَديثَ المسند، ونَقَله عنه المُحدِّثون. ٢٨/١٧

بعض روايات له

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثنا الكُرانيّ، قال: حَدَّثنا الخَليل بن أسد، عن محمد بن مسعدة الذّارع أبي الجَهْجاه، قال:

---

(١) في «معجم الأدباء» ١٩ ـ ٦٠: «... على عرشه».
(٢) في ب: «الحق»، تحريف.
(٣) البيت للعباس بن مرداس في «شرح الحماسة» ٣ ـ ١٥٣ ط. حجازي ضمن قصيدة من تسعة أبيات، مطلعها:
تـرى الـرجـل النحيـف فتـزدريـه وفـي أثـوابـه أسـد مـزيـر
(٤) الصواب: «إمّالا» بكسر الهمزة، أي إن كنت لا تفعل غيره.

حدّثني مُحمّد بن مناذر الشاعر، قال: حدثني سُفيان الثّوري، عن الأغرّ، عن وَهْب بن مُنَبِّه، قال: كان يقال: الحياءُ من الإيمان، والمِذَى ـ مكسور الميم مقصور ـ من النّفاق، فقلت: إنّ الناس يقولون: المذاء، فقال: هو كما أخبرتك، فقلت له: وما المِذا؟ قال: اللِّينُ في أمر النساء، ومنه دِرْعٌ ماذيّ، وعَسَلٌ ماذيّ.

أخبرني الحَسنُ بن عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرويه، قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، قال: حدثني حامد بن يحيى البلخيّ، قال:

حدثني محمد بن مناذر الشاعر، قال: حدّثني يحيى بن عبد الله بن مُجالد، عن الشّعبيّ، عن مَسروق، عن عبد الله، قال: لَمّا نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القَتْلَى وهم مُصرَّعُون، قال لأبي بكر: «لو أنّ أبا طالب حَيٌّ لعلم أنّ أسيافَنا قد أخذت بالأماثل»، يعني قولَ أبي طالب:

كـذبتُم وبَيْـتِ الله إن جَـدَّ مـا أرى ... لَتَلْتَبِسَـنْ أسيـافُنـا بـالأمـاثِـلِ[1]

[١٨/٢٠٧] / أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ، قال:

حدثنا ابن مناذر، قال: حدّثنا سُفيان بن عُيَينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيْس بن أبي حازم، قال: قال عليٌّ عليه السلام: «ما قام بي[2] من النّساء إلا الحارِقة أسماء». قال ابن مناذر: الحارقَة: التي تُجامَع على جَنْب.

أخبرني مُحمّد بن عِمْران الصَّيْرفي قال: حدّثنا الحَسن بن عُلَيْل العَنَزيّ، عن العباس بن عبد الواحد، عن محمد بن عمرو، عن محمد بن مناذر، عن سُفيان بن عُيَينة، عن عَمْرو بن دينار، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: جاء الشيطانُ إلى عيسى، قال: ألستَ تزعمُ أنك صادق؟ قال: بلى، قال: فأوفِ على هذه الشّاهقَة، فألقِ نفسَك منها، فقال: ويلك، ألم يَقُل الله: يابن آدم، لا تَبْلني بهلاكِك، فإنّي أفعلُ ما أشاء.

كتب رقعة فيها شعر لغلام في مسجد البصرة

أخبرني عيسى بن الحسَيْن الوَرّاق، عن حَمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

نظر محمد بن مناذر إلى غُلام حسَنِ الوجه في مسجد البصرة، فكتب إليه بهذه الأبيات:

وجـدتُ فـي الآثـار فـي بَعْـض مـا ... حَـدّثنـا الأشيـاخُ فـي المُسْنَـدِ

مِمّـا رَوَى الأعمَـشُ عـن جـابـرٍ ... وعـامـرِ الشَّعْبـيُّ والأسـودِ

ومـا روى شُعْبـةُ عـن عـاصـمٍ ... وقـالـه حَمّـاد عـن فَـرْقَـدِ

وصيَّـةً جـاءت إلـى كـل ذي ... خـدٍّ خَـلا مـن شَعَـرٍ أسـودِ

أن يقْبَلُـوا الـرّاغـب فـي وَصْلِهـم ... فـاقبَـلْ فـإنـي فيـك لـم أزهـدِ

نَـوْلٌ فكَـمْ مـن جمـرةٍ ضَمَّهـا ... قَلْبِـيَ مـن حُبِّيـك لـم تبْـرُدِ

[١٨/٢٠٨] فلمّا قرأها الفَتى ضَحِك، وقَلب الرُّقْعة، وكتب في ظَهْرها: لستُ شاعراً / فأُجيبك، ولا فاتِكاً فأُساعِدك، وأنا أعوذُ بالله رَبّك من شرّك.

---

(١) ف: «... بالأنامل».

(٢) ف: «لي».

رواية أخرى في خبره مع أبي العتاهية

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيّ، قال: حدّثنا الحَسَنُ بنُ عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله العَبْديّ، قال: حدّثنا عليّ بن المبارك / الأحمر، قال: ٢٩/١٧

لَقِيَ أبو العَتاهِيَة ابنَ مناذر بمَكّة، فجعل يُمَازِحُه ويُضاحِكه، ثم دَخَلَ على الرَّشِيد، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا ابن مُناذر شاعِرُ البَصْرة يقول قَصِيدة في سَنة، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة[1]، فقال الرشيد: أدخِلْه إليّ، فأدخلَه إليه وقَدَّرَ أنّه يَضَعُه عنده، فدخَل فسَلَّم ودعا، فقال: ما هذا الذي يَحْكِيه عنك أبُو العَتاهِيَة؟ فقال ابنُ مُناذر: وما ذاكَ يا أميرَ المُؤْمنين؟ قال: زعم أنك تَقولُ قَصِيدةً في سنَة، وأنّه يقول كَذَا وكَذَا قَصِيدة في السَّنَة، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كنت أقول كما يَقُول:

ألا يـــا عُتْبَـــة السَّـــاعـــهْ | أمـوتُ السَّـاعـةَ السَّـاعـهْ

لقلتُ منه كثيراً، ولكِنّي الذِي أقول:

إنَّ عبـدَ المَجيـدِ يـوم تَـولَّـى | هـدَّ رُكْنـاً مـا كـان بـالمَهْـدُودِ
مـا دَرَى نَعْشُـه ولا حـامِلُـوه | مـا عَلَـى النَّعْـشِ مـن عَفـافٍ وجُـودِ

فقال له الرشيد: هاتِها فأنشِدْنيها، فأنشدَه، فقال الرشيد: ما كان يَنْبَغِي أن تكون هذه القَصِيدة إلاّ في خَلِيفة أو وليّ عَهْد، ما لها عَيْبٌ إلاّ أنّكَ قُلتها في سُوقَة، وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، فكاد أبو العتاهية يموت غَمّاً وأسفاً.

سئل عنه يحيى بن معين فذمّه

أخبرني الحَسَن بن عليّ، قال: حدَّثنا ابنُ مَهْرَوَيْه، قال: حدثنا إبراهيم بن الجنيد، قال:

سألتُ يَحْيَى بن معين، عن مُحَمَّد بن مُناذر الشاعر، فقال: لم يكن بِثِقَةٍ ولا مأمون، رجُلِ سَوْءٍ نُفِي من البَصْرة، ووصَفَه بالمجُون والخَلاعَة، فقلت: إنما / تكتُب شِعْرَه[2] وحِكاياتٍ عن الخَلِيل بن أحْمَد، فقال: هذا نَعَم. وأما الحَدِيثُ فَلستُ أراهُ مَوْضِعاً له. [٢٠٩/١٨]

وفاته بعد أن كف بصره

أخبرني الحَسَن، قال: حدَّثني ابن مَهْرُويه، قال: حدثني عليُّ بن محمد النَّوْفَلِيّ قال:

رأيتُ ابنَ مُناذر في الحَجّ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائة، قد كُفَّ بَصرُه، تَقودُه جُوَيْرِية حُرّة، وهو واقف يشتري ماء قِرْبة، فرأيته وَسِخ الثَّوْب والبَدَن، فلما صِرْنا إلى البصرة أتَتْنا وفاتُه في تلك الأيّام.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا خلّاد الأرقَط قال:

تذاكرنا ابنَ مناذِر في حَلْقة يُونُس، فقدح فيه أكثرُ أهل الحَلْقة، حتى نسبوه إلى الزَّنْدَقة، فلما صِرْت في السَّقيفة التي في مُقَدَّم المَسْجِد سَمِعْتُ قراءة قريبة من حائطِ القِبْلة، فدنوتُ فإذا ابنُ مُناذِر قائمٌ يُصَلّي، فرجعت إلى الحَلْقة، فقلتُ لأهلها: قُلتُم في الرجل ما قُلتم، وها هُو ذا قائِمٌ يُصَلّي حيث لا يَراهُ إلا الله عزَّ وجلّ.

---

(١) في هب: «في سنة واحدة مائتي قصيدة»، وفي ب: «ما بين قصائد»، تحريف.
(٢) ف: «إنما يكتب عنه شعراً أو حكايات عن الخليل».

خبره مع أبي خيرة

أخبرني مُحمّد بن جَعْفَر الصَّيدلانِيّ النَّحْوِيّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ القاسم البَرْقِيّ، قال: حدَّثنا أحمدُ بْن يعقوب، قال: حدّثني أحمدُ بنُ يَحْيَى الهُذَلِيّ التَّمَّارُ، عن عبد الله بن عَبد الصَّمَد الضَّبِّيّ قال:

كُنّا يوماً جلوساً في حَلْقة هُبَيْرَة بنِ جَرِير الضَّبِّيّ[1] إذ أقبل مُحَمَّدُ بن مناذِر في بُرْد قد كَسته إيّاه بانَةُ بِنْت أبي العاصِي، فسلَّم عليَّ وَحْدي، ولم يعرف منهم أحَداً، ثم قام فجَلس إلى أبي خَيْرَة، فخاطبه مُخاطبة خَفِيفة[2]، وقام مُغْضَباً، فقال لي هُبَيْرَة: مَنْ هذا؟ فقلتُ: محمَّدُ بنُ مُناذِر، فقال: إنا لله قُومُوا بنا، فقام إلى أبي خَيْرَة، فقال له: ماذا قال لك ابنُ مُناذر؟ قال: سألني عن شيء وكنت مَشْغولاً عنه فقال[3]: / يا أبا خَيْرَة إن العَشائر تُغْبِطُنا لِعِلْمِك، وما جعل / اللهُ عندك، فَنَشَدْناك اللهَ أن تكون لنا، كما كان عَرَادَةُ لبني نُمَير، فإنه تعرَّض لِجَرير فهَجاه فَعَمَّهُمْ فقال:

[١٨/٢١٠]

٣٠/١٧

عَرادَةُ مِن بَقِيَّةِ قَومِ لُوطٍ ... ألاَ تَبّاً لِمَا فَعَلُوا تَبابَا

أتدْري مَنْ كان عندَك آنفاً؟ قال: لا، قال: ابنُ مناذِر، وما تُعرِّض لأعراض قَوْم قطّ إلاّ هَتَكَها وهَتَكهم، فإذا جاءك يسألُك عن شَيْءٍ فأجِبْه، ولا تَعْتَلّ عليه بالبول، ولا تطلب منه شَيْئاً، وكُلّ ما أردْت من جهتـه ففي مالِي، قال: أفعلُ. قال: وكان أبُو خَيْرَة إذا سألَه إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يُعتلّ عليه بالبَوْل. فما شعرنا من غد إلا بابْن مُناذِر وقد أقبل، فعَلِمنا أنه قَصدَ أبَا خَيْرَة، فأتَيْناه، فلما رأى جمعَنا استَحْيا مِنّا، وسلَّم علينا وتَبسَّم، ثم قال: يا أبَا خَيْرَة، قد قُلت شِعراً، وقبيحٌ بمِثْلي أن يُسأل عنه فلا يَدْرِي ما فيه، وإنّي ذَكرتُ فيه إنساناً فشَبَّهتُه بالأفَار، فأيّ شيء هو؟ فاحمَرّ وَجْه أبي خَيْرة واضطرب، وقال: هو التَّيْسُ الوَثَّاب الذي يَنْزو وقضِيبُه رِخْو فلا يَصِل، فقال: جُزِيتَ خيراً، ووثب وهو يضحك، فقُمْنا إليه وقلنا: قد علِمنا أنَّك عَنَيْتَ هذا الشيخ، فإن رأيت أن تَهَبَه لنا فافعَل؛ فإنَّه شيخُنا، قال: والله ما عَنيت غيرَه، وقد وَهَبْتُه لكم وكرامَةً، والله لا يسمع مني أحَدٌ ما قُلتُ فيه، ولا أذكره إلا بخَيْر أبداً، وإن كان قد أساء العِشْرة أمس.

[١٨/٢١١]

/ صـوت

لا زلـتَ تَنْشُـرُ أعيـاداً وتَطْـوِيهـا ... تمضـي بهـا لَـكَ أيّـامٌ وتُمْضِيهـا[4]

ولا تَقضَّـت بـك الـدنيـا ولا بَـرِحَـتْ ... تَطْـوِي لـك الـدهـرَ أيـامـاً وتُفْنِيهـا

الشعر لأشْجَع السُّلَمِيّ، والغناء لإبراهيم المَوْصِليّ ثاني مطلق في مجرى البنصر، وفيه لمحمد قريض[5] لحن من الثقيل الأول، وهو من مشهور غنائه ومختاره.

---

(١) ف: «حديد».

(٢) في ف، بيروت: خفية.

(٣) وفي ب، س: «فقلت: آه يا أبا خيرة».

(٤) في ب: «تقضي بها لذ أيام..».

(٥) ف: «قريص».

/ نسب أشجع وأخباره

[١٨/٢١٢]

نسبه

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ والحَسَن بن عليّ قالا: حدثناالحَسَن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدثني عليّ بن الفَضْل[١] السّلميّ، قال:

كان أشجَعُ بن عَمْرو السلميّ يُكنى أبا الوليد من ولد الشَّرِيد بن مطْرود السلميّ، تزوج أبوه امرأة من أهْل اليَمامة، فشَخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشْجَع، ونشأ باليَمامة، ثم مات أبوه.

كان يعد من فحول الشعراء

فقَدِمت به أمُّه البَصْرَة تطلب ميراث أبيه، وكان له هُناكَ مال فماتَت بها، ورُبِّي أشْجَع ونَشأ بالبَصْرة، فكان مَنْ لا يَعرِفُه يَدْفع نسبَه، ثم كَبِر وقال الشِّعر وأجاد وعُدّ في الفحول، وكان الشِّعر يومئذ في رَبِيعةَ واليَمَنِ، ولم يكن لقَيْس شاعر مَعْدود، فلما نَجَم أشْجَعُ وقال الشّعر، افتخرت به قَيْس وأثبَتَت نسبه، وكان له أخوان: أحمدُ وحُرَيْث ابنا عمرو، وكان أحمدُ شاعراً و لم يكن يُقارِب أشْجَع، ولم يكن لحُرَيْث شِعْر، ثم خَرَج أشجَع إلى الرَّقَّة والرَّشيد بها، فنزل على بني سُلَيم فتقبَّلوه وأكرمُوه، ومدح البرامكة، وانقطع إلى جَعْفر خاصَّة وأصفاه مَدْحه، فأُعجِب به ووصله إلى الرشيد، ومدَحه فأُعجِب به أيضاً، فأثرى وحَسُنَتْ حالُه في أيّامه وتَقدَّم عنده.

شخص من البصرة إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته

أخبرني مُحمد بن عِمْران، قال: حدَّثني العَنَزِيّ، قال: حدَّثني صَخْر بن أسد السُّلميّ، قال: حدَّثني أبي أسَدُ / بنُ جَديلة، قال: حدَّثني أشجَعُ السُّلَميّ قال:

[٣١/١٧]

شَخَصت من البَصْرة إلى الرَّقَّة، فوجدت الرَّشيد غازِياً، ونالَتْني خَلَّة، فخرجت حتى لَقِيتهُ مُنصرِفاً من الغَزْو، وكنت قد اتَّصَلْت ببَعض أهل داره، فصاح صائحٌ ببابه: مَنْ كان ها هنا من الشعراء فلْيحضر يوم الخميس، فحضَرنا سَبْعة وأنا ثَامِنهُم، وأُمرنا بالبُكور[٢] في يوم الجمعة، فبكَّرنا وأُدخِلْنا، وقُدِّم واحدٌ منا يُنشِدُ على الأسنان، وكُنتُ / أحدثَ القومِ سنّاً، وأرثَّهم[٣] حالاً، فما بُلِغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تَجِب، فقُدِّمت والرَّشيد على كُرْسيّ، وأصحابُ الأعمِدَة بين يديه سِماطان[٤] . [١٨/٢١٣]

خاف وجوب الصلاة فبدأ إنشاد الرشيد بما جاء في قصيدته من مدح

فقال لي: أنشدني، فخِفْت أن أبتدىء من أوّل قصيدتي بالتَّشْبيب فتَجب الصلاة ويفوتُني ما أردت، فتركتُ

(١) في ف: المفضل.
(٢) في ب: للبكور.
(٣) في «المختار»: وأرقهم.
(٤) سماط القوم: صفهم.

التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المَديح في قصيدتي التي أوّلها:

تــذكَّــر عهــدَ البِيــضِ وَهْــو لهــا تِــرْبُ ... وأيَّـــام يُصبـــي الغَـــانيـــاتِ ولا يَصْبُـــو

فابتدأتُ قولي في المديح:

إلـــى مَلِـــك يَستغـــرِقُ المـــالَ جُـــودُه ... مكـــارِمُـــه نَثْـــر[1] ومَعْـــروفُـــه سَكْـــبُ

ومـــا زالَ هـــارونُ الـــرِّضـــا بـــنُ مُحمَّـــد ... لـــه مـــن ميـــاهِ النَّصْـــر مَشْـــرَبُهـــا العَـــذْبُ

متـــى تَبلُـــغ العِيـــسُ المَـــراسيـــلُ بـــابَـــه ... بنـــا فهنـــاك الـــرُّحْـــبُ والمنـــزِلُ الـــرَّحْـــبُ

لقـــد جُمِعـــت فيـــكَ الظُّنـــون ولـــم يكـــن ... بغيـــرك ظَـــنٌّ يستَـــرِيـــح لـــه القَلْـــب[2]

جَمعـــتَ ذَوِي الأهـــواء حتـــى كـــأنَّهُـــم ... علـــى مَنهـــجٍ بَعْـــد أفتـــراقِهـــم رَكْـــبُ

بَنَيْـــتَ[3] علـــى الأعـــداء أبنـــاءَ دُرْبَـــةٍ ... فلـــم يَقِهـــم منهـــم حُصـــونٌ ولا دَرْبُ

ومـــا زلـــتَ تَـــرْمِيهـــم بهـــم مُتَفَـــرِّداً ... أنِيسَـــاك حَـــزْمُ الـــرَّأْيِ والصّـــارِمُ العَضْـــبُ

جَهَـــدْتُ فلـــم أبلـــغ عُـــلاك بِمِـــدْحَـــةٍ ... وليـــس علـــى مَـــنْ كـــان مُجتهِـــداً عَتْـــبُ

فضحِك الرَّشيد وقال لي: خِفْتَ أن يفوتَ وقْتُ الصلاة فينْقطع المديح عليك، فبدأتَ به وتركت التَّشْبِيب، وأمرني بأن أُنشدَه التَّشْبيبَ فأنشدتُه إيّاه، فأمر لكُلِّ واحد من الشُّعراء بعَشرةِ آلاف دِرْهم وأمر لي بِضِعْفها.

أنشد الرشيد قصيدته الميمية فاستحسنها وقال: هكذا تمدح الملوك

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المهلّبيّ، قال: حدَّثنا عُمَر بن شبّة، قال: حدَّثني أحمدُ بن سَيّار الجُرْجانيّ وكان راوية شاعراً مَدَّاحاً ليَزيدَ بنِ مَزْيد، قال:

[١٨/٢١٤] / دخلْتُ أنا وأشْجَع والتَّيْمِيّ، وابن رَزِين الخراسانيّ[4] على الرشيد في قصر له بالرقَّة، وكان قد ضَرَب أعناقَ قوم في تلك الساعة، فجَعَلْنا نَتخلَّل الدِّماءَ حتى وصلنا إليه، فأنشدَه أبو مُحمد التَّيْميّ قصيدة له يذكر فيها نِقْفُور[5] ووقعته ببلاد الرّوم، فنَثَر عليه مثلَ الدّرّ من جَوْدة شعره، وأنشدَه أشْجَع قوله:

قَصْـــرٌ عليـــه تَحِيَّـــةٌ وسَـــلامُ ... ألقَـــتْ عليـــه جَمـــالَهـــا الأيَّـــامُ

قَصُـــرتْ[6] سُقـــوفُ المـــزن دُونَ سُقُـــوفِـــه ... فيـــه لأعـــلام الهُـــدَى أعـــلامُ

تُثْنِـــي علـــى أيّـــامِـــك الأيّـــامُ ... والشّـــاهِـــدانِ الحِـــلُّ والإحْـــرامُ

[7] نتـــك مـــن ظـــل النبـــي وصيّـــة ... بـــةٌ وشَجَـــت بهـــا الأرحـــام

بـــرقـــت سمـــاؤك فـــي العـــدو وأمطـــرت ... هـــامـــاً لهـــا ظـــلّ السيـــوف غمـــام

وإذا سيـــوفـــك صـــافحـــت هـــام العِـــدَى ... طـــارت لهـــن عـــن الـــرؤوس الهـــام [7]

(١) في «المختار»: فينا.

(٢) أ، ب، س: «بغيرك ما ظن يستريح له قلب»، وهو غير مستقيم الوزن.

(٣) في ب، ما: بنيت.

(٤) ف: «الخزاعي».

(٥) في ب: تغفور.

(٦) في ف، بيروت: قصر.

(٧ ـ ٧) الأبيات الثلاثة من «مختار الأغاني».

وعلى عَدُوِّك يابْنَ عَمِّ مُحمَّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فإذا تَنَبَّه رُعْتَه وإذا غَفا سَلَّت عليه سيوفَك الأحلامُ

/ وأنشدتُه أنا قَوْلي: ٣٢/١٧

* زَمَنٌ بأعلى الرَّقْمَتَيْن قَصِير *

حتى انتهَيْت إلى قَوْلي:

لا تَبْعَدِ الأيّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا خَضِلٌ وإذ غَضُّ الشبابِ[1] نضِيرُ

فاستحسَن هذا البيت، ومضيْتُ في القَصيدة حتى أتممتها، فوجَّه إليَّ الفضلُ بن الربيع: أنفِذ إليَّ قصيدَتك، فإني أُريد أن أُنشِدَها الجواري من استِحْسانه إيّاها.

/ قال: وركب الرشيد يوماً قُبَّةً وسعيدُ بنُ سالم[2] معه في القُبّة، فقال: أين محمد البَيْذَق؟ وكان رجلاً حسن [١٨/٢١٥] الصَّوْت يُنشد الشعرَ فيُطرِب بحُسْن صوته أشدَّ من إطْراب الغناء، فحضر، فقال: أنشِدْني قصيدة الجُرْجانيّ، فأنشدَه، فقال: الشِّعرُ في ربيعةَ سائر اليوم، فقال له سعيدُ بنُ سالم: يا أميرَ المؤمنين، اسْتَنْشِده قصيدةَ أشْجَع بنِ عمرو، فأبى، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعِها، فلما أنشدَه هذيْن البيتَين:

* وعلى عَدوِّكَ يابْنَ عَمِّ مُحمَّد *

والذي بعده، قال له سعيدُ بنُ سالم[2]: والله يا أميرَ المؤمنين، لو خَرِس بعد هذين لكان أشعرَ الناس.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف، قال: حدَّثني مُحمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثني أبي، قال: بلَغَني أنَّ أشْجع لمّا أنشد الرَّشيد هذين البيْتين:

* وعلى عَدوِّك يابْنَ عَمِّ مُحمَّد *

والذي بعده، طَرِب الرشيد، وكان مُتَّكِئاً فاستوى جالساً، وقال: أحسن والله، هكذا تُمدَح الملوك.

أخبرني أحمدُ بنُ إسحاق العَسكريّ، والحسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهِليّ، عن أبيه، قال:

كنتُ عند الرَّشيد، فدخَل إليه أشْجع، ومنصورٌ النَّمريّ، فأنشده أشجَع قولَه:

وعلى عَدُوِّك يابْنَ عَمِّ مُحمَّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فإذا تَنَبَّه رُعتَه وإذا غفا[3] سلَّت عليه سيوفَك الأحلامُ

فاستَحْسن ذلك الرَّشيد، وأومأتُ إلى أشجَع أن يَقطع الشعر، وعلمت أنَّه لا يأتي / بمِثلِهما، فلم يَفعل، ولمّا [١٨/٢١٦] أنشدَه ما بعدَهما فتَر الرَّشيد وضَرَب بمِخصَرة كانت بيده الأرضَ، واستَنْشد منصوراً النَّمريّ، فأنشده قولَه:

ما تنقَضي حَسْرةٌ مِنّي ولا جَزَعُ إذا ذَكرتُ شباباً ليس يُرتَجعُ

(١) في ف: غصن.
(٢) ف: «سلم».
(٣) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢ ـ ٨٨٢ ط. المعارف: ... وإذا هدى.

فمرّ والله في قصيدة قَلَّ ما تقولُ العربُ مثلَها، فجعل الرشيد يضرب بمِخْصَرته الأرض ويقول: الشِّعر في ربيعةَ سائر اليوم، فلما خرجنا قلت لأشجع: غَمزْتُك أن تقطَعِ فلم تفعل، ويلك! ولم تأتِ بشيء، فهلاّ مِتَّ بعد البَيْتيْن أو خَرستَ، فكنتَ تكون أشعرَ الناس.

اشترى جعفر بن يحيى ضيعة وردها على أصحابها فمدحه

أخبرني حَبيب بنُ نَصْر المهلّبيّ، قال: حدَّثنا هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزّيّات قال: حدَّثني مُوسى بنُ عيسى، قال:

اشترى جَعْفَر بنُ يَحيى المِرْغاب[1] من آل الرشيد[2] بعِشْرين ألْف ألْف دِرْهم، وردّه على أصحابه، فقال أشجَعُ السّلميّ يَمْدَحُه بذلك ويقول:

ردَّ السِّبــاخَ نَــدَى يَــدَيْــه وأهلُهــا ... منهـــا بمنـــزلـــة السِّمـــاك الأعـــزَلِ

قـــد أيقَنُـــوا بـــذهـــابهـــا وهـــلاكِهـــم ... والـــدَّهـــرُ يُـــوعِـــدُهـــم بيَـــوْمٍ أعضَـــلِ[3]

فـــافتكَّهـــا لَهُـــم وهـــم مـــن دَهْـــرِهِـــم ... بيـــن الجِـــرانِ وبيـــن حَـــدِّ الكَلْكَـــلِ

مـــا كـــان يُـــرجَـــى غَيـــرُه لفَكـــاكِهـــا ... يُـــرجَـــى الكَـــريـــمُ لكـــل خَطْـــبٍ مُعضِـــلِ

أنشد جعفر بن يحيى مديحاً له لوقته على وزن قصيدة لحميد بن ثور وقافيتها

٣٣/١٧ / أخبرني الحَسَن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدثني أحمد بن محمد حرّان[4]، عن قدامة بن نوح، قال:

[٢١٧/١٨] جلس جَعْفَرُ بنُ يَحْيى بالصالِحيّةِ يشرب على مُشْرفٍ له، فجاءَه / أعرابيٌ من بني هلال، فاشْتكى واستَماح بكلام فَصيح ولَفْظ مثله يَعطف المَسْؤُول[5]، فقال له جَعْفَر بن يَحْيى: أتقولُ الشعرَ يا هِلاَليّ ؟ فقال: قد كنت أقولُه وأنا حَدَث أتَمَلّح به، ثم تَركتُه لمَا صِرْتُ شيخاً، قال: فأنشِدْنا لشاعركم حُمَيْد بن ثَوْر، فأنشدَه قوله:

لِمَـــنِ الـــدِّيـــارُ بجـــانـــب الحُمْـــسِ ... كمَخَـــطِّ ذي الحـــاجـــاتِ بـــالنِّقْـــسِ

حتى أتى على آخِرِها، فاندفع أشجَعُ، فأنشدَه مديحاً له فيه قاله لوقْتِه على وزنها وقافيتها، فقال:

ذهبَـــتْ مكـــارِمُ جَعْفَـــرٍ وفِعـــالُـــه ... فـــي النّـــاس مِثْـــلَ مـــذاهـــب الشمْـــسِ

مَلِـــكٌ تســـوسُ لـــه المَعـــالِـــي نفسُـــه ... والعقـــلُ خَيْـــرُ سيـــاســـةِ النَّفْـــسِ

فـــإذا تـــراءَتْـــه المُلـــوكُ تـــراجَعُـــوا ... جَهْـــرَ الكـــلام بمَنْطِـــقٍ هَمْـــسِ

ســـاد البـــرامِـــكَ جَعْفـــرٌ وهـــم الأُلَـــى ... بعـــد الخـــلائـــف ســـادَةُ الإنْـــسِ

مـــا ضـــرَّ مَـــنْ قَصَـــدَ ابـــنَ يَحْيـــى راغبـــاً ... بـــالسَّعْـــدِ حَـــلَّ بـــه أم النَّحْـــسِ

(١) المرغاب: ضيعة.

(٢) ف: «من الرشيد».

(٣) في ف، بيروت: أعصل.

(٤) ف: «أحمد بن محمد بن حدان».

(٥) ف: «فشكى واستماح بلفظ لطيف فصيح، وكلام مثله يعطف المسؤول».

طلب منه جعفر وصف مكانه شعراً فقال وأجاد

فقال له جَعْفر: صِفْ موضعَنا هذا، فقال:

قُصـورُ الصـالِحِيَّـة كـالعَـذارَى لَبِسْـنَ ثيـابَهُـنَّ لِيَـوْمِ عُـرْسِ
مُطـلَّاتٌ علـى بَطْـنٍ كَسَتْـه أيـادي المـاءِ وَشْيـاً نسْـجَ غَـرْسِ
إذا مـا الطَّـلُّ أثَّـر فـي ثَـراه تَنَفَّـس نَـوْرُه مـن غيـر نَفْـس
فتَغْبِقُـه السَّمـاءُ بِصِبْـغ وَرْسٍ وتَصْبَحُـه بـأَكْؤُس عَيـن شَمْـس[1]

/ فقال جَعْفر للأعرابي: كيف تَرَى صاحِبَنَا يا هلالِيّ؟ فقال: أرى خاطِرَه طوعَ لسانه، وبيانَ الناسِ تَحْتَ بَيانِه، وقد جعلتُ له ما تَصِلُني به، قال: بل نُقِرُّك[2] يا أعرابيّ ونُرْضِيه، وأمر للأعرابيّ بمائةِ دينار ولأشْجَع بمائتَيْن. [١٨/٢١٨]

أنس بن أبي شيخ يعجب بشعره ويقدمه إلى جعفر بن يحيى

أخبرني عَمِّي قال؛ حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو عامة، قال: حدَّثني أشجَعُ السُّلميّ، قال:

كنتُ ذاتَ يَوْم في مَجْلس بعض إخواني أتحدَّث وأنشد، إذ دَخَل عليهم أنَسُ بن أبي شَيْخ النَّصْرِيّ صاحبُ جَعْفَرِ بنِ يَحيى، فقام له جميعُ القَوم غيري، ولم أعرفه فأقوم له، فنظر إليَّ وقال: مَنْ هذا الرَّجل؟ قالوا: أشجع السُّلميّ الشّاعر، قال: أنشدْني بعض قولك، فأنشدْتُه. فقال: إنك لشاعر، فما يَمْنَعُك من جَعْفر بنِ يحيى؟ فقلت: ومَنْ لي بجَعْفَر بنِ يحيى؟ فقال: أنا، فَقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنه يَمَلُّ الإطالة، فقلت: لستُ بصاحبِ إطالة، فقلت أبياتاً على نَحْو ما رَسَم لي، وصِرت إلى أنَس فقال: تقدَّمني إلى الباب، فتقدَّمت، فلم يَلْبث أن جاء فدَخَل، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب[3] جعفر بن يحيى، فقال أشجع: فقمتُ، فقال: ادخل، فدخَلْت، فاستَنْشَدَنِي فأنشدتُه أقول:

وتَـرَى المُلـوكَ إذا رَأيْتَهُـمُ كُـلّ بعيـد الصَّـوْت والجَـرْسِ
فـإذا بَـدَا لَهُـم ابـنُ يَحْيَـى جعفـرٌ رَجَعُـوا الكـلامَ بمَنْطِـقٍ هَمْـسِ
ذَهَبَـتْ مكـارِمُ جَعْفَـر وفِعـالُـه فـي النَّـاس مِثْـلَ مـذاهـبِ الشَّمْـسِ

/ قال: فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، قال: وكان أشجَعُ يُحِبُّ الثِّياب، وكان يكْتَرِي الخِلعَة كل يوم بدرهمين، فيلبَسُها أياماً، ثم يكْتَرِي غيرها، فيفعل بها مثلَ ذلك، / قال: فابتعْتُ أثواباً كثيرة بباب الكَرْخ، فكسوتُ عيالي وعيالَ إخوتي حتى أنفقتها. [٣٤/١٧] [١٨/٢١٩]

الفضل بن يحيى يهب له ضعف ما وهبه إياه جعفر

ثم لقيتُ المُبارَك مُؤَدِّب الفضل بن يحيى بعد أيام، فقال لي: أنشدني ما قُلْتَه في جعفر، فأنشدته، فقال:

---

(١) في ما: «فتغبقه بصبغ لون ورس». وفي ف، بيروت: «وتصبحه بكأس عين شمس». وفي «اللسان»: غبقه يغبقه غبقاً: سقاه غبوقاً؛ وهو الشرب بالعشي. وصَبَحه يَصْبَحه: سقاه صبوحاً. والصبوح: ما أصبح عندهم من شرابهم.

(٢) في مد، ما: نصلك. وفي «المختار»: نبرك. وفي ب: نقدك.

(٣) في ب، س: أبو زنج الهمذاني صاحب جعفر.

ما يَمنعك من الفضل؟ فقلت: ومَنْ لي بالفَضْل؟ فقال: أنا لك به، فأدخلني عليه، فأنشدته:

وما قدَّم الفَضْلَ بنَ يَحيى مكانُه ... على غيره بل قدَّمَتْه المَكارِمُ

لقد أرهَبَ الأعداءَ حتى كأنما ... على كل ثَغْرٍ بالمَنِيَّة قائمُ

فقال لي: كم أعطاك جعفر؟ فقلت: عشرة آلاف درهم، فقال: أعطوه عشرين ألفاً.

جعفر بن يحيى يجري عليه في كل جمعة مائة دينار

أخبرني علي بن صالح، قال: حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن، قال: حدثني داود بن مُهَلْهِل، قال:

لما خرج جعفر بن يحيى ليُصْلح أمر الشام، نزل في مَضْرَبه، وأمر بإطعام الناس، فقام أشجَعُ فأنشده قوله:

فِئتان باغِيَةٌ وطاغِيَةٌ ... جلَّت أُمورُهما عن الخَطْبِ

قد جاءكُم بالخيل شازِبَةً[1] ... ينقلن نحوكم رَحَى الحرْبِ

لم يَبْقَ إلا أن تَدُورَ بكم ... قد قام هاديها على القُطْبِ

قال: فأمر له بصلة ليست بالسَّنيَّة، وقال له: دائمُ القليلِ خيرٌ من مُنْقَطع الكثير، فقال له: ونَزْرُه[2] أكثرُ من جزيل غيره، فأمر له بمثلها، قال: وكان يُجْري عليه في كلِّ جُمعة مائةَ دينار مدة مقامه ببابه.

[٢٢٠/١٨] /

إسحاق الموصلي ينشد له قصيدة في الخمر أمام الرشيد وجعفر بن يحيى

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد، قال: حدثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ، قال: حدثنا إسحاقُ الموصِليُّ، قال:

دخلت إلى الرَّشيد يوماً، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم أسمع ابتداءه، وقد علا صوته، فلما رآني مُقبلاً قال لجعفر بن يحيى: أترضى بإسحاق؟ قال جعفر: والله ما في عِلْمه مَطْعَن إن أنصَف، فقال لي: أيّ شيء تَروِي للشعراء المحدثين[3] في الخمر؟ أنشدني مِن أفْضَلِ ما عِنْدَك وأشدِّه تَقدُّماً، فعلمت أنهما كانا يَتَماريان في تقديم أبي نُواس، فعَدَلْتُ عنه إلى غيره؛ لئلا أخالِفَ أحدهما، فقلت: لقد أحسن أشجع في قوله:

وقد طَعنتُ الليلَ في أعجازِه ... بالكأسِ بين غَطارِفٍ كالأنْجُمِ[4]

يَتمايلُون على النعيم كأنّهُم ... قُضُبٌ من الهِنديّ لم تتثلّم

وسَعَى بها الظَّبيُ الغَرِير يزيدُها ... طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِم[5]

والليلُ مُنْتَقِب بفَضْلِ رِدائِه ... قد كاد يَحْسَر عن أغرَّ أرثَم[6]

فإذا أدارتْها الأكفُّ رأيتَها ... تَثْني الفصيحَ إلى لسان الأعجم

وعلى بَنانِ مُديرِها عِقْيانَةٌ ... من سَكْبِها وعلى فضول المِعْصَم

---

(١) في ب، س: شاربة. وفي «المختار»: شازية. وفي ما: شاربة. وما أثبتناه من ف. والمعنى: ضامرة يابسة.

(٢) ف، س: ونزر الوزير.

(٣) في ب، س: «أي شيء تروي الشعراء المحدثون في الخمر».

(٤) الغطارف: السادة الأشراف.

(٥) تغشم: تظلم.

(٦) الأرثم من الخيل: ما كان في طرف أنفه بياض أو كان أبيض الشفة العليا.

تَغْلي إذا ما الشِّعْريانِ تَلَظَّيا ... صيفاً وتَسْكُن في طلوع المِرْزَمِ[1]
ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّها ... بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّمِ
ولها سُكونٌ في الإناء وخلفَها ... شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكميِّ المُعْلِمِ
/ تُعطي على الظُّلم الفتى بِقيادِها ... قَسْراً وتَظْلِمُه إذا لم يَظْلِمِ

٣٥/١٧
[١٨/٢٢١]

/ الرشيد يفضل أبا نواس عليه في وصف الخمر

فقال لي الرَّشيد: قد عَرَفتُ تَعَصُّبك على أبي نُواس، وإنك عَدلت عنه متعمداً، ولقد أحسَن أشجَع، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نُواس:

يا شَقِيقَ النَّفْس من حُكَم ... نِمْتَ عن لَيْلي ولم أنَمِ

فقلت له: ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أمير المؤمنين، وإنما أنشدْت ما حضرني، فقال: حسبُك قد سمعت الجواب.

قال الفَضْل: وكان في إسحاق تعصُّب على أبي نُواس لشيء جرى بينهما.

الواثق يطرب لشعر أشجع ويستعيده

أخبرني مُحمد بن مَزْيد، قال: حدثنا حمَّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

اصطبح[2] الواثِقُ في يوم مطير، واتصل شُربُه وشربنا معه حتى سقطنا لجنُوبنا صَرعَى، وهو معنا على حالنا، فما حُرِّك أحدٌ منا عن مضجعه، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا، وبذلك أمرهم، وقال:

لا تحرِّكوا أحداً عن موضعه، فكان هو أول من أفاق منا، فقام وأمر بإنْباهِنا فأُنبِهْنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا، وجئتُ إليه وهو جالس وفي يده كأس، وهو يروم شربها، والخمار يمنعه، فقال لي: يا إسحاق، أنشدني في هذا المعنى شيئاً، فأنشدتُه قول أشجع السُّلَمِيّ:

ولقد طَعنت الليلَ في أعْجازه ... بالكأس بين غَطارِفٍ كالأنجُمِ
يتمايلُون عن النَّعِيم كأنَّهم ... قُضُبٌ من الهنديّ لم تَتَثلَّمِ
وسَعَى بها الظَّبيُ الغَريرُ يَزيدُها ... طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تُغْشِمِ
والليل مُنْتَقِب بفضل رِدائِه ... قد كاد يُحْسَر عن أغرَّ أرْثَمِ
وإذا أدارتها الأكُفُّ رأيتها ... تثني الفَصِيحَ إلى لِسان الأعْجَمِ
/ وعلى بَنانِ مُدِيرِها عِقْيانَةٌ ... من لونها[3] وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ
تَغلي إذا ما الشِّعْرَيان تَلَظَّيا ... صيفاً وتسكن في طُلوعِ المِرزَمِ
ولقد فَضَضْناها بخاتم ربِّها ... بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّمِ
ولها سُكُونٌ في الإناء وخَلفَها ... شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكميِّ المُعْلِمِ

[١٨/٢٢٢]

(١) الشعريان والمرزم: نجوم.
(٢) في ب، س: أصبح.
(٣) في «المختار»: من سكبها.

تُعطي على الظُّلْمِ الفَتَى بِقِيادِها ... قَسْراً وتظلمه إذا لم يَظْلِمِ

فطرب وقال: أحسنَ واللهِ أشْجَع، وأحسنتَ يا أبا محمد، أعِد بحياتي، فأعدتها وشرب كأسَه، وأمر لي بألفِ دينار.

عزّى الفضل بن الربيع في ابنه العباس فأحسن العزاء وقال شعراً يرثيه

أخبرني جعفر بن قُدَامَة، قال: حدثنا أبو هِفّان، قال:

ذكر أبو دعامة أنّ أشْجَع دخل على الفَضْل بن الرّبيع، وقد تُوفِّيَ ابنه العباس والناس يُعزّونه، فعزّاه فأحسن، ثم استأذنه في إنشاد مَرثيَة قالها فيه، فأذن له فأنشدَه:

لا تبكِيَنَّ بعَيْن غير جائشةٍ ... وكلُّ ذي حَزَنٍ يبكي كما يجِدُ
أيُّ امرىءٍ كان عباسٌ لنائبةٍ ... إذا تَقَنَّع دونَ الوالد الوَلَدُ
لم يُدنِه طمعٌ من دار مُخْزِيَةٍ ... ولم يُعِزّ له من نعمة بلَدُ
قد كنتُ ذا جَلَدٍ في كلّ نائبةٍ ... فبانَ منّي عليك الصبرُ والجلَدُ
لمّا تسامتْ بك الآمالُ وابتهجت ... بك المروءةُ واعتدّت بك العُدَدُ
/ ولم يكن لِفَتَى في نفسه أملٌ ... إلا إليك به من أرضه يَفِدُ
وحين جئت أمام السّابقين ولم ... يَبلُل عِذارَك مَيْدانٌ ولا أمدُ
وافاكَ يومٌ على نَكْراء مشتمِلٌ ... لم يَنجُ من مثله عادٌ ولا لُبَدُ
فما تُكَشّف إلا عن مُوَلْوِلةٍ ... حَرَّى ومُكْتَئِبٍ أحشاؤه تَقِدُ

٣٦/١٧

[١٨/٢٢٣] / قال: فبكَى الفضلُ وبكَى الناسُ معه، وما انصَرَفوا يومئذ يتذاكرون غيرَ أبياتِ أشجع.

عزّى الرشيد في ابن له فأحسن وأمر بصلته

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء، قال: حدثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدِّيناري، قال: حدَّثني عليُّ بنُ الجهم، قال:

دَخل أشجعُ على الرَّشيد وقد مات ابنٌ له، والناس يُعَزّونه فأنشده قوله:

نَقَصٌ من الدِّين ومن أهله ... نقصُ المنايا من بني هاشمِ
قدّمته - فاصبِر على فقدِه - ... إلى أبيه وأبي القاسمِ

فقال الرَّشيد: ما عزّاني اليوم أحدٌ أحسنَ من تَعْزِيَة أشجع، وأمرَ له بِصلة.

أذن له جعفر بن يحيى بالوصول إليه وحده دون سائر الناس

أخبرني الحسَن بن عليّ، قال: حدَّثنا العَنَزيّ، قال: حدثني عبدُ الرّحمن بن النّعمان السّلميّ قال:

كنّا بِبابِ جعفر بنِ يَحيى وهو علِيل، فقال لنا الحاجبُ: إنه إذْن عليه، فكتب إليه أشجع:

لمّا اشتكَى جعفرُ بنُ يَحيى ... فارقَني النّومُ والقَرارُ
ومَرَّ عَيشي عليَّ حتّى ... كأنّما طَعمُه المُرارُ

خوفاً على جعفر بن يَحيى لا حُقَّقَ الخَوفُ والحِذارُ
إن يُعفِه الله لا نُحاذِرْ ما أحدثَ الليلُ والنهارُ

قال: فأوصل الحاجب رُقْعَتَه، ثم خَرج فأمره بالوصول وحده، وانْصَرف سائرُ النَّاس.

الرشيد يأمر بتعجيل صلته له

أخبرني الحَسَن قال: حدثنا العَنَزِيّ، قال: حدّثني محمد بن الحُسَين، عن عمرو بن عليّ: أنَّ أشجعَ السُّلَمِيّ كتب إلى الرشيد وقد أبطأ عنه شيءٌ أمرَ له به:

[١٨/٢٢٤] / أبلِغْ أميرَ المؤمنين رسالَةً لها عَنَقٌ[1] بين الرُّواةِ فسيحُ
بأنّ لسانَ الشعرِ يُنطِقه النَّدى ويُخرِسه الإبطاءُ وهو فصيحُ

فضَحِك الرشيدُ وقال له: لن يَخْرَس لِسانُ شِعرك، وأمر بتَعْجِيل صلته.

مدح محمد بن منصور بشعر كان أحب مدائحه إليه

أخبرني الحَسَن، ومحمد بن يَحيى الصُّولِيّ، قالا: حدثنا العَنَزِيّ، قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، وكان يُقال لأبيه فَتى العسكر، قال:

أقبل أشجعُ إلى باب أبي، فرأى ازْدحامَ الناس عليه، فقال:

على بابِ ابنِ منصورٍ علاماتٌ من البذْلِ
جماعاتٌ وحسْبُ البابِ[2] نُبْلاً كثرةُ الأهلِ

فبلغ أبي بيتاه هذان، فقال: هما واللهِ أحبُّ مدائحه إليّ.

هنأ جعفر بن يحيى بولاية خراسان

أخبرني عَمِّي، والحسَن بنُ عليّ، قال: حدَّثنا الفضلُ بن محمد اليزيدِيّ، قال: حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِلِيّ، قال:

لما وَلَّى الرشيدُ جعفرَ بن يَحيى خُراسانَ جلس للناس فدخلوا عليه يُهَنِّئونه ثم دخلَ الشعراءُ فأنْشدُوه؛ فقام أشجعُ آخرهم، فاستأذَن في الإنشاد فأذن له، فأنشدَه قوله:

أتصبِرُ للبَيْنِ أم تجزَعَ فإنَّ الدِّيارَ غداً بَلْقَعُ[3]
٣٧/١٧ / غداً يتفرّقُ أهلُ الهوى ويكثُرُ باكٍ ومُسْتَرجِعُ

حتى انتهى إلى قوله:

ودَوِّيَّةٍ[4] بين أقطارِها مقاطيعُ أرضِينَ لا تُقْطَعُ

(١) العنق: السير السريع.
(٢) في ف: وحسب الدار.
(٣) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.
(٤) الدوية: الصحراء الواسعة.

[١٨/٢٢٥] / تَجاوزُتُها فوق عَيْرانَةٍ[١] من الريح في سَيرِها أسرعُ
إلى جعفر نزعتْ رَغبةٌ وأيّ فتى نحوه تَنْزِعُ
فما دُونه لامرئٍ مَطْمَعٌ ولا لامرئٍ غيره مَقنعُ[٢]
ولا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَّه ولا يَضَعُون الذي يَرفعُ
يُريدُ الملوكُ مَدى جعفرٍ ولا يَصنعُون كما يَصْنعُ
وليس بأوْسَعِهم في الغِنَى ولكنّ معروفه أوسعُ
تلوذُ الملوكُ بآرائه[٣] إذا نالها الحدَثُ الأفظعُ
بَديهتُه مِثلُ تَدبيره متى رُمتَه[٤] فهو مُستَجمِعُ
وكم قائلٍ إذ رأى ثَرْوتي[٥] وما في فضول الغنى أصنعُ:
غدا في ظِلال نَدَى جعفرٍ يَجُرُّ ثِيابَ الغِنَى أشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تحيا فقد أتاها ابنُ يحيى الفَتَى الأروعُ

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحكاً، واستحسن شِعرَه، وجَعَل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه، ثم أمر له بألف دينار.

يهوّن على جعفر بن يحيى عزله عن خراسان

قال: ثم بدا للرّشيد في ذلك التّدبير، فعزل جعفراً عن خُراسان بعد أن أعطاه العهْد والكتب، وعقد له العقْد وأَمَرَ ونَهَى، فوَجِم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول:

أمستْ خُراسانُ تُعزَّى بما أخطأها من جعفرِ المُرتَجَى
[١٨/٢٢٦] / كان الرَّشيدُ المُعتَلَى أمرُه ولّى عليها المُشرِقَ الأبلَجا[٦]
ثم أراه رأيُه أنّه أمسى إليه منهمُ أحْوَجا
فكمْ به الرّحمنُ[٧] من كُربة في مُدّةٍ تقصُر قد فَرَّجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هوّنتَ عليَّ العَزْل، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر، فَسَلْني ما شِئتَ، فقال: قد كفاني جُودُك ذِلّةَ السؤال، فأمر له بألفِ دينار آخر.

يمدح محمد الأمين وهو ابن أربع سنين

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، عن أبي دِعامة، عن أشْجَع، قال:

---

(١) العيرانة: الناقة النشيطة. وفي ب، ما: «ريحانة».
(٢) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢ ـ ٨٨٣:
وما خلفه لامرىء مطمع ولا دونه لامرىء مقنع
(٣) في ب، ما: «بأبوابه».
(٤) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٣: «متى هجته».
(٥) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٣: «وكم قائل إذ رأى بهجتي».
(٦) في ب، ما: «ولى عليه». وفي ف: «ولى على مشرقها». وفي «التجريد»: «ولى على مشرقه».
(٧) في «المختار»: «فكم فك به الرحمن من كربة» ولا يستقيم الوزن.

دخلتُ على محمد الأمين حين أُجلِسَ مَجْلس الأدب للتَّعْليم، وهو ابنُ أربعِ سِنين، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

ملكٌ أَبُوه وأُمُّه من نَبْعَةٍ ... منها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ
شَرِبَتْ بمكة في رُبا بَطْحائها ... ماءَ النُّبوّة ليس فيه مِزاجُ

يَعني النَّبعةَ. قال: فأمرتْ له زُبَيْدةُ بمائة ألف درهم، قال: ولم يملِك الخلافَةَ أحدٌ أبوه وأمُّه من بني هاشم إلا أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه، ومحمد بن زبيدة[1].

يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك

أخبرني الحسن بنُ عليّ، ومحمد بن يَحْيى الصوليّ، قالا: حدَّثَنا الحسَن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ، / قال: حدثنا ٣٨/١٧ المِهْزميّ، قال:

لما وَلِيَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نَهِيك الشرطةَ، دخل عليه أشجَعُ، فأنشدَه قولَه فيه:

[١٨/٢٢٧]

/ لِمَنِ المنازِلُ مثلُ ظَهْرِ الأرقَمِ ... قَدُمت وعَهْدُ أنيسِها لم يَقْدُمِ
فتكَتْ بها سَنَتان تَعْتَوِرانِها ... بالمُعْصِفات[2] وكلّ أسْحَم مُرزِمِ[3]
دِمَنٌ إذا استَثْبَتَّ عينك عهدَها ... كرَّت إليك بنَظْرَةِ المُتَوَهِّمِ
ولقد طعَنْتُ الليلَ في أعجازِه ... بالكأسِ بين غطارِفٍ كالأنْجُمِ
يَتَمايَلُون على النَّعيم كأنَّهم ... قُضُبٌ من الهِنْدِيّ لم تَتَثَلَّمِ
واللَّيلُ مُشْتَمِلٌ بِفَضْلِ ردائِه ... قد كاد يَحْسُر عن أغرَّ أرثَمِ[4]
لِبَني نُهَيْكٍ طاعةٌ لو أنها ... زُحِمَت بهَضْبِ مُتالِعٍ لم تُكْلَمِ
قومٌ إذا غَمَزوا قَناةَ عَدُوِّهم ... حَطَموا جَوانِبَها ببأسٍ مُحطِمِ
في سَيْف إبراهيمَ خوفٌ واقِعٌ ... لِذَوي النِّفاقِ وفيه أمْنُ المُسْلِمِ
ويَبِيتُ يَكْلأ - والعُيونُ هَواجِعٌ - ... مَالَ المُضِيعِ ومُهْجَةَ المُسْتَسْلِمِ[5]
لَيلٌ يُواصِلُه بضَوْءِ نَهارِه ... يَقْظانُ ليس يَذُوق نومَ النُّوَّمِ
شَدَّ الخِطامَ بأنفِ كلِّ مُخالِفٍ ... حتى استقامَ له الذي لم يُخْطَمِ
لا يُصلِحُ السُّلطانَ إلا شِدَّةٌ ... تَغْشَى البَرِيءَ بفضلِ ذَنْب المُجْرِمِ
مَنَعتْ مهابَتُك النفوسَ حَديثَها ... بالشيء[6] تكرهه وإن لم تَعْلَمِ
ونَهَجْتَ في سُبُل السِّياسة مَسْلَكاً ... ففهِمتَ مذهبَها الذي لم يُفْهَمِ

(١) «التجريد»: محمد بن الرشيد.
(٢) ف: «بالمعضلات».
(٣) المرزم: المصوت.
(٤) الأغر: الأبيض، والأرثم: الفرس في طرف أنفه بياض.
(٥) لم يرد هذا البيت في ف. والمضيع: من كثرت ضياعه، وهو موجود في باقي النسخ، وفي «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٤.
(٦) في «الشعر والشعراء»: «بالأمر تكرهه».

فوصله وحمله وخلع عليه.

[٢٢٨/١٨] / **يراجع جعفر بن يحيى في تقليل عطائه فيزيده**

أخبرني محمد بن يَحْيَى الصُّوليّ، قال: حدثنا الغَلابيُّ قال: حدثنا مَهديُّ بنُ سابق، قال:

أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حَفْصَة ـ وقد مدحه ـ ثلاثينَ ألف درهم، وأعطى أبا البَصِير عشرين ألفاً، وأعطى أشْجَع ـ وقد أنشدَه معهما ـ ثلاثة آلاف درهم، وكان ذلك في أول اتصاله به، فكتبَ إليه أشجَع يقول:

أعطيـــتَ مـــروانَ الثَّـــلا ... ثِيـنَ التـي دَلَّـت رِعـاثَـهْ[1]

وأبـــا البَصِيـــر وإنمـــا ... أعطيتَنِـــي منهـــم ثـــلاثَـــهْ

مـــا خـــانَنِـــي حَـــوْكُ القــريـ[2] ... ـــض ولا اتّهمـتَ سِوَى الحداثَـهْ

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى.

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعراً لأشجع ويدعيه لنفسه

حدثني عليُّ بن صالح بنِ الهَيْثَم الأنبارِيُّ، قال: حدثني أبو هَفان، قال: حدثني سعيد بنُ هُرَيْم وأبو دِعامة، قالا:

كان انْقطاعُ أشجع إلى العباس بنِ محمد بنِ عليِّ بن عبد الله بن العباس، فقال الرّشيدُ للعباس يوماً: يا عمّ، إن الشُّعَراء قد أكثروا في مَدْح محمد بِسَبَبي وبسبب أمّ جَعفر، ولم يقل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً، وأنا أُحِبّ أن أَقَع على شاعر فَطِن ذكيّ يقول فيه، فذكر العَبّاس ذلك لأشْجَع، وأمَرَه أن يقول فيه، فقال:

بَيْعَـــةُ المـــأمـــون آخِـــذَةٌ ... بعِنـــان الحَـــقّ فـــي أُفُقِـــهْ

٣٩/١٧ / أُحكِمتْ مِـــرّاتُهـــا[3] عُقَـــداً ... تمنـــع المُخْتـــال فـــي نَفَقِـــهْ

لـــن يفـــكَّ المـــرءُ رِبْقَتَهـــا ... أو يفـــكَّ الـــدِّيـــنَ مـــن عُنُقِـــهْ

[٢٢٩/١٨] / ولـــه مـــن وَجْـــه والـــدِهِ ... صُـــورةٌ تَمَّـــت ومـــن خُلُقِـــهْ

قال: فأتى بها العبّاسُ الرَّشيدَ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله: لمن هي؟ فقال: هي لي، فقال: قد سررتَني مَرّتين: بإصَابَتِك ما في نَفْسي، وبأنها لك، وما كان لك فهو لي، وأمر له بثلاثين ألف دينار، فدفع إلى أشْجَع منها خمسةَ آلاف درهم، وأخذ باقيها لنفسه.

يستعجل عطاء يحيى بن خالد ثم يمدحه

أخبرني عمّي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ، قال:

وعد يَحْيَى بن خالد أشْجَعَ السُّلَميّ وعداً، فأخّره عنه، فقال له قوله:

رَأيْتُـــكَ لا تَسْتَلِـــذُّ المِطـــالَ ... وتُـــوفِـــي إذا غَـــدَرَ الخـــائِـــنُ

(١) الرعاث جمع رعثة، وهي عثنون الديك، ويريد بتدلي رعاثه أنه تكبّر وزها.

(٢) ف: «حوز القريض».

(٣) المرات جمع مرة، وهي طاقة الحبل. وفي ما: «مرانها».

فمـاذا تُـؤَخّـر مـن حـاجَتِـي ... وأنـتَ لتَعْجِيلهـا ضـامـنُ!

ألَـمْ تَـرَ أنَّ احتبـاسَ النَّـوالِ ... لمَعْـرُوفِ صـاحِبِـه شـائِـنُ!

فلم يتعجَّلْ ما أراد، فكتب إليه:

رُويـدَكَ إنَّ عِـزَّ الفَقْـرِ أدنَـى ... إلـيَّ مـن الثَّـراء مـع الهَـوانِ

ومـاذا تَبلُـغُ الأيَّـامُ مِنِّـي ... بـرَيْـبِ صُـرُوفِهـا ومَعِـي لِسـانِـي

فبلغ قولُه جَعْفراً فقال له: ويلك يا أشْجَع! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله، ثم كلّم أباه فقضى حاجتَه، فقال:

كَفانِي صُـروفَ الـدَّهْـرِ يَحْيـى بـنُ خـالـد ... فـأصبَحْـتُ لا أرتـاعُ للحَـدَثـانِ

كَفـانِـي - كَفـاه الله كُـلَّ مُلِمَّـةٍ - ... طِـلابَ فُـلانٍ مَسَـرَّةً وفُـلانِ

فـأصبَحْـتُ فـي رغْـدٍ مـن العَيْـش واسـعٍ ... أُقلِّـب فيـه نـاظِـري ولِسـانِـي

جعفر بن يحيى يوليه عملاً ثم يصرفه عنه

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفِيّ، قال: حدَّثنا العَنَزِيّ عن ابن النَّطَّاح، قال:

/ ولَّى جَعفرُ بنُ يَحْيى أشْجَع عملاً، فرفَع إليه أهلُه رفائعَ[1] كَثِيرة، وتَظَلَّمُوا منه وشَكَوْه، فصرفه جعفر [١٨/ ٢٣٠] عنهم، فلما رَجَع إليه من عمله مَثَل بين يديه، ثم أنشأ يقول:

أمُفسِـدةٌ سُعـادُ علـيَّ دِينـي ... ولائِمَتـي علـى طُـولِ الحَنِيـنِ

ومـا تَـدرِي سُعـاد إذا تَخَلَّـتْ ... مـن الأشجـان كَيـفَ أخُـو الشُّجُـونِ

تَنـامُ ولا أنـامُ لِطُـول حُـزْنـي ... وأيـنَ أخُـو السُّـرور مـن الحَـزيـن!

لقـد راعَتْـك عنـد قَطِيـن سُعْـدَى ... رواحـلُ غـادِيـاتٌ بـالقَطِيـن[2]

كـأنَّ دُمـوعَ عَيْنِـي يـوم بـانـوا ... عِيـانـاً سَـحُّ مُطَّـرِدٍ مَعِيـن[3]

لقـد هَـزَّت سِنـانَ القَـوْلِ مِنِّـي ... رِجـالُ رَفِيعَـةٍ لـم يَعْـرِفُـونـي

هـمُ جـازُوا حِجـابَك يـابْـنَ يَحْيَـى ... فقـالـوا بـالـذي يَهْـوَوْن دُونِـي

أطـافُـوا بـي لـديـك وغِبـتُ عنهـم ... ولـو أدنَيْتَنِـي لتَجَنَّبُـونِـي

وقـد شهـدتْ عُيـونُهـمُ فمـالَـت ... علـيَّ وغُيِّبَـتْ عنهـم عُيـونـي

ولَمَّـا أن كَتبْـتُ بمـا أرادُوا ... تَـدَرَّع[4] كُـلُّ ذِي غَمْـزٍ دَفيـن

/ كَففتُ عـن المقـاتـل بـاديـاتٍ ... وقـد هَيَّـأْتُ صَخْـرةَ مَنْجَنُـون[5]

ولـو أرسلتُهـا دَمَغَـتْ رِجـالاً ... وصـالَـت فـي الأخِشَّـة والشُّـؤُون[6]

٤٠
١٧

(١) الرفائع: جمع رفيعة؛ وهي القصة المرفوعة إلى الحاكم.

(٢) القطين: الخدم والحاشية.

(٣) في ف: «غياث سح مطرد معين».

(٤) في ب: «تردع».

(٥) المنجنون: الدولاب يستقى عليها.

(٦) الأخشة جمع خشاش، وهو العود يجعل في عظم أنف البعير، والشؤون جمع شأن، وهو عرق الدمع.

[١٨/ ٢٣١] / وكنت إذا هَززتُ حُسامَ قَوْلٍ قطعت بحُجَّتي عَلَق[1] الوَتِينِ
لعلّ الدهر يُطلِق من لساني لهم يوماً ويَبْسط من يَمِيني
فأقضِيَ دَيْنَهم بوفاء قَوْلٍ وأثقلهم لصدقي بالديونِ
وقد علموا جميعاً أنّ قولي قَريب حِينَ أدْعُوه يَجِيني
وكُنتُ إذا هَجَوْتُ رَئِيسَ قَوْم وَسَمْتُ على الذُّؤابَة والجَبِين
بخطٍّ مثلِ حَرْقِ النارِ باقٍ يلوح على الحواجِبِ والعُيُونِ
أمائِلَةٌ بوُدِّك يابْنَ يَحْيَى رِجالاتٌ ذَوُو ضِغْن كَمِينِ
يَشِيمون السُّيوفَ[2] إذا رَأوْني فإن وليتُ سُلَّت من جُفونِ
ولو كُشِفَت سرائرُنا جميعاً علمتَ مَن البَرِيءُ من الظَّنِينِ[3]
علامَ - وأنتَ تَعْلَم نُصْحَ جَنْبي وأخْذِي منك بالسَّبَب المتينِ
وعَسْفِي كُلَّ مَهْمَهَةٍ خلاءٍ إليك بكل يَعْمَلةٍ أمُونِ[4]
وإحيائي الدُّجَى لك بالقوافي أُقِيم صُدورَهُنّ على المُتونِ -
تُقرِّب منك أعدائي وأُنْأَى ويجلسُ مَجْلِسي مَنْ لا يَلِيني!
ولو عاتبتَ نَفْسك في مكاني[5] إذاً لنزلتُ عندك باليَمِينِ
ولكِنَّ الشُّكوكَ نَأيْنَ عنّي بوُدّك، والمَصِيرُ إلى اليقين
فإن أنصفْتَني أحرقتَ منهم بنُضْج الكَيِّ أثْباجَ[6] البطونِ

/ أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور

أخبرني محمدُ بنُ يَحْيَى الصُّوليُّ والحَسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا العَنَزِيّ، قال: حدثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ، قال:

أوّلُ ما نَجَم به أَشجَعُ أنّه اتَّصل بجعفر بنِ المَنْصور وهو حَدَثٌ، وصَلَه به أحمد بنُ يزيد السُّنْبِيّ وابنه عوف، فقال أَشجَعُ في جعفر بن المنصور قوله:

اذكُروا حُرمةَ العَواتِك مِنّا يا بني هاشم بنِ عبدِ منافِ
قد وَلَدْناكُمُ ثَلاثَ ولادا تٍ خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ
مَهَّدَت هاشماً نجومُ قُصَيٍّ وبنو فالجٍ حُجور عَفافِ
إنّ أرماحَ بُهْثَةَ بنَ سُلَيْم[7] لعِجافِ الأطراف غيرُ عِجافِ

---

(١) العلق: الحبل. وفي ف: «عرق».
(٢) يشيمون السيوف: يدخلونها في أغمادها.
(٣) الظنين: المتهم.
(٤) اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. الأمون: الموفقة الخلق المأمونة الكلال.
(٥) ف: «من فؤادي».
(٦) الأثباج: جمع ثبج، وهو الوسط من كل شيء.
(٧) كذا في «القاموس» (بهث). وفي ف، «المختار»: «بهشة». وفي ب، ما: «بهمة من سليم».

ولأسيافهم فرى غير لذ ... راجع في مراجع الأكتاف
معشر يطعمون من ذروة الشو ... ل ويسقون خمرة الأقحاف[1]
يضربون الجبار في أخدعيه ... ويسقونه نقيع الذعاف[2]

فشاع شعره وبلغ البصرة، ولم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هارون الرشيد، فأسنى جوائزه، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء.

الفضل بن الربيع يصله بالرشيد فيمدحه ثم يمدح الفضل

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبة بن أحمد بن هشام، قال: حدثني أحمد / بن العباس الربيعي: [41/17]

أن الذي أوصل أشجع السلمي إلى الرشيد جده الفضل بن الربيع، وأنه أوصله له وقال له: هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان، وقد اقتطعته عنك البرامكة، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل، فلما وصل إليه أنشده قوله:

/ قصر عليه تحية وسلام ... نثرت عليه جمالها الأيام [١٨/٢٢٣]
فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت ... للملك فيه سلامة وسلام
قصر سقوف المزن دون سقوفه ... فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التي ... نسج الربيع وزخرف الإرهام[3]
أدنتك من ظل النبي وصية ... وقرابة وشجت بها الأرحام
برقت سماؤك في العدو وأمطرت ... هاماً لها ظل السيوف غمام
وإذا سيوفك صافحت هام العدا ... طارت لهن عن الرؤوس الهام
أثنى على أيامك الأيام ... والشاهدان: الحل والإحرام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان: ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته، وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام

قال: فاستحسنها الرشيد، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضل بن الربيع، وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد، فقال فيه قصيدته التي أولها:

غلب الرقاد على جفون المسهد ... وغرقت في سهر وليل سرمد
قد جد بي سهر فلم أرقد له ... والنوم يلعب في جفون الرقد
ولطالما سهرت لحبي أعين ... أهدى السهاد لها ولما أسهد
أيام أرعى في رياض بطالة ... ورد الصبا منها الذي لم يورد
لهو يساعده الشباب ولم أجد ... بعد الشبيبة في الهوى من مسعد[4]

---

(١) الشول: الناقة. والأقحاف جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح. وفي ب: «خمرة الإتحاف».
(٢) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا. والذعاف: السم.
(٣) أرهمت السماء: أتت بالرهمة، وهي المطر الضعيف.
(٤) أسعده: أعانه فهو مُسعِد.

وخَفِيفَةِ الأحشاءِ غيرِ خَفِيفَةٍ مَجْدُولَةٍ جَدْلَ العِنانِ الأجْرَدِ

[١٨/٢٣٤] / غَضِبَتْ على أعْطافِها أردافُها فالحَرْبُ بين إزارِها والمِجْسَدِ(١)

خالفتُ فيه عاذلاً ليَ ناصحاً فرَشَدْتُ حين عَصَيْتُ قولَ المُرشِدِ

أأُقِيمُ مُحتَمِلاً لِضَيْمِ حَوادِثٍ مع هِمَّةٍ موصولةٍ بالفَرْقَدِ

وأرَى مخايلَ ليس يُخلِفُ نَوْؤُها للفضلِ إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ

للفضلِ أموالٌ أطافَ بها النَّدَى حتى جُهِدْن وجُودُه لم يَجْهَدِ

يابنَ الرَّبيعَ حَسَرْتُ شُكْري بالتي أوليتَني في عَوْدِ أمرِك والبَدِي(٢)

أوصَلْتَني ورَفَدْتَني وكِلاهُما شَرفٌ فقاتَ به عيُونَ الحُسَّدِ

ووصفْتَني عند الخَليفةِ غائباً وأذِنْتَ لي فشَهِدْتُ أفخرَ مَشْهَدِ(٣)

وكَفَيْتَني(٤) مِنَ الرِّجالِ بنائلٍ أغنَى يَدِي عن أن تُمَدَّ إلى يَدِ

يسأل جعفر بن يحيى ابتياع غلام جميل فيجيبه

[٤٢/١٧] أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدّثنا العَنَزيّ، قال: حدثني صخرُ بن أحمد السلميّ، / عن أبيه، قال:

كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً، فمرّ بنا غلامٌ أمردُ روميّ جميلُ الوجه، فكلّمه أشجع وسأله هل يبيعُه مالِكُه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدَحُ جَعْفَرَ بنَ يَحْيَى، وسأله ابتياعَه له فقال:

ومُضطَرِبِ الوِشاحِ لمُقلَتَيْهِ علائِقُ ما لِوَصْلَتِها انقِطاعُ

تعرَّضَ لي بنَظْرةِ ذي دَلالٍ يُرِيعُ(٥) بمُقلتيهِ ولا يُراعُ

لِحاظٌ ليس تُحجَبُ عن قُلُوبٍ وأمرٌ في الذي يهوى مُطاعُ

ووُسْعِي ضَيِّقٌ عنه ومَالِي وضِيقُ الأمرِ يَتْبَعُه اتِّساعُ

وتَعْوِيلي على مالِ ابنِ يَحْيَى إليه حَنَّ شَوْقِي والنِّزاعُ

وَثِقْتُ بجَعْفَرٍ في كلِّ خَطْبٍ فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ

[١٨/٢٣٥] / فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: اشتَرِه بها فإن لم تَكْفِك فازدَدْ.

يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارث، قال:

كانت لأشْجَع جاريةٌ يقال لها: رِيمٌ، وكان يَجِد بها وَجْداً شديداً، فكانت تَحلِف له إن بقيتْ بعده لم تَعرَّض لغيره، وكان يذكرُها في شعره، فمن ذلك قولُه في قصيدته التي يرثي بها الرشيدَ:

(١) المجسد: ثوب يلي الجسد.

(٢) في «المختار»: «. . . شكري بالذي . . . في عود أمري . . .».

(٣) ساقط من ف.

(٤) في ب، س: «وكفقتني».

(٥) ف، بيروت: «يروع».

وليس لأحزان النساء تطاولٌ ... ولكنَّ أحزانَ الرِّجال تَطولُ
فلا تَبْخَلِي بالدَّمعِ عنِّي؛ فإنّ من ... يَضِنُّ بدَمْعٍ عن هَوًى لبَخِيلُ
فلا كُنتُ ممن يُتْبِعِ الرِّيحَ طَرفَه ... دَبُوراً إذا هَبَّت له وقَبُولُ[1]
إذَا دارَ فَيءٌ أتبعَ الفَيْءَ طَرفَه ... يَمِيلُ مع الأيَّام حَيثُ تَمِيلُ

قال: وقال فيهما أيضاً:

إذا غَمَّضَتْ فَوقِي جُفونُ حَفيرَةٍ ... من الأرض فابكيني بما كُنتُ أصنَعُ
تُعَزِّكِ عَنِّي عند ذلك سَلْوَةٌ ... وأنْ ليس فِيمَن وارَت الأرضُ مَطمَعُ
إذا لم تَرَيْ شَخْصِي وتُغْنِكِ ثروتي ... ولم تَسْمَعِي مِنِّي ولا منك أسمعُ
فحِينَئِذٍ تَسْلِينَ عنِّي وإن يكن ... بُكاءٌ فأقصى ما تُبكِّين أرْبَعُ
قَليلٌ ورَبِّ البيتِ يا رِيمُ ما أرى ... فَتاةً بمَنْ وَلَّى به الموتُ تَقْنَعُ
بمن تَدْفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمَى ... عليكِ بها عامٌ من الجَدْبِ يَطْلُعُ
فحينئذٍ تَدْرِين مَنْ قد رُزِيتِه ... إذا جَعلَتْ أركانُ بيتك تُنْزَعُ

أحمد أخوه يجيبه بشعر ينسبه إلى جاريته ريم

قال: فشكته رِيم إلى أخيه أحمدَ بن عَمْرو، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها، ومدح فيه الفَضْل أيضاً فاختير شعرُه على شعر أخيه وهو:

/ ذكرتُ فِراقاً والفِراقُ[2] يُصدِّعُ ... وأيُّ حياةٍ بعد مَوْتِك تَنْفَعُ! [٢٣٦/١٨]
إذا الزَّمنُ الغَرَّار[3] فرّق بيننا ... فما ليَ في طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ
ولا كان يومٌ يابْنَ عَمْرٍو وليلةٌ ... يُبدَّدُ فيها شَمْلُنا ويُصَدَّعُ
ولا كان يومٌ فيه تَثْوِي[4] رهينةً ... فتَرْوَى بجسمي الحادِثاتُ وتَشبعُ
/ وألطمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونُه ... وأخشعُ مما لم أكُن منه أخشعُ ٤٣/١٧
ولو أنني غُيِّبْتُ في اللَّحْد لم تُبَلْ ... ولم تَزل الراؤون لي تتوجَّعُ[5]
وهل رجلٌ أبصرته متوجِّعاً ... على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ!
ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها: اذهبي ... فمِثلُكِ أُخرَى سوف أهوَى وأتبَعُ
ولو أبصَرَتْ عيناك ما بي لأبصَرَت ... صبابةَ قلبٍ[6] غيمُها ليس يُقْشَعُ
إلى الفَضلِ فارْحَلْ بالمدِيح فإنه ... مَنِيعُ الحِمَى مَعروفُه ليس يُمْنَعُ
وزُرْه تَزُرْ حِلْماً وعِلْماً وسُودَداً ... وبأساً به أنفُ الحوادث يُجدَعُ

---

(١) الدبور: ريح تهب من المغرب، وتقابل القبول، وهي ريح الصبا.
(٢) ف: «والتفرق».
(٣) ف: «الغدار».
(٤) ف: «أثوي»، تحريف.
(٥) ف: «في الترب» بدل «في اللحد»، وفي ما: «في البحر».
(٦) ف: «صبابة حزن».

وأبدعُ إذا ما قلتَ في الفَضْلِ مِدْحةً ... كما الفضل في بذل المواهب يُبْدِعُ
إذا ما حِياضُ المجدِ قلَّتْ مِياهُها ... فحوضُ أبي العَبّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ
وإن سَنةٌ ضَنَّتْ بخِصبٍ على الوَرَى ... ففي جُودِهِ مرعًى خصيبٌ ومَشْرَعُ
وما بَعُدتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نازلٌ ... ولا خابَ مَنْ في نائِلِ الفَضْلِ يَطْمَعُ
فنِعمَ المُنادَى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ[1] ... لدفعِ خُطوبٍ مِثْلُها ليس يُدفَعُ
[١٨/٢٣٧] / إليكَ أبا العَبّاسِ سارَتْ نجائِبٌ ... لها هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِع
بِذِكْرِكَ نَحدُوهَا إذا ما تأخَّرَتْ ... فتمضي على هَوْلِ المُضِيّ وتُسْرِعُ
وما لِلِسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ... ولا للمَطايا دُون بابك مَفْزَعُ
إليكَ أبا العَبّاسِ أحملُ مِدْحَةً ... مَطِيَّتُها - حتى تُوافيكَ - أشجَعُ
فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيها وإنما ... إلى مَفْزعِ الأملاكِ يُلْجا ويُفْزَعُ

قال: فأنشدَها أشجَعُ الفَضْلَ، وحدَّثه بالقِصَّة، فوصل أخاه وجاريَته ووصلَه.

وقال أحمدُ بنُ الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشْجَع: ما لك لا تمدَح المُلوكَ كما يَمدَحُهم أخُوك؟ فقال: إن أخِي بَلاءٌ عليّ وإن كان فَخْراً، لأنّي[2] لا أمدَح أحداً ممّن يُرضِيه دُون شِعْري ويُثِيب عليه بالكَثِير من الثَّواب[3] إلا قال: أينَ هذا من قَوْل أشجَع؟ فقد امتنَعْتُ من مَدْح أحد لذلك.

أحمد أخو أشجع يهجوه

قال أحمدُ بنُ الحارث: وقال أحمدُ بنُ عَمرو يَهجُو أخاه أشْجَع، وقد كان أحمدُ مدَح محمد بن جَمِيل بشعر قالَه فيه، فسأل أخاه أشْجَع إيصاله، ودَفع القصِيدةَ إليه فتوانَى عن ذلك، فقال يَهْجُوه - أخبرَني بذلك أحمدُ بنُ محمد بنِ جَمِيل -:

وسائلةٍ لِيَ: ما أشْجَعُ؟ ... فقلتُ: يضر ولا يَنفَعُ
قَريبٌ من الشَّرِّ واعٍ له ... أصَمُّ عن الخيرِ ما يَسمَعُ
بَطيءٌ عن الأمر أحظَى به ... إلى كل ما ساءني مُسرِعُ
شَرودُ الوِدادِ على قُربِه ... يُفَرِّقُ منه الذي أجمَعُ
أُسَبُّ بأنّي شَقِيقٌ له ... فأنْفِي به أبداً أجدَعُ

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع ويكافىء منشده

[١٨/٢٣٨] أخبرني جعفرُ بنُ قُدامَة، قال: حدَّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، قال:

[٤٤/١٧] دخلتُ على الفَضْل بنِ يَحْيى وقد بَلَغ الرشيدَ إطلاقُه يَحْيَى بن عبد الله / بنِ حَسن، وقد كان أمره بقتله / فلم يُظهِر له أنه بلغه إطلاقه[4]، فسأله عن خَبَره: هل قتلتَه؟ فقال: لا، فقال له: فأين هو؟ قال: أطلقتُه، قال: ولِـمَ؟

---

(١) ف: «فنعم المنادى عند كل ملمة».
(٢) ف: «على أني لا أمدح...».
(٣) ف، بيروت: «من النوال».
(٤) كذا في ف، وفي باقي الأصول: «أنه قتله».

قال: لأنه سألني بحقّ اللهِ وبحقّ رسولِه وقرابتِه منه ومنك، وحلَفَ لي أنّه لا يُحدِث حَدَثاً، وأنه يُجيبُني مَتى طلبتُه. فأطرق ساعة، ثم قال: امضِ بنَفْسِك في طَلَبه حَتى تَجِيئني به واخرُج الساعةَ، فخَرَج. قال: فدخلتُ عليه مهنّئاً بالسَّلامة فقلت له: ما رأيتُ أثبَتَ من جَنانِك ولا أصحَّ من رَأيِك فيما جَرَى. وأنت واللهِ كما قال أشجَعُ:

بـــديهَتُـــه وفكـــرتُـــه سَـــواءٌ إذا مـــا نـــابَـــه الخَطْـــبُ الكَبِيـــرُ
وأحـــزمُ مـــا يكـــونُ الـــدَّهـــرَ رأيـــاً إذا عَـــيَّ المُشـــاوِرُ والمُشِيـــرُ
وصَـــدرٌ فيـــه للهـــمّ اتّســـاعٌ إذا ضـــاقَـــت بمـــا تَحـــوِي الصُّـــدورُ

فقال الفَضْل: انظُروا كم أخَذ أشْجَع على هذه القصيدة، فاحمِلوا إلى أبي محمد مثلَه. قال: فوَجدَه قد أخذ ثَلاثين ألْفَ دِرْهَم، فحُمِلتْ إليّ.

يرثي صديقاً له من بغداد

أخبرني الحُسَيْن بنُ القاسِم الكَوْكَبِيُّ إجازة، قال: حدثني محمد بن عَجْلان، قال: حَدَّثَنا ابنُ خَلّاد، عن حُسَيْن الجُعْفيّ، قال:

كان أشجَعُ إذا قدم بَغْداد ينزل على صَديقٍ له من أهلِها، فَقدِمها مَرَّةً فوَجده قد مات، والنوحُ والبُكاء في دَاره، فَجَزع لذلك وبَكى، وأنشأ يَقُول:

وَيْحَهـــا هـــل دَرَتْ علـــى مَـــنْ تَنُـــوحُ أسَقِيـــمٌ فُـــؤادُهـــا أم صَحِيـــحُ!
قَمَـــرٌ أطبَقُـــوا عليـــه ببغـــدا دَ ضـــريحـــاً، مـــاذا أجَـــنَّ الضَّـــرِيـــحُ!
رحِـــمَ اللهُ صـــاحِبـــي ونَـــديمِـــي رحمـــةً تَغْتَـــدي وأُخـــرى تـــرُوحُ

وهذه القَصيدة التي فيها الأبيات المَذْكُورة والغِناء فيها، من قَصِيدة يمدَح بها أشجَعُ الرَّشيدَ ويُهَنِّئه بفَتْح هِرَقْلَة، وقد مَدَحه بذلك وهَنّأه جماعةٌ من الشُّعراء وغُنّيَ في جَمِيعها، فذكرتُ خبرَ فَتْح هِرَقْلَة لذكر ذلك.

[٢٣٩/١٨] / **سبب غزاة الرشيد هرقلة**

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفَش، قال: حدَّثَنا محمد بنُ يَزِيد، قال:

كان من خَبر غَزاة الرَّشيد هِرَقْلَة أن الرُّومَ كانت قد مَلَّكَت امرأةً، لِأنه لم يَكُن بَقِيَ في أهل زَمانها من أَهْل بيتها[1] ـ بَيتِ المملكة ـ غَيرُها، وكانت تكتُب إلى المَهْديّ والهادِي والرَّشيد أوَّلَ خِلافَتِه بالتَّعظِيم والتَّبْجيل، وتدِرّ عليه الهدايا، حتى بَلَغ ابنٌ لها فحاز المُلكَ دُونها، وعاث وأفسد، وفاسدَ الرَّشيدَ، فخافت على مُلْك الرّوم أن يَذْهَب، وعلى بِلادِهم أن تعطَب؛ لِعلمها بالرَّشيد وخوفها من سَطْوته، فاحتالت لابْنِها فَسَمَلَتْ عَيْنَيْه[2] ، فبَطَل منه المُلك وعاد إليها، فاستنْكَر ذلك أهلُ المَمْلَكة وأبغَضوها من أجْله، فخرج عليها نِقْفور وكان كاتِبَها، فأعانوه وعَضَدُوه، وقام بأمْر المُلْك وضَبْط أمْر الرُّوم، فلمّا قَوِيَ على أمره وتَمَكَّن من مُلْكه كَتَب إلى الرَّشيد:

كتاب نقفور إلى الرشيد

« من نَقْفُور مَلِك الرُّوم إلى الرَّشيد مَلِك العرب، أما بعد؛ فإنّ هذه المرأة كانت وَضَعَتْك وأباكَ وأخاكَ مَوْضِع

---

(١) ف: «. . . بقي في زمانها من أهل بيتها. . . الخ».
(٢) سملت عينيه: فقأتهما بحديدة محماة.

المُلوكِ، ووضَعَت نَفْسَها موضِعَ السُّوقَة، وإني واضِعُك بغير ذلك المَوْضِع، وعامل على تَطَرُّق[١] بِلادِك والهجوم على أمصارِك، أو تُؤدِّي إليَّ ما كانت المَرْأة تُؤدِّي إليك، والسَّلام».

رد الرشيد عليه

فلَمَّا وَرَد كِتابُهُ على الرَّشيد كتَب إليه:

٤٥/١٧ «بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عَبْدِ الله هارونَ أميرِ المُؤمنين إلى نَقْفور كَلْبِ الرُّوم، / أما بَعد، فقد فهمت كِتابَك، وجَوابُك عندي ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُه». ثم شَخَص من شهره ذلِك يَؤُمُّ بِلادَ الرُّوم في جَمْع لم يُسمَع بمثله، وقُوَّاد لا يُجارَوْن نجدَةً ورأياً، فلما بَلَغَ ذلك نقْفور ضاقت عليه الأرض بما رَحُبَتْ، وشاوَر في أمره.

[١٨/٢٤٠] / أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور ويمدح الرشيد

وجَدَّ الرَّشيد يتوغَّل في بلاد الروم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِي، ويُخرِّب الحُصونَ ويُعَفِّي الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضايِقَة دون قُسْطَنْطِينيَّة، فلما بَلَغها وَجدَها وقد أمر نقفور بالشَّجَر فقُطع ورُمِي به في تِلك الطُّرُق، وأُلقِيت فيه النَّار، فكان أوَّلَ مَنْ لَبِس ثِياب النَّفَّاطين محمدُ بنُ يَزيد بنِ مَزْيد، فخاضها، ثم اتَّبَعَه الناس، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشَدَّ الخُضُوع، وأدَّى إليه الجِزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبُو العَتاهِية:

إمامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّين مَعْنِيّاً ... وأصبحتَ تَسقِي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيّا

لك اسمانِ شُقّا من رَشادٍ ومن هُدًى ... فأنت الذي تُدعَى رَشيداً ومَهْدِيّا

إذا ما سَخِطْتَ الشيءَ كان مُسَخَّطاً ... وإن تَرضَ شيئاً كان في النَّاس مَرْضِيّا

بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقِيّاً وأوسَعْتَ غَرْبِيّا

ووشَّيْتَ وَجْهَ الأرضِ بالجُود والنَّدى ... فأصبَح وَجهُ الأرض بالجُودِ مَوْشِيّا

وأنتَ ـ أميرَ المؤمنين ـ فتَى التقَى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيّا

قَضَى اللهُ أن يَبْقَى لِهارون مُلْكهُ ... وكان قَضاءُ الله في الخَلْق مَقْضِيّا

تجلَّلَت الدُّنيا لِهارُون ذِي الرِّضا[٢] ... وأصبح نَقْفورٌ لهارون ذِمِّيّا

شاعر من أهل جُدَّة يعلم الرشيد بغدر نقفور

فرجع الرشيد ـ لَمَّا أعطاه نَقْفور ما أعطاه ـ إلى الرَّقَّة، فلما سَقَط الثَّلجُ وأمِن نَقْفُور أن يُغزَى اغترَّ بالمُهْلة، ونَقَض ما بَيْنَه وبين الرشيد، ورَجَع إلى حالتِه الأولى، فلم يَجْتَرِىء يَحْيى بنُ خالِد ـ فَضْلاً عن غَيره ـ على إخبار الرَّشيد بغَدر نقفور، فبَذَل هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعَراء على أن يَقُولُوا أشعاراً في إعلام الرَّشيد بذلك، فكُلُّهم كَعَّ[٣] [١٨/٢٤١] وأشفَق إلا شاعراً من أهل جُدَّة كان يُكنَى أبا محمد، / وكان مُجيداً قَوِيَّ النَّفْس قَوِيَّ الشِّعر، وكان ذو اليَمِينَيْن اختصَّه في أيَّام المَأمون ورفَع قَدرَه جِدّاً، فإنَّه أخذَ من يَحْيَى وبَنِيه مائةَ ألفِ دِرْهم، ودخل على الرَّشِيد فأنْشَدَه:

---

(١) وعامل على تطرق بلادك، أي على السير إليها.

(٢) في «التجريد»: «تحليت للدنيا وللدين بالرضا».

(٣) كع: جبن.

نَقَضَ الذي أعطاكه[1] نَقْفُورُ | فعليه دائرةُ البَوار تدورُ
أبشِرْ أميرَ المؤمنين فإنّه | فتحٌ أتاك به الإلهُ كبيرُ
فلقد تباشرتِ الرعيّةُ أن أتى | بالنَّقْض[2] عنه وافدٌ وبَشيرُ
ورجتْ بيُمْنِك[3] أن تُعجِّلَ غزوةً | تشفي النفوسَ نكالُها مذكورُ
أعطاكَ جِزْيَتَه وطأطأ خدَّه | حذَرَ الصوارمِ والرَّدَى محذورُ
فأجَرْتَه من وَقْعِها وكأنّها | بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرام تطيرُ
وصرفت في[4] طُولِ العساكر قافلاً | عنه وجارُك آمِنٌ مسرورُ
نقفورُ إنّك حين تغدِرُ أن نأى | عنك الإمامُ لجاهلٌ مغرورُ
أظننتَ حين غدرتَ أنك مُفلِتٌ | هَبِلَتْك أُمُّك ما ظننتَ غُرورُ
/ ألقاكَ حَيْنُك في زواخِرِ بَحْرِه | فطَمَتْ عليك من الإمامِ بُحورُ
إنّ الإمامَ على اقتسارك قادرٌ | قَرُبَتْ ديارُك أو نأتْ بك دُورُ
ليس الإمامُ وإن غَفِلْنا غافلاً | عمّا يَسُوس بحزمِه ويُديرُ
مَلِكٌ تجرَّدَ للجهادِ بنفسِه | فعدوُّه أبداً به مقهورُ
يا مَن يُريدُ رضا الإله بسَعْيِه | والله لا يخفى عليه ضميرُ
لا نُصحَ ينفعُ مَن يغُشُّ إمامَه | والنُّصحُ من نُصحائِه مشكورُ
/ نُصحُ الإمامِ على الأنامِ فريضةٌ | ولأهلِه كفّارةٌ وطَهُورُ

٤٦/١٧ ‏[١٨/٢٤٢]

فتح هرقلة

قال: فلما أنشده، قال الرّشيد: أو قد فَعَل! وعلم أن الوُزراء احتالُوا في إعلامه ذلك فغزاه في بقيّة من الثلج، فافتتح هِرَقْلَة في ذلك الوقت، فقال أبو العَتَاهِيَة في فَتْحه إياها:

ألا نادَتْ هِرَقْلَةُ بالخرابِ | من الملِك المُوَفَّقِ للصَّوابِ[5]
غَدَا هارونُ يُرعِدُ بالمَنايا | ويُبرِق بالمُذَكَّرةِ القِضابِ[6]
وراياتٍ يَحُلُّ النَّصرُ فيها | تمرُّ كأنّها قِطَعُ السَّحابِ
أميرَ المؤمنين ظَفِرتَ فاسْلَمْ | وأبشِر بالغَنيمةِ والإيابِ

قال محمد[7]: وجَعلَ الرشيدُ قبل وصوله إلى هِرَقْلَة يفتَح المدنَ والحصونَ ويخرِّبها، حتى أناخَ على هِرَقْلَة وهي أوثق حِصْنٍ وأعزّه جانباً وأمنَعِه رُكْناً، فتحصَّن أهلُها، وكان بابُها يطل على وَادٍ، ولها خَنْدَق يطيف بها،

(١) ف: «أعطيته».
(٢) ب: «بالنقد».
(٣) ب، «التجريد»: «ورجت يمينك».
(٤) ف: «من طول».
(٥) في «التجريد»: «الموثق بالصواب».
(٦) المذكرة القضاب: الداهية الشديدة القاطعة.
(٧) ف: «قال محمد بن يزيد».

فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة ومُلازمي الثُّغور يقال له عليّ بن عبد الله، قال: حدَّثني جماعة أنَّ الرَّشيد لما حَصَر أهلَ هِرَقْلَة وغمهم وألحَّ بالمَجانِيق والسهام والعَرَّادات[1] فتح الباب [2] فاستشرف المسلمون لذلك[2] فإذا برجل من أهلها كأكمل [3] الرِّجال قد خرج في أكمل السلاح، فنادى: قد طالَت مُوَاقعَتُكم إيانا فليَبْرُز إليّ منكم رجلان، ثم لم يَزل يَزيد حتى بَلغ عِشرين رجلاً، فلم يُجبه أحد، فدخل وأغلق بابَ الحِصن وكان الرَّشيد نائماً فلم يعلم بخبره، إلا بعد انصرافه، فغضب ولام خَدمَه وغِلمانه على تركهم إنْباهَه، وتأسف لفَوْته، فقيل له: إنّ امتناعَ [١٨/٢٤٣] الناس منه سيُغْوِيه ويُطْغِيه، وأحْرِ به أن يخرُج في غَدٍ فيطلُب مثلَ / ما طلب، فطالت على الرَّشيد ليلَتُه وأصبح كالمُنْتَظِرِ له، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتح وخَرج طالِباً للمُبارَزة، وذلك في يوم شديد الحرّ، وجعل يدعو بأنه يَثْبُت لعشرين منهم، فقال الرَّشيد: مَنْ له؟ فابتَدره جِلَّة القُوَّاد كهَرْثَمة، ويَزيدَ بن مَزْيد، وعبدِ الله بن مالك، وخُزَيْمةَ بن حازم، وأخيه عبد الله، ودَاود بنِ يَزيد، وأخِيه، فعزَم على إخراج بعضهم، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجَهم، فأذن لعشرين منهم، فاستأذنوه في المَشُورة فأذِن لهم، فقال قائلهم: يا أميرَ المؤمنين، قُوَّادُك مشهُورُون بالبأس والنَّجدة وعُلُوِّ الصوت ومُدَاوَسَة[4] الحُرُوب، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج[5] لم يكبُر ذلك، وإن قتله العِلْج كانت وَضِيعة[6] على العسكر عَجِيبة وثُلمَة لا تُسَدّ، ونحن عامَّة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يَصْلُح [٤٧/١٧] للعامَّة، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُخلِّيَنا نختارُ رجلاً فنخرجه إليه، فإن ظَفِرَ عَلِم أهلُ الحِصْن / أنَّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزّهم على يَد رجل من العامَّة، ومن أفناءِ الناس ليس ممن يُوهِن قتلُه ولا يُؤثِّر، وإن قُتِل الرَّجل فإنما استُشْهِد رجلٌ ولم يُؤَثِّر ذهابه في العَسْكر ولم يُثْلِمه، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضي الله ما شاء[7]، قال الرَّشيد: قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا. فاختاروا رجلاً منهم يُعرَف بابن الجزريّ، وكان معروفاً في الثَّغر بالبأس والنجدة، فقال الرشيد: أتخرج؟ قال: نعم، وأستَعِين الله، فقال: أعطُوه فَرَساً ورُمحاً وسيفاً وتُرْساً، فقال: يا أمير المؤمنين! أنا بفَرَسي أوثَق، ورُمْحِي بيدي أشدّ[8]، ولكني قد قَبِلت السيفَ والتُّرس، فلبِس سلاحه واستَأذناه الرَّشيد فودَّعه، واستَتْبَعَه[9] الدُّعاء، وخرج معه عشرون رجلاً من المُطَّوِّعة، فلما انقَضّ في الوادِي قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً: إنما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتُم رجلاً، ولكن لا بأس، فنادَوْه: ليس يخرُج إليك منا إلا رجلٌ [١٨/٢٤٤] واحد، فلما فُصَل / منهم ابن الجزريّ تأمَّله الرُّوميُّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمَّلُون صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظنُّوا أنه لم يَبْق في الحِصن أحدٌ إلا أشرف، فقال الرُّوميّ: أتصدُقُني، عما أستَخْبِرُك[10]؟ قال: نعم، فقال: أنتَ بالله ابنُ الجزري؟ قال: اللهم نعم، فكفَّر له[11]، ثم أخَذَ في شأنهما فاطَّعنا حتى طال الأمرُ بينهما، وكاد

(١) العرادات: جمع عرادة، وهي آلة من آلات الحرب؛ منجنيق صغير.

(٢ ـ ٢) زيادة من ف.

(٣) ف: «كأجمل الرجال».

(٤) مداوسة الحروب: المران عليها وتذليلها. وفي ف: «مدارسة».

(٥) العلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٦) الوضيعة: الحطيطة. وفي ف: «كانت وصمة على العسكر قبيحة».

(٧) ب: «يمضي إليه ما شاء».

(٨) ف: «أسد».

(٩) ف: «وأتبعه».

(١٠) في مد: «فيما أستخبرك». وفي ب: «عم استخبوك».

(١١) كفر له: انحنى ووضع يده على صدره وطأطأ رأسه كالركوع تعظيماً له.

الفَرَسانِ أن يقوما[1] وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه، ثم تحاجزا[2] بشيء، فزَجَّ كلُّ واحد منهما برمحه، وأَصْلَتَ سيفه، فتجالدا مَلِيًّا، واشتدَّ الحرّ عليهما، وتبلَّد الفَرَسان، وجَعل ابن الجزريّ يَضْرِب الرُّوميّ الضربة التي يَرى أنه قد بَلَغ فيها فيَتقيها الروميُّ، وكان تُرسُه حديداً؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر، ويضربه الرُّوميّ ضرب مُعَذِّر؛ لأن تُرْس ابن الجزريّ كان دَرَقَةً، فكان العِلْج يخاف أن يعَضّ بالسَّيْف فيعطب، فلما يَئِس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزَمَ ابنُ الجَزريّ؛ فدخلت المسلمين كآبَةٌ لم لم يَكْتَئِبُوا مثلها قطّ، وعَطْعَطَ[3] المشركون اختِيالاً وتَطاوُلاً، وإنما كانت هزيمتُه حيلةً منه؛ فأتبعه العِلْج، وتمكّن منه ابن الجزريّ فَرَماه بوَهَق[4] فوقع في عُنقه وما أخطأه، وركَضَ فاستلَّه عن فرسه، ثم عَطف عليه فما وصل إلى الأرض حَيّاً حتى فارقه رأسُه، فكبَّر المسلمون أعلى تكْبير، وانخذل المشرِكون وبادروا الباب يُغلِقونه، واتصل الخبر بالرَّشيد فصاحب القُوّاد: اجعلوا النار في المَجانِيق وارموها فليس عند القوم دَفْع، ففعلوا وجعلوا الكَتّان والنَّفط على الحجارة وأضرَموا فيها النار ورَمَوْا بها السور، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة، وقد تصدَّع فتهافتت، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأمِنين ومُسْتَقْبِلِين، فقال الشاعر المَكّيُّ الذي كان ينزل جُدّة:

[٢٤٥/١٨]

صوت

هَــوَتْ هِــرَقْلَــةُ لَمَّــا أن رأتْ عَجَبــاً ... جَــوائمــاً[5] تَــرتَمِــي بــالنَّفْــطِ والنَّــارِ
كــأنَّ نِيــرَانَنَــا فــي جَنْــب قَلْعَتِهِــم ... مُصَبَّغَــاتٌ علــى أَرْســانِ قَصَّــارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر.

قال محمد بن يزيد: وهذا كلام ضعيف لين، ولكنّ قدرَه عظيم في ذلك الموضع والوقت، وغنَّى فيه المُغَنّون بعد ذلك./ وأعظم الرَّشيدُ الجائزة للجُدّيّ الشاعر، وصُبّت الأموالُ على ابن الجزريّ وقُوِّد، فلم يقبل التَّقْويد إلا بغير رِزْق ولا عِوَض، وسأل أن يُعفَى ويُنْزَل بمكانه من الثَّغر، فلم يزل به طول عمره. $\frac{48}{17}$

ابن جامع يغني الرشيد بهرقلة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد اللهبن أبي سعد، قال: حدّثنا أحمدُ بن عليّ بن أبي نَعِيم المَرْوَزِيّ قال:

خرج الرَّشيد غَازِياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقلةَ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه:

هــوت هَــرَقْلَــةُ لَمَّــا أنْ رأت عَجَبــاً ... جــوائِمــاً تــرتَمِــي بــالنَّفْــط والنَّــارِ

فنظَر الرشيد إلى ماشية قد جِيء بها، فظنَّ أن الطاغية قد أتاه، فخرج يركضُ على فرس له وفي يده الرُّمح، وتَبِعه الناس، فلما تبيَّن له أنها ماشية رَجَعوا، فغنّاه ابنُ جامع:

(١) ف: «وكاد الفرسان يقومان».
(٢) ف: «ثم تحاوروا بشيء».
(٣) المطعطة: تتابع الأصوات واختلاطها.
(٤) الوهق: الحبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة والإنسان.
(٥) في «التجريد»: «جوائماً».

صوت

رأى فـي السَّمـا رَهْجـاً[1] فيَمَّـم نحـوَه ... يجُـرُّ رُدَيْنِيّـاً وللـرَّهْـجِ يَسْتَفْـرِي
تنـاولـتَ أطـرافَ البـلادِ بقُـدرَةٍ ... كـأنَّـك فيهـا تَقْتَفِـي أَثَـر الخِضْـرِ

[٢٤٦/١٨] / الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بَذْل وابن المَكّيّ.

أشجع يهنىء الرشيد بفتح هرقلة

أخبرني هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ، قال: حدثني الفَضْلُ بنُ محمد اليَزيديُّ، عن إسحاق المَوْصِليّ، قال:

لما انصرفَ الرشيدُ من غَزاةِ هِرَقْلَة قدم الرَّقَّة في آخر شهر رمضان، فلما عيَّد جلس للشعراء، فدخلوا عليه وفيهم أَشْجَع، فبَدرهم وأنشأ يقول:

لا زلـتَ تَنشـرُ أعيـاداً وتَطْـويهـا ... تَمْضِـي بِهـا لـكَ أيـام وتَثْنِيهـا
مُستقبِـلاً زينـةَ الـدُّنيـا وبَهْجَتَهـا ... أيـامنـا لـك لا تَفْنَـى وتُفْنِيهـا[2]
ولا تَقضَّـت بـك الـدُّنيـا ولا بَـرِحَـت ... يَطـوِي لـك الـدَّهـرُ أيـامـاً وتَطـوِيهـا
ولْيَهْنِـكَ الفتـحُ والأيّـام مُقبِلَـةٌ ... إليـك بـالنصـر مَعْقـوداً نـواصِيهـا[3]
أمسَـتْ هِـرَقْلَـةُ تَهْـوِي[4] مـن جوانبِهـا ... ونـاصـرُ اللهِ والإسـلامِ يَـرْمِيهـا
مَلَكْتَهـا وقَتلـتَ النَّـاكِثِيـن بهـا ... بنَصْـرِ مَـنْ يملِـكُ الـدُّنيـا ومـا فيهـا
مـا رُوعِـيَ الـدِّيـنُ والـدُّنيـا علـى قَـدَم ... بمِثْـل هـارُون رَاعِيـهِ وراعِيهـا

قال: فأمر له بألف دينار، وقال: لا يُنشدني أحدٌ بعده، فقال أشجع: واللهِ لَأمرُه بألاّ يُنشدَه أحدٌ بعدي أحبُّ إليّ من صِلته.

حدثني أحمدُ بنُ وصيف، ومحمدُ بن يَحْيَى الصُّوليّ، قالا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدَّثني عبدُ الله بن عمرو الوراق، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ محمَدِ بن مَنْصُور بنِ زِياد، عن أبيه، قال:

[٢٤٧/١٨] / دخل أشْجَعُ على الرَّشيد ثاني يوم الفِطر فأنْشدَه:

صوت

استقْبِـل العيـدَ بعُمْـرٍ جَـدِيـد ... مَـدَّت لـك الأيَّـامُ حبْـلَ الخلُـود

(١) الرهج: الغبار أو ما أثير منه.
(٢) جاء في ف بيتان مكان هذا البيت وهما:
مستقبـلاً بهجـة وزينتهـا ... أيـامهـا لـك نظـم فـي لياليهـا
العيـد والعيـد والأيـام بينهمـا ... موصـولـة لـك لا تفنـى وتفنيهـا
والبيتان أيضاً في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٤ مع خلاف في بعض الألفاظ.
(٣) في «الشعر والشعراء» ٢/ ٨٨٤: «وليهنك النصر... إليك بالفتح...».
(٤) «التجريد»: «ترمي من جوانبها».

مُصَعَّـــداً فـــي دَرَجـــات العُـــلاَ نجْمُـــك مَقـــرونٌ بِسَعْـــد السُّعـــود
واطْـــوِ رداءَ الشَّمـــس مـــا أطلعَـــتْ نُـــوراً جـــدِيـــداً كـــلَّ يـــوم جَـــدِيـــد
تَمضِـــي لـــك الأيـــامُ ذا غِبْطـــة إذا أتَـــى عِيـــدٌ طـــوَى عُمـــرَ عِيـــد

/ فوصله بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يُغَنَّى في هذه الأبيات. ٤٩/١٧

يصف فتح طبرستان ويمدح الرشيد

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ، قال: حدثنا محمد بنُ موسى بن حَمَّاد، قال: حدثني أبو عبدِ الله النَّخَعيّ، قال:

دخَل أشجَعُ على الرشيد فأنشده قوله:

أبَـــتْ طَبَـــرِسْتَـــانُ غيـــرَ الـــذِي صَـــدَعْـــتَ بـــه بيـــن أعضـــائِهـــا
ضَمَمْـــتَ مَنـــاكِبَهـــا ضَمَّـــةً رَمتْـــك بمـــا بيـــن أحشـــائِهـــا
سَمَـــوْتَ إليهـــا بمثْـــلِ السَّمـــاء تَـــدَلَّـــى الصَّـــواعِـــقُ فـــي مـــائِهـــا
فلمَّـــا نظـــرتَ إلـــى جُـــرحِهـــا وضَعْـــتَ الـــدَّواءَ علـــى دَائِهـــا
فـــرَشْـــت الجهـــادَ ظُهـــورَ الجيـــاد[1] بـــأبنـــائـــه وبـــأبنـــائِهـــا
بنَفْسِـــك تَـــرميهـــمُ والخُيـــول كَـــرَمْـــي العُقـــابِ بـــأفْـــلائِهـــا[2]
نظـــرتَ بـــرأيـــك لَمَّـــا هممـــ ـــتَ دُونَ الـــرِّجـــال وآرائِهـــا

قال: فأمر له بألف دينار.

/ **يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج وقد مطر الناس** [٢٤٨/١٨]

أخبرني محمد بنُ جعفر، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ مُوسَى، قال: حدثني أبو عَمْرو الباهِليُّ البصريُّ قال:

دخل أشجَعُ بنُ عَمْرو السُّلَمِيّ على هارون الرَّشيد حين قدم من الحَجّ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه، فأنشَده يقول:

إنَّ يُمْـــنَ الإمـــام لَمَّـــا أتـــانـــا جَلَـــب الغَيْـــثَ مـــن مُتـــونِ الغِمـــامِ
فـــابْتِســـامُ النَّبـــاتِ فـــي أثـــر الغَيْـــ ـــثِ بنُـــوّاره كسُـــرج[3] الظَّـــلامِ
مَلِـــكٌ مـــن مَخـــافـــة الله مُغْـــضٍ وهـــو مُغضًـــى لـــه مـــن الإعظـــام
ألِـــف الحَـــجَّ والجِهـــادَ فمـــا يَنْـــ ـفَـــكُّ مـــن سَفْـــرتَيْـــن فـــي كُـــلّ عـــام
سَفَـــرٍ للجهـــاد نحـــو عَـــدُوٍّ والمَطـــايـــا لسَفْـــرَةِ الإحـــرام
طَلَـــب اللهَ فهـــو يَسْعـــى إليـــه بـــالمَطـــايـــا وبـــالجِيـــاد السَّـــوامِـــي
فيَـــداهُ يَـــدٌ بمكَّـــة تـــدْعـــو ه وأخـــرى فـــي دَعْـــوةِ[4] الإســـلام

---

(١) في الأساس: فرشته أمري: بسطته له كله.

(٢) الفلاة: الصحراء الواسعة، وجمعها فَلًى، وجمع الجمع أفلاء. وفي ف: «بأفنائها» بدل «بأفلائها».

(٣) السرج: جمع سراج: المصباح.

(٤) في ف، بيروت: «غزوة».

يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن موسى بن حَمَّاد، قال: أخبرني أبو عبد الله النَّخَعِيّ، قال: أمر الرَّشيدُ بحفر نهر لبعض أهلِ السَّوادِ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه، فقال أشجَع السُّلَمِيّ يمدحه:

أجـرَى الإمـامُ الـرَّشيـدُ نَهْـراً … عـاش بعُمـرانِـه المَـوات
جـاد عليـه بـريـقِ فيـه … وسـرّ مكْنُـونُـه الفُـراتُ
ألْقَمَـه دِرَّة لَقُـوحـاً … يَـرْضَـع أخـلافَهـا النَّبـاتُ[1]

حلم الرشيد حلماً مزعجاً ومات بعده فرثاه أشجع

أخبرني جَحْظة، قال: حدَّثني مَيْمُون بن هارون، قال:

[١٨/٢٤٩] / رأى الرَّشِيدُ فيما يَرَى النَّائِم كأنَّ امرأة وقَفت عليه وأخذَت كَفَّ تُراب ثم قالت له: هذه تُرْبتُك عن قليل، فأصبَح فَزِعاً، وقَصّ رُؤياه، فقال له أصحابه: وما هذا؟ قد يَرَى النَّاس أكثَرَ مِمَّا رأيتَ وأغْلَظ ثم لا يضرّ. فركب وقال: والله إنِّي لأرَى الأمرَ قد قَرُب، فَبيْنا هو يَسِير إذ نظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبَّاك حَدِيد تَنْظر إليه، فقال: هذه واللهِ المَرْأَة التي رَأيتُها، ولو رأيتها بين ألْف امرأة[2] ما خَفِيتْ عليّ، / ثم أمرها أن تأخُذَ كَفَّ تُراب فَتدفَعُه إليه، فضربَتْ بِيَدِها إلى الأرض التي كانت عليها فأعْطَتْه منها كَفَّ تُراب، فبَكَى ثمّ قال: هذه وَاللهِ التُّربةُ التي أُرِيتُها، وهذه المَرْأةُ بعَيْنِها. ثم مات بعد مُدَّة، فدُفِن في ذلك المَوْضِع بعَيْنِه، اشتُرِيَ له ودُفِن فيه، وأُتَى نعيُه بغداد، فقال أشجَعُ يرْثِيه:

غَـرَبَـت بـالمَشْـرِق الـشَّـمـسُ فقُـل للعيـن تَـدْمَـعْ
مـا رأيْنـا قَـطُّ شمسـاً … غَـرَبَـت مـن حَيْـث تَطْلُـعْ

يتغزل في جارية حرب الثقفي ويذمه

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثنا محمد بنُ مُوسَى، قال: حدَّثنا عَبدُ الله بنُ أبِي سعْد، قال: حدثني محمد بنُ عبدِ الله بن مالك، قال:

كان حرب بن عَمْرو الثَّقفِيُّ نَخَّاساً، وكانت له جارية مُغَنِّيه، وكان الشعراءُ والكُتَّاب وأهلُ الأدَب بِبَغْداد يَخْتَلِفُون إليها يسمعونها، ويُنْفِقُون في منزله النَّفقات الواسِعةَ، ويَبَرُّونه ويُهْدُون إليه، فقال أشْجَع:

جـاريـةٌ تهتَـزُّ أردافُهـا … مُشْبَعَـةُ الخَلْخـال والقُلْـبِ[3]
أشكُـو الـذي لاقَيـتُ مـن حُبِّهـا … وبُغْـضِ مَـوْلاهـا إلـى الـرَّبّ
مـن بُغْـض مـولاهـا ومـن حُبِّهـا … سَقِمْـتُ بيـن البُغْـض والحُـبّ
[١٨/٢٥٠] / فـاخْتَلَجـا في الصـدر حتى استَوى … أمـرُهمـا فـاقْتَسَمـا قَلْبِـي
تَعَجَّـل اللهُ شِفـائـي بهـا … وعَجَّـل السُّقْـم إلـى حَـرْبِ

(١) في ب، مد: «أخلافه». والدِّرَّة: اللَّبَن أو كثرته، والأخلاف جمع خلف: حلمة ضرع الناقة.
(٢) في ب، مد، ما: «ولو رأيتها ألف مرة ما خفيت»!.
(٣) القلب: سوار المرأة.

(١) قال مُؤلف هذا الكتاب: فأخَذَ هذا المَعْنى بَعضُ المُحْدَثِين من أهْل عَصْرنا، فقال في مُغَنِّية تُعرَف بالشّاة:

بِحُبّ الشّاةِ ذُبْتُ ضَنًى ... وطال لزوجها مَقْتِي
فلو أنّي مَلَكْتُهُما ... لأُسْعِدَ في الهَوَى بَخْتِي
فأُدخِل في استها أيْرِي ... ولِحْيَةَ زَوْجِها في اسْتِي(١)

يهنىء يحيى بن خالد بسلامته من المرض

أخبرني أبو الحَسَن الأسديّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: اعتلّ يَحْيَى بنُ خَالدٍ ثم عُوفِيَ، فدخل النّاسُ يهنّئونه بالسّلامة، ودخل أشجَع فأنْشدَه:

لقد قَرعتْ شَكاةُ أبي عَليٍّ ... قُلوبَ مَعاشِرٍ كانوا صحاحا(٢)
فإن يَدْفَع لنا الرّحمنُ عنه ... صُروفَ الدّهْر والأجلَ المُتاحَا
فقد أمسى صَلاحُ أبي عَليٍّ ... لأهلِ الدِّين والدّنيا صَلاحَا(٣)
إذا ما المَوْتُ أخطأه فلَسنا ... نُبالي الموتَ حيث غَدَا وَراحَا

قال: فما أذِن يومئذ لأحد سواه في الإنشاء لاختصاص البَرامكة إيّاه.

يعود علي بن شبرمة في مرضه

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القَاسِم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثنا محمد بن عمران(٤) الضَّبّيّ، قال: سمعتُ محمدَ بنَ أبي مالك الغَنَوِيّ، يقول:

/ دخَل أشجَعُ السُّلَمِيّ على عليّ بن شُبْرُمَة يَعودُه، فأنشأ يقول: [١٨/ ٢٥١]

إذا مَرِض القاضي مَرِضْنا بأسرنا ... وإن صحّ لم يُسمَع لنا بِمَريضِ
/ فأصبحتُ - لمّا اعتلّ يوماً - كَطائرٍ ... سَما بجَناحٍ للنهوض مَهِيضِ ٥١/١٧

قال: فشكره ابنُ شُبْرُمَة وحَمَله على بغلة كانت له.

منعه حاجب أبان بن الوليد من الدخول عليه فهجاه

أخبرني الحَسَنُ، قال: حدَّثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدَّثني محمد بنُ عِمْران، قال: سَمِعت محمد بنَ أبِي مالِك يقول:

جاء أشجَعُ ليَدْخُل على أبان بنِ الوليد البَجَلِيّ، فمنعه حاجِبُه، وانتهره غِلمانُه، فقال فيه:

ألا أيُّها المُشْلِي(٥) عليّ كِلابَه ... وَلِي - غير أنْ لم أشْلِهِنّ - كِلابُ
رُويدَك لا تَعْجَلْ عليّ فقد جرى ... بِخِزيك(٦) ظَبيٌ أعضَبٌ وغُرابُ

(١ - ١) ساقط من ف.
(٢) في «الشعر والشعراء»: «. . . كانت صحاحاً».
(٣) في «الشعر والشعراء»: «لأهل الأرض كلهم صلاحاً».
(٤) ب: «عبدان».
(٥) المشلي: المغري.
(٦) ب، مد: «بجريك»، وظبي أعضب: انكسر قرنه.

عَـلامَ تَسُـدّ البـابَ والسِّـرُّ قـد فَشَـا وقـد كنـتَ مَحْجُـوبـاً ومـالـك بـابُ
فلـو كُنـتُ مِمَّـن يَشْـرَب الخمـرَ سـادِراً إذاً لـم يَكُـن دُونـي عليـك حِجـابُ
ولكنَّـه يَمْضِـي لـيَ الحـول كـامِـلاً ومـالِـيَ إلاّ الأبيَضَيْـن[1] شَـرابُ
مـن المـاء أو مـن شَخْـبِ دَهْمـاء ثَـرّةٍ[2] لهـا حـالـبٌ لا يَشْتكِـي وحِـلابُ

مر بقبري الوليد بن عقبة وأبي زبيد الطائي فقال شعراً

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جَحظةُ، قال: حَدَّثني مَيْمُونُ بنُ هارون، قال: حدَّثنا عليُّ بن الجَهْم، قال: حدثني ابنُ أشجع السُّلميّ، قال:

لما مَرَّ أبي وعَمّاي أحمدُ ويَزيدُ - وقد شَرِبوا حتى انْتَشَوْا - بِقبْرِ الوَلِيد بنِ عُقْبَة وإلى جانبِه قَبْر أبي زَبيد الطّائيّ - وكان نَصْرَانياً - والقَبْران مُخْتَلِفان كلُّ واحِدٍ منهما مُتَوَجِّه إلى قِبْلَة مِلَّتِه، وكان أبو زَبِيد أوصَى لمّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جنب / الوَلِيد بالبَلِيخ قال: فوقَفُوا على القَبرين، وجَعَلوا يَتحَدَّثُون بأخبارِهما ويَتَذاكرون أحادِيثَهما، فأنشأ أبي يقول: [252/18]

مَـررتُ علـى عِظـامِ أبـي زَبيـدِ وقـد لاحَـت بِبَلْقعَـةٍ صَلُـودِ
وكـان لـه الـوَلِيـدُ نـديـمَ صِـدْقٍ فنـادم قَبـرُه قَبْـرَ الـوَلِيـدِ
أَنِيسـا أُلفَـةٍ ذَهَبَـت فـأمْسَـتْ عظـامُهُمـا تـآنَـس[3] بـالصَّعِيـدِ
ومـا أدْري بمَـنْ تبـدا المَنـايـا بـأحْمَـد أو بـأشْجَـع أو يَـزِيـدِ

قال: فماتُوا والله كما رَتَّبَهُم في الشِّعر، أولُهم أحمد، ثم أشجَع، ثم يَزيد.

[253/18]

/ صوت

حَـيِّ ذا الـزَّوْرَ وانْهَـه أن يَعـودَا إنَّ بـالبـاب حـارِسيـنَ قعُـودَا
مـن أسـاوِيـرَ مـا يَنُـون[4] قِيـامـاً وخـلاخيـل تُـذهِـل المَـوْلُـودا
لا ذَعَـرتُ السَّـوامَ فـي فَـلَـق الـصُّـبْـح مُغِيـراً ولا دُعِيـتُ يَـزِيـدَا
يـوم أُعطِـي مخـافـةَ المَـوْت ضَيْمـاً[5] والمَنـايـا يَـرْصُـدْنَنِـي أنْ أَحِيـدا

الشِّعر لِيَزِيدَ بنِ رَبيعةَ بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ، والغِناء لسياط خَفِيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر عن إسحاق، وذكر أحمد بن المَكيّ أنه لأبيه يَحْيى، وذكر الهِشاميُّ أنّه لفليح. قال: ومن هذا الصوت سُرِق لحن:

* تِلْكَ عِرسِي تَلُومُني في التَّصابي *

---

(١) الأبيضان: اللبن والماء.

(٢) الثرة: الغزيرة. وشخب اللبن: حلبه. والدهماء: الخالصة الحمرة.

(٣) في ف: «تأنس».

(٤) ب: «ماكثات قياماً».

(٥) «التجريد»: «يوم أعطى مخافة الموت ظلماً». وفي «الشعر والشعراء»: «يوم أعطى من المخافة ضيماً».

/ أخبار ابن مفرغ ونسبه

[١٨/٢٥٤]

نسبه وسبب تلقيب جده مفرغاً

هو يَزِيدُ بنُ رَبيعَة بن مُفَرِّغ[١] ، ولُقِّب جَدُّه مُفَرِّغاً لأنه راهن على سِقاء لَبَن أن يَشْرَبه كله فشَرِبه كله / حتَّى فرّغه، فلقب مُفرِّغاً، ويُكنى أبا عُثمان، وهو من حِمْير فيما يَزْعم أهلُه، وذكرَ ابنُ الكلبيّ وأبو عُبَيْدة أن مُفَرِّغاً كان شَعّاباً بتَبالة[٢] ، فادَّعى أنَّه من حِمْير. وقال عليُّ بنُ محمد النَّوْفَليّ: ليْس أحَدٌ بالبَصْرة من حِمْير إلاَّ آلَ الحَجّاج بن ناب الحِميريّ وبَيْتاً آخر ذَكره، ودَفعَ بَيْتَ ابن مُفَرِّغ.

٥٢/١٧

أخبَرني محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان، قال: أخبرني أحمدُ بنُ الهيْثم القُرشيّ[٣] ، قال: أخبرني العُمريّ، عن لَقيط بنِ بكْر المُحَاربيّ، قال:

هو يَزِيدُ بنُ رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِميريّ حَليفُ قُرَيْش، ثم حليف آل خالِد بن أسيد بن أبي العِيص بن أُميّة بن عبد شَمس. قال العُمَريّ: وكان ابن المَكيّ يقول: كان مُفَرِّغ عَبداً للضَّحاك بن عَبد عَوْف الهِلاليّ فأنْعَم عليه.

قال محمد بنُ خَلف: أخبرَني محمد بنُ عبدِ الرّحمن الأسديّ، عن مُحمّد بن رزين، قال: قال الأخفَش:

كان رَبيعَةُ بنُ مُفَرِّغ شعّاباً بالمدِينة وكان يُنْسب إلى حِمْير، وإنما سُمّي مُفرِّغاً لتَفْريغِه العُسّ[٤] وكان شاعراً غَزِلاً محسناً، والسيّدُ[٥] من ولده.

أخبرَني محمدُ بن خَلف بنِ المَرزُبان، قال: حدّثني أبو العَيْناء قال:

[١٨/٢٥٥] / سُئل الأصمعيّ عن شعر تُبّع وقِصّته ومَنْ وضعهما، فقال: ابنُ مُفرِّغ؛ وذلك أنَّ يزيدَ بنَ مُعاوية لَمّا سيّره إلى الشّام وتخلّصه من عَبّاد بن زِياد أنزلَه الجَزيرةَ، وكان مُقيماً برأس عَيْن، وزعم أنّه من حِمْير، ووضع سيرة تُبّع وأشعاره، وكان النّمر بنُ قاسِط يدَّعي أنّه منهم.

وقال الهَيْثَم بنُ عَديّ: هو يَزِيدُ بنُ زِياد بن رَبيعة بنِ مُفَرِّغ اليَحْصُبيّ، من حِمْير، يَحْصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوف بن عَدِيّ بن مالك بنِ زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جشم[٦] بن عبد

(١) في «معجم الأدباء» ٢٠/ ٤٣: «يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ» بضم الميم وكسر الراء من غير تشديد.
وجاء في كتاب «الوفيات» ٥/ ٣٨٤: «وأكثر العلماء يقولون: يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زياداً». وفي «الخزانة» ٢/ ٢١٢: و «مفرغ بكسر الراء المشدودة لقب جده».

(٢) الشعاب: من يصلح الصدوع. وتبالة: موضع ببلاد اليمن. وفي «الوفيات» أن مفرغاً كان حداداً.

(٣) ب: «القرظي».

(٤) ف: «وإنما سمي مفرغاً لأنه خاطر على عس لبن فشربه، فسمي مفرغاً لتفريغه العس».

(٥) يريد السيد الحميري الشاعر.

(٦) ب: «خيثم».

شَمْس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَع بن حِمْير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان.

أخبرني بِخَبره جماعة من مَشايخنا، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، عن عُمر بن شَبَّة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، عن جماعة من أصحابه، وأحمد بن عبدِ العزيز الجَوْهَريّ، عن عَليّ بن محمد النّوفليّ، عن أبيه، فما اتّفقَتْ رِواياتُهم من خبره جَمَعْتها في ذكره، وما اختلفت أفردْتُ كلّ مُنفرد منهم بروايتِه.

سفره مع عباد بن زياد ووصية سعيد بن عثمان

أخبرَني محمد بنُ الحَسَن بنِ دُرَيد، قال: حدّثنا أبُو حاتم، عن أبي عُبَيْدة، عن مَسْلمة بن مُحارب، وأخبرَني الجوهَريّ، قال: حَدّثنا عُمر بنُ شبّة، وأخبرنا محمد بنُ العَبّاس اليزيديُّ، قال: قرأتُ على محمد بنِ الحَسن بن دُرَيْد[1] عن ابن الأعرابيّ، وأخبَرني محمد بنُ خَلف بن المَرْزُبان قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ الهيْثم قال: حدثنا العُمريّ، عن لَقيط بنِ بكير، قالوا جميعاً:

[٢٥٦/١٨] / لَمّا ولِيَ سَعيدُ بنُ عُثمان بن عَفّان خُراسان، استَصْحب يزيدَ بنَ رَبيعة بن مُفرّغ، واجتهد به أن يَصحبه، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد، فقال له سَعيدُ بن عُثمان: أما إذ أبيتَ أن تصحبني وآثرت عَبّاداً فاحفظ ما أوصيك به، إن عبّاداً رجل لئيم، فإيّاك والدّالّة[2] عليه، وإن دَعاك إليها من نفسه فإنها خِدْعة منه لك عن نَفسِك، وأقلِلْ زيارته، فإنّه طَرِفٌ[3] ملول، ولا تفاخِره وإن فاخرَك، فإنّه لا يَحْتمل لك ما كنتُ أحتمله. ثمّ دَعا سَعيد بمال فدفعه إلى ابن مُفرّغ، وقال: استعِنْ به على سَفرك، فإن صلح لك مكانك من عبّاد وإلا فمكانُك عندي مُمَهّدٌ فائتِني، ثم سار سَعيد إلى خُراسان، وتخلّف ابنُ مفرّغ عنه، وخرَج مع عبّاد.

٥٣/١٧ قال ابنُ دُرَيْد في خبره، / عن مَسْلَمة[4] بن مُحارب:

فلما بلغَ عُبَيْدَ الله بن زِياد صُحْبَةُ ابنِ مُفرّغ أخاه عَبّاداً شق عليه، فلما سارَ أخوه عَبّادٌ شيَّعه وشيّع الناسُ معه، وجعلوا يودِّعونه ويودِّع الخارجون مع عَبّاد عُبَيْدَالله بن زياد، فلما أراد عبيدُ الله أن يودع أخاه دعا ابنَ مُفرّغ، فقال له:

إنك سألت عَبّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك، وقد شَقَّ عليّ، فقال له ابنُ مُفرّغ: ولم أصلَحك الله؟ قال: لأن الشاعر لا يُقنِعه من الناس ما يُقنع بعضهم من بعض؛ لأنه يَظُن فيجعل الظنّ يقيناً، ولا يَعذِر في موضع العُذْر، وإن عَبّاداً يَقدَم على أرض حرب فيشتغل بحُرُوبه وخراجه عنك، فلا تعذره أنت، وتُكسِبنا شرّاً وعاراً، فقال له:

[٢٥٧/١٨] / لستَ كما ظنّ الأمير، وإنّ لِمَعْرُوفه عندي لشكراً كثيراً، وإنَّ عندي - إن أغفَل أمري - عذراً مُمَهّداً، قال: لا، ولكن تَضْمَن لي إن أبطأ عنك ما تُحِبُّه إلاّ تعجل عليه حتى تكتبَ إليَّ، قال: نعم، قال: امض إذاً على الطائِر الميمُون. قال: فقَدِم عَبّادٌ خُراسان، واشتغل بحَرْبه وخَراجه، فاستبطأه ابنُ مُفرّغ ولم يكتب إلى عُبَيْد الله بن زِياد يشكوه كما ضَمِنَ له، ولكنه بسط لسانَه فَذَمَّه وهجاه.

يهجو عباداً ببيت من الشعر

وكان عبّادٌ عظيمَ اللِّحْية كأنها جُوالَق، فسار يَزِيدُ بنُ مُفرّغ يوماً مع عبّاد، فدخلت الريح فَنَفَشَتْها، فضحك

---

(١) ف: «محمد بن الحسن الأحون».
(٢) ب: «الدلالة».
(٣) الطرف: من لا يثبت على صاحب.
(٤) ف: «عن مسلم بن محارب».

ابنُ مُفرِّغ، وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله:

ألا لَيْـتَ اللِّحَـى كـانـت حَشيشـاً فنَعْلِفَهـا خُيـولَ المُسْلِمينَا[١]

فسعى به اللَّخْميُّ إلى عَبّاد، فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال: لا يَجمُل بي عقوبتُه في هذه الساعة[٢] مع الصحبة لي، وما أُؤخِّرها إلا لأشفيَ نفسي منه لأنه كان يقوم فيَشْتُم أبي في عِدَّة مواطن، وبلغ الخبرُ ابنَ مُفرِّغ فقال: إني لأجِدُ رِيحَ الموت من عَبّاد.

يطلب من عباد الإذن في الرجوع

ثم دخل عليه فقال له: أيُّها الأمير، إني كنتُ مع سَعيد بن عثمان، وقد بلغَك رأيُه فيّ، ورأيت جَميلَ أثَرِه عليّ، وإنّي اختَرتك عليه، فلم أحْظَ منك بطائِل[٣]، وأُريدُ أن تأذَن لي في الرُّجوع، فلا حاجةَ لي في صُحْبَتك، فقال له: أمّا اختيارُك إيّاي فإني اختَرتُك كما اختَرْتَني، واستَصْحَبتُك حين سَألْتَني، وقد أعْجَلْتَني عن / بُلوغ مَحبّتي [١٨/٢٥٨] فيك، وقد طلبت الإذْن[٤] لترجِعَ إلى قَومك، فتَفضحني فيهم[٥]، وأنتَ على الإذن قادر بعد أن أقضي حَقَّك، فأقام. وبلغ عَبّاداً أنه يَسُبُّه ويَذْكُره وينالُ من عِرْضه، وأجْرَى عَبّاد الخَيل فجاء سابِقاً، فقال ابنُ مُفرِّغ:

* سَبَقَ عَبّادٌ وصَلَّت[٦] لِحيَتُهْ *

عباد يحبسه بدين عليه ويبيعه الأراكة وبردا

وطلب عليه العِلَل، ودَسّ إلى قوم كان لهم عليه دَيْن، فأمرهم أن يقدموه إليه، ففعلوا، فحبَسه وأضرَّ به، فبعث إليه أنْ بِعْني الأراكةَ وبُرْداً، وكانت الأراكةُ قَيْنةً لابن مُفرِّغ. وبُردٌ غُلامَه، رَبّاهُما وكان شَديدَ الضَّنِّ بهما، فبعث إليه ابنُ مُفرِّغ مع الرَّسُول: أيَبيعُ المرءُ نَفسَه أو وَلدَه؟ فأضَرَّ به عبّاد حتى أخذهما منه. هذه رواية مسلمة.

وأمّا لَقِيط وعُمرُ بنُ شَبَّة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه، فاشْتَراهما رجل من أهل خُراسان. قال لقِيط: فلمّا دَخلا منزلَه قال له بُرْد، وكان داهيةً أريباً: أتَدْرِي ما اشْتَرَيْتَ؟ قال: نعم، اشتريتُك وهذه الجَارية. قال: لا والله ما اشتريْتَ إلاّ العَارَ والدَّمارَ والفَضيحةَ أبداً ما حَييت، فَجَزِع الرجلُ وقال له: كيف ذلك؟ ويلك! قال: نحن لِيَزيدَ بنِ ربيعةَ بن مُفرِّغ، والله ما أصارَه إلى هذه الحال إلا لِسانُه وشِعْرُه، أفتَراه يَهْجُو/ ابنَ زِياد ـ وهو أميرُ خُراسان، [٥٤/١٧] وأخوه أمير العِراقَيْن، وعَمُّه الخَليفة ـ في أن استَبْطأه ويُمْسِك عنك، وقد ابتَعْتَني وابتَعْتَ هذه الجارية وهي نَفْسُه التي بين جنبيه؟ والله ما أرى أحداً أدخلَ بيته أشأمَ على نفسه وأهله مما أدخلتَه مَنْزِلك، فقال: فاشهدْ أنّك وإيّاها له، فإن شِئتُما أن تَمْضِيا إليه فامْضِيا، على أنّي أخافُ على نَفْسِي إنْ بَلَغَ ذلك ابنَ زياد، وإن شِئتُما أن تكُونا له عِندِي فافعلا، قال: فاكتب إليه بذلك. فكتَب الرجلُ إلى ابن مُفرِّغ في الحَبْس بما فَعَله، فكتب إليه يَشكُر فِعلَه، وسأله أن يكُونا عنده حتى يُفرِّجَ اللهُ عنه.

---

(١) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٣١٩/١، ف: «فنعلفها دواب المسلمينا».

(٢) ب، مد: «في هذه السرعة».

(٣) ب: «فلم أحل منك بطائل».

(٤) ب، س: «الآن».

(٥) ف: «ففضحني قبلهم».

(٦) صلت: جاءت تالية.

[١٨/٢٥٩] / قال: وقال عَبّاد لحاجبه: ما أرى هذا ـ يعني ابن مُفَرّغ ـ يُبالي بالمُقام في الحَبْس، فَبِعْ فَرَسَه وسِلاحَه وأثاثه، واقسِم ثَمنَها بين غُرمائه، ففعل ذلك وقَسَم الثَّمَن بينهم، وبَقِيت عليه بَقِيَّةٌ حَبَسه بها. فقال ابنُ مُفرّغ يذكُر غُلامه بُرْداً وجارِيَتَه الأَراكةَ وبَيْعَهما:

شَرَيتَ بُرداً ولو مُلِّكت صَفقَتَه ... لَمَا تطلَّبت في بَيْعٍ له رَشَدَا
لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعرَّض لي ... من الحوادث ما فارقتُه أبَدَا
يا بُردُ ما مَسَّنا بَرْدٌ[١] أضرَّ بنا ... من قَبْل هذا ولا بِعْنا له وَلَدا[٢]
أمّا الأراكُ فكانتْ من مَحارِمنا ... عَيْشاً لذيذاً وكانت جَنَّة رَغَدا
كانت لنا جنَّة كُنَّا نَعِيشُ بها ... نَغْنَى بها إن خَشينَا الأَزْلَ والنَّكَدا[٣]
يا لَيْتَني قبل ما نابَ الزَّمانُ به ... أهلي لقيت على عُدْوانِه الأسدَا[٤]
قد خانَنا زَمَن لم نَخْش عَثْرتَه[٥] ... مَنْ يَأْمَن اليومَ أم مَنْ ذا يعِيش غَدا!
لامَتْنِيَ النَّفسُ في بُرْد فقلت لها ... لا تَهْلَكي إثْرَ بُرْدٍ هَكَذا كَمَدا
كَمْ من نَعِيمٍ أصبْنا من لَذاذَتِه ... قُلْنا له إذ تولَّى ليتَه خَلَدَا

خروجه من السجن وهروبه إلى البصرة

قالوا: وعَلِم ابن مُفرّغ أنه إن أقام على ذَمّ عبّاد وهجائه وهو في مَحْبسه زاد نفسَه شرًّا؛ فكان يقولُ للنّاس إذا سألوه عن حَبْسه ما سَبَبُه: رجل أدَّبه أميرُه ليُقوِّم من أوَده، أو يَكُفّ من غَرْبه[٦]، وهذا لَعَمْرِي خَيرٌ من جَرّ الأمير ذيلَه على مُداهنة لصاحبه، فلما بلغ عَبّاداً قَوْلُه[٧] رَقّ له وأخرجه من السِّجن، / فهَرَب حتى أتى البَصرَةَ، ثم خرج [١٨/٢٦٠] منها إلى الشّام وجَعَل ينتقل في مدنها هارباً ويَهْجُو زِياداً وولدَه.

وقال المدائنيّ في خبره:

لمَّا بلغَ عَبّاد بن زِيادٍ أنَّ ابنَ المُفرَّغ قال:

* سَبَق عَبّاد وَصَلَّت لِحْيَتُهْ *

هجاء في ابن مفرغ ينشده ابنه في مجلس عباد

دعا ابنَه والمجلِسُ حافلٌ فقال له: أنشِدْني هِجاءَ أبيك الذي هُجِيَ به، فقال: أيُّها الأمير، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ ما كلَّفتَني، فأمر غُلاماً له أعجميًا وقال له: قُمْ على رأسِه، فإن أنشد ما أمرتُه به وإلا فصُبَّ السَّوطَ على رأسِه أبداً أو يُنْشِده، فأنشدَه أبياتاً هُجِيَ بها أبوهُ أولها:

(١) ف، و «رغبة الآمل» ٢/ ٧٠: «دهر».
(٢) ف: «ولا بعنا لنا ولداً».
(٣) الأزل: الضيق والشدة.
(٤) ف: «لقيت أهل على عدوانه الأسدا».
(٥) ف: «عبرته».
(٦) ف: «ويكف من غربه».
(٧) ب: «فلما بلغ ذلك عباداً من قوله».

قَبَّحَ الإلَهُ ولا يُقَبِّحُ غيرهُ وَجْهَ الحمار رَبِيعَةَ بن مُفَرِّغ

وجعل عَبّاد يَتَضاحَك به، فخرج ابنُ ابنِ مُفَرِّغ من عنده وهو يَقُول: والله لا يَذْهب شَتْم شيْخي باطلاً، وقال يهجوه بقَوله:

أَصَرَمْتَ حبلك من أُمامَهْ من بعد أيّام بِرامَهْ
/ فالرِّيحُ تَبكِي شَجْوَها والبرقُ يَضْحَكُ في الغَمامَهْ
لَهْفي على الأمرِ الذي كانت عواقِبُه نَدامَهْ
تَرْكِي سَعِيداً ذَا النَّدى والبَيْتُ تَرْفَعُه الدِّعامَهْ
فُتِحَتْ سَمَرقَنْدٌ له وبَنَى بعَرْصتِها خِيامَهْ
وتَبِعْتُ عَبْدَ بَنِي عِلا جٍ[1]، تِلْكَ أشْراطُ القِيامَهْ!
جاءَت به حَبَشِيّةٌ سَكّاءُ[2] تحسَبُها نَعامَهْ
/ وشَرَيْتَ بُرداً لَيْتَنِي من بَعْد بُرد كُنتُ هامَهْ
أو بُومَةً[3] تدعُو صَدَى بين المُشَقَّر واليَمامَهْ
فالهول يَركَبُه الفَتَى حَذَرَ المَخازِي والسَّآمَهْ
والعَبْد يُقْرَعُ بالعَصا والحُرُّ تَكْفِيه المَلامَهْ

[٥٥/١٧] [٢٦١/١٨]

قال[4]: ثم لَجَّ في هجاء بني زِياد حتى تَغَنَّى أهلُ البصرة في أشعاره، فطلبه عُبَيْد الله طلباً شديداً حتى كاد يُؤخذ، فلحق بالشام.

واختلفت الرُّواةُ فيمن ردَّه إلى ابن زِياد، فقال بعضهم: مُعاوية، وقال بعضهم: يَزِيدُ، والصَّحيحُ أنه يَزِيد؛ لأن عَبّادَ بنَ زِياد إنما وَلِي سِجِسْتانَ في أيام يزيد. وقال بعضُهم: بل الذي وَلاّه مُعاوِية، وهو الذي ولّى سَعِيد بن عُثمان خُراسان.

سعيد بن عثمان يعاتب معاوية لأنه جعل البيعة لابنه يزيد

أخبرني مُحمّد بنُ العبّاس اليَزِيديُّ، وعُبَيْد اللهِ بنُ محمد الرازيّ[5]، قالا: حدثنا أحمدُ بن الحارث، عن المَدائنيّ قال:

دخل سَعِيدُ بنُ عُثمان على مُعاوِيَةَ بن أبي سُفْيان فقال: علام جعلتَ يَزِيدَ وَلِيَّ عهدك دوني؟ فوالله لأبي خَيْر من أبيه، وأُمّي خير من أمه، وأنا خير منه، وقد وَلَّيناك فما عزلناك، وبِنَا نِلْتَ ما نِلْتَ، فقال له معاوية: أمّا قولك: إنّ أباكَ خير من أبيه فقد صدقت لعَمْرُ الله؛ إن عُثمانَ لخير منّي، وأما قولك: إن أُمك خير من أُمّه، فحسب المرأةِ أن تكونَ في بيت قَومِها وأن يَرْضَاها بَعلُها وأن يَنْجُب ولدُها. وأما قولُك: إنّك خيرٌ من يَزِيد، فوالله يا بنيّ ما يَسُرُّني

(١) بنو علاج: بطن من ثقيف.
(٢) سكاء: صغيرة الأذنين.
(٣) ب: «فهامة». وفي «المختار»: «هتافة» بدل «أو بومة». وفي مد، ف: «هي هامة».
(٤) ف: «قالوا».
(٥) ف: «عبد الله بن أحمد الرازي».

أنّ لي بيزيدَ ملءَ الغُوطَة مثلك. وأما قولُك: إنكم ولَّيتموني فما عَزَلْتُموني، فما وَلَّيْتُموني، وإنما ولأني من هو خير منكم عُمَر، فأقْرَرْتُموني، وما كنتُ بئس الوَالِي لكم، لقد قمتُ بثأركم، وقتلتُ / قَتَلَة أبيكم، وجعلتُ الأمرَ فيكم، وأغنيتُ فَقِيركم، ورفعتُ الوَضِيعَ منكم، فكلَّمه يَزِيدُ في أمره فولاَّه خُراسَان. [١٨/٢٦٢]

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

ينتقل في قرى الشام هاجياً بني زياد

قالوا: فلم يَزَل يَنْتَقِل في قُرَى الشام ونواحيها، ويَهْجُو بني زياد[١]، وأشعارُه فيهم تَرِد البَصْرة وتنتشر وتبلُغهم، فكتب عُبَيْدُ الله بنُ زياد إلى مُعاوية، وقال الآخرون: إنه كتب إلى يَزِيدَ وهو الصحيح، يقول له: إن ابنَ مُفرّغ هَجا زِياداً وبنى زِياد بما هَتَكه في قبره، وفضح بنيه طُولَ الدهر، وتعدَّى ذلك إلى أبي سُفْيان، فقذفه بالزنا وسَبَّ ولده، فهرب من خُراسانَ إلى البَصْرة، وطَلَبْتُهُ حتى لَفَظَتْه الأرض، فلجأ إلى الشام يَتمضَّغ لحومَنا بها، ويهتِك أعراضَنا، وقد بعثتُ إليك بما هَجَانا به لتَنْتَصِف لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابنُ مُفرّغ / فيهم. [٥٦/١٧]

فأمر يَزِيدُ بطلبه، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لَفَظَتْه الشام، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قَيْس، فالتجأ به واستجار، فقال له الأحنف: إني لا أجير على ابن سُمَيّة[٢] فأعزَل، وإنما يُجير الرجلُ على عَشيرته، فأما على سُلْطانه فلا، فإن شئت أجَرْتُك من بني سَعْد وشعرائهم، فلا يَرِيبُكَ أحدٌ منهم، فقال له ابنُ مُفرّغ: بِأستاه بني سعد[٣] وما عساهم أن يقولوا فِيّ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه.

ثم أتى خالدَ بنَ عبدِ الله بن خالد بن أَسِيد فاستجار به، فأبى أن يُجيره، فأتى عُمَر بنَ عُبَيْد الله بن مَعْمَر فوعده، وأتى طَلْحَة الطَّلَحات فوعده، وأتى المُنْذِرَ بن الجَارُود العَبْدِيّ فأجاره؛ وكانت بَحْرِيَّةُ بنتُ المُنْذِر تحت عُبَيْد الله.

/ المنذر بن الجارود العبدي يجيره [١٨/٢٦٣]

وكان المنذر من أكرَم النّاس عليه، فاغترّ بذلك وأدَلّ بِمَوْضعه منه، وطَلَبه عُبيدُ الله وقد بلَغه ورُودُه البصرة فقيل له: أجاره المنذر بن الجارود، فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه، فلما دَخل عليه بعث عُبيدُ الله بالشُرَط، فكَبسوا دَاره[٤] وأتوه بابن مُفرّغ، فلم يَشعر المنذر إلا بابن مُفرّغ قد أُقيم على رأسه، فقام المنذر إلى عُبَيْد الله فكلّمه فيه فقال: أُذكِّرُكَ اللهَ ـ أيُّها الأمير ـ أن تخفر[٥] جواري فإني قد أجرتُه، فقال عُبيْد الله: يا مُنْذِر لِيمدَحنَّ أباك وليمدَحنَّك، ولقد هَجاني وهَجَا أبي ثم تُجيرُه عليّ، لا هَا الله[٦] لا يكونُ ذَلك أبداً، ولا أغفرُها له، فغَضِب المُنْذر، فقال له: لعلكَ تُدِلّ بكريمَتك عندي، إن شئتَ والله لأُبِيننّها بتطليق البَتَّة، فخرَج المنذر من عنده، وأقبل عُبيد الله على ابن مُفرّغ فقال له: بِئسما صَحِبت به عَبّاداً. قال: بِئسما صَحبني به عَبّاد، اخترتُه على سعيد وأنفقت

---

(١) ف: «ويهجو ابني زياد».

(٢) ف: «ابني سمية».

(٣) ب، مد، ما: «يا أستاذ بنو سعد».

(٤) كبسوا داره: هجموا عليه فجأة واحتاطوها.

(٥) ب: «ألاّ تخفر». يقال: خفره: أجاره وحماه، وخفره أيضاً: نقض عهده وغدر به.

(٦) لاها الله، أي لا والله.

على صُحْبته كلّ ما أفَدْته وكلّ ما أملكه، (١) وظننتُ أنه لا يخلو من عَقْلِ زياد وحِلْم مُعاوية وسماحة قريش، فعَدَل عن ظنّي كله (١). ثم عاملني بكل قبيح، وتناوَلني بكلّ مَكْرُوه، مِنْ حبْس وغُرْم وشَتْم وضَرْب، فكنتُ كمن شام برْقاً خُلَّباً في سَحابِ جَهام، فأراق ماءه طَمعاً فيه فمات عَطَشاً، وما هَرَبتُ من أخيك إلا لمّا خِفْتُ من أنْ يَجريَ فيَّ إلى ما يندم عليه، وقد صرتُ الآن في يَدك، فشأنك فاصنع بي ما أحببت، فأمَر بحبسه.

عبيد الله يستأذن يزيد بن معاوية في قتله

وكتب إلى يزيد بن مُعاوية يسأله أن يأذَن له في قتله، فكتب إليه: إيّاك وقتلَه، ولكن عاقِبْه بما يُنَكِّله ويشدُّ سلطانَك، ولا تبلُغ نفسَه، فإنّ له عشيرةً هي جُندي وبطانتي، ولا تَرْضَى بقتله مِنّي، ولا تَقنع إلا بالقوَد / منك، فاحذر ذلك، واعلم أنّه الجِدُّ منهم ومني، وأنك مُرْتَهَن بنفسه، ولك في دون تلفها مَندوحةٌ تشفي من الغَيظ. فورد الكتاب على عُبيدِ الله بن زياد، فأمرَ بابن مُفرّغ فسُقِيَ نبيذاً حُلواً قد خُلط معه الشُّبرُم(٢) فأسهل بطنَه، وطِيفَ به وهو في تلك الحال، وقُرِن بهِرّة وخِنزيرة، فجعل يسلح والصبيان يتبعُونه ويقولون له بالفارسية: [١٨/٢٦٤]

أين چيست؟ فيقول:

آبَسْتَ نبيذَ اسْت * عُصاراتُ زبيسْت * سُمَيّة رُوسْبيد اسْت(٣):

وجعل كلما جرّ الخنزيرة ضجت، فجعَل يقول:

ضَجَّت سُمَيّة لما لَزّها(٤) قَرَني ... لا تَجْزَعي إنَّ شَرّ الشّيمة الجزَعُ

فجعَل يُطافُ به في أسواق البصرة والصِّبيان خلفَه يصيحون به، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فعرَف ابنُ زياد ذلك، فقيل: إنه لما به لا نأمن أن يَمُوت، فأمر به أن يُغسَل، ففعلوا ذلك به، فلما اغتسل قال:

/ يَغسل الماءُ ما فعلتَ وقَولي ... راسخٌ منك في العِظَام البَوالي ٥٧/١٧

عبد الله يرده إلى الحبس

فردَّه عُبيدُ الله إلى الحبس، وأمر بأن يُسلَم مِحجماً وقدّموا له عُلوجاً، وأُمِر بأن يَحجمُهم، فكان يأخذُ المشارط فيَقطع بها رقابهم فيَتوارَون(٥) منه، فتركه وردّه إلى محبسه، وقامت الشُّرَط على رأسه تَصبّ عليه السياط ويقولون له: احْجُمهم، فقال:

/ وما كنتُ حجّاماً ولكني أحلّني ... بمنزلةِ الحجّام نأيي عن الأهل(٦) [١٨/٢٦٥]

(١ ـ ١) التكملة من «المختار»، ف.

(٢) الشبرم: نبات له حب كالعدس مسهل.

(٣) هذه أبيات بالفارسية وردت في «الطبري» ٦/ ١٧٧ وقد كثر فيها التحريف. والمعنى: الأولاد يسألون: ما هذا؟ ويجيبهم ابن مفرغ: هذا ماء نبيذ، هذه عصارة نبيذ، هذه سمية البغي.

(٤) لزها قرني: شدها وألزمها إياه.

(٥) ف: «فيهربون».

(٦) «المختار»: «عن الأصل».

عباد بن زياد يجمع ما هجاه به ويرسله إلى معاوية

وقال عمرُ بنُ شبّة في خبره: جَمع عبّاد بن زياد كلّ شيء هَجاه به ابنُ مُفرِّغ، وكتب به إلى أخيه عُبَيْدِ الله وهو يومئذ وافدٌ على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله:

إذا أَوْدَى مُعَاوِيَةُ بنُ حربٍ ... فبشّرْ شَعْبَ قعْبِك[1] بانصِداعِ
فأشهدُ أن أمّك لم تباشر ... أبا سُفيانَ واضعَةَ القِناعِ
ولكن كان أمرٌ فيه لَبْسٌ ... على وَجَلٍ شَديدٍ وامتناعِ[2]

وقوله:

ألا أبلغْ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلةً مِن الرّجلِ اليَماني
أتغضبُ أنْ يُقالَ أبوك عَفٌّ ... وتَرْضى أنْ يُقالَ أبوك زاني
فأشهدُ أنَّ رِحْمَكَ[3] مِن زيادٍ ... كرِحْمِ الفِيلِ مِن وَلَدِ الأتانِ
وأشهدُ أنها ولدت زياداً[4] ... وصخرٌ من سُمَيّةَ غيرُ داني

فدخل عُبَيد الله بنُ زياد على مُعاوية، فأنشده هذه الأشعار، واستأذنه في قتله فلم يَأْذَن له وقال: أدّبه أدباً وَجيعاً مُنكِّلاً، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القَتْل، وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم.

قالوا جميعاً: وقال ابنُ مُفرِّغ يَذْكُر جِوار المُنْذِر بنِ الجارُود إيّاه وأمانه:

تَرَكتُ قُرَيْشاً أن أجاوِرَ فيهمُ ... وجاورتُ عَبْدَ القَيْس أهلَ المُشقَّرِ
أُناسٌ أجارونا فكان جِوارُهم ... أعاصيرَ من فَسْوِ العِراق المُبذَّرِ[5]
فأصبح جاري من خُزَيْمةَ[6] قائماً ... ولا يمنع الجِيرانَ غيرُ المُشمِّرِ[7]

[١٨/٢٦٦]

يذكر ما فعله ابن زياد ويستشير قومه

وقال أيضاً في ذلك:

أصبحتُ لا من بَني قَيْس فَتنصُرني ... قَيسُ العِراق ولم تَغْضَب لنا مُضَرُ
ولم تُكلِّم قُرَيشٌ في حَليفِهمُ ... إذ غابَ ناصِرُه بالشّام واحتَضَروا[8]
والله يعلم ما تُخفي النُّفوس وما ... سَرّى أُمَيّةُ أو ما قال لي عُمَرُ
وقال لي خالِدٌ قولاً قَنِعتُ به ... لو كنت أعلم أنّى يَطْلع القَمَرُ

(١) ب، «المختار»: «قلبك». والشعب: الإصلاح والالتئام. والقعب: القدح الضخم الغليظ.
(٢) «المختار»: «وارتياع». وفي «معجم الأدباء» ٢٠/٤٦: «على عجل شديد وارتياع».
(٣) الرحم: القرابة. وروى في «الشعر والشعراء»:
وأشهد أنّ إلّك من زياد ... كإلّ الفيل من ولد الأتان
(٤) في «الشعر والشعراء»: «وأشهد أنها حملت زياداً».
(٥) ف: «المشذر»، والفسو: الغلظ والصلابة.
(٦) ب: «جزيمة».
(٧) المشمر: الجاد المصمم.
(٨) احتضروا: جاءوا.

لــو أنّنِــي شَهِــدَتْنِــي حِمْيَــرٌ غضِبَــتْ ... دُونــي فكــان لهــم فيمــا رَأَوْا عِبَــرُ
أو كُنتُ جَـارَ بَنِـي هِنْـدٍ[1] تـداركنـي ... عــوفُ بــنُ نُعْمــانَ أو عِمْــرانُ أو مَطَــرُ

وقال أيضاً يذكُر ذلك وما فعَل به ابنُ زِياد:

دَارَ سَلْمَــى بــالخَبْــث ذِي الأَطــلالِ ... كيــف نَــومُ الأَسيــر فــي الأغــلالِ
أيــنَ مِنّــي السَّــلامُ مــن بَعْــد نَــأْيٍ ... فــارْجِعــي لــي تَحِيَّتِــي وسُــؤَالِــي
أيــنَ مِنّــي نَجــائِبِــي وجِيــادِي ... وغَــزالِــي، سَقَــى الإلَــهُ غَــزالِــي
/ أيــنَ لا أيــنَ جُنَّتِــي وسِــلاحــي ... ومَطَــايــا سَيَّــرتُهــا[2] لارْتِحــالِــي
هَــدَمَ الــدَّهْــر عَــرْشَنــا فَتــداعَــى ... فَبَلِينــا إذ كُــلُّ عَيْــش[3] بــالِــي
إذ دعــانــا زَوالُــه فــأجَبْنــا ... كُــلُّ دُنْيــا ونِعْمَــةٍ لِــزَوَالِ
/ أم قَضَيْنا حــاجــاتنــا فــإلــى المَوْ ... تِ مَصِيــرُ المُلــوك والأَقْيــالِ
لا وصَــوْمــي لِــرَبِّنــا وزكــاتِــي ... وصَــلاتِــي أدعُــو بهــا وابْتِهــالِــي
مــا أتيــتُ الغــداةَ أمــراً دَنِيّــاً ... ولَــدَى الله كــابِــرُ الأعمــالِ[4]
أيُّهــا المــالــك المُــرهَّــب بــالقَــتْــلِ بَلَغْــتَ النَّكــالَ كُــلَّ النكــالِ
فــاخــشَ نــاراً تَشْــوِي الــوُجــوهَ ويَــومــاً ... يَقــذِفُ النــاسَ بــالــدَّواهــي الثِّقــالِ
قــد تعــدَّيْــتَ فــي الــقِــصــاصِ وأدْرَكْــ ... ـتَ ذُحــولاً لمَعْشَــرٍ أقْتــالِ[5]
وكَسَــرْتَ السِّــنَّ الصَّحيحــةَ مِنّــي ... لا تُــذِلَّــنْ فمُنْكَــرٌ إذلالِــي
وقَــرَنْتُــم مــع الخَنــازِيــر هِــرّاً ... ويَمِينِــي مَغْلُــولــةٌ وشِمــالِــي
وكــلابــاً يَنْهَشْنَنِــي مــن وَرائِــي ... عَجِــبَ النَّــاسُ مــا لهُــنَّ ومَــالِــي!
وأطَلْتُــم مــع العُقُــوبــةِ سِجْنــاً ... فكَــمَ السِّجْــن أو مَتَــى إرْسَــالِــي!
يَغسِــلُ المــاءُ مــا صَنَعْــتَ وقَــوْلِــي ... راســخٌ مِنْــك فــي العِظــام البَــوالِــي
لــو قبلــتَ الفِــدَاءَ أو رُمْــتَ مــالــي ... قُلــتُ: خُــذْه فِــداء نَفْسِــيَ مــالــي[6]
لــو بغَيْــري مــن مَعْشَــري لَــعِــبَ الــدَّهْــرُ لمــا ذَمَّ نُصــرَتــي واختِيــالــي
كــم بكــانِــي مــن صــاحِــبٍ وخَليــل ... حــافِــظِ الغَيْــب حــامِــدٍ للخِصــالِ[7]
ليــتَ أنّــي كُنــتُ الحَليــفَ للَخْــم ... وجُــذامٍ أو طَيِّــىء الأجمــالِ[8]
بَــدَلاً مــن عِصــابَــة مــن قُــرَيْــش ... أسلَمُــونــي للخَصْــم عنــد النِّضــالِ

٥٨/١٧
[٢٦٧/١٨]

(١) ب، ما، مد: «نهد».
(٢) ف: «يسرتها».
(٣) ف: «كل شيء».
(٤) ف: «كانت الأعمال».
(٥) الذحل: الثأر أو العداوة والحقد، والجمع ذحول. والأقتال جمع قِتْل «بكسر القاف» وهو الشجاع أو المقاتل.
(٦) ف: «فدى لنفسي مالي».
(٧) ف: «حامد لخصالي».
(٨) ف: «وطييء الأجيال».

البَهَالِيلُ من بني عَبْدِ شَمْسٍ ... فَضَلُوا النَّاسَ بالعُلاَ والفَعالِ

[١٨/٢٦٨] / وبنو التَّيْمِ تَيْمِ مُرَّةَ لَمَّا ... لَمَعَ المَوتُ في ظِلالِ العَوالِي

مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الـحِجْرِ إِذِ الطَّيْرُ عُكَّفٌ في الظُّلال[١]

والبَهاليلُ خالِدٌ وسعيد ... شَمْسُ دَجْنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ[٢]

في الأَرومات والذُّرَى من بَني الـعِيصِ قُرومٌ إذا تُعَدُّ المَعالِي

كُنتُ منهم، ما حَرَّموا فحَرامٌ ... لم يُرامُوا، وحِلُّهُم من حَلال[٣]

وذَوُو المَجْدِ من خُزاعَةَ كانوا ... أهلَ وُدِّي في الخِصْبِ والإمْحَالِ

خَذَلُوني وهُم لِذاكَ دَعَوْني ... لَيس حامِي الذِّمار بالخَذَّال

لا تَدَعْني فِداكَ أهلي ومالي ... إنَّ حَبْلَيْكَ من مَتِينِ الحِبالِ[٤]

حَسْرَتا إذ أَطَعْتُ أَمْرَ غُواتي[٥] ... وعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَلَّ ضَلاَلِي

يهجو عباداً ويذكر سعيد بن عثمان

وقال يَهْجُو عَبّادَ بن زِيادٍ ويذكر سَعِيد بن عُثمان:

أيها الشاتِمُ جَهْلاً سَعِيداً ... وسَعِيدٌ في الحَوادِثِ نابُ

[٥٩/١٧] / ما أبوكم مُشبِهاً لأبِيهِ ... فاسألوا الناسَ بذاكم تُجابُوا

سادَ عَبّادٌ ومُلِّكَ[٦] جَيْشاً ... سَبَّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلاَبُ

إنّ عاماً صِرْتَ فيه أميراً ... تَمْلِكُ النّاسَ لعَامٌ عُجابُ

يمحو ما كتبه من هجاء على الحيطان بأظافره

قال: واتصل هِجاؤه زِياداً وولده وهو في الحبس، فردَّه عُبَيدُ الله إلى أخيه عَبّاد بسِجِسْتان، ووكَّل به رجالاً [١٨/٢٦٩] ووجههم معه، وكان لما هرب من عَبّاد يهجوه / ويكتب كُلَّ ما هجاه به على حيطان الخانات، وأمر عُبَيْدُ الله المُوكَّلِين به أن يأخذوه بمَحْو ما كتبه على الحيطان بأظافِيره، وأمرهم ألاّ يتركوه يُصلّي إلا إلى قِبْلة النصارى إلى المشْرق، فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء، أخذوه بأن يَمحُوه بأظافره، فكان يفعل ذلك ويَحكُّه حتى ذهبت أظافرُه، فكان يَمحوه بعظام أصابعه ودمه، حتى سَلَّموه إلى عَبّاد فحبسه وضَيّق عليه. قال عُمرُ بن شَبَّة في خبره: فقال ابنُ مُفَرِّغ:

سَرَتْ تحت أقطاعِ من اللَّيل زَيْنَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لما فاتَ مَطْلَبُ!

ويروى:

(١) ف: «كالظلال».

(٢) ف: «والكريمان خالد وسعيد»... «وواضح كالهلال».

(٣) ف: «وحلهم بحلالي».

(٤) ف: «متان الحبال».

(٥) ف: «إذ أطعت فيك غواتي».

(٦) ب: «ومالأ جيشاً».

* أَلا طَرَقَتْنا آخرَ اللَّيل زَيْنَبُ *

أصابَ عَذابي[1] اللونَ فاللَّونُ شاحِبٌ كما الرأسُ من هَوْل المنيَّة أشيبُ
قُرنتُ بخِنزيرٍ وهِرٌّ وكَلْبَةٍ زماناً وشانَ الجلدَ ضربٌ مُشذَّبُ
وجُرِّعتُها صَهباءَ من غير لَذَّةٍ تُصعِّد في الجُثمان ثم تُصوِّبُ
وأُطعِمْتُ ما إن لا يَحِلّ لآكلٍ[2] وصَلَّيتُ شَرْقاً بيتُ مكَّة مَغرِبُ
من الطَّفِّ مَجنوباً[3] إلى أرضِ كابُلٍ فمَلُّوا وما مَلَّ الأسيرُ المُعذَّبُ
فلو أنّ لَخْمِي إذ هَوَى لَعِبَتْ به كرامُ المُلوكِ أو أُسُودٌ وأذْؤُبُ
لهَوَّن وَجْدي أو لزادت بَصيرتي ولكنما أَودَتْ بلَخْمِيَ أكْلُبُ
أعبَّادُ ما لِلُّؤْمِ عنكَ مُحوَّلٌ ولا لَكَ أُمٌّ في قُريشٍ ولا أبُ
سيَنصُرني مَنْ ليس تَنفَع عِنده رُقاكَ وقَرْمٌ من أُميَّة مُصْعَبُ[4]
/ وقل لعُبَيد الله: ما لَكَ والدٌ بحقٍّ ولا يَدري امرؤٌ كيف تُنسَبُ! [١٨/ ٢٧٠]

في أول هذا الشعر غناء نسبته.

صوت

ألا طَرَقَتْنا آخرَ اللَّيل زينبُ سلامٌ عليكم هل لِما فاتَ مَطْلَبُ!
وقالت: تَجنَّبْنا ولا تَقْرَبَنَّنا فكيف وأنتم حاجَتي أتجنَّبُ!

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ.

استثارته قومه ببيتين يقرآن على المصلين بجامع دمشق

وقالوا جميعاً: فلما طال مُقام ابنُ مُفَرِّغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق، وقال له: إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع[5] دمشق، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يُمكنكُ من صوتك، وكَتَبهما في رُقعة، وهما:

أَبلِغْ لديكَ بني قَحْطانَ قاطِبةً عَضَّتْ بأيْرِ أبيها سادةُ اليَمَنِ
أضحَى دَعِيُّ زِيادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ[6] - يا لَلْعجائبِ - يَلْهو بابنِ ذِي يَزَنِ!

ففعل الرسولُ ما أمره به، فحَمِيت اليمانيةُ وغضبوا له، ودخلوا على مُعاوية فسألوه فيه / فدفَعَهم[7] عنه، ٦٠/١٧ فقاموا غضاباً، وعرف معاوية ذلك في وجوههم، فردَّهم ووهبَه لهم، ووجَّه رجلاً من بني أسد يقال له خَمْخام

(١) ما، مد: «عداني».
(٢) ما، مد، ب: «وأطعمت مالاً إن يحل لآكل».
(٣) ب: «مجلوباً»، ومجنوباً أي مقوداً إلى جنب فرس.
(٤) القرم: السيد. والمصعب: الفحل.
(٥) ف: «مسجد».
(٦) يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر، أي أذل من كمأة في أرض منخفضة؛ لأنه لا يمتنع على من جناه، أو لأنه يداس بالأرجل. وفي مد، ما: «فوق قرقرة». وفي ب: «نقع قرقرة»، تحريف.
(٧) ف: «فدافعهم عنه».

ـ ويقال: جِهِنّام ـ بَرِيداً إلى عَبَّاد، وكتب له عهداً، وأمرَه بأن يَبدأ بالحبس فيُخرِج ابنَ مُفرِّغ منه ويُطْلِقَه، قبل أن يعلَم عَبَّاد فيمَ قدِم فيغتاله، ففعل ذلك به، فلما خرج من الحبس قُرِّبَتْ إليه بغلة من بغال البريد فركبها، فلما استوى على ظهرها قال:

عَـدَسْ[1] مـا لِعَبَّـادٍ عليـكِ إمـارةٌ ... نجَـوتِ وهـذا تَحْمِلِيـن طَلِيـقُ

[١٨/٢٧١] فـإن الَّـذي نَجَّـى مـن الكَـرْب بَعـدَما ... تَـلاحَـمَ فـي دَرْبٍ عليـكِ مضيـقُ

أتـاك بخَمْخـامٍ فـأنْجـاك فـالْحَقِـي ... بـأهْلِـك[2] لا تُحبَسْ عليـكِ طَـريـقُ

لعمْـري لقـد أنجـاك مـن هُـوَّةِ الـرَّدَى ... إمـامٌ وحَبـلٌ لـلأنـام وَثِيـقُ

سـأشكـرُ مـا أوليـتَ مـن حُسْـنِ نِعمـة ... ومِثْلـي بشُكْـر المُنْعِمِيـن حَقِيـقُ[3]

معاوية يعفو عنه

قال عمرُ بن شَبَّة في خبره، ووافقه لقيط بن بكير: فلما أُدخِل على مُعاوية بكى وقال: رَكِب مني ما لم يَرْكَب من مسلم قطّ، على غير حدث في الإسلام ولا خَلْع يَدٍ من طاعةٍ ولا جُرْم، فقال: ألست القائل:

ألا أبلِـغْ مُعـاوِيـةَ بـنَ حَـرْبٍ ... مُغَلْغَلَـةً مـن الـرَّجُـلِ اليَمـانِـي

أتغضَـبُ أن يُقـالَ أبـوكَ عَـفٌّ ... وتَـرضَـى أن يُقـال أبـوكَ زانِ!

فـأشهَـدُ أنَّ رِحْمَـك مـن زِيـادٍ ... كـرِحْـم الفِيـلِ مـن وَلَـد الأتـانِ[4]

وأشهَـدُ أنهـا وَلَـدت زِيـاداً[5] ... وصَخْـرٌ مـن سُمَيَّـةَ غيـرُ دانِ

فقال: لا والذي عَظَّم حقَّك يا أميرَ المؤمنين ما قُلتُه، ولقد بلغني أنَّ عبد الرحمن بن الحكَم قاله ونسبه إليَّ. قال: أفلم تقل:

شَهِـدتُ بـأنَّ أُمَّـك لـم تُبـاشِـر ... أبـا سُفيـانَ واضِعـةَ القِنـاعِ

ولكـن كـان أمـرٌ فيـه لَبْـسٌ ... علـى وَجَـلٍ شَـديـدٍ وارتيـاعِ

أو لستَ القائل:

إنَّ زِيـاداً ونـافِعـاً وأبـا ... بَكْـرةَ عِنـدِي مـن أعْجَـب العَجَـبِ

[١٨/٢٧٢] إنّ رِجـالاً ثَـلاثَـةً خُلِقُـوا ... فـي رَحْـمِ أُنْثـى مـا كُلهـم لأبِ

ذا قُـرشِـيٌّ كمـا يَقُـولُ، وذا ... مَـوْلًـى، وهـذا بـزَعْمـه عَـرَبِـي

في أشعار كثيرة قُلتَها في هِجاء زِياد وبنيه، اذهَبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك، ولو إيَّانا تعامل لم يكُنْ شيء مما كان، فاسكُن أيّ أرضٍ شِئْتَ[6]. فاختار الموصلَ فنزلها، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدمها، فدخل على عُبَيد الله بن

(١) عدس: اسم البغلة، أو كلمة زجر للبغال.
(٢) ب: «بأرضك». وفي ف: «فنجاك فالحقن».
(٣) «التجريد»، ف: «خليق».
(٤) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٦٥.
(٥) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٦٥.
(٦) ف: «أحببت».

زياد، واعتذَر إليه وسأله الصَّفح والأمان، فأمَّنه وأقام بها مُدّة، ثمّ دَخل عليه بعد أنْ أمَّنه فقال: أصلَحَ اللهُ الأمير، إني قد ظَننْتُ أنّ نفسك لا تَطيب لي بخير أبداً، ولي أعداء لا آمن سعيَهم عليّ بالباطل، وقد رأيتُ أن أتباعد، فقال له: إلى أينَ شئت؟ فقال: كَرْمان، فكَتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقَطيعة / وكُسْوة، فشَخص $\frac{٦١}{١٧}$ فأقام بها حتى هَرَب عُبَيْد الله من البَصْرة، فعَاد إليها. هذه رواية عُمَر بنِ شَبَّة.

رواية أخرى في سبب إنقاذه من ابني زياد

وقال محمد بنُ خلَف في روايته، عن أحمَد بن الهيثم، عن المَدائنيّ، وعن العمريّ، عن لقيط:

أنّ ابنَ مُفرِّغ لمّا طالَ حَبسُه وبلاؤه، ركب طَلْحةُ الطَّلحات إلى الحجَاز، ولقي قُرَيْشاً ـ وكان ابنُ مُفرِّغ حَليفاً لبني أُميّة ـ فقال لهم طَلحة: يا معْشَر قُريش، إنَّ أخاكم وحَليفكم ابنَ مُفرِّغ قد ابتُلي بهذه الأعبُد من بني زياد، وهو عَديدكم وحليفكم ورجُلٌ منكم، ووالله ما أُحب أن يُجْرِيَ الله عافيتَه على يدي دونكم، ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها، فانهضُوا معي بجماعتكم إلى يزيدَ بن مُعاوية، فإنَّ أهلَ اليمن قد تحرّكوا بالشّام، فركب خَالدُ بنُ عبد الله بن خالد[1] بن أسيد، وأُمية بن عبد الله أخوه، وعُمرُ بن عبيد الله بن معمر، ووجوه خُزاعة[2] وكنانة / وخَرجُوا إلى يزيد، فبَيْنا هم يَسيرُون ذات ليلة إذ سَمِعوا راكباً يتغنّى في سواد الليل بقول ابنِ مُفرِّغ ويقول: [١٨/ ٢٧٣]

إنَّ تـركـي نَـدَى سَعيـدِ بـنِ عُثمـا ... نَ بـن عفَّـانَ[3] نـاصِـري وعَـديـدِي

واتِّبـاعـي أخـا الضَّـرَاعـةِ واللُّـؤْ ... م لنقـصٌ وفَـوتُ شَـأْوٍ بَعيـدِ

قلـتُ والَّيْـلُ مُطبِـقٌ بعُـراه: ... ليتَنـي مِـتُّ قبـل تـركِ سَعيـدِ

ليتنـي مِـتُّ قبـل تَـرْكـي أخـا النَّجْـ ... ـدة والحَـزْمِ والفَعـالِ السَّـديـدِ

عَبْشمـيٌّ أبُـوه عبـدُ مَنـافٍ ... فـازَ منهـا بتـاجهـا المَعقُـودِ

ثُـمّ جُـودٌ لـو قيـلَ: هـل مـن مَـزيـد[4] ... قلـتُ للسـائليـن: مـا مـن مَـزيـدِ

قُـلْ لقَـومـي لَـدَى الأبـاطـحِ مِـنْ آ ... لِ لُـؤَيِّ بـنِ غـالـبٍ ذِي الجُـودِ:

سـامَنـي بعـدكـم دَعِـيُّ زِيـادٍ ... خُطَّـةَ الغـادرِ[5] اللئيـم الـزَّهيـد

كـانَ مـا كـانَ فـي الأراكـة واجتَـ ... ـبَّ ببُـرْدٍ سَنـامَ عِيسِـي وجِيـدي

أوغـلَ العَبـدُ فـي العُقـوبـة والشَّتْـ ... ـم وأَوْدَى بطـارفـي وتليـدي

فـارحلـوا فـي حلِيفكـم وأخيكـم ... نحـوَ غـوْثِ المُسْتَصْـرِخيـن يـزيـدِ

فـاطلبـوا النَّصـفَ[6] مـن دَعـيّ زيـادٍ ... وسلـونـي بمـا ادّعيـتُ شهُـودي

قال: فدعا القوم بالراكب فقالوا له: ما هذا الذي سَمعْناه منك تغنّي به؟ فقال: هذا قولُ رجل والله إنَّ أمرَه لعجَب، رجل ضائعٌ بين قريش واليمن، وهو رجل الناس، قالوا: ومن هو؟ قال: ابنُ مفرِّغ، قالوا: / والله ما رحلنا [١٨/ ٢٧٤]

(١) ب: «إلى خالد بن أسيد».

(٢) ب: «في وجوه خزاعة».

(٣) في «الشعر والشعراء»: «... سعيد بن عثمان فتى الجود...».

(٤) ب: «لو قيل فيه مزيد».

(٥) ف: «خطة العار واللئيم الزهيد».

(٦) النصف: الإنصاف.

إلا فيه، وانتسبوا له، فضحك وقال: أفلا أُسمعكم من قوله أيضاً؟ قالوا: بلى، فأنشدَهم قولَه:

لَعَمْرِيَ لو كان الأسيرُ ابنَ مَعْمَرٍ وصاحبَه أو شِكلَه ابنَ أَسِيدِ
ولو أنّهم نالوا أُمَيَّةَ أرقلَتْ[1] براكبها الوَجناءُ نحو يزيدِ
فأبلغتُ عذراً في لؤيّ بنِ غالب وأتلفتُ فيهم طارفي وتليدي
فإن لم يُغَيِّرْها الإمامُ بحقِّها عَدلتُ إلى شُمٍّ شَوامِخَ صِيدِ
فناديتُ فيهم دعوةً يَمنيَّةً كما كان آبائي دَعَوْا وجُدُودِي
/ ودافعتُ حتَّى أبلغ الجهدَ عنهمُ دِفاعَ امرىءٍ في الخير غير زَهيدِ
فإن لم تكونوا عند ظنّي بنَصْركم فليس لها غَيرُ الأغرِّ سَعيدِ
بنَفْسي وأهلي ذاك حَيّاً ومَيِّتاً نُضارٌ وُعودُ المرءِ أكرمُ عُودِ
فكم من مُقامٍ في قريش كفَيْته ويوم يُشِيبُ الكاعِباتِ شَديدِ
وخَصْمٍ تحاماه لُؤيُّ بنُ غالِبٍ شَبَبْتُ له ناري فهاب وَقُودي
وخيرٍ كثيرٍ قد أفأتُ عليكُم وأنتم رُقودٌ أو شَبِيهُ رُقودِ

قال: فاستَرْجع القومُ لقَوْله وقالوا: والله لا نَغْسِل رُؤوسنا في العرب إن لم نَغْسِلها[2] بفكّه. فأغذَّ القومُ السَّيرَ حتى قدموا الشّام.

وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية

ويَعث ابنُ مُفرِّغ[3] رَجُلاً من بني الحارث بن كعب، فقامَ على سُور حِمْص، فنادى بأعلَى صَوته الحُصَيْنَ[4] ابنَ نُمير ـ وكان والي حمص ـ بهذه الأبيات وكان عَظيمَ الجبهة:

/ أبلغ لديك بَني قَحْطانَ قاطبةً عَضَّتْ بأَيْرِ أبيها سادَةُ اليَمَنِ
أمسى دَعِيُّ زيادٍ فَقْعَ قَرقَرَةٍ يا لَلْعجائبِ يَلهو بابنِ ذِي يَزَنِ!
والحِميريُّ طريحٌ وسطَ مَزْبلةٍ هذا لعَمرُكُم غَبنٌ من الغَبنِ
والأَجبَهُ ابنُ نُميرٍ فوق مَفرشه يدنُو إلى أحْوَر العَيْنَيْن ذي غُنَنِ[5]
قُوموا فقُولُوا: أميرَ المؤمنين لنا حَقٌّ عليك ومَنٌّ ليس كالمِنَنِ
فاكفُفْ دَعِيَّ زِيادٍ عن أكارمنا ماذا يُريدُ على الأحقادِ والإحَنِ[6]

فاجتمعت اليمانية إلى حُصَيْن، فعيّروه بما قاله ابن مُفرِّغ، فقال الحُصَيْن: ليس لي رأيٌ دُونَ يزيد بنِ أسد، ومَخرمة بن شُرَحْبيل، فأرسل إليهما، فاجتَمعوا في مَنزلِ الحُصَيْن، فقال لهما الحُصَيْن: اسمَعا ما أَهْدَى إليّ شاعرُكم وقاله لكم في أخِيكم ـ يعني نَفْسَه ـ وأنشدهم، فقال يَزيدُ بنُ أسَد: قد جِئتُكم بأعظَم مِنْ هذا، وهو قَولُه:

(١) أرقلت: أسرعت، من الإرقال وهو ضرب من الخبب.

(٢) مد: «إن لم يغتسلها». وفي ما: «إن لم نغتسلها». وفي ف: «إن لم نستقلها».

(٣) ب: «وبعث إلى ابن مفرغ رجلاً...» تحريف.

(٤) ف: «الحصن بن نمير».

(٥) الأجبه: العظيم الجبهة. والغنن جمع غنة، وهو صوت من اللهاة والأنف.

(٦) ب، ما، مد: «ماذا تريد إلى الأحقاد والإحن».

وما كنتُ حجّاماً ولكنْ أحَلَّني بِمنزلةِ الحَجّام نأْيي عن الأصلِ[١]

فقال الحُصَين: والله لقد أساءَ إلينا أميرُ المؤمنين في صاحِبنا مرّتين، إحداهما أنه هَرَب إليه فلم يُجِرْه، وأُخرى أنّه أمرَ بعَذابه غيرَ مُراقِب لنا فيه، وقال يزيدُ بن أسد: إنّي لأظن أنَّ طاعتَنا ستَفسدُ ويَمحوها ما فعل[٢] بابن مفرّغ، ولقد تطلّع من نفسي شيء، لَلموْت أحبُّ إليّ منه. وقال مَخرمةُ بنُ شُرَحْبيل: أيها الرَّجلان، اعقِلا فإنه لا مُعاوية لكما[٣]، واعرِفا أنّ صاحِبَكما لا تقدَح فيه الغِلْظة، فاقْصِدا التَّضرُّع، فركب القومُ إلى دِمشْق / وقدِموا [١٨/٧٦] على يَزِيدَ بن مُعاوية، وقد سَبَقهم الرَّجل، فنادَى بذلك الشِّعر يوم الجمعة على دَرَج مَسْجِد دِمشْق، فثارت اليمانية وتكلّموا، ومَشى بَعضُهم إلى بعض، وقدِم وفدُ القُرشيِّين في أمره مع طلحة الطَّلحات، فسبَقوا القُرشيِّين، ودخلوا على يَزِيدَ بن مُعاوية، فتكلم الحُصَينُ بن نُمَيْر، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم، وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي أتاه ابنُ زياد إلى صاحبنا، لا قرارَ عليه، وقد سامنا عُبيدُ الله وعَبّادٌ خُطَّةَ خَسْف، وقَلّدانا قِلادةَ عار، فأنصِف / كريمَنا من صاحِبه، فوالله لئن قدرْنا لنَعفُونّ، ولَئن ظُلِمنا لننتَصرنّ. وقال يزيد بنُ أسد: يا أمير المؤمنين، إنّا لو [٦٣/١٧] رَضينا بمُثْلَةِ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه، لم يَرْضَ الله عزّ ذكره بذلك[٤] ولئنْ تقرّبنا إليك بما يُسخطُ الله لَيُباعدنَّنا الله منك، وإن يَمانيّتك قد نَفَرتْ لصاحبها نَفرةً طار غُرابُها، وما أدري متى يقع، وكلّ نائرة[٥] تقدَح في المُلك وإن صَغرتْ لم يُؤمن أن تكبر، وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيما إذا كانت في أنفٍ لا يُجْدَع، ويد لا تُقْطَع، فأنْصِفنا من ابني زياد[٦].

وقال مَخْرَمَةُ بنُ شُرَحْبِيل، وكان مُتألِّهاً عظيمَ الطاعة في أهل اليمن: إنه لا يد تَحجُزك[٧] عن هواك، ولو مثَّلتَ بأخينا وتولّيتَ ذلك منه بنفسك لم يَقُم فيه قائم ولم يُعاتِبك فيه مُعاتِب، ولكنَّ ابنَيْ زياد استَخَفّانا[٨] بما يثْقل عليك من حقّنا، / وتَهاوَنا بما تُكرِمُه منّا، وأنت بيننا وبين الله، [٩] ونحن بينك وبين الناس[٩]، فأنصفنا من [١٨/٧٧] صاحِبَيْك، ولينفَعْنا بلاؤُنا عندك.

فقال يزيد: إنَّ صاحِبَكم أتَى عَظِيماً؛ نفى زِياداً من أبي سُفْيان، ونفى عَبّاداً وعُبَيْدَ الله من زِياد، وقَلّدَهم طوقَ الحمامة، وما شَجّعه على ذلك إلا نَسَبُه فيكم، وحِلفُه في قُرَيْش، فأمّا إذ بَلَغ الأمرُ ما أرى، وأشفَى بكم على ما أشْفَى، فهو لكم، وعليَّ رضاكم.

وفد القرشيين يقابل يزيد بن معاوية

قال: وانتهى القُرشيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم، وقال لِليَمانِيِّين: قد أتتكم بُرَى الذهب من أهل العراق،

(١) ف: «الأهل».
(٢) ف: «ما صنع».
(٣) يشير إلى حلم معاوية الذي مات، وغضب يزيد.
(٤) ف: «لم يرض الله عمّن رضي بذلك».
(٥) النائرة: العداوة والشحناء.
(٦) ف: «ابن زياد».
(٧) في ب، مد: «إنه لا يدع تحجزك عن هواك دون الله ولو مثلت... الخ».
(٨) ف: «استخفا بما يثقل عليك من حقنا».
(٩ ـ ٩) التكملة من ف.

فدخلوا وسلَّموا والغَضبُ يَتبيَّن[1] في وجوههم، فظنَّ يَزيدُ الظنون، وقال لهم: ما لكم؟ انفتَق فَتْقٌ أو حدَثَ حدَثٌ فيكم؟ قالوا: لا، فسكَن.

فقال طَلْحة الطَّلَحات:

يا أميرَ المؤمنين، أما كفى العربَ مالَقِيَتْ من زِياد، حتى استعْمَلْتَ عليها ولدَه يستكثِرُون لك أحقادَها، ويُبَغِّضُونك إليها، إنّ عُبَيْدَ الله وأخاه أتَيا إلى ابن مُفرِّغ ما قد بلغك، فأنصِفْنا منهما إنصافاً تَعْلَم العرب أنّ لنا منك خَلَفاً من أبيك، فوالله، لقد خَبأ لك فعلُهما خَبْئاً عند أهلِ اليمن لا تَحْمَدُه لك، ولا تَحْمَدُه لنفسِك.

وتكلّم خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فقال:

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ زِياداً رُبِّيَ في شَرِّ حِجْر، ونشأ في أخْبَث نَشْء، فأثْبتُّم نِصابَه في قريش، وحَمَلْتُموه[2] على رِقاب الناس، فوثَب ابناه على أخِينا وحَليفِنا / وحَليفك، ففَعلا به الأفاعِيل التي بَلغَتْك، وقد غضِبَتْ له قريشُ الحجاز ويَمنُ الشّام ممّن لا أُحِبُّ والله لك غَضَبه، فأنصِفْنا من ابنَيْ زِياد. [١٨/٢٧٨]

وتكلم أخوه أُميّةُ بنحو ممّا تكلم أخوه وقال:

والله يا أميرَ المؤمنين لا أحُطُّ رَحْلي، ولا أخلع ثِيابَ سفري، أو تُنْصِفنا من ابنَي زياد، أو تَعْلمَ العربُ أنك قد قَطعْتَ أرحامنا، ووصلْتَ ابنَي زِياد بقَطْعِنا، وحكمتَ بغير الحقّ لهما علينا.

وقال ابنُ مَعْمَر: يا أميرَ المؤمنين، إنّ ابنَ مُفرِّغ طالما ناضَل عن عِرْضِك وعِرْضِ أبيك وأعراضِ قومك، ورمى عن جَمْرة أهلك، وقد أتى بنو زِياد فيه ما لو كان مُعاويةُ حَيّاً لم يَرض به، وهذا رجل له شَرَفٌ في قومه، وقد نَفَرُوا له نَفْرة لها ما بعدها، فأعْتِبْهم وأنصِف الرجلَ[3] ولا تُؤثِر مَرْضاةَ ابنَي زِيادٍ على مَرْضاةِ الله عزّ وجلّ.

يزيد يرحب بالوفدين ويرسل من يطلق ابن مفرغ

فقال يَزيدُ: مرحباً بكم وأهلاً، والله لو أصابه خالدٌ ابني بما ذَكَرتم لأنصفتهُ منه، ولو رحلتم في جميع ما تُحِيط به العراق لوهَبْتُه لكم، وما عندي إلا إنصافُ المظلومِ، ولكنَّ صاحبكم / أسرَف على القَوْم. وكتبَ يَزيدُ ببناء داره، وردّ ماله وتَخْلِية سبيله، وألّا إمرةَ لأحد من بني زِياد عليه، وقال: لولا أنّ في القَوَد بعدما جرى منه فَساداً في المُلك لأقَدْتُه من عَبّاد. [١٧/٦٤]

وسرَّح يَزيدُ رجلاً من حِمْير يقال له خَمْخَام، وكتب معه إلى عَبّاد بن زياد: نَفْسَك نَفْسَك وأن تَسقُط من ابن مُفَرِّغ شَعْرَةٌ فأُقِيدَك والله به، ولا سُلطانَ لك ولا لأخيك ولا لأحدٍ غيري عليه، فجاء خَمْخامٌ حتى انتزعه جهاراً من الحبس[4] بمحضر الناس وأخرجه.

[١٨/٢٧٩] / **دخوله على يزيد وما دار بينهما**

قالوا: فلما دخل على يَزيدَ قال له: يا أمير المؤمنين، اختَر مِنِّي خَصْلةً من ثلاث خصال، في كلّها لي فَرَج،

(١) ف: «بيّن».

(٢) ب، مد، ما: «فأثبتهم نصابه في قريش وحملت... الخ».

(٣) ف: «فأعنهم وأنصفهم من الرجل».

(٤) ب، ما، مد: «من المجلس».

إما أن تُقِيدَني من ابن زِياد، وإما أن تُخَلِّي بيني وبينه، وإما أن تُقَدِّمَني فتضربَ عُنقي.

فقال له يَزيدُ: قَبَّح الله ما اخترته وخَيَّرتَنيه[١]؛ أما القَوَد من ابن زِياد فما كنتُ لأُقيدَك من عامل كان عليك، ظلمتَه وشتَمتَ عِرضَه وعِرضِي معه، وأما التَّخْلية بينك وبينه فلا، ولا كَرَامة، ما كنتُ لأُخَلِّي بينك وبين أهلِي تقطعُ أعراضَهم، وأما ضَرْبُ عُنُقِك، فما كنتُ لأضربَ عُنُقَ مسلم من غير أن يستَحِقَّ ذلك، ولكني أفعلُ ما هو خير لك مما اختَرْتَه لنفسك؛ أعطيك دِيَتَك، فإنهم قد عَرَّضُوكَ للقتل، واكفُفْ عن ولد زِياد، فلا يَبْلغنِي أنك ذكرتَهم، وانزِل أيَّ البلاد شئتَ، وأمر له بعشرة آلافِ درهم.

اعتذاره لعبيد الله بن زياد

فخرج حتى أتى المَوْصِل وأقام بها ما شاء اللهُ، ثم خَرَج ذات يوم يَتَصيَّد، فلقي دِهْقاناً على حمار له، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من العراق، قال: من أيِّها؟ قال: من البصرة، ثم من الأهواز[٢]، قال: فما فعل المَسْرُقان[٣]؟ قال: على حاله، قال: أفتعرِف أناهِيدَ بنت أعْنق؟ قال: نعم، قال: ما فعلت؟ قال: على أحْسَن ما عَهِدْت.

قال: فضَرَب بِرْذَوْنَه وسار حتى أتى الأهْوَازَ، ولم يعلم أهلُه ولا غيرُهم بمَسِيره.

ثم أتى عُبَيْدَ الله بنَ زِياد، فدخل عليه واعتذر إليه، وسأله الأمانَ فأمَّنه، ثم سأله أن يَكْتُب له إلى شَرِيك بن الأعور، فكتب له ووصَلَه.

عودته إلى البصرة وهجاؤه بني زياد

وخرج فأقام بكَرْمان حتى غَلَب ابنُ الزُّبَير على العراق، وهرب ابنُ زِياد / وكان أهلُ البصرة قد أجمعُوا على [١٨/٢٨٠] قَتله، فخرج عن البصرة هارباً، فعاد ابن مُفَرِّغ إلى البصرة، وعاود هِجاءَ بني زِياد، فقال يذكر هَرَب عُبَيْد الله وتَركَه[٤] أمَّه بقوله:

أعُبَيْدُ هَلاَّ كنتَ أوَّلَ فارِسٍ ... يومَ الهِياجِ دعا بحَتْفِك داعِ
أسلمْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ تَنوشُها ... يا ليتَني لكَ ليلةَ الإفزاعِ
إذ تَسْتغيثُ وما لنفسِك مانعٌ ... عبدٌ تَرُدُّه بدارِ ضَيَاعِ
هلاَّ عجوزَك إذ تُمَدُّ بثَدْيِها ... وتَصيحُ ألاّ تَنْزِعُنَّ قِناعِي
أنقذتَ من أيدي العُلوجِ كأنها ... رَبْداءُ مُجفِلةٌ ببطنِ القاعِ[٥]
فركبتَ رأسَك ثم قلتَ: أرى العِدَا ... كَثُرُوا وأخلفَ مَوْعِدي أشياعِي[٦]
فانْجي بنفْسِك وابتغي نَفَقاً فما ... لي طاقةٌ[٧] بكِ والسلامُ وَداعِي

(١) ف: «وخيرته».
(٢) ب، ما، مد: «من الإيوان».
(٣) المشرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى («معجم البلدان»).
(٤) ف: «ويذكر أمه».
(٥) «المختار»، ف: «من أيدي العبيد». والربداء: السوداء الضاربة إلى الغُبرة. يشبهها بالنعامة. وفي ف: «ربداء مخلفة».
(٦) ب: «وأخلف موعد الأشياع».
(٧) ف، «المختار»: «لي حيلة».

ليسَ الكَريمُ بمَنْ يُخلِّفُ أُمَّه ... وفَتاتَه في المَنزِلِ الجَعْجاعِ[1]
حَذَرَ المَنيَّةِ والرِّماحُ تَنوشُه ... لم يَرْمِ دونَ نِسائِه بكُراعِ[2]
مُتأبِّطاً سيفاً عليهِ يَلْمَقٌ[3] ... مثلَ الحِمارِ أثَرْتَه بِيَفاعِ

٦٥/١٧

/ لا خيرَ في هَذِرٍ يهُزُّ[4] لسانَه ... بكلامِه والقلبُ غيرُ شُجاعِ
لابنُ الزُّبيرِ غَداةَ يَذْمُرُ[5] مُنذِراً ... أوْلى بغايَةِ كلِّ يومِ وِقاعِ
وأحقُّ بالصبرِ الجميلِ من امرئٍ ... كَزٍّ أناملُه قصيرِ الباعِ
جَعْدِ اليدينِ عن السَّماحةِ[6] والنَّدى ... وعنِ الضَّريبةِ فاحِشٍ مَنّاعِ

[٢٨١/١٨]

/ كم يا عُبَيْدَ اللهِ[7] عندكَ من دَمٍ ... يسعَى ليُدرِكَه بقَتلِكَ ساعِ
ومَعاشِرٍ أَنُفٍ أبحتَ حريمَهم ... فرَّقتَهم من بعدِ طُولِ جِماعِ
اذكُرْ حُسَيْناً وابنَ عُروةَ هانئاً ... وابنَي عَقيلٍ فارسَ المِرْباعِ

وقال أيضاً يذكر هربه:

أقَرَّ بعيني أنَّه عَقَّ أُمَّه[8] ... دَعتْه فولّاها اسْتَه وهو يَهرُبُ
وقال: عليكِ الصبرَ كُوني سَبيَّةً ... كما كنتِ أو مُوتي؛ فذلك أقربُ
وقد هتفتْ هندٌ: بماذا أمرتَني؟ ... أَبِنْ لي وحدِّثْني إلى أينَ أذهبُ؟
فقال: اقْصِدي للأزْدِ في عَرَصاتِها[9] ... وبَكْرٍ فما إن عَنهُمُ مُتجنَّبُ
أخافُ تَميماً والمَسالِحُ[10] دونَها ... ونيرانُ أعدائي عليَّ تلهَّبُ
ووَلّى وماءُ العينِ يَغسِلُ وَجْهَها[11] ... كأنْ لم يكُنْ والدهرُ بالناسِ قُلَّبُ
بما قَدَّمَتْ كفّاكَ لا لكَ مَهربٌ ... إلى أيِّ قومٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ
فكمْ من كَريمٍ قد جَرَرْتَ جَريرةً ... عليهِ فمَقبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ
ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامتْ بسُحْرةٍ ... تُبكّي قتيلاً أو صَدًى يَتأوَّبُ[12]
فصبراً عُبَيْدُ بنَ العَبيدِ فإنما ... يُقاسي الأُمورَ المُسْتعِدُّ المُجرِّبُ
وذُقْ كالذي قد ذاقَ منكَ مَعاشِرٌ ... لَعِبتَ بهِم إذ أنتَ بالنّاسِ تلعَبُ

(١) الجعجاع: الضيق الخشن الغليظ.
(٢) الكراع: الخيل. ويقال: فلان ما ينضح الكراع أي ضعيف الدفاع.
(٣) اليلمق: القباء.
(٤) ف: «يهد لسانه».
(٥) يذمر: يهدد.
(٦) ب، ف: «على السماحة».
(٧) ف: «يا عدي الله».
(٨) ب: «أقر عبيد والسيوف عن أمه».
(٩) العرصة: ساحة الدار، وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء.
(١٠) المسالح جمع مسلحة وهي موضع السلاح أو القوم ذوو السلاح.
(١١) ف: «يغسل جفنها».
(١٢) ف: «وكم حُرّة زهراء». وفي ب، ما: «أو فتى يتأوب». ويتأوب: يرجع.

فلـو كنـتَ حُـرّاً أو حَفِظْـتَ وَصِيَّـةً | عطَفْـتَ علـى هِنْـدٍ وهِنْـدٌ تُسَحَّـبُ
/ وقـاتلـتَ حتـى لا تُـري لـك مَطْمَعـاً[1] | بسَيْفِـك فـي القـومِ الـذيـن تَحـزَّبُـوا [١٨/٢٨٢]
وقلـتَ لأُمِّ العَبْـدِ أُمِّـك: إنـنـي | وإن كَثُـر الأعـداءُ حـامٍ مُـذَبِّـبُ[2]
ولكـن أبَـى قلـبٌ أُطِيـرَتْ بَنـاتُـه[3] | وعِـرْقٌ لكـم فـي آل مَيْسـان يَضـرِبُ

وقال في ذلك أيضاً:

ألا أبلِـغْ عُبَيْـدَ اللهِ عنِّـي | عُبيـدَ اللُّـؤمِ عبـدَ بنـي عِـلاجِ
عَلـيَّ لكـم قـلائـدُ بـاقِيـاتٌ | يُثِـرْنَ عليكُـم نَقْـعَ العَجـاجِ
تَـدَّعيـتَ الخضـارِمَ مـن قُـريـشٍ | فمـا فـي الـذِّيـن بعـدك مـن حِجـاجِ[4]
أبِـنْ لـي هـل بِيثْـرِبَ زَنْـدُ وَرْدٍ | قُـرَى آبـائِـكَ النَّبَـطِ العَجـاجِ![5]

وقال فيه أيضاً:

عُبَيْـدُ اللهِ عَبْـدُ بنـي عِـلاجٍ | كـذاكَ نَسِيتُـه وكـذاكَ كـانـا
أعبْـدَ الحـارثِ الكِنـديِّ ألاَّ | جعلـتَ لإسْتِ أُمِّـك دَيْـدبـانـا[6]
/ فتسْتُـرَ عَـورةً كـانـتْ قـديمـاً | وتمنـعَ أُمَّـك النَّبَـطَ البِطـانـا ٦٦/١٧

وقال يَهجُو عُبَيْد اللهِ وعَبّاداً، أنْشَدْناه جماعة، منهم هاشِمُ بن محمد الخُزاعيُّ، عن دَماذ، عن أبي عُبَيْدة، وهذا من قصيدة له طوِيلة أوّلها:

جـرَتْ أُمُّ الظِّبـاء بِبَيْـنِ لَيلـى | وكـلُّ وِصـالِ حَبْـلٍ لانقطـاعِ

/ يقول فيها: [١٨/٢٨٣]

ومـا لاقيـتُ مـن أيـام بُـؤْس[7] | ولا أمْـرٍ يَضيـقُ بـه ذراعِـي
ولـم تَـكُ شِيمتِـي عَجْـزاً وَلُـؤْمـاً | ولـم أكُ بـالمُضلَّـل فـي المَسـاعـي
سِـوَى يَـومِ الهَجِيـن ومَـنْ يُصـاحِـبْ | لئـامَ النـاس يُغْـضِ علـى القَـذاعِ[8]
حَلفـتُ بـرَبِّ مَكّـةَ لـو سـلاحـي | بكفـي[9] إذ تُنـازعنـي مَتـاعِـي
لبـاشَـرَ أُمَّ رأسِـك مَشْـرَفـيٌّ | كـذاكَ دَواؤنـا وجـعِ الصُّـداعِ

---

(١) ف: «مطعما».

(٢) مذبب: مدافع.

(٣) ب: «ثيابه».

(٤) ف: «خلاج». والخضارم جمع خضرم، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء.

(٥) ما، مد: «بربي إيليا النبط العجاج». وفي ب، س: «فربي إيليا...». وزندورد: بلد قرب واسط، والعَجاجُ: رعاع الناس («قاموس»).

(٦) الديدبان: الرقيب.

(٧) ف: «شرّ».

(٨) القذاع: الفحش والمشاتمة.

(٩) ف: «لو بكفي سلاحي».

أَفِـي أَحسـابِنـا تُـزرِي علينـا ... هُبِلْـتَ وأنـتَ زائـدةُ الكُـراع[1]
تبغَّيْـتَ الـذُّنـوب علـيّ جَهْـلاً ... جُنُـونـاً مـا جُننـتَ ابـنَ اللَّكـاعِ[2]
فمـا أسفـي علـى تَـرْكـي سَعِيـداً ... وإسحـاقَ بـنَ طَلحـةَ واتّبـاعِـي
ثَنـايـا الـوَبْـر عبـدَ بنـي عِـلاجٍ ... عُبَيْـدَةَ[3] فقُـعُ قَـرْقَـرةٍ بِقـاعِ
إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـت لمجـد ... وودّع أهلُهـا خيـرَ الـوَداعِ
فـأيْـرٌ فـي أَسـتِ أمّـك مـن أميـر ... كـذاك يقـال للحَمـق اليَـراع[4]
وَلا بُلَّـتْ سمـاؤُك مـن أميـرٍ ... فبئـس مُعَـرَّسُ الـرَّكْـب الجِيـاعِ[5]
ألـم تَـرَ إذْ تُحـالِـف حِلْـفَ حَـرْبٍ ... عليـك غَـدَوْت[6] مـن سَقَـط المَتـاعِ
وكـدتَ تَمُـوتُ أنْ صـاح ابـنُ آوَى ... ومثلُـك مـات مـن صـوت السِّبـاعِ
ويَـوْمَ فَتَحـتَ سيفَـك مـن بَعيـدٍ ... أُضِعـتَ وكـلُّ أمـرِك للضَّيـاعِ
[١٨/٢٨٤] / إذا أودَى مُعـاويـةُ بـنُ حَـرْبٍ ... فبشِّـرْ شَعْـبَ قَعْبِـك[7] بـانْصـداعِ
فـأشهـدُ أنَّ أمّـك لـم تُبـاشِـر ... أبـا سُفيـانَ واضعـةَ القِنـاعِ
ولكـن كـانَ أمـراً فيـه لَبْـسٌ ... علـى عَجَـلٍ شـديـدٍ وارْتِيـاعِ

قال: وكان عبّاد في بعض حروبه ذاتَ لَيلة نائماً في عسكره، فصاحت بنَاتُ آوى، فثارت الكِلابُ إليها، ونفر بعضُ الدَّوَابّ ففزع عَبّاد وظنها كَبْسَةً من العدوّ، فركب فرسه ودَهِش، فقال: افتَحوا سيفي، فعيّره بذلك ابنُ مفرّغ.

ومما قاله ابن مُفرّغ في هجاء بني زياد وغُنّي فيه:

صوت

كـم بـالـدُّروب وأرضِ الهندِ مـن[8] قَـدَمٍ ... ومِـنْ جَمـاجـم قَتلَـى مـا هُـمُ قُبِـرُوا
ومـن سَـرابيـلِ أَبطـالٍ مُضـرَّجَـةٍ ... ساروا إلى الموت ما خامُوا[9] ولا ذُعِرُوا
بقُنْـدُهـارَ[10] ومَـنْ تُخْتَـمْ مَنِيَّتُـهُ ... بقُنْـدهـارَ يُـرجَّـم دونَـه الخَبَـرُ

غنَّى في هذه الأبيات ابنُ جامع:

أَجَـدَّ أهلُـك، لا يـأتيهـمُ خَبَـرٌ ... منّـا ولا منهـم عَيْـنٌ ولا أثَـرُ
[٦٧/١٧] / ولـم تكلّـم قُـرَيْـش فـي حَلِيفِهـمُ ... إذ غـابَ أنصارُه بـالشّـام واحتُضِـروا

---

(١) ف: «وأنت هبلت زائدة الكراع». والكراع من كل شيء: طرفه.

(٢) امرأة لكاع: لئيمة، ولم يرد هذا البيت في ف.

(٣) ف: «عبيدا». والوبر: حيوان في حجم الأرنب.

(٤) اليراع: الجبان. وجاء هذا البيت في ف مكان الذي قبله.

(٥) «ولا بلت سماؤك»: يدعو عليه بالجدب. والمعرّس: مكان التعريس أي النزول.

(٦) ف: «عددت».

(٧) القعب: القدح الضخم. وفي «المختار»: «شعب قلبك».

(٨) ب، ما، مد: «... وأرض الروم من قرم». وفي «معجم ياقوت»: «كم بالجروم...».

(٩) خاموا: جبنوا. وفي ف: «ما خافوا».

(١٠) في «معجم ياقوت»: قندهار: مدينة من بلاد السند أو الهند، سار إليها عباد بن زياد وفتحها.

لَــو أَنَّنِــي شَهِــدَتْنِــي حِمْيَــرٌ غَضِبَــتْ إذاً فكــــان لهـــا فيمـــا جَــرَى غِيَـــرُ
رَهْــطُ الأَغَــرِّ شَــرَاحِيــلٍ بــن ذِي كَلَــعٍ ورهــطُ ذي فــائــشٍ مــا فــوقهــم بَشَــرُ[1]
قُــولاَ لطَلْحَــةَ مــا أَغْنَــتْ صَحِيفتكــم وهــل لجــارك إذ أوردتَــه صَــدَرُ!
/ فمَــنْ لنــا بشَقِيــقٍ أو بــأُسْــرتــه ومَــنْ لنــا ببنــي ذُهْــلٍ إذا خَطَــرُوا! [١٨/ ٢٨٥]
هُــمُ الــذيــنَ سمَــوْا والخيــلُ عــابِسَــةٌ والنــاسُ عنــد زيــاد كلهــم حَــذِرُ
لــولاهُــمُ كــان ســلاَّمٌ بِمَنْــزِلتــي أَوْلَــى لهــم ثــمَّ أولَــى بعــدمــا ظَفِــرُوا!

أخبرني محمد بنُ خَلَف، عن أبي بكر العامريّ، عن إسحاق بنِ محمد، عن القَحْذَمِيّ[2] قال: هجا سلامٌ الرّافعيُّ مُقاتِلَ[3] بنَ مِسْمَع فقال فيه:

أَبَــى لــك يــا ذا المَجْــدِ أنَّ مُقــاتِــلاً زَنَــى واستَحَــلَّ الفــارِسِــيَّ المُشَعْشَعــا[4]

في أبيات هَجاه بها فحَبَسه مقاتل بالعربة[5] فركب شَقِيقُ بنُ ثَوْر في جماعة من بَنِي ذُهْل إلى الحَبْس فأخرجه؛ فضَرَب به ابنُ مفرّغ المَثَل في الشِّعر الماضي.

أخبرني محمدُ بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان، قال: حدَّثني أبو عبد الله اليمانيُّ، قال: حدَّثنا الأصمَعِيُّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال:

قال لي عُبَيْدُ الله بنُ زِياد: ما هُجِيتُ بشيءٍ أشدَّ عليَّ من قَوْل ابنِ مُفَرِّغ:

فكِّــرْ؛ ففــي ذاك إن فَكَّــرْتَ مُعْتَبَــرٌ هــل نِلْــتَ مَكــرُمَــةً إلا بتَــأْميــرِ!
عــاشَــتْ سُمَيَّــةُ مــا تَــدْرِي وقــد عَمِــرَتْ أنَّ ابنَهــا مــن قُــرَيْــشٍ فــي الجَمــاهِيــرِ

وروى[6] اليَزِيدِيُّ في رِوايته عن الأَحْوَل: قال أبو عبيدة:

كان زِياد يزعمُ أنَّ أُمَّه سُمَيَّة بنتَ الأعور من بني عبد شَمْس بن زيد مَناة بن تَميم، فقال ابنُ مفرّغ يرُدّ ذلك عليه:

فــأُقْسِــمُ مــا زِيــادٌ مــن قُــرَيْــشٍ ولا كــانــت سُمَيَّــةُ مــن تميــمِ
ولكــنْ نَسْــلُ عَبْــدٍ مــن بَغِــيٍّ عــريــقِ الأصــلِ فــي النَّسَــبِ اللَّئِيــمِ

/ يتابع هجاء ابن زياد ويرميه بالأُبنة [١٨/ ٢٨٦]

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد قال: حدَّثنا أبو غَسَّان دَماذ قال: أنشدني أبو عُبَيْدة لابن مُفرِّغ يَهْجو ابنَ زِياد ويرميه بالأُبْنَة:

أَبلِــغْ قُــريشــاً قَضَّهــا وقَضِيضَهــا أهــلَ السَّمــاحَــةِ والحُلُــومِ الــرَّاجِحَــهْ

(١) ب: «ذي قابس». وفي ما: «ما مثلهم بشر».
(٢) ما، مد، ب: الفخذمي «تصحيف». والقحذمي هو الوليد بن هشام القحذمي.
(٣) ف: «مهلهل بن مسمع».
(٤) ب، مد: «أما لك . . .». واستحل الفارسيّ المُشَعْشَعا يريد الخمر.
(٥) العربة: موضع. وفي مد: «بالغربة»، تصحيف. وفي ب: «بالغرفة»، تحريف.
(٦) ف: «وقال اليزيدي».

أنّــي ابتُلِيــت بحَيَّــةٍ ســاوَرْتُــه[١] بيَــدٍ لعَمْــرِي لــم تكُــن لِــيَ رابِحَــهْ
صَفَــقَ المُبَخَّــلِ صَفْقــةً ملعُــونَــةً جــرَّتْ عليــه مــن البــلايــا فــادِحَــهْ[٢]
شتّــانَ مَــنْ بَطحــاءُ مَكَّــةَ دارُه وبَنُــو المُضــافِ إلــى السِّبــاخ المــالحــهْ
جَعُــدَتْ أنــامِلُــه ولامَ نِجــارُه وبــذاك تُخبِــرُنــا الظِّبــاءُ الســانِحَــهْ
فــإذَا أُمَيَّــة صَلْصَلَــتْ أحســابُهــا فبَنُــو زيــاد فــي الكــلاب النّــابِحَــهْ
قــالــوا: بُنــاكُ، فقلــتُ: فــي جَــوْفِ استِــه وبــذاك خَبَّــرنــي الصَّــدوقُ الفــاضِحَــهْ
لــم يبــقَ أيــرٌ أســودٌ أو أبيــضٌ إلاّ لــه استُــكَ فــي الخَــلاءِ مُصــافِحَــهْ

مقتل عبيد الله وشعر ابن مفرغ في ذلك

وأخبرني إبراهيم بنُ السريّ بن يحيى، قال: حدَّثني أبي، عن شعيب، عن سيف، قال:

٦٨/١٧ لما قُتِل / عُبَيْدُ الله بن زياد يوم الزّاب، قَتَلَهُ أصحابُ المُخْتار بن أبي عُبَيد ويقال: إن إبراهيمَ بنَ الأشْتَر حمل على كَتِيبته فانهَزَموا، ولَقِيَ عُبَيْدَ الله فضَرَبه فقتله، وجاءه إلى أصحابه فقال: إنّي ضربتُ رجلاً فقدَدْتُه نِصْفَين فشرَّقَتْ يداه وغَرَّبتْ رِجْلاه، وفاح منه المِسْك، وأظنُّه ابنَ مَرْجانةَ، وأومأ لهم إلى مَوْضِعه، فجاءُوا إليه وفَتَّشُوا عليه، فوجدوه كما ذكر، وإذا هو ابنُ زِياد، فقال ابنُ مُفرِّغ يَهْجُوه:

إنّ الّــذي عــاش خَتّــاراً[٣] بــذِمَّتِــه وعــاش عَبْــداً قَتِيــلُ الله بــالــزَّابِ
العَبْــدُ للعَبْــد لا أصْــلٌ ولا طَــرَفٌ[٤] ألْــوَتْ بــه ذاتُ أظْفــارٍ وأنيــابِ
إن المَنــايــا إذا مــا زُرْنَ[٥] طــاغِيَــةً هَتَكْــنَ عنــه سُتــوراً بيــن أبْــوابِ
/ هَــلاّ جُمــوع نِــزار إذا لقِيتَهــمُ كنــتَ امــرَأً مــن نِــزارٍ[٦] غيــر مُــرتــابِ
لا أنــتَ زاحَمْــت عــن مُلْــكٍ فتمنَعــه ولا مَــدَدْت إلــى قَــوْم بــأسْبــابِ[٧]
مــا شُــقَّ جَيــبٌ ولا نــاحَتْــك نــائِحــةٌ ولا بَكَتْــك جِيــادٌ عنــد أســلابِ
لا يتــركُ اللهُ أنفــاً تَعْطِسُــون بهــا بنــي العَبِيــد شُهــوداً غيــرَ غُيَّــابِ
أقــولُ بُعْــداً وسُحْقــاً عنــد مَصْــرعــه لابــن الخَبِيثَــةِ وابــن الكَــوْدَنِ الكَــابِي[٨]

[١٨/٢٨٧]

الحسين بن علي يتمثل بالبيتين الأخيرين من هذه القصيدة

والقَصِيدَةُ المَذْكُورَة بها غِناء فيه منها، وقال:

حَــيِّ ذَا الــزَّوْرَ وانهَــهُ أن يَعُــودَا إنَّ بــالبــاب حــارِسيــنَ قُعُــودَا

(١) ب: «ساورتهم». والحية: الأفعى (تذكر وتؤنث) فيقال: هو الحية وهي الحية.
(٢) لم يرد هذا البيت والذي بعده في ف.
(٣) الخَتَّار: الغادر.
(٤) الطرف: الشريف.
(٥) ب: «رزن».
(٦) ف، «التجريد»: «من قريش».
(٧) «التجريد»، ف: «بأحساب».
(٨) الكودن: البرذون الهجين أو البغل. والكابي: المنكب على وجهه.

مــن أســاوِيــرَ مــا يَنُــون قِيــامــاً   وخَــلاخيــلَ تُــذْهِــل المَــوْلُــودا
(١) وطمــاطِيــمَ مــن مشــايــخ جُــونٍ(٢)   ألْبَسُــونــي مــع الصَّبــاح قُيُــودَا
أيّ بلــوى معيشــة قــد بلَــوْنــا   فنعِمْنــا ومــا رَجــونــا خُلــودا
ودهــورٍ لَقِيتَنــا مُــوجِعــاتٍ   وزمــانٍ يُكسِّــر الجلمــودا
فصبــرنــا علــى مــواطــن ضِيــقٍ   وخطــوبٍ تُصَيِّــر البِيــضَ سُــودا
ظــلّ فيهــا النصيــحُ يُــرسِــل سِــرًّا   لا تُهــالَــنّ إن سمعــتَ الــوعيــدا
أفــإنْــسٌ مــا هكــذا صَبْــرُ إنْــسٍ   أم مــن الجِــنّ أم خُلِقــتَ حَــدِيــدَا
لا ذَعَــرْتُ السَّــوامَ فــي فَلَــق الــصبــح مغيــراً ولا دُعِيــتُ يــزيــدا(٣)
يــومَ أُعطِــي مخــافــةَ المــوت ضَيْمــاً   والمنــايــا يــرصُــدنَنِــي أن أحيــدا (١)

/ قال: وهي قصيدة طويلة. [١٨/٢٨٨]

وتَمثَّل الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ صَلوات الله عليه بهذَيْن البَيْتَيْنِ لَمَّا خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد:

لا ذَعَــرْتُ السَّــوامَ فــي فَــلَــق الــصُّــبْــح مُغِيــراً ولا دُعِيــتُ يَــزِيــدَا
يــوم أُعطِــي مَخــافَــةَ المَــوْتِ ضَيْمــاً   والمَنــايَــا يَــرْصُــدْنَنِــي أن أحِيــدَا

حدَّثني أحمدُ بنُ عِيسَى أبو مُوسَى العِجْليّ العَطَّار بالكوفة قال: حدَّثني الحُسَين(٤) بن نصر بن مُزاحم المِنقريّ، قال: حدَّثَني أبِي، قال: حدَّثنا عمر بن سعد، عن أبي مِخْنَف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبي سعيد المَقْبريّ قال:

والله لرأَيْتُ حُسَيْناً عليه السلام وهو يمشي بين رَجُلَين، يعتمِد على هذا مَرَّة، وعلى هذا مرة، حتى دَخَل المَسْجِد وهو يقول:

لا ذَعَرتُ السَّوام. . . . . البيتين.

قال: فقلت عند ذلك إنّه لا يلبَثُ إلا قليلاً حتى يَخْرُج، فما لَبِث أن خَرَج فلَحِق بمكة، فلما خَرَج من المَدِينة قال: ﴿فخَرج منها خائفاً يَتَرقَّب قال: ربِّ نَجِّني من القَوْمِ الظَّالِمين﴾(٥). ولما تَوجَّه نحو مكة قال: ﴿ولما تَوجَّه تِلقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسَى رَبِّي أن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيل﴾(٦).

مروان بن الحكم يعطيه ويكسوه

أخبرني جَعفرُ بن قُدامة، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدَّثني عليّ بن الصبَّاح، عن ابن الكلبيّ قال:

لما قَدِم ابنُ مُفرِّغ إلى مُعاوِية مع خَمْخام الذي وجَّهه إليه، فانتزعه من عبَّاد بن زياد، نزل على مروان بن

(١ ـ ١) التكملة من ف.
(٢) «الشعر والشعراء» ١ ـ ٣٢٢: «وطماطيم من سبابيج غتم». والطماطيم: الأعاجم في لسانهم طمطمة أي عجمة لا يفصحون.
(٣) مد، ما: «لا دعوت». وفي «الشعر والشعراء» ١ ـ ٣٢٢: «لا ذعرت السوام في غلس الليل».
(٤) ب، مد، ما: «الحسن بن نصر».
(٥) القصص / ٢١.
(٦) القصص / ٢٢.

٦٩/١٧ الحكم وهو يومئذ عند معاوية، فأعطاه وكساه، وقام بأمره واسترفد له كُلَّ مَنْ قدر عليه من بَنِي أبي العاص[١] / بن أمية، فقال ابنُ مُفَرِّغ يَمْدَحُه من قصيدته:

[١٨/٢٨٩] / وأقمتُــمُ سُــوقَ الثَّنــاء ولــم تكُــن سُــوقُ الثَّنــاءِ تُقــامُ فــي الأسْــواقِ[٢]

فكــأنمــا جَعَــل الإلَــهُ إليكُــمُ قَبْــضَ النُّفُــوسِ وقِسْمَــةَ الأرزاقِ

كان يهوى أناهيد بنت الأعنق

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ، قال: حدَّثنا أبو غَسَّان دَماذ، عن أبي عبيدة قال:

كان ابنُ مُفَرِّغ يهوَى أناهِيدَ بنتَ الأعنق، وكان الأعنَق دِهْقاناً من الأهواز، له ما بين الأهْواز وسُرَّقَ ومَناذِر والسُّوس، وكان لها أخوات يقال لهنَّ أسماءُ والجُمَانَةُ، وأخرى قد سقط عن دَمَاذ، فكان يذكُرُهن جميعاً في شعره، فمن ذلك قولُه في صاحبتِه أناهِيد من أبيات:

سِيــرِي أنــاهِيــدُ بــالعَيْــرَيْــنِ آمنــةً قــد سلَّــم اللهُ مــن قــومٍ بهــم طَبَــع[٣]

[٤] لا بــارك الله فيهــم معشــراً جُبُنــاً ولا سقــى دارَهــم قَطْــراً ولا رُبِعــوا

الســارقيــن إذا جــاءوا نَــزِيلَهُــمُ والأخبَثِيــن بطُــونــاً كلمــا شَبِعُــوا

لا تــأمَنَــنَّ جِــزامِيّــاً نَــزلــتَ بــه قــوم لــديهــم تناهــى اللُّــؤمُ والضَّرَعُ

جــاوِرْ بنــي خَلَــفٍ تَحْمَــدْ جِــوارَهُــمُ الأعْظَمِيــنَ دفــاعــاً كلمــا دفعــوا

والمطعِمِيــن إذا مــا شَتْــوَةٌ أزَمَــتْ فــالنــاس شتّــى إلــى أبــوابهــم شَــرَعُ[٥]

هــم خيــر قَــومهــمُ إن حَــدَّثــوا صدقــوا أو حــاولــوا النفــعَ فــي أشيــاعهــم نفعــوا

المــانعيــن مــن المخــزاة جــارَهُــمُ والــرّافعيــن مــن الأدنَيْــنَ مــا صَنَعُــوا

انــزِلْ بطلحــةَ يــومــاً إنّ مَنْــزِلَــه سَهــلُ المبــاءَة بــالعليــاء مــرتفــع [٤]

وفي أسماء أختها يقول:

[١٨/٢٩٠] / تَعلَّــق مــن أسمــاءَ مــا قــد تَعَلَّقــا ومثــل الــذي لاقَــى مــن الحُــبّ[٦] أرّقــا

وحَسْبُــكَ مــن أسمــاءِ نَــأيٌ وأنهــا إذا ذُكِــرتْ هــاجَــتْ فُــؤاداً مُعَلَّقــا

سَقَــى هَــزِمُ الإرعــادِ مُنْبَجِــسُ العُــرَى منــازلَهــا بــالمَشْــرُقَــانِ فَسُــرَّقــا[٧]

وتُستَــر[٨] لا زالــت خَصِيبــاً جنــابُهــا إلــى مَــدْفَــعِ السُّــلّانِ مــن بطــن دَوْرَقــا

---

(١) ف: «من بني العاص بن أمية».

(٢) ف: «وأقام سوقاً للثناء... تعد في الأسواق».

(٣) الطبع: الشَّيْن والعيب.

(٤ ـ ٤) التكملة من ف.

(٥) يقال: الناس في هذا شرع أي سواء.

(٦) ف، و «شرح نهج البلاغة»: «من الشوق». وفي «معجم البلدان»: «من الوجد».

(٧) «معجم البلدان»: «من مسرقان فسرقا»، ومسرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى. وفي ف: «بالمشرقان فشرقا» تصحيف. وسُرّق إحدى كُوَر الأهواز. وفي «شرح نهج البلاغة»: «منبعج الكلى» بدل «منبجس العرى».

(٨) تستر: أعظم مدينة بخوزستان («ياقوت»).

إلى الكَوثَج الأعلى إلى رامَهُرمُزٍ … إلى قَريات الشَّيحِ من فوق سَفْسَقا[١]

رامهرمز: بلد من أعمال الأهواز معروف.

بِلادُ بناتِ الفارسيةِ إنَّها … سقتنا على لَوحٍ شراباً مُعتَّقا[٢]

يترك زوجته عند أخواله ويذهب إلى محبوبته أناهيد

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا الكُرانِيّ، قال: حدثنا العُمَريّ، عن الهيثم بن عديّ، وأخبرنا هاشم بن محمد قال: حدثنا دَماذُ أبو غَسَّان، عن أبي عبيدة، قالا:

لما فَصَل ابنُ مُفرِّغ من عند معاوية، نزَل بالمَوْصل على أقواله من آل ذي العشراء من حمير، قال الهيثم في روايته: فزوَّجوه امرأةً منهم ـ ولم يذكُر ذلك أبو عُبَيْدة ـ فلما كان اليوم الذي يكونُ البناء في لَيلَته، خرج يتَصيَّد ومعه غلامه بُرد، فإذا هو بدهقان[٣] على حمار يبيع عِطراً وأدهاناً. فقال له ابنُ مفرِّغ: من أين أقبلت؟ قال: من الأهواز، قال: ويحك! كيف خلّفت المَسرُقانَ وبَرْدَ مائه؟ قال: على حاله، قال: ما فعلتْ دِهْقانَةٌ يقال لها أناهِيدُ بنت أعنق؟ قال: أصديقةُ ابنِ مُفرِّغ؟ قال: نعم، قال: ما تَجفُّ جُفونُها من البكاء عليه، فقال لغلامه: أيْ بُرد، أما تسمع؟ / قال: [١٨/ ٢٩١] بَلى، قال: هو بالرَّحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها، فقال له بُرد: أكرمك القومُ وقاموا دُونك، وزوَّجوك كريمَتَهم، ثم تصنع هذا بهم، وتُقدِم على ابن زِياد بعد خلاصك منه من غير أمْرِه ولا عَهْد منه ولا عَقْد! أبْقِ أيها الرجل على نفسك، وأقم بمَوْضِعِك، وابنِ بأهلِكَ، وانظُر في أمرك، فإن جَدَّ عَزْمُك كنتَ حينئذ وما تختاره. قال: دَعْ ذا عنك، هو بالرحمن كافر إن عَدَل[٤] عن الأهواز ولا عرَّج على شيء غيرها، ومضى لوجهه من غير أن يُعلِم أهلَه، وقال قصيدته:

سَمَا[٥] برقُ الجُمانةِ فاستَطَارا … لعلّ البرقَ ذاك يَحورُ[٦] نارا

فعدتُ له العِشاءَ فهاج شَوقي … وذكَّرني المَنازِلَ والدِّيارا

دِيارٌ للجُمانةِ مقفِراتٌ … بَلِينَ وهِجْن للقَلب ادِّكارا

/ فلم أملِك دُموعَ العَيْن منِّي … ولا النَّفسَ التي جاشَت مِرارا

٧٠/١٧

بسُرَّقَ فالقُرَى من صَهرتاجٍ[٧] … فدير الراهب الطلل القِفارا

فقلتُ لصاحبي: عرِّجْ قَليلاً … نُذاكِرْ شوقَنا الدُّرسَ البَوارا

بآيةِ ما غَدَوْا وهُمُ جَميعٌ … فكاد الصبُّ ينتَحِر انْتِحارا

فقال: بكَوْا لفقدك منذُ حِينٍ … زماناً ثم إنَّ الحَيَّ سَارا

بدِجْلَةَ فاستمرَّ بهم سَفِينٌ … يَشُقُّ صُدُورُها اللُّجَجَ الغِمارا

كأن لم أغْنَ في العَرَصاتِ منها … ولم أذْعَرْ بقاعَتِها صُوَارا[٨]

(١) ف: «إلى الكرج». وفي «شرح البلاغة»: «إلى الشرف الأعلى... إلى قريات الشيخ من أنهر أربقا».
(٢) ف: «نبات» بدل «بنات»، و«شراباً مروقاً» بدل «شراباً معتقاً».
(٣) ب، مد، ما: «بدهان».
(٤) ف: «إن عاج عن الأهواز».
(٥) ب، ما، مد: «سقى».
(٦) يحور: يرجع.
(٧) ب، ما، مد: «صهرباج»، تصحيف، وهي موضع بالأهواز. («معجم ياقوت»).
(٨) الصوار (بالضم ويكسر): القطيع من البقر.

ولـــم أسمـــع غِنـــاءً مـــن خَليـــل وصـــوتَ مُقَـــرْطَـــقٍ خَلَـــعَ العِـــذَارا[١]

[١٨/٢٩٢] قال: فقدِم البصرة فذُكِر لعُبَيْد الله بن زياد مَقدمُه، فلم يَعرِض له، وأرسل / إليه أن أقم آمناً، فأقام بالبصرة أشهراً يختلف من البصرة إلى الأهْواز، فيزورُ أناهِيدَ، ويُقيم عندها.

ثم أتى عُبَيْدَ الله بن زياد فقال له: إني امرؤٌ لي أعداء، ولستُ آمنُ بعضَهم أن يقولَ شيئاً على لساني يَحْفظ الأميرَ عليَّ، وأُحِب أن يأذن لي أن أتنحّى عنه، فقال له: حُلَّ حيث شئت، فخرج حتى قدم على شَريك بن الأعور الحارثيّ وهو يومئذ عاملُ عُبَيْد الله بن زياد على فارسَ وكَرْمان، فأعطاه ثلاثين ألف درهم، فقَدِم بها الأهواز فأعطاها أناهِيدَ.

ذهب إلى عبيد الله بن أبي بكر فأعطاه وأكرمه

أخبرني أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار، قال: حدَّثنا سُلَيمان بن أبي شيخ، قال:

حدثني محمد بن الحكم، عن عَوانة:

أنَّ عُبَيْدَ الله بن أبي بَكْرة كتب إلى يزيدَ بن مُفرّغ: إني قد توجهت إلى سجِستانَ فالحَقْ بي، فلعلك إن قدِمتَ عليَّ ألّا تندم ولا يُذَمّ رأيُك. فتجهَّزَ ابنُ مفرّغ وخرج حتى قدم سِجِسْتانَ مُمْسِياً، فدخل عليه فشغله بالحديث، وأمر له بمنزل[٢] وفَرْش وخدم، وجعل يُطاوِلُه حتى علم أنه قد استتَمَّ له ما أمر له به، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هُيِّىء له، ثم دَعا به في اليوم الثاني فقال له: يا بن مُفرّغ، إنَّك قد تجشَّمتَ إليّ شُقّة بعيدة، واتّسع لك الأملُ فرحلتَ إليّ لأقضيَ عنك دَينَك ولأُغنيَك عن الناس، وقلتُ: أبو حاتم بسِجِستان فمَنْ لي بالغِنى[٣] بعده! فقال: والله ما أخطأتَ أيُّها الأمير ما كان في نَفْسي، فقال عُبَيْدُ الله: أما والله لأفعلنّ ولأُقِلّنّ[٤] لبثك عِندي، ولأُحسِنَنّ صِلتَك، وأمر له بمائة ألف دِرْهم، [١٨/٢٩٣] ومائةَ وَصيفة[٥] ومائة نَجيبة، / وأمرَ له بما يُنفِقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة الألف، وبمَنْ يكفيه الخِدْمةَ من غِلْمانه وأعوانه[٦]، وقال له: إن من خِفّة السَّفر ألّا تهتمَّ بخُفٍّ ولا حافِرٍ، وكان مقامُه عنده سبعةَ أيّام.

ثم ارتحل وشيّعه عُبَيْدُ الله[٧] إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زالِقُ، ثم قال له: يابن مفرّغ، إنه ينبغي للمودّع أن ينصرف، وللمتكلّم أن يسكُت، وأنا مَنْ قد عرَفت، فأبْقِ على الأمل وحُسْن ظنّك بي ورجائكَ فيَّ، وإذا بدا لك أنْ تَعودَ فعُد، والسلام.

قال: وسار ابنُ مُفرّغ حتى أتى رامَهُرْمُزَ، فنزل بقرْية[٨] أبجَر، فنزلَت إليه بنتُ الأبجر فقالت: يابن مفرّغ، لمنْ هذا المال؟ قال: لابنة أعنق دهقانة الأهواز، وإذا رسولها في القافلة بكتابها: إنك لو كنتَ على العهد الأول لتعجّلت إليّ ولم تساير ثَقَلَك، ولكن قد علمتُ أن المال الذي أعطاكه عُبَيْدُ الله قد شغلك عنّي، / قال: فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً، وقد قال لابنةِ أبجر في جواب قولها له: [٧١/١٧]

---

(١) ف: «وصوت مقصب خلع العذارا». والمقرطق: الذي يلبس القرطق؛ وهو قباء ذو طاق واحد (معرب).

(٢) ف: «وأمر له سرًا بمنزل وفرش».

(٣) ب: «بالغناء».

(٤) ب، مد: «ولأقيمن لبثك».

(٥) ف: «ومائة وصيفة ومائة وصيف، ومائة نحيبة...».

(٦) ف: «من غلمانه ومواليه».

(٧) ف: «عبيد الله بن أبي بكرة».

(٨) ف: «بقلعة أبجر».

حَبانِي عُبَيْدُ الله يابنةَ أبجرٍ ... بهذا، وهذا للجُمانةِ أجْمعُ
يَقَرّ بعيني أن أراها وأهلَها ... بأفضلِ حالٍ ذاك مرأى ومَسمَعُ
وخُبِّرتُها قالت: لقد حالَ بَعدنا ... فقد جعلت نفسي إليها تَطَلّعُ
وقلتُ لها لمّا أتاني رسولُها ... وأيُّ رَسولٍ لا يضرُّ وينفعُ
أُحبُّك ما دامَتْ بنَجْد وشيجةٌ[1] ... وما رُفعت يوماً إلى الله إصبعُ
وإني مَليءٌ يا جُمانةُ بالهوَى ... وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقْنِعُ

/ قال: فلما انتهت رُسُل عُبَيْد الله بن أبي بكْرة معه إلى الأهواز قالوا له: قد بلغنا حيث أُمِرنا، قال: أجل، ثم [١٨/٢٩٤] أمر ابنةَ أعنَق أن تَفْتح الباب وقال لها: كلُّ ما دَخل دارَك فهو لك.

يمدح عبيد الله بن أبي بكرة

وأقام بالأهواز، ودَعا نُدماءَ كانوا له من فِتْيان العَرب فلم يبق ظَرِيفٌ وَلا مُغَنّ إلا أتاه، واستَماحه جماعةٌ قَصدُوه من أهل البَصْرة والكوفة والشّام فأعطاهم، ولم يُفارق أناهيدَ ومعه شيء من المالِ، وجعل القومُ يَسألونَه عن عُبيْد الله بنِ أبي بكْرة وكيف هو وأخلاقه وجوده فقال:

يُسائِلُني أهلُ العِراق عن النّدَى ... فقلتُ: عُبَيْدُ الله حِلْفُ المكارِمِ
فتى حاتِميٌّ في سِجِستانَ رَحلُه ... وحَسبُك جُوداً أن يكون كحاتِمِ
سَما لِينالَ المكْرُماتِ فنالَها ... بِشِدّة ضِرْغام وبَذْلِ الدّراهم
وحِلْم إذا ما سَورةُ الحقْد[2] أطلقَت ... حُبا القَوْم عند الفادح المُتفاقِم
وإنّ له في كلّ حيٍّ صَنيعةً ... يُحدِّثُها الرُّكبانُ أهلَ المَواسِم
دَعاني إليه جودُه ووَفاؤه ... ومِنْ دون مَسراه عُداةُ الأعاجِم
فلم أبْقَ إلا جُمْعةً في جِوارِه ... ويَومَينِ حلاً من ألِيّةِ آثِم[3]
إلى أن دَعاني زانَه الله بالعُلا ... فأنبَت رِيشِي من صَميم القَوادِم[4]
وقال: إذا ما شئتَ يابنَ مُفرِّغ ... فعُدْ عودةً ليست كأضغاثِ حالم
فقلتُ له ـ لا يُبعِدِ اللهُ دارَه ـ: ... أعودُ إذا ما جئتُكم غيرَ حاشِم
وأحمدْتُ وِرْدِي إذ وردتُ حِياضَه ... وكلُّ كريم نُهزَةٌ[5] للأكارمِ
/ فأصبَح لا يرجُو العِراقُ وأهلُه ... سِواه لنَفع أو لِدَفع العَظائم [١٨/٢٩٥]
وإنّ عُبيدَ الله هنّأ رفدَه ... سَراحاً وأعطى رفدَه غيرَ غانِم[6]

---

(١) الوشيجة: عرق الشجرة.

(٢) ف، «المختار»: «سورة الجهل». وسورة الحقد: حدته وشدته.

(٣) الألية: القسم. وفي ف، «المختار»: «فلم أثو» بدل «فلم أبق».

(٤) ف، «المختار»: «فأنبت من ريشي مهبض القوادم».

(٥) النهزة: الفرصة.

(٦) هنّأ رفده: أكثره. وفي «المختار»: «غير عاتم» أي غير كافّ عنه بعد أن مضى فيه.

يخدع عمه في أناهيد

وقال الهيثم في خبره: كان عَمرُو بنُ مُفرِّغ، عمُّ يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ، رجلاً له جاه وقَدْر عند السُّلطان، وكان ذا مال وثروة، وذا دِين وفَضْل وصَلاح، فكان يُعنِّف ابنَ أخيه في أمر أناهِيدَ عَشيقَته، ويعذِله ويُعيِّره بها، فلما أكثر عليه أتاه يوماً فقال له: يا عمّ، جُعِلتُ فداك، إنّ لي بالأهْواز حاجةً، ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألفَ دِرْهم قد خفتُ أن تَتْوَى[1] عليّ، فإن رأيتَ أن تَتجشَّم العَناء معي إليها حتى تطالبَ لي بحقي، وتُعِينني بجاهك على غُرمائي. / وكان عَمْرُو بن مُفرِّغ قد استَخْلفه ابنُ عبّاس عليها؛ إذ كان عامِلَ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله على البصرة، وكان عامِلَ الأهواز ـ حين سأل ابنُ مُفرِّغ عَمّه أن يخرج معه ـ ميمونُ بنُ عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية[2] . فلم يزل ابنُ مفرّغ بعمه حتى أجابه إلى الخرُوج فاستأجر سَفينة وتوجّه إلى الأهواز، وكتب إلى أناهِيد أن تَهيَّئي وتزيَّني بأحسن زينتك، واخرُجي إليّ مع جواريك فإني موافيك، ومنزلُها يومئذ بين سُرَّق ورامهُرْمز.

[٧٢/١٧]

فلما نزلوا منزلها خرجَتْ إليهم. وجلست معهم في هَيئتها وزِيّها وحُلِيّها وآلتها، فلما رآها عمُّه قال له: قبّحك الله! أفهلاّ إذ فعلتَ ما فعلتَ كنت عَلِقت مثل هذه! [3] فقال: يا عمّ، أو قد أعجبتك؟ فقال: ومن لا تعجبه هذه[3] قال: ألَجِدُّ هذا منك؟ قال: نعم والله، قال: فإنها والله هذه بعينها، فقال: يا خبيث إنما أشخصتَني لهذا، يا غلام ارحَلْ بنا. فانصرف عمُّه إلى البصرة / وأقام هو معها، ولم يزل يتردّد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير.

[٢٩٦/١]

لزوم غرمائه له لديون ركبته واحتياله لقضائها

أخبَرني أحمدُ بنُ عبد العزيزِ الجَوْهريّ وحبيب بن نَصْر المُهَلَّبيُّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا القَحذميُّ قال:

لزِم يزيدَ بنَ مُفرّغ غُرماؤه بدَيْن، فقال لهم: انطلقوا نَجْلس على باب الأمير، عسى أن يَخرُج الأشرافُ من عنده فيَرَوْني فيَقْضوا عنّي، فانطلَقوا به، فكان أوّل مَنْ خرَج إما عُمَرُ بنُ عبيد الله بن مَعْمَر وأما طَلْحةُ الطَّلحات، فلما رآه قال: أبا عُثمان، ما أقْعَدَك ها هنا؟ قال: غرمائي هؤلاء لزموني بدَيْن لهم عليّ، قال: وكم هو؟ قال: سبعون ألفاً، قال: عليّ منها عَشرةُ آلاف درهم.

ثمّ خرج الآخرُ على الأثر، فسأله ما سأل صاحبه، فقال: هل خَرَج أحدٌ قبلي؟ قالوا: نعم، فلان، قال: فما صنع؟ قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم، قال: فعليّ مثلُها.

ابن أبي بكرة يقضي دينه فيمدحه

قال: ثم جعل الناس يَخرُجون، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك، حتى ضَمِنوا أربعين ألفاً[4] .

وكان يأمُل عُبَيدَ الله بن أبي بكرة، فلم يخرج حتى غربت الشمس، فخرج مبادراً، فلم يَرَه حتى كاد يبلغ بيتَه،

---

(١) تتوى: تذهب وتهلك.

(٢) ب: «المأمونية».

(٣ ـ ٣) تكملة من ف.

(٤) ف: «أربعين ألف درهم».

فَقِيل له: إنك مررتَ بابْنِ مُفرِّغ ملزوماً[١]، وقد مرَّ به الأشرافُ فضَمِنوا عنه، فقال: واسَوْأتاه! إنّي أخاف أن يظُنّ أنّي تغافَلْتُ عنه، فكرّ راجعاً، فوجده قاعداً، فقال له: أبا عُثْمان ما يجلسك ها هنا؟ قال: غرمائي هؤلاء يلزمونني، قال: / كم عليك؟ قال: سبعون ألفاً، قال: وكم ضُمِن عنك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: فاستَمتعْ بها وعليّ دَيْنُك أجْمع، فقال فيه يخاطب نفسه: [١٨/٩٧]

لــو شِئــتِ لــم تَعْنَــيْ ولــم تَنْصَبِــي ... عِشْــتِ بــأسبــابِ أبــي حــاتِــم
عِشْــتِ بــأسبــاب الجَــواد الــذي ... لا يَخْتِــم الأمــوالَ بــالخــاتَــمِ
مــن كــفُّ بُهلــولٍ لــه غُــدَّة[٢] ... مــا إن لمَــن عــاداه مــن عــاصِــم
المُطْعِــم النّــاسَ إذ حــاردتْ ... نكبــاؤهــا فــي الــزّمــن العــارم[٣]
والفــاصِــلِ الخطــة يــوم اللُّجــا ... لــلأمــر عنــد الكُــرْبــةِ الــلاّزم
جــاورتُــه حِينــاً فــأحْمَــدْتُــه ... أُثنــي ومــا الحــامــدُ كــالّــلائــم
كــم مــن عــدُوٍّ شــامــتٍ كــاشِــحٍ ... أخــزيْتَــه يــومــاً ومــن ظــالِــم
/ أذقْتَــه المــوتَ علــى غِــرّةٍ ... بــأبيــضَ ذِي رَوْنَــقٍ صــارمِ

٧٣/١٧

بُدَيح يغني شعراً لابن مفرغ فيصله ويكسوه

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ، قال: حدّثني حَمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

قدم بُدَيح[٤] الكُوفة، فغَنّى بها دهراً، وأصاب مالاً كثيراً، ثمّ خَرَج إلى البصرة، ثمّ أتى الأهواز، ثمّ عاد إلى البَصرة، فصَحب ابنَ مُفرِّغ[٥] في سفينة حتى إذا كان في نهر مَعْقِل تغنّى وهو لا يعرفُ ابنَ مُفرِّغ بقوله:

/ سَمَــا بــرقُ الجُمــانــة فــاستَطــارا ... لعــلّ البــرقَ ذاك يعــودُ نــارا[٦] [١٨/٩٨]

قال: فطَرب ابنُ مُفرِّغ وقال: يا مَلاّح، كُرّ بنا إلى الأهواز، فكرّ وهو يُغنّيه، ثمّ كَرَّ راجعاً إلى البصرة، وكرّوا معه، وهو يُعِيد هذا الصوت. قال: ووصل ابن مُفرّغ بُدَيْحاً[٧] وكساه.

/ صوت [١٨/٩٩]

رَضِيــتُ الهَــوى إذ حَــلّ بــي مُتَخَيِّــراً ... نــديمــاً ومــا غَيــري لــه مــن يُنــادِمُــهْ
أُعــاطِيــه كــأسَ الصَّبــر بَينــي وبينَــه ... يُقــاسِمُنيهــا مــرّةً وأُقــاسِمُــهْ

يقال: إنّ الشّعر لبشّار، والغناء للزُّبير بن دَحْمان، هزج بالوسطى عن الهِشاميّ وأحمد بن المكّيّ.

(١) لزم المال فلاناً: وجب عليه، فهو ملزوم.
(٢) البهلول: السيد الجامع لصفات الخير. وفي ب: «له غُرّةٌ».
(٣) حاردت السنة: قلّ مطرها. والنكباء: ريح انحرفت عن مهابّ الرياح. والزمن العارم: الشديد.
(٤) ب: «بدوي».
(٥) ف: «ابن مفرغ الحميري».
(٦) ف: «يحور ناراً».
(٧) ب: «بدوياً».

[١/٣٠٠] # / أخبار الزبير بن دحمان

قدم على الرشيد من الحجاز والمغنون حزبان

قد مَضَت أخبارُ أبيه، ونَسَبُه ووَلاؤُه في متقدّم الكتاب، وكان الزُّبيرُ أحدَ المُحسِنين المُتْقِنين الرّواة الضُّرّاب، المتقدِّمين في الصَّنْعَة، وقَدِم على الرشيد من الحجاز، وكان المغنون في أيَّامِه حِزْبين: أحدُهما في حِزْب إبراهيم المَوْصليّ وابنه إسحاق، والآخر في حزْب ابن جامعٍ وابن المَهْدِيّ، وكان إبراهيمُ بنُ المَهدِيّ أَوْكَدَ أسبابِ هذا التَّحزُّب والتَّعصُّب لِما كان بَيْنه وبين إسحاق [(١)] وكان الزبير بن دَحمان في حِزب إسحاق، وأخوه عبيد الله في حِزب إبراهيم بن المهديّ[(١)].

يغني الرشيد من غناء المتقدمين فيفضُل أخاه

فأخبرني محمدُ بنُ مزيد، قال: حدَّثَني حَمَّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، قال:

لما قَدم الزُّبَيْرُ بنُ دَحْمان على الرَّشِيد من الحجاز، قَدِم رَجُلٌ ما شئْتَ من رَجُل؛ عَقْلاً ونُبْلاً ودِيناً وأدباً وسُكُوناً ووَقاراً، وكان أبُوه قبله كذلك، وقدم معه أخُوه عُبَيْد الله[(٢)]، فما وصلا إلى الرشيد، وجلسا معنا، تَخيَّلتُ في الزُّبَيْر الفَضل فقلت لأبي: يا أبتِ، أخْلِقْ بالزُّبير أن يكون أفضلَ من أخيه، فقال: هذا لا يَجيء بالظَّنِّ والتَّخيُّل[(٣)]، والجَوادُ إنَّما يُمتَحن في الميدان، فقلت له: فالجَوادُ عينه فِرارُه[(٤)]، فضَحِك، وقال: نَنظُر في فِراسَتِك، فلما غَنّيا بان فَضْلُ الزُّبَير وتَقَدُّمه، فاصْطَفاه أَبِي واصْطَفَيْتُه لأنفُسنا، وقَرَّظْناه[(٥)] ووَصَفْناه، وصار في حَيِّزِنا.

الرشيد يستعيده صوتاً من صنعته ثلاث مرات

[١/٣٠١] وغَنَّى الرَّشيدَ غِناء / كثيراً من غناء المُتَقدِّمين فأجادَ وأحسنَ، وسأله الرَّشِيدُ أن يُغَنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه، فالْتَوَى بعضَ الالْتِواء وقال: قد سمع أميرُ المُؤمنين غِناءَ الحُذَّاق من المتقدمين وغناءَ مَنْ بحَضْرته مِن خَدَمه، ومَنْ وَفَدَ عليه من الحِجازِيّين، وما عسى أنْ يَأْتِيَ من صَنْعَتي؟ فأقسَم عليه أن يُغَنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه، وجَدَّ به في ذلك، فكان أولَ صَوتٍ غَنَّاه منها:

(١ ـ ١) التكملة من ف.

(٢) ب: «عبد الله».

(٣) «المختارة»: «والتخمين».

(٤) المثل: «إن الجواد عينه فراره» في «مجمع الأمثال بترتيب الكرماني» ـ ٣٧ ط. طهران، وجاء فيه: الفرار ـ بالكسر ـ النظر إلى أسنان الدابة ليعرف قدر سنه، وهو مصدر، ومنه قول الحجاج: فررت عن ذكاء، ويروى فراره ـ بالضم ـ وهو اسم منه؛ يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه فيُغني عن الاختبار حتى لقد يقال: إن الخبيث عينه فراره.

(٥) ف: «وقرّبناه».

صوت

ارحَـلاَ صـاحِبَـيَّ حـانَ الـرَّحِيـلُ وابْكِيـانِـي فليـس تَبْكِـي الطُّلُـولُ
/ قـد تَـولَّـى النَّهـارُ وانـقَـضَـتِ الـشَّـمـسُ يَمِينـاً وحـان منهـا أُفُـولُ ٧٤/١٧

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل.

قال:

فسمعتُ واللهِ صَنْعة حَسنة مُتْقَنة لا مَطْعَن عليها، فطَرِب الرَّشِيدُ واستَعادَه هذا الصَّوتَ ثلاثَ مَرَّات، وأمر له بثلاثين ألف دِرْهم، ولأخيه بعِشْرين ألف درهم. ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا، وانحاز عُبَيدَ الله[1] إلى جنبة إبراهيم بن المهديّ، فكان معه. قال حمّاد: فقلتُ لأبي: كيف كانت صَنْعةُ عُبَيْد الله[1]؟ قال: أنا أُجمِل لكَ القَول، لو كان زبير مملوكاً لاشتَريْتُه بعِشْرين ألْف دِينار، ولو كان عُبَيْد الله مملوكاً ما طابت نَفسِي على أن أشتَرِيَه بأكثر من عشرين ديناراً، فقلت: قد أجبْتَني بما يَكْفِيني.

يغني الرشيد بشعر مدحه به

حدَّثني رضوان بنُ أحمد الصَّيْدلانِيّ، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بنُ المَهدِيّ، ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر: أنَّ الرَّشيد كتب في إشخاصِ الزّبَيْر بنِ دَحْمانَ إلى مدينة السَّلام[2]، فوافاها واتَّفق قُدومُه في وقت خروج[3] الرَّشِيد إلى الرَّيّ لمحاربة بُندار هُرْمُز أصبهبد طَبَرِسْتان، فأقام الزُّبيرُ بمدينة / السَّلام إلى أنْ دَخَل الرَّشيد، فلما قدم دخل عليه بالخَيْزُرانَة[4]، وهو الموضع الذي يعرف بالشَّمَّاسِيَّة[5]، فغنّاه [٣٠٢/١٨] في أول غنائه صَوْتاً في شِعْر قاله هو أيضاً في الرَّشيد مَدَحه به، وذكر خُرُوجَه إلى طبرستان وهو:

صوت

أَلاَ إنَّ حِـزْبَ الله ليـس بمُعْجِـزِ وأنصـارُه فـي مَنْعَـة المُتَحَـرِّزِ
أَبَـى اللهُ أن يُعصَـى لِهـارُونَ أمـرُه وذَلَّـت لـه طَـوْعـاً يَـدُ المُتَعَـزِّزِ
إذا الـرَّايَـةُ السَّـوداءُ راحَـتْ أو اغْتَـدَتْ إلـى هـارِبٍ منهـا فليـس بمُعْجِـزِ
لَطـاعَـتْ لِهـارُونَ العُـداةُ لـدى الـوغـا وكَبَّـر لـلإسـلام بنـدارُ هُـرْمُـزِ[6]

لم أجِدْ هذا الصَّوتَ منسوباً في شيءٍ من الكُتُب إلاّ في كتاب بَذْل، وهو فيه غير مُجنس.

وذكر إبراهيمُ بنُ المَهْدِي أنَّ الشِّعر للزُّبَيْر بنِ دَحْمان، وهذا خطأ؛ الشِّعر لأبي العَتاهِيَة وهو مَوْجود في شِعْرِه من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد.

---

(١) ب: «عبد الله».

(٢) مدينة السلام هي بغداد.

(٣) ب: «يخرج الرشيد...».

(٤) ف: «الخيزرانية».

(٥) الشماسية: منسوبة إلى بعض شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد. («معجم ياقوت»).

(٦) ف: «أطاعت... لذِي الوغا.... وكفّر للإسلام».

قال أبو إسحاق: فاستَحسنَ الرَّشِيدُ الشِّعْرَ والغِناءَ، وأمَر له بألْفِ دِينار فدُفِعَت إليه، ومكث ساعة ثم غَنَّى صوتاً ثانياً وهو:

صوت

وأحورَ كالغُصْنِ يَشْفِي السَّقامَ ... ويَحكِي الغَزالَ إذا مارَنَا
شَرِبتُ المُدامَ على وَجْهِه ... وعاطَيْتُه الكأسَ حتى انْثَنَى
وقُلتُ مَدِيحاً أُرَجِّي به ... من الأَجْرِ حَظًّا ونَيْلَ الغِنَى
وأعنِي بذاك الإمامَ الذي ... به اللهُ أعطى العِبادَ المُنَى

[٣٠٣/١٨] / لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق.

قال: فما فَرَغ من الصَّوْت حتى أمر له بألْفِ دِينار آخر فقَبَضه، وخَفَّ على قَلْبِه واستَظْرَفَه، فأغْناه في مُدَّة يَسِيرة من الأَيّام.

يغني الرشيد بشعر يزيد ندمه على ما فعله بالبرامكة

أخبرني عيسَى بنُ الحُسَيْن الوَرّاق، قال: حَدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حدثني أبو توبة، عن القطرانيّ، عن محمد بن حبيب قال:

[٧٥/١٧] كان الرَّشيد بعد قَتْله البرامِكة شديدَ الأسفِ عليهم، والتَّنَدُّم / على ما فعَله بهم، ففَطِن لذلك الزُّبَيْرُ بنُ دَحْمان، فكان يُغَنِّيه في هذا المعنى ويُحرّكه، فغنّاه يوماً والشعر لامرأة من بَني أَسَد:

مَنْ للخُصومِ إذا جدَّ الخِصامُ بهم ... يومَ النُّزال ومَنْ للضُّمَّرِ القُودِ[1]
ومَوقفٍ قد كَفيتَ النّاطِقِين به ... في مَجْمَعٍ من نَواصِي النَّاسِ مَشْهودِ[2]
فَرّجتَه بلسانٍ غيرِ مُلْتَبِسٍ ... عند الحِفاظ وقولٍ غيرِ مردودِ[3]

فقال له الرَّشيد: أعِدْ، فأعاد، فقال له: وَيْحَك! كأن قائِلَ هذا الشِّعر يَصِف به يَحْيَى بنَ خَالد، وجَعْفَر بنَ يَحْيَى، وبكَى حتى جرَت دُموعُه، ووَصَل الزُّبير صِلةً سَنِيَّة.

إسحاق يفضّل الزبير على أبيه وأخيه في الغناء

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيى، عن حماد قال:

كان أبي يقول: ما كان دَحْمان يُساوي على الغِناء أرْبَعمائَة دِرْهم، وأشبهُ خَلْق اللهِ به غناء ابنه عبيد الله، وكان يُفَضّل الزبيرَ بن دحمان على أبيه وأخيه[4] تفضيلاً بعيداً. وفي الزبير يقول إسحاقُ وله فيه غناء وهو:

[٣٠٤/١٨]

(١) ف: «يوم الجدال» بدل «يوم النزال». والقود جمع أقود، وهو من الخيل الذلول المنقاد، أو الشديد العنق لقلة التفاته.
(٢) نواصي الناس: أشرافهم والمتقدمون منهم.
(٣) ف: «بلسان غير مشتبه». وفي «المختار»، ف: «وقلب غير مزءود».
(٤) ب: «وإخوته».

أَسعِدْ بدَمْعِك يا أبا العَوَّامِ صَبًّا صريعَ هَوًى ونِضْوَ سقامِ
ذَكَرَ الأحبَّةَ فاستُجِنَّ وهاجه للشوق نوحُ حَمامةٍ وحَمامِ
لم يُبدِ ما في الصَّدْرِ إلاَّ أنَّه حيَّا العِراقَ وأهلَه بسلامِ
ودَعاه داعٍ للهَوَى فأجابَه شَوقاً إليه وقادَه بزِمامِ

الشِّعر والغِناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرَّقَّة مع الرَّشيد يتشوَّق إلى العراق.

إسحاق يغني الرشيد بالرقة شعراً يحنّ فيه إلى بغداد

أخبرني عمّي قال: حدثني عليّ بن محمد بن نصر، قال: حدَّثني جدّي حَمْدون[1] بن إسماعيل، قال: قال لي إسحاق:

كنّا مع الرشيد بالرَّقَّة، وخرج يوماً إلى ظَهْرِها يَصِيد[2]، وكنتُ في موكبه أُسايرُ الزُّبَيْرَ بنَ دَحْمان فذكَّرني بغدادَ وطِيبَها وأهْلِي وإخواني وحُرَمِي فتَشوَّقتُ لذلك شَوْقاً شديداً، وَعرض لي هَمٌّ وفِكْرٌ حتى أبْكاني، فقال لي الزُّبَيْر: ما لك يا أبا محمد؟ فشكَوتُ إليه ما عَرَض لي، وقلت:

أسعِدْ بدَمْعِكَ يا أبا العَوَّامِ صَبًّا صريعَ هَوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقي الأبياتِ، وعلمت أن الخَبَر سيَنْمِي إلى الرشيد، فصَنعتُ في الأبياتِ لَحْناً، فلما جلس الرَّشيدُ للشُّرْب ابتدأتُ فغنَّيتُه إياه، فقال لي: تشوَّقتَ واللهِ يا إسحاق وشوَّقتَ وبلغْتَ ما أردْتَ، وأمَر لي بثلاثِين ألفَ دِرْهَم، ولِلزُّبَيْرِ بعِشْرِين ألفاً، ورحَل إلى بغداد بعد أيّام.

الفضل بن الربيع يغضب من إسحاق

أخبرني يَحْيى بنُ عليّ بنِ يحيى المُنَجِّم، قال: أخبرني أبي، قال: قال لي إسحاق، / وأخبرني به [١٨/ ٣٠٥] الحَسن بنُ عليّ، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن عمرو[3] بن أبي سَعْد، قال: حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال:

جاءني الزُّبَيْر بنُ دَحْمان ذات يوم مُسَلِّماً، فاحتبستُه فقال: قد أمرني الفَضْل بنُ الرَّبِيع بأن أصِيرَ إليه فقلت:

أقِمْ يا أبا العَوَّامِ وَيْحك نَشْرَبُ ونَلْهُو مع اللاَّهِين يوماً ونَطْرَبُ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خَيرُه فخُذْه بشُكْرٍ واتركِ الفَضْلَ يَغْضَبُ

/ قال: فأقام عندي فشَرِبنا باقي يومنا، ثم سار[4] الزُّبَير إلى الفَضْل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدَّثه [٧٦/١٧] بالحديث، وأنشده الشعر، فغضب وحوّل وجهه عنّي، وأمر عَوناً حاجبَه ألاَّ يُدْخِلني اليوم ولا يستأذن لي عليه، ولا يُوصِّل لي رُقعة إليه، قال: فقلت:

(١) ب: «جدي عن حمدون بن إسماعيل».
(٢) ف: «يتصيّد».
(٣) ف: «عبد الله بن عمر».
(٤) ف: «صار».

حَـرامٌ علـيَّ الكَـأسُ مـا دُمْـتَ غَضْبـانـاً وما لـم يَعُـد عنِّـي رِضـاكَ كمـا كـانـا
فـأحسِـنْ فـإنِّـي قـد أسـأتُ ولـم تـزَلْ تُعَـوِّدُنـي عنـد الإسـاءة إحسـانـا

قال: وأنشدته إياهما، فضحك ورضي عنّي، وعاد إلى ما كان عليه.

وأخبرني الحسين[1] بن يَحْيَى، عن حمّاد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران[2] وزاد فيه: وقلت في عَوْن حاجبه:

عـونُ يـا عـونُ ليـس مثلـك عَـوْنُ أنـتَ لـي عُـدَّةٌ إذا كـان كَـوْنُ
لـكَ عنـدي واللهِ إن رَضِـيَ الـفَـضْـل غُـلامٌ يُـرْضِيـك أو بِـرْذَوْنُ

فأتى عونُ الفَضْلَ بالشِّعْرَيْن جميعاً، فلما قرأهما ضحك وقال له: ويلك إنما عَرَّض لك بقوله: «غُلامٌ يرضيك» بالسَّوْأة، فقال: قد وعدني ما سمعتَ، فإن شئتَ أن تَحْرِمنيه فأنتَ أعلم، فأمرَه أن يُرسل إليّ وأتاني رسولُه، فصرت إليه ورَضي عَنّي.

[٣٠٦/٢] / إسحاق والزبير يحكمان حبشياً في غنائهما

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ، قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدَّثني إسحاقُ، قال:

كان عندي الزُّبَيْر بن دَحْمان يوماً، فغنّيت لحن أبي[3]:

أشـاقَـك مـن أرض العـراق طُلُـولُ تَحَمَّـل منهـا جِيـرَةٌ وحُمـولُ!

فقال لي الزُّبَيْر: أنت الأستاذ وابن الأُستاذ السيد، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنّيه أحسن، فقلت له: والله إني لا أُحِبُّ أن يكون ذلك كذلك[4] فغَضِب وقال: فأنا والله أحسنُ غِناء منك. وتلاحَيْنا طويلاً، فقلتُ له: هلُمّ نخرج إلى صحراء الرَّقّة، فيكون أكلُنا وشربُنا هناك، ونَرْضَى في الحكم بأول من يَطلُع علينا، قال: أفعلُ. فأخرجنا طعامَنا وشرابَنا وجلَسنا نشرب على الفُراتِ، فأقبلَ حَبَشيٌّ يحفِر الأرض بالبال[5]، فقلت له: أترضى بهذا قال: نعم، فدعَوْناه فأطعَمْناه وسَقَيْناه، وبدرني الزبير بالغناء، فغنّى الصوت، فطَرِب الحبَشِيُّ وحرّك رأسَه حتى طمع الزبير فيّ، ثم أخذت العود فغنيته فتأملني الحبشيُّ ساعة ثم صاح، وأيّ شيطان هوه! ومدَّ بها صوته، فما أذكُر أنّي ضَحِكت مثلَ ضَحكي يومئذ، وانخَزَل الزُّبَيْر.

نسبة هذا الصوت

صوت

شعر لأبي العتاهية يمدح به الفضل بن الربيع وفيه غناء

(١) ب: «الحسن بن يحيى».
(٢) ب: «الآخر».
(٣) ب: «لحن إسحاق».
(٤) ب: «والله إني لأحب».
(٥) البال: ما يعتمل به في أرض الزرع. وفي ب: «بالناب».

أشـاقَـك مــن أرضِ العِـراق طُلـولُ تحمَّـل منهـا جِيـرة وحُمـولُ!
وكيـف ألَـذُّ العيشَ بعـد مَعـاشـرٍ بهـم كنـتُ عنـد النّـائبـات أصـولُ!

الشعر لأبي العتاهية، والغِناء لإبراهيم ثَقِيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن أحمد بن المكّيّ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى.

وهذان البيتان من قصيدة مَدَح بها أبو العتاهية الفَضْلَ بن الرَّبيع، قال: أنشَدَنيها / عبدُ الله بن الرَّبيع الربيعيّ، [١٨/٣٠٧] قال: أنشدنيها / أبو سُوَيد عبدُ القَويّ[١] بنُ محمد بن أبي العَتاهِية لجدّه يمدحُ الفَضلَ بن الربيع، وإنما ذكرتُ ذلك [٧٧/١٧] ها هنا لأنَّ من الناس من يَنْسُبُهما إلى غيره، فذكرتُ الأبيات الأول، وفيها يقولُ في مدح الفَضْل بن الرَّبيع:

قبـائِـل مِـنْ أَقْصَـى وأَدْنَـى تَجَمَّعَـتْ فهُـنّ علـى آلِ الـرَّبيـع كلـولُ
تمـرُّ رِكـابُ السَّفْـر تُثْنِـي عليهـمُ عليهـا مـن الخَيْـر الكَثِيـر حُمـولُ
إليـكَ أبـا العَبّـاس حَنَّـتْ بـأهلِهـا مغـانٍ وحَنَّـت ألسـنٌ وعُقـولُ
وأنـت جَبِيـنُ المُلْـكِ بـل أنـتَ سَمعُـه وأنـت لِسـانُ المُلْـك حيـن تَقـولُ
وللمُلْـك مِيـزانٌ يَـداك تُقيمُـه يـزول مـع الإحسـان حيـث يَـزُول

الرشيد يرضى عن أم جعفر بعد أن سمع غناء للزبير من شعر ابن الأحنف

حدثني الصُّوليُّ، قال: حدثني المُغِيرةُ بنُ محمد المهلّبيّ، قال: حدَّثنا الزُّبَيْر، قال: حدثني رجل من ثَقِيف، قال:

غضب الرشيد على أُمّ جَعْفَرٍ، ثم ترضّاها فأبَت أن تَرْضَى عنه، فأرِق ليلته ثم قال: افرشُوا لي على دَجْلة، ففعلوا، فقعد يَنظُر إلى الماء وقد رأى زِيادةً عَجِيبة، فسمع غِناء في هذا الشعر:

صوت

جَـرَى السيلُ فـاستَبْكـانِي السَّيْلُ إذ جَـرَى وفـاضَـت لـه مـن مُقْلَتَـيَّ غُـرُوبُ
ومـا ذاكَ إلّا حيـن خُبِّـرتُ أنَّـهُ يمُـرُّ بـوادٍ أنـتِ منـه قَـريـبُ
يكـونُ أُجـاجـاً مـاؤُه فـإذا انْتَهـى[٢] إليكـم تَلَقَّـى طِيبَكـم فيَطِيـبُ
فيـا سـاكِنِـي شَـرْقِـيّ دِجْلـة كُلُّكـم إلـى القَلْـب مـن أجـل الحَبِيـب حَبِيـبُ

/ الشعر للعَبّاس بن الأحنَف، والغناء للزُّبَير بن دَحْمان، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشاميّ. [١٨/٣٠٨]

فسألَ عن النّاحية التي فيها الغِناء فقيل: دارُ ابنِ المُسَيَّب، فبعث إليه أن ابْعَثْ بالمُغَنّي، فإذا هو الزُّبَير بنُ دَحْمان، فسأله عن الشعر فقال: هو للعَبّاس بن الأحنَف، فأحضِر واستَنْشَدَه، فأنشده إياه، وجعل الزُّبَير يُغَنّيه وعَبّاس يُنشده، وهو يَسْتَعِيدُهما، حتى أصبح، وقام فدخَل إلى أمّ جعفر، فسألتْ عن سبب دخوله فعُرِّفَتْه، فوجّهتْ إلى العبّاس بألفِ دِينار، وإلى الزُّبَير بألف دينارٍ أُخرى.

---

(١) ف: «عبد العزيز».
(٢) ف: «يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى».

الرشيد يفضل لحنه على عشرين لحناً صنعها زملاؤه

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عليُّ بنُ محمد، عن جدّه حَمْدون، قال:

تشوّق الرّشيد بغدادَ وهو بالرَّقّة، فانحدر إليها، وأقام بها مدّة، وخلّف هناك بعضَ جواريه، وكانت حَظِيّةٌ له فيهن خلّفها لِمُغاضَبةٍ كانت بينه وبينها، فتشوَّقها تَشَوُّقاً شديداً، وقال فيها:

صوت

سَلامٌ على النّازح المُغْتَرِبْ تحيّة صَبٍّ به مُكْتَئِبْ

غَزالٌ مراتِعُه بالبَلِيخِ إلى دير زَكّى فجِسْر الخَشَبْ[1]

أيا مَنْ أعان على نَفْسِه بتخليفِه طائعاً مَنْ أحَبْ

سأسْتُر والسّتر من شِيمَتي هَوَى من أُحِبّ لمن لا أُحِبْ[2]

وجمع المغنين، فحضر إبراهيم الموصليّ، وابن جامع، وفُلَيح، وزبير بن دحمان، والمُعَلّى بن طريف، وحسين بن محرز، وسليم بن سلام، ويَحيَى المكيّ، وابنه، وإسحاق، وأبو زَكار / الأعمى، وأعطاهم الشعر وقال: لِيَعْمَلْ كل واحد منكم فيه / لحناً. قال: فلقد عملوا فيه عشرين لحناً، فما أُعجِب منها إلا بلحن الزُّبَير وحده، لُعجِب به إعجاباً شديداً، وأجازه خاصّة دون الجماعة بجائزة سَنِيَّة. [٧٨/١٧] [١٨/٣٠٩]

غنّى إبراهيمُ في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى[3]، ولفُلَيح فيها ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن جامع رمل بالبنصر، ولابن المَكيّ ثقيل أول بالوسطى، وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر، وللمُعَلّى خفيف رمل بالوسطى، ولإسحاق رمل بالوسطى، وللحُسَيْن بن محرز هزج بالوسطى.

[١٨/٣١٠] / **صوت**

يا ناعِشَ المَجدَ إذا الجَدُّ عَثَرْ وجابِرَ العَظْمِ إذا العَظْمُ انْكَسَرْ

أنتَ ربيعي والرَّبيعُ يُنْتَظَرْ وخَيرُ أنواء[4] الرَّبيع ما بَكَرْ

الشعر للعُمانيّ الراجز، والغِناء لشَارِيَةَ خفيف رمل، من كتاب ابن المعتز وروايته.

(١) ب: «بقصر الخشب»، وفي ف: «بقصر الحزب». والبليخ: نهر بالرقة. ودير زكي: دير بالرها.

(٢) ب: «هوى من أحب بمن لا أحب».

(٣) ف: «ولحنه ماخوري بالوسطى ولابن صغير العين خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وللمعلى خفيف رمل... الخ».

(٤) ب: «أنواع».

/ نسب العماني وخبره[1]

[٣١١/١٨]

نسبه

اسمه محمد بنُ ذُؤَيْب بن مِحْجن بن قُدامَة بن بَلْهِيَة[2] الحَنْظَلِيّ ثمّ الدَّارِميّ صَلِيبَة، وقيل له: العُمَانِيُّ، وهو بَصْرِيٌّ؛ لأنه كان شديدَ صُفرة اللون، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً، من شعراء الدولة العباسية، ليس من نُظَراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره، مثل أشْجَع وسَلْم ومَرْوان، ولكنه كان لطيفاً داهِياً مقبولاً، فأفادَ بشعره[3] أموالاً جليلة.

يدخل على الرشيد وينشده فيجزل صلته

أخبرني ابنُ أبي الأزْهر، قال: حدَّثنا حَمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جَبْر بن رياط الأسَدِيّ:

أنَّ عبدَ المَلك بنَ صالح أدخل العُمانِيَّ على الرَّشِيد فأنشده:

يـا نـاعـشَ الجَـدِّ إذا الجـدُّ عَثَـرْ ... وجـابـر العَظْـم إذا العَظْـم انكَسَـرْ

أنـت رَبِيعـي والـربيـع يُنْتَظَـرْ ... وخير أنـواء الـربيـع مـا بَكَـرْ

فقال له الرشيد: إذاً يَبْكُر عليك رَبِيعُنا، يا فَضْل، أعطه خمسة آلاف دينار، وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جَبْر: لما دخل الرَّشيدُ الرَّقَّةَ استقبله العُمانِيّ، فلما بَصُر به ناداه:

هـارونُ يـابـنَ الأكـرمِيـن مَنْصِبـاً ... لمـا تـرحَّلْـتَ فصـرت كَثَبـا

مـن أرضِ بَغْـداد تَـؤُمُّ المَغْـرِبـا ... طـابـت لنـا رِيـحُ الجَنُـوبِ والصَّبـا

ونَـزَلَ الغيـثُ لنـا حتـى ربـا ... مـا كـان مـن نَشْـزٍ ومـا تَصَـوَّبـا[4]

* فمَرْحباً ومرحَباً ومرحَباً *

/ فقال له الرَّشيد: ويك مرحباً يا عُمانِيّ وأهلاً، وأجْزل صِلتَه.

[٣١٢/١٨]

ينشد الرشيد أرجوزة طويلة أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحويُّ صِهرُ المُبَرّد المعروف بابن الصَّيْدلانِيّ[5]، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ موسَى،

---

(١) ف: «وأخباره».

(٢) ب: «باسية».

(٣) ب، ما: «بفعله». وفي مد: «فأفاد أموالاً جليلة».

(٤) ف: «حيث ربا» بدل «حتى ربا». وتصوب: انحدر، ومنه قول الصنوبري:

وكـأنَّ محمَـرَّ الشقيـ ... ـق إذا تصـوَّب أو تَصَعَّـدْ

أعـلام يـاقـوت نُشِـرْ ... نَ على رماح من زبرجـدْ

(٥) ف: «المعروف بالصيدلاني».

عن حَمَّاد، قال: قال العُتْبِيّ[١]:

لما وجّه الفَضلُ بنُ يَحْيى الوفدَ من خُراسان إلى الرَّشيد يَحُضُّونه على البَيْعة لابنه مُحمّد قَعدَ لهم[٢] الرَّشيد، وتكلم القومُ على مراتبهم، وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه، وكان فيمن حضر محمد بن ذُؤَيب العُمانيُّ، فقام بين صفوفِ القُوّاد، ثم أنشأ يقول:

لَمّا أتانا خَبرٌ مُشَهَّرُ ... أغرُّ لا يَخْفَى على مَنْ يُبصِرُ
جاء به الكُوفِيُّ والمُبَصَّرُ ... والراكبُ المُنجِدُ والمُغَوِّرُ
/ يُخَبِّر النّاسَ وما يَسْتَخْبِرُ ... قلتُ لأصحابي ووَجْهي مُسْفِرُ
وللرجال: حَسْبُكُم لا تُكْثِرُوا ... فاز بها محمد فأقْصِرُوا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكرُ ... في كُتُب العِلم التي تُسَطَّر[٣]
فقل لمن كان قَديماً يَتْجَرُ: ... قد نُشِر العَدْلُ[٤] فبيعُوا واشْتَرُوا
وشرِّقوا وغرِّبوا وبَشِّروا[٥] ... فقد كَفَى اللهُ الذي يُسْتَقْدَرُ
بمَنِّه أفعالَ ما قد يُحْذَرُ ... والسيفُ عَنّا مُغمَدٌ ما يُشْهَرُ
وقُلِّد الأمرَ الأغَرُّ الأزهَرُ ... نَوءُ السِّماكَيْن الذي يُسْتَمْطَرُ
بوَجْهه إن كان عام أغْبَرُ ... سُرَّتْ به أسِرَّةٌ ومِنبرُ
وابتَهَجَ[٦] النّاسُ به واستَبْشَرُوا ... وهلَّلُوا لربِّهم وكَبَّرُوا
/ شُكْراً ومن حقِّهمُ أن يَشْكُروا ... إذ ثَبَتَتْ أوتادُ ملكٍ يَعْمُرُ
من هاشمٍ في حَيْث طابَ العُنْصُرُ ... وطاح مَنْ كان عليها يزفِرُ
إنّ بني العَبّاسِ لم يُقَصِّروا ... إذ نهضوا لملكهم فشَمَّرُوا
وعَقَدوا ونَزَّعوا وأمَّروا ... ودَبَّروا فأحْكَمُوا ما دَبَّرُوا
وأوردُوا بالحَزْمِ ثم أصدَرُوا ... والحَزْم رأيٌ مثلُه لا يُنْكَرُ
إذا الرِّجال في الرِّجال خُيِّروا ... يا أيها الخليفةُ المُطَهَّر
والمؤمنُ المُبارَكُ المُوقَّر[٧] ... والطَّيِّبُ الأغصانِ والمُظَفَّرُ
ما النّاس إلا غَنَمٌ تَنَشَّرُ ... إن لم تَداركْهُم براعٍ يَخْطِرُ
على قَواصِي طُرْقِها ويسْتُر[٨] ... ويمنَعِ الذِّئبَ فلا يُنَفِّرُ
فامْنُنْ علينا بيَدٍ لا تُكْفَرُ ... مَشهورةٍ ما دام زَيْتٌ يُعْصَرُ

٧٩/١٧

[٣١٣/١٨]

---

(١) ف: «الفقيمي».
(٢) ب: «فعذلهم»، تصحيف.
(٣) ب: «الذي يسطر».
(٤) ف: «قد يسر العدل».
(٥) ف: «وغربوا وسيروا».
(٦) ف: «وانتجع الناس».
(٧) ف: «المؤمر».
(٨) مد: «على قواصي طوقها ويستر». وفي ب: «على قلوص طرقها ويستر».

وانظر لنا وخلِّ مَنْ لا ينظُر واجْسِرْ كما كان أبوك يَجْسِرُ
لا خير في مُجَمْجَمٍ[1] لا يَظْهَرُ ولا كتابِ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ
وقد تربَّصت فليس تُعْذَر[2] فليت شِعْري ما الذي تَنْتَظِرُ!
أأنت قائمٌ به أم تَسْخَر[3] ما لك في محمدٍ لا تَعذِرُ!
وليتَ شِعْرِي والحديثُ يؤثَرُ أترقُدُ الليلَ ونحن نَسهرُ!
خوفاً على أمورنا ونَضْجَرُ واللهِ واللهِ الذي يُسْتَغْفَرُ
/ لأنْ يموتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ خَيرٌ لنا من فِتْنةٍ تَسَعَّرُ [١٨/١٤
يَهلِكُ فيها دينُهم ويُوزَرُوا وقد وَفَى القومُ الذين انْتَصَروا[4]
لصاحب الرُّومِ وذاك أصغرُ منه وهذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ
وذاكم العِلْجُ وهذا الجَوْهرُ يَنْمِي به محمدٌ وجَعْفَرُ
والخُلَفاءُ والنَّبِيُّ الأكبَرُ ونَبعةٌ من هاشمٍ وعُنْصُرُ
واعلمْ وأنتَ المرءُ لا يُبَصَّرُ [5] (والله يبقيك وتجبر [5])
منّا ذوي العُسْرة حتى يُوسِرُوا / أنَّ الرِّجالَ إن وَلُوها آثَرُوا [٨٠/١٧
ذَوِي القَراباتِ بها، واستَأْثَرُوا بها، وضَلَّ أمرُهم واستكْبَروا
والمُلْكُ لا رِحْمَ له فيأصِرُ ذا رَحِمٍ والناسُ قد تغَيَّروا
فأحكمِ الأمرَ وأنتَ تَقْدِرُ فمِثْلُ هذا الأمرِ لا يُؤَخَّرُ

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أَبشِرْ يا عُمانيّ بولاية محمد العَهْد، فقال: إي والله يا أمير المؤمنين، بُشْرَى الأرض المُجدِبة بالغَيث، والمرأةِ النَّزُور بالوَلد، والمَريض المُدنَف بالبُرء، قال: ولِم ذاك؟ قال: لأنه نسيج وحده، وحامي مجده، ومُورِي زَنده. قال: فما لك في عبد الله[6]، قال: مَرْعى ولا كالسَّعدان، فتبسّم الرّشيد وقال: قاتله الله من أعرابيّ ما أعرَفه بمواضع الرغبة، وأسرعَه إلى أهل البَذْل والعائدة، وأبعدَه من أهْل الحزْم والعَزْم، والذين لا يُستَمنح ما لديهم بالثّناء، أما والله إني لأعرف في عبدِ الله حَزْمَ المنصور ونُسْكَ المهديّ، وعِزَّ نَفْس الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرّابعة لنسبتُه إليها.

/ يرشح القاسم لولاية العهد في أرجوزة ينشدها للرشيد [١٨/٣١٥

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرُويَه، قال: حدّثنا عليّ بن الحسَن الشَّيبانيّ، وأخبرني به محمد بن جعفر، عن محمد بن موسى، عن حمّاد، عن أبي محمد المطبخيّ[7]، عن عليّ بن الحسن

(١) جمجم الشيء في صدره: أخفاه ولم يبده فهو مجمجم.
(٢) ب: «فلست تغدر».
(٣) ف: «أنائم أنت به أم تسهر».
(٤) مد، ما: «انتظروا». وفي ف: «نصّروا». ويوزروا: يصابوا بالوزر، وهو الذنب.
(٥ ـ ٥) التكملة من ف.
(٦) يعني المأمون.
(٧) ب: «المضهنجي».

الشَّيبانِيّ، قال: أخبرني أبو خالِد الطائيّ، عن جبير بن ضُبينَة الطائيّ، قال: أخبرني الفضلُ[١]، قال:

حضرتُ الرّشيد يوماً وجلس للشعراء، فدخل عليه الفضلُ بنُ الرّبيع وخلفه العُمانيّ، فأدْناه الرّشيد واستنشده، فأنشَده أرجوزةً له فيه، حتى انتهى إلى هذا الموضع:

قُـلْ لـلإمـام المقـتـدَى بـأمِّـهِ[٢]: مـا قـاسـمٌ دُون مَـدى ابـنِ أمِّـهِ

* وقد رَضِيناه فقُمْ فسمِّهِ *

قال: فتبَسّم الرّشيد ثم قال: ويحك! أما رَضِيتَ أن أُولِّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رِجلي! فقال له العُمانيُّ: ما أردتُ يا أمير المؤمنين قِيامَك على رِجْلَيك؛ إنما أردتُ قِيام العَزم، قال: فإنا قد ولَّيناه العهد، وأمر بالقاسم أن يحضر. ومرّ العُمانيّ في أرجوزته يهدِر حتى أتى على آخرها، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد، فجلس مع أخَويه فقال له: يا قاسم، عليك جائزة هذا الشَّيخ، فقد سَألنا أن نُولِّيك العهد وقد فعلنا، فقال: حكمك يا أمير المؤمنين، فقال: وما أنا وهذا! بل حكمك، وأمر له الرّشيد بجائزة، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مُفردَة.

[٣١٦/١٨] / يمدح أبا الحرّ التميمي

أخبرني محمدُ بنُ مزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال:

دخل محمد بن ذُؤيب العُمانِيّ على أبي الحُرّ التّميميّ بالبصرة، فأطعَمه وسقاه وجَلّله بكساء فقال فيه:

إن أبـا الحُـرِّ لَعَيـنُ الحُـرِّ يـدفـع عنّـا سَبـراتِ القُـرِّ[٣]

بـاللحـم والشَّحـم وخُبـزِ البُـرِّ ونُطْفـة مكنُـونـة فـي الجَـرِّ[٤]

يَشْـرِبُهـا أشيـاخُنـا فـي السُّـرِّ حتـى نَـرَى حـديثَنـا كـالـدُّرِّ

ويمدح عبد الملك بن صالح فيثيبه

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد، قال: حدّثنا حمّاد[٥]، عن أبيه، قال:

٨١/١٧ قصد العُمانيُّ عبدَ الملك بن صالح / الهاشميَّ مُتوسِّلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء، ومدَح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها:

نَمَتْـه العَـرانيـنُ[٦] مـن هـاشـمٍ إلـى النَّسـب الأوضـح الأصْـرحِ

إلـى نبْعـةٍ فـرعُهـا فـي السمـاءِ ومغـرِسُهـا سُـرّةُ الأبطـحِ

فأدخَله عبدُ الملك إلى الرّشيد بالرّقة فأنشده:

هـارونُ يـابـنَ الأكـرميـن حَسَبـا لمـا تـرحَّلْـتَ فكنـتَ كَثَبـا

مـن أرض بغـدادَ تـؤمُّ المغـرِبـا طـابَـتْ لنـا ريـحُ الجنـوب والصَّبـا

(١) ف: «أبو خالد عن يحيى بن صفية الطائي، قال: أخبرني الفضل».
(٢) أمّ القوم وبهم: تقدّمهم.
(٣) السبرات جمع سبرة، وهي الغداة الباردة.
(٤) ب: «في الحر» والجر جمع جرّة، وهي إناء من خزف.
(٥) ف: «حماد بن إسحاق».
(٦) ف: «الغرانيق». وعرانين القوم: سادتهم وأشرافهم.

وَنَــزلَ الغيــثُ لنــا حتــى رَبــا   مــا كــان مــن نَشْــزٍ ومــا تصــوّبــا[1]

* فمرْحباً ومَرْحباً ومرْحباً *

/ فأعطاه خمسة آلاف دِينار وخمسين ثوباً. [١٨/١٧]

يصف طعاماً قدمه له محمد بن سليمان

أخبرني عَمّي والحُسَيْنُ بنُ القاسم الكوكبيّ، قالا: حَدَّثنا عبدُ الله بنَ أبي سعد، قال: حدَّثنا إسحَاق بن عبد الله الأزديّ، عن محمد بنِ عبد الله العامِريّ القُرشيّ، عن العُمانيّ الشاعر:

أنه تغدّى مع محمدِ بن سليمان بن عليّ، فكان أوّل ما قُدِّم إليهم فُرْنيّةٌ[2] في لبن عليها سكر، ثم تتابع الطّعام، فقال له: قل فيما أكلت شعراً تصفه، فقال:

جــاءوا بفُــرْنَــي لهــم مَلبــونِ   بــات يُسَقّــى خــالــصَ السُّمُــونِ

مُصَــوْمَــعٍ أكــومَ ذي غُضــون[3]   قــد حُشِيــتْ بــالسكّــر المَطحــونِ

ولَــوّنــوا مــا شِئْــت مــن تلــويــنِ   مــن بــاردِ الطّعــام والسّخيــنِ

ومــن شــراسِيــف ومــن طُــرْدِيــن   ومــن هُــلامٍ ومَصُــوصٍ جُــون[4]

ومــن إوَزٍّ فــائــقٍ سَميــنِ   ومــن دَجــاجٍ فِيــتَ بــالعجيــن[5]

فــالشَّحــم فــي الظّهــور والبُطــونِ   وأتبَعُــوا ذلــك بــالجَــوْزِيــنِ

وبــالخَبِيــصِ الــرُّطَــب والّلــوْزيــن   وفكّهُــوا بعِنَــبٍ وتيــنِ

والــرُّطَــب الأزاذِ[6] والهَيْــرون[7]   محمــد يــا سيّــد البَنِيــنِ

/ وبِكْــر بِنْــت المُصطفــى الأميــنِ[8]   الصــادقِ المُبــارك المَيْمُــونِ [١٨/١٨]

وابــنِ وُلاةِ البَيْــتِ والحَجُــونِ   اسمــعْ لنعــتٍ غيــرِ ذي تَغْنيــنِ

يخْــرُجُ مــن فــنٍّ إلــى فُنــونِ   إن الحــدِيــثَ فيــكَ ذو شُجــونِ

سبب تسميته العماني

أخبَرنا الحَسن بن عليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه، قال: حدَّثني أحمد بنُ أبي كامل، قال: حَدَّثني أبو هاشم القَيْنيّ، قال:

كان محمد بن ذُؤَيْب العُمانيُّ الراجز من أهل البَصْرة، ويُكنى أبا عبد الله وإنّما قِيل له العُمانيّ؛ لأنّه أقبل يوماً

---

(١) انظر ص ٣١١ (الحاشية ٤).

(٢) الفرنية: خبز مستدير.

(٣) مصومع: مجمع عال. وفي ف: «أكرم» بدل «أكوم».

(٤) الشراسيف جمع شرسوف: وهو مقط الضلع، وهو الطرف المشرف على البطن. والطردين: طعام للأكراد. والهلام: طعام من لحم عجلة بجلدها أو مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن. والمصوص: طعام يطبخ وينقع في الخلّ أو من لحم الطير خاصة.

(٥) ب: «فت».

(٦) الأزاذ: نوع جيد من التمر.

(٧) الهيرون: البَرْنيّ من التمر والرطب.

(٨) ف: «وابن عم المصطفى الأمين».

وقد خرج من عِلّة ووجهُه أصفَر، فقال له بعضُ أصحابِنا: يا أبا عبدَ الله قد خرجت من هذه العِلّة كأنك جمل عُمانيٌّ، قال: وكانت جِمال عُمان تحمِل الوَرْس من اليَمن إلى عُمان فتَصفرّ، قال: وهو من بني تميم، ثم من بني فُقَيم.

يمدح عيسى بن موسى فيصله

قال: فقَدم على عيسى بن موسى، فلمّا وصل إليه أنشَده مديحاً له وَفَد إليه به، فاستَحسنَه ووَصله واقْتَطَعَه إليه وخصَّه، وجعله في جُلَسائه، فقال العُمانيُّ فيه:

[٨٢/١٧] / ما كنتُ أدري ما رَخاءُ العَيْشِ ... ولا لبِستُ الوَشْي بعد الخَيْشِ

حتى تمدَّحْتُ فتى قُرَيشِ ... عِيسَى، وعِيسَى عند وقْت الهَيْشِ[1]

حين يخفّ غَيرُه للطَّيشِ[2] ... زَيْن المقيمين وعِزّ الجَيشِ

* راش جَناحيَّ وفوقَ الرِّيشِ *

ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقلة يذكر فيها بغداد

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المهلبيّ، قال: حدَّثَنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدَّثَني أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم، قال: حدَّثَنا مُوسَى بنُ صُبيح المروزيّ، قال:

[٣١٩/] / خرج الرَّشيدُ غازِياً بلادَ الرّوم، فَنَزل بهِرَقْلَةَ، ونَصَب الحَربَ عليها، فدخل عليه العُمانِيّ وهو يذكر بَغدادَ وطِيبَها وما فيها أهلُها من النِّعْمة، فأنشده العُمانيّ قصيدَة له في هذا المَعْنَى، يذكُر فيها طِيبَ العَيْشِ بِبَغْدادَ، وسَعَة النعم، وكَثْرةَ اللذّات، يقول فيها:

ثم أتَوْهم بالدَّجاج الدُّجَّجِ ... بين قَدِيدٍ وشِواءٍ مُنضَجِ

وبِعَبِيطٍ ليس بالمُلَهْوَجِ ... فدُقَّ دَقَّ الكودَنيّ الدَّيْزَجِ[3]

حتى مَلاَ أعفاجَ[4] بطنٍ نُفَّجِ ... وقال للقَيْنَة: صُبِّي وامزُجِي

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف دِرْهم.

ابن جامع يغني الرشيد شعراً في ضرب هرقلة

ثم دخل إليه ابنُ جامع وقد أمَر الرَّشيد أن يُوضَع الكِبريتُ والنِّفط الأبيضُ على الحِجارة، وتُلَفّ بالمُشاقَة[5]، وتُوقد فيها النار، ثم تُوضَع في كِفَّة المنجنيق ويُرْمَى بها السُّور، ففعلوا ذلك، وكانت النار تَثْبُت في السُّور وتُصَدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذ، فغَنّاه ابنُ جامع وقال:

هوَتْ هِرَقْلةُ لَمَّا أن رَأتْ عَجَباً ... حَوائِماً[6] ترتَمي بالنِّفطِ والنّارِ

(١) الهيش: الفتنة.

(٢) ب، مد، ما: «حين تجف عبرة للطيش».

(٣) لحم عبيط: طري. والكودني: الفيل. وفي ف: «فدق دق الكودرين الديرج».

(٤) الأعفاج جمع عفج، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة. وفي ف: «حتى ملأ أنفاج بطن تنتجي».

(٥) المشاقة: ما سقط من الشعر والكتان ونحوهما عند المشط.

(٦) ب، مد، ما: «جوائماً».

كـأنَّ نِيـرانَنـا فـي جَنْـب قَلْعتهـم مُصبَّغـاتٌ علـى أرسـان قَصَّـارِ

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم أخرى.

يرتجل شعراً في فرسٍ للمهديّ فيجيزه

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة، قال: حدَّثني أبو هِفّان، قال: حَدَّثني أحمدُ بنُ سليمانَ، قال: قال يَزِيد بنُ عِقال[1]:

/ كنا وُقوفاً والمَهديُّ قد أجرى الخَيْلَ فسبقَها فَرسٌ له يُقال له الغَضْبان، فطلب الشُّعراءَ فلم يحضُر أحدٌ منهم [١٨/ ٣٢٠] إلا أبو دُلامة، فقال له: قلِّده يا زَنْدُ، فلم يفهم ما أراد فقلَّده عِمامَته، فقال له المَهدِيّ: يابْنَ اللَّخْناء، أنا أكثرُ عَمائم منك؛ إنما أردتُ أن تُقلِّدَه شِعراً، ثم قال: يا لَهَفي على العُمانيّ، فلم يَتكلَّم بها حتى أقْبل العُمانيّ، فقيل له: ها هو ذا قد أقْبَل الساعة يا أمير المؤمنين، فقال: قدِّموه، فقدَّموه فقال: قَلِّدْ فَرَسي هذا، فقال غير مُتوقف:

قـد غَضِـبَ الغَضْبـانُ إذ جـدَّ الغَضَـبْ وجـاء يحمـي حَسَبـاً فَـوقَ الحَسَـبْ

مـن إرْثِ عَبَّـاسِ بـنِ عبـدِ المُطَّلـبْ وجـاءت الخَيْـلُ بـه تَشْكـو التَّعَـبْ

* له عليها ما لَكُم على العَرَبْ *

فقال له المَهدِيُّ: أحسنتَ واللهِ، وأمَرَ له بعشرة آلاف درهَم.

/ صوت [١٨/ ٣٢١]

لقـد عَلِمْـتُ ومـا الإسـرافُ مـن خُلُقـي أن الـذي هـو رِزْقـي سـوفَ يـأْتِينـي

أسعَـى لـه فيُعَنِّينـي تَطَلُّبُـه ولـو قَعَـدتُ أتـانـي لا يُعَنِّينـي

الشعر لعُرْوَة بن أُذَيْنَة، والغِناء لمُخارق ثَقيل أول بالبنصر عن عمرو.

---

(١) ب، ما، مد: «يزيد بن عفان».

[٣٢٢/١٨]

/ أخبار عروة بن أذينة ونسبه[١]

نسبه

هو عُروةُ بنُ أُذَيْنَةَ، وأُذَيْنَةُ لَقَبُه، واسمُه يَحْيَى بنُ مالِك[٢] بنِ الحارِث بنِ عَمْرو بنِ عبد الله بن زُحَل بن يَعْمُر، وهو الشَّدَّاخ بنُ عَوْف بنِ كَعب بنِ عامرِ بنِ لَيْث بنِ بكر بن عبدِ مَناة بنِ كِنانَة بن خُزَيمة بن مُدْركة بنِ إلْياس بنِ مُضَر بن نِزار. وسُمّي يَعْمُر بالشَّدّاخ لأنه تحمَّل دِيات قتلى كانت بين قُرَيش وخُزاعة، وقال: قد شَدَخْتُ هذه الدِّماءَ تحت قدميّ، فسُمّي الشَّدَّاخ.

قال ابنُ الكَلْبيّ: الشُّدَّاخ، بضَمّ الشِّين.

شاعر وفقيه ومحدِّث

ويُكنَى عُروةُ بن أُذينة أبا عامر، وهو شاعر غَزِل مُقدَّم، من شُعَراء أهل المَدِينة، وهو مَعدُودٌ في الفُقَهاء والمُحدِّثين، روى عنه مالِكُ بنُ أنَس، وعُبَيْدُ الله بنُ عمر العَدَوِيّ. أخبرني بذلك أحمدُ بنُ عبدِ العَزيز الجَوْهَرِيّ، عن عُمَر بنِ شَبَّة، ورَوى جَدُّه مالِكُ بنُ الحارِث عن عَلِيّ بنِ أبي طالب عليه السّلام.

روى قصة عن جده مالك

أخبرني الحَسَنُ بنُ علِيّ قال: حدَّثَنا محمد بنُ مُوسَى، قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارِث، عن المَدائنيّ، عن ابنِ دَأب، عن عُروَة بن أُذَيْنَة، عن أبيه، قال: حَدَّثَني أبي مالِكُ بنُ الحارِث قال:

خَرَج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجلٌ من قومي كان مُصْطَلَماً[٣]، فخرجتُ في أثره وخَشِيت انقراضَ أهْلِ بيته، فأردتُ أن أستأذِن له من عليّ، فأدركتُ عَلِيّاً عليه السلام بالبَصْرة، وقد هَزَم النَّاسَ ودَخَل البَصْرة، فجِئتُه فقال: / مرحَباً بك يابنَ الفُقَيْمة، أبدَا لك فينا بَداء[٤]؟ قلتُ: والله إنّ نُصْرتَك لحقٌّ، وإنّي لَعَلَى ما عَهِدْتَ أُحِبّ العُزْلَة، ثم ذاكرتُه أمرَ ابن عَمّي ذلك، فلم يبعد عنه[٥]، فكنت آتيه أتحدَّث إليه. فركب يوماً يَطُوف وركبت معه، فإني لأسِير إلى جانبه إذ مَرَرْنا بقَبْر طَلْحة، فنَظَر إليه نَظَراً شديداً، ثم أقبل عليّ فقال: أمسَى واللهِ أبو محمد بهذا المَكان غريباً، ثم تَمَثَّل:

[٣٢٣/١٨]

وما تَدْرِي وإن أزمعتَ أمْراً ... بأيّ الأرض يُدْرِكُك المَقِيلُ

(١) جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرون ١٠٥ ـ ١١١ بعد أن سقطت من نسخة بولاق وموضعها هنا، كما جاءت في نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة.

(٢) «مهذب الأغاني»: «يحيى بن مالك الليثي الكناني».

(٣) المصطلم: المقطوع.

(٤) البداء، بفتح الباء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن. ويقال: بدا لي في هذا الأمر بداء: ظهر لي فيه رأي آخر.

(٥) ف: «يبعد منه».

والله إنّي لأكْرَه أن تكون قريش قَتْلَى تحت بُطون الكَواكِب. قال: فوقع العِراقيّون يَشْتُمون طَلْحَة وسكَتَ عليٌّ وسكَتُّ، حتى إذا فَرَغوا أقبل عليٌّ عليه السلام عليّ فقال: إيه يابْنَ الفُقَيْمة، والله إنه وإن قالوا ما سَمعت لكما قال أخو جُعْفِيّ:

فَتًى كان يُدْنيه الغِنى من صَديقه إذا ما هو استَغْنى ويُبْعِدُه الفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكلِّمَه بشيءٍ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، فقال: وما مَنَعك أن تَقُول: يا أبا الحَسَن[١] ! فقلتُ: أبَيْتُ، فقال: والله إنّها لأحبُّهما إليّ ولولا الحَمْقَى، ولَوَدِدْتُ أني خُنِقْت بحَبْل حتى أمُوت قبل أن يَفعَل عُثمان ما فَعَل، وما أعْتَذِر من قِيامٍ بحَقٍّ، ولكِنّ العافِيَة مما ترى كانَتْ خيراً.

ذهب مع أبيه لمكة ورأى حريق الكعبة

حدَّثنا محمد خَلَف وَكِيع، والحَسنُ بن عليّ الخَفّاف، قالا: حَدَّثنا الحارثُ بنُ أبي أُسامة، قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ سَعْد، عن الواقديّ، عن عبدِ الله بن يَزِيد، عن عُرْوَة بنِ أُذَيْنَة، قال:

قَدِمْتُ مع أبي مَكّة يوم احْتَرقَت الكَعْبَة، فرأيتُ الخَشب وقد خَلَصتْ إليه / النّارُ، ورَأيْتُ الكَعْبَة مُتَجَرِّدَة، من [١٨/ ٣٢٤] الحَرِيق، ورأيتُ الرُّكنَ قد اسوَدّ وتَصدّع من ثَلاثَة أمْكِنة، فقلتُ: ما أصاب الكَعْبَة؟ فأشاروا إلى رجُل من أصحاب ابن الزُّبَيْر فقالوا: هذا احْتَرَقتْ بسببه؛ أخذَ قَبَساً في رأس رُمْح، فطَيَّرت الرِّيح[٢] منه شيْئاً، فضَرَبتْ أستارَ الكَعْبة فيما بيْن اليَمانِيّ إلى الأسود.

وفد على هشام فذكَّره بشعره في القناعة ولامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة

حدَّثني محمد بن جَرِير الطَّبَرِيّ وحفِظْتُه، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ، وحبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبيّ قالوا: حدثنا عُمَرُ بن شَبّة، قال: حدَّثني عُمَر بن مَحْرُوس الورّاق بن أُقَيْصر السُّلمِيُّ، قال: حدَّثنا يَحْيى بن عُروة بن أذَيْنَة، قال:

أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هِشامَ بن عبد الملك، فَنَسَبهم، فلما عرف أبي قال له: أنت القائل:

لقد عَلِمتُ وما الإسْرافُ من خُلُقِي أنّ الذي هو رِزْقي سوفَ يأتِيني[٣]
أسعَى له فيُعَنِّيني تَطَلُّبُه ولو جلستُ[٤] أتاني لا يُعَنِّيني

هذان البيتان فقط ذكرهما المُهَلَّبيُّ والجَوْهَرِيُّ، وذكر محمد بن جَرِير في خبره الأبيات كلها:

وأنَّ حظَّ امرىءٍ غيري سَيَبْلُغُه لا بُدَّ لا بُدَّ أن يَحتازَه[٥] دُوني
لا خَيرَ في طَمعٍ يُدنِي لِمنْقصةٍ وغُفّة[٦] من قَوام العيش تكْفِيني
/ لا أركبُ الأمرَ تُزْري بي عَواقِبُه ولا يُعابُ به عِرضِي ولا دِيني [١٨/ ٣٢٥]

(١) ف: «يا أبا حسن».
(٢) في «تاريخ الطبري» ٥ ـ ٤٩٩ ط. المعارف: «فطيرت الريح به».
(٣) في «الشعر والشعراء» ٢ ـ ٥٧٩: «... فما الإسراف في طمعي». وفي اللسان (شرف): «وما الإشراف في طمعي».
(٤) ف، و«الشعر والشعراء» ٢ ـ ٥٧٩، و «التجريد»: «ولو قعدت».
(٥) مج، «التجريد»: «يجتازه».
(٦) ف، «التجريد»، س: «وغبر من كفاف العيش». وفي «المختار»: «وغفة من كفاف العيش». والغفة: البلغة من العيش.

كَم مِنْ فَقِيرٍ غَنِيِّ النَّفْسِ تَعرِفُه ... ومِن غَنِيٍّ فَقِيرِ النَّفْسِ مِسْكِينِ
ومِن عَدُوٍّ رَمانِي لو قَصَدتُ له ... لم يَأْخُذِ النِّصفَ مني حين يرمِينِي (١)
ومن أخٍ لي طوى كَشْحاً فقلتُ له: ... إنَّ انْطِوَاءَك عني سوف يَطْوِينِي
إني لأَنْطِقُ فيما كان من أَرَبِي ... وأُكثِرُ الصَّمتَ فيما ليس يَعْنِينِي
لا أَبْتَغِي وَصْلَ من يَبْغِي مفارقتي (٢) ... ولا أَلِينُ لمَنْ لا يَشْتَهِي لِينِي

فقال له ابنُ أُذَيْنَة: نعم أنا قائلها، قال: أفلا قعدتَ في بيتِك حتى يأتيك رزقُك!.

وغَفل عنه هِشامٌ، فخرج من وقته وركب راحلَته ومضى مُنصرِفاً، ثم افتقده هِشامٌ فعرفَ خَبرَه، فأتبَعه بجائزة وقال للرَّسُول: قل له: أردتَ أن تُكَذِّبنا وتُصَدِّق نفسَك. فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماء يَتَغَدّى عليه، فأبلغه رسالتَه ودفَع الجائزة. فقال: قل له: صدَّقني رَبّي وكَذَّبك.

قال يَحيى بنُ عُروة: وفرض له فريضتين، فكنت أنا في إحداهما.

أخبرنا وَكِيع قال: حدَّثنا هارُون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدَّثني الزُّبَير بنُ بَكَّار، قال: حدَّثني أبو غَزِيَّة، قال: حدَّثني أنَسُ بنُ حَبِيب، قال:

خرج ابنُ أُذَيْنَة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وَفَدوا عليه، وكان ابنُه مَسْلَمة بن هشام سَنَة حَجَّ أذن لهم في الوفود عليه، فلما دخلوا على هِشام انْتَسَبُوا له وسلَّموا عليه، فقال: ما جاءَ بك يابن أُذَيْنَة؟ فقال:

أتينا نمُتُّ بأرحامِنا ... وجئنا بإذْنِ أبي شَاكِرِ
فإنَّ الذي سارَ مَعروفُه ... بنجْدٍ وَغار مع الغائرِ
/ إلى خَيْرِ خِنْدِفَ في ملكها ... لِبادٍ من النَّاس أو حَاضِرِ

[٣٢٦/١٨]

فقال له هِشام: ما أراكَ إلا قد أكْذَبْتَ نفسك حيث تقول:

لقد عَلِمتُ وما الإسْرافُ من خُلُقِي ... أنَّ الذي هو رِزْقِي سوف يَأْتِينِي
أسعَى له فيُعَنِّينِي تَطَلُّبُه ... ولو جَلَستُ أتانِي لا يُعَنِّينِي

فقال له ابن أُذَيْنَة: ما أكذبْتُ نفسي يا أميرَ المؤمنينِ، ولكني صدَّقْتُها، وهذا من ذاك. ثم خرجَ من عِنده فركب راحِلَته إلى المدينة، فلما أمَر لهم هِشامٌ بجَوَائزهم فَقَده، فقال: أين ابنُ أُذَيْنَة؟ فقالوا: غَضِب من تَقْريعك له يا أميرَ المؤمنين، فانصرف راجعاً إلى المدينة، فبَعَث إليه هِشام بجائزَته.

مرّ بغنمه وراعيه نائم فضربه وقال شعراً

أخبرنا وَكيع، قال: حدّثنا هارونُ بنُ محمد، قال: حدّثنا الزُّبَيرُ بنُ بَكَّار، قال: حدَّثني عمِّي، عن عُرْوَة بنِ عُبَيْد الله، قال:

كان عُروَةُ بن أُذَيْنَة نازلاً مع أبي في قصر عُروَة بالعقِيق، وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابنُ أُذَيْنَة، ونظر إلى

(١) هذا البيت ساقط من ف. والنِّصفُ: الإنصاف. يقال: ما جعلوا بيني وبينهم نصفاً.
(٢) «المختار»: «مقاطعتي».

غنم كانت له في يَدَيْ راعٍ يقال له كَعْب، وهي مُهْمَلة، وكَعْب نَائِم حَجْرةً[1]، فجعل ابن أُذَيْنَة يَنْزو حوله وهو يَضربُه ويقول:

لـو يَعْلَـم الـذِّئـبُ بنَـوْم كَعْـبِ إذاً لأمْسَـى عنـدنـا ذا ذَنْـبِ
أضـربُـه ولا يَقُـول حَسْبِـي لا بـدَّ عنـد ضَيْعَـةٍ مـن ضَـرْبِ

غنّى ابن عائشة بشعره

أخبرني أحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجَوهريُّ، وحَبيبُ بنُ نَصْرٍ المُهَلَّبيُّ، وإسماعيل بنُ يونُس الشِّيعيّ قالوا: حَدّثنا عُمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حدّثني أبو غسّان محمد بنُ يحيى، عن بعض أصحابه، قال:

/ مرَّ ابنُ عائشة المُغنيّ بعُرْوةَ بنِ أُذَيْنَة، فقال له: قل لِي أبياتاً هزَجاً أغنّي فيها، فقال له: اجلس، فجلس، [٧/١٨] فقال:

صوت

سُلَيْمَـى أجمَعَـتْ بَيْنـاً فـأيْـنَ تقـولُهـا أينـا!
وقـد قـالَـتْ لأتْـرابٍ لهـا زُهْـرٍ تـلاقَيْنـا:
تعـالَيْـنَ فقـد طـابَ لنـا العَيْـشُ تعـالَيْنـا
وغـاب البَـرِمُ[2] الليْـلـةَ والعَيْـنُ فـلا عَيْنـا
فـأقبلْـنَ إليهـا مُسْـرعـاتٍ يَتَهـادَيْنـا
إلـى مثـل مَهـاة الـرّمْـلِ تكسـو المَجلسَ الـزّينـا
تمنّيْـنَ مُنَـاهُـن فكُنّـا مـا تمنّينـا

قال أبو غسّان: فحُدِّثتُ أنّ ابنَ عَائِشَة رَواها، ثم ضحك لمّا سَمع قوله:

تَمَنَّيْـنَ مُنَـاهُـنَّ فكُنّـا مـا تمنَّيْنـا

ثم قال: يا أبا عامر تمَنَّيْنَكَ[3] لمّا أقبل بَخرُك وأدبر ذَكَرُك.

ذُكر عند عمر بن عبد العزيز فامتدحه

قال عمرُ بن شَبَّة: قال أبو غَسّان: فحدَّثني حَمّاد الحُسَينيُّ قال::

ذُكِر ابنُ أذينة عند عمرَ بنِ عبد العزيز، فقال: نِعْمَ الرَّجل أبو عامر، على أنه الذي يقول:

وقـدْ قـالَـتْ لأتْـرابٍ لهـا زُهْـرٍ تَـلاقَيْنَا

/ وأخبَرني بهذا الخَبر وكيع، قال: حدّثني هارُونُ بن محمد بنِ عبد الملك الزّيّاتُ، عن الزُّبَيْر، عن محمد بن [٨/١٨] يَحْيى، عن إسحاق بنِ إبراهيم، عن قسطاس قال:

(١) حجرة: ناحية.
(٢) البرمُ: الضجِر السّؤوم.
(٣) «المختار»: «تمنتك».

مَرَّ ابنُ عائشة بابنِ أُذَيْنة، ثمّ ذكر الخَبرَ مِثْلَ الذي قبله.

اعتراض سكينة على ادعائه العفة مع شعر قاله

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ، والحَرَميّ بنُ أبي العَلاء، قالا: حدَّثنا الزّبيرُ بنُ بكّار، قال: حدثني أبو مُعاوية عبدُ الجَبّار بنُ سَعيد المساحقيّ، وأخبرنا به وكيع، قال: حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ، عن الحارث بنِ محمد العَوْفيّ، قال:

وقفت سُكَينةُ بنتُ الحُسين بنِ عليّ عليهما السّلام على عُرْوَةَ بن أذينة في موكبها ومعها جَوارِيها، فقالت: يا أبا عامِر، أنت الذي تَزعمُ أن لك مُروءَةَ، وأنّ غَزَلَك من وراءِ عِفّة وأنّك تقيٌّ؟ قال: نعم، قالت: أفأنتَ الذي تقول:

صوت

قـالـت وأبْثَثْتُهـا وَجْـدِي فبُحـتُ بـه: قـد كنـتَ عنـدي تُحـبُّ السّتـرَ فـاستَتِـرِ
ألسـتَ تُبصِـر مَـنْ حَـوْلـي؟ فقلـتُ لهـا: غَطّـى هـواكِ ومـا ألقَـى علـى بَصـرِي[1]

قال لها: بلى، قالت: هُنّ حَرائر إن كانَ هذا خَرج مِن قلْبٍ سليمٍ، أو قالت: من قلْبٍ صحيحٍ.

في هذيْن البيتين لِعَلُّوية رَمَل بالبنصر، وفيهما لإسحاق هَزَج بالوسطى، / وفيهما لمخارِق ثَقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ وعمرو بن بانة، وذكر حَبَش أنّ الثقيل الأول لمعبد اليَقطِينيّ. [٣٢٩/١]

تمثل المتوكل للمنتصر بشعره

وذكر عليُّ بنُ محمد بن نصر البسّاميّ أن خاله أبا عبد الله بنَ حمدون بنِ إسماعيل قال:

كنت جالساً بين يدي المُتَوكل، وبين يديه المنتصر، فأحضر المعتزّ وهو صَبيّ صغير، فلعبَ فأفْرَط في اللّعب، والمنتصر يرمُقه كالمنكر لِفعله، فنظَر إليه المُتَوكِّلِ عدّة دفعَات، ثم التفَت إلى المُنْتصِر فقال: يا محمد:

قـالـتْ وَأبْثَثْتُهـا وَجْـدِي فبُحـتُ بـه: قـد كُنْـتَ عنـدي تُحـب السّتـر فـاسْتِتِـرِ

قال: فاعتذر إليه المنتصرُ عُذراً قبله وهو مُقطِّب مُعرِض. قال: وكان المنتصرُ أشدَّ خَلْقِ الله بُغضاً للمعتز، وطَعناً عليه. ولقد دخلْتُ إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المُهَلَّبيُّ بعد قتل المتوكل وإفضاءِ الخلافة إليه، ومع المُهلبيّ دِرْع كأنها فضة، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه دِرْع المُهلَّب، فأخذها وقام فلبسها، ورأى المُعتزّ وعليه وَشيٌ مُثقل وما أشْبَه ذلك، فتمثّل ببيتِ جرير:

لَبِسْـتُ سِـلاحِـي والفَـرزدقُ لُعبـةٌ عليـه وشـاحـا كُـرَّجٍ[2] وجـلاجلُـهْ

اعترضت امرأة على شعر قاله

أخبرني وكيع، قال: حدثني هارُونُ بنُ محمد، قال: حدَّثني عبدُ الله بن شُعيْب الزُّبَيْريّ، قال: حدثني عبدُ العزيز بنُ أبي سَلَمة قال:

(١) البيتان في «الشعر والشعراء» ٢ ـ ٥٧٩ ط. المعارف. وفي «التنبيه» ـ ٢٧ ط. دار الكتب.
(٢) الكُرَّج: مهر خشبي يلعب عليه الأطفال.

مرّت امرأةٌ بابْنِ أُذَيْنة وهو بفِناء دارِه فقالت له: آأنْتَ ابنُ أُذَيْنة؟ قال: نعم، قالت: آأنتَ الذي يَقولُ النّاس إنك امرؤٌ صالح[1]، وأنتَ الّذي تقول:

إذا وَجـدتُ أُوارَ الحُـبِّ فـي كَبِـدي ... عَمَـدتُ نحـوَ سِقـاء القَـوْمِ أبْتَـرِدُ
/ هَبْنِـي بَـرَدْتُ بِبَـرْد المـاءِ ظـاهـرَه ... فمَـنْ لِحَـرٍّ علـى الأحشـاءِ يَتَّقِـدُ![2] [١٨/ ٣٣٠]

أبو السائب المخزومي يطلب إنشاده شعراً قاله عروة

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العَلاء، قال: حدَّثنا الزُّبَيْر بنُ بَكّار، قال: حدَّثني عَمّي، عن عُرْوَة بنِ عبدِ الله، وأخبرنا به وَكِيعٌ، عن هارونَ بن الزَّيّات، عن الزُّبَيْرِيّ، عن عمه، عن عُرْوَةَ بنِ عبد الله، وذكره حمّاد، عن أبيه، عن الزُّبَيْرِيّ، عن عروة هذا قال:

كان عُروةُ بنُ أُذَيْنة نازلاً في دار أبِي بالعَقِيق، فسَمِعَه ينشد:

صوت

إنَّ التـي زعمَـتْ فُـؤادَك ملَّهـا ... جُعِلَـتْ هَـواكَ كمـا جُعِلْـتَ هـوًى لهـا
فَبِـكَ الّـذي[3] زَعَمَـتْ بهـا وكـلاكُمـا ... يُبْـدِي لِصـاحِبِـه الصَّبـابـةَ كُلَّهـا
ويَبِيـتُ بيـن جَـوانِحـي حُـبٌّ لهـا ... لـو كـان تحت فِـراشِهـا لأقلَّهـا[4]
ولعمـرُهـا لـو كـان حبُّـك فـوقهـا ... يـومـاً وقـد ضَحِيَـتْ إذاً لأظلَّهـا
وإذا وجـدتُ لهـا وَسـاوسَ سَلْـوَةٍ ... شَفَـعَ الفُـؤادُ إلـى الضَّميـر فسلَّهـا[5]
بيضـاءُ بـاكَـرَهـا النَّعِيـمُ فَصـاغَهـا ... بِلَبـاقَـةٍ فـأدَقَّهـا وأجَلَّهـا[6]
لمـا عَـرضْـتُ مُسَلِّمـاً لـي حـاجَـةٌ ... أرجُـو مَعـونَتَهـا وأخْشـى دَلَّهـا[7]
مَنَعَـتْ تَحِيَّتَهـا فقلـتُ لصـاحِبِـي: ... مـا كـان أكْثَـرهـا لنـا وأقَلَّهـا
/ فـدنـا فقـال: لَعَلَّهـا مَعْـذُورةٌ ... مـن أجـل رِقْبَتِهـا، فقلـتُ: لَعَلَّهـا [١٨/ ٣٣١]

قال: فأتاني أبو السَّائِب المَخْزُوميُّ وأنا في دارِي بالعَقِيق، فقلت له بعد التَّرحِيب: هل بدت لك حاجَة؟ فقال: نعم، أبيات لعُرْوة بن أذينة، بلغني أنّك سمعتها منه، فقلت له: وأيّة أبيات؟ فقال: وهل يَخفَى القَمَر؟ قوله:

* إنّ الّتِي زَعَمَتْ فؤادك مَلَّها *

فأنشدْتُه إيّاها، فلما بَلَغْتُ إلى قوله: «فقلت: لَعَلَّها». قال: أحسَن والله، هذا والله الدّائمُ العَهْد، الصادِقُ الصبابة، لا الذي يقول:

(١) ف، «التجريد»: «يقول الناس: إنك بريء وإنك صالح».
(٢) البيتان في «التنبيه» ـ ٢٦ ط. دار الكتب، وروي الشطر الأخير من البيت الثاني: «فمن لنار على الأحشاء تتقد».
(٣) مج، «المختار»: «التي زعمت».
(٤) أقلها: أصابها وأتعبها. وهذا البيت ساقط من ف.
(٥) في «الأمالي» ١ ـ ١٥٦: «شفع الضمير لها إلى فسلها»، وفي «المختار»: «شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها».
(٦) في «الأمالي» ١ ـ ١٥٦: «بلبانه فأرقها وأجلها».
(٧) س: «ذلّها».

إن كـــان أهلُـــكِ يَمْنَعـــونـــكِ رَغْبَـــةً عَنّـــي فـــأَهْلِـــي بـــي أضَـــنُّ وأرْغَـــبُ

اذهَبْ لا صَحِبك الله ولا وَسَّع عليك ـ يَعْني قائِلَ هذا البيت ـ لقد عدا الأعرابِيُّ طَوْرَه، وإني لأرجُو أن يَغفر الله لصاحِبك ـ يَعْني عُرْوةَ ـ لحُسْن ظَنِّه بها، وطَلَبِه العُذْر لها. قال: فعَرضْتُ عليه الطَّعام فقال: لا، والله ما كُنْتُ لآكُل بهذه الأبيات طَعاماً إلى اللَّيل، وانصرف.

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشِّعر المذكور فيه لعُرْوة في البَيْت الأول والرَّابع من الأَبيات خَفيف رَمَل بالوسطى، نسبه ابنُ المَكّيّ إلى ابن مِسْجَح، وقيل: إنّه من مَنْحُوله إليه، وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابنِ أُذَيْنَة خَفيف ثَقِيل لابن الهِرْبِذ، والبَيْت:

وبَيِيـــتُ بيـــن جَـــوانِحـــي حُـــبٌّ لهـــا لـــو كـــان تحـــت فِـــرَاشِهـــا لأَقَلَّهـــا

رأيٌ لأبي السائب في شعر قاله

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْر بنُ بكّار، قال: حدَّثنا عُمرُ بن أبي بَكْر المُؤَمَّليُّ، قال: أخبرنا عبدُ الله بن أبي عُبَيْدة[1] ، قال: قلتُ: لأبي السَّائب المَخْزُومي: ما أحسَن عُروة بنَ أُذَيْنة حيث يقول:

[١٨/ ٣٣٢]

صوت

لَبِثُـــوا ثَـــلاثَ مِنًـــى بمَنْـــزِلِ غِبْطَـــةٍ وهُـــم علـــى غَـــرَضٍ لَعَمْـــرُكَ مـــا هُـــمُ
مُتجـــاوِريـــن بغَيْـــر دارِ إقـــامـــةٍ لـــو قـــد أجـــدَّ رَحِيلُهـــم لـــم يَنْـــدَمُـــوا
ولَهُـــنَّ بـــالبَيْـــت العَتِيـــق لُبـــانـــةٌ والبَيْـــتُ يعـــرفهـــنَّ لَـــوْ يَتَكَلَّـــم[2]
لـــو كـــان حيّـــاً قَبْلَهـــنَّ ظعـــائِنـــاً حَيّـــا الحَطِيـــمُ وُجُـــوهَهـــنَّ وزَمْـــزَمُ
وكـــأنّهُـــنَّ وقـــد حَسَـــرن لَـــواغِبـــاً بَيْـــضٌ بـــأَكْنـــاف الحَطِيـــمِ مُـــرَكَّـــمُ

في هذه الأبيات الثّلاثة لابْنِ سُرَيج ثاني ثَقِيل بالبِنْصَر عن عمرو.

قال: فقال: لا، واللهِ ما أحسنَ ولا أجملَ، ولكنَّه أهْجَر وأخْطَل في صِفَتِهِنَّ بهذه الصفة، ثم لا يَنْدَم على رَحِيلهن، أهكذا قال كُثَيِّر حيث يقول:

صوت

تَفَـــرّق أهـــواءُ الحجيـــج علـــى مِنًـــى وصَـــدَّعَهـــم شَعْـــبُ النَّـــوَى صُبْـــحَ أرْبَـــعِ[3]
فَـــرِيقَـــان: مِنهُـــم سَـــالِـــكٌ بَطْـــنَ نَخْلـــةٍ وآخَـــرُ منهـــم سَـــالِـــك بطـــنَ تَضْـــرُعِ[4]

ـ في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهِشامِيّ وحَبَش ـ.

(١) ف: «أخبرنا عبد الله بن عبيدة».
(٢) ف: «لا يتكلم».
(٣) في ف: «منذ أربع». وفي «معجم البلدان» ١ ـ ٨٥٣: «إلى منى... مشى أربع».
(٤) في «معجم البلدان» ١ ـ ٨٥٣: تضرع: جبل لكنانة قرب مكة.

فلــــم أرَ داراً مثْلَهـــــا غِبْطَــــةٍ ومَلقًــى إذا التَــفَّ الحَجِيــجُ بمَجْمَــعِ
أقــلَّ مُقِيمــاً راضِيــاً بمَكــانِـــه وأكثـــرَ جـــاراً ظَـــاعِنـــاً لـــم يُـــوَدَّعِ

انظُرْ إليه كيف تَقدَّمت شهادتُه عِلمَه وكبا لسانُه ببيانه[1]، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به[2]، ولكن مُكْرَهٌ أخُوك لا بَطَل، والعَرْجيّ كان أوفَى بالعَهْد منهما وَأوْلَى بالصَّواب، حين تَعرَّض لها نافرةً من مِنًى، فقال لها عاتباً مُسْتكيناً:

/ عُــوجِـــي علــيَّ فَسَلِّمـــي جَبْـــرُ فِيـــمَ الصُّــــدودُ وأنتُـــم سَفْـــرُ! [١٨/٣٣]
مـــــا نَلْتَقِـــــي إلاّ ثَـــلاثَ مِنًـــى حتـــى يُفَـــرِّق بَيْنَنـــا النَّفْـــرُ

في هذين البيتين غناء قد تقدّمت نِسْبتُه في أخبار ابنِ جامع في أوّل الكِتاب[3].

أخبرني الحَرَميُّ بنُ أبي العَلاء، قال: حدّثنا الزُّبَيْر بنُ بَكّار، قال: حَدَّثني جعفر بنُ مُوسى اللَّهَبِي، قال:

كان عبدُ المَلِك بنُ مَرْوان إذا قَدِم مَكّةَ أَذِن للقُرَشِيِّين في السَّلام عليه، فإذا أراد الخُروج لم يأذَن لأحد منهم وقال: أكذبنا إذاً قول المُلَحّى - يعني كُثَيِّراً - حيث يَقولُ:

تَفــرَّق أهــواءُ الحَجِيــج علـــى مِنًـــى وصــدَّعهــم شعــبُ النــوى صُبــحَ أرْبَــع

وذكَرَ الأبيات الأربعة.

خالد صامة يغني شعره بين يدي الوليد بن يزيد

أخبرنا عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يَزيد، قال: حَدَّثَ الزبيريّ، عن خالد صامة، وكان أحدَ المُغَنِّين قال:

قَدِمْتُ على الوَليد بنِ يَزيد، فدخلت إليه وهو في مَجلِس نَاهِيك به، وهو على سرير، وبين يَدَيْه مَعْبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامِل، فجَعَلوا يُغَنّون، حتى بلغت النَّوْبَةُ إليَّ فَغَنَّيْته:

صوت

سَــرَى هَمِّــي وَهــمُّ المَــرْءِ يَسْــرِي وغــــارَ النَّجْـــم إلا قِيـــسَ فِتْـــرِ[4]
/ أُراقِـــبُ فـــي المَجَـــرَّةِ كُـــلَّ نَجْـــم تَعـــرَّض للمَجَـــرَّة كيـــف يَجْـــرِي [١٨/٣٤]
لِهَـــمٍّ مـــا أزال لـــه مُـــدِيمــاً كـــأنَّ القَلْـــبَ أُضْـــرِم حـــرَّ جَمْـــرِ[5]
علـــى بَكْـــرٍ أخِـــي وَلَّـــى حَمِيـــداً وأيُّ العَيْـــش يَصْفُـــو بعـــد بَكْـــرِ!

(١) ف: «وكفى لسانه ببيانه».
(٢) ف: «وجعل يغتبط عاقل بمقام ولا يرضى به».
(٣) البيتان في الجزء الأول ص ٤٢٢ (طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) معزوان للعرجي، وهو يشبب ببجيرة المخزومية زوجة محمد بن هشام وجاء بعدهما بيت ثالث وهو:

الحـــول بعـــد الحـــول يجمعنـــا مـــا الـــدهـــر إلا الحـــول والهشـــر

(٤) في «رغبة الآمل» ٢ - ٢٣٨: «وغار النجم إلا قيد فتر». وقيس فتر: مقداره.
(٥) ف: «قديماً» بدل: «مديماً». وفي «رغبة الآمل» ٢ - ٢٣٨: «كأن القلب سعر حر جمر».

فقال لي الوَلِيدُ: أَعِد يا صام[١] ، ففَعَلْتُ، فقال لي: مَنْ يَقُولُ هذا الشِّعر؟ قُلْتُ: عروة[٢] بن أذينة يَرْثي أخاه بَكْراً. فقال لي: وأيّ العَيْش لا يَصْفُو بعده هذا العَيْش واللهِ الذي نحن فيه على رَغْم أنفه، والله لقد تَحَجَّر واسعاً[٣] .

لابن سُرَيْج في هذه الأبيات ثاني ثَقيل بالوُسْطى عن عَمْرو وابْنِ المَكّيّ وغيرهما وفيها رمل يُنْسَب إلى ابن عباد الكاتب، وإلى حاجب الحَزّور[٤] ، وإلى مسكين بن صدقة.

حدَّثنا الأخفش، عن محمد بن يزيد، قال: قال الزُّبَيري:

حُدِّثتُ أن سُكَيْنَةَ بنتَ الحُسَين عليه السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت: مَنْ بَكْر هذا؟ أليس هو الأسودُ الدَّحْداح[٥] الذي كان يَمُرُّ بنا؟ قالوا: نعم، فقالت: لقد طابَ كلُّ شيء بعده حتى الخُبز والزَّيت.

اعترض ابن أبي عتيق على شعره في رثاء أخيه فخاصمه

وأخبرني الحسَنُ بن عليّ الخَفَّاف، قال: حدَّثنا أحمدُ بن سَعيد الدِّمَشْقيّ، قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار، قال: حدثني عمِّي، قال:

لَقيَ ابنُ أبي عَتِيق عُروةَ بن أُذَيْنَةَ فأنشده قوله:

لا بَكْـــرَ لـــي إذ دَعَـــوْتُ بَكْـــراً ودُونَ بَكْـــرٍ ثَـــرًى وطِيـــنُ

[١/٣٣٥] / حتى فرغَ منها، ثم أنشده:

* سَرَى هَمِّي وهَمُّ المَرْءُ يَسرِي *

حتى بلغ إلى قوله:

* وأيُّ العَيْش يَصلُح بعد بَكْر! *

فقال له ابنُ أبي عَتيق[٦] : كلُّ العَيْش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت. فغَضِب عُروةُ من قوله، وقام عن مَجْلِسه، وحلف ألاّ يُكَلِّمه أبداً، فماتا مُتَهاجرَين.

(١) ف، مج: «يا أصم».
(٢) ف: «عمر بن أذينة».
(٣) تحَجَر واسعاً: ضيّق على نفسه.
(٤) س: «ينسب إلى أبي عباد الكلب، وإلى صاحب الحرون».
(٥) الدحداح: القصير.
(٦) س، مج: «ابن عتيق».

/ ذكر مخارق وأخباره[1]

[٣٣٦/١٨]

نسبه

هو مُخارِق بنُ يحيى بن ناووس الجَزَّار مَوْلَى الرَّشيد، وقيل: بل ناوُوس لقَب أبيه يحيى، ويُكنى أبا المُهَنَّأ، كناه الرشيد بذلك.

وكان قبله لعاتِكة بنت شُهْدَة، وهي من المُغنِّيات المُحسِنات المُتقدِّمات في الضَّرب، ذكر ذلك مُخارِقٌ واعترفَ به. ونَشَأ بالمدينة، وقيل: بل كان مَنْشَؤه بالكُوفة.

بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء

وكان أبوه جَزَّاراً مملوكاً، وكان مُخارِق وهو صبيّ ينادي على ما يبيعُه أبوه[2] من اللحم، فلما بانَ طِيبُ صوتِه علَّمته مولاتُه طَرَفاً من الغِناء، ثم أرادت بيعَه، فاشتراه إبراهيمُ الموصِليُّ منها، وأهداه للفَضْل بن يَحْيى، فأخذه الرَّشيد منه، ثم أعتقَه.

اشتراه إبراهيم الموصلي ثم وهبه إلى الفضل بن يحيى ثم صار إلى الرشيد

أخبرني الحُسَين بن يحيى، قال: قال حَمَّاد: حدَّثني زَكرِيَّا مولاهم، وأخبرني محمدُ بن يَحْيى الصُّولِيُّ، قال: حدَّثني عُبَيْدُ الله بن محمد بن عبدِ المِلك، قال: حدَّثنا حَمَّادُ بن إسحاق، عن زَكَرِيَّا مَوْلاهم، قال:

قدِمَتْ مَولاةُ مُخارِق به من الكُوفة، فنزلت المُخرِّم[3]، وصار إبراهيمُ إلى جَدِّي الأصْبغ بن سِنان المُقَيِّن[4] وسِيرِين[5] بن طَرْخان النَّخَّاس، فقالا له: إن / ها هنا امرأةً من أهل الكُوفة قد قَدِمت ومعها غلام يَتَغَنَّى، فأُحِبُّ [٣٣٧/١٨] أن تنفعها فيه، قال: فوجَّهني مع مولاته لأحمِلَه، فوجدته مُتَمرِّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المُخَرِّم وهو يلعب، فَحَمَلتُه خلفي وأتيتُ به إبراهيمَ، فتغنَّى بين يديه فقال لها: كم أمَلُكِ فيه؟ قالت: عشرة آلاف درهم، قال: قد أخذتُه بها وهو خَيرٌ منها. فقالت: أَقِلْني، قال: قد فَعلتُ، فكم أملُك فيه؟ قالت: عشرون ألفاً، قال: قد أَخذتُه بها وهو خَيرٌ منها. فقالت: والله ما تَطيبُ نفسي أن أمتنع[6] من عشرين ألف درهم بكَبِدٍ رطبة، فهل لك فِيَّ خَصْلة تُعطِيني به ثلاثين ألفَ درهم ولا أستَقِيلُك[7] بعدها؟ فقال: قد فَعلتُ وهو خَير منها، فَصَفَقَت على يَدِه[8] وبايَعَتْه، وأمر

(١) جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين ١٤٣ ـ ١٥٩، وسقطت من طبعة بولاق وموضعها هنا، كما جاءت في نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة.
(٢) ف: «أبو مخارق».
(٣) المخرم (بكسر الراء): محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح.
(٤) المقين من قيَّنه تقييناً: زيَّنه.
(٥) في «المختار»: «شيرين بن طرخان». وفي مج: «بشر بن طرخان»، وفي ما: «ابن طرخان».
(٦) ف، «المختار»: «والله ما تطيب نفسي أن أمنع كبداً رطبة عشرين ألف درهم».
(٧) ف: «ولا أستقلك». واستقاله البيع: طلب إليه أن يفسخه.
(٨) صفقت على يده: ضربت يدها على يده، وذلك وجوب البيع.

بالمال فأُحْضِر، وأمرَ بثلاثةِ آلاف درهم فَزِيدَت عليه، وقال: تكونُ هذه لِهَدِيَّة تُهْدِينها أو كُسْوة تَكْتَسِينها، ولا تَثْلَمِين المال.

وراح إلى الفَضْل بن يحيى فقال له: ما خيرُ غلامٍ بلغني أنك اشتريتَه؟ قال: هو ما بلغَك، قال: فأرِنيه، فأحضَره، فلما تَغَنَّى بين يدي الفَضْل قال له: ما أرى فيه الذي رأيت، قال: أنتَ تُرِيد أن يكون في الغِناء مثلي في ساعة واحدة، ولم يَكُن مثلُه في الدّنيا ولا يكون أبداً. فقال: بكم تَبِيعُه؟ فقال: اشتريتُه بثلاثة وثلاثين ألف دِرهم، وهو حُرّ لوجه الله تعالى إن بعتُه إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار، فغضِب الفَضْل وقال: إنما أردتَ أن تَمْنَعنيه أو تجعلَه سبباً لأن تأخذَ منّي ثلاثةً وثلاثين ألف دينار، فقال له: أنا أصنعُ بك خَصْلَة؛ أَبيعُك نِصفَه بنِصْف هذا المال، وأكون شَريكك في نِصفه وأُعلِّمه، فإن أعْجَبك إذا علّمتُه أتممتَ لي باقي المال. وإلا بِعتُه بعد ذلك وكان الرِّبْحُ بيني وبينك. فقال له الفَضْل: إنما أردتَ أن تأخذ منّي المال الذي قَدَّمتَ ذِكرَه، فلما لم تقدِر على ذلك أردتَ أن تأخُذَ نصفَه.

[٣٣٨/١٨] / وغضِب، فقال له إبراهيمُ: فأنا أَهَبُه لك، على أنه يُساوي ثلاثةً وثلاثين ألفَ دِينار، قال: قد قَبِلْتُه، قال: قد وهَبْتُه لك، وغَدَا إبراهيمُ على الرَّشيد، فقال له: يا إبراهيم ما غُلامٌ بلَغني أنك وهبتَه للفَضْل؟ قال: فقلتُ: غُلام يا أميرَ المؤمنين لم تملِك العَرَبُ ولا العَجَمُ مِثلَه، ولا يكون مِثلُه أبداً، قال: فوجِّه إلى الفَضْل فأمره بإحضاره، فوجَّه به إليه فتَغنَّى بين يديه، فقال لي: كَمْ يُساوِي؟ قال: قلت: يُساوي خَراجَ مِصْر وضِياعَها.

فقال لي: ويلك، أتَدْري ما تقول! مبلغُ هذا المال كذا وكذا، فقلت: وما مِقْدارُ هذا المال في شيء لم يَملِكْ أحدٌ مِثلَه قَطّ! قال: فالتفتَ إلى مسرور الكبير وقال:

قد عَرفْتَ يميني ألّا أسألَ أحداً من البَرامِكة شيئاً بعد فَنْفَنَة[١]، فقال مَسْرور: فأنا أمضِي إلى الفَضْل فأسْتَوْهِبُهُ منه، فإذا وهبه لي وكان عَبْدِي فهو عَبْدك، فقال له: شأنُك. فمضى مَسْرور إلى الفَضْل فقال له: قد عَرفتُم ما وَقَعْتُم فيه من أمر فَنْفَنَة[١]، وإن مَنَعْتُموه هذا الغُلام قامَت القيامة، واستَوْهَبه منه فَوهَبه له، فبلَغ ما رأيت. فكان عَلُّويةُ إذا غَضِب على مُخارق يقول له ـ حيث يقول: أنا مَولى أميرِ المؤمنين ـ متى كنت كذلك؟ إنما أنت عَبْدُ الفَضْل بن يحيى أو مَوْلَى مَسْرُور.

سبب تلقيب أبيه بناووس

أخبرني ابنُ أبي الأزهر، قال: حدَّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه قال:

كان مُخارِقُ بنُ ناوُوس الجَزّار؛ وإنما لُقِّب بِناوُوس لأنه بايعَ رجلاً أنه يمضي إلى نَاوُوس[٢] الكُوفَة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تَنْضَج، فطَرَح رَهْنه بذلك، فدسَّ الرجلُ الذي راهَنَهُ رَجُلاً، فألقى نفسَه في النَّاوُوس[٢] بين المَوْتَى، فلَمّا فَرَغ من الطَّبيخ[٣] [٣٣٩/١٨] / مَدَّ الرّجل يدَه من بين الموتى وقال له: أطعِمْني، فغرَف مِلْءَ المِغْرَفة من المَرَقة فصبَّها في يد الرجل فأحرقَها، وضَربَها بالمِغْرفة وقال له: اصبر حتى نُطعِم الأحياءَ أولاً ثم نتفرَّغ للمَوْتى، فلُقِّب بناووس لذلك، فنشأ ابنُه مُخارِق، وكان يُنادِي عليه إذا باعَ الجَزورَ، فخَرج له صوتٌ عَجِيب، فاشتراه أبي وأهداه

(١) «المختار»، «تنفنة»، ولعله خادم أو جارية.
(٢) الناووس: مقبرة النصارى.
(٣) ف، «التجريد»: «فلما فرغ ناووس من طبيخه».

للرَّشيد فأمَرَه بتَعْليمِه فعَلَّمه حتى بلغ المَبْلَغ الذي بلَغه.

غنى لرشيد بعد ابن جامع ففاقه

وكان يقِف بين يدي الرَّشيد مع الغِلمان لا يجلِس، ويُغَنِّي وهو واقف، فغَنَّى ابنُ جَامع ذاتَ يوم بين يَدي الرَّشيد:

كـأنَّ نِيـرانَنـا فـي جَنْـب قلْعتهـم ... مُصَبَّغـاتٌ علـى أرسـانِ قصّـار[1]

هَـوَتْ هِـرَقْلـة لمّـا أنْ رأتْ عَجَبـاً ... حَـوَائمـاً[2] تَـرتمـي بـالنَّفـط والنَّـار

فطَرِب الرشيد واستعاده عِدّة مَرّات، وهو شعر مُدح به الرشيد في فتح هِرَقْلة، وأقبل يومئذ على ابن جامع دُون غيره، فغَمز مُخارقٌ إبراهيمَ بعينه، وتقدَّمه إلى الخَلاء، فلما جاءه قال له: ما لي أراكَ مُنكسراً[3]؟ قال: أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت؟ فقال: قد واللهِ أخذتُه، فقال له: ويْحَك إنه الرَّشيد، وابنُ جامع منْ تَعلم، ولا يُمكن مُعارَضَتُه إلا بما يَزِيد على غِنائه، وإلا فهو الموت، وقال: دَعْني وخلاَكَ ذَمٌّ، وعرِّفه أنّي أُغَنّي به، فإنْ أحسنتُ فإليك يُنسَب، وإنْ أسأتُ فإليّ يَعود[4]. فقال للرَّشيد: يا أميرَ المُؤمنين، أراكَ مُتعجباً من هذا / الصوت بغير ما يَستحقه وأكثر مِمّا يَستَوْجبُه، فقال: لقد أحسنَ ابنُ جامع ما شاء، قال: أوَ لابنِ [١٨/ ٣٤٠] جامع هو؟ قال: نعمْ، كذا ذَكَر، قال له: فإن عبدَكَ مُخارقاً يغنِّيه، فنَظر إلى مخارق، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: هاتِه، فغَنّاه وتحفَّظَ فيه، فأتى بالعجائب؛ فَطَرِب الرَّشيد حتى كاد يطير فَرحاً، وشَرِب، ثم أقبل على ابنِ جامع فقال له: وَيْلك، ما هذا! فابتدأ يَحلِف له بالطَّلاق وكلّ مُحرِجَة أنّه لم يُسْمَع ذلك الصوت قطّ إلاّ منه، ولا صَنَعه غيرُه، وأنها حِيلةٌ جرَتْ عليه، فأقبل على إبراهيم وقال: أصدِقْني بحياتي، فصدَقَه[5] عن قِصَّة مُخارق، فقال له: أكذلك هو يا مُخارق؟ قال: نعم يا مولاي، فقال: اجلِس إذَن مع أصحابك، فقد تجاوزْتَ مَرْتبةَ مَنْ يَقومُ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار، وأقطعه ضَيْعةً ومنْزِلاً.

كان سبب عتقه وغناه لحناً غناه أمام الرشيد

أخبَرني محمدُ بنُ خلَف وكيع، وحدَّثني محمدُ بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان، قال وَكيع: حَدّثني هارُون بنُ مُخارق، وقال ابنُ المَرْزُبان: ذكر هارونُ بن مُخارق، قال:

كان أبي إذا غنّى هذا الصوت:

يـا رَبْـعَ سَلْمـى لقـد هيّجْـتَ لـي طَـربـاً ... زدْتَ الفـؤادَ علـى عِـلاّتِـه وَصبَـا[6]

رَبْـعٌ تبـدَّل مِمّـن كـانَ يَسكُنُـه ... عُفْـر الظِّبـاء وظِلمـانـاً بـهِ عُصَبَـا[7]

(١) المصبغات: الملونات، والأرسان من الأرض: الحزنة. والقصار: المبيض الثياب.
(٢) «المختار»: «جواثما». وجاء البيت الثاني في «التجريد» مكان الأول.
(٣) ف: «ما لي رأيتك مفكراً».
(٤) «التجريد»، ف: «وإن أسأت فعليّ يعود».
(٥) «المختار»: «فصدق».
(٦) ف: «نصبا».
(٧) العصب: جمع عُصبه، وهي الجماعة.

يبكي ويقول: أنا مَوْلى هذا الصَّوت، فقلتُ له: وكيف ذاكَ يا أبَتِ؟ فقال: غَنَّيته مولاي الرَّشيد فبكى وشَرب عليه رطلاً، ثمَّ قال: أحسنْتَ يا مُخارق فسَلْني حاجتك، فقلتُ: أن تَعْتِقَني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من / النَّار، فقال: أنت حُرٌّ لوجه الله، فأعِدِ الصوتَ، فأعَدْتُه فبكى وشرب رطلاً ثم قال: أحسنتَ يا مُخارق فسَلْني حاجتَك، فقلت: ضَيْعة تُقيمُني غَلَّتُها، قال: قد أمرتُ لك بها، أعِدِ الصوت، فأعدْتُه فبكى وقال: سَلْ حاجتك، فقلتُ: يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم، قال: ذلك لك، أعِدِ الصَّوت، فأعدته، فبكى وقال: سَلْ حاجتَك، فقبَّلتُ الأرْض بين يديه وقلت: حاجتي أن يُطِيل الله بقاءَك ويُدِيم عزَّك ويجعلني من كلّ سوءٍ فداءَك، فأنا مَولى هذا الصوت بعد مولاي. [١٨/٣٤١]

المأمون يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدي

(١) وذكر محمدُ بنُ الحسن الكاتِب أنَّ أبانَ بنَ سعيد حَدَّثَه:

أنَّ المأمون سأل إسحاق، عن إبراهيم بن المهديّ ومخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تغنَّى إبراهيمُ بنُ المَهديّ بعلمه فَضَل مخارقاً، وإذا تَغَنَّى مخارق بطبعِهِ وفضْل صوته فَضَل إبراهيم، فقال له: صدقت[١].

أخبرني عليُّ بنُ سُليمان الأخفش، قال: حدَّثنا المُبردُ بهذا الخبر فقال: حدَّثني بعضُ حاشية السلطان:

أنَّ إبراهيم المَوْصليّ غنّى الرَّشيدَ يوماً هذا الصوت فأُعجب به وطرب له واستعاده مراراً، فقال له: فكيف لو سمعتَه من عَبْدِك مُخارِق، فإنَّه أخذَه عَنّي وهو يَفْضُل فيه الخَلْقَ جميعاً ويَفْضُلني، فدعا بمخارق فأمره أن يُغَنِّيَه، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الذي تَقدّم.

كناه الرشيد أبا لنهنأ لإحسانه في الغناء

أخْبَرني الحسَنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ أبي الدُّنيا، عن إسحاق بن محمد النَّخعيّ، عن الحُسَين بنِ الضّحّاك، عن مُخارق:

أن الرّشيد قال يَوماً للمُغنِّين وهو مُضطجِع، من منكم يُغنّي[٢]:

* يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هَيَّجْتَ لي طَرَباً *

/ فقمتُ فقلتُ: أنا يا أمِيرَ المؤمنين، فقال: هاتِه، فغنيْتُه، فطَرِب وشَرِب ثم قال: عليّ بهَرْثَمةَ بنِ أعْيَنَ، فقلتُ في نفسي: ما يُريد منه؟ فجاءوا بهرثمة، فأُدخِل إليه وهو يَجُرّ سيفَه، فقال له: يا هَرْثمة، مُخارق الشّاري[٣] الذي قتَلْناه بناحية المَوْصل ما كانت كُنيَته؟ فقال: أبو المُهنَّأ، فقال: انصَرِفْ، فانصرفَ، ثم أقبل عليّ وقال: قد كنَيْتُك أبا المُهنأ لإحسانك، وأمر لي بمائة ألف دِرْهم، فانْصَرفْتُ بها وبالكُنْيَة. [١٨/٣٤٢]

الواثق يعذر غلمانه حين تركوا قصره وذهبوا لسماع غنائه

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حدثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر البَسّاميّ، قال: حدَّثني خالي أبو عبد الله بن حَمدُون، قال:

(١) ـ (١) هذا الخبر ساقط من ف.

(٢) ف: «يغنيني».

(٣) الشاري: من يبيع نفسه في طاعة الله، واحد الشراة. والشراة: فرقة من الخوارج.

رُحْنا إلى الواثق وأُمُّه عَليلة، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أمه، وأمَر بألاّ نَبرح، وكان في الصّحن حُصُرٌ غيرُ مَفْرُوشة. فقال لي مخارق: امْضِ بنا حتى نَفرش[١] حَصيراً من هذه الحُصُر فنجلِس على بعضه ونتّكِىءَ على المُدَرَّج منه، وكانت ليلةً مُقمِرةً، فمضينا ففرشنا بعض تلك الحُصُر، واستلقينا وتحدثنا، وأبطأ الواثق عند أمّه، فاندفع مُخارق فغنّى:

أيـا بَيْـتَ لَيْلَـى إنّ لَيْلَـى عَـرِيبَـةٌ ... بِـراذانَ لا خـالٌ لـديهـا ولا ابـنُ عَـم[٢]

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح: يا غلام، فلم يُجبه أحدٌ، ومشى من المجلس إلى أن تَوسّط الدّار، فلما رأيتُه بادرتُ إليه، فقال: / لي: وَيْلك، هل حدَث في داري شيء؟ [٣] فقلت: لا يا سيّدي، فقال: [١٨/٣٤٣] فمالِي أصِيح فلا أُجاب! [٣] فقلت: مُخارق يغنّي والغِلمان قد اجتمعوا عليه، فليس فيهم فضْلٌ لسماع غيرِ ما يسمعونه منه، فقال: عُذْرٌ والله لهم يابن حمْدُون، وأيُّ عُذْر! ثم جلس وجَلسْنا بين يديه إلى السَّحَر.

إبراهيم الموصلي يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم

وذكر هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك أنّ مُخارقاً كان ينادي على اللّحْم الذي يَبيعه أبوه، فيُسمَع له صَوتٌ عجيب، فاشترته عاتكةُ بنتُ شُهدة وعلّمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير، ثم باعَتْه من آل الزّبير، فأخذَه منهم الرّشيد وسلمه إلى إبراهيم المَوْصِليّ، فأخذ عنه، وكان إبراهيم يُقدّمه ويُؤْثِره ويخُصّه بالتّعليم لمَا تَبيّنه منه ومن جودة طبعه.

كان عبداً لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء

أخبرني عليُّ بنُ عبدِ العزيز الكاتب قال: حدَّثني ابن خُردَاذْبَه قال:

كان مُخارق بن يحيى بن ناوُوس الجَزّار، وكان عبداً لعَاتكة بنْتِ شُهْدة، وكانت عاتكة أحذقَ الناس بالغِناء، وكان ابنُ جَامع يلوذ منها بالتَّرْجيع[٤] الكثير، فتقول له: أينَ يُذهب بك؟ هلُمّ إلى معظم الغناء ودَعْني من جُنونك، قال: فحدَّثني مَنْ حَضَرهما أنّ عاتكة أفرطت يَوْماً في الردّ على ابن جامع بحضْرة الرّشيد، فقال لها: أيْ أُمّ العبّاس، أنا - يَشْهد الله - أُحِبّ[٥] أن تَحْتَكّ شِعْرَتِي بِشعرتِك، فقالت له: اسكت قَطع الله لسانَك، ولم تُعاود بعد ذلك أذِيّته، قال: وكانت شُهدةُ أمُّ عاتكة نائحة. هكذا ذكر ابنُ خُردَاذْبَه، وليس الأمر في ذلك كما ذكره.

محمد بن داود يغني الرشيد بلحن أخذه عن شهدة فيفوق المغنين

حدَّثني محمد بنُ يحيى الصُّوليّ، قال: حدَّثنا الغلابيُّ، قال: حدَّثني عليُّ / بن محمد النّوفليّ عن عبدِ الله بنِ [١٨/٣٤٤]

---

(١) في س، ف: «نبسط حصيراً».

(٢) راذان «بعد الألف ذال معجمة» الأسفل، وراذان الأعلى: كورتان بسواد بغداد تشتملان على قرى كثيرة، وأورد ياقوت في «معجمه» ٢ - ٧٣٠ البيت بعد قوله: وقال مُرّة بن عبد الله النهدي في راذان المدينة، وجاء بعده البيتان:

ويـا بيـت ليلـى لـو شهـدتـك أعـولـت ... عليـك رجـال مـن فصيـح ومـن عجـم

ويـا بيـت ليلـى لا يبسـت ولا تـزل ... بـلادك يسقيهـا مـن الـواكـف الـدّيـم

وفي ف: «بداران» بدل «براذان».

(٣) - ٣) ساقط من ف.

(٤) رجع صوته، وفيه: ردده في حلقه.

(٥) ف: «أشتهي».

العبّاس الرَّبيعيّ، أنّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ المَوْصليُّ وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرَّشيد، ومعهم محمدُ بن داودَ بنِ عليّ، فغنَّى المغنُّون جميعاً، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه:

صوت

أُمَّ الـــوَلِيـــد سَلَمْتِنِـــي حِلمـــي ... وقتلْتِنِـــي فتحلّلـــي إثْمِـــي[1]

بـــاللهِ يـــا أمَّ الـــوَليـــد أمَـــا ... تَخْشَيـــن فـــيَّ عـــواقـــبَ الظّلـــم!

وتـــركْتِنِـــي أبغـــي الطّبيـــبَ ومـــا ... لطبيبِنـــا بـــالـــدَّاءِ مـــن عِلـــمِ[2]

قال: فاستحسنه الرَّشيد وكلُّ مَنْ حضر وطربوا له، فسأله الرَّشيدُ: عمَّنْ أخذتَه، فقال: أخذتُه عن شُهدة جاريةِ الوَليد بنِ يزيد، قال عبدُ الله بن العَبّاس، وهي أمُّ عاتكةَ بنْتِ شُهدة.

الأبياتُ المذكورة التي فيها الغِناء لعُبيد الله بن قَيْس الرُّقيّاتِ، وتمامُها:

للهِ دَرُّكِ فـــي ابـــن عَمِّـــك قَـــدْ ... زَوَّدتـــه سُقْمـــاً علـــى سُقـــم

فـــي وجههـــا مـــاءُ الشَّبـــاب ولـــم ... تُقبِـــل بمَكْـــروهٍ ولا جَهـــمِ[3]

والغناء فيه لابنِ مُحْرِز لحنان، كلاهما له، أحدهما ثقيل الأوّل بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن / عمرو بنِ بانَة، وفيه لمالك ثاني ثَقيل عن الهِشاميّ وحَبَش، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنْصر عنهما، وثقيل أوّل للحسين بن مُحْرِز. (١٨/٣٤٥)

الواثق يوازن بين جماعة من المغنين ويذكر أثر غناء مخارق

وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزَّيات، قال أبي:

قال الواثقُ أميرُ المؤمنين: خَطأُ مخارِق كصواب عَلُّوية، وخطأُ إسحاق كصَواب مُخارق، وما غنّاني مُخارِق قَطّ إلا قَدَرت أنَّه من قلبي خُلِق، ولا غَنّاني إسحاق إلا ظننت أنه قد زِيد في ملكي ملكٌ آخر.

قال: وكان يقول: أتريدون أن تَنظروا فَضلَ مُخارق على جميع أصحابه: انظُروا إلى هؤلاء الغِلمان الذين يقفون في السِّماط. فكانوا يتفقَّدونهم وهم وُقوف، فكلهم يسمَعُ الغناءَ مِن المُغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه، فإذا تغنَّى مخارِق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرَّكت أرجلُهم ومناكِبُهم، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم، وازْدحمُوا على الحَبل الذي يقِفون من ورائه.

يستوقف الناس بحسن صوته في الأذان

قال هارون: وحُدِّثتُ أنه خرج مرّة إلى باب الكُناسة بمدينة السَّلام، والنَّاسُ يرتحلون[4] للخُروج إلى مكة،

---

(١) تحللي إثمي: أبيحيه أو اجعليه حلالاً. وفي «الديوان» ـ ١٤٩ ط. بيروت: «فتحملي إثْمِي»، وفي ف: «فتجللي».

(٢) في «الديوان» ـ ١٤٩:

بـــالله يـــا أم البنيـــن ألـــم ... تخشـــي عليـــك عـــواقـــب الإثـــم

وتـــركتنـــي أدعـــو الطبيـــب ومـــا ... لطبيبكـــم بـــالـــداء مـــن عِلـــم

(٣) في «الديوان» ـ ١٥٠: «وبوجهها ماء الشباب ولم... تقبل بملعون ولا جهم». والجهم: الإستقبال بوجه كريه.

(٤) ف، مج: «يترحلون». وفي ما: «يرحلون».

فنظر إليهم واجتماعهم وازْدِحامهم[١]، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه: قد جاء في الخبر أنّ ابنَ سُرَيْج كان يَتغنّى في أيّام الحجّ، والنّاس بمِنى فيَستوقفُهم بغنائه، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وَأَسْتلهيهم جميعاً، لتعلمُوا أنه لم يكن ليفضُلني إلا بصنعته دون صَوْته، ثم اندفع يؤذّن، فاستوقف أولئك الخَلْق واستلهاهم، حتى جعلت المحاملُ يغشَى بعضُها بعضاً، وهو كالأعمى عنها لِمَا خامر قَلْبَه من الطَّرب لحُسنِ ما يسمع.

أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجاباً شديداً

أخبرني أحمدُ بن جعفر جحظة، قال: حدثني ابنُ أخت الحاركيّ وأبو سعيد / الرّامَهُرْمُزِيّ، وأخبرني عليُّ بنُ [١٨/٣٤٦] سُليمان الأخفَش، قال: حدَّثنا محمد بنُ يزيد الأزديّ[٢]، عن أحمد بن عيسى الجَلوديّ عن محمدِ بن سعيد التِّرمِذيّ ـ وكان إسحاقُ إذا ذكر محمداً وصفَه بحسن الصَّوت، ثم قال: قد أُفلِتْنا منه، فلو كان يُغنّي لتقَدَّمنا جَميعاً بصوته ـ قالوا:

جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستَفتح[٣]، فإذا مخارق قد خرج إليه، فقال له أبُو العتاهية: يا حُسَّان[٤] هذا الإقليم، يا حَكيمَ أرض بابل، اصببْ في أذني شيئاً يَفرحُ به قلبي، وتنعم به نفسي، فقال: انزلوا، فنزلنا، فغنَّانا، قال محمدُ بنُ سعيد: فكدت أسعى على وَجهِي طرباً. قال: وجعل أبو العتاهية يبكي، ثم قال له: يا دواءَ المَجانين لقد رَقَّقْتَ حتى كِدتُ أحْسوك، فلو كان الغِناءُ طعاماً لكان غِناؤك أُدماً، ولو كان شراباً لكان ماءَ الحياة.

أبو العتاهية يشتهي سماعه حين حضرته الوفاة

نَسختُ من كتاب ابن أبي الدُّنيَا، حدَّثني بعضُ خَدَم السُّلطان، قال:

قال رجل لأبي العتاهية وقد حضَرتْه الوفاةُ: هل في نفسك شيءٌ تَشْتهيه؟ قال: أن يَحضُر مخارق الساعة فيُغنِّيني:

سيُعـرَض عـن ذِكْـري وتُنْسَـى مـودَّتـي[٥] ... ويحـدثُ بعـدي للخليـل خليـلُ
إذا مـا انقضـت عنّـي مـن الـدهـر مُـدَّتـي ... فـإن غَنـاء البـاكيـات قليـلُ

سأل أبا العتاهية عن شعره في تبخيل الناس

أخبرني عمّي، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ عليّ بن حمزة العلويّ، قال: حدَّثنا علي بن الحسين بن الأعرابيّ، قال: لقي مُخارقٌ أبا العتاهية، فقال له: يا أبا إسحاق، أأنت القائل:

/ اصْـرِف بطَـرْفِـك حيـثُ شِئـ ... ـتَ فلـن تَـرى إلاّ بخيـلا [١٨/٣٤٧]

قال له: نعَمْ. قال: بخّلتَ الناسَ جميعاً، قال: فاصْرِف بطرفك يا أبا المُهنّا فانْظُر فإنّك لن ترى إلاّ بخيلاً،

---

(١) س: «فنظر إلى كثرتهم واجتماعهم وازدحامهم».
(٢) س: «محمد بن يزيد المبرد الأزدي».
(٣) ف: «إلى باب مخارق واستفتح».
(٤) حَسُن الشيءُ: جَمُل، فهو حاسِنٌ وحَسَن وحَسِين وحُسّان.
(٥) ف، «المختار»: «ستُعرِضُ عن ذكري وتَنْسَى مودتي» بالبناء للفاعل.

وإلا فأكْذِبني بجواد واحد، فالتفت مُخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال: صدَقْتَ يا أبا إسحاق، فقال له أبو العتاهية: فَدَيْتُك، لو كنتَ ممَّا يُشْرَب للَدِرْتَ على الماء وشُرِبْت.

غنّى بين قبرين فترك الناس أعمالهم والتفوا حوله

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونُس الشِّيعيُّ، قال: حدثنا عمرُ بن شبَّة، قال: حدَّثني بعضُ آل نُوبَخْت، قال:

كان أبي وعبدُ الله بنُ أبي سهل وجماعةٌ من آل نُوبَخْت وغيرهم وُقوفاً بكُناسةِ الدَّوابِّ في الجانب الغربيّ من بغداد يتحدَّثون، فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود، وعليه قميص رَقيق ورداءٌ مُسَهَّم[1]، قال: فِيمَ كنتم؟ فأخبَرُوه، فقال: دَعُوني من وَسْواسِكم هذا، أيُّ شيءٍ لي عليكم إن رميتُ بنفْسي بين قبرين من هذه القُبور وغطَّيتُ وجهي وغنَّيت صَوْتاً، فلم يبق أحدٌ بهذه الكُناسة ولا في الطَّريق من مُشْتَرٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلا ترك عمله وقرُب منِّي واتَّبع صَوْتي؟ فقال له عبد الله: إنِّي لأحِبّ أن أرَى هذا، فقل ما شِئتَ، فقال: فَرَسُك الأشقرُ الذي طلبتُه منك فمنعْتَنيه، قال: هو لك إن فعلتَ ما قلتَ، ثمّ دَخَلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطَّى بردائه، ثمّ انْدَفع يُغنِّي فغنَّى في شعر أبي العتاهية:

نـــادتْ بـــوَشْـــك رَحِيلـــكَ الأيـــامُ ... أفلســـتَ تسمَـــعُ أمْ بـــك استِصْمـــامُ!

[٣٤٨/١] / قال: فرأيتُ الناسَ يتقوَّضُون إلى المقبرة أرسالاً[2] من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحِب جَدْي[3] ومارٍّ بالطريق، حتى لم يبق بالطريق أحد، ثم قال لنا من تَحت ردائه: هل بَقِيَ أحد؟ قلنا: لا، وقد وجب الرَّهن، فقام فركب حمارَه، وعاد النَّاسُ إلى صَنائِعهم، فقال لعبدِ الله: أَحْضِر الفرَسَ، فقال: على أن تُقيم اليومَ عندي، قال: نعم، فانصرفنا معهما، وسَلَّم الفرسَ إليه وبَرّه وأحسن إليه وأحسن رفده.

نسبة هذا الصوت

صوت

نـــادتْ بـــوَشْـــك رحِيلـــك الأيّـــامُ ... أفلســـتَ تَسْمَـــعُ أم بـــك استِصْمـــامُ!

ومَضـــى أمـــامـــكَ مَـــنْ رأيـــت وأنـــتَ لِلْـ ... ـبـــاقيـــن[4] حتّـــى يَلْحقـــوك إمـــامُ

مـــا لـــي أراكَ كـــأنَّ عينَـــك لا تَـــرى ... عِبـــراً[5] تمـــرُّ كـــأنَّهـــنّ سِهـــامُ

تمضِـــي الخُطـــوبُ وأنـــت مُنتبَـــهٌ لهـــا ... فـــإذا مَضَـــتْ فكـــأنَّهـــا أحـــلامُ

الشِّعر لأبي العَتاهِية، والغناء لإبراهيمَ ثقيل أول بالوسطى، وفيه لمُخارِق هزَج بالوُسطى، كلاهما عن عمرو، وفيه رملٍ يقال: إنه لعلُّوية، ويقال: إنه لمخارق عن الهشاميّ.

---

(١) سهّم الثوب: صور فيه سهاماً؛ فهو مُسَهّم.

(٢) يتقوضون: يجيئون ويذهبون، وفي «المختار»: «ينفضون». والأرسال جمع رسل: الجماعة من الناس.

(٣) ما، «المختار»: «وصاحب شوك وصاحب كرى». والشول جمع شائلة على غير قياس، وهي من الإبل: التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها.

(٤) ف: «وأنت في الباقين».

(٥) ف: «عبراً».

بكى أبو العتاهية حين سمع جارية تغني لحناً لمخارق في شعر له

أخبَرني جحْظةُ، قال: ذكر ابنُ المكّيّ المرتَجَلُ عن أبيه:

أنَّ أبا العَتاهيةَ دخل يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغنّي، فقال: / أبا إسحاق إن هذه الجارية تُغنّي صوتاً [١٨/٣٤٩] حسناً في شعرٍ لك، أفتنشَط إلى سماعه؟ قال: هاتِيه، فغنّته لحناً لعَمْرو بن بانة في قوله:

* نادَت بِوَشْك رحيلك الأيّامُ *

فعَبَس وبَسَر وقال: لا جَزى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصَّنعةَ في شِعْري، قال: فإنّها تُغنّي فيه لحناً لمخارِق، قال: فلتُغنّه فغنّته، فأعجبَه وطرب حتى بكى ثم قال: جَزى اللهُ هذا عنّي خيراً، وقام فانصرف.

وقد روى هذا الخبرَ هارونُ بنُ الزّيات، عن حمّادِ بن إسحاق عن أبيه، عن غَزْوان: أنه كان وعُبَيْد الله بنُ أبي غسّان، وأبو العتاهية، ومحمد بنُ عمرو الرُّوميّ، عند ابن أبي مَرْيم[1] ومعهم مُغنّية يقال لها بنتُ إبليس، فغنّى عبيدُ الله بن أبي غسّان في لحن مخارق:

* نادَت بِوَشْكِ رحيلك الأيّامُ *

فلم يَستحسِنه أبُو العتاهية، ثمّ غنّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهديّ فأطربه، وقال: جزى الله عنّي هذا خيراً.

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيّ، قال: حدّثنا عمرُ بن شبّة، قال: بلغني أنّ المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهي تُغنّي:

صوت

أمِــنْ قَطْــر النّــدى نَظْــ	ــتَ ثغـرَك أم مــن البَـرَدِ!
وريقُــكَ مــن سُــلاف الكَـر	م أم مــن صفْــوة الشُّهُــدِ!
أيــا مَــنْ قــد جــرى منّــي	كمجْـرَى الـرُّوح فـي الجَسـدِ[2]
ضَميــرُك شــاهِــدي فيمــا	أُقــاسِيــه مــن الكَمَــدِ

/ والغناء لمخارق رمَل، فقال لها: وَيْحك، لِمَنْ هذا الغناء؟ فقالت: أخذتُه من مُخارق، قال: فألقِيه على [١٨/٣٥٠] الجواري جميعاً، ففعلت، فلما أخذْنَه عنها أمر بإخراجهنّ إليه، ودعا بالنّبيذ، وأمر بألاّ يُغنّينه غَيرَه ثلاثة أيام متوالية، وكان ذلك بعد وفاة مخارق.

أدخل أبا المضاء الأسدي بيته وسقاه وغنّاه وكساه فقال فيه شعراً

وأخبرنا إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيّ، قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: قال عُمَرُ بن نوح بن جرير:

سألتُ أبا المَضاء الأسديّ أن يُنشِدني فقال: أُنشِدُك من شِعْري شيئاً، قُلتُه لرجل لقيتُه على الجسر ببغداد، فأعجبه مني ما يرى من دماثتي، وأقبلتُ أحدّثُه وهو يُنصِت لي، وأُنشِده وهو يُحسِن الإصغاء إلى إنشادي، ويُحدّثني فيُحسن الحديث، حتى بَلغْنا منزله، فأدْخلني فغدّاني ثم لم يَرِمْ حتى كساني وسقاني فروّاني، ثم أسمعني والله شيئاً

(١) ف: «عند ابن أبي موسى».

(٢) ف: «في جسدي».

ما طار في مسامعي شيءٌ قطّ أحسن منه، فلما خرجتُ سألت عنه، فقال لي غِلمانُه: هذا أبو المُهنّأ مُخارق، فقلتُ فيه:

أعـاد اللهُ يـوم أبـي المُهنّـأ علينـا إنّـه يـوم نضيـرُ[1]
تغيّـبَ نَحسُـه عنّـا وأرْخَـى علينـا وابـلٌ جَـودٌ[2] مطيـرُ
فلمّـا أن رأيـتُ القَطْـر فـوقـي وأقـداحـاً يَحُـثّ بهـا المُـديـرُ
وأسعـدَنـا بصـوتٍ لـو وعـاه ولـيُّ العهـد خـفّ بـه السّـريـرُ[3]
تـذكّـرتُ الحبيـبَ وأهـل نجـدٍ وروضـاً نبتُـه غَـضٌّ نضيـرُ

قال: فقلتُ له: ولم ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه؟ وكان ينبغي لك أن تنساه، قال: كلاَّ، إنّ المرء إذا كان فيما يُحِبّ تذكّرَ أهلَه، قلت: فما غنّاك؟ قال: غنّاني:

[١٨/٣٥١] / ومـا رَوْضَـةٌ جـاد الـرّبيـعُ بهَطْلِـه عليهـا فـروّاهـا ورقّـتْ غُصـونُهـا
وهبّـت عليهـا الـرّيـحُ حتـى تبَسّمـت وحتـى بـدَت فـوق الغُصـون عيُـونُهـا
بـأحسـنَ منهـا إذ بـدَتْ وسـط مَجلِـس وفـي يـدهـا عُـودٌ فَصيـحٌ يَـزينُهـا
وقـد أنطقَتْـه والشّمـالُ جَـسريّـةٌ علـى عقْـدٍ مـا تُلقـي عليهـا يمينُهـا[4]

قال: فلم يزل يُردّدُه عليّ حتى قَضَيْتُ وطري من لَذّتي، وحَفِظْتُه عنه.

غنى لإبراهيم الموصلي فجرت دموعه ونشج أحرّ نشيج

أخبرني جَحْظة، قال: حدّثني حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه قال:

دخلتُ على جدّك إبراهيم وهو جالِسٌ بين بابَيْن له، ومُخارقٌ بين يديه يُغنّيه:

يـا رَبْـعَ بِشْـرةَ إن أضَـرّ بـك البِلَـى فلقـد رأيتُـك آهِـلاً معْمـورَا

قال: واللّحنُ الذي كان يُغنّيه لمالِك، وفيه عِدّة ألحان مشتركة، فرأيتُ دُموعَ أبي تَجْرِي على خَدّيه من أربعة أماكن وهو يَنْشِج أحرَّ نشيج[5]، فلمّا رآني قال: يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواء غداً إن مات أبوك.

رأى رؤيا فسّرها إبراهيم الموصلي بأن إبليس قد عقد له لواء صنعة الغناء

أخبرني الحَسنُ بن عليّ الخَفّاف، قال: حدّثني محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني هارونُ بنُ مُخارق، عن أبيه، قال:

رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأنّ شيْخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني، فقال لي: غنِّني يا مُخارق، فقلت: أصوتاً تقترحه أم ما حضر؟ فقال: ما حضر، فغنّيته بصَنْعتي في:

(١) ف: «يوم قصير».
(٢) الجوْدُ: المطر الغزير، وقد يأتي وصفاً كما ورد في البيت.
(٣) في: «حف به السرور».
(٤) ف: «ما تلقى عليه يمينها»، والشمال: الريح التي تهب من جهة الشمال وتقابل الجنوب. والجرية: الوكيلة.
(٥) نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

صوت

دَعِي القَلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي ... به منك أو داوِي جَواه المُكتَّما
وليس بتزويق اللسانِ وصوغِه ... ولكنّه قد خالط اللّحمَ والدّما

/ ولحنُ مُخارق فيه ثقيلٌ أول، وفيه لابن سُرَيج رمل. [١٨/٣٥٢]

قال: فقال لي: أحسنتَ يا مُخارق، ثم أخذ وتراً من أوْتار العود فلفَّه على المِضراب، ودَفعه إليّ، فجعل المِضرابُ يَطُول ويغلُظ، والوتر ينْتشِر ويَعرُض حتى صار المِضرابُ كالرُّمح، والوتر كالعَذَبة عليه، وصار في يدِي علماً، ثم انتبهْتُ فحدّثْتُ برؤياي إبراهيمَ المَوْصليّ، فقال لي: الشّيخُ، بلا شك، إبْليسُ، وقد عقدَ لك لواء صَنْعتِك، فأنت ما حييتَ رئيسُ أهلها.

قال مؤلّف هذا الكتاب: وأظُنّ أنّ الشاعرَ الذي مدح مخارقاً إنما عَنى هذه الرؤيا بقوله:

لقد عَقَد الشَّيخُ الذي غرَّ آدماً ... وأخرجَه من جَنةٍ وحدائقِ
لِواءيْ فُنُونٍ للقريض وللغِنا ... وأقسَم لا يُعطيهما غيرَ حاذِقِ

أرسل الواثق جواريه إلى بيته ليصحح لهن صوتاً

وذكر محمدُ بنُ الحسَن الكاتب، أنّ هارونَ بنَ مُخارق حدَّثَه فقال:

كان الواثقُ شديدَ الشّغف بأبي، وكان قد اقتطعه عنّا، وأمر له بحُجْرة في قصره، وجعل له يوماً في الأسبوع لنَوْبته في منزلِه، وكان جَواريه يَختلفن[١] لذلك اليوم، قال: فانصرف إلينا مرّة في نَوْبته فصلّى الغداةَ مع الفجرِ على أسِرّة في صحن الدّار في يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح، فما راعنا إلا خَدمٌ بيضٌ قد دخلوا فسلّموا عليه وقالوا: إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة، فأعَدْنا عليه الصوتَ الذي طرحتَه علينا فلم يَرْضَه من أحدٍ منا، وأمرنا بالمصير إليك لنصحِّحه عليك، قال: فأمر غلمانَه فطرحوا لهم عِدّة كراسيّ فجلسوا عليها، ثم قال لهم: رُدّوا الصوت، فردُّوه، فلم يرضَه من أحدٍ منهم، فدعا بجاريته عَمِيم، فردَّته عليهم، فلم يرضَه منها، قال: / فتَحوّل إليهم ثم اندفع فَردّ الصوت على الخَدَم، فخرج الوصائفُ مِن حُجَر جَواريه حتى وَقفنَ حَوالَي الأسِرّة، [١٨/٣٥٣] ودَخل غلامٌ من غِلمانه وكان يستقي الماءَ، فهَجَم على الصّحْن بدلوه، وجاءت جارية على كتفِها جرّة من جِرار المُزَمّلات[٢]، حتى وقفتْ بالقُرب منه، قال: وسبقتني عيناي فما كففتُ دموعها[٣] حتى فاضت.

ثمّ قطع الصوتَ حين استوفاه، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سَعياً إلى حُجَر الجواري، وخَرج الغُلام السَّقّاء يشتدُّ إلى بغلة، ورجعت الجاريةُ الحاملة الجرة المُزمّلة شَدّاً إلى الموضع الذي خَرجت منه، فتبَسّم أبي وقال: ما شأنُك يا هارون؟ فقلت: يا أبَتِ جَعلنِي اللهُ فداءَك، ما ملكتُ عَيْني، قال: وأبوك أيضاً لم يَملك عينَه.

نام في بيت إبراهيم بن المهدي وهو يغني ثم انتبه وأكمل الغناء

وذكر هارونُ بن الزَّيات عن أصحابه قال:

(١) في ما، ف: «يحتففن».
(٢) المزملات: جمع مزمّلة؛ وهي الجرة يبرد فيها الماء، وفي وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية).
(٣) ف: «دموعهما».

جمع إبراهيم بنُ المهديّ المغنِّين ذات يوم في منزله، فأقاموا، فلمّا دخلوا في الليل ثمِل مُخارِق وسَكِر سُكراً شديداً، فسألوه أن يغني صوتاً، فغنّى هذا البيت من شعر عُمَر بن أبي ربيعة المَخزُوميّ:

قـــال: ســـارُوا وأمعَنـــوا واستقلّـــوا وبـــرَغْمِـــي لـــو استَطعـــتُ سبيـــلا

فانتهى منه إلى قوله: واستقلوا. وانثنى نائماً، فقال إبراهيم بن المهديّ: مَهْدُوه[1] ولا تُزعجُوه، فمهَّدُوه ونام، حتى مضى أكثر الليل، ثم استقلَّ من نَوْمه فانتبه وهو يُغني تمام البيت:

* وبرغْمِي لو استَطعتُ سبيلا *

[2] وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته[2].

[٣٥٤/١٨] / قال: فجعل إبراهيم يتعَجَّب منه، ويَعْجب منه مَنْ حَضَره، من جودة طَبْعِه وذكائِه وصحَّة فهمه.

محمد بن الحسن بن مصعب يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدي: أيهما أحذق غناء

حدثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المُنجّم، قال: حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق، قال: قال محمد بن الحسن بن مصعب:

قلت لإسحاق يوماً: أسألك بالله إلاّ صَدَقْتَني في مُخارق وإبراهيم بن المَهديّ، أيهما أحذَق وأحسنُ غِناء؟ فقال لي إسحاق: أجادٌّ أنت؟ والله ما تقاربا قطّ، والدَّليل على فضل مُخارق عليه أنَّ إبراهيم لا يؤدِّي صوتاً قديماً ثقيلاً جيِّداً أبداً ولا يستوفيه، وإنما يُغنِّي الأهزاج والغناء الخفيف، وأمَّا الذي فيه عمل شديد فلا يُصِيبه.

طلب منه سعيد بن سلم الغناء في شعر ضعيف

أخبرني يحيى، قال: حدَّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ، قال: حدثني بعضُ ولد سعيد بن سَلْم، قال:

دخل مُخارقٌ على سَعيد بن سَلْم فسأله حاجَةً، فلما خرج قيل له: أما تعرف هذا؟ هذا مُخارق، فقال: ويحكم! دخل ولم نَعرفه، وخرج ولم نَعرفه، رُدُّوه، فردُّوه، فقال له: دَخلْتَ علينا ولم نعرفك، فلمَّا عَرفناك[3] أحبَبْنا ألاّ تخْرُج حتى نسمعك، فقال له: أيّ شيء تشتهي أن أُسمِعك؟ فقال:

يـــا ريـــحُ مـــا تَصنَعِيـــن بـــالـــدِّمَـــنِ[4] كـــم لـــك مـــن مَحْـــوِ منْظـــرٍ حَســـن!

فغنَّاه مُخارق، فلمَّا خَرَج قال لبعض بنيه: أبوكم هذا نِكْس[5] يتشَهَّى على مثلي:

* يا ريحُ ما تَصنعِين بالدِّمَن *

[٣٥٥/١٨] / أخبرنا يحيى بنُ عليّ، قال: حدّثنا حمَّاد بنُ إسحاق، قال: حدَّثني عمِّي محمد، قال:

سمعتُ أبي يقول وقد غنَّى مُخارق: نعم الفسيلة[6] غَرْس إبليس في الأرض.

---

(١) مهدوه: مكنوه من النوم.

(٢ ـ ٢) التكملة من ف.

(٣) ف: «عرفنا».

(٤) الدمن جمع دمنة، وهي آثار الدار.

(٥) النكس: الضعيف الذي لا خير فيه.

(٦) الفسيلة: جزء من النبات يفصل عنه ويغرس، أو النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس.

جارية تغني صوتاً له بحضرته فتحسن

أخبرني عمّي، قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدَّثني محمد بن محمد، قال:

سمع محمد بن سعيد القارىء مهدِيَّةَ جارية يعقوب بن السَّاحر تغني صوتاً لمخارق بحضرته، وقد كانت أخذته عنه وهو:

مـا لِقلبـي يـزداد فـي اللهـوِ غيّـاً ... والليـالـي قـد أنضَجَتنـيَ كَيّـا
سَهُلَـت بعـدك الحـوادثُ حتّـى ... لسـتُ أخشَـى ولا أحـاذِر شَيّـا

فأحسَنَتْ فيه ما شاءت، وانصرف محمد بن سعيد، وقرأ على لحنه: ﴿يا يحيى خُذِ الكِتابَ بقُوة﴾[1].

قصة رجل حلف بالطلاق أن يسمعه ثلاث مرات

حدَّثني عمّي، قال: حدثنا عبدُ الله، قال: حدثني محمد، قال:

كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بنُ أحمد بن هشام، فلعب مع هارون بالنَّرد فقَمَره مُخارق مائتي رطل باقلاً طريًّا، فقال مُخارق: وأنتم عندي أُطعِمكم من لحم جَزُور من الصناعة، يعني من صِناعة أبيه يحيى بن ناوُوس الجزّار.

قال: ومرَّ بهارون بن أحمد فصِيلٌ يُنادَى عليه، فاشتراه بأربعة دنانير، ووجَّه به إلى مُخارق، وقال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّةً، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضائر[2] شُويت في التَّنُّور، وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشَّر[3] في نهاية الطِّيب، فأكلنا وجلسنا نشرب، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشَّطِّ: / يا أبا المُهنّأ، اللهَ اللهَ فيَّ، حلَف زوجي عليَّ بالطَّلاق أن يَسْمع غِناءَك ويَشْرب عليه، [٣٥٦/١٨] فقال: اذهبي وجيئي به، فجاء فجلس، فقال له: ما حَمَلك على ما صنَعْتَ، فقال له: يا سيِّدي، كنتُ سَمِعت صوتاً من صَنْعتك فطَرِبْتُ عليه حتى استخفَّني الطَّربُ، فحلفت أنْ أسمَعه منك ثِقةً بإيجابك حقَّ زَوْجتي، وكانت زوجتُه دايةَ هارُونَ بنِ مُخارِق. فقال: وما هو الصوت؟ فقال:

صوت

بكَـرتْ علـيّ فهيَّجَـتْ وَجْـدَا ... هُـوجُ[4] الـرِّيـاح وأذْكـرتْ نَجْـدَا
أتحِـنُّ مـن شـوْق إذا ذُكِـرتْ ... نجـدٌ وأنـتَ تـركتَهـا عَمْـدَا

الشعر لحُسَين بن مُطَير، والغِناء لمُخارق ثقيل أول، وفيه لإسحاق ثَقيل أول آخر، فغنّاه إياه وسقاه رِطْلاً، وأمَره بالانصراف، ونهاه أن يُعاودَ، وخرَج. فما لبِثْنا أن عادَت المرأةُ تصرُخ: اللهَ اللهَ فيَّ يا أبا المُهنّأ، قد أعادَ زوْجي المَشْؤوم اليمينَ أنك تُغنّيه صوتاً آخر، فقال لها: أحْضرِيه، فأحضرتْه أيضاً، فقال له: ويلك، ما لي ولك! أيُّ شيء قصَّتك[5]؟ فقال له: يا سيِّدي أنا رَجل طَرُوب، وكنتُ قد سمِعتُ صوتاً لك آخر فاستفزَّني الطَّرَبُ إلى أن

---

(١) مريم/ ١٢.
(٢) ف، ما: «ضفائر». والغضائر: القطع.
(٣) ف: «مقشور».
(٤) الهُوج: جمع هوجاء، وهي الرياح المتداركة الهبوب كأن بها هَوَجاً.
(٥) س: «أيش قصتك؟!».

حَلَفت بالطلاق ثلاثاً أنِّي أسمعه منك، قال: وما هو؟ قال لَحنُك:

أَبلِـغْ سـلامـةَ أنَّ البَيـنَ قـد أفِـدَا[1] وأنَّ صُحْبَـك عنهـا رائحُـون غَـدَا
هـذا الفِـراق يَقينـا إن صَبـرتَ لـهُ أوْ لا فـإنّـكَ منهـا مَيِّـتٌ كَمَـدا
لا شَـكَّ أنَّ الـذي بـي سَـوْف يُهلِكُنـي إن كـانَ أهلـك حُـبٌّ قبلـه أحـدَا

[٣٥٧/١٨] / فغنَّاه إيّاه مُخارق وسَقاه رِطلاً، وقال له: احذَرْ وَيْلك أن تُعاود، فانصرف. ولم تَلبَثْ أن عاوَدت الصِّياح تَصرُخ: يا سيِّدي، قد عاود اليمينَ ثلاثة، اللهَ اللهَ فيَّ وفي أولادي، قال: هاتِيه، فأحضرتْه، فقال لها: انصرفي أنت، فإن هذا كلما انصرفَ حَلَفَ وعاد، فدَعيه يُقيم يومه كلَّه، فتركَتْه وانصرَفَتْ، فقال له مُخارق: ما قِصَّتُكَ أيضاً؟ قال: قد عَرَّفتك يا سَيِّدي أنَّني رجُل طَرُوبٌ، وكنت سَمِعت صوتاً من صَنْعتِك فاستَخفَّني الطَّرَبُ له فحلفْتُ أنّي أسْمَعُه منك، قال: وما هو؟ قال:

أَلِـفَ الظَّبْـيُ بِعـادِي ونَفَـى الهـمُّ رُقـادِي
وغَـدَا الهجْـرُ علـى الـوصْـ ـلِ بـأسيـافِ حِـدادِ
قُـلْ لِمَـنْ زَيَّـف وُدِّي: لسـتَ أهـلاً لِـسُـودادي

قال: فغنَّاه إيّاه وسَقاه رِطلاً، ثم قال: يا غُلام، مَقارعَ، فجيء بها، فأمرَ به فبُطِح، وأمر بضَرْبه فضُرِب خمسين مِقْرعةً، وهو يَستغيث فلا يُكلِّمه، ثم قال له: احلِفْ بالطَّلاق أنك لا تذكرني أبداً، وإلاَّ كان هذا دأبُك إلى الليل، فحلف بالطَّلاق ثلاثاً على ما أمرَه به، ثمّ أُقيم فأُخرِجَ عن الدار، فجعلنا نَضحك بقيّة يَوْمِنا من حُمْقه.

أشرف من بيته على القبور وغنى باكياً

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثنا أحمد بنُ محمد، قال: حدَّثني إسحاقُ بنُ عُمرَ بنِ بَزِيع، قال:

أتيتُ مُخارقاً ذات يوم ومعي زُرزُورٌ الكبير لنُقيمَ عنده، فوجدتُه قد أخرج رأسَه من جناح له، وهو مُشرف على المقابر يُغنِّي هذا البيتَ ويبكِي:

* أينَ الملوكُ التي كانت مُسَلَّطةً *

[٣٥٨/١٨] قال: فاستَحْسنَّا ما سمعناه منه استحساناً مَنْ لم يَسْمع قطّ غناءً غيره، فقال / لنا: انصَرِفوا، فليس فيَّ فضلٌ اليوم بعدما رأيتُم. قال محمد: وكان والله مُخارق مِمّن لو تنفّس لأطْرب مَنْ يسمعه استماع نَفَسِه.

سمعت الظباء غناءه فوقفت بالقرب منه مصغية

وذكر محمد بنُ الحسن الكاتب أنَّ محمد بنَ أحمد بنِ يحيى المكّيّ حدَّثه عن أبيه قال:

خرَج مُخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتَنزَّهات، فنظر إلى قوس مُذْهَبة مع أحد مَن خرج معه، فسأله إيّاها، فكأنَّ المسؤول ضنَّ بها. قال: وسَنَحتْ ظباء بالقرب منه، فقال لصاحب القَوْس: أرأيتَ إن تغنَّيتُ صوتاً فعَطفتُ عليك به خُدودَ هذه الظباء، أتدفع إليّ هذه القوْسَ؟ قال: نعم، فاندفع يغني.

(١) أفد: دنا أو عجل.

صوت

مــــــاذا تقُــــول الظِّبــــــاءُ	أفُـــــرْقَـــــةٌ أمْ لِقـــــاءُ!
أمْ عهْـــــدُهـــــا بسُلَيْمَـــــى	وفـــــي البيـــــان شِفـــــاءُ!
مـــــرّت بنـــــا ســـــانحـــــاتٍ	وقـــــد دَنـــــا الإمســـــاءُ
فمـــــا أحـــــارَتْ جـــــوابـــــاً	وطـــــال فيهـــــا[1] العَنـــــاء

في هذه الأبيات ليَحيى المكّيّ ثقيل أول بالوسطى.

قال: فعَطفت الظِّباء راجِعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه، مُستَشرِفةً تنظر إليه مصغية تَسمعُ صوتَه، فعَجِب مَنْ حضر من رجُوعها ووقوفها، وناوله الرّجلُ القوسَ فأخذَها وقَطَع الغِناء، فعاودت الظِّباء نِفارَها، ومضَتْ راجعةً على سَنَنِها[2].

/ غني وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه [١٨/٥٩]

قال ابنُ المكّيّ: وحدَّثني رجلٌ من أهل البصرة كان يألف مُخارقاً ويَصحبه، قال:

كنتُ[3] معه مرّة في طيّار ليلاً وهو سكران، فلما توسّط دِجْلة اندفَع بأعلى صوته فغنّى، فما بقي أحَدٌ في الطّيّار من ملاّح ولا غلام ولا خادم إلا بكَى من رِقَّة صوته، ورأيت الشّمع والسُّرُج من جانبي دجلة في صُحون القُصور والدُّور يتساعَون بين يَدي أهلها[4] يستمعون غناءه.

ابن الأعرابي يستكثر الهبة التي أخذها لشعر غناه

حدَّثني الصُّوليُّ، قال: حدثني محمدُ بنُ عبد الله التَّميميُّ الحُزُنبل، قال:

كنا في مجلس ابنِ الأعرابيّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابن الأعرابيّ، وكان يُحبّه ويأنس به، فقال له: ما أخّرَك عنّي؟ فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنتُ مع مُخَارِق عند بعض بني الرَّشِيد، فوَهب له مائة ألف دِرْهم على صوت غنّاه إياه، فاستكثر[5] ابنُ الأعرابيّ ذلك واستهوله، وعجب منه وقال له: بأيِّ شيء غنّاه؟ قال: غنّاه بشعر العبّاس بنِ الأحنَف:

صوت

بكَـــــتْ عَيْنِـــــي لأنـــــواعِ	مـــــن الحُـــــزْن وأوْجـــــاعِ
وإنـــــي كـــــلَّ يـــــوم عنـــــ	ـــــدكـــــم يَحْظـــــى بـــــيَ السَّـــــاعِـــــي

فقال ابنُ الأعرابيّ: أمّا الغناء فما أدري ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح.

(١) ف: «وطال منها».
(٢) السنن: الطريقة.
(٣) ف، ما: «ركبت معه في طيار... الخ». والطيار: القارب السريع.
(٤) يتساعون بين يدي أهلها: يتسابقون.
(٥) ف: «فاستكبر ذلك ابن الأعرابي واستهاله».

لَحْن مخارق في هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته، وفيهما لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمْرو بنِ بانة. وذكَر حبَش أنّ فيهما لإبراهيم بن المهديّ لحناً ماخوريّاً.

/ نصح إبراهيم بن المهدي شارية بألّا تتشبه به في تزايده وإلا هلكت

[١٠/٣٦٠]

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جَحظةُ، قال: حدّثني هِبةُ الله بنُ إبراهيم بن المهديّ، قال:

غنّت شاريةُ يوماً بحضرة أبي صَوْتاً، فأحدَّ النظر إليها وصَبر حتى قطَعتْ نَفَسَها ثم قال لها: أمسِكي، فأمسكت، فقال لها: قد عَرفتُ إلى أيّ شيءٍ ذهَبتِ؛ أردت أن تَتشبّهي بمُخارق في تزايُدِه، قالت: نعم يا سيدي. قال: إيّاكِ ثم إياكِ أن تَعُودي، فإن مُخارقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونَفَسه، يتصرّف في ذلك أجمعَ كيف أحَبَّ، ولا يلحقه في ذلك أحد، وقد أراد غيرُك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك، وافتضح ولم يلحقه، فلا أسمَعنّك تتعرَّضِين لمثل هذا بعد وقتك هذا[١].

غلمان المعتصم يتركونه ويجتمعون لسماع مخارق فيعذرهم

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر البسّامي، قال: حدثني خالي أبو عبد الله عن أبيه، قال:

كُنّا بين يَدي المُعْتصِم ذاتَ ليلة نَشْرب إلى أن سَكِرْنا جميعاً، فقام، فنام[٢] وتوَسَّدْنا أيْدِينَا[٢] ونِمْنا في مواضعِنا، ثمّ انْتبَه فصاح فلم يُجبه أحد، وسَمِعْنا صياحه فتبادَرْنا نسأل عن الغلمان، فإذا مُخارق قد انتبَه قبلنا فخرج إلى الشَطّ يتَنسَّم الهواءَ، واندَفَع يُغَنّي، فتلاحق به الغِلمان جميعاً، فجئتُ إلى المُعتَصم فأخبرتُه وقلتُ: مُخارق على الشَّطِّ يُغَنّي والغلمانُ قد اجتَمعُوا عليه، فليس فيهم فَضْلٌ لشيءٍ غير استِماعِه، فقال لي: يابن حَمْدُون، عُذْرٌ والله وأيُّ عُذْر! ثمّ جلس وجلَسْنا بين يديه إلى السَّحر.

المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق وإبراهيم بن المهدي

وذكر محمد بن الحَسَن[٣] الكاتب أنّ أبانَ بن سعِيد حدّثه:

[١٠/٣٦١]

أنّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهْدِيّ ومُخارق، فقال: يا أميرَ / المؤمنين، إذا تَغَنّى إبراهيم بعِلمه فَضَل مُخارِقاً، وإذا تغَنّى مُخارقٌ بطَبْعه وفَضْل صَوْتِه فَضَل إبراهيم، فقال له: صَدَقْتَ.

غنى الأمين فخلع عليه جبة ثم ندم حين رآها عليه

نَسختُ من كتاب هارُون بن الزّيات:

حدّثني هارُونُ بنُ مُخارق عن أبيه، قال: دعاني محمدٌ الأمينُ يوماً وقد اصطبَح فاقترح عليّ:

استقبلَتْ وَرَقَ الرّيحانِ تَقطِفُهُ ... وعَنْبرَ الهِنْد والوَرْدِيَّةَ الجُدُدا
ألَستَ تَعرفني في الحَيّ جاريةً ... وَلم أخُنكَ وَلم ترْفع إليّ يَدا[٤]

---

(١) ف: «بعد وقبل هذا».
(٢ - ٢) التكملة من ما.
(٣) ف: «محمد بن الحسين الكاتب».
(٤) س: «.. ولم أرفع إليك يداً».

فغنَّيتُه إياه، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثةَ أرطال وِلاءً، وأمر لي بألف دِينار وخَلع عليَّ جُبَّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبَة، ودُرّاعةً مثلها وعمامة مثلَها تكاد تُغْشِي البصر من كثرة الذّهب، فلمَّا لَبِسْتُ ذلك وَرآه عليّ نَدِم، وكان كثيراً ما يفعل ذلك، فقال لبعض الخَدَم: قُل للطبّاخ يأتِينا بِمَصْلِيَّة[1] مَعقُودَة الساعة، فأتى بها، فقال لي: كُلْ معي، وكنتُ أعرفَ النّاس بمذهبه وبكراهته لذلك، فامتنعتُ. فحَلف أن آكلَ معه، فحين أدخلْتُ يَدي في الغَضارة[2] رفع يَده، ثم قال: أفٍّ نغَّصتَها عَلَيَّ والله وقذَّرْتَها عندي بإدخالك يدك فيها، ثمَّ رَفس القَصعة رفسةً فإذا هي في حِجْري، ووَدكُها[3] يَسِيل على الخِلعة حتى نَفَذ إلى جِلدِي، فقُمْتُ مُبادِراً فنزَعتها، وبعَثتُ بها إلى منزلي وغَيّرت ثِيابي وعُدْتُ وأنا مَغْمُومٌ منها وهو يَضْحك، فلمَّا رَجعتُ إلى منزلي جَمَعتُ كُلَّ صانع حاذِق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخْرُج، ولم أنتفع بها حتى أحرقْتُها فأخذْتُ ذهبها، وضَرب الدَّهرُ بعد ذلك ضَرباته.

/ يؤاكل المأمون ويغنيه فيعبس في وجهه ثم يدعوه ثانية ويكافئه [١٨/ ٣٦٢]

ثم دعاني المَأمونُ يوماً، فدخَلتُ إليه وهو جالس، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان، فقال لي: تعالَ فَكُلْ، فامتَنعْتُ، فقال لي: تَعالَ وَيْلك فساعِدْني. فجلستُ فأكلْت معه حتى استَوفَى، ووضع النبيذ ودعا عَلُّوية فجلس، وقال لي: يا مُخارق، أتُغَنِّي:

أقولُ التِماسَ العُذرِ لمَّا ظلَمتِني ... وحَمَّلتِني ذَنباً وما كنتُ مُذْنِبا

فقلتُ: نعم يا سيِّدي، قال: غنِّه، فغنَّيته فعبس في وَجْهي ثم قال: قبّحك الله أهكذا يُغنَّى هذا! ثم أقبل على عَلُّويَةَ فقال: أتُغنِّيه؟ قال: نعم يا سيِّدي، قال: غَنِّه، فغنَّاه، فوالله ما قارَبني فيه، فقال: أحسنْتَ والله، وشرب رطلاً، وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم، واستعادَه ثلاثاً، وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كُلِّ عشرةَ آلاف دِرْهم، ثم خذَف بإصْبَعِه[4] وقال: برْقٌ يمانٍ، وكان إذا أراد قَطْع الشرب فعل ذلك، وقمنا فعَلِمْتُ من أين أُتِيتُ.

فلمَّا كان بعد أيام دَعاني فدخلْتُ إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك، فقال لي: تَعالَ ويْلك فساعدْني، فقلت: الطلاق لي لازم إن فعلتُ، فضحك ثم قال: وَيْلك، أترَاني بَخِيلاً على الطَّعام! لا والله، ولكنني أَردتُ أن أُؤدِّبك، إنَّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تُؤاكلَها، أفهمت؟ فقلتُ: نعم، قال: فتعالَ الآن فكُلْ على الأمان فقلتُ: أكون إذاً أوّل من أضاع تأديبك إياه واستَحقَّ العُقوبة من قريب، فضحك حتى استغرَب[5]، ثمّ أمر لي بألف دينار، ومضيت إلى حُجْرتي المرْسومة لي[6] للخِدْمة، وأُتِيتُ هناك بطعام فأكلتُ، ووُضِع النّبيذ ودعاني وبِعَلُّوية، فلمّا جلسنا قال له: يا عليّ، أتُغَنّي:

/ ألم تَقُولي: نَعَم، قالت: أرَى وَهَماً ... منيّ وهل يُؤخذ الإنسانُ بالوَهَمِ![7] [١٨/ ٣٦٣]

(١) صَلَى اللحمَ يَصْليه صَلْياً: شواه فهو مَصْليّ، ويقال: أتى بشاة مَصْليَّة.
(٢) الغضارة كسحابة: القصعة الكبيرة.
(٣) الودك: ما يتحلب من اللحم والشحم من دسم.
(٤) خذف بإصبعه: حركه كأنه يرمي شيئاً.
(٥) استغرب: بالغ في الضحك.
(٦) ف، ما: «المرسومة بي».
(٧) الوهم: السهو أو الخطأ.

فقال: نَعمْ يا سيّدي، فقال: هاته، فغنّاه، فعَبس في وَجْهه وبَسَر[(١)] وقال: قبّحك الله، أتُغنّي هذا هكذا! ثمّ أقبل عليّ فقال: أتُغَنّيه يا مُخارق؟ فقلتُ: نعم يا سيّدي، وعلمت أنه أراد أن يَستقيد[(٢)] لي من عَلُّوية ويرفع مني، وإلا فما أتى علُّويةُ بما يُعاب فيه، فغنّيتُه، فَطرِبَ وشَرِب رطلاً، وأمر لي بعَشرة آلاف دِرْهم، وفعل ذلك ثلاثَ مرّات كما فعل به.

ثُمَّ أمر بالانصراف فانصرفنا، وما عاودْتُ بعد ذلك مُؤاكلة خَلِيفة إلى وقْتِنا هذا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

استقبلـــتْ وَرَقَ الـــرَّيحـــان تقطُفـــهُ وعَنْبَـــر الهِنْـــد والـــوردِيَّـــةَ الجـــدُدَا
ألســتَ تعـرِفنـي فـي الحـيّ جـاريـةً ولـــم أخنـــك ولـــم تمْـــدُد إلـــيّ يَـــدَا

الشعر ـ فيما يُقال ـ لعُمرَ بن أبي ربيعة، والغِناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وأصله يماني، وفيه لابن جامع هزج.

صوت

أقـــولُ التِمـــاسَ العُـــذر لمـــا ظلمتِنـــي وحمّلتِنـــي ذَنبـــاً ومـــا كنـــتُ مُـــذْنِبـــا
هبينـــي امْـــرأً إمّـــا بـــريئـــاً ظلمتِـــه وإمّـــا مُسِيئـــاً قـــد أنـــاب وأَعْتِبـــا[(٣)]

الشعر للأحوص، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عَمرو.

[١٨/٣٦٤]

صوت

ألـم تَقـولـي: نَعـم، قـالـت: أرَى وَهمـاً منّـي وهـل يُـؤخَـذ الإنسـان بـالـوَهَـم!
قُـولِـي: نَعـمْ، إنّ «لا» ـ إن قُلْتِ ـ قـاتِلتِي مـاذا تُـريـدِيـن مـن قَتْلـي بغيـر دَمِ!

الغناء لسياط خفيف رمل بالبِنصر عن عَمْرو، ولم يقع إليّ لمن الشِّعر.

يتنافس هو وعلوية في غناء صوت فيسبق علوية

قال هارون: وحدّثني أبو مُعاوية الباهِليُّ، قال:

حَضَرتُ علُّويَة ومُخارقاً مُجتمعين في مجلس، فغنّى علويةُ صوتاً فأحسن فيه وأجادَه، فأعادَه مُخارق وبرَّزَ عليه وزاد، فردَّه علُّويَة وتعمَّل فيه واجتهد فزاد على مُخارِق، فجثا مُخارق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزَّ منكباه، فما ظَنَنّا إلا أنّ الأرضَ قد زُلزِلت بنا، وغلب والله ما سمِعنا على عُقولنا، ونظرتُ إلى لَوْن عَلُّويَة وقد امتُقِع

(١) بسر: أظهر العبوس.
(٢) يستقيد لي: يأخذ لي بثأري.
(٣) أعتبه: أرضاه بعد العتاب.

وطار دمُه، فلمّا فرَغ مُخارق توقّعنا أن يُغنّي علّويَة، فما فعل ولا غنّى بقية يومه. قال: وكان مُخارق إذا صاح قطع أصحاب النايات.

سأله الأمين أن يغنيه أصواتاً فلم يحسن فأرسله إلى إسحاق ليعلمه

أخبرني وَسواسةُ بنُ المَوْصليّ، وهو أحمد[1] بنُ إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدَّثنا حمّاد بن إسحاق، قال:

قال لي مُخارق: دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهديّ، فقال: غنّني يا مُخارق، فغنّيته أصواتاً عديدة، فلم يَطْرب لها وقال: هذا كله مُعاد، فغَنّني:

* لقد أزمعتْ للبين هِندٌ زِيالها[2] *

فقلت: لا والله ما أُحسِنه، فقال: غَنّني:

* لا والذي نُحِرتْ له البُدْنُ *

/ فقلتُ: لا والله ما أُحسِنه، فقال: غَنّني: [١٨/٣٦٥]

* يا دارَ سُعْدَى سقى أطْلالَك الدِّيَمَا *

فقلتُ: لا والله لا أحسنه، فغضب، وقال: ويلك! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسِن منها واحداً! فقال له إبراهيمُ بنُ المهديّ: وما ذَنبه؟ إسحاقُ أُستاذُه وعليه يَعْتمد، وهو يُضايقه[3] في صَوت يُعلِّمه إياه، فقلتُ: قد والله صدق، ما يُعطِيني شيئاً ولا يُعلِّمنيه، قال: فما دَوَاؤه؟ فقد والله أعياني، فقال له إبراهيمُ: توكَّل به مَنْ يَصُبُّ على رأسه العَذابَ حتى يُعلِّمه مائةَ صوت، قال: أمَّا هذا فبعيد، ولكن اذْهَبْ إليه عني فمُرْه أن يُعلِّمك هذه الثلاثة الأصوات، فإن فعل وإلا فصُبَّ السَّوط على رأسِه حتى يُعلِّمك.

يذهب إلى إسحاق ليعلمه فيكله إلى جارية له

فدَخلتُ إلى إسحاقَ، فجلست بغير أمْره، وسَلَّمت سلاماً مُنكَراً. ثم أقبلتُ عليه فقلت: يأمُرك أميرُ المُؤمنين أن تُعلِّمني كذَا وكذَا قال: ما أُحسِنه، فقلت: إني أُنفِّذ فيك ما أمرني به، فقال: تُنفِّذ فيّ ما أُمِرْتَ به، ألا تَستحِي ويْحَكَ مني ومن تربيتي إياك! قلت: فلا بُدّ من أن تُعلِّمني ما أمرك به أميرُ المُؤمنين، قال: فإني لستُ أُحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه، هاتُوها. فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخذتُ الأصوات الثّلاثة، وجَعل كل مَنْ جاء يومئذ لا يحجُبُه لِيَرَوْني وجاريتُه تُطارحني.

فلمَّا أخذتُ الأصوات رَجَعتُ إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاقُ، فغَنّيتُه إياها، فطرب، وجعل إبراهيمُ بن المهديّ يقول: أحسن والله، أحسن والله، فلما فرغتُ قال إسحاق: لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحْسانه، ولقد جَهَدت الجاريةُ جَهدَها أن يأخذَه عنها فلم يَتوجّه له، ثم اندفع فغنَّاها، فكأني والله كنتُ ألعب عندما سمعتُ.

/ ثم أقبل على إبراهيم بنِ المَهديّ فقال له: كم أقولُ لك: ليس هذا من عِلْمك ولا ممّا تحسنه وأنتَ تكابِر [١٨/٣٦٦]

(١) ف: «وهو ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم».
(٢) ف: «زوالها».
(٣) س: «وهو يطابقه».

وتُدخِل نفسك فيما لا تُحسنه! فقال: ألاَ ترَاه يا أمير المؤمنين يُصيِّرني مُغنِّياً! فقال له إسحاق: ولم تجحد ذلك! أوَ أسرَرتَ إليّ منه شيئاً لم تُظهِرْه للناس وتُعلِّمهم إياه! ومتى صِرْتَ تأنف من هذا وأنت تتبَحْبَحُ به! فليتك تُحْسِنه، والله ما تَفرُق بين الخطأ والصواب فيه، وإن شئت الآن ألقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ علم شئت، فإن أجبْتَ في واحدة منهن وإلاّ علمتُ أنك مُتكلِّف. فقال: يا أمير المؤمنين يَستقبِلُني بهذا بين يديك! قال[1]: وما هذا مما لا أستقبِلُك به؟ فقال له محمد: نعم اختَرْ ما شئتَ حتى نسألك عنه فقال: إنما يفعل هذا الصبيان[2]، وانكسر حتى رَحمتُه، فقلتُ لمحمد: يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القَوْل أنه لا يُحسن، بلى والله إنه ليُحسن كلّ شيء وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري، وإنه ليتقدَّم كثيراً من الناس في كل شيء، فجعل محمد يضحك وهو يقول، تَشُجُّه بيدٍ وتَدْهُنُه بيد، وتجرُحه بيَد وتأسوه بيَدا.

نسبة هذه الأصوات

صوت

لقـد أزمعـتْ لِلبيْـن هنـدٌ زِيـالهـا ... وزَمُّـوا[3] إلـى أرْضِ العِـراق جِمـالَهـا
فمـا ظبيـةٌ أدْمـاءُ واضحـةُ القَـرَا ... تَنُـصُّ إلـى بَـرْد الظِّـلال غَـزالَهـا[4]
[١٨/٣٦٧] / تَحُـتُّ بقَـرنيهـا بَـرِيـرَ أراكـةٍ ... وتَعْطـو بظِلْفَيْهـا إذا الغُصْـنُ طـالهـا[5]
بـأحسـنَ منهـا مُقلـةً ومُقلَّـداً ... وجيـداً إذا دانَـتْ تنـوطُ شِكـالَهـا[6]

الشِّعرُ لكُثيِّر، والغِناء لمعبَد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه لابن سُرَيْج في الثَّالث والثَّاني ثقيل أول بالسّبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، في الثَّاني ثمّ في الثَّالث، وفي كتاب حَكَمٍ: لحكَم فيه خفيف ثقيل، وعن حبش لطُوَيْس فيه رمل بالوُسطى، وذكر أيضاً أن لحن معبَد ثاني ثَقِيل.

صوت[7]

يـا دارَ سُعـدَى سَقَـى أطـلالَـك الـدِّيمـا ... مُسْقِـي الـرَّوايـا وإن هيَّجـتِ لـي سَقمَـا
دارٌ خَلـتْ وعفَـتْ منهـا معـالِمُهـا ... إلاّ الثُّمـامَ وإلاّ النُّـؤيَ والحُمَمَـا[8]

الغناء لقَفَا النَّجّار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم.

(١) ف: «فقلت».
(٢) ف: «بالصبيان».
(٣) يقال: زمّ القوم: تقدّمهم كأنه زمام. وزموا جمالها: أرسلوها متقدمة.
(٤) القرا: الظهر. والنص من الشيء: منهّاه ومبلغ أقصاه. وتنص غزالها: تستحثه.
(٥) البرير: ثمر الأراك. وتعطو بظلفيها: ترتفع بهما. وطالها ارتفع عنها.
(٦) تنوط: تعلق. الشكال: وثاق بين الحقب والبطان وبين اليد والرجل.
(٧) في ف جاء هذا الصوت تالياً للذي بعد.
(٨) الثمام: نبت ضعيف لا يطول. والنؤي: الحفير حول الخيمة يمنع السيل. والحمم جمع حمة وهو الفحم وكل ما احترق بالنار.

صوت

لا والــــذي نُحِــرتْ لــــه البُــدْنُ . ولـــه بمكّــةَ قُبَّــلَ الـــرُّكُــنُ
مــــا زلـتُ يــا سَكَنِــي أخــا أرَقٍ مُتكنّفــاً بــي الهــمُّ والحــزَنُ
أخشــى عليــك وبعضــه شَفــقٌ أن يَفْتنــوك وأنــت مُفْتِتِــنُ

الغِناء لابْن سُرَيْج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق / وذكر الهشاميُّ أنه لسليمان الوادي أوله [١٨/٣٦٨] فيه لحن، ونسبه إبراهيم إلى ابن عَبّاد ولم يُجنِّسه.

أخبرني عمِّي: حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر، قال:

حدَّثني عبدُ الوَهّاب المؤذِّن، قال: انحدَرْنا مع المُعتَصم من السنّ[١] ونحن في حَرّاقته[٢]، وحضر وَقْتُ الأذان فأذَّنتُ، فلما فرغت من الأذان اندفع مُخارق بعدي فأذّن وهو جاثٍ على ركبتيه، فتمنيتُ والله أن دجلة أهرقتْ[٣] لي فغرقتُ فيها.

غضب عليه المعتصم ثم صالحه وأعاده إلى مرتبته

أخبرني عمِّي، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ عبد الله بن حَمْدون، قال: حدَّثني أبي، قال:

غَضِب المعتصمُ على مُخارق فأمر به أن يُجعل في المؤذّنين ويلزَمهم، ففعل ذلك، وأمهَلَ حتى علم أنّ المعتصم يشرب وأذَّنتِ العصرُ، فدخل هو إلى السِّتر حيثُ يقِفُ المؤذّن للسلام، ثمَّ رفع صوته جُهْدَه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته، الصَّلاة يرحمك الله، فبكى حتى جرَتْ دُموعُه، وبكى كلُّ مَنْ حضره، ثمَّ قال: أَدْخِلوه إليّ، ثم أقبل علينا وقال: سمعتم هكذا قطُّ! هذا الشيطان لا يترك أحَداً يغضب عليه، فأمر به فأُدخِل إليه، فقبَّل الأرض بين يديه، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يدَه فقبَّلها، وأمره بإحضار عودِه فأُحضِر، فأعاده إلى مرتبته.

إسحاق الموصلي يبدي رأيه في علوية ومخارق

وجَدتُ في بعضِ الكتب، عن عليِّ بن محمد[٤] البسّاميّ، عن جدّه حمدون بن إسماعيل قال:

/ غنّى علُّوية يوماً بين يدي إسحاق المَوْصليّ: [١٨/٣٦٩]

هجــرْتُــكِ إشفــاقــاً عليــكِ مــن الأذى وخَــوْفَ الأعــادِي واتّقــاءَ النَّمــائِــمِ

فقال له إسحاقُ: أحسنت يا أبا الحسَن أحسنت، واستعاده ثلاثاً وشرب، فقال له عَلُّويةُ: يا أُستاذ، أين أنا الآن من صاحبي - يعني مُخارقاً - مع قولك هذا لي؟ فقال: لا تُرِد أن تَعرِف هذا، قال: بي والله إلى معرفته أعظمُ الحاجة، فقال: إذا غنيتما مَلِكًا اختاره عليك وأعطاه الجائزة دُونك، فضَجِر عَلُّويةُ وقال لإسحاق: أُفٍّ من رضاك وغَضبِك!.

(١) السّنّ: مدينة على دجلة.
(٢) الحَرّاقة: سفينة خفيفة المَرّ.
(٣) س، ف: «انفرقت».
(٤) ف: «عن علي بن البسامي».

نسبة هذا الصوت

صوت

هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذَى وخوفَ الأعادي واتّقاءَ النمائِمِ
وإنّي وذاكَ الهجرَ لو تَعلمِينَه كساليةٍ عن طِفلها وهي رائمُ[1]

الشّعر لهلال بن عمرو الأسَديّ، والغناء لعَلُّويَة ثقيل أوّل بالوسطى، عن عمرو.

رأي أبي يعقوب الخريمي في علوية ومخارق

وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخُرَيْمِيّ[2]:

ما رأيتُ كثلاثة رجال كانوا يأكلون النّاس أكلاً، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يَذُوب الرّصاص على النّار: كان هِشامُ بن الكلبيّ علاّمةً نسّابةً وراويةً للمثالب عَيّابة، فإذا رأى الهيثَمَ بن عَديّ ذاب كما يَذُوبُ الرّصاص، وكان عليُّ بنُ الهيثم جُونقاً مُفقِعاً[3] بَيّاً صاحب تَقعّر يستولي على كل كلام، لا يَحْفِل بخطيب ولا شاعر، فإذا رأى موسى الضّبيّ / ذاب كما يَذُوب الرّصاص، وكان عَلُّويةُ واحدَ الناس في الغناء روايةً وحكاية ودراية وصنعة وجودَةَ ضَرْبٍ وأضراب وحُسْنَ خلق، فإذا رأى مُخارقاً ذاب كما يذُوب الرّصاص على النار. ١٨/٣٧٠

حج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب جاريتها بهار

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خُرداذْبه قال:

هَوِيَ مُخارقٌ جارية لأمّ جعفر، فحَجّ في السنة التي حجت فيها أُمّ جعفر بسبب الجارية، فقال أحمدُ بنُ هشام فيه:

يحجُّ النّاسُ من بِرٍّ وتَقْوى وحجُّ أبي المُهنّا للتّصابي

وهب المعتصم دار مخارق لبونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب شعراً في ذلك

قال: وكان المُعْتصِمُ قد وهب دارَ مُخارِق لمّا قَدم بَغْدادَ لِيُونازةَ خَليفةِ الأفْشين، فقال عيسى ابنُ زَينب في ذلك:

يا دارُ غيّر رسمَها يُونَازهْ وبقِي مُخارِق قاعداً في فازهْ[4]
لا تَجْزَعنّ أبا المُهنّا إنّها دُنيا تُنالُ بِذلّة وعَزازهْ

أم جعفر تهب له جاريتها بهار

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونُس الشّيعيّ، قال: حدّثنا عُمر بنُ شبّة، وحَدّثني محمد بن يَحيى الصّوليّ، قال:

---

(١) رائم من رأمت الناقة ولدها: عطفت عليه، فهي رائم. وفي الشعر إقواء لاختلاف حركة الروي بالرفع في هذا البيت، والجر في البيت الذي قبله.

(٢) ف: «قال أبو عمرو الخريمي».

(٣) المفقع: الفقير المجهود، وجونقاً: لقب له.

(٤) الفازة: مظلة من نسيج أو غيره تمد على عمود أو عمودين.

وَجدْتُ بخطِّ عبد الله بن الحسين: حدثني الحَسنُ بنُ إبراهيم بنِ رياح، قالا:

كان مُخارق يَهوَى جَارية لأم جعفر يقال لها بَهارُ[1]، ويَستُر ذلك عن أمّ جعفر، حتى بلغها ذلك، فأقصَتْه ومنَعته من المرور ببابها، وكان بها كلِفاً. قال الصُّوليّ في خبره: فلما علم أن الخبر قد بلغ أمّ جعفر قطعها وتَجافاها؛ إجلالاً لأم جعفر، وطمعاً في السلوّ عنها، وضاق ذَرعُه بذلك، فبينا / هو ذاتَ ليلة في زَلّالٍ[2]، وقد [١٨/ ٣٧١] انصرف من دار المَأمون، وأمُّ جعفر تشرب على دجلة، إذ حاذَى دارَها، فرأى الشمع يَزْهَر فيها، فلما صار بمَسْمعٍ منها ومَرْأى اندَفع فغنّى:

صوت

إنْ تمنَعُونِي مَمَرّي قُربَ دارِهِمُ ... فسوف أَنظُر من بُعْدٍ إلى الدّارِ
سِيما الهوَى شُهِرَتْ حتى عُرِفتُ بها ... أنّي مُحِبٌّ وما بالحبِّ من عارِ
ما ضَرّ جيرانكم - والله يُصلِحهم ... لولا شَقائيَ - إقبالي وإدْبارِي
لا يَقدِرون على منعِي ولو جَهَدُوا ... إذا مررتُ وتَسليمي بإضماري

الشعر للعباس بن الأحنَف، والغناء لمخارق رمل بالوسطى.

فقالت أمُّ جعفر: مُخارقٌ والله، رُدُّوه، فصَاحُوا بملاّحه: قَدِّمْ، فقَدَّم، وأمرَه الخَدم بالصُّعود، فصعد، وأمرت لهُ أمُّ جعفر بكُرسيٍّ وصينيَّة فيها نَبيذ، فشرب، وخَلَعَت عليه، وأمرت الجواري فغنَّيْن، ثمّ ضَربن عليه فغنّى فكان أوّل ما غنّى:

صوت

أغيبُ عنكِ بوُدٍّ ما يُغيِّرُه ... نأيُ المَحلِّ ولا صَرفٌ من الزمَنِ
فإن أعِش فلعلّ الدَّهرَ يجمعُنا ... وإن أمُتْ فقتيلُ الهمِّ والحَزنِ
قد حسَّن الله في عينيَّ ما صنعَتْ ... حتّى أرى حسَناً ما ليس بالحَسنِ

الشِّعرُ للعَبّاس بن الأحنَف، والغِناءُ لمُخارِق رمل.

/ قال: فاندَفعتْ بَهارُ فغنّت كأنها تُباينُه، وإنما أجابَتْه عن مَعنَى ما عرَّض لها به: [١٨/ ٣٧٢]

تعتلُّ بالشُّغل عنا ما تُلِمُّ بنا ... والشُّغلُ للقلب ليس الشُّغل للبَدنِ

ففَطِنت أمُّ جَعفر أنها خاطبَتْه في نفسها، فضَحِكتْ وقالت: ما سمعنا بأملحَ ممّا صنَعْتما، وقال إسماعيل بن يُونس في خبره: ووَهَبَتْها له.

غنّى المأمون حين قدم مكة أحدث صوت صنعه

وقال هارون بنُ الزّيات:

---

(١) ف، س: «نهار».

(٢) زلال: شبه قارب يسير في النهر.

حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه: أنّ المأمون سأله لما قَدِم مكة عن أحدث صوت صنعه، فغنّاه:

صوت

أقبلَتْ تحصِبُ الجمارَ وأقبلْـ ـتُ لِرمْي الجِمارِ مِن عرَفاتِ
ليتني كُنتُ في الجِمارِ أنا المحـ ـصُوبُ[1] مِن كَفّ زينبٍ حَصَياتِ

الشِّعْر للنّميريّ، والغناءُ لمخارق خفيف رَمَل بالبنصر، قال: فضحك، ثمّ قال: لَعمري إن هذا لأحْدَثُ ما صنعت، ولقد قنِعتَ بيسير، وما أظُنّ بهار كانت تبخل عليك بأنْ تحْصِبك بحصاة كما تحْصب الجِمارَ. واستَعاده الصوتَ مرّات.

غنى بشعر للمأمون في جارية له فأبكاه

أخبَرني جَعفرُ بنُ قُدامة قال:

حدَّثني هارونُ بنُ مخارق، قال: حدثني أبي، قال: كنّا عند المأمون يوماً، فجاءَه الخَادم الحرَميّ فأسرّ إليه شيئاً، فوثب فدخل معه، ثمّ أبطأ علينا ساعة وعاوَد وعَيْنُه تذْرِف، فقال لنا: دخلتُ الساعةَ إلى جارية لي كنت أتحظّاها، فوجدَتْها / في المَوْت، فسلّمتُ عليها فلم تستطع رَدَّ السّلام إلا إيماءً بإصبعها، فقلتُ هذين البيْتَيْن: [٣٧٣/١٨]

سلامٌ على مَن لم يُطِق عند بَيْنِه سلاماً، فأَوْمَى بالبَنان المخضَّبِ
فما استطَعْتُ توديعاً له بسِوَى البُكا وذلك جُهْد المُستهامِ المُعذَّبِ

ثمّ قال: غَنِّ فيها يا مُخارق، ففعلتُ، فما استَعادَني ذلك الغِناء قطّ إلا بكى.

حج رجل معه وغناه صوتاً فوهب له حجته

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكَوْكبيُّ إجازةً، قال: حدَّثني أحمدُ بن أبي العَلاء، قال: حدَّثني أبي، قال:

حجَّ رجُل مع مخارق، فلما قَضيا الحَجَّ وعادا، قال له الرَّجل في بعض طريقه: بحقّي عليك غَنِّني صوتاً، فغنّاه:

رَحلنا فشَرَّقْنا وراحوا فغَرَّبُوا ففاضَتْ لِرَوْعاتِ الفراقِ عُيونُ

فرفع الرجل يدَه إلى السماء وقال: اللهمّ إني أُشهِدُك أنّي قد وَهبْتُ[2] حَجّتِي له.

وفاته

وتُوُفّي مخارق في أوّل خلافة المتوكّل، وقيل: بل في آخر خلافة الواثق، وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أن سبب وفاته أنه كان أكل قِنّبيطِيّة باردةً فقتَلته من فوره[3].

(١) ف: «ليتني في الجمار كنت أنا المحصوب».
(٢) ف: «وجهت حجتي له».
(٣) ف: «فقتلته من يومه».

[١٨/ ٣٧٤]

صـوت

إذا مِتّ فادفِنّي إلى جنب كَرْمة	تُروّي مُشاشِي[١] بعد موتي عُرُوقُها
ولا تَدفِنَنّي[٢] بالفلاة فإنّني	أخافُ إذا ما مِتُّ ألّا أذوقَها

عروضه من الطويل، ويُرْوَى:

* إذا رحت مدفوناً فلستُ أذوقها *

الشعر لأبي مِحْجَن الثقفيّ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه لحُنَيْن لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجَنِّسْه.

إلى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني،
ويليه الجزء التاسع عشر، وأوله «ذكر أبي محجن ونسبه».



(١) المُشاش: العَظْم.

(٢) في هذا البيت إقواء، وبالرواية الأخرى لا إقواء فيه.



فهرس موضوعات الجزء الثامن عشر